بسم الله الرحمن الرحيم ◦ وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم ◦

الحمد لله الذي بتحميده يستفتح كل كتاب ◦ وبذكره يصدر كل خطاب ◦ وبحمده
يتنعم اهل النعيم في دار الثواب ◦ وباسمه تتسلى الاشقيا وان ارخي دونهم الحجاب ◦ وضرب
بينهم وبين السعداء بسور له باب ◦ باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب
ونتوب اليه توبة من يوقن انه رب الارباب ومسبب الاسباب ◦ ونرجوه رجا من يعلم
انه الملك الرحيم الغفور التواب ◦ ونمزج رجانا الخوف مزج من لا يرتاب ◦ انه مع
كونه غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب ◦ ونصلي على محمد صلى الله عليه وسلم
وعلى صحبه الاكرمين صلاة تنقذنا من هول المطلع يوم العرض والحساب ◦ وتمهد لنا عند
الله زلفى وحسن مآب اما بعد فان التوبة عن الذنوب بالرجوع الى ستار العيوب
وعلام الغيوب مبدا طريق السالكين وراس مال الفايزين واول اقدام المريدين ◦
ومفتاح استقامة المايلين ومطلع الاصطفا والاجتبا للمقربين ولابينا ادم صلى الله وعلى
ساير النبيين ◦ وما اجدر بالاولاد الاقتدا بالابا والاجداد فلا غرو ان اذنب الادمي
واجترم فهي شنشنة نعرفها من اخزم ومن اشبه اباه فما ظلم ولكن الاب اذا جبر بعد
ان كسر وعمر بعد ان هدم فليكن النزوع اليه في كلي طرفي النفي والاثبات والوجود
والعدم ◦ ولقد قرع ادم سن الندم وندم على ما فات منه وتقدم ◦ فمن اتخذه قدوة
في الذنب دون التوبة فقد زلت به القدم ◦ بل التجرد لمحض الخير داب الملايكة ◦
المقربين والتجرد للشر دون التلافي سجية الشياطين والرجوع الى بعد الوقوع في
الشر ضرورة الادميين ◦ فالتجرد للخير ملك مقرب عند الملك الديان ◦ والمتجرد
للشر شيطان والمتلافي للشر بالرجوع الى الخير بالحقيقة انسان ◦ فقد ازدوج
في طينة الانسان شايبتان واصطحب فيه سجيتان ◦ وكل عبد مصحح نسبه اما الى الملك
واما الى ادم او الى الشيطان ◦ فالتايب قد اقام البرهان على صحة نسبه الى ادم
بملازمة حد الانسان ◦ والمصر على العصيان مسجل على نفسه بنسب الشيطان فاما
تصحيح النسب بالتجرد لمحض الخير الى الملايكة فخارج عن حيز الامكان ◦ فان الشر
معجون مع الخير في طينة ادم عجنا محكما لا يخلصه الا احدى النارين نار الندم او نار
جهنم فالاحراق بالنار ضروري في تخليص جوهر الانسان عن جانب الشيطان واليك
الان اختيار اهون الشرين والمبادرة الى اخف النارين قبل ان يطوى بساط ◦ ويساق
الى دار الاضطرار اما الى الجنة واما الى النار ◦ فاذا كانت التوبة موقعها من الدين

عليه صح

سبق صح

الخير صح

الاختيار صح

هذا الموقع وجب تقديمها في صدر ربع المنجيات لنشرح حقيقتها وشروطها وسببها
وعلامتها وثمرتها والآفات المانعة منها والادوية الميسرة ويتضح ذلك بذكر اربعة
اركان **الركن الاول** في نفس التوبة وبيان حدها وحقيقتها وانها واجبة على
الفور وعلى جميع الاشخاص وفي جميع الاحوال وانها اذا صحت كانت مقبولة
الركن الثاني فيما عنه التوبة وهو الذنوب وبيان انقسامها الى صغاير وكباير
وما يتعلق بالعباد وما يتعلق بحق الله وبيان كيفية توزع الدرجات والدركات على
الحسنات والسيئات وبيان الاسباب التي بها تعظم الصغاير **الركن الثالث** في بيان
شروط التوبة في دوامها وبيان كيفية تدارك ما مضى من المظالم وكيفية تكفير الذنو(ب)
وبيان اقسام التائبين في دوام التوبة **الركن الرابع** في السبب الباعث على
التوبة وكيفية العلاج في حل عقدة الاصرار من المذنبين ويتم المقصود بهذه الاركان
الاربعة ان شا الله **الركن الاول** في نفس بيان التوبة وبيان حقيقة التوبة
وحدها اعلم ان التوبة عبارة عن معنى ينتظم ويلتئم من ثلاثة امور مرتبة علم وحال
وفعل فالعلم اول والحال ثان والفعل ثالث فالاول موجب الثاني والثاني موجب للثالث
ايجابا اقتضاه اطراد سنة الله تعالى في الملك والملكوت اما العلم فهو معرفة
عظم ضرر الذنوب وكونها حجابا بين العبد وبين كل محبوب فاذا عرف ذلك معرفة محققة
بيقين غالب على قلبه ثار من هذه المعرفة تألم للقلب بسبب فوات المحبوب فان القلب
مهما شعر بفوات محبوبه تألم فان كان فواته بفعله تأسف على الفعل المفوت فيسمى
تألمه بسبب فعله المفوت لمحبوبه ندما فاذا غلب هذا الالم على القلب واستولى انبعث
من هذا الالم في القلب حالة اخرى تسمى ارادة وقصدا الى فعل له تعلق بالحال وبالماضي
وبالاستقبال اما تعلقه بالحال فالترك للذنب الذي كان ملابسا واما بالاستقبال
فبالعزم على ترك الذنب المفوت للمحبوب الى آخر العمر واما بالماضي فبتلافي ما فات بالجبر
والقضا ان كان قابلا للجبر فالعلم هو الاول وهو مطلع هذه الخيرات واعني بهذا العلم
الايمان واليقين فان الايمان عبارة عن التصديق بان الذنوب سموم مهلكة واليقين
عبارة عن تأكد هذا التصديق وانتفا الشك عنه واستيلايه على القلب فيثمر نور هذا
الايمان مهما اشرق على القلب نار الندم فيتألم بها القلب حتى يبصر باشراق نور الايمان
انه صار محجوبا عن محبوبه كمن يشرق عليه نور الشمس وقد كان في ظلمة فسطع النور عليه
بانقشاع سحاب او انحسار حجاب فراى محبوبه قد اشرف على الهلاك فتشتعل نيران الحب

مطلب

في قلبه فتنبعث تلك النيران ارادة للانتهاض للتدارك فالعلم والندم والقصد
المتعلق بالترك في الحال والاستقبال والتلافي للماضي ثلاثة معان مترتبة في الحصول
يطلق اسم التوبة على مجموعها وكثيرا ما يطلق اسم التوبة على معنى الندم وحده ويجعل
كالسابق والمقدمة والترك كالثمرة والتابع المتاخر • وبهذا الاعتبار قال
صلى الله عليه وسلم الندم توبة اذ لا يخلو الندم عن علم اوجبه واثمره وعن عزم يتبعه
ويتلوه فيكون الندم محفوفا بطرفيه اعني ثمرته ومثمره • وبهذا الاعتبار قيل في حد
التوبة ذوبان الحشا لما سبق من الخطا فان هذا تعرض لمجرد الالم • ولذلك قيل هو
نار في القلب تلتهب وصدع في الكبد لا ينشعب وباعتبار معنى الترك قيل في حد التوبة
انه خلع لباس الجفا ونشر بساط الوفا • وقال سهل التستري التوبة تبديل الحركات
المذمومة بالحركات المحمودة ولا يتم ذلك الا بالخلوة والصمت واكل الحلال وكانه
اشار الى المعنى الثالث من التوبة والاقاويل في حدود التوبة لا تحصر • واذا فهمت
هذه المعاني الثلاثة وتلازمها وترتيبها عرفت ان جميع ما قيل في حدودها قاصر عن
الاحاطة بجميع معانيها فطلب العلم بحقايق الامور اهم من طلب الالفاظ المجردة

بيان وجوب التوبة وفضلها

اعلم ان وجوب التوبة ظاهر بالاخبار والايات وواضح بنور البصيرة عند من
انفتحت بصيرته وشرح الله بنور الايمان صدره حتى اقتدر على ان يسعى بنوره الذي
بين يديه في ظلمات الجهل مستغنيا عن قايد يقوده في كل خطوة فالسالك اما اعمى لا
يستغني عن القايد في خطوة واما بصير يهدى الى اول الطريق ثم يهتدي بنفسه
وكذلك الناس في طريق الدين ينقسمون هذا الانقسام فمن قاصر لا يقدر على مجاوزة
التقليد في خطوة فيفتقر الى ان يسمع في كل قدم نصا من كتاب الله او سنة رسوله
وربما يعوزه ذلك فيتحير فسير هذا وان طال عمره وعظم جده مختصر وخطاه قاصرة
ومن سعيد يشرح الله صدره للاسلام فهو على نور من ربه يتنبه بادنى اشارة لسلوك
طريق معوصة وقطع عقبات صعبة ويشرق في قلبه نور القرآن ونور الايمان
وهو لشدة نور باطنه يجتزي بادنى بيان فكانه يكاد زيته يضيء ولو لم تمسسه
نار فاذا مسته نار فهو نور على نور يهدي الله لنوره من يشاء • فهذا لا يحتاج الى نص
منقول في كل واقعة فمن هذا حاله اذا اراد ان يعرف وجوب التوبة فينظر اولا بنور

تنبيه السالك

البصيرة

البصيرة الى ما هي ثم الى الوجوب ما معناه ثم يجمع بين معنى الوجوب والتوبة فلا يشك
في ثبوته لها وذلك بان تعلم بان معنى الواجب ما هو واجب في الوصول الى سعادة
الابد والنجاة من هلاك الابد وانه لولا تعلق السعادة والشقاوة بفعل الشيء
وتركه لم يكن لوصفه بكونه واجبا معنى • وقول القائل بل صار واجبا بالايجاب
حديث محض فان ما لا غرض لنا عاجلا واجلا في فعله وتركه فلا معنى لاشتغالنا به يوجبه
علينا غيرنا او لم يوجبه فاذا عرف معنى الوجوب وانه الوسيلة الى سعادة الابد وعلم
انه لا سعادة في دار البقاء الا في لقاء الله وان كل محجوب عنه يشقى لا محالة محول
بينه وبين ما يشتهيه محترق بنار الفراق ونار جهنم وعلم انه لا مبعد عن الله الا
اتباع الشهوات والانس بهذا العالم الفاني والاكباب على حب ما لا بد من فراقه قطعا
وعلم انه لا مقرب من لقاء الله الا قطع علاقة القلب عن زخرف هذا العالم والاقبال
بالكلية على الله تعالى طلبا للانس به بدوام ذكره وللمحبة له بمعرفة جلاله وجماله
على قدر طاقته وعلم ان الذنوب التي هي اعراض عن الله واتباع لمحاب الشيطان اعداء
الله المبعدين عن حضرته بسبب كونه محجوبا مبعدا عن الله فلا يشك في الانصراف
عن طريق البعد واجب للوصول الى القرب وانما يتم الانصراف بالعلم والندم •
والعزم فانه ما لم يعلم ان الذنوب اسباب للبعد عن المحبوب لم يندم ولم يتوجع بسبب
سلوكه في طريق البعد ما لم يتوجع فلا يرجع ومعنى الرجوع الترك والعدم فلا يشك في
ان المعاني الثلاثة ضرورية في الوصول الى المحبوب وهكذا يكون الايمان الحاصل عن
نور البصيرة • واما من لم يرتفع لمثل هذا المقام المرتفع ذروته عن حدود اكثر الخلق
ففي التقليد والاتباع له مجال رحب يتوصل به الى النجاة من الهلاك فليلاحظ فيه
قول الله وقول رسوله وقول السلف الصالحين • فقد قال الله
تعالى وتوبوا الى الله جميعا ايها المؤمنون لعلكم تفلحون • وهذا امر على العموم وقال
تعالى يا ايها الذين آمنوا توبوا الى الله توبة الآية ومعنى النصوح الخالص لله خاليا عن
الشوائب ماخوذا من النصح • ويدل على فضل التوبة قوله تعالى ان الله يحب التوابين
ويحب المتطهرين • وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم التائب حبيب الله والتائب من
الذنب كمن لا ذنب له • وقال صلى الله عليه وسلم لله افرح بتوبة عبده المؤمن من
رجل نزل في ارض دوية مهلكة معه راحلة عليها طعامه وشرابه فوضع راسه
فنام نومة فاستيقظ فاذا راحلته قد ذهبت فطلبها حتى اشتد عليه الحر والعطش

مطلب لازم

انصر

الآيات والاحاديث

تشبيه توبة العبد فرحا عند الله

أوما شاء الله قال ارجع الى مكاني الذي كنت فيه فانام حتى اموت فوضع رأسه على
ساعده ليموت فاستيقظ فاذا راحلته عنده عليها طعامه وشرابه فالله عز وجل
أشد فرحا بتوبة العبد المؤمن من هذا براحلته • وفي بعض الالفاظ وفي بعض الالفاظ
فقال لمن فرحه اذا اراد شكر الله انا ربك وانت عبدي • ويروى عن الحسن قال لما تاب
الله على آدم عليه السلم هنته الملائكة فهبط عليه جبرئيل وميكائيل عليهما السلام
فقالا يا آدم قرت عيناك بتوبة الله عليك فقال آدم عليه السلم فان كان
بعد هذه التوبة مقامي فاوحى الله تعالى اليه يا آدم ورثت ذريتك التعب والنصب
وورثتهم التوبة من دعاني منهم لبيته كتلبيتك ومن سالني المغفرة لم ابخل عليه
لاني قريب مجيب • يا آدم واحشر التائبين من القبور مستبشرين ضاحكين ودعاؤهم
مستجاب والاخبار في ذلك لا تحصى • والاجماع منعقد من الامة على وجوبها اذ معناه
العلم بان الذنوب والمعاصي مهلكات ومبعدات من الله وهذا داخل في وجوب
الايمان ولكن قد تدهش الغفلة عنه • فمعنى هذا العلم ازالة هذه الغفلة ولا خلاف
في وجوبها ومن معانيها ترك المعاصي في الحال والعزم على تركها في الاستقبال وتدارك
ما سبق والتحزن عليه نواجب وهو روح التوبة وبه تمام التلافي فكيف لا يكون
واجبا بل هو نالم يحصل لا محالة عقيب حقيقة المعرفة بما فات من العمر وضاع في سخط
الله **فان قلت** تألم القلب امر ضروري لا يدخل تحت الاختيار فكيف يوصف
بالوجوب • فاعلم ان سبب تحقق العلم بفوات المحبوب وله سبيل الى تحصيل سببه
وبمثل هذا المعنى دخل العلم تحت الوجوب لا بمعنى ان العلم يخلقه العبد ويحدثه في نفسه
فان ذلك محال بل الندم والفعل والارادة والقدرة والقادر والكل من خلق الله تعالى
وفعله والله خلقكم وما تعملون هذا هو الحق عند ذوي البصائر وما سوى ذلك
ضلال **فان قلت** أفليس للعبد اختيار في الفعل والترك **قلت** نعم وذلك
لا يناقض قولنا ان الكل من خلق الله بل الاختيار ايضا من خلق الله والعبد مضطر في
الاختيار الذي له فان الله اذا خلق اليد الصحيحة وخلق الطعام اللذيذ وخلق الشهوة
للطعام في المعدة وخلق العلم في القلب بان هذا الطعام مسكن للشهوة وخلق الخواطر
المتعارضة في ان هذا الطعام هل فيه مضرة مع انه يسكن الشهوة وهل دون
تناوله مانع يتعذر معه تناوله ام لا ثم خلق العلم بانه لا مانع ثم عند اجتماع هذه
الارادة الباعثة على التناول فانجزام الارادة بعد تردد الخواطر المتعارضة وبعد

سؤال فان صح — مطلب

العلم صح

اختيار العبد في الافعال

قوة الشهوة للطعام سمي اختيارا ولا بد من خلوصه عند تمام اسبابه فاذا حصل
انجزام الارادة بخلق الله اياها تحركت اليد الصحيحة الى جهة الطعام لا محالة اذ
بعد تمام الارادة والقدرة الباعثة على التناول يكون حصول الفعل ضروريا
فيحصل الحركة فتكون الحركة بخلق الله بعد حصول القدرة وانجزام الارادة
يحصل بعد صدق الشهوة والعلم بعدم الموانع وهما ايضا من خلق الله ولكن بعض
هذه المخلوقات يترتب على البعض ترتيبا جرت به سنة الله في خلقه ولن تجد لسنة
الله تبديلا فلا يخلق الله حركة اليد بكتابة منظومة ما لم يخلق فيها صفة قدرة وما
لم يخلق فيها حياة وما لم يخلق ارادة مجزومة ولا تخلق الارادة المجزومة ما لم يحصل
شهوة وميلا في النفس • ولا ينبعث هذا الميل انبعاثا تاما ما لم يخلق علما بانه موافق
للنفس اما في الحال واما في المآل ولا يخلق العلم ايضا الا باسباب اخر ترجع الى حركة
وارادة والقدرة ابدا تستردف الحركة • وهكذا الترتيب في كل فعل والكل من •
اختراع الله ولكن بعض مخلوقاته شرط لبعض فلذلك يجب تقدم البعض وتاخر البعض
كما لا تخلق الارادة الا بعد العلم ولا يخلق العلم الا بعد خلق الحياة ولا تخلق الحياة الا
بعد الجسم ويكون خلق الجسم شرطا لحدوث الحياة لان الحياة تتولد من الجسم ولا يكون خلق
الحياة شرطا ويكون خلق العلم لان العلم يتولد من الحياة ولكن لا يستعد المحل لقبول العلم
الا اذا كان حيا ويكون خلق العلم شرطا لجزم الارادة لان العلم يولد الارادة ولكن لا
يقبل الارادة الا جسم حي عالم ولا يدخل في الوجود الا ممكن والامكان ترتيب لا يقبل
التغيير لان تغييره محال • فمهما وجد شرط الوصف استعد المحل به لقبول الوصف
فحصل ذلك الوصف من الجود الالهي والقدرة الازلية عند حصول الاستعداد
ولما كان الاستعداد بسبب الشروط ترتيب كان لحصول الحوادث بفعل الله ترتيب
والعبد مجرى هذه الحوادث المرتبة وهي مرتبة في قضاء الله الذي هو واحد كلمح البصر
ترتيبا كليا لا يتغير وظهورها بالتفصيل مقدرة بقدر لا يتعداها • وعنه العبارة
بقوله تعالى انا كل شيء خلقناه بقدر • وعن القضاء الكلي الازلي العبارة بقوله
وما امرنا الا واحدة كلمح بالبصر • واما العباد فانهم مسخرون تحت مجاري القضاء
والقدر • ومن جملة القدر خلق حركة في يد الكاتب بعد خلق صفة مخصوصة تسمى
القدرة وبعد خلق ميل قوي جازم في نفسه يسمى القصد وبعد علم بما اليه ميله
يسمى الادراك والمعرفة فاذا ظهرت من باطن الملكوت هذه الامور الاربعة

عَلَى جسمِ عبدٍ مسخرٍ تحت قهر التقدير سبق عالم الملك والشهادة المحجوبون عن عالم
الغيب والملكوت وقالوا يا أيها الرجل قد تحركت وكتبت ورميت ونودي من وراء
حجاب الغيب وسرادقات الملكوت وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى وما قتلت اذ
قتلت ولكن قاتلوهم يعذبهم الله بايديكم وعند هذا يتحير عقول القاعدين في بحبوحة
عالم الشهادة فمن قائل انه جبر محض ومن قائل انه اختراع صرف ومن متوسط مائل الى انه
كسب ولو فتح لهم ابواب السماء فنظروا الى عالم الغيب والملكوت لظهر لهم ان كل واحد
صادق من وجه وان القصور شامل لجميعهم فلم يدرك واحد منهم كنه هذا الامر ولم يحط علمه
بجوانبه وتمام علمه ينال باشراق النور من كوة نافذة الى عالم الغيب وانه تعالى عالم
الشهادة فلا يظهر على غيبه احدا الا من ارتضى من رسول • وقد يطلع على الشهادة من
لم يدخل في حيز الارتضا ومن حرك سلسلة الاسباب والمسببات وعلم كيفية تسلسلها
ووجه ارتباط مناط تسلسلها لمسبب الاسباب انكشف له سر القدر وعلم علما يقينا
ان لا خالق الا الله ولا مبتدع سواه **فان قلت** فقد قضيت على كل واحد من القائلين
بالجبر والاختراع والكسب بانه صادق من وجه وهو مع صدقه قاصر وهذا متناقض
فكيف يمكن فهم ذلك وهل يمكن ايصال ذلك الى الافهام بمثال فاعلم ان جماعة من العميان
سمعوا انه قد حمل الى البلد حيوان عجيب يسمى الفيل وما كانوا قد شاهدوا صورته ولا
سمعوا اسمه فقالوا لا بد لنا من مشاهدته ومعرفته باللمس الذي نقدر عليه فطلبوه فلما
وصلوا اليه لمسوه فوقع يد بعض العميان على رجله ووقع يد بعضهم على نابه ووقع يد بعضهم
على اذنه فقالوا قد عرفناه فلما انصرفوا سألهم بقية العميان فاختلفت اجوبتهم فقال
من لمس الرجل ان الفيل ما هو الا مثل اسطوانة خشنة الظاهر الا انه الين منها وقال الذي
لمس الناب ليس كما تقول بل هو صلب لا لين فيه واملس لا خشونة فيه وليس في غلظ •
الاسطوانة اصلا بل هو مثل عمود وقال الذي لمس الاذن لعمري هو لين وفيه خشونة
فصدق احدهما فيه ولكن قال ما هو مثل عمود ولا مثل اسطوانة وانما هو
مثل جلد عريض غليظ • وكل واحد من هؤلاء صدق من وجه اذ اخبر كل واحد عما اصابه
من معرفة الفيل ولم يخرج واحد في خبره عن وصف الفيل • فاستبصر بهذا المثال
واعتبر به فانه مثال اكثر ما اختلف الناس فيه واذ كان هذا كلاما يناطح علوم •
المكاشفة ويحرك امواجها وليس ذلك من غرضنا • فلنرجع الى ما كنا بصدده وهو
بيان ان التوبة واجبة بجميع اجزائها الثلاثة العلم والندم والترك وان الندم داخل

مطلب

مطلب التمثيل

في الوجوب

في الوجوب لكونه واقعاً في جملة أفعال الله المحصورة بين علم العبد وإرادته
وقدرته المتخللة بينها وما هذا وصفه واسم الوجوب يشمله ❊

بيان وجوب التوبة على الفور

اما وجوبها على الفور فلا يشترط فيه معرفة كون المعاصي مهلكات من نفس الايمان
وهو واجب على الفور • والمتفصي من وجوبه هو الذي عرفه معرفة زجره ذلك
عن الفعل فان هذه المعرفة ليست من علوم المكاشفات التي لا تتعلق بعمل بل من علوم
المعاملة وكل علم يراد ليكون باعثا على عمل فلا يقع التفصي عن عهدته ما لم يصر
باعثا بضرر الذنوب انما اريد ليكون باعثا على تركها فاذا لم يتركها فهو فاقد
لهذا الجزء من الايمان • وهو المراد بقوله عليه السلام لا يزني الزاني وهو مؤمن
وما اريد به نفي الايمان الذي يرجع الى علوم المكاشفة كالعلم بالله ووحدانيته •
وصفاته وكتبه ورسله فان ذلك لا ينافيه الزنا والمعاصي وانما اريد به نفي الايمان
بكون الزنا مبعدا عن الله وموجبا للمقت • كما اذا قال الطبيب هذا سم
فلا تتناوله فاذا تناوله يقال تناول وهو غير مؤمن لا بمعنى انه غير مؤمن بوجود •
الطبيب وكونه طبيبا وغير مصدق بل المراد انه غير مصدق وانه سم مهلك فان العالم
بالسم لا يتناوله اصلا فالعاصي بالضرورة ناقص الايمان وليس الايمان بابا واحدا
بل هو نيف وسبعون بابا اعلاها شهادة ان لا اله الا الله وادناها اماطة الاذى
عن الطريق • ومثاله قول القائل ليس الانسان موجودا واحدا بل هو نيف وسبعون
موجودا اعلاها القلب والروح وادناها اماطة الاذى عن البشرة • بل يكون
مقصوص الشارب مقلم الاظفار نقي البشرة عن الخبث حتى يتميز عن البهائم المرسلة
الملوثة بارواثها المستكرهة الصور بطول مخالبها واظلافها • وهذا مثال
مطابق فالايمان كالانسان وفقد شهادة التوحيد توجب البطلان بالكلية كفقد
الروح فالذي ليس له الا شهادة التوحيد والرسالة هو كانسان مقطوع الاطراف
مفقوء العينين فاقد لجميع اعضائه الظاهرة والباطنة الا اصل الروح وكما ان من
هذا حاله قريب ان يموت فتزايله الروح الضعيفة المنفردة التي تخلف عنها الاعضاء
التي تمدها وتقويها فلذلك من ليس له الا اصل الايمان وهو مقصر في الاعمال قريب
من ان تنقلع شجرة ايمانه اذا صدمتها الرياح العاصفة المحركة للايمان في

علم المعاملة والمكاشفة

حديث لا يزني الزاني ٥١

مثال الايمان وزواله

تشبيه الايمان مطيع لا الايمان القوى و الايمان الضعيف

مقدمة ملك الموت وورود ه فكل ايمان لم يثبت في اليقين اصله ولم ينتشر في
الاعمال فروعه لم يثبت على عواصف الاهوال عند ناصية ملك الموت وخيف عليه
سوء الخاتمة الا ما سقي بما الطاعات على توالي الايام والساعات هي وسح وبعد
وقول العاصي للمطيع اني مومن كما انك مومن كقول شجرة القرع لشجرة الصنوبر
اني شجرة وانت شجرة وما احسن جواب شجرة الصنوبر اذ قالت ستعرف من اغترارك
بشمول الاسم اذا عصفت رياح الخريف فعند ذلك ينقلع اصولك وتتناثر ورقك
وينكشف غرورك بالمشاركة في اسم الشجرة مع الغفلة عن اسباب ثبات الاشجار
وسوف ترى اذا انجلى الغبار افرس تحتك ام حمار • فهذا امر يظهر عند الخاتمة
وانما تقطعت نياط قلوب العارفين خوفا من دواهي الموت ومقدماته الهائلة
التي لا يثبت عليها الا الاقلون • والعاصي اذا كان لا يخاف الخلود في النار ليست
معصيته كالصحيح المنهمك في الشهوات المضرة فاذا كان لا يخاف الموت بسبب صحته
فان الموت غالبا لا يقع فجاة فيقال له الصحيح يخاف المرض ثم اذا مرض خاف الموت
وكذلك العاصي يخاف سوء الخاتمة • ثم اذا ختم له بالسوء وجب الخلود في النار فالمعاصي
للايمان كالماكولات المضرة للابدان فلا يزال يجتمع في الباطن مغيره مزاج الاخلاط
وهو لا يشعر بها الى ان يفسد المزاج فيمرض دفعة ثم يموت دفعة وكذلك المعاصي
فان كان الخايف من الهلاك في هذه الدنيا المنقضية يجب عليه ترك السموم وما يضره
من الماكولات في كل حال على الفور والخايف من هلاك الابد اولى بان يجب عليه ذلك
وان كان متناول السم اذا ندم وجب عليه ان يتقيا ويرجع عن تناوله بابطاله واخراجه
عن المعدة على سبيل الفور والمبادرة تلافيا لبدنه المشرف على هلاك لا يفوت عليه
الا هذه الدنيا الفانية • فمتناول سموم الدين وهي الذنوب اولى بان يجب عليه •
الرجوع عنها بالتدارك الممكن ما دام يبقى للتدارك مهلة وهو العمر فان المخوف من
هذا السم فوات الاخرة الباقية التي فيها النعيم المقيم والملك العظيم وفي فواتها باب
الجحيم والعذاب المقيم الذي تتصرم اضعاف عمر الدنيا دون عشر عشير مدته اذ ليس
لمدته آخر البته فالبدار البدار الى التوبة قبل ان تعمل سموم الذنوب بروح الايمان
عملا يجاوز الامر فيه اختيار الاطبا ولا ينفع بعده الاحتما فلا ينجع ذلك نصح الناصحين
ووعظ الواعظين ويحق الكلمة عليه بانه من الهالكين • ويدخل تحت عموم قوله
تعالى انا جعلنا في اعناقهم اغلالا فهي الى الاذقان فهم مقمحون • وجعلنا من بين

مثال العاصي للايمان

ابدعا هم

سدا فاغشيناهم فهم لا يبصرون • وسوا عليهم أأنذرتهم أم لم
تنذرهم لا يؤمنون • ولا يغرنك لفظ الايمان فتقول المراد به الكافرين • اذ بين لك
ان الايمان بضع وسبعون بابا وان الزاني لا يزني وهو مؤمن فالمحجوب عن الايمان الذي هو
شعب وفروع يحجب في الخاتمة عن الايمان وهو اصل كما ان الشخص الفاقد لجميع الاطراف
التي هو فروع سيساق الى الموت المعدم للروح التي هي اصل فلا بقا للاصل دون الفرع
ولا وجود للفرع دون الاصل فلا فرق بين الفرع والاصل الا في شي واحد وهو ان
وجود الفرع وبقاه جميعا يستدعي وجود الاصل • واما وجود الاصل فلا يستدعي وجود
الفرع ولكن بقاوه يستدعي وجود الفرع فبقا الاصل بالفرع ووجود الفرع بالاصل
فعلوم المكاشفة وعلوم المعاملة متلازمة كتلازم الاصل والفرع فلا يستغني احدها
عن الاخر وان كان احدهما في رتبة الاصل والاخر في رتبة التابع وعلوم المعاملة
اذا لم تكن باعثة على العمل فعدمها خير من وجودها فانها اذا لم تعمل عملها الذي يراد له
ثم قامت مؤيدة للحجة على صاحبها • ولذلك يزاد في عذاب العالم الفاجر على عذاب الجاهل
الفاجر كما اوردناه من الاخبار في كتاب العلم • ه

مثال علوم المعاملة والمكاشفة

بيان وجوب التوبة عام في الاشخاص والاحوال

• فلا ينفك عنه احد ابدا •

اعلم ان ظاهر الكتاب قد دل على ذلك اذ قال تعالى وتوبوا الى الله جميعا فعمم الخطاب
ونور البصيرة ايضا يرشد اليه اذ معنى التوبة الرجوع عن الطريق المبعد عن الله تعالى
المقرب الى الشيطان ولا يتصور ذلك من عاقل ولا تكمل غريزة العقل الا بعد كمال
غريزة الشهوة والغضب وساير الصفات المذمومة التي هي وسايل الشيطان الى
اغوا الانسان • اذ كمال العقل انما يكون عند مقاربة الاربعين واصله انما يتم عند
مراهقة البلوغ ومباديه تظهر عند سبع سنين والشهوات جنود الشيطان والعقول
جنود الملائكة • واذا اجتمعا قام القتال بينهما بالضرورة اذ لا يثبت احدهما للاخر
فانهما ضدان فالتطارد بينهما كالتطارد بين الليل والنهار والنور والظلمة مهما غلب
احدهما ازعج الاخر بالضرورة • واذا كانت الشهوات تكمل في الصبا والشباب قبل
كمال العقل فقد سبق جند الشيطان واستولى على المكان ووقع للقلب به انس والف
لا محالة بمقتضيات الشهوات بالعادة وغلب ذلك ويعسر عليه النزوع عنه ثم يلوح

حال الانسان في الصبا والبلوغ وما فوقه اربعين

تصوف
وجنود الملائكة العقل
جنود الشيطان الشهوات
وقتالها

العقل الذي هو حزب الله وجنده ومنقذ أوليائه من أيدي أعدائه شيئاً شيئاً على التدريج فإن لم يقو ولم يكمل سلمت مملكة القلب للشيطان وأنجز اللعين موعده حيث قال لأحتنكن ذريته إلا قليلاً • وإن كمل العقل وقوي كان أول شغله قمع جنود الشيطان بكسر الشهوات ومفارقة العادات ورد الطبع على سبيل القهر إلى العبادات فلا معنى للتوبة إلا هذا وهو الرجوع عن دليل الشهوة وخفيره الشيطان إلى طريق الله تعالى • وليس في الوجود آدمي إلا وشهوته سابقة على عقله وغريزته التي هي عدة الشيطان متقدمة على غريزته التي هي عدة الملائكة فكان الرجوع عما سبق إليه على مساعدة الشهوات ضرورياً في حق كل إنسان نبياً كان أو غبياً فلا تظنن أن هذه الضرورة اختصت بآدم عليه السلام • فلا تحسبا هنداً لها الغدر وحدها • سجية نفس كل غانية هند •
بل هو حكم أزلي مكتوب على جنس الإنسان لا يمكن فرض خلافه ما لم تتبدل السنة الإلهية التي لا مطمع في تبديلها فإذا كل من بلغ كافراً جاهلاً فعليه التوبة عن جهله بتفهيم معنى الإسلام فإنه لا يغني عنه إسلام أبويه شيئاً ما لم يسلم بنفسه فإن فهم ذلك فعليه التوبة الرجوع عن عادته وألفه للاسترسال وراء الشهوات من غير صارف بالرجوع إلى قالب حدود الله في المنع والإطلاق والانفكاك والاسترسال وهو من أشق أبواب التوبة وفيه هلك الأكثرون إذ عجزوا عنه وكل هذا رجوع وتوبة فدل على أن التوبة فرض عين في كل شخص لا يتصور أن يستغني عنها أحد من البشر كما لم يستغن آدم فخلقة الولد لا تتسع لما لا تتسع له خلقة الوالد أصلاً • وأما بيان وجوبها على الدوام وفي كل حال فهو أن كل بشر فلا يخلو عن معصية بجوارحه إذا لم يخل عنها الأنبياء كما ورد في القرآن والأخبار من خطايا الأنبياء وتوبتهم وبكائهم على خطاياهم فإن خلا في بعض الأحوال عن معصية الجوارح فلا يخلو عن الهم بالذنوب بالقلب فإن خلا في بعض الأحوال عن الهم فلا يخلو عن وسواس الشيطان بإيراد الخواطر المتفرقة المذهلة عن ذكر الله فإن خلا عنه فلا يخلو عن غفلة وقصور في العلم بالله وبصفاته وأفعاله وكل ذلك نقص وله أسباب وترك أسبابه بالتشاغل بأضدادها رجوع عن طريق إلى ضده والمراد بالتوبة الرجوع ولا يتصور الخلو في حق الآدمي عن هذا النقص وإنما يتفاوتون في المقادير • فأما الأصل فلا بد منه • ولهذا قال صلى الله عليه وسلم إنه ليغان على قلبي حتى أستغفر الله سبعين مرة في اليوم والليلة • ولذلك أكرمه الله تعالى بأن قال ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر وإذا كان هذا حاله فكيف فكيف حال غيره • فإن قلت لا يخفى أن ما يطرأ على القلب من الهموم والخواطر •

نقص وان الكمال في الخلو عنه وان القصور عن معرفة جلال الله نقص وانه كلما زادت
زاد الكمال وان الانتقال الى الكمال من اسباب النقصان رجوع والرجوع توبة ولكن
هذا فضائل لا فرائض وقد اطلقت القول بوجوب التوبة في كل حال والتوبة عن
هذه الاشيا ليست واجبة اذ درك الكمال غير واجب في الشرع فما المراد بقولك التوبة
واجبة في كل حال • فاعلم انه قد سبق ان الانسان لا يخلوا في مبدا خلقته عن •
اتباع الشهوات اصلا وليس معنى التوبة تركها فقط بل تمام التوبة بتدارك ما
مضى وكل شهوة اتبعها الانسان ارتفع منها ظلمة الى قلبه كما ترتفع من نفس ظلمة
الى وجه المراة الصقيلة فان تراكمت ظلمة الشهوات صار رينا كما يصير بخار النفس
في وجه المراة عند تراكمه خبثا • كما قال تعالى كلا بل ران على قلوبهم ما
كانوا يكسبون فاذا تراكم الرين صار طبعا فيطبع على قلبه كالخبث على وجه المراة اذا
تراكم وطال زمانه غاص في جرم الحديد وافسده وصار لا يقبل التصقيل بعده
فصار كالمطبوع من الخبث ولا يكفي في تدارك اتباع الشهوات تركها في المستقبل بل
لا بد من محو تلك الاثار التي انطبعت في القلب كما لا يكفي في ظهور الصور في المراة
قطع الانفاس والبخارات المسودة لوجهها في المستقبل ما لم يشتغل بمحو ما انطبع فيها
من الاثار وكما يرتفع الى القلب ظلمة من المعاصي والشهوات فيرتفع اليه نور من
الطاعات وترك الشهوات فتمحي ظلمة المعصية بنور الطاعة واليه الاشارة
بقوله صلى الله عليه وسلم اتبع السيئة الحسنة تمحها • فاذا لا يستغني العبد في
حال من احواله عن محو اثار السيئات عن قلبه بمباشرة حسنات تضاد اثارها
اثار تلك السيئات هذا في قلب حصل اولا صفاؤه ثم اظلم باسباب عارضة • فاما
التصقيل الاول ففيه يطول الشغل اذ ليس شغل الصقيل في ازالة الصدا
عن المراة كشغله في عمل اصل المراة • فهذه اشغال طويلة لا تنقطع اصلا وكل ذلك
يرجع الى التوبة • واما قولك ان هذا لا يسمى واجبا بل هو فضل وطلب كمال • فاعلم ان الواجب
له معنيان احدهما ما يدخل في فتوى الشرع ويشترك فيه كافة الخلق وهو القدر الذي
لو اشتغل به كافة الخلق لم يخرب العالم ولو كلف الناس كلهم ان يتقوا الله حق تقاته لتركوا
المعايش ورفضوا الدنيا بالكلية ثم يودي ذلك الى ابطال التقوى بالكلية • فانه مهما
فسدت المعايش لم يتفرغ احد للتقوى بل شغل الحياكة والحراثة والخبز يستغرق جميع العمر
من كل واحد فيما يحتاج اليه • فجميع هذه الدرجات ليست بواجبة بهذا الاعتبار • الثاني

الانسان مرآ

تشبيه القلب وظلمته

مطلب وجوب التوبة

هو الذي لا بد منه للوصول الى القرب المطلوب من رب العالمين والمقام المحمود بين
الصديقين والتوبة عن جميع ما ذكرناه واجبة في الوصول كما يقال الطهارة واجبة
في صلاة التطوع اي لمن يريدها فانه لا يوصل اليها الا بها فاما من رضي بالنقصان والحرمان
عن فضل صلاة التطوع فالطهارة ليست واجبة عليه لاجلها كما يقال العين والاذن
واليد والرجل شرط في وجود الانسان يعني انه شرط لمن يريد ان يكون انسانا كاملا
ينتفع بانسانيته ويتوصل بها الى الدرجات العلى في الدنيا والآخرة فاما من قنع باصل
الحياة ورضي بان يكون كلحم على وضم وخرقة مطروحة فليس يشترط لمثل هذه الحياة
عين ويد ورجل فاصل الواجبات الداخلة في فتوى العامة لا توصل الى اصل النجاة واصل
النجاة كاصل الحياة وما وراء اصل النجاة من السعادات التي بها تنتهي النجاة تجري مجرى

تشبيه الاعمال

الاعضاء والآلات بها تنتهي الحياة وفيه سعي الانبياء والاولياء والعلماء والامثل ●
والامثل وعليه كان حرصهم وحواليه كان تطوافهم ولاجله كان رفضهم لملاذ
الدنيا بالكلية حتى انتهى عيسى عليه السلم الى ان توسد حجرا في منامه فجا اليه الشيطان

ترك الدنيا

وقال اما كنت تركت الدنيا للآخرة فقال نعم فقال توسدك هذا الحجر تنعم بالدنيا
فلا تضع راسك على الارض فرمى عيسى الحجر ووضع راسه على الارض وكان رميه للحجر
توبة عن ذلك التنعم ● افترى ان عيسى عليه السلم لم يعلم ان وضع الراس على الارض لا
يسمى واجبا في فتاوى العامة ● افترى ان نبينا صلى الله عليه وسلم لما شغله الثوب
الذي كان عليه علم في صلاته حتى نزعه وشغله شراك نعله الذي جدده حتى اعاد
الشراك الخلق ما علم ان ذلك ليس واجبا في شرعه الذي شرعه لكافة العباد فاذ
علم بذلك فلم تاب عنه بتركه وهل كان ذلك الا لانه راه مؤثرا في قلبه اثرا يمنعه
عن بلوغ المقام المحمود الذي قد وعد به او ترى ان الصديق رضي الله عنه بعد ان
شرب اللبن وعرف انه من غير وجهه ادخل اصبعه في حلقه ليخرجه حتى كاد ان يخرج
معه روحه ما علم من الفقه هذا القدر وهو ان ما اكله عن جهل فهو غير آثم به ولا يجب
في فتوى الشرع اخراجه فلم تاب عن شربه بالتدارك على حسب امكانه بتخلية المعدة عنه
وهل كان ذلك الا لسر وقر في صدره عرفه ذلك السر ان فتوى العامة حديث آخر
وان خطر طريق الآخرة لا يعرفه الا الصديقون فتامل احوال هؤلاء الذين هم اعرف

مطلب

خلق الله بالله وبطريق الله وبمكر الله وبمكامن الغرور بالله ● فاياك مرة واحدة
ان تغرك الحياة الدنيا واياك ثم اياك الف مرة ان يغرك بالله الغرور ● فهذه اسرار

8

توبة النصوح

من استنشق مبادي روايحها وعلم ان لزوم التوبة النصوح لازم العبد السالك في
في كل نفس من انفاسه ولو عمر عمر نوح وان ذلك واجب على الفور من غير مهلة ولقد
صدق ابو سليمان الداراني حيث قال لو لم يبك العاقل فيما بقي من عمره الا
على فوت ما مضى منه في غير طاعة الله لكان خليقا ان يحزنه ذلك الى الممات فكيف من
يستقبل ما بقي من عمره بمثل ما مضى من جهله • وانما قال هذا لان العاقل اذا ملك جوهرة
نفيسة اذا ضاعت منه بغير فايدة بكى عليها لا محالة وان ضاعت منه وصار ضياعها
سبب هلاكه كان بكاؤه منه اشد وكل ساعة من العمر بل كل نفس جوهرة نفيسة لا خلف
لها ولا بدل منها وانها صالحة لان توصلك الى سعادة الابد وتنقذك من شقاوة الابد
فاي جوهرة انفس من هذا فاذا ضيعته في الغفلة فقد خسرت خسرانا مبينا وان
صرفتها الى معصية فقد هلكت هلاكا فاحشا فان كنت لا تبكي على هذه المصيبة فذلك

الناس نائمون

لجهلك ومصيبتك بجهلك اعظم من كل مصيبة لكن الجهل مصيبة لا يعرف المصاب
بها انه صاحب مصيبة فان نوم الغفلة يحول بينه وبين معرفته • والناس نيام فاذا
ماتوا انتبهوا • فعند ذلك ينكشف لكل مفلس افلاسه ولكل مصاب مصيبته وقد

قبيل الموت

وقف الناس عن التدارك • قال بعض العارفين ان ملك الموت اذا ظهر للعبد اعلمه
انه قد بقي من عمرك ساعة وانك لا تستاخر عنها طرفة فيبدوا للعبد من الاسف والحسرة
ما لو كانت له الدنيا بحذافيرها لخرج منها على ان يضم تلك الساعة ساعة اخرى يستعتب
فيها ويتدارك تفريطه فلا يجد اليه سبيلا وهو اول ما يظهر من معاني قوله تعالى وحيل
بينهم وبين ما يشتهون • واليه الاشارة بقوله تعالى من قبل ان يأتي احدكم الموت فيقول
رب لولا اخرتني الى اجل قريب فاصدق واكون من الصالحين ولن يؤخر الله نفسا اذا جاء
اجلها فقيل الاجل القريب الذي يطلبه معناه انه يقول عند كشف الغطا للعبد يا ملك
الموت اخرني يوما اعتذر فيه الى ربي واتوب واتزود صالحا لنفسي فيقول فنيت
الايام فلا يوم فيقول اخرني ساعة فيقول فنيت الساعات فلا ساعة فيغلق عليه
باب التوبة فيغرغر روحه ويتردد انفاسه في شراسيفه ويتجرع غصة الياس عند
التدارك وحسرة الندامة على تضييع العمر فيضطرب اصل ايمانه في صدمات تلك
الاهوال فاذا زهقت نفسه فان كان سبقت له من الحسنى خرجت روحه على التوحيد
وذلك حسن الخاتمة • وان سبق له القضا بالشقاوة والعياذ بالله خرجت روحه

نزع الروح

على الشك والاضطراب وذلك سوء الخاتمة • ولمثل هذا قال تعالى وليست التوبة

للذين يعملون السيئات حتى اذا حضر احدهم الموت قال اني تبت الآن وانما التوبة على
الله للذين يعملون السوء بجهالة ثم يتوبون من قريب ومعناه عن قرب عهد بالخطيئة بان
يتندم عليها ويمحوا آثارها بحسنة يردفها بها قبل ان يتراكم الدرن على القلب فلا يقبل المحو
ولذلك قال صلى الله عليه وسلم اتبع السيئة الحسنة تمحها • ولذلك قال لقمن
لابنه يا بني لا تؤخر التوبة فان الموت يأتي بغتة ومن ترك المبادرة الى التوبة بالتسويف
كان بين خطرين عظيمين احدهما ان تتراكم الظلمة على قلبه من المعاصي حتى يصير رينا وطبعا
فلا يقبل المحو • والثاني ان يعاجله المرض او الموت فلا يجد مهلة للاشتغال بالمحو وكذلك
ورد في الخبر ان اكثر صياح اهل النار من التسويف فما هلك من هلك الا بالتسويف فيكون •
تسويده للقلب نقدا وجلاؤه بالطاعة نسيه ان يختطفه الاجل فيأتي الله بقلب غير سليم ولا
ينجو الا من اتى الله بقلب سليم فالقلب امانة الله عند عبده والعمر امانة الله عنده وكذلك
سائر اسباب الطاعات فمن خان في الامانة ولم يتدارك خيانته فامره مخاطر • قال بعض
العارفين ان لله تعالى الى عبده سرين يسرهما اليه على سبيل الالهام احدهما اذا خرج من
بطن امه يقول له عبدي قد اخرجتك الى الدنيا طاهرا نظيفا واستودعتك عمرك وائتمنتك
عليه فانظر كيف تحفظ الامانة وانظر كيف تلقاني • والثاني عند خروج روحه يقول
عبدي ماذا صنعت في امانتي عندك هل حفظتها حتى تلقاني على العهد والقاك على الوفا
او ضيعتها فالقاك بالمطالبة والعقاب • واليه الاشارة بقوله اوفوا بعهدي
اوف بعهدكم وبقوله تعالى والذين هم لاماناتهم وعهدهم راعون • ه

بيان ان التوبة اذا استجمعت شرائطها

فهي مقبولة لا محالة • ه

اعلم انك اذا فهمت معنى القبول لم تشك في ان كل توبة صحيحة فهي مقبولة فالناظرون
بنور البصائر المستمدون بانوار القرآن علموا ان كل قلب سليم مقبول عند الله ومتنعم في
الاخرة في جوار الله ومستعد لان ينظر بعينه الباقية الى وجه الله وعلم ان القلب خلق
سليما في الاصل فكل مولود يولد على الفطرة وانما تفوته السلامة بكدورة ترهق
وجهه من غبرة الذنوب وظلمتها وعلموا ان نار الندم تحرق تلك الغبرة وان نور •
الحسنة يمحو عن وجه القلب ظلمة السيئة وانه لا طاقة لظلام المعاصي مع نور الحسنات
كما لا طاقة لظلام الليل مع نور النهار وكما لا طاقة لكدورة الوسخ مع بياض الصابون

امانة الله تعالى ونزع الروح

تشبيه نور القلب

كان

٨
٩

فكما ان الثوب الوسخ لا يقبله الملك لان يكون لباسه فالقلب المظلم لا يقبله الله تعالى
لان يكون في جواره كما ان استعمال الثوب في الاعمال الخسيسة يوسخ الثوب وغسله
بالصابون والماء الحار ينظفه لا محالة فاستعمال القلب في الشهوات يوسخ القلب وغسله
بماء الدموع وحرقة الندم ينظفه ويطهره ويزكيه وكل قلب زكي طاهر فهو مقبول
كما ان كل ثوب نظيف فهو مقبول فانما عليك التزكية والتطهير فاما القبول فقد سبق
به القضاء الازلي الذي لا مرد له وهو المسمى فلاحا في قوله تعالى قد افلح المؤمنون
وقوله تعالى قد افلح من زكاها ومن لم يعرف على سبيل التحقيق معرفة اقوى واجلى من المشا هدة
بالبصر ان القلب يتاثر بالمعاصي والطاعات تاثرا متضادا يستعار لاحدهما لفظ الظلمة كما
يستعار للجهل ويستعار للآخر لفظ النور كما يستعار للعلم وان بين النور والظلمة تضادا
ضروريا لا يتصور الجمع بينهما فكانه لم يعرف من الدين الا قشوره ولم يعلق به الا اسماؤه
وقلبه في غطاء كثيف عن حقيقة الدين بل عن حقيقة نفسه وصفات نفسه ومن جهل نفسه
فهو بغيره اجهل واعني به قلبه اذ بقلبه يعرف غير قلبه فكيف يعرف غيره وهو لا
يعرف نفسه • فمن توهم ان التوبة تصح ولا تقبل كمن توهم ان الشمس تطلع والظلام لا
يزول والثوب يغسل بالصابون والوسخ لا يزول الا ان يغوص الوسخ لطول تراكمه في تجاويف
الثوب وخلله فلا يقوى الصابون على قلعه • فمثال ذلك ان تتراكم الذنوب حتى تصير طبعا
ورينا على القلب فمثل هذا القلب لا يرجع ولا يتوب • نعم قد يقول باللسان قد تبت فيكون
ذلك كقول القصار بلسانه قد غسلت الثوب وذلك لا ينظف الثوب اصلا ما لم يغير صفة
الثوب باستعمال ما يضاد الوصف المتمكن منه فهذا حال امتناع التوبة وهو غير بعيد
بل الغالب على كافة الخلق المقبلين على الدنيا المعرضين عن الله بالكلية • فهذا البيان
كاف عند ذوي البصائر في قبول التوبة ولكنا نعضد جناحه بنقل الآيات والاخبار
والآثار فكل استبصار لا يشهد له الكتاب والسنة لا يوثق به • وقد قال
الله تعالى وهو الذي يقبل التوبة عن عباده • وقال غافر الذنب وقابل التوب الى غير ذلك
من الآيات • وقال صلى الله عليه وسلم لله افرح بتوبة العبد الحديث والفرح وراء القبول
فهو دليل على القبول وزيادة • وقال صلى الله عليه وسلم ان الله عز وجل يبسط يده
بالتوبة لمسيء الليل الى النهار ولمسيء النهار الى الليل حتى تطلع الشمس من مغربها وبسط
اليد كناية عن طلب التوبة والطالب وراء القابل فرب قابل ليس بطالب ولا طالب الا وهو
قابل • وقال صلى الله عليه وسلم لو عملتم الخطايا حتى تبلغ السماء ثم ندمتم لتاب الله عليكم

مثال التوبة باللسان

الآيات والاحاديث

وقال أيضاً ليذنب الذنب فيدخل به الجنة قيل كيف ذلك يا رسول الله قال أن يكون نصب عينيه
تائباً منه فارّاً حتى يدخل الجنة • وقال صلى الله عليه وسلم كفارة الذنب الندامة
وقال التائب من الذنب كمن لا ذنب له • ويروى أن حبشياً قال يا رسول الله إني كنت أعمل
الفواحش فهل لي من توبة قال نعم فولّى ثم رجع فقال يا رسول الله أكان يراني وأنا أعملها
قال نعم فصاح الحبشي صيحة خرجت فيها روحه • ويروى أن الله عز وجل لما لعن إبليس
سأل النظرة فأنظره إلى يوم القيمة فقال وعزتك لا خرجت من قلب ابن آدم ما دام
فيه الروح فقال الله عز وجل وعزتي وجلالي لا حجبت عنه التوبة ما دام فيه الروح
وقال صلى الله عليه وسلم الحسنات يذهبن السيئات كما يذهب الماء الوسخ • والأخبار في
هذا مما لا تحصى • وأما الآثار فقد قال سعيد بن المسيب أنزل قوله تعالى إنه
كان للأوابين غفوراً في الرجل يذنب ثم يتوب ثم يذنب ثم يتوب • وقال الفضيل قال
الله عز وجل بشّر المذنبين أنهم إن تابوا قبلت توبتهم وحذّر الصديقين أني إن وضعت
عدلي عليهم عذبتهم • وقال طلق بن حبيب إن حقوق الله أعظم من أن يقوم بها العبد
ولكن أصبحوا تائبين وأمسوا تائبين • وقال عبد الله بن عمر من ذكر خطيئة ألمّ بها فوجل
منها قلبه محيت عنه في أم الكتاب • ويروى أن نبياً من أنبياء بني إسرائيل أذنب فأوحى
الله تعالى إليه وعزتي وجلالي لئن عدت لأعذبنك فقال يا رب أنت أنت وأنا أنا وعزتك
لئن لم تعصمني لأعودن فعصمه الله تعالى • وقال بعضهم إن العبد ليذنب
الذنب فلا يزال نادماً حتى يدخل الجنة فيقول إبليس ليتني لم أوقعه في الذنب • وقال
حبيب بن ثابت يعرض على العبد ذنوبه يوم القيمة فيمرّ بالذنب فيقول أما إني كنت
مشفقاً منك قال فيغفر له • ويروى أن رجلاً سأل ابن مسعود عن ذنب ألمّ به هل له
من توبة فأعرض عنه ابن مسعود ثم التفت إليه فرأى عيناه تذرفان فقال له إن للجنة
ثمانية أبواب كلها تفتح وتغلق إلا باب التوبة فإن عليه ملكاً موكلاً به لا يغلق فاعمل ولا
تيأس • وقال عبد الرحمن بن أبي القاسم تذاكرنا مع عبد الرحيم توبة الكافر وقول الله إن
ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف فقال إني لأرجو أن يكون المسلم أحسن حالاً عند الله • ولقد بلغني
أن توبة المسلم كإسلام بعد إسلام • وقال عبد الله بن سلام لا أحدثكم إلا عن نبي مرسل أو
كتاب منزل إن العبد إذا عمل ذنباً ثم ندم عليه طرفة عين سقط عنه أسرع من طرفة عين
وقال عمر رضي الله عنه اجلسوا إلى التوابين فإنهم أرق أفئدة • وقال بعضهم أنا أعرف
متى يغفر الله لي قيل ومتى قال إذا تاب الله علي • وقال آخر أنا من أن أحرم التوبة أخوف

الاية

مرّان

بل أن أحرم المعرفة فذا أي المعرفة من لوازم التوبة وتوابعها لا محالة • ويروي أنه كان
في بني اسرائيل شابا عبد الله عشرين سنة ثم عصاه عشرين سنة ثم نظر في المرآة فرأى
الشيب في لحيته فساءه ذلك فقال الهي اطعتك عشرين سنة وعصيتك عشرين سنة
فان رجعت اليك أتقبلني فسمع قايلا يقول ولا يرى شخصا أحببتنا فأحببناك وتركتنا
فتركناك وعصيتنا فأمهلناك فان رجعت الينا قبلناك • وقال ذو النون
المصري إن لله عبادا انصبوا أشجار الخطايا نصب روامق القلوب وسقوها بماء التوبة فأثمرت
ندما وحزنا فجنوا من غير جنون وتبلدوا من غير عي ولا بكم وانهم لهم البلغا الفصحاء
العارفون بالله ورسوله ثم شربوا بكأس الصفا فورثوا الصبر على طول البلاء ثم تولهت
قلوبهم في الملكوت وحارت فكرهم في سرايا حجب الجبروت استظلوا تحت رواق الندم
وقروا صحيفة الخطايا فاورثوا أنفسهم الجزع حتى وصلوا الى علو الزهد بسلم الورع فاستعذبوا
مرارة ترك الدنيا واستلانوا خشونة المضجع حتى ظفروا بحبل النجاة وعروة السلامة
وسرحت ارواحهم في العلا حتى اناخوا في رياض النعيم وخاضوا في بحر الحياة وردموا
خنادق الجزع وعبروا جسور الهوى حتى نزلوا بفناء العلم واستقوا من غدير الحكمة وركبوا
سفينة الفطنة واقلعوا بريح النجاة في بحر السلامة حتى وصلوا الى رياض الراحة
ومعدن العز والكرامة • فهذا القدر كاف في بيان أن كل توبة صحيحة مقبولة
لا محالة فان قلت افتقول بما قالت المعتزلة من أن قبول التوبة واجب على
الله فأقول لا أعني بما ذكرته من وجوب قبول التوبة على الله الا ما يريده القائل
بقوله إن الثوب اذا غسل بالصابون وجب زوال الوسخ وان العطشان اذا شرب
وجب زوال العطش وانه اذا منع الماء مدة وجب العطش وانه اذا دام العطش
وجب الموت فليس في شيء من ذلك ما يريده المعتزلة بالايجاب على الله • بل أقول
خلق الله الطاعة مكفرة للمعصية والحسنة ماحية للسيئة كما خلق الماء مزيلا للعطش
والقدرة متسعة لخلافه ولو سبقت به المشية فلا واجب على الله ولكن ما سبقت
به ارادته الازلية فوجب كونه لا محالة فان قلت فما من تائب الا وهو شاك في
قبول توبته ولا شارب للماء لا يشك في زوال عطشه فلم يشك فيه فأقول
شكه في القبول كشكه في وجود شرايط الصحة فان للتوبة اركانا وشروطا دقيقة
كما سيأتي وليس يتحقق وجود جميع شروطها كالذي يشك في دواء شربه للاسهال
في أنه هل يسهل وذلك لشكه في حصول شروط الاسهال في الدواء باعتبار الحال

قبول التوبة

رواه شوخ

تفوق عوايد

بوا

مطلب

والشارب لا يشك

مثال قبول التوبة

والوقت وكيفية خلط الدوا وطبخه وجودة عقاقيره وادويته فهذا وامثاله موجب للخوف بعد التوبة وموجب للشك في قبولها لا محالة على ما سيأتي في شرط طها ان شاء الله

الركن الثاني فيما عنه التوبة

وهي الذنوب صغايرها وكبايرها

اعلم ان التوبة ترك الذنب فلا يمكن ترك الشيء الا بعد معرفته وان كانت التوبة واجبة كان ما لا يتوصل اليها الا به واجبا فمعرفة الذنوب اذا واجب فالذنب عبارة عن كل ما هو مخالف لامر الله في ترك او فعل وتفصيل ذلك يستدعي شرح التكليفات من اولها الى اخرها وليس ذلك من غرضنا ولكنا نشير الى مجامعها وروابط اقسامها

بيان اقسام الذنوب بالاضافة الى العبد

اعلم ان للانسان اخلاقا واوصافا كثيرة على ما عرف شرحه في كتاب عجايب القلب وغوايله ولكن تنحصر مثارات الذنوب في اربع صفات صفات ربوبية وصفات شيطانية وصفات بهيمية وصفات سبعية وذلك لان طينة الانسان عجنت من اخلاط مختلفة فاقتضى كل واحد من الاخلاط في المعجون اثرا من الاثار كما يقتضي السكر والخل والزعفران في السكنجبين اثارا مختلفة فاما ما تقتضيه النزوع الى الصفات الربوبية فمثل الكبر والفخر والجبرية وحب المدح والثنا والعز والغنا وحب دوام البقا وطلب الاستعلا على الكافة حتى كانه يريد ان يقول انا ربكم الاعلى وهذا يتشعب منه جملة من كباير الذنوب غفل عنها الخلق ولم يعدوها ذنوبا وهي المهلكات العظيمة التي هي كالمهلكات لاكثر المعاصي كما استقصيناه في ربع المهلكات الثانية هي الصفة الشيطانية التي ينبعث منها الحسد والبغي والحيلة والخداع والامر بالفساد والمنكر وفيه يدخل الغش والنفاق والدعوة الى البدع الثالثة الصفات البهيمية ومنها يتشعب الشره والكلب والحرص على قضا شهوة البطن والفرج ومنه يتشعب الزنا واللواط والسرقة واكل مال الايتام وجمع الحطام لاجل الشهوات الرابعة الصفات السبعية ومنها يتشعب الغضب والحقد والتهجم على الناس بالضرب والشتم والقتل واستهلاك الاموال ويتفرع منها جمل من الذنوب وهذه الصفات

ينو سلخ

اخلاق الانسان واوصاف الانسان وصفته

الكبر

منه

والبجح والجرح

صفة الشيطانية يتشعب منه

صفة البهيمية

صفة السبعية

لها تدريج في الفطرة • فالصفة البهيمية هي التي تغلب اولا ثم تتلوها الصفة السبعية
ثانيا واذا اجتمعا استعملا العقل في الخداع والمكر وهي الحيلة وهي الصفة الشيطانية
ثم بالاخرة تغلب الصفات الربوبية وهي الفخر والعز والعلو وطلب الكبريا وقصد
الاستعلا على جميع الخلق • فهذه امهات الذنوب ومنابعها ثم تتفجر الذنوب من هذه المنابع
على الجوارح فبعضها خاصة كالكفر والبدعة والنفاق واضمار السوء للناس • وبعضها
على العين والسمع وبعضها على اللسان وبعضها على البطن والفرج وبعضها على اليدين
والرجلين وبعضها على جميع البدن ولا حاجة الى بيان تفصيل ذلك فانه واضح •

قسمة ثانية اعلم ان الذنوب تنقسم الى ما بين العبد وبين الله والى ما يتعلق بحقوق
العباد • فما يتعلق بالعبد خاصة كتركه الصلاة والصوم والواجبات الخاصة به وما
يتعلق بحق العباد كتركه الزكاة وقتله النفس وغصبه المال وشتمه الاعراض • وكل
متعلق بحق الغير فاما نفس او طرف او مال او عرض او دين او جاه وتناول الدين بالاغوا
والدعا الى البدعة والترغيب في المعاصي وتهييج اسباب الجراة على الله كما يفعله بعض
الوعاظ بتغليب جانب الرجا على جانب الخوف • وما يتعلق بالعباد فالامر فيه اغلظ وما
بين العبد وبين الله اذا لم يكن شركا فالعفو فيه ارجا واقرب • وقد جا في الخبر الدواوين
ثلاثة ديوان يغفر وديوان لا يغفر وديوان لا يترك فالديوان الذي يغفر ذنوب
العباد بينهم وبين الله • واما الديوان الذي لا يغفر فالشرك • واما الديوان الذي
لا يترك فمظالم العباد اي لا بد وان يطالب بها حتى تنقضي عنه

قسمة ثالثة اعلم
ان الذنوب تنقسم الى صغاير وكباير وقد كثر اختلاف الناس فيها فقال قايلون لا صغيرة
بل كل مخالفة لله فهي كبيرة وهذا ضعيف • اذ قال الله عز وجل ان تجتنبوا
كباير ما تنهون عنه نكفر عنكم سياتكم • وقال تعالى الذين يجتنبون كباير الاثم والفوا
الا اللمم • وقال صلى الله عليه وسلم الصلوات الخمس والجمعة الى الجمعة تكفر ما بينهن
ان اجتنبت الكباير • وفي لفظ آخر كفارات لما بينهن الا الكباير • وقد قال النبي صلى الله
عليه وسلم فيما رواه عبد الله بن عمر الكباير الاشراك بالله وعقوق الوالدين وقتل
النفس واليمين الغموس واختلف الصحابة والتابعون في عدد الكباير من اربع الى سبع
الى تسع الى احدى عشرة فما فوق ذلك • فقال ابن مسعود هن اربع وقال ابن عمر هن
سبع وقال عبد الله بن عمرو هن تسع وكان ابن عباس رضي الله عنهما اذا بلغه قول
ابن عمر الكباير سبع يقول هي الى سبعين اقرب منها الى سبع • وقال مرة كلما نهى الله عنه

اعضاء جوارح

اقسام الذنوب

صغاير وكباير

حش

فهو كبيرة • وقال غيره كلما اوعد الله عليه بالنار فهو من الكبائر • وقال بعض
السلف كلما اوجب الحد في الدنيا فهو كبيرة وقيل انها مبهمة لا يعرف عددها كليلة
القدر وساعة يوم الجمعة • وقال ــــ ابن مسعود لما سئل عنها اقرا من اول
سورة النسا الى راس ثلثين آية منها عند قوله ان تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه فكل ما
نهى الله عنه في هذه السورة الى ههنا فهو كبيرة • وقال ابو طالب المكي سبع عشرة
جمعتها من جملة الاخبار وجملة ما اجتمع من قول ابن عباس وابن مسعود وابن عمر
وغيرهم اربعة في القلب وهو الشرك بالله والاصرار على معصيته والقنوط من
رحمته والامن من مكره • واربع في اللسان وهي شهادة الزور وقذف المحصن واليمين
الغموس وهي التي يحق بها باطلا ويبطل بها حقا • وقيل هي التي يقتطع بها مال مسلم باطلا
ولو سواك من اراك • وسميت غموسا لانها تغمس صاحبها في النار • والسحر وهو كل
كلام يغير الانسان وساير الاجسام عن موضوعات الخلقة • وثلاث في البطن شرب
الخمر والمسكر من كل شراب واكل مال اليتيم ظلما واكل الربا وهو يعلم واثنان في الفرج
وهما الزنا واللواط • واثنتان في اليدين وهما القتل والسرقة • وواحدة في
الرجلين وهي الفرار من الزحف الواحد من اثنين والعشرة من العشرين وواحدة في
جميع الجسد وهو عقوق الوالدين • قال ــــ وجملة عقوقهما ان يقسما عليه
في حق لا يبر قسمهما وان سالاه حاجة فلا يعطيهما وان سباه فيضربهما ويجوعان
فلا يطعمهما هذا ما قاله وهو قريب ولكن ليس يحصل به تمام الشفا اذ يمكن الزيادة
عليه والنقصان منه فانه جعل اكل الربا ومال اليتيم من الكباير وهو جناية على
الاموال ولم يذكر في كباير النفوس الا القتل فاما فقو العينين وقطع اليدين
وغير ذلك من تعذيب المسلمين بالضرب وانواع العذاب لم يتعرض له وضرب اليتيم
وتعذيبه وقطع اطرافه لا شك في انه اكبر من اكل ماله • كيف وفي الخبر من الكباير
السبتان بالسبة • ومن الكباير استطالة الرجل في عرض اخيه المسلم وهذا زايد على
قذف المحصن • وقال ابو سعيد الخدري وغيره من الصحابة انكم لتعملون اعمالا
هي ادق في اعينكم من الشعر كنا نعدها على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم
من الكباير • وقالت طايفة كل عمد كبيرة وكل ما نهى الله عنه فهو كبيرة
وكشف الغطا عن هذا ان ينظر الناظر في السرقة اهي كبيرة ام لا لا يصح ما لم
يفهم معنى الكبيرة • والمراد بها كقول القايل السرقة حرام ام لا لا مطمع في

الكبائر

المستبان خ

عرض المؤمن

عمد خ

معرفته

معرفته الا بعد تقرير الحرام اولا ثم البحث عن وجوده في السرقة فالكبيرة من حيث
اللفظ مبهم ليس له موضوع خاص في اللغة ولا في الشرع وذلك لان الكبير والصغير
من المضافات وما من ذنب الا وهو كبير بالاضافة الى ما دونه صغير بالاضافة الى ما
فوقه فالمضاجعة مع الاجنبية كبيرة بالاضافة الى النظر صغيرة بالاضافة الى الزنا
وقطع اليد من المسلم كبيرة بالاضافة الى ضربه صغيرة بالاضافة الى قتله • نعم
للانسان ان يطلق على ما توعد بالنار على فعله خاصة اسم الكبيرة ونعني بوصفه
بالكبيرة ان العقوبة بالنار عظيمة وله ان يطلق على ما اوجب الحد عليه مفسرا
الى ان ما عجل عليه في الدنيا عقوبة واجبة عظيم وله ان يطلق ما ورد في نص الكتاب
النهي عنه فيقول تخصيصه بالذكر في القرآن يدل على عظمه ثم يكون
عظيما وكبيرة لا محالة بالاضافة • اذ منصوصات القرآن ايضا متفاوت درجاتها
فهذه الاطلاقات لا حرج فيها وما نقل من الفاظ الصحابة يتردد بين هذه الجهات
ولا يبعد تنزيلها على شيء من هذه الاحتمالات • نعم من المهمات ان يعلم معنى قول الله
تعالى ان تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم من سيئاتكم • وقول رسول الله صلى
الله عليه وسلم الصلوات كفارات لما بينهن الا الكبائر فان هذا اثبات حكم للكبائر
والحق ان الذنوب منقسمة في نظر الشرع الى ما يعلم استعظامه والى ما يشك فيه فلا
ندري حكمه والطمع في معرفة حد خاص او عدد جامع مانع طلب لما لم يكن فان ذلك
لا يمكن الا بالسماع من رسول الله صلى الله عليه وسلم بان يقول اني اردت بالكبائر
عشرا او خمسا وتفصيلها فاذا لم يرد هذا بل ورد في بعض الالفاظ ثلاث من الكبائر
وفي بعضها سبع من الكبائر ثم ورد ان السبتين بالسبة الواحدة من الكبائر
وهذا خارج عن السبع والثلاث علم انه لم يقصد به العدد والحصر فكيف يطمع في
عدد ما لم يعدده الشرع • وربما قصد الشرع ابهامه ليكون العباد منه على
وجل كما ابهم ليلة القدر ليعظم جد الناس في طلبها • نعم لنا سبيل كلي يمكننا ان نعرف
به اجناس الكبائر وانواعها بالتحقيق • واما اعيانها فنعرف بالظن والتقريب •
ونعرف ايضا اكبر الكبائر فاما اصغر الصغائر فلا سبيل الى معرفته • وبيانه ان
نعلم بشواهد الشرع وانوار البصائر جميعا ان مقصود الشرائع كلها سياقة الخلق
الى جوار الله تعالى وسعادة لقائه وانهم لا وصول لهم الى ذلك الا بمعرفة الله تعالى
ومعرفة صفاته ورسله وكتبه • واليه الاشارة بقوله عز وجل وما خلقت

موصفها خ

نعرفها بالحدس والتخمين خ

المقصود من بعثة الرسول

الجن والانس الا ليعبدون اي يكونوا عبيدا ولا يكون العبد عبدا ما لم يعرف ربه بالربوبية ونفسه بالعبودية فلا بد وان يعرف نفسه وربه فهذا هو المقصود الاقصى ببعثة الانبياء • ولكن لا يتم هذا الا في الحياة الدنيا وهو المعني بقوله عليه السلام الدنيا مزرعة الاخرة فصار حفظ الدنيا بالاخرة شيئان النفوس والاموال • وكل ما يسد باب معرفة الله تعالى فهو اكبر الكباير ويليه ما يسد باب حياة النفوس ويلي ذلك ما يسد باب المعايش التي بها حياة النفوس • فهذه ثلاث مراتب فحفظ المعرفة على القلوب والحياة على الابدان والاموال على الاشخاص ضروري في مقصود الشرايع كلها وهي ثلاثة امور لا يتصور ان تختلف فيها الملل فلا يجوز ان يبعث الله تعالى نبيا يريد ببعثه اصلاح الخلق في دينهم ودنياهم ثم يامرهم بما يمنعهم عن معرفته ومعرفة رسله او يامرهم باهلاك النفوس واهلاك الاموال فحصل من هذا ان الكباير على ثلاث مراتب • الاولى ما يمنع من معرفة الله ومعرفة رسله وهو الكفر ولا كبيرة فوق الكفر اذ الحجاب بين الله وبين العبد هو الجهل والوسيلة المقربة له اليه هو العلم والمعرفة وقربه بقدر معرفته وبعده بقدر جهله ويتلوا الجهل الذي يسمى كفرا الامن من مكر الله والقنوط من رحمته فان هذا ايضا عين الجهل فمن عرف الله لم يتصور ان يكون امنا ولا ان يكون ايسا • ويتلوا هذه الرتبة البدع كلها المتعلقة بذات الله وصفاته وافعاله وبعضها اشد من بعض وتفاوتها على حسب تفاوت الجهل بها وعلى حسب تعلقها بذات الله سبحانه وبافعاله وشرايعه واوامره ونواهيه ومراتب ذلك لا تنحصر وهي تنقسم الى ما يعلم انها داخلة تحت ذكر الكباير المذكورة في القران والى ما يعلم انه لا يدخل والى ما يشك فيه وطلب رفع الشك في القسم المتوسط طمع في غير مطمع • الرتبة الثانية النفس اذ ببقايها وحفظها تدوم الحياة وتحصل المعرفة بالله فقتل النفس لا محالة من الكباير وان كان دون الكفر لان ذلك يصدم عين المقصود وهذا يصدم وسيلة المقصود اذ حياة الدنيا لا تراد الا للاخرة والتوصل اليها بمعرفة الله • ويتلوا هذا الكبيرة قطع الاطراف وكل ما يفضي الى الهلاك حتى الضرب وبعضها اكبر من بعض ويقع في هذه الرتبة تحريم الزنا واللواط لانه لو اجتمع الناس على الاكتفا بالذكور في قضا الشهوات انقطع النسل ودفع الوجود قريب من قطع الوجود • واما الزنا فانه لا يفوت اصل الوجود ولكن يشوش الانساب ويبطل التوارث والتناصر وجملة من الامور التي لا ينتظم العيش الا بها • بل كيف

معرفة الله

يتم النظام مع اباحة الزنا ولا ينتظم امور البهايم ما لم يتميز الفحل منها باناث يختص بها
عن ساير الفحول وذلك لا يتصور ان يكون الزنا مباحا في شرع قصد به الاصلاح وينبغي
ان يكون الزنا في الرتبة دون القتل لانه ليس يفوت دوام الوجود ولا يمنع اصله
ولكنه يفوت تميز الانسان ويحرك من الاسباب ما يكاد يفضي الى التقاتل وينبغي
ان يكون اشد من اللواط لان الشهوة داعية اليه في الجانبين فيكثر وقوعه ويعظم
اثر الضرر بكثرته **الرتبة الثالثة** الاموال فانها معايش الخلق فلا يجوز تسليط

احفظ مال الغير

الناس على تناولها كيف شاؤا حتى بالاستيلا والسرقة وغيرها • بل ينبغي ان تحفظ •
ليبقى ببقايها النفوس لان الاموال اذا اخذت امكن استردادها وان اكلت امكن
تغريمها فليس يعظم الامر فيها • نعم اذا جرى تناولها بطريق يعسر التدارك فينبغي ان
يكون ذلك من الكباير وذلك باربع طرق • احدها الخفية وهي السرقة فانه اذا
لم يطلع عليه غالبا فكيف يتدارك • والثاني اكل مال اليتيم وهذا ايضا من الخفية
واعني به في حق الولي والقيم وانه موتمن فيه وليس له خصم سوى اليتيم وهو صغير
لا يعرفه فتعظيم الامر فيه واجب بخلاف الغصب فانه ظاهر يعرف وبخلاف الخيانة في
الوديعة فان المودع خصم فيه ينتصف لنفسه • الثالث تفويته بشهادة
الزور • الرابع اخذ الوديعة وغيرها باليمين الغموس فان هذه طرق لا يمكن التدارك
ولا يجوز ان يختلف الشرايع في تحريمها اصلا وبعضها اشد من بعض وكلها دون الرتبة
الثانية المتعلقة بالنفوس • وهذه الاربعة جديرة بان تكون من الكباير وان لم
يوجب الشرع الحد في بعضها ولكن كثر الوعيد عليها وعظم في مصالح الدنيا تاثيرها
واما اكل الربا فليس فيه الا اكل مال الغير بالتراضي مع الاخلال بشرط وضعه الشر
ولا يبعد ان يختلف الشرايع في مثله واذا لم يجعل الغصب الذي هو اكل مال الغير بغير
رضاه وبغير رضا الشرع من الكباير فاكل الربا اكل برضا المالك ولكن دون •
رضا الشرع وان عظم الشرع الربا بالزجر عنه فقد عظم ايضا الظلم بالغصب
وغيره وعظم الخيانة والمصير الى ان كل دانق بالخيانة او الغصب من الكباير فيه نظر
وذلك واقع مظنة الشك واكثر ميل الظن الى انه غير داخل تحت الكباير • بل ينبغي
ان تختص الكبيرة بما لا يجوز اختلاف الشرايع فيه ليكون ضروريا في الدين فيبقى مما
ذكره ابو طالب المكي القذف والشرب والسحر والفرار من الزحف وعقوق
الوالدين • اما الشرب لما يزيل العقل هو جدير بان يكون من الكباير وقد دل عليه

ع

سوء الخلق

تشديدات الشرع وطريق النظر أيضا لأن العقل محفوظ كما أن الأموال محفوظة بل لا
خير في النفس دون العقل فإزالة العقل من الكبائر ولكن هذا لا يجري في قطرة من الخمر
ولا شك في أنه لو شرب ماء فيه من الخمر لم يكن ذلك كبيرة وإنما هو شرب ماء نجس والقطرة
وحدها في محل الشك وإيجاب الشرع الحد به يدل على تعظيم أمره فيعد ذلك من الكبائر
بالشرع ● وليس في القوة البشرية الوقوف على جميع أسرار الشرع فإن ثبت إجماع
في أنه كبيرة وجب الاتباع وإلا فللتوقف فيه مجال ● وأما القذف فليس فيه إلا تناول
الأعراض والأعراض دون الأموال في الرتبة ولتناولها مراتب وأعظمها التناول بالإضافة
إلى فاحشة الزنا وقد عظم الشرع أمره وأظن ظنا غالبا أن الصحابة كانوا يعدون كلما
يجب الحد به كبيرة فهو بهذا الاعتبار لا تكفره الصلوات الخمس وهو الذي نريد به
الكبيرة الآن لكن من حيث إنه يجوز أن تختلف فيه الشرائع فالقياس بمجرده لا يدل على
كبره وعظمته بل كان يجوز أن يرد الشرع بأن العدل الواحد إذا رأى إنسانا يزني فله
أن يشهد ويجلد المشهود عليه بمجرد شهادته فإن لم تقبل شهادته فتحديده ليس ●
ضروريا في مصالح الدنيا ● وإن كان على الجملة من المصالح الظاهرة الواقعة في
رتبة الحاجات ● فإذا هذا أيضا يلتحق بالكبائر في حق من عرف حكم الشرع وأما من
ظن أن له أن يشهد وحده أو ظن أنه يساعده على الشهادة غيره فلا ينبغي أن يجعل
في حقه من الكبائر ● فأما السحر فإن كان فيه كفر فكبيرة وإلا فعظمه بحسب الضرر
الذي يتولد منه من هلاك نفس أو مرض أو غيره ● وأما الفرار من الزحف وعقوق
الوالدين فهذا أيضا ينبغي أن يكون من حيث القياس في محل التوقف وإذا قطع بأن
سب الناس بكل شيء سوى الزنا وضربهم والظلم لهم بغصب أموالهم وإخراجهم من ديارهم
ومساكنهم وإجلائهم من أوطانهم ليس من الكبائر إذ لم ينقل ذلك في السبع عشرة
كبيرة وهو أكثر ما قيل فيه فالتوقف في هذا أيضا غير بعيد ● ولكن الحديث يدل على
على تسميته كبيرة وهو أكثر ما قيل فيه فالتوقف في هذا أيضا غير بعيد فليلتحق بالكبائر
فإذا رجع حاصل الأمر إلى ما علم أنه لا تكفره قطعا وإلى ما ينبغي أن تكفره وإلى ما
يتوقف فيه والمتوقف فيه بعضه مظنون بالنفي والإثبات وبعضه مشكوك فيه وهو
شك لا يزيله إلا نص كتاب أو سنة وإذ لا مطمع فيهما فطلب رفع الشك محال ●
فإن قلت فهذا إقامة برهان على استحالة معرفة حدها فكيف يرد الشرع بما
يستحيل معرفة حده ● فاعلم أن كل ما لا يتعلق به حكم في الدنيا فيجوز أن يتطرق إليه

شك خ
القذف
السحر
في خ
حاصل خ

الابهام لان دار التكليف هي دار الدنيا والكثرة على الخصوص لا حكم لها في الدنيا من حيث
انها كبيرة بل موجبات الحدود معروفة باساميها كالسرقة والزنا وغيره وانما حكم
الكبيرة ان الصلوات الخمس لا تكفرها وهذا امر يتعلق بالاخرة والابهام اليق به حتى يكون
الناس على وجل وحذر فلا يتجرؤون على الصغائر اعتمادا على الصلوات الخمس وكذلك
اجتناب الكبائر تكفر الصغائر بموجب قوله تعالى ان تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه ولكن
اجتناب الكبيرة انما تكفر الصغيرة اذا اجتنبها مع القدرة والارادة كمن تمكن من
امراة ومن مواقعتها فكف نفسه عن الوقاع اشد تاثيرا في تنوير قلبه من اقدامه على
النظر في اظلامه • فهذا معنى تكفيره فان كان عنينا ولم يكن امتناعه الا بالضرورة
للعجز او كان قادرا ولكن امتنع لخوف امر اخر • فهذا لا يصلح للتكفير اصلا وكل من لا يشتهي
الخمر بطبعه فلو ابيحت له لما شربها فاجتنابه لا يكفر عنه الصغائر التي هي من مقدماته
كسماع الملاهي والاوتار • نعم من يشتهي الخمر وسماع الاوتار فيمسك نفسه بالمجاهدة
عن الخمر ويطلقها في السماع فمجاهدة النفس بالكف ربما تمحو عن قلبه الظلمة التي
ارتفعت اليه من معصية السماع • وكل هذا احكام اخروية يجوز ان يبقى بعضها في محل
الشك ويكون من المتشابهات ولا نعرف تفصيلها الا بالنص ولم يرد النص بعدد ولا
حد جامع بل ورد بالفاظ مختلفة • فقد روى ابو هريرة انه عليه السلم قال
الصلاة الى الصلاة كفارة ورمضان الى رمضان كفارة الا من ثلاث اشراك بالله
وترك السنة ونكث الصفقة قيل ما ترك السنة قال الخروج من الجماعة ونكث الصفقة
ان تبايع رجلا ثم تخرج عليه بالسيف تقاتله • فهذا وامثاله من الالفاظ لا تحيط
بالعدد كله ولا يدل على حد جامع فيبقى لا محالة مبهما فان قلت الشهادة
لا تقبل الا ممن يجتنب الكبائر والورع عن الصغائر ليس شرطا في قبول الشهادة وهذا
من احكام الدنيا • فاعلم انا لا نخصص رد الشهادة بالكبائر فلا خلاف في ان من يسمع
الملاهي ويلبس الديباج ويتختم بخاتم الذهب ويشرب من اواني الذهب والفضة
لا تقبل شهادته ولم يذهب احد الى ان هذه الامور من الكبائر • وقال الشافعي
اذا شرب الحنفي النبيذ حددته ولم ارد شهادته فقد جعله كبيرة بايجاب الحد
ولم يرد به شهادته فدل على ان الشهادة فدل على ان الشهادة نفيا واثباتا
لا تدور على الصغائر والكبائر بل كل الذنوب تقدح في العدالة الا ما لا يخلو الانسان
عنه غالبا بضرورة مجاري العادات كالغيبة والتجسس وسوء الظن والكذب في

اجتناب الكبيرة تكفر الصغيرة

بلغ

بعض الاقوال وسماع الغيبة وترك الامر بالمعروف واكل الشبهات وسب الولد
والغلام وضربهما بحكم الغضب زائدا على المصلحة واكرام السلاطين الظلمة ومصادقة
الفجار والتكاسل عن تعلم الاهل والولد جميع ما يحتاجون اليه في امر الدين فهذه
ذنوب لا تتصور ان ينفك الشاهد عن قليلها وكثيرها الا بان يعتزل الناس ويتجرد
لامر الاخرة ويجاهد نفسه مدة بحيث يبقى على سمته مع المحافظة بعد ذلك ولو لم
يقبل الا قول مثله لعز وجوده وبطلت الاحكام والشهادات ولبس الحرير وسماع
الملاهي واللعب بالنردشير ومجالسة الشراب في وقت الشرب والخلوة بالاجنبيات
وامثال هذه الصغائر من هذا القبيل فالى مثل هذا المنهاج ينبغي ان ينظر في قبول
الشهادة وردها لا الى الكبيرة والصغيرة • ثم هذه الصغائر التي لا ترد •
الشهادة بها لو واظب عليها اثر في رد الشهادة كمن اتخذ الغيبة وثلب الناس عادة
وكذلك مجالسة الفساد ومصادقتهم والصغيرة تكبر بالمواظبة كما ان المباح يصير
صغيرة بالمواظبة كاللعب بالشطرنج والنرد والترنم بالغنا على الدوام وغيره فهذا
• بيان حكم الصغائر والكبائر •

بيان كيفية توزع الدرجات والدركات

• في الاخرة على الحسنات والسيئات في الدنيا •

اعلم ان الدنيا من عالم الملك والشهادة فدنياك واخرتك صفاتك واحوالك يسمى
القريب الداني منها دنيا والمتاخر اخرة ونحن الان نتكلم من الدنيا في الاخرة فانا الان في
الدنيا وهو عالم الملكوت في عالم الملك الا بضرب الامثال • ولذلك قال
تعالى وتلك الامثال نضربها للناس وما يعقلها الا العالمون • وهذا لان عالم الملك
نوم بالاضافة الى عالم الملكوت • ولذلك قال صلى الله عليه وسلم الناس نيام فاذا
ماتوا انتبهوا وما سيكون في اليقظة لا يتبين ذلك في النوم الا بضرب الامثال المحوجة
الى التعبير فكذلك ما يكون في يقظة الاخرة لا يتبين في نوم الدنيا الا في كسوة الامثال
واعني بكسوة الامثال ما تعرفه من علم التعبير ويكفيك منه ان كنت فطنا ثلثة امثلة
فقد جا رجل الى ابن سيرين وقال رايت في منامي في يدي خاتما اختم به افواه الرجال
وفروج النسا فقال انك موذن تؤذن في رمضان قبل الفجر • وجاءه رجل اخر فقال
رايت كاني اصب الزيت في الزيتون فقال ان كان تحتك جارية اشتريتها ففتش عن

الشاهد خ

اهل الشرب خ

الفجار خ

توزع خ

عالم الملك والشهادة والملكوت

بيقظة خ — يتبين خ

حالها فانها امك لان الزيتون اصل الزيت فهو رد الى الاصل فنظر فاذا جارية كانت
امه وقد سبيت في صغره • وقال ــــــــ آخر رايت كاني قلدت الدر في اعناق الخنازير
فقال انك تعلم الحكمة غير اهلها فكان كما قال • والتعبير من اوله الى اخره مثال
يعرفك طريق ضرب الامثال • وانما نعني بالمثل اداء المعنى في صورة ان نظر الى معناه
وجده صادقا وان نظر الى صورته وجده كاذبا فالمؤذن ان نظر الى صورة الخاتم والختم
به على الفروج رآه كاذبا لم يختم به قط وان نظر الى معناه وجده صادقا اذ قد صدر
منه روح الختم ومعناه وهو المنع الذي يراد الختم له • وليس للانبيا ان يتكلموا مع
الخلق الا بضرب الامثال لانهم كلفوا ان يكلموا الناس على قدر عقولهم وقدر عقولهم
انهم في النوم والنايم لا ينكشف له شي الا بمثل فاذا ماتوا انتبهوا وعرفوا ان المثل
صادق • ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قلب المومن بين اصبعين من اصابع
الرحمن وهو من المثال الذي لا يعقله الا العالمون • فاما الجاهل فلا يجاوز قدره
ظاهر المثال لجهله بالتفسير الذي يسمى تاويلا كما يسمى تفسير ما يرى من الامثلة في
النوم تعبيرا فيثبت لله يدا واصبعا تعالى عن قوله • وكذلك في قوله عليه السلام
ان الله خلق آدم على صورته فانه لا يفهم من الصورة الا اللون والشكل والهيئة فيثبت
لله مثل ذلك تعالى عن قوله علوا كبيرا • ومن ههنا زل من زل في صفات الالهية
حتى في الكلام جعلوه حرفا وصوتا الى غير ذلك من الصفات • والقول فيه يطول
وكذلك قد يرد في امر الاخرة يكذب بها الملحد الجحود بنظره على ظاهر المثال وتناقضه
عنده • كقوله صلى الله عليه وسلم يوتى بالموت يوم القيمة في صورة كبش املح فيذ
بح فيثور الملحد ويكذب به ويستدل به على كذب الانبياء ويقول يا سبحان الله الموت
عرض والكبش جسم فكيف ينقلب العرض جسما وهل هذا الا محال • ولكن الله عزل
هولا الحمقى عن معرفة اسرار الله تعالى فقال ــــــــ وما يعقلها الا العالمون
ولا يدري المسكين ان من قال رايت في مناي انه جي بكبش وقيل هذا الذي هو الوبا في البلد
وذبح فقال المعبر صدقت والامر كما ذكرت • وهذا يدل على ان هذا الوبا ينقطع ولا يعود
قط لان المذبوح وقع الياس عنه فاذا المعبر صادق في تصديقه وهو صادق
في رؤيته ويرجع حقيقته الى ان الملك الموكل بالرويا وهو الذي يطلع الارواح
عند الموت على ما في اللوح المحفوظ عرفه على ما في اللوح المحفوظ بمثال ضربه لان
النايم انما يحتمل المثال فكان مثاله صادقا وكان معناه صحيحا فالرسل ايضا انما يكلمون

ان الشيخ

ضرب امثلة

ح بين الجنة والنار

وقيل هذا هو الوبا الذي وضع خ

النوم خ

الناس في الدنيا وهي بالاضافة الى الآخرة يوم فيوصلون المعاني الى افهامهم بالامثلة حكمة من الله ولطفا بعباده وتيسيرا الادراك ما يعجزون عن ادراكه ۝ وقد ضرب المثل قوله يؤتى بالموت في صورة كبش املح مثال ضربه ليوصل الى الافهام حصول اليأس عن الموت ۝ وقد جبلت القلوب على التأنس بالامثلة وثبوت المعاني فيها بواسطتها ۝ ولذلك عبر القرآن في قوله كن فيكون عن نهاية القدرة ۝ وعبر صلى الله عليه وسلم بقوله قلب المؤمن بين اصبعين من اصابع الرحمن عن سرعة التقليب ۝ وقد اشرنا الى حكمة ذلك في كتاب قواعد العقائد من ربع العبادات فلنرجع الآن الى الغرض فالمقصود ان يعرف نوع الدرجات والدركات على الحسنات والسيئات لا يمكن الا بضرب الامثال فليفهم من المثل الذي يضربه معناه لا صورته ۝ فنقول الناس في الآخرة ينقسمون اصنافا فتتفاوت درجاتهم في السعادة والشقاوة تفاوتا لا يدخل تحت الحصر كما تفاوتوا في سعادة الدرجات وشقاوتها ولا تفارق الآخرة الدنيا في هذا المعنى اصلا ۝ البتة فان مدبر الملك والملكوت واحد لا شريك له وسنته الصادرة عن ارادته الازلية مطردة لا تبديل لها الا انا ان عجزنا عن احصاء آحاد الدرجات فلا نعجز عن احصاء الاجناس ۝ فنقول الناس في الآخرة ينقسمون بالضرورة الى اربعة اقسام هالكين ومعذبين وناجين وفائزين ۝ ومثاله من الدنيا ان يستولي ملك من الملوك على اقليم فيقتل بعضهم فهم الهالكون ويعذب بعضهم مدة ولا يقتلهم فهم المعذبون ويخلي بعضهم فهم الناجون ويخلع على بعضهم فهم الفائزون ۝ فان كان الملك عادلا لم يقسمهم كذلك الا باستحقاق فلا يقتل الا جاحدا لاستحقاق الملك معاندا له في اصل الدولة ولا يعذب الا من قصر في خدمته مع الاعتراف بملكه وعلو درجته ولا يخلي الا معترفا له برتبة الملك لكنه لم يقصر ليعذب ولم يخدم ليخلع عليه ولا يخلع الا على من ابلى عذره في الخدمة والنصرة ۝ ثم ينبغي ان يكون خلع الفائزين متفاوتة الدرجات بحسب درجات خدمهم واهلاك الهالكين اما تحقيقا بحز الرقبة او تنكيلا بالمثلة بحسب درجات معاندتهم وتعذيب المعذبين في الخفة والشدة وطول المدة وقصرها واتحاد انواعها ۝ واختلافها بحسب درجات تقصيرهم ۝ فتنقسم كل رتبة من هذه الرتب الى درجات لا تنحصر وكذلك فافهم ۝ فان الناس في الآخرة هكذا يتفاوتون فمن هالك ومن معذب مدة ومن ناج يحل في دار السلامة ومن فائز ۝ والفائزون ينقسمون الى من يحلون في جنات عدن او جنات المأوى او جنات الفردوس ۝ والمعذبون ينقسمون الى من ۝

دوزخ

معنى قلب المؤمن بين اصابع الرحمن

الناس في الآخرة اربعة اصناف وامثالهم في الدنيا

يحل خ

يعذب

آخر من يخرج من النار

الآيسين عن رحمة الله

الخوف والرجا

يعذب قليلاً والى من يعذب الف سنة والى سبعة الاف سنة وذلك آخر من يخرج
من النار كما ورد في الخبر وكذا الآيسون من رحمة الله تتفاوت درجاتهم وهذه
الدرجات بحسب اختلاف الطاعات والمعاصي فلنذكر كيفية توزعها عليها اما
الرتبة الاولى وهي الهلاك ونعني بالهالكين الآيسين من رحمة الله اي الذي قتله الملك
في المثال الذي ضربناه آيس من رضا الملك واكرامه فلا يغفل عن معاني المثال وهذه
الدرجة لا تكون الا للجاحدين والمعرضين المتجردين للدنيا المكذبين بالله ورسله وكتبه
فان السعادة الاخروية في القرب من الله والنظر الى وجهه وذلك لا ينال اصلاً الا
بالمعرفة التي يعبر عنها بالايمان والتصديق والجاحدون هم المنكرون والمكذبون
فهم الآيسون عن رحمة الله ابد الاباد وهم الذين يكذبون برب العالمين وبانبيائه
المرسلين وهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون لا محالة وكل محجوب يحول بينه وبين ما
يشتهيه فهو لا محالة يكون محترقاً بنار جهنم بنار الفراق ولذلك قال
العارفون ليس خوفنا من نار جهنم ولا رجاؤنا للحور العين انما مطلبنا اللقا ومهربنا
من الحجاب فقط وقالوا من يعبد الله بعوض فهو لئيم اذ نعبده لطلب جنته او لخوف
ناره بل العارف يعبده لذاته فلا يطلب الا ذاته فقط واما الحور والفواكه فلا
نشتهيها واما النار فقد لا نتقيها اذ نار الفراق اذا استولت ربما غلبت النار
المحرقة للاجسام فان نار الفراق نار الله الموقدة التي تطلع على الافئدة ونار جهنم
لا شغل لها الا مع الاجسام والم الاجسام يستحقر مع الم الفؤاد ولذلك قيل
وفي فؤاد المحب نار جوى احر نار الجحيم ابردها ولا ينبغي ان ننكر هذا في عالم
الاخرة اذ له نظير مشاهد في عالم الدنيا فقد رئي من غلب عليه الوجد فعدا على
النار وعلى اصول القصب الجارحة للقدم وهو لا يحس به لفرط غلبة ما في قلبه
ويرى الغضبان يستولي عليه الغضب في القتال فيصيبه جراحات وهو لا يشعر بها
في الحال لان الغضب نار في القلب قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
الغضب قطعة من النار واحتراق الفؤاد اشد من الاحتراق للاجساد والاشد يبطل
الاحساس بالاضعف كما تراه فليس المثل من النار والسيف الالم حيث انه يفرق بين
جزئين يرتبط احدهما بالآخر رابطة التاليف الممكن في الاجسام فالذي يفرق بين القلب
وبين محبوبه المرتبط برابطة تاليف اشد احكاماً من تاليف الاجسام فهو اشد ايلاماً
ان كنت من ارباب البصاير وارباب القلوب ولا يبعد ان يدرك من لا قلب له شدة

بعد خ

هذا الألم ويستحقره بالاضافة إلى ألم الجسم فالصبي لو خير بين ألم الحرمان عن الكرة
والصولجان وبين ألم الحرمان عن رتبة السلطان لم يحس بألم السلطنة أصلاً ولم يعد
ذلك ألماً وقال العدو في الميدان مع الصولجان أحب إلي من سرير ألف سلطان
مع الجلوس عليه • بل من تغلبه شهوة البطن لو خير بين الهريسة والحلوا وبين فعل
جميل يقهر به الأعداء ويفرح به الأصدقاء لآثر الهريسة والحلوا • وهذا كله لفقد
المعنى الذي بوجوده يصير الطعام لذيذاً وذلك لمن استرقته صفات البهايم والسباع
ولم تظهر فيه صفات الملائكة التي لا يناسبها ولا يلذ بها إلا القرب من رب العالمين
ولا يؤلمها إلا البعد والحجاب وكما لا يكون الذوق إلا في اللسان والسمع إلا في الأذن
فلا يكون هذه الصفات إلا في القلب فمن لا قلب له ليس له هذا الحس كمن لا سمع له ولا
بصر ليس له لذة الألحان وحسن الصور والألوان وليس لكل انسان قلب ولو كان لما
صح قوله إن في ذلك لذكرى لمن كان له قلب فجعل من لم يتذكر بالقرآن مفلساً من
القلب • ولست أعني بالقلب هذا اللحم الذي يكتنفه عظام الصدر • بل أعني به
السر الذي هو من عالم الأمر وهذا اللحم الذي هو من عالم الخلق عرشه والصدر كرسيه
وساير الأعضاء عالمه ومملكته ولله الخلق والأمر جميعاً ولكن ذلك للسر الذي قال الله
تعالى فيه قل الروح من أمر ربي هو الملك والأمير لأن بين عالم الأمر وبين عالم الخلق
ترتيباً وعالم الأمر أمير على عالم الخلق وهي اللطيفة التي إذا صلحت صلح لها ساير الجسد
من عرفها فقد عرف نفسه ومن عرف نفسه فقد عرف ربه • وعند ذلك يشم العبد
مبادي روايح المعنى المطوي تحت قوله صلى الله عليه وسلم إن الله خلق آدم على صورته
وينظر بعين الرحمة إلى الجامدين على ظاهر لفظه وإلى المتعسفين في طريق تأويله
وإن كانت رحمته للجامد على اللفظ أكثر من رحمته للمتعسف في التأويل لأن الرحمة
على قدر المصيبة ومصيبة أولئك أكثر وإن اشتركوا في مصيبة الحرمان عن حقيقة
الأمر فالحقيقة فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم • وهي حكمة يخص بها
من يريد ومن يؤتى الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً • ولنعد إلى الغرض فقد أرخينا الطول
وطولنا النفس في أمر هو أعلى من علوم المعاملة التي نقصدها في هذا الكتاب • فقد
ظهر أن رتبة الهلاك ليس إلا للجهال المكذبين • وشهادة ذلك من كتاب الله وسنة
رسوله لا تدخل تحت الحصر • فلذلك لم نورده • **الرتبة الثانية** رتبة المعذبين
وهذه رتبة من تحلى بأصل الإيمان ولكن قصر في الوفاء بمقتضاه فإن رأس الإيمان هو

السلطنة خ

مثال صفات البهايم والسباع

الجسم خ

عالم الامر والخلق

مثال العرش والكرسي في بدن الانسان

عقا خ

تخلي خ

التوحيد وهو ان لا يعبد الا الله ومن اتبع هواه فقد اتخذ الهه هواه فهو موحد بلسانه لا
بالحقيقة بل معنى قولك لا اله الا الله قوله قل الله ثم ذرهم وهو ان تذر بالكلية غير الله
ومعنى قوله ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا ٭ ولما كان الصراط المستقيم الذي
لا يحمل التوحيد الا بالاستقامة عليه اذق من الشعر واحد من السيف مثل الصراط ٭
الموصوف في الآخرة فلا ينفك بشر عن ميل عن الاستقامة ولو في امر يسير ولا يخلوا
عن اتباع الهوى ولو في فعل قليل وذلك قادح في كمال التوحيد بقدر ميله عن الصراط
المستقيم فذلك يقتضي لا محالة نقصانا في درجة القرب ومع كل نقصان ناران
نار الفراق ولذلك الكمال الفايت بالنقصان ٭ ونار جهنم كما وصفها القرآن فيكون كل
مايل عن الصراط المستقيم معذبا مرتين من وجهين ولكن شدة ذلك العذاب وخفته ٭
وتفاوته بحسب طول المدة انما يكون بسبب امرين قوة الايمان وضعفه والثاني كثرة
الاتباع الهوى وقلته واذ لا يخلوا بشر في غالب الامر عن واحد من الامرين قال
الله تعالى وان منكم الا واردها كان على ربك حتما مقضيا ٭ ثم ننجي الله الذين اتقوا ونذر
الظالمين فيها جثيا ٭ وكذلك قال الخايفون من السلف انما خوفنا لانا تيقنا انا على النار
واردون وشككنا في النجاة ٭ ولما روى الحسن الخبر الوارد فيمن يخرج من النار
بعد الف عام وانه ينادي يا حنان يا منان قال الحسن يا ليتني كنت ذلك الرجل واعلم ان
في الاخبار ما يدل على ان اخر من يخرج من النار بعد سبعة الاف سنة درجات متفاوتة
من اليوم والاسبوع والشهر وساير المدد فان الاختلاف بالشدة لا نهاية لاعلاه
وادناه التعذيب بالمناقشة في الحساب ٭ كما ان الملك قد يعذب بعض المقصرين في
الاعمال بالمناقشة في الحساب وقد يضرب بالسياط وقد يعذب بانواع من العذاب
ويتطرق الى العذاب اختلاف ثالث في غير المدة والشدة وهو اختلاف الانواع اذ
ليس من يعذب بمصادرة المال فقط كمن يعذب باخذ المال وبقتل الولد واستباحة
الحريم وتعذيب الاقارب والضرب وقطع اللسان واليد والانف والاذن وغيره
فهذه الاختلافات ثابتة في عذاب الاخرة دل عليه قواطع الشرع وهي بحسب قوة
اختلاف قوة الايمان وضعفه وكثرة الطاعات وقلتها وكثرة السيئات وقلتها
اما شدة العذاب فبشدة قبح السيئات وكبرها ٭ واما كثرته فبكثرتها واما
اختلاف انواعه فباختلاف انواع السيئات ٭ وقد انكشف هذا لارباب القلوب
مع شواهد القرآن بنور الايمان وهو المعني بقوله تعالى وما ربك بظلام للعبيد

الخروج من النار

انواع عذاب الآخرة

وبقوله اليوم تجزى كل نفس بما كسبت • وبقوله وان ليس للانسان الا ما سعى
وبقوله فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره الى غير ذلك
مما ورد في الكتاب والسنة من كون العقاب والثواب جزاء على الاعمال فكل ذلك
بعدل لا ظلم فيه • وجانب العفو والرحمة ارجح اذ قال تعالى فيما اخبر عنه نبينا
صلى الله عليه وسلم سبقت رحمتي غضبي • وقال تعالى وان تك حسنة يضاعفها ويؤت
من لدنه اجرا عظيما • فاذا هذه الامور الكلية من ارتباط الدرجات والدركات
بالحسنات والسيئات معلومة بقواطع الشرع ونور المعرفة فاما التفصيل فلا تعرف
الا ظنا ومستنده ظواهر الاخبار ونوع حدس يستمد من انوار الاستبصار بعين الاعتبار
فنقول كل من احكم اصل الايمان واجتنب جميع الكبائر واحسن جميع الفرائض اعني الاركان
الخمسة ولم يكن منه الا صغائر متفرقة لم يصر عليها فيشبه ان يكون عذابه المناقشة
في الحساب فقط • فانه اذا حوسب رجحت حسناته على سيئاته اذ ورد في الاخبار ان
الصلوات الخمس والجمعة الى الجمعة وصوم رمضان كفارة لما بينهن وكذلك اجتناب
الكبائر بحكم نص القرآن مكفر للصغائر واقل درجات التكفير ان يدفع العذاب ان لم
يدفع الحساب وكل من هذا حاله فقد ثقلت موازينه وينبغي ان يكون بعد ظهور
الرجحان وبعد الفراغ من الحساب في عيشة راضية • نعم التحاقه باصحاب اليمين او
بالمقربين ونزوله في جنات عدن او في الفردوس الاعلى فذلك يتبع اصناف الايمان
لان الايمان ايمانان ايمان تقليد كايمان العوام يصدقون بما يسمعون ويستمرون عليه
وايمان كشفي يحصل بانشراح الصدر بنور الله حتى ينكشف فيه الوجود كله على ما هو
عليه فيتضح ان الكل الى الله مرجعه ومصيره • اذ ليس في الوجود الا الله وصفاته
وافعاله فهذا الصنف هم المقربون النازلون في الفردوس الاعلى وهم على غاية •
التقرب من الملأ الاعلى وهم ايضا على اصناف فمنهم السابقون ومنهم دونهم وتفاوتهم
بحسب تفاوت معرفتهم بالله تعالى • ودرجات العارفين في المعرفة لا تنحصر اذ الاحاطة
بكنه جلال الله غير ممكن وبحر المعرفة ليس له ساحل وعمق • وانما يغوص فيه الغواصون
بقدر قواهم وبقدر ما سبق لهم من الله في الازل والطريق الى الله لا نهاية لمنازله •
فالسالكون سبيل الله لا نهاية لدرجاتهم • واما المؤمن ايمانا تقليديا فهو من اصحاب
اليمين ودرجته دون درجة المقربين وهم ايضا على درجات فالاعلى من درجات اصحاب
اليمين تقارب رتبته رتبة الادنى من درجات المقربين • هذا حال من اجتنب كل

الكبائر

ايمان تقليدى
ايمان كشفى

الكبائر واذى الفرايض كلها اعني الاركان الخمسة التي هي النطق بكلمة الشهادة
باللسان والصلاة والزكاة والصوم والحج فاما من ارتكب كبيرة او كبائر او اهمل
بعض الاركان فان تاب توبة نصوحا من قرب الاجل التحق بمن لم يرتكب لان التايب من
الذنب كمن لا ذنب له والثوب المغسول كالذي لم يتوسخ اصلا ۵ وان مات قبل التوبة
فهذا امره مخطر عند الموت اذ ربما يكون موته على الاصرار سببا لتزلزل ايمانه فيختم له
بسوء الخاتمة لا سيما اذا كان ايمانه تقليديا فان التقليد وان كان جزما فهو قابل
للانحلال بادنى شك وخيال ۵ والعارف البصير ابعد عن ان يخاف عليه سوء الخاتمة
وهما ان ماتا على الايمان يعذبان الا ان يعفو الله عذابا يزيد على عذاب المناقشة في الحساب
ويكون كثرة العقاب من حيث المدة بحسب اختلاف اصناف السيئات وعند انقضاء
مدة العذاب نزل البله المقلدون في درجات اصحاب اليمين والعارفون المستبصرون
في اعلا عليين ۵ ففي الخبر اخر من يخرج من النار يعطى مثل الدنيا كلها عشرة اضعاف
ولا تظنن ان المراد به تقديره بالمساحة لاطراف الاجسام بل يقابل قرنتها بقرنتين او عشرة
فان هذا احمق بطريق ضرب الامثال بل هذا القول القايل اخذ منه جملا واعطاه عشرة
امثاله وكان الجمل يسوى عشرة دنانير فاعطاه مائة دينار فان لم يفهم من المثل الا
المثل في الوزن والثقل فلا يكون مائة دينار لو وضعت في كفة الميزان والجمل في الكفة
الاخرى لم يبلغ عشر عشره بل هو موازنة معاني الاجسام وارواحها دون اشخاصها
وهياكلها فان الجمل لا يقصد لثقله وطوله وعرضه ومساحته بل لماليته فروحه
الماليته وجسمه اللحم والدم ومائة دينار عشر امثاله بالموازنة الروحانية لا
بالموازنة الجسمانية ۵ وهذا صادق عند من يعرف روح المالية من الذهب والابل
بل لو اعطاه جوهرة وزنها مثقال وقيمتها مائة دينار وقال اعطيته عشر امثاله
كان صادقا ولكن لا يدرك صدقه الا الجوهري فان الجوهرة لا يدرك بمجرد البصر
بل بفطنة اخرى وراء البصر فلذلك يكذب به الصبي والقروي والبدوي ويقول
ما هذه الجوهرة الا حجر وزنه مثقال ووزن الجمل الف الف مثقال فقد كذب في
قوله اني اعطيته عشرة امثاله والكاذب بالتحقيق هو الصبي ولكن لا سبيل الى تحقيق
ذلك في قوله اني اعطيته عشرة امثاله والكاذب بالتحقيق هو الصبي ولكن
لا سبيل الى تحقيق ذلك عنده الا بان ينتظر به البلوغ والكمال وان يحصل في قلبه
النور الذي به يدرك ارواح الجواهر وساير الاموال فعند ذلك ينكشف له الصدق

والعاجز عن تفهيم المقلد القاصر • صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم في هذه
الموازنة اذ تقول الجنة في السموات كما ورد في الاخبار والسموات من الدنيا فكيف
تكون عشرة امثال الدنيا في الدنيا • وهذا كما يعجز البالغ عن تفهيم الصبي تلك الموازنة
وكذلك يفهم البدوي وكما ان الجوهري مرحوم اذا بلي بالبدوي والبدوي في تفهيم
تلك الموازنة والعارف مرحوم اذا بلي بالبليد الابله في تفهيم هذه الموازنة •
ولذلك قال صلى الله عليه وسلم ارحموا ثلاثة عالما بين الجهال وغني
قوم افتقر وعزيز قوم ذل والانبيا مرحومون بهذا السبب ومقاساتهم لقصور
عقول الامة فتنة لهم وامتحانا وابتلا من الله تعالى وبلاء موكل بهم سبق به تكليف
القضا الازلي • وهو المعنى بقوله عليه السلم البلا موكل بالانبيا ثم بالاوليا
ثم الامثل فالامثل فلا تظنن ان البلا بلا ايوب عليه السلم وهو البلا الذي ينزل
بالبدن فان بلا نوح صلوات الله عليه ايضا من البلا العظيم لا يزيدهم دعاوه
الى الله الا فرارا • ولذلك لما تاذى رسول الله صلى الله عليه وسلم بكلام بعض
الناس قال رحم الله اخي موسى لقد اوذي باكثر من هذا فصبر • فاذا كما لا يخلو الانبيا
من الابتلا بالجاحدين فلا يخلو الاوليا والعلما من الابتلا بالجاحدين ولذلك قل ما انفك
الاوليا عن ضروب من الايذا وانواع البلا بالاخراج من البلاد والسعاية بهم
الى السلاطين والشهادة عليهم بالكفر والخروج عن الدين • وواجب ان تكون
اهل المعرفة عند اهل الجهل من الكافرين كما يجب ان يكون المعتاض عن الحجر الكبير
جوهرة صغيرة عند الجاهلين من المبذرين المضيعين • فاذا عرفت هذه الدقائق
فامن بقوله صلى الله عليه وسلم انه يعطي اخر من يخرج من النار مثل الدنيا عشر مرات
واياك ان تقتصر تصديقك على ما يدركه البصر فقط فتكون حمارا برجلين لان الحمار
يشاركك في الحواس الخمس • وانما انت مفارق للحمار بسر الهي عرض على السموات
والارض والجبال فابين ان يحملنها واشفقن منها فادراك ما يخرج عن علم الحواس الخمس
لا يصادف الا في عالم ذلك الحس الذي فارقت به الحمار وساير البهايم فمن ذهل عن
ذلك وعطله واهمله وقنع بدرجة البهايم ولم يجاوز المحسوسات فهو الذي اهلك
نفسه بتعطيلها ونسيها بالاعراض عنها فلا تكونوا كالذين نسوا الله فانساهم انفسهم
وكل من لم يعرف الا المدرك بالحواس فقد نسي الله انساه الله لا محاله نفسه وترك
الى رتبة البهايم وترك الترقي الى افق الملا الاعلى وخان في الامانة التي اودعها الله

امانة الله

تعالى وانعم بها عليه كاذب النعمة ومتعرضا لنقمته الا انه اسوا حالا من البهيمة
فان البهيمة تتخلص بالموت • واما هذا فعنده امانة تسترجع لا محالة الى مودعها
واليه ترجع الامانة ومصيرها وتلك الامانة كالشمس الزاهرة وانما هبطت الى هذا
العالم الفاني وغربت منه وستطلع هذه الشمس عند خراب هذا العالم من مغربها وتعود
الى باريها وخالقها اما مظلمة منكسفة واما زاهرة مشرقة والزاهرة المشرقة غير
محجوبة عن الحضرة الربوبية والمظلمة ايضا راجعة الى الحضرة • اذ المرجع والمصير
للكل اليه الا انها ناكسة روسها عن جهة اعلا عليين الى جهة اسفل السافلين • ولذلك
قال تعالى ولو ترى اذ المجرمون ناكسوا روسهم عند ربهم فبين انهم عند
ربهم الا انهم منكوسون محوسون قد انقلبت وجوههم الى اقفيتهم وانتكست
روسهم عن جهة فوق الى جهة اسفل وذلك حكم الله فيمن حرمه توفيقه ولم يهده
طريقه فنعوذ بالله من الضلال والنزول في منازل الجهال • فهذا حكم اقسام من
يخرج من النار ويعطى عشر امثال الدنيا واكثر ولا يخرج من النار الا موحدا • ولست
اعني بالتوحيد ان يقول لا اله الا الله فان الانسان من عالم الملك والشهادة فلا
ينفع الا في عالم الملك فيدفع السيف عن رقبته وايدي الغانمين عن ماله ومدة الرقبة
والمال مدة الحياة بحيث لا يبقى رقبة ولا مال لا ينفع القول باللسان وانما ينفع
الصدق في التوحيد • وكمال التوحيد ان لا يرى الامور كلها الا من الله وعلامته ان لا
يغضب على احد من الخلق لما يجري عليه اذ لا يرى الوسايط وانما يرى مسبب الاسباب
كما سياتي تحقيقه في التوكل • وهذا التوحيد متفاوت فمن الناس من له التوحيد
مثل الجبال ومنهم من له مثقال ومنهم من له مثقال خردلة وذرة • فمن في قلبه
مثقال دينار فهو اول من يخرج من النار • وفي الخبر يقال اخرجوا من النار من في
قلبه مثقال ذرة من ايمان وما بين المثقال والذرة على تفاوت درجاتهم يخرجون
بين طبقة المثقال وبين طبقة الذرة والموازنة بالمثقال والذرة على سبيل ضرب
المثل كما ذكرناه من الموازنة بين اعمال الايمان وبين النقود فاكثر ما يدخل الموحدين
النار مظالم العباد فديوان العباد هو الديوان الذي لا يترك • واما بقية السيات
فيتسارع العفو والتكفير اليها • ففي الخبر ان العبد ليوقف بين يدي الله عز وجل
وله من الحسنات امثال الجبال لو سلمت له لكان من اهل الجنة فتقوم اصحاب المظالم
فيكون قد سب عرض هذا واخذ مال هذا وضرب هذا فيقتص من حسناته حتى لا يبقى له

محبوسون خ
اللسان خ
عالم الملك والشهادة
[illegible]
[illegible]

حسنة فتقول الملائكة يا ربنا قد فنيت حسناته وبقي طالبون كثير فيقول القوا من
سيئاتهم على سيئاته وصكوا له صكا الى النار • وكما يهلك هو بسبب غيره بطريق القصاص
فكذلك ينجوا المظلوم بحسنة الظالم اذ تنقل اليه عوضا عما ظلم به • وقد حكي عن ابن
الجلا ان بعض اخوانه اغتابه ثم ارسل اليه يستحله فقال لا افعل ليس في صحيفتي حسنة
افضل منها فكيف امحوها وقال ـــــ هو وغيره ذنوب اخواني من حسناتي اريد ان
ازين بها صحيفتي • فهذا ما اردنا ان نذكره من اختلاف العباد في المعاد في درجات السعادة
والشقاوة وكل ذلك حكم بظاهر الاسباب يضاهي حكم الطبيب على مريض بانه يموت
لا محالة ولا يقبل العلاج وعلى مريض آخر بان عارضه خفيف هين فان ذلك ظن يصيب في
اكثر الاحوال ولكن قد يخطئ فينتهي الى المشرف على الهلاك نفسه من حيث لا يشعر الطبيب وقد
ينساق الى ذي العارض الخفيف اجله من حيث لا يطلع عليه وذلك لاسرار الله تعالى
الخفية في ارواح الاحياء وغموض الاسباب التي رتبها مسبب الاسباب بقدر معلوم
اذ ليس في قوة البشر الوقوف على كنهها فكذلك النجاة والفوز في الآخرة لها اسباب
خفية ليس في قوة البشر الاطلاع عليها يعبر عن ذلك السبب الخفي المفضي الى النجاة
بالعفو والرضا وعما يفضي الى الهلاك بالغضب والانتقام • ووراء ذلك سر المشيئة
الازلية التي لا يطلع الخلق عليها فلذلك يجب علينا ان نجوز العفو عن العاصي وان كثرت
سيئاته الظاهرة والغضب على المطيع وان كثرت طاعاته الظاهرة فان الاعتماد على
التقوى في القلب وهو اغمض من ان يطلع عليه صاحبه فكيف غيره ولكن قد انكشف
لارباب القلوب انه لا عفو عن عبد الا بسبب خفي يقتضي العفو ولا غضب الا بسبب باطن
يقتضي البعد من الله ولولا ذلك لم يكن العفو والغضب جزاء على الاعمال والاوصاف ولو لم
يكن جزاء لم يكن عدلا ولو لم يكن عدلا لم يصح قوله تعالى وما ربك بظلام للعبيد • ولا
قوله ان الله لا يظلم مثقال ذرة • وكل ذلك صحيح وليس للانسان الا ما سعى وسعيه
هو الذي يرى وكل نفس بما كسبت رهينة ولما زاغوا ازاغ الله قلوبهم • ولما غيروا
انفسهم غير الله ما بهم تحقيقا لقوله تعالى ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما
بانفسهم • وهذا كله قد انكشف لارباب القلوب انكشافا اوضح من المشاهدة •
بالبصر اذ البصر يمكن الغلط فيه اذ قد يرى البعيد قريبا والكبير صغيرا ومشاهدة
القلب لا يمكن الغلط فيها وانما الشان في انفتاح بصيرة القلب والا فما يرى بعد •
الانفتاح فلا يتصور فيه الكذب • واليه الاشارة بقوله تعالى ما كذب الفؤاد ما

مسبب الاسباب في الدنيا والاخرة

فيه خ

يرى

ما راك

ما رأى **الرتبة الثالثة** رتبة الناجين وأعني بالنجاة السلامة فقط دون
السعادة والفوز وهم قوم لم يخدموا فيخلع عليهم ولم يقصروا فيعذبوا ويشبه أن
يكون هذا حال المجانين والصبيان من الكفار والمعتوهين والذين لم تبلغهم الدعوة في
أطراف البلاد وعاشوا على البله وعدم المعرفة فلم يكن لهم معرفة ولا جحود ولا
طاعة ولا معصية ولا وسيلة تقربهم ولا جناية تبعدهم فما هم من أهل الجنة ولا من أهل
النار بل ينزلون في منزلة بين المنزلتين ومقام بين المقامين عبر الشرع عنه بالأعراف
وحلول طائفة من الخلق فيه معلوم يقينا من الآيات ومن أنوار الاعتبار، فأما الحكم
على التعيين كالحكم مثلا بأن الصبيان منهم، فهذا مظنون وليس بمستيقن والاطلاع عليه
تحقيقا من عالم النبوة ويبعد أن يرتقي إليه رتبة الأولياء والعلماء والأخبار في حق الصبيان
متعارضة حتى قالت عائشة رضي الله عنها لما مات بعض الصبيان طوبى له
عصفور من عصافير الجنة فأنكر رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك وقال ما يدريك
فإذا الإشكال والاشتباه أغلب في هذا المقام

الرتبة الرابعة

الفائزون وهم
العارفون دون المقلدين وهم المقربون السابقون وأن المقلد وإن كان له فوز في الجملة
بمقام في الجنة فهو من أصحاب اليمين وهؤلاء هم المقربون السابقون وما يلقى هؤلاء يجاوز
حد البيان والقدر الممكن ذكره ما فصله القرآن فليس بعد بيان الله بيان والذي لا يمكن التعبير
عنه في هذا العالم فهو الذي أجمله قوله تعالى فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين
وقوله أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر في
هذا العالم، فأما الحور والقصور والفواكه واللبن والعسل والخمر والحلي والأساور فإنهم
لا يحرصون عليها ولو أعطوها لم يقنعوا بها ولا يطلبون إلا لذة النظر إلى وجه الله الكريم
فهي غاية السعادات ونهاية اللذات، ولذلك قيل لرابعة العدوية كيف رغبتك
في الجنة فقالت الجار ثم الدار، فهؤلاء قوم شغلهم حب رب الدار عن الدار وزينتها بل عن
كل شيء سواه حتى عن أنفسهم ومثالهم مثال العاشق المستهتر بمعشوقه المستوفي همته بالنظر
إلى وجهه أو الفكر فيه فإنه في حال الاستغراق غافل عن نفسه لا يحس بما يصيبه في بدنه
ويعبر عن هذه الحالة بأنه فني عن نفسه ومعناه أنه صار مستغرقا بغيره وصار همومه
هما واحدا وهو محبوبه فلم يبق فيه متسع لغير محبوبه حتى يلتفت إليه لا لنفسه ولا لغير
نفسه، وهذه الحالة هي التي توصل في الآخرة إلى قرة عين لا يتصور أن يخطر في هذا العالم
على قلب بشر كما لا يتصور أن يخطر صورة الألوان والألحان على قلب الأصم الأكمه إلى أن يرتفع

أصحاب الأعراف

ب

مثال حب الله ودار[ه]

الحجاب عن سمعه وبصره فعند ذلك يدرك حالة يعلم قطعا انه لا يتصور ان يخطر بباله قبل ذلك صورته فالدنيا حجاب على التحقيق وبرفعه ينكشف الغطا فعند ذلك يدرك ذوق الحيوة الطيبة وان الدار الآخرة لهي الحيوان لو كانوا يعلمون فهذا القدر كاف في تنويع الدرجات على الحسنات.

بيان ما تعظم به الصغاير من الذنوب

مطلب

اعلم ان الصغيرة تكبر باسباب منها الاصرار ولا كبيرة مع الاستغفار فكبيرة واحدة تنصرم ولا يتبعها مثلها لو تصور ذلك كان العفو عنها ارجى من صغيرة يواظب العبد ومثال ذلك قطرات من الماء تقع على حجر على التوالي فتؤثر فيه وذلك القدر من الماء لو صب عليه دفعة لم يؤثر ولذلك قال عليه السلام خير الاعمال ادومها وان قل والاشيا تستبان باضدادها فان كان النافع من العمل هو الدايم وان قل والكثير المنصرم قليل النفع في تنوير القلب وتطهيره فكذلك القليل من السيئات اذا دام عظم تاثيره في اظلام القلب الا ان الكبيرة قلما يتصور الهجوم عليها بغتة من غير سوابق ولواحق من جملة الصغاير فقلما يزني الزاني بغتة من غير مراودة ومقدمات وقلما يقتل القاتل بغتة من غير مشاحنة سابقة ومعاداة فكل كبيرة تكتنفها صغاير سابقة ولاحقة ولو تصورت كبيرة وحدها بغتة ولم يتفق اليها عود ربما كان العفو عنها ارجى من صغيرة واظب الانسان عليها عمره ومنها ان يستصغر الذنب فان الذنب كلما استعظمه العبد من نفسه صغر عند الله تعالى وكلما استصغره كبر عند الله تعالى لان استعظامه يصدر عن نفور القلب وكراهته له وذلك يوجب شدة الاثر في القلب والقلب هو المطلوب تنويره بالطاعات والمحذور تسويده بالسيئات ولذلك لا يواخذ بما يجري عليه في الغفلة وقد جا في الخبر المومن يرى ذنبه كالجبل فوقه يخاف ان يقع عليه والمنافق يرى ذنبه كذباب مر على انفه فاطاره وقال بعضهم الذنب لا يغفر قول العبد ليت كل شي عملته مثل هذا وانما يعظم الذنب في قلب المومن لعلمه بجلال الله فاذا نظر الى عظم من عصى به رأى الذنب الصغير كبيرا وقد اوحى الله تعالى الى

تعالى الى بعض الانبيا عليهم السلام لا تنظر الى قلة الهداية وانظر الى
عظم مهديها ولا تنظر الى صغر الخطية ولكن انظر الى كبر من واجهته بها وبهذا
الاعتبار قال بعض العارفين لا صغيرة بل كل مخالفة فهي كبيرة ولذلك قال
بعض الصحابة لبعض التابعين انكم لتعملون اعمالا هي ادق في اعينكم من الشعر كنا
نعدها على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم من الموبقات اذ كانت معرفة
رسول الله صلى الله عليه وسلم بجلال الله اتم فكانت الصغاير عنده بالاضافة
الى جلال الله كباير وبهذا السبب يعظم من العالم ما لا يعظم من الجاهل ويتجاوز
عن العاصي في امور لا يتجاوز في امثالها عن العارف لان الذنب والمخالفة تكبر
بمعرفة قدر المخالف ومنها السرور بالصغيرة والفرح والتبجح بها واعتداد
التمكن من ذلك نعمة والغفلة عن كونها سبب الشقاوة فكلما غلبت حلاوة
الشقاوة عند العبد كبرت وعظم اثرها في تسويد قلبه حتى ان من المذنبين من
يتمدح بذنبه ويتبجح به لشدة فرحه بمقارفته اياه كما يقول اما رايتني كيف مزقت عرضه
ويقول المناظر في مناظرته اما رايتني كيف فضحته وكيف ذكرت مساويه حتى اخجلته
وكيف استخففته وكيف لبست عليه ويقول المعامل في التجارة اما رايتني كيف روجت
عليه الزايف وكيف خدعته وكيف غبنته في ماله وكيف استحمقته فهذا وامثاله تكبر
به الصغاير فان الذنوب مهلكات واذا دفع العبد اليها وظفر الشيطان به في الحمل
عليها فينبغي ان يكون في مصيبة وتاسف بسبب غلبة العدو عليه وبسبب بعده
من الله سبحانه فالمريض الذي يفرح بان ينكسر اناوه الذي فيه دواوه حتى يتخلص
من الم شربه لا يرجى شفاوه ومنها ان يتهاون بستر الله سبحانه عليه وحلمه عنه
وامهاله اياه ولا يدري انه انما يمهل مقتا ليزداد بالامهال اثما فيظن ان تمكنه
من المعاصي عناية من الله به فيكون ذلك لامنه من مكر الله وجهله بمكامن
الغرور بالله كما قال تعالى ويقولون في انفسهم لولا يعذبنا الله بما نقول
حسبهم جهنم يصلونها فبيس المصير ومنها ان ياتي الذنب ويظهره
بان يذكره بعد اتيانه او ياتيه بمشهد من غيره فان ذلك منه جناية على ستر
الله الذي اسدله عليه وتحريك لداعية الشر فيمن اسمعه ذنبه او اشهده فعله
فهما جنايتان انضمتا الى جنايته فتغلظت بذلك فان انضاف الى ذلك الترغيب
للغير فيه والحمل عليه وتهيية الاسباب له صارت جناية رابعة وتفاحش

الاثم **وفي الخبر كل انسان معافا الا المجاهرين** يبيت احدهم على
ذنب قد ستره الله عليه فيصبح فيكشف ستر الله ويتحدث بذنبه وهذا لان من صفات الله
تعالى ونعمه ان يظهر الجميل ويستر القبيح ولا يهتك الستر والاظهار كفران لهذه النعمة
وقال بعضهم لا تذنب فان كان ولا بد فلا ترغب غيرك فيه فتذنب ذنبين
ولذلك قال سبحانه وتعالى المنافقون والمنافقات بعضهم من بعض يامرون
بالمنكر وينهون عن المعروف **وقال بعض السلف** ما انتهك المرء من اخيه
حرمة اعظم من ان يساعده على معصيته ثم يهونها عليه ومنها ان يكون المذنب عالما
يقتدى به فاذا فعله بحيث يرى ذلك منه كبر ذنبه كلبس العالم الابريسم وركوبه
مراكب الذهب والفضة واخذه مال الشبهة من اموال السلاطين ودخوله على السلاطين
وتودده اليهم ومساعدته اياهم بترك الانكار عليهم واطلاقه اللسان في الاعراض
او تعديه باللسان في المناظرة وقصده الاستخفاف واشتغاله من العلوم بما لا يقصد
منه الا الجاه كعلم الجدل والمناظرة فهذه ذنوب يتبع العالم عليها فيموت العالم ويبقى
شره مستطيرا في العالم آمادا متطاولة وطوبى لمن اذا مات ماتت معه ذنوبه **وفي
الخبر من سن سنة سيئة** فعليه وزرها ووزر من عمل بها لا ينقص من اوزارهم
شيئا وقال تعالى ونكتب ما قدموا وآثارهم الآية والآثار ما يلحق من الاعمال بعد
انقضاء العمل والعامل **وقال ابن عباس ويل للعالم من الاتباع**
يزل زلة فيرجع عنها ويحملها الناس فيذهبون بها في الآفاق **وقال بعضهم
مثل زلة العالم** مثل انكسار السفينة تغرق ويغرق اهلها **وفي الاسرائيليات**
ان عالما كان يضل الناس بالبدعة ثم ادركته توبة فعمل في الصلاح دهرا فاوحى الله تعالى
الى نبيهم قل له ان ذنبك لو كان فيما بيني وبينك لغفرته لك ولكن كيف بمن اضللت من
عبادي فادخلتهم النار فبهذا يتضح ان امر العالم او العلماء مخطر فعليهم وظيفتان
احدهما ترك الذنب والاخرى اخفاؤه وكما تتضاعف اوزارهم على الذنوب فكذلك تتضاعف
ثوابهم على الحسنات اذا اتبعوا فاذا ترك التجمل والميل الى الدنيا وقنع منها باليسير
ومن الطعام بالقوت ومن الكسوة بالخلق فيتبع على ذلك ويقتدي به العلماء والعوام
ويكون له مثل ثوابهم وان مال الى التجمل مالت طباع من دونه الى التشبه به ولا يقدرون
على التجمل الا بخدمة السلطان وجمع الحطام من الحرام ويكون هو السبب في جميع ذلك
فحركات العلماء في طوري الزيادة والنقصان تتضاعف آثارها اما بالربح واما بالخسران

المجاهرين

علماء السوء

من سن سنة سيئة

مثل زلة العالم

بالخسران وهذا القدر كاف في تفاصيل الذنوب التي التوبة توبة عنها . **الركن**
الثالث في تمام التوبة وشروطها في دوامها الى آخر العمر . وقد ذكرنا
ان التوبة عبارة عن ندم يورث عزما وقصدا وذلك الندم أورثه العلم بكون المعاصي
حائلة بينه وبين محبوبه ولكل واحد من العلم والندم والعزم دوام وتمام ولتمامها
علامة ولدوامها شرط فلا بد من بيانها . اما **العلم** فالنظر فيه نظر في اسباب
التوبة وسيأتي . واما **الندم** فهو توجع القلب عند شعوره بفوات المحبوب .
وعلامته طول الحسرة والحزن وانسكاب الدمع وطول البكاء فمن استشعر عقوبة نازلة
بولده او ببعض اعزته كثر على ذلك حزنه وبكاؤه واي عزيز اعز عليه من نفسه واي عقوبة
اشد عليه من النار واي سبب ادل على نزول العقاب من المعاصي واي مخبر اصدق من
الله ورسوله لو حدثه انسان واحد يسمى طبيبا ان مرض ولده لا يبرأ وانه سيموت
طال في الحال حزنه فليس ولده اعز من نفسه ولا الطبيب باعلم ولا اصدق من الله
ورسوله ولا موت اشد من النار ولا بادل على الموت من المعاصي على سخط الله والتعرض
للنار فالم الندم كلما كان اشد كان تكفير الذنوب به ارجى فعلامة صحة الندم رقة القلب
وغزارة الدمع **وفي الخبر جالسوا التوابين فانهم ارق افئدة**
ومن علامته ان تتمكن مرارة الذنوب من قلبه بدلا عن حلاوتها فيستبدل بالميل
كراهة وبالرغبة نفرة **وفي الاسرائيليات ان الله سبحانه**
قال لبعض انبيائه وقد سأله قبول توبة عبد بعد ان اجتهد سنين في العبادة
ولم ير قبول توبته فقال وعزتي لو شفع فيه اهل السموات والارض لما قبلت توبته
وحلاوة ذلك الذنب الذي تاب منه في قلبه **فان قلت** فالذنوب هي
اعمال او مشتهاة بالطبع فكيف تجد مرارتها فاقول من تناول عسلا كان فيه سم
ولم يدركه بالذوق فاستلذه ثم مرض وطال المه وتناثر شعره وفلجت اعضاؤه فاذا
قدم اليه عسل فيه مثل ذلك السم وهو في غاية الجوع والشهوة للحلاوة فهل تنفر
نفسه عن ذلك العسل ام لا **فان قلت** لا فهو جحد للضرورة والمشاهدة
بل ربما تنفر عن العسل الذي ليس فيه سم ايضا لشبهه به فوجدان التائب مرارة الذنب
كذلك يكون وذلك لعلمه ان كل ذنب فذوقه ذوق العسل وعمله عمل السم ولا تصح التوبة
ولا تصدق الا بمثل هذا الايمان ولما عز مثل هذا الايمان عزت التوبة والتائبون ولا
ترى الا معرضا عن الله متهاونا بالذنوب مصرا عليها فهذا شرط تمام الندم .

مطلب

مثل مرارة الذنب

وينبغي ان يدوم الى الموت وينبغي ان يجد هذه المرارة في جميع الذنوب وان لم يكن
قد ارتكبها من قبل كما يجد متناول السم في العسل النفرة من الماء البارد مهما علم ان فيه
مثل ذلك السم اذ لم يكن ضرره من العسل بل مما فيه ولم يكن ضرر التائب من سرقته وزناه
من حيث انهما سرقة وزنا بل من حيث انهما مخالفة لامر الله سبحانه وذلك جار في كل ذنب
واما القصد الذي ينبعث منه وهو ارادة التدارك فله تعلق بالحال وهو موجب ترك
كل محظور هو ملابس له واداء كل فرض هو متوجه عليه في الحال وله تعلق بالماضي وهو
تدارك ما فرط وبالمستقبل وهو دوام الطاعة ودوام ترك المعصية الى الموت وشرط
صحتها فيما يتعلق بالماضي ان يرد فكره الى اول يوم بلغ فيه بالسن او بالاحتلام ويفتش
عما مضى من عمره سنة سنة وشهرا شهرا ويوما يوما ونفسا نفسا وينظر الى الطاعات
ما الذي قصر فيه منها والى المعاصي ما الذي قارفه منها فان كان قد ترك صلاة او صلاها
بثوب نجس او صلاها بنية غير صحيحة لجهله بشرط النية فيقضيها عن آخرها فان شك
في عدد ما فاته منها حسب من مدة بلوغه وترك القدر الذي يستيقن انه اداه ويقضي الباقي
وله ان ياخذ فيه بغالب الظن ويصل اليه على سبيل التحري والاجتهاد واما الصوم
فان كان قد تركه في سفر ولم يقضه او افطر عمدا او نسي النية بالليل ولم يقض فيتعرف
جميع ذلك بالتحري والاجتهاد ويشتغل بقضائه واما الزكوة فيحسب جميع ماله
وعدد السنين من اول ملكه لا من زمان البلوغ لان الزكوة واجبة على الصبي فيؤدي
ما علم بغالب الظن انه في ذمته وان اداها على وجه لا يوافق مذهبه بان لم يصرف الى
الاصناف الثمانية او اخرج البدل وهو على مذهب الشافعي رحمه الله فيقضي جميع
ذلك فان ذلك لا يجزئه اصلا وحساب الزكوة ومعرفة ذلك يطول ويحتاج في ذلك
الى تامل شاف ويلزمه ان يسأل عن كيفية الخروج عنه العلماء **واما الحج** فان كان
قد استطاع في بعض السنين ولم يتفق له الخروج والآن قد افلس فعليه الخروج فان لم
يقدر مع الافلاس فعليه ان يكتسب من الحلال قدر الزاد فان لم يكن له كسب ولا مال
فعليه ان يسأل الناس ليصرفوا اليه من الزكوات والصدقات ما يحج به فانه ان مات قبل
الحج مات عاصيا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من مات ولم يحج فليمت ان شاء
يهوديا وان شاء نصرانيا والعجز الطارئ بعد القدرة لا يسقط عنه الحج فهذا وامثاله
طريق تفتيشه عن الطاعات وتداركها **واما المعاصي فينبغي ان يفتش**
من اول بلوغه عن سمعه وبصره ولسانه وبطنه ويده ورجله وفرجه وسائر جوارحه

مطلب

حقوق الله

ذنوب

مطلب

جوارحه ثم ينظر في جميع أيامه وساعاته ويفصل عنده ديوان معاصيه حتى يطلع
على جميعها صغارها وكبارها ثم ينظر فيها فما كان من ذلك بينه وبين الله تعالى من
حيث لا يتعلق بمظلمة العباد كنظر إلى غير محرم وقعود في مسجد على جنابة ومس مصحف
على غير طهارة واعتقاد بدعة وشرب خمر وسماع ملاه وغير ذلك مما لا يتعلق بمظالم
العباد فالتوبة عن ذلك كله بالندم والتحسر عليه وبان يحسب مقدارها من حيث الكثرة
ومن حيث المدة ويطلب لكل معصية منها حسنة تناسبها فياتي من الحسنات بمقدار تلك
السيئات أخذا من قوله عليه السلام اتق الله حيث كنت واتبع السيئة الحسنة تمحها
بل من قوله سبحانه وتعالى ان الحسنات يذهبن السيئات فيكفر سماع الملاهي بسماع
القرآن وبمجالس الذكر ويكفر القعود في المسجد جنبا بالاعتكاف فيه مع الاشتغال
بالعبادة ويكفر مس المصحف محدثا باكرام المصحف وكثرة قراءة القرآن فيه وكثرة تقبيله
وبان يكتب مصحفا ويجعله وقفا ويكفر شرب الخمر بالتصدق بكل شراب حلال هو
أطيب واحب اليه وعدد جميع المعاصي غير ممكن وانما المقصود سلوك طريق المضادة
فان المرض يعالج بضده فكل ظلمة ارتفعت الى القلب بمعصية فلا يمحوها الا نور يرتفع
اليها بحسنة تضادها والمتضادات هي المناسبات ولذلك ينبغي أن يمحو كل
سيئة بحسنة من جنسها لكي تضادها فان البياض يزال بالسواد وكالحرارة والبرودة
وهذا التدريج والتحقيق من التلطف في طريق المحو فالرجاء فيه أصدق
والثقة به أكثر من أن يواظب على نوع واحد من العبادات وان كان ذلك أيضا مؤثرا
في المحو فهذا حكم ما بينه وبين الله سبحانه ويدل على أن الشيء يكفر بضده ان حب
الدنيا رأس كل خطيئة وأثر اتباع الدنيا في القلب السرور والالف اليها والحنين
اليها فلا جرم فان كل اذى يصيب المسلم ينبو بسببه قلبه عن الدنيا يكون كفارة
له اذا غلب يتجافى بالهموم والغموم عن دار الهموم وقال صلى الله عليه وسلم
من الذنوب ذنوب لا يكفرها الا الهموم وفي لفظ آخر الا الهم بطلب المعيشة
وفي حديث عائشة رضي الله عنها اذا كثرت ذنوب العبد ولم تكن له
أعمال تكفرها ادخل الله عليه الغموم فتكون كفارة لذنوبه ويقال ان الهم الذي
يدخل على القلب والعبد لا يعرفه هو ظلمة الذنوب والهم بها وشعور القلب بوقفه
للحساب وهو المطلع فان قلت هم الانسان غالبا بماله وولده وذلك
خطيئة فكيف يكون كفارة فاعلم ان الحب لذلك خطيئة والحرمان منه كفارة ولو تمتع

حقوق الله والناس

به تمت الخطيئة فقد روي ان جبريل عليه السلام دخل على يوسف عليه السلام في
السجن فقال له كيف تركت الشيخ الكئيب فقال قد حزن عليك حزن مائة ثكلى قال فما له
عند الله قال اجر مائة شهيد فاذا الهموم ايضا مكفرات حقوق الله سبحانه فهذا حكم ما بينه
وبين الله واما مظالم العباد ففيها ايضا معصية وجناية على حق الله سبحانه فان الله تعالى نهى
عن ظلم العباد ايضا فما يتعلق منه بحق الله تداركه بالندم والتحسر وترك مثله في المستقبل
والاتيان بالحسنات التي هي اضدادها فيقابل اذاه للناس بالاحسان اليهم ويكفر غصب
اموالهم بالتصدق بملكه الحلال ويكفر تناوله اعراضهم بالغيبة والقدح بالثناء على اهل
الدين وما يعرف من خصال الخير من اقرانه وامثاله ويكفر قتل النفوس باعتاق الرقاب
لان ذلك احياء اذ العبد مفقود لنفسه موجود لسيده فالاعتاق ايجاد لا يقدر الانسان
على اكثر منه فيقابل الاعدام بالايجاد وبهذا تعرف ان ما ذكرناه من سلوك طريق
المضادة في التكفير والمحو مشهود له في الشرع حيث كفر القتل باعتاق رقبة ثم اذا فعل ذلك
كله لم ينجه ولم يكفه ما لم يخرج عن مظالم العباد اما في النفوس والاموال والاعراض او القلوب
اعني به الايذاء المحض اما النفوس فان جرى عليه قتل خطأ فتوبته بتسليم الدية ووصولها
الى المستحق اما منه واما من عاقلته وهو في عهدة ذلك قبل الوصول وان كان عمدا موجبا
للقصاص فبالقصاص فان لم يعرف فيجب عليه ان يتعرف عند ولي الدم ويحكمه في روحه فان
شاء عفى عنه وان شاء قتله ولا تسقط عهدته الا بهذا ولا يجوز له الاخفاء وليس هذا كما لو
زنا او شرب او سرق او قطع الطريق او باشر ما يجب فيه حق الله سبحانه فانه لا يلزمه في التوبة
ان يفضح نفسه ويهتك ستره ويلتمس من الوالي استيفاء حق الله تعالى بل عليه ان يستتر بستر الله
ويقيم حد الله على نفسه بانواع المجاهدة والتعذيب فالعفو في محض حقوق الله قريب من
التائبين النادمين فان رفع امره الى الوالي حتى اقام عليه الحد فالحد يقع موقعه وتوبته تكون
صحيحة مقبولة عند الله تعالى بدليل ما روي ان ماعز بن مالك اتى النبي صلى الله
عليه وسلم فقال يا رسول الله اني قد ظلمت نفسي وزنيت واريد ان تطهرني
فرده فلما كان من الغد اتاه فقال يا رسول الله اني قد زنيت فرده الثانية والثالثة فلما كان في
الرابعة حفر له حفرة ثم امر به فرجم فكان الناس فيه فرقتين فقائل يقول لقد هلك لقد احاطت
به خطاياه وقائل يقول ما توبة افضل من توبة ماعز فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
لقد تاب توبة لو قسمت بين امة لوسعتهم وجاءت الغامدية فقالت يا رسول الله اني قد زنيت
فطهرني وانه قد ردها فلما كان من الغد قالت يا رسول الله لم تردني لعلك تريد ان تردني كما رددت

رددت ماعزاً فوالله إني لحبلى فقال أما لا فاذهبي حتى تلدي فلما ولدت أتت النبي صلى الله
عليه وسلم بالصبي في خرقة قالت هذا قد ولدته قال اذهبي فأرضعيه حتى تفطميه
فلما فطمته أتته بالصبي وفي يده كسرة وقالت هذا ابني قد فطمته وقد أكل الطعام فدفع الصبي
إلى رجل من المسلمين ثم أمر بها فحفر لها إلى صدرها وأمر الناس برجمها فأقبل خالد بن
الوليد بحجر فرمى رأسها فنضح الدم على وجه خالد فسبها فسمعه النبي صلى الله عليه وسلم فقال
مهلاً يا خالد فوالذي نفسي بيده لقد تابت توبة لو تابها صاحب مكس لغفر له ثم أمر بها فصلى
عليها ودفنت **وأما القصاص وحد القذف فلا بد من تحكيم المستحق
فيه** فإن كان المتناول مالاً تناوله بغصب أو خيانة أو غبن معاملة بنوع تلبيس كترويج الزيف
أو ستر عيب في المبيع أو نقص أجرة أجير أو منع أجرته فكل ذلك يجب أن يفتش عنه لا من
مدة بلوغه بل من مدة وجوده فإن ما يجب في مال الصبي يجب على الصبي إخراجه بعد البلوغ إن
كان الولي قد قصر فيه فإن لم يفعل كان ظالماً مطالباً به إذ يستوي في الحقوق المالية
الصبي والبالغ وليحاسب نفسه على الحبات والذرات من أول يوم حياته إلى يوم توبته قبل
أن يحاسب في القيامة وليناقش نفسه قبل أن يناقش فمن لم يحاسب نفسه في الدنيا طال في
الآخرة حسابه فإذا حصل مجموع ما عليه بظن غالب ونوع من الاجتهاد ممكن فليكتبه
وليكتب أسامي أصحاب المظالم واحداً واحداً وليطف في نواحي العالم وليطلبهم وليستحلهم
أو ليؤد حقوقهم وهذه التوبة تشق على الظلمة وعلى التجار فإنهم لا يقدرون على
طلب المعاملين كلهم ولا على طلب ورثتهم ولكن على كل واحد منهم أن يفعل منه ما يقدر
عليه فإن عجز فلا يبقى له طريق إلا أن يكثر من الحسنات حتى تفيض منه يوم القيامة فتؤخذ
حسناته وتوضع في موازين أرباب المظالم ولتكن كثرة حسناته بقدر كثرة مظالمه فإنه لو
تف بها حسناته حمل من سيئات أرباب المظالم عليه فيهلك بسيئات غيره فهذه طريق كل تائب
في رد المظالم وهذا يوجب استغراق العمر في الحسنات لو طال العمر بحسب طول مدة المظالم
فكيف وذلك مما لا يعرف وربما يكون الأجل قريباً فينبغي أن يكون تشمره للحسنات والوقت
ضيق أشد من تشمره الذي كان في المعاصي في متسع الأوقات هذا حكم المظالم الثابتة
في ذمته أما أمواله الحاضرة فليرد إلى المالك ما يعرف له مالكاً معيناً وما لا يعرف له مالكاً
فعليه أن يتصدق به فإن اختلط الحرام بالحلال عرف قدر الحرام بالاجتهاد وتصدق بذلك
المقدار كما سبق تفصيله في كتاب الحلال والحرام **وأما الجناية على القلوب**
بمشافهة الناس بما يسوؤهم أو بعيبهم في الغيبة فليطلب كل من تعرض له بلسانه وآذى

الصبي والبالغ سواء في حقوق المالية

إن م

قلبه بفعل من افعاله وليستحل واحدا منهم واحدا ومن مات او غاب فقد فات امره
ولا يتدارك الا بتكثير الحسنات لتؤخذ عوضا في القيمة واما من وجده واحله بطيبة قلبه
فذلك كفارة وعليه ان يعرفه قدر جنايته وتعرضه له فالاستحلال المبهم لا يكفي وربما
لو عرف ذلك وكثرة تعديه عليه لم تطب نفسه بالاحلال وادخر ذلك في القيمة ذخيرة يأخذها
من حسناته او يحمله من سيئاته فان كان في جملة جنايته على الغير ما لو ذكره وعرفه لتأذى
بمعرفته كزناه بجاريته واهله او نسبته باللسان الى عيب من خفايا عيوبه لعظم اذاه مهما
شوفه به فقد انسد عليه طريق الاستحلال فليس له الا ان يستحل ثم تبقى له عليه مظلمة
فليجبرها بالحسنات كما يجبر مظلمة الميت والغائب فاما الذكر والتعريف فهو سيئة جديدة
يجب الاستحلال منها ومهما ذكر جنايته وعرفها المجني عليه فلم تسمح نفسه بالاحلال بقيت المظلمة
عليه فان هذه حقه فعليه ان يتلطف ويسعى في مهماته واغراضه ويظهر من حبه والشفقة
عليه ما يستميل بذلك قلبه فان الانسان عبد الاحسان وكل من نفر بسيئة مال بحسنة فاذا
طاب قلبه بكثرة تودده وتلطفه سمحت نفسه بالاحلال فان ابى الا الاصرار فيكون تلطفه به
واعتذاره اليه من جملة حسناته التي يمكن ان يجبر بها في القيمة جنايته وليكن قدر سعيه
في فرحه وسرور قلبه بتودده وتلطفه كقدر سعيه في ايذائه حتى اذا قاوم احدهما الاخر
وزاد عليه اخذ ذلك منه عوضا في القيمة بحكم الله له عليه ومن اتلف في الدنيا مالا فجاء
بمثله فامتنع الذي له المال من القبول ومن الابراء فان الحاكم يحكم عليه بالقبض منه شاء او
ابى فكذلك يحكم في صعيد القيامة احكم الحاكمين واعدل المقسطين وفي المتفق
عليه من الصحيحين عن ابي سعيد الخدري ان نبي الله صلى الله عليه
وسلم قال فيمن كان قبلكم رجل قتل تسعة
وتسعين نفسا فسأل عن اعلم اهل الارض فدل على راهب فأتاه فقال انه
قتل تسعة وتسعين فهل لي من توبة قال لا فقتله فكمل به مائة ثم سأل عن اعلم اهل الارض
فدل على رجل عالم فقال انه قتل مائة نفس فهل له من توبة قال نعم ومن يحول بينه وبين التوبة
انطلق الى ارض كذا وكذا فان بها اناسا يعبدون الله تعالى فاعبد الله معهم ولا ترجع الى ارضك
فانها ارض سوء فانطلق حتى اذا انصف الطريق اتاه الموت فاختصمت فيه ملائكة الرحمة وملائكة
العذاب فقالت ملائكة الرحمة جاء تائبا مقبلا الى الله تعالى بقلبه وقالت ملائكة العذاب
انه لم يعمل خيرا قط فأتاهم ملك في صورة ادمي فجعلوه بينهم فقال قيسوا بين الارضين فالى
ايتهما كان ادنى فهو لها فقاسوا فوجدوه ادنى الى الارض التي اراد فقبضته ملائكة الرحمة

مطلب في قبول التوبة

الرحمة وفي رواية فكان إلى القرية الصالحة أقرب منها بشبر فجعل من أهلها **وفي
رواية** فأوحى الله إلى هذه أن تباعدي وإلى هذه أن تقربي وقال قيسوا بينهما فوجدوه
إلى هذه أقرب بشبر فغفر له فبهذا تعرف أنه لا خلاص إلا برجحان ميزان الحسنات ولو بمثقال
ذرة فلابد للتائب من تكثير الحسنات هذا حكم القصد المتعلق بالماضي فأما العزم المرتبط
بالاستقبال فهو أن يعقد مع الله عقدا مؤكدا ويعاهده بعهد وثيق لا يعود إلى تلك الذنو
ب ولا إلى أمثالها كالذي يعلم في مرضه أن الفاكهة تضره مثلا فيعزم عزما جزما أن لا يتناول
الفاكهة ما لم يزل فإن هذا العزم يتأكد في الحال وإن كان يتصور أن تغلبه الشهوة في
ثاني الحال ولكن لا يكون تائبا ما لم يتأكد عزمه في الحال ولا يتصور أن يتم ذلك للتائب في
أول مرة إلا بالعزلة والصمت وقلة الأكل والنوم وإحراز قوت حلال فإن كان له مال
موروث حلال أو كانت له حرفة يكتسب بها قدر الكفاية فليقتصر على ذلك فإن رأس المعاصي
أكل الحرام فكيف يكون تائبا مع الإصرار عليه ولا يكتفي بالحلال وترك الشبهات من لا يقدر
على ترك الشهوات في المأكولات والملبوسات **وقال بعضهم من صدق في ترك
شهوة وجاهد نفسه لله سبع مرات** لم يبتل بها وقال آخر من تاب عن ذنب
واستقام على التوبة سبع سنين لم يعد إليه أبدا **ومن مهمات التائب**
إذا لم يكن عالما أن يتعلم ما يجب عليه في المستقبل وما يحرم عليه حتى يمكنه الاستقامة
وإن لم يؤثر العزلة لم تتم له الاستقامة وإن لم يؤثر الاستقامة المطلقة إلا أن يتوب عن
بعض الذنوب كالذي يتوب عن الشرب والزنا والغصب مثلا وليس هذه توبة مطلقة وقد
قال بعض الناس إن هذه التوبة لا تصح وقال قائلون تصح ولفظ الصحة في هذا المقام
مجمل بل نقول لمن قال لا تصح إن عنيت بقولك إن تركه بعض الذنوب لا يفيد أصلا بل وجوده كعدمه
فما أعظم خطأك فإنا نعلم أن كثرة الذنوب سبب لكثرة العقاب وقلتها سبب لقلته
ونقول لمن قال تصح إن أردت بقولك إن التوبة عن بعض الذنوب توجب قبولا يوصل إلى النجاة
والفوز بترك الجميع هذا حكم الظاهر ولسنا نتكلم في خفايا أسرار عفو الله ويقال
لمن ذهب إلى أنها لا تصح إن أردت بقولك التوبة عبارة عن الندم وإنما يندم على السرقة
مثلا لكونها معصية لا لكونها سرقة ويستحيل أن يندم عليها دون الزنا إن كان توجعه
لأجل المعصية فإن العلة شاملة لهما إذ من يتوجع على قتل ولده بالسيف يتوجع
على قتله بالسكين لأن توجع العبد بفوات محبوبه سواء كان بالسيف أو بالسكين
فكذلك توجع العبد بفوات محبوبه وذلك بالسرقة سواء عصى بالسرقة أو بالزنا فكيف

يتوجع على البعض دون البعض فالندم حالة يوجبها العلم بكون المعصية مفوتة للمحبوب من
حيث انها معصية فلا يتصور ان يكون على بعض المعاصي دون البعض ولو جاز هذا لجاز ان يتوب
من شرب الخمر من احد الدنين دون الاخر فان استحال ذلك من حيث ان المعصية في الخمرين
واحدة وانما الدنان ظروف فكذلك اعيان المعاصي آلات للمعصية والمعصية من حيث
مخالفة الامر واحدة فاذا معنى الصحة ان الله وعد التائبين رتبة تلك الرتبة لا تنال الا
بالندم ولا يتصور الندم على بعض المتماثلات فهو كالملك المرتب على الايجاب والقبول
فانه اذا لم يتم الايجاب والقبول نقول ان العقد لم يصح اي لم يترتب عليه الثمرة وهو الملك
وتحقيق هذا ان ثمرة مجرد الترك ان ينقطع عنه عقاب ما تركه وثمرة الندم تكفير ما سبق
فترك السرقة لا يكفر السرقة بل الندم عليها يكفرها ولا يتصور الندم الا لكونها معصية
وذلك يعم جميع المعاصي وهذا كلام مفهوم واقع يستنطق المنصف بتفصيل به ينكشف الغطاء
فنقول التوبة عن بعض الذنوب لا تخلو اما ان تكون عن الكباير دون الصغاير فممكنة
لانه يعلم ان الكباير اعظم عند الله واجلب لسخط الله ومقته والصغاير اقرب الى تطرق العفو عنه
فلا يستحيل ان يتوب عن الاعظم ويتندم عليه كالذي يجني على اهل الملك وحرمه ويجني على دابته
فيكون خايفا من الجناية على الاهل مستحقرا للجناية على الدابة فالندم بحسب استعظام الذنب
واعتقاد كونه مبعدا عن الله وهذا ممكن وجوده في الشرع فقد كثر التائبون في الاعصار
ولم يكن احد منهم معصوما فلا تستدعي التوبة العصمة والطبيب قد يحذر المريض العسل
تحذيرا شديدا ويحذره السكر تحذيرا اخف منه على وجه يشعر معه فانه ربما لا يظهر
ضرر السكر اصلا فيتوب المريض بقوله عن العسل دون السكر فهذا غير محال وجوده
وان اكلهما جميعا بحكم شهوته ندم على اكل العسل دون السكر الثاني ان يتوب عن بعض
الكباير دون البعض وهذا ايضا ممكن لاعتقاده ان بعض الكباير اشد واغلظ عند الله تعالى
كالذي يتوب عن القتل والنهب والظلم ومظالم العباد لعلمه بان ديوان العباد لا يترك
وما بينه وبين الله يتسارع العفو اليه فهذا ايضا ممكن كما في تفاوت الصغاير والكباير
لان الكباير ايضا متفاوتة في انفسها وفي اعتقاد مرتكبها وكذلك قد يتوب عن بعض الكباير
التي لا تتعلق بالعباد كما يتوب عن شرب الخمر دون الزنا مثلا اذ يتضح له ان الخمر مفتاح
الشرور وانه اذا زال عقله ارتكب جميع المعاصي وهو لا يدري فيحسب ترجح شرب الخمر
عنده ينبعث منه خوف يوجب ذلك تركا في المستقبل وندما على الماضي **الثالث**
ان يتوب عن صغيرة او صغاير وهو مصر على كبيرة يعلم انها كبيرة كالذي

كالذي يتوب عن الغيبة أو عن النظر الى غير محرم وما يجري مجراه وهو مصر على شرب الخمر
وذلك ايضا ممكن ووجه امكانه انه ما من مؤمن الا وهو خائف على معاصيه ونادم
على فعله ندما اما ضعيفا واما قويا ولكن تكون لذة نفسه في تلك المعصية أقوى
من الم قلبه في الخوف منها لاسباب توجب ضعف الخوف من الجهل والغفلة واسباب
توجب قوة الشهوة فيكون الندم ولكن لا يكون مليا بترك العزم ولا قويا عليه فان سلم
عن شهوة اقوى منه لم يعارضه الا ما هو اضعف منه قهر الخوف الشهوة وغلبها
واوجب ذلك ترك المعصية وقد تشتد ضراوة الفاسق بالخمر فلا يقدر على الصبر عنه
ويكون له ضراوة ما بالغيبة وثلب الناس والنظر الى غير محرم وخوفه من الله قد بلغ يقمع هذه
الشهوة الضعيفة دون القوية فيوجب عليه جند الخوف انبعاث العزم للترك بل يقول هذا
الفاسق في نفسه ان قهرني الشيطان بواسطة غلبة الشهوة القوية دون الضعيفة
في بعض المعاصي فلم ينبغي ان اخلع العذار وارخي العنان بالكلية بل اجاهده في بعض المعاصي
فعساني اغلبه فيكون قهري له في البعض كفارة البعض ذنوبي ولو لم يتصور هذا
لما تصور من الفاسق ان يصلي ويصوم ولقيل له ان كانت صلاتك لغير الله فلا يصح وان
كانت لله فاترك الفسق لله فان امر الله فيه واحد فلا يتصور ان تقصد بصلاتك التقرب
الى الله ما لم تتقرب بترك الفسق وهذا محال بل يقول لله علي امران ولي على
المخالفة فيهما عقوبتان وانا ملي في احدهما بقهر الشيطان عاجز عنه في الاخر فانا اقهره
فيما اقدر عليه وارجو بمجاهدتي فيه ان يكفر عني ما عجزت عنه لفرط شهوتي فكيف
لا يتصور هذا وهذا حال كل مسلم اذ لا مسلم الا وهو جامع بين معصية الله وطاعته
ولا سبب له الا هذا فاذا فهم هذا فهم ان غلبة الخوف للشهوة في بعض الذنوب
ممكن وجوده والخوف اذا كان من فعل ماض اورث الندم والندم يورث العزم وقد
قال عليه السلام الندم توبة ولم يشترط الندم على كل ذنب وقال التائب من الذنب
كمن لا ذنب له ولم يقل التائب من الذنوب كلها وبهذه المعاني يتبين ان التوبة عن
بعض الزلات غير ممكن لانها متماثلة في حق الشهوة وفي حق التعرض لسخط الله تعالى نعم
يجوز ان يتوب عن الخمر دون النبيذ لتفاوتهما في حق الشهوة في اقتضاء السخط
ويتوب عن الكثير دون القليل لان لكثرة المعصية تاثيرا في كثرة العقوبة
فيساعد الشهوة بالقدر الذي يعجز عنه ويترك بعض شهواته لله كالذي حذره الطبيب
الفاكهة فانه يتناول قليلها ولا يستكثر منها فقد حصل من هذا انه لا يمكن ان

يتوب عن شيء ولا يتوب عن مثله بل لا بد أن يكون ما تاب عنه مخالفاً لما بقي عليه إما في
شدة المعصية أو في غلبة الشهوة فإذا حصل هذا التفاوت في اعتقاد التائب تصور
اختلاف حاله في الخوف والندم فيتصور اختلاف حاله في الترك فندمه على ذلك الذنب
ووفاؤه بعزمه على الترك يلحقه بمن لم يذنب وإن لم يكن قد أطاع الله في جميع الأوامر
والنواهي **فإن قلت** هل تصح توبة العنين من الزنا الذي قارفه
قبل طريان العنة فأقول لا لأن التوبة عبارة عن ندم يبعث العزم على الترك فيما يقدر
على فعله وما لا يقدر على فعله انعدم بنفسه لا بتركه إياه ولكني أقول لو طرأ عليه بعد
العنة كشف ومعرفة تحقق له ضرر الزنا الذي قارفه وثار منه احتراق وتحسر وندم لو
كانت شهوة الوقاع باقية لكانت حرقة الندم تقمع تلك الشهوة وتغلبها فإني أرجو
أن يكون ذلك مكفراً لذنبه وماحياً عنه سيئته إذ لا خلاف فإنه لو تاب قبل طريان العنة
ومات عقيب التوبة كان من التائبين وإن لم تطرأ عليه حالة تهيج فيها الشهوة وتتيسر
أسباب القضاء للشهوة ولكنه تائب باعتبار أن ندمه بلغ مبلغاً أوجب صرف قصده عن الزنا
لو ظهر فإذاً لا يستحيل أن يبلغ قوة الندم في حق العنين هذا المبلغ إلا أنه لا يعرفه من
نفسه فإن كل من لا يشتهي شيئاً يقدر نفسه قادراً على تركه بأدنى خوف والله مطلع على
ضميره وعلى مقدار ندمه فعساه يقبله منه بل الظاهر أنه يقبله والحقيقة في هذا
ترجع إلى أن ظلمة المعصية تنمحي عن القلب بشيئين أحدهما حرقة الندم والآخر شدة
المجاهدة بزوال الشهوة ولكن ليس محالاً أن يقوى الندم بحيث يقوى على محوه دون المجاهدة
ولولا هذا لقلنا إن التوبة لا تقبل ما لم يعش التائب بعد التوبة مدة يجاهد نفسه
في عين تلك الشهوة مرات كثيرة وذلك مما لا يدل ظاهر الشرع على اشتراطه أصلاً
فإن قلت إذا فرضنا تائبين أحدهما سكنت نفسه عن النزوع إلى الذنب
والآخر بقي في نفسه نزوع إليه وهو يجاهدها ويمنعها فأيهما أفضل فاعلم أن هذا مما
اختلف العلماء فيه فقال أحمد بن أبي الحواري وأصحاب أبي سليمان الداراني
إن المجاهد أفضل لأن له مع التوبة فضل الجهاد وقال علماء البصرة ذلك
الآخر أفضل لأنه لو فتر في توبته كان أقرب إلى السلامة من المجاهد الذي هو في عرضة
الفتور عن المجاهدة وما قاله كل واحد من الفريقين لا يخلو عن حق وعن قصور
عن كمال الحقيقة والحق فيه أن الذي انقطع نزوع نفسه له حالتان **الحالة الأولى**
أن يكون انقطاع نزوع نفسه إليه بفتور في نفس الشهوة فقط فالمجاهد أفضل

افضل من هذا اذ تركه بالمجاهدة قد دل على قلة يقينه واستيلاء دينه على شهوته فهو
دليل قاطع على قوة الدين وعلى قوة اليقين واعني بقوة اليقين قوة الارادة التي تنبعث
باشارة اليقين وقمع الشهوة المنبعثة باشارة الشياطين فهاتان قوتان تدل على المجاهدة
عليهما قطعا وقول القائل ان هذا اسلم اذ لو فتر لا يعود الى الذنب هو صحيح ولكن استعمال
لفظ الافضل فيه خطأ وهو كقول القائل العنين افضل لانه في امن من خطر الشهوة والصبي
افضل من البالغ لانه اسلم والمفلس افضل من الملك القاهر القامع لاعدائه لان المفلس
لا عدو له والملك ربما يغلب مرة وان غلب مرات وهذا كلام رجل سليم القلب قاصر النظر
على الظواهر غير عالم بان العز في الاخطار وان العلو من شرطه اقتحام الاعداء بل هو
كقول القائل الصياد الذي ليس له فرس ولا كلب افضل في صناعة الاصطياد واعلى رتبة
من صاحب الكلب والفرس اذ كان قويا عالما بطريق تاديبهما اعلى رتبة واحرى بدرك
سعادة الصيد **الحالة الثانية** ان يكون بطلان النزوع بسبب قوة اليقين
وصدق المجاهدة السابقة اذ بلغ مبلغا قمع هيجان الشهوة حتى تادبت بادب الشرع
فلا تهيج الا باشارة الدين وقد سكنت بسبب استيلاء الدين عليها فهذا اعلى رتبة
من المجاهد المقاسي لهيجان الشهوة وقمعها وقول القائل لذة الجهاد وفضل الجهاد قصور
عن الاحاطة بمقصود الجهاد فان الجهاد ليس مقصودا لعينه بل المقصود قطع ضرر
العدو حتى لا يستجرك الى شهواته وان عجز عن استجرارك فلا يصدك عن طريق سلوك الدين
فاذا قهرته وحصلت المقصود فقد ظفرت وما دمت في المجاهدة فانت بعد في طلب
الظفر ومثال من قهر العدو واسترقه بالاضافة الى من هو مشغول بالجهاد
في صف القتال ولا يدري كيف تسلم ومثاله ايضا من علم كلب صيد وراض
الفرس فهما معدان عنده وبعد ترك الكلب الضراوة والفرس الجماح بالاضافة الى من
هو مشغول بمقاساة التاديب بعد ولقد زل في هذا فريق فظنوا ان الجهاد هو
المقصود الاقصى ولم يعلموا ان ذلك طلب الخلاص من عوائق الطريق وظن اخرون ان قمع
الشهوات واماتتها بالكلية مقصود حتى جرب بعضهم نفسه في ذلك فعجز عنه فقال
هذا محال فكذب بالشرع وسلك سبيل الاباحة واسترسل في اتباع الشهوات وكل
ذلك جهل وضلال وقد ذكرنا ذلك في كتاب رياضة النفس من ربع المهلكات ٥
فان قلت فما قولك في تائبين احدهما نسي الذنب ولم يشتغل بالفكر فيه والاخر
جعله نصب عينيه ولا يزال يتفكر فيه ويحترق ندما عليه ايهما افضل فاعلم ان هذا

مطلب

أيضاً قد اختلفوا فيه فقال بعضهم حقيقة التوبة أن تنصب ذنبك بين عينيك وقال
آخرون حقيقة التوبة أن تنسى ذنبك وكل واحد من هذين القولين عندنا حق ولكن
بالإضافة إلى حالين وكلام المتصوفة أبداً يكون قاصراً فإن عادة كل واحد منهم
أن يخبر عن حال نفسه فقط ولا يهمه حال غيره فتختلف الأجوبة لاختلاف الأحوال وهذا
أيضاً نقصان بالإضافة إلى درجة العلم فإن معرفة الأشياء على ما هي عليه أفضل
وأعلى ولكنه كمال بالإضافة إلى الهمة والإرادة والجد وحيث يكون صاحبه مقصور
النظر على حال نفسه لا يهمه أمر غيره إذ طريقه إلى الله نفسه ومنازله أحواله وقد
يكون طريق العبد إلى الله العلم والتعليم فالطرق كثيرة وإن كانت مختلفة في القرب
والبعد والله أعلم بمن هو أهدى سبيلاً مع الاشتراك في أصل الهداية فأقول
تصور الذنب وذكره والتفجع عليه في حق المبتدي المريد لأنه إذا نسيه لم يكثر احتراقه
فلا تقوى إرادته وانبعاثه لسلوك الطريق ولأن ذلك يستخرج منه الحزن والخوف
الوازع عن الرجوع إلى مثله فهو بالإضافة إلى الغافل كمال ولكنه بالإضافة إلى سالك
الطريق نقصان فإنه شغل مانع عن سلوك الطريق بل سالك الطريق ينبغي أن لا يعرج
على غير السلوك فإن ظهرت له مبادي الوصول وانكشفت له أنوار المعرفة ولوامع
الغيب استغرقه ذلك ولم يبق فيه متسع للالتفات إلى ما سبق من أحواله وهو الكمال
بل لو عاق عن الطريق إلى بلد من البلاد نهر حاجز طال تعب المسافر في عبوره من حيث إنه
كان قد خرب جسره من قبل فجلس على شاطئ النهر بعد عبوره يبكي متأسفاً على تخريبه الجسر
كان هذا مانعاً آخر اشتغل به بعد الفراغ عن ذلك المانع الأول نعم إن لم يكن الوقت
وقت الرحيل بل كان ليلاً فتعذر السلوك فكان على طريقه أنهار وهو يخاف على نفسه أن
يخربها فليبطل بالليل بكاؤه وحزنه على تخريب الجسر ليتأكد بطول الحزن عزمه على أن لا يعود
إلى مثله فإن حصل له من التنبيه ما وثق بنفسه أنه لا يعود إلى مثله فسلوك الطريق
أولى به من الاشتغال بذكر تخريب الجسر والبكاء عليه وهذا لا يعرفه إلا من عرف
الطريق والمقصد والعائق وطريق السلوك وقد أشرنا إلى تلويحات منه في كتاب العلم
وفي ربع المهلكات بل نقول شرط دوام التوبة أن يكون كثير الفكر في
النعيم في الآخرة لتزيد رغبته ولكن إذا كان شاباً فلا ينبغي أن يطيل فكره في كل ما له نظير
في الدنيا كالحور والقصور فإن ذلك الفكر ربما حرك رغبته فيطلب العاجلة ولا يرضى
بالآجلة بل ينبغي أن يتفكر في لذة النظر إلى وجه الله سبحانه فقط فذلك لا نظير له

له في الدنيا فكذلك تذكر الذنب قد يكون محركا للشهوة فالمبتدي أيضا قد يستضر بذلك فيكون النسيان أفضل له عند ذلك ولا يصدنك عن هذا التصديق بهذا التحقيق ما حكي لك عن بكاء داود عليه السلام ونياحته فإن قياسك نفسك على الأنبياء عليهم السلام قياس في غاية الاعوجاج لأنهم قد ينزلون في أقوالهم وأفعالهم إلى الدرجات اللائقة بأممهم لأنهم ما بعثوا إلا لإرشادهم فعليهم التلبس بما ينتفع أممهم بمشاهدته وإن كان ذلك نازلا عن ذروة مقاماتهم فلقد كان في الشيوخ من لا يشير على مريده بنوع رياضة إلا ويخوض معه فيها وقد كان مستغنيا عن ذلك لفراغه عن المجاهدة وتأديب النفس ولكن تسهيلا للأمر على المريد ٥

ولذلك قال عليه السلام أما إني لا أنسى ولكن أنسى لأشرع

ولا تعجب من هذا فإن الأمم في كنف الأنبياء عليهم السلام كالصبيان في كنف شفقة الآباء وكالمواشي في كنف الرعاة أما ترى الأب إذا أراد أن يستنطق ولده الصغير كيف ينزل إلى درجة نطق الصبي كما قال صلى الله عليه وسلم للحسن رضي الله عنه كخ كخ لما أخذ تمرة من تمر الصدقة ووضعها في فيه وما كانت فصاحته تقصر عن أن يقول ارم هذه التمرة فإنها حرام ولكن إذا علم أنه لا يفهم منطقه ترك فصاحته ونزل إلى لكنته بل الذي يعلم شاة أو طائرا يصوت رغاء وصفيرا تشبها بالبهيمة والطائر تلطفا في تعليمه فإياك أن تغفل عن أمثال هذه الدقائق فإنها مزلة أقدام العارفين فضلا عن الغافلين

بيان أقسام العباد

في دوام التوبة ٥

أعلم أن طبقات الناس أربع الطبقة الأولى أن يتوب العاصي ويستقيم على التوبة إلى آخر عمره فيتدارك ما فرط من أمره ولا يحدث نفسه بالعود إلى ذنوبه إلا الزلات التي لا ينفك البشر عنها في العادات مهما لم يكن في رتبة النبوة فهذا هو الاستقامة في التوبة وصاحبها هو السابق بالخيرات المستبدل بالسيئات حسنات واسم هذه التوبة التوبة النصوح واسم هذه النفس الساكنة النفس المطمئنة التي ترجع إلى ربها راضية مرضية وهؤلاء هم الذين لهم الإشارة بقوله عليه السلام سبق المفردون ٥ المستهترون بذكر الله وضع الذكر أوزارهم فوردوا القيامة خفافا فإن فيه إشارة إلى أنهم كانوا تحت أوزار وضعها الذكر عنهم وأهل هذه الطبقة على رتب

مطلب

بيان أقسام العباد

نفس المطمئنة والراضية

من حيث النزوع إلى الشهوات فمن تائب سكنت شهواته تحت قهر المعرفة ففتر نزاعها
ولم يشغله عن السلوك صراعها وإلى من لا ينفك عن منازعة النفس ولكنه مليّ ب
مجاهدتها وردّها ثم تتفاوت درجات النزاع أيضا بالكثرة والقلة وباختلاف المدة
وباختلاف الأنواع وكذلك يختلفون من حيث طول العمر فمن مختطف قريبا من توبته يغبط
على ذلك لسلامته وموته قبل الفترة ومن ممهل طال جهاده وصبره وتمادت استقامته
وكثرت حسناته وحال هذا أعلى وأفضل إذ كل سيئة فإنما تمحوها حسنة حتى قال بعض العلماء
إنما يكفر الذنب الذي ارتكبه العاصي أن يتمكن منه عشر مرات مع صدق الشهوة ثم يصبر
عنه ويكسر شهوته خوفا من الله تعالى واشتراط هذا بعيد وإن كان لا ينكر عظم أثره
لو فرض ولكن لا ينبغي للمريد الضعيف أن يسلك هذه الطريق فتهيج الشهوة وتحضر الأسباب
حتى يتمكن ثم يطمع في الانكفاف فإنه لا يأمن من خروج عنان الشهوة عن اختياره فيقدم
على المعصية وينقض توبته بل طريقه الفرار من ابتداء أسبابه الميسرة له حتى يسد
طرقها على نفسه ويسعى مع ذلك في كسر شهوته بما يقدر عليه فبه تسلم توبته في الابتداء

الطبقة الثانية تائب سلك طريق الاستقامة في أمهات الطاعات
واجتناب كبائر الفواحش إلا أنه ليس ينفك عن ذنوب تعتريه لا عن عمد وصمد وتجريد
قصد ولكن يبتلى بها في مجاري أحواله من غير أن يقدم عزما على الإقدام عليها
ولكنه كلما أقدم عليها لام نفسه وندم وتأسف وجدد عزمه على أن يتشمر للاحتراز
من أسبابها التي تعرضه لها وهذه النفس جديرة بأن تكون هي النفس اللوامة إذ
تلوم صاحبها على ما يستهدف له من الأحوال الذميمة لا عن تصميم عزم وتخمين رأي
وقصد وهذه أيضا رتبة عالية وإن كانت نازلة عن الطبقة الأولى وهي أغلب أحوال
التائبين لأن الشر معجون بطينة الآدمي فقلما ينفك عنه وإنما غاية سعيه أن
يغلب خيره شره حتى يثقل ميزانه فترجح كفة الحسنات فأما أن تخلو بالكلية كفة
السيئات فذلك غاية البعد وهؤلاء لهم حسن الوعد من الله سبحانه إذ قال الذين
يجتنبون كبائر الإثم والفواحش إلا اللمم إن ربك واسع المغفرة فكل إلمام يقع
بصغيرة لا عن توطين نفس عليه فهو جدير بأن يكون من اللمم المعفو عنه وقد
قال سبحانه والذين إذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا
لذنوبهم فأثنى عليهم مع ظلمهم أنفسهم لتندمهم ولومهم أنفسهم على ذلك وإلى
مثل هذه الرتبة الإشارة بقوله عليه السلام فيما رواه عنه علي رضي الله عنه

نفس اللوامة

عنده خيار كم كل مفتن تواب وفي خبر آخر المؤمن كالسنبلة تفي
أحيانا وتميل أحيانا وفي الخبر لا بد للمؤمن من ذنب يأتيه الفينة بعد الفينة
أي الحين بعد الحين فكل ذلك أدلة قاطعة على أن هذا القدر لا ينقض التوبة ولا يلحق صاحبها
بدرجة المصرين ومن يؤيس مثل هذا عن درجة التائبين كالطبيب الذي يؤيس الصحيح من دوام
الصحة بما يتناوله من الفاكهة والأطعمة الحارة مرة بعد أخرى من غير مداومة واستمرار
وكالفقيه الذي يؤيس المتفقه عن نيل درجة الفقهاء بفتوره عن التكرار والتعليق في
أوقات نادرة غير متطاولة ولا كثيرة فذلك يدل على نقصان الطبيب والفقيه بل
الفقيه في الدين هو الذي لا يؤيس الخلق عن درجات السعادات بما يتفق لهم من الفترات
ومقارفة السيئات المختطفات قال صلى الله عليه وسلم كل بني آدم
خطاء وخير الخطائين المستغفرون وقال عليه السلام المؤمن
واه راقع فخيرهم من مات على رقعه أي واه بالذنوب راقع بالتوبة والندم وقال
تعالى أولئك يؤتون أجرهم مرتين بما صبروا ويدرؤن بالحسنة السيئة فما وصفهم
بعدم السيئة أصلا

الطبقة الثالثة أن يتوب ويستمر على الاستقامة

مدة ثم تغلبه شهوته في بعض الذنوب فيقدم عليها عن صدق وقصد شهوة لعجزه
إلا أنه مع ذلك مواظب على الطاعات وتارك جملة من الذنوب مع القدرة والشهوة
وإنما قهرته هذه الشهوة الواحدة أو الشهوتان وهو يود لو أقدره الله على قمعها
وكفاه شرها هذه أمنيته في حال قضاء الشهوة وعند الفراغ يتندم ويقول ليتني
لم أفعله وسأتوب عنه وأجاهد نفسي في هذا وفي قهره لكنه تسول نفسه ويسوف
توبته من بعد مرة ويوما بعد يوم فهذه النفس هي التي تسمى النفس المسولة
وصاحبها من الذين قال الله فيهم وآخرون اعترفوا بذنوبهم خلطوا عملا صالحا
وآخر سيئا فأمره من حيث مواظبته على الطاعات وكراهيته لما تعاطاه مرجو فعسى
الله أن يتوب عليه وعاقبته مخطرة من حيث تسويفه وتأخيره فربما يختطف قبل
التوبة ويقع أمره في المشيئة فإن تداركه الله تعالى بفضله وجبر كسره وامتن
عليه بالتوبة التحق بالسابقين وإن غلبت عليه شقوته وقهرته شهوته فيخشى عليه
أن يحق عليه في الخاتمة ما سبق عليه من القول ما سبق في الأزل لأنه مهما تعذر
على المتفقه مثلا الاحتراز عن شواغل العلم دل تعذره على أنه سبق له في الأزل

ان يكون من الجاهلين فضعف الرجا في حقه واذا تيسرت له اسباب المواظبة على
التحصيل دل على انه سبق له في الازل ان يكون من جملة العالمين فكذلك ارتباط سعادات
الاخرة ودركاتها بالحسنات والسيئات بحكم تقدير مسبب الاسباب كارتباط المرض
والصحة بتناول الاغذية والادوية وارتباط حصول فقه النفس الذي به يستحق المناصب
العلية في الدنيا بترك الكسل والمواظبة على تفقيه النفس فكما لا يصلح لملك الاخرة
ونعيمها ولا للقرب من رب العالمين الا قلب سليم صار طاهرا بطول التزكية والتطهير
هكذا سبق في الازل بتدبير رب الارباب ولذلك قال سبحانه ونفس وما
سواها فالهمها فجورها وتقواها قد افلح من زكاها وقد خاب من دساها فمهما وقع المجد
في ذنب فصار الذنب نقدا والتوبة نسيئة كان هذا من علامات الخذلان قال
صلى الله عليه وسلم ان العبد ليعمل بعمل اهل الجنة سبعين سنة حتى
يقول انه من اهلها ولا يبقى بينه وبينها الا شبر فيسبق عليه الكتاب
بعمل اهل النار فيدخلها فاذا الخوف من الخاتمة قبل التوبة فكل نفس فهو خاتمة اذ يمكن
ان يكون الموت متصلا به فليراقب الانفاس والا اذا وقع المحذور ودامت الحسرات حيث
لا ينفع التحسر

الطبقة الرابعة ان يتوب ويجري مدة على الاستقامة

ثم يعود الى مقارفة الذنوب من غير ان يحدث نفسه بالتوبة
ومن غير ان يتاسف على فعله بل ينهمك انهماك الغافل في اتباع شهواته فهذا من
جملة المصرين وهذه النفس هي النفس الامارة بالسوء الفرارة من الخير ويخاف على
هذا سوء الخاتمة وامره في مشيئة الله فان ختم له بالسوء شقي شقاوة لا اخر لها
وان ختم له بالحسنى حتى مات على التوحيد فينتظر له الخلاص من النار ولو بعد حين ولا
يستحيل ان يشمله عموم العفو بسبب خفي لا يطلع عليه احد كما لا يستحيل ان يدخل
الانسان خربا ليجد كنزا فيتفق ان يجده ولا ان يجلس في البيت ليجعله الله عالما
بالعلوم من غير تعلم كما كان الانبياء صلوات الله وسلامه عليهم وطلب المغفرة بالطاعات
كطلب العلم بالجهد والتكرار وطلب المال بالتجارة وركوب البحار وطلبها بمجرد الرجا
مع خراب الاعمال كطلب الكنوز في المواضع الخربة وطلب العلوم من تعليم الملائكة
وليت من اجتهد تعلم وليت من اتجر استغنى وليت من صلى وصام غفر له فالناس
كلهم محرومون الا العالمين والعالمون محرومون الا العاملين والعاملون محرومون
الا المخلصين والمخلصون على خطر عظيم وكما ان من خرب بيته وضيع ماله وترك

نفس امارة بالسوء

مثال طلب مغفرة الله

مطلب الاحمق المغرور

وترك نفسه وعياله جياعاً يزعم بأنه ينتظر فضل الله بأن يرزقه كنزاً اجده تحت الارض
في بيته الخرب بعد عند ذوي البصاير من الحمقى والمغرورين وإن كان ما ينتظر غير
مستحيل في قدرة الله وفضله فكذلك من ينتظر المغفرة من فضل الله وهو مصر على
الذنوب غير سالك سبيل المغفرة معدود عند ارباب القلوب من المعتوهين والعجب
من عقل هذا المعتوه وترويجه حماقته في صيغة حسنة إذ يقول ان الله كريم
وجنته ليست تضيق عن مثلي ومعصيتي ليست تضره ثم تراه يركب البحار ويقتحم
الاوعار في طلب الدينار واذا قيل له ان الله كريم وخزاينه ليست تضيق ولا تقصر
عن فقرك وكسلك بترك التجارة ليس يضره فاجلس في بيتك فعساه يرزقك من
حيث لا تحتسب فيستحمق قايل هذا الكلام ويستهزئ ويقول ما هذا الهوس السماء
لا تمطر ذهبا ولا فضة وانما ينال ذلك بالكسب فهذا قدره رب الارباب
واجرى به سنته ولا تبديل لكلمات الله ولا يعلم ان رب الاخرة ورب الدنيا واحد
وان سنته لا تبديل لها فيهما جميعا وانه قد اخبره اذ قال سبحانه وان ليس
للانسان إلا ما سعى وكيف يعتقد انه كريم في الاخرة وليس بكريم في الدنيا
وكيف يقول ليس مقتضى الكرم الفتور عن كسب المال ومقتضاه الفتور عن
الملك المقيم والنعيم الدايم فان ذلك بحكم الكرم يعطيه من غير جهد وهذا
يمنعه مع شدة الاجتهاد في غالب الامر فنعوذ بالله من العمى والضلال فما
هذا الانتكاس على ام الراس والانغماس في ظلمات الجهل وصاحبه جدير بان يكون داخلا
تحت قوله سبحانه ولو ترى اذ المجرمون ناكسوا رؤسهم عند ربهم ربنا ابصرنا وسمعنا
فارجعنا نعمل صالحا إنا موقنون أي أبصرنا انك صدقت اذ قلت وان ليس للانسان
إلا ما سعى فارجعنا نسعى وعند ذلك لا يمكن من الانقلاب وتحق عليه العذاب
فنعوذ بالله من دواعي الجهل والشك والارتياب السابق بالضرورة الى سوء
المنقلب والماب

بيان ما ينبغي ان يبادر اليه

التايب إن جرى عليه ذنب اما عن قصد وشهوة
غالبة أو عن المام بحكم الاتفاق

اعلم ان الواجب عليه التوبة والندم والاشتغال
بالتكفير في كل حسنة تضاد كل ذنب من ذنوبه كما ذكرنا طريقه فان لم تساعده النفس
على العزم على الترك لغلبة الشهوة فقد عجز عن احد الواجبين فلا ينبغي ان يترك
الواجب الثاني وهو ان يدرأ بالحسنة السيئة ليمحوها فيكون ممن خلط عملا
صالحا وآخر سيئا والحسنات المكفرة للسيئات اما بالقلب واما باللسان وليكن
الحسنة في محل السيئة وما يتعلق بأسبابها فاما في القلب فيكفره بالتضرع الى الله
في سؤال المغفرة والعفو ويتذلل تذلل العبد الآبق ويكون ذلك بحيث يظهر لسائر
العباد وذلك بنقصان كبره فيما بينهم فما للعبد الآبق المذنب وجه للتكبر على
العباد وكذلك يضمر بقلبه الخيرات للمسلمين والعزم على الطاعات واما باللسان
فبالاعتراف بالظلم والاستغفار فيقول ظلمت نفسي وعملت سوءا فاغفر لي ذنوبي
وكذلك يكثر من ضروب الاستغفار كما ذكرنا في كتاب الدعوات والاذكار **واما
بالجوارح فبالطاعات والصدقات وانواع العبادات وفي الآثار**
ما يدل على ان الذنب اذا اتبع بثمانية اعمال كان العفو مرجوا **واربعة من اعمال
القلب** وهي التوبة او العزم على التوبة وحب الاقلاع عن الذنب وخوف
العقاب عليه ورجاء المغفرة له **واربعة من اعمال الجوارح**
وهو ان يصلي عقيب الذنب ركعتين ثم يستغفر الله بعدهما سبعين مرة ويقول
سبحان الله العظيم وبحمده مائة مرة ثم يتصدق بصدقة ثم يصوم يوما وفي بعض
الاخبار يصلي اربع ركعات وفي الخبر اذا عملت سيئة فاتبعها حسنة تكفرها السر
بالسر والعلانية بالعلانية ولذلك قيل صدقة السر تكفر ذنوب الليل وصدقة
الجهر تكفر ذنوب النهار **والخبر الصحيح ان رجلا قال لرسول
الله صلى الله عليه وسلم** اني عالجت امرأة فاصبت منها كل شيء الا المسيس
فاقض علي بحكم الله فقال او ما صليت معنا صلاة الغداة فقال بلى فقال
ان الحسنات يذهبن السيئات وهذا ايضا يدل على ان ما دون الزنا من معالجة النساء
صغيرة اذ جعل الصلاة كفارة لذلك بمقتضى قوله صلى الله عليه وسلم الصلوات
الخمس كفارة لما بينهن الا الكبائر فعلى الاحوال كلها ينبغي ان يحاسب نفسه كل يوم ويجمع
سيئاته ويجتهد في دفعها بالحسنات **فان قلت فكيف يكون الاستغفار**
نافعا من غير حل عقدة الاصرار وفي الخبر المستغفر من الذنب وهو مصر عليه

الطاعات يمحو الصغائر

عليه كالمستهزئ بآيات الله وكان بعضهم يقول استغفر الله من قولي استغفر الله
وقيل الاستغفار توبة الكذابين وقالت رابعة العدوية استغفارنا يحتاج الى استغفار
فاعلم انه قد ورد في فضل الاستغفار اخبار خارجة عن الحصر ذكرناها في كتاب الاذكار
والدعوات حتى قرن الله تعالى الاستغفار ببقاء الرسول عليه السلام فقال تعالى
وما كان الله ليعذبهم وانت فيهم وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون ٥
وكان بعض الصحابة رضي الله عنهم كان لنا امانان ذهب احدهما
ذهب احدهما وهو كون الرسول فينا وبقي الاستغفار فاذا ذهب هلكنا فنقول
الاستغفار الذي هو توبة الكذابين هو الاستغفار بمجرد اللسان من غير ان
يكون للقلب فيه شركة كما يقول الانسان بحكم العادة وعن رأس الغفلة
استغفر الله وكما يقول اذا سمع صفة النار نعوذ بالله من غير ان يتأثر قلبه
وهذا يرجع الى مجرد حركة اللسان ولا جدوى لها فاما اذا انضاف اليه ذلك تضرع
القلب الى الله تعالى وابتهاله في سؤال المغفرة عن صدق ارادة وخلوص رغبة
فهذه حسنة في نفسها فتصلح لان تدفع بها السيئة وعلى هذا تحمل الاخبار الواردة
في فضل الاستغفار حتى قال عليه السلام ما اصر من استغفر ولو عاد
في اليوم سبعين مرة وهو عبارة عن الاستغفار بالقلب وللتوبة والاستغفار
درجات واوايلها لا تخلوا عن الفايدة وان لم تنته الى اواخرها ولذلك قال
سهل لا بد للعبد في كل حال من مولاه فاحسن احواله ان يرجع اليه في كل شيء
فان عصى قال يا رب استر علي فاذا تاب قال يا رب ارزقني العصمة
فاذا عمل قال يا رب تقبل مني ٥ وسئل ايضا عن الاستغفار الذي يكفر
الذنوب فقال اول الاستغفار الاستجابة ثم الانابة ثم التوبة ٥
فالاستجابة اعمال الجوارح والانابة اعمال القلوب والتوبة اقباله على الله
بان يترك الخلق ثم يستغفر من تقصيره الذي هو فيه ومن الجهل بالنعمة وترك
الشكر فعند ذلك يغفر له ويكون عنده مأواه ثم التنقل الى الانفراد ثم الثبات
ثم البيان ثم القرب ثم المعرفة ثم المناجاة ثم المصافاة ثم الموالاة ثم
محادثة السر وهي الخلة ولا يستقر هذا في قلب عبد حتى يكون العلم غذاءه
والذكر قوامه والرضى زاده والتوكل صاحبه ثم ينظر الله اليه فيرفعه الى العرش
فيكون مقامه مقام حملة العرش وسئل ايضا عن قوله صلى الله عليه وسلم

الاستغفار

مطلب

التائب حبيب الله فقال انما يكون حبيب الله اذا كان فيه جميع ما ذكر في قوله
تعالى التائبون العابدون الحامدون الآية وقال ايضا الحبيب هو الذي لا يدخل
فيما يكرهه حبيبه والمقصود ان التوبة تثمر ثمرتين احداهما تكفير السيئات حتى يصير
كمن لا ذنب له والثانية نيل الدرجات حتى يصير حبيبا وللتكفير ايضا درجات
فبعضه محو لاصل الذنب بالكلية وبعضه تخفيف له وتفاوت ذلك بتفاوت
بدرجات التوبة فالاستغفار بالقلب والتدارك بالحسنات وان خلا عن حل عقدة
الاصرار في اوائل الدرجات فليس يخلو عن الفائدة اصلا فلا ينبغي ان يظن ان وجوده
كعدمه بل قد عرف اهل المجاهدة وارباب القلوب معرفة لا ريبة فيها ان قوله
سبحانه فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره صدق وانه
لا يخلو ذرة من الخير عن اثر كما لا تخلو شعيرة تطرح في ميزان عن اثر ولو
خلت الشعيرة الاولى عن اثر لكانت الثانية مثلها ولو كان لا يرجح الميزان باحاد
وذلك بالضرورة محال بل ميزان الحسنات يرجح بذرات الخيرات الى ان يثقل فيشيل كفة
السيئات فاياك ان تستصغر ذرات الطاعات فلا تأتيها وذرات المعاصي فلا
تتقيها كالمرأة الخرقاء تكسل عن المغزل تعللا بانها لا تقدر في كل ساعة الا على خيط
واحد وتقول اي غناء يحصل بخيط وما وقع خيط في الثياب ولا تدري المعتوهة
ان ثياب الدنيا اذا اجتمعت خيطا خيطا وان اجسام العالم مع اتساع اقطاره
اجتمعت ذرة ذرة فاذا التضرع والاستغفار حسنة ولا يضيع عند الله اصلا

مطلب

بل اقول الاستغفار باللسان ايضا حسنة اذ حركة اللسان

به عن غفلة خير من حركة اللسان في تلك الساعة بغيبة مسلم او فضول كلام
بل هو خير من السكوت عنه وانما يكون نقصا بالاضافة الى عمل القلب ولذلك قال
بعضهم لشيخه ابي عثمان المغربي ان لساني يجري في بعض الاحوال بالذكر والقرآن
وقلبي غافل فقال اشكر الله الذي استعمل جارحة من جوارحك في خير
وعوده الذكر ولم يستعمله في الشر ولم يعوده الفضول وما ذكره حق فان
تعود الجوارح للخيرات حتى يصير لها ذلك كالطبع يدفع جملة من المعاصي فمن تعود
لسانه الاستغفار اذا سمع من غيره كذبا سبق لسانه الى ان يقول ما احمقك
وما اقبح كذبك ومن تعود الاستعاذة اذا حدث بظهور مبادي الشر من شرير قال
بحكم سبق اللسان نعوذ بالله واذا تعود الفضول قال لعنه الله فيعصي في احدى

احدى الكلمتين ويسلم في الاخرى وسلامته اثر اعتياد لسانه الخير وهو من جملة
معاني قوله سبحانه ان الله لا يضيع اجر المحسنين ومعاني قوله وان تك حسنة
يضاعفها فانظر كيف ضاعفها اذ جعل الاستغفار في الغفلة عادة اللسان
حتى دفع بتلك العادة شر العصيان بالغيبة واللعن والفضول هذا تضعيف
في الدنيا لادنى الطاعات وتضعيف الاخرة اكبر لو كانوا يعلمون فاياك ان تلحظ في
الطاعات مجرد الآفات فتفتر رغبتك في العبادات فان هذه مكيدة روجها
بلعنته على المغرورين وخيل اليهم انهم ارباب البصائر واهل التفطن للخفايا
والسرائر فاي خير في ذكر اللسان مع غفلة القلب فانقسم الخلق في هذه
المكيدة الى ثلاثة اقسام ظالم لنفسه ومقتصد وسابق اما السابق فقال صدقت
يا ملعون ولكن هي كلمة حق اردت بها باطلا فلاجرم اعذبك مرتين وارغم انفك
من وجهين فاضيف الى حركة اللسان حركة القلب فكان كالذي داوى جرح الشيطان
بنثر الملح عليه واما الظالم لنفسه فاستشعر في نفسه خيلة للفطنة لهذه
الدقيقة ثم عجز عن الاخلاص بالقلب فترك مع ذلك تعويد اللسان بالذكر
فاسعف الشيطان وتدلى بحبل غروره وتمت بينهما المشاكلة والموافقة كما قيل
وافق شن طبقة وافقه فاعتنقه واما المقتصد فلم يقدر على ارغامه باشراك
القلب في العمل وتفطن لنقصان حركة اللسان بالاضافة الى القلب واهتدى الى
كماله بالاضافة الى السكوت والفضول فاستمر عليه وسأل الله ان يعينه على
ان يشرك القلب مع اللسان في اعتياد الخير فكان السابق كالحائك ذم حياكته
فتركها واصبح كاتبا والظالم المتخلف كالذي ترك الحياكة واصبح كناسا والمقتصد
كالذي عجز عن الكتابة فقال ـــــ لا انكر مذمة الحياكة ولكن الحائك مذموم
بالاضافة الى الكتابة لا بالاضافة الى الكناس فاذا عجزت عن الكتابة فلا اترك
الحياكة ولذلك قالت رابعة استغفارنا يحتاج الى استغفار فلا تظن انها تذم
حركة اللسان من حيث انه ذكر الله بل تذم غفلة القلب فهو يحتاج الى الاستغفار
من غفلة القلب لا من حركة لسانه فان سكت عن الاستغفار باللسان ايضا كان
احتاج الى استغفارين لا استغفار واحد فهكذا ينبغي ان تفهم ذم ما
يذم وحمد ما يحمد والا جهلت معنى ما قال القائل الصادق حسنات الابرار
سيئات المقربين فان هذه امور تثبت بالاضافة فلا ينبغي ان تؤخذ من غير اضافة

الانسان ثلثة اقسام

الاستغفار

حسنات الابرار

حسنات الابرار سيئات المقربين

اخفى ثلاثة في ثلاث

بل ينبغي أن لا يستحقر لذات الطاعات والمعاصي ولذلك قال جعفر الصادق
إن الله سبحانه أخفى ثلاثاً في ثلاث رضاه في طاعته فلا تحقروا منها شيئاً فلعل
رضاه فيه وأخفى سخطه في معصيته فلا تحقروا منها شيئاً فلعل غضبه فيه ٥
وخبأ ولايته في عباده فلا تحقروا منهم أحداً ٥

الركن الرابع في دواء التوبة وطريق العلاج لحل عقدة الإصرار

اعلم أن الناس قسمان شاب لا صبوة له نشأ على الخير واجتناب الشر وهو الذي قال فيه
رسول الله صلى الله عليه وسلم يعجب ربك من الشاب الذي ليس له صبوة وهذا
عزيز جداً **القسم الثاني** هو الذي لا يخلو عن مقارفة الذنوب ثم هم ينقسمون
إلى مصرين وإلى تائبين وغرضنا أن نبين العلاج وحل عقدة الإصرار ونذكر
الدواء فيه ٥ فاعلم أن شفاء التوبة لا يحصل إلا بالدواء ولا يقف على الدواء من
لا يقف على الداء إذ لا معنى للدواء إلا مناقضة أسباب الداء وكل داء حصل من سبب
فدواؤه حل ذلك السبب ورفعه وإبطاله ولا يبطل الشيء إلا بضده ولا سبب للإصرار إلا
الشهوة والغفلة ولا يضاد الغفلة إلا العلم ولا يضاد الشهوة إلا الصبر ٥
على قطع الأسباب المحركة للشهوة والغفلة رأس الخطايا قال تعالى ٥
أولئك هم الغافلون لا جرم أنهم في الآخرة هم الخاسرون ٥
فلا دواء إذاً للتوبة إلا معجون يعجن من حلاوة العلم ومرارة الصبر وكما يجمع في ٥
السكنجبين بين حلاوة السكر وحموضة الخل ويقصد بكل واحد منهما غرض في العلاج
بمجموعهما فيقمع الأسباب المهيجة للصفراء فهكذا ينبغي أن تفهم علاج القلب عما به من
مرض الإصرار فإذاً لهذا الدواء أصلان أحدهما العلم والآخر الصبر فلا بد من بيانهما

فإن قلت أينفع كل علم لحل الإصرار أم لا بد من علم مخصوص فاعلم أن كل
كل العلوم جملتها أدوية لأمراض القلوب ولكن لكل مرض علة تخصه كما أن علم الطب ٥
نافع في الأمراض بالجملة ولكن يخص كل علة علم مخصوص فكذلك دواء الإصرار فلنذكر
خصوص ذلك العلم على موازنة مرض الأبدان ليكون أقرب إلى الأفهام فنقول
يحتاج المريض إلى التصديق بأمور الأول أن يصدق على الجملة بأن للمرض
والصحة أسباباً يتوصل إليها بالاختيار على ما سببه مسبب الأسباب وهذا هو
الإيمان بأصل الطب فإن من لا يؤمن به لا يشتغل بالعلاج ويحق عليه الهلاك ٥
وهذا وزانه مما نحن فيه الإيمان بأصل الشرع وهو أن للسعادة في الآخرة سبباً

مطلب

سببًا هو الطاعة وللشقاوة سببًا وهو المعصية وهذا هو الايمان بأصل
الشرايع **الثاني انه لا بد ان يعتقد المريض في طبيب معين**
انه عالم بالطب حاذق فيه صادق فيما يعبّر ولا يلبس ولا يكذب فإن ايمانه بأصل
الطب لا ينفعه بمجرده دون هذه الايمان ووزانه مما نحن فيه العلم
بصدق الرسول صلى الله عليه وسلم والايمان بأن كل ما يقوله حق وصدق ولا كذب
فيه ولا خلف **الثالث انه لا بد ان يصغي الى الطبيب**
فيما يحذره من تناول الفاكهة واسباب المضرة على الجملة حتى يغلب عليه الخوف
في ترك الاحتماء فتكون شدة الخوف باعثة له على الاحتماء ووزانه من الدين
الاصغاء الى الآيات والاخبار المشتملة على الترغيب في التقوى والتحذير من
ارتكاب الذنوب واتباع الهوى والتصديق بجميع ما يلقى الى سمعه من ذلك من
غير شك واسترابة حتى ينبعث به الخوف المقوي على الصبر الذي هو الركن الآخر
في العلاج **الرابع ان يصغي الى الطبيب فيما يخص مرضه**
وفيما يلزمه بنفسه الاحتماء عنه ليعرفه اولا ما يضر من احواله وافعاله وما كوله
ومشروبه فليس على كل مريض الاحتماء عن كل شيء ولا ينفعه كل دواء بل لكل علة علم خاص
وعلاج خاص وعلاجه من الدين ان كل عبد فليس يبتلى بكل شهوة وارتكاب كل ذنب بل لكل
مؤمن ذنب مخصوص او ذنوب مخصوصة وانما حاجته في الحال مرهقة الى العلم بانها
ذنوب ثم الى العلم بآفاتها وقدر ضررها في الدين ثم الى العلم بكيفية التوصل
الى الصبر عليها ثم الى العلم بكيفية تكفير ما سبق منها فهذه علوم يختص بها
اطباء الدين وهم العلماء ورثة الانبياء فالعاصي ان علم عصيانه فعليه
طلب العلاج من الطبيب وهو العالم فان كان لا يدري ان ما يرتكبه ذنب فعلى
العالم ان يعرفه ذلك وذلك بان يتكفل كل عالم باقليم او بلد او محلة او مسجد
فيعلم اهله دينهم ويميز ما يضرهم عما ينفعهم وما يشقيهم عما يسعدهم
ولا ينبغي ان يصبر الى ان يسأل عنه بل ينبغي ان يتصدى لدعوة الناس الى نفسه
فانهم ورثة الانبياء والانبياء ما تركوا الناس على جهلهم بل كانوا ينادونهم
في مجامعهم ويدورون على ابواب دورهم في الابتداء ويطلبون واحدا واحدا
فيرشدونهم فان مرضى القلوب لا يعرفون مرضهم كما ان الذي ظهر على وجهه
برص ولا مرآة معه لا يعرف برصه ما لم يعرفه غيره وهذا فرض عين على العلماء كافة

اطباء الدين العلماء

فرض عين على العلماء

وعند ابي حنيفة رحمه [الله] فرض على سبيل الكفاية
قوي

وعلى السلاطين كافة أن يرتبوا في كل قرية وكل محلة فقيها متدينا يعلم الناس دينهم
فإن الخلق لا يولدون إلا جهالا فلا بد من تبليغ الدعوة إليهم في الأصل والفرع
والدنيا دار المرضى إذ ليس في بطن الأرض إلا ميت وعلى ظهرها إلا سقيم ومرض القلوب
أكثر من مرض الأبدان والعلماء أطباء والسلاطين قوام دار المرضى فكل مريض لم يقبل
العلاج بمداواة العالم يسلم إلى السلطان فيكف شره كما يسلم الطبيب المريض
الذي لا يحتمي أو الذي غلب عليه الجنون إلى القيم ليقيده بالسلاسل والأغلال
ليكف شره عن سائر الناس وإنما صار مرض القلوب أكثر من مرض الأبدان لثلاث
علل أحدها أن المريض بها لا يدري أنه مريض والثاني أن عاقبته غير مشاهدة في
غير هذا العالم بخلاف مرض البدن فإن عاقبته موت مشاهد تنفر الطباع عنه
وما بعد الموت غير مشاهد فقلت النفرة عن الذنوب وإن علمها مرتكبها فلذلك تراه
يتكل على فضل الله سبحانه ويجتهد في علاج مرض البدن من غير اتكال الثالثة
وهي الداء العضال فقد الطبيب فإن الأطباء هم العلماء وقد مرضوا في
هذه الأعصار مرضا شديدا فقد عجزوا عن علاجه وصارت لهم سلوة في عموم المرض
حتى لا يظهر نقصانهم فاضطروا إلى إغواء الخلق والإشارة عليهم بما يزيدهم
مرضا لأن الداء المهلك هو حب الدنيا وقد غلب هذا الداء على الأطباء فلم يقدروا
على تحذير الخلق منه استنكافا أن يقال لهم فما بالكم تأمرون بالعلاج وتنسون
أنفسكم فبهذا السبب عم الداء وعظم الوباء وانقطع الدواء وهلك الخلق لفقد
الأطباء بل اشتغل الأطباء بفنون الإغواء فليتهم إذ لم ينصحوا ولم يصلحوا لم
يفسدوا وليتهم سكتوا وما نطقوا فإنهم إذا تكلموا لم يهمهم في مواعظهم
إلا ما يرغب العوام ويستميل قلوبهم ولا يتوصلون إلى ذلك إلا بالإرجاء وتغليب أسباب
الرجاء وذكر دلائل الرحمة لأن ذلك ألذ في الأسماع وأخف على الطباع فينصرف الخلق من
مجالس الوعظ وقد استفادوا مزيد جراءة على المعاصي ومزيد ثقة بفضل الله تعالى
ومهما كان الطبيب جاهلا أو خائنا أهلك بالدواء حيث يضعه في غير موضعه
فالرجاء والخوف دواءان ولكن لشخصين متضادي العلة أما الذي غلب عليه الخوف حتى
هجر الدنيا بالكلية وكلف نفسه ما لا يطيق وضيق العيش على نفسه بالكلية فيكسر
سورة إسرافه في الخوف بذكر أسباب الرجاء ليعود إلى الاعتدال وكذا المصر على الذنوب
المشتهي للتوبة الممتنع عنها بحكم القنوط واليأس استعظاما لذنوبه التي سبقت يعالج

نصب الواعظ لكل محلة لازم

مرض القلوب

اذا لم ينتبه الناس بالواعظ يسلم الى السلطان فيداويه

مرض العلماء سبب لهلاك الناس

يعالج ايضا بأسباب الرجاء حتى يطمع في قبول التوبة فيتوب وأما معالجة المغرور
المسترسل في المعاصي بذكر أسباب الرجاء فيضاهي معالجة المحرور بالعسل طلبا
للشفاء وذلك من دأب الجهال الأغبياء فإذًا فساد الأطباء هي المعضلة الوباء
التي لا تقبل الدواء أصلا فإن قلت فاذكر الطريق
الذي ينبغي أن يسلكه الواعظ في وعظه مع الخلق فاعلم أن ذلك يطول ولا يمكن
استقصاؤه نعم نشير إلى أنواع نافعة في حل عقدة الإصرار وحمل الناس على ترك
الذنوب وهي أربعة أنواع الأول أن يذكر ما في القرآن من الآيات
المخوفة للمذنبين العاصين وكذلك ما ورد من الأخبار والآثار مثل قوله صلى
الله عليه وسلم ما من يوم طلع فجره ولا ليلة غاب شفقها إلا وملكان يتجاوبان
بأربعة أصوات يقول أحدهما يا ليت هذا الخلق لم يخلقوا ويقول الآخر يا ليتهم
إذ خلقوا علموا لماذا خلقوا فيقول الآخر وليتهم إذ لم يعلموا لماذا خلقوا عملوا بما علموا
وفي بعض الروايات تجالسوا فتذاكروا ما علموا ويقول الآخر
يا ليتهم إذ لم يعملوا بما علموا تابوا عما عملوا وقال بعض السلف
إذا أذنب العبد أمر صاحب اليمين صاحب الشمال وهو أمير عليه أن يرفع القلم عنه ست
ساعات فإن تاب واستغفر لم يكتبها عليه وإن لم يستغفر كتبها وقال بعض
السلف ما من عبد يعصي إلا استأذن مكانه من الأرض أن يخسف به واستأذن سقفه
من السماء أن يسقط عليه كسفا فيقول الله سبحانه للأرض والسماء كفا عن عبدي
وأمهلاه فإنكما لم تخلقاه ولو خلقتماه لرحمتماه لعله يتوب إلي فأغفر له لعله
يستبدل صالحا فأبدل له سيئاته حسنات فذلك معنى قوله سبحانه إن الله يمسك
السموات والأرض أن تزولا ولئن زالتا إن أمسكهما من أحد من بعده وفي حديث
عمر رضي الله عنه الطابع معلق بقائمة العرش فإذا انتهكت الحرمات
واستحلت المحارم أرسل الله الطابع فيطبع على القلوب بما فيها وفي حديث
مجاهد القلب مثل الكف المفتوحة كلما أذنب ذنبا انقبضت أصبع
حتى تنقبض الأصابع كلها فيشتد على القلب فذلك هو القفل وقال الحسن
رحمه الله إن بين العبد وبين الله حدا في المعاصي معلوما إذا بلغه
العبد طبع على قلبه فلم يوفقه بعده لخير والأخبار والآثار في ذم المعاصي
ومدح التائبين لا تحصى فينبغي أن يستكثر الواعظ منها إذ كان وارث رسول الله صلى الله

مطلب أحوال الواعظين

يكتب السيئات بعد ستة ساعات

الخسف لأجل الذنوب

عليه وسلم فانه ما خلف دينارا ولا درهما انما خلف العلم والحكمة وورثه كل عالم ۝
بقدر ما اصابه **النوع الثاني حكايات الانبياء عليهم السلام**
والسلف الصالح وما جرى عليهم من المصائب بسبب ذنوبهم فذلك شديد الوقع
ظاهر النفع في قلوب الخلق مثل احوال آدم في عصيانه وما لقيه من الاخراج من الجنة
حتى روي انه لما اكل من الشجرة تطايرت الحلل عن جسده وبدت عورته فاستحى التاج والاكليل
من وجهه ان يرتفعا عنه فجاء جبريل عليه السلام فاخذ التاج عن رأسه وحل
الاكليل عن جبينه ونودي من فوق العرش اهبط من جواري فانه لا يجاورني من
عصاني فالتفت آدم عليه السلام الى حوا باكيا وقال هذا اول شوم المعصية ۝
اخرجنا من جوار الحبيب **وروي ان سليمان ابن داود عليه السلام**
لما عوقب على خطيئته لاجل التمثال الذي عبد في داره اربعين يوما وقيل ان امرأة سألته
ان يحكم لابيها فقال نعم ولم يفعل وقيل بل احب بقلبه ان يكون الحكم لابيها
على خصمها لمكانه فسلب ملكه اربعين يوما فهرب تائها على وجهه وكان يسأل بكفه
فلا يطعمونه فاذا قال اطعموني فاني سليمان ابن داود شج وضرب وحكي انه استطعم
من بيت امرأة فطردته وبزقت في وجهه وفي رواية فاخرجت عجوز جرة فيها بول ۝
فصبته على رأسه الى ان خرج له الخاتم من بطن الحوت فلبسه بعد انقضاء الاربعين
يوما ايام العقوبة قال فجاءت الطير فعكفت على رأسه وجاءت الجن والشياطين
والوحوش فاجتمعت حوله واعتذر اليه بعض من كان جنى عليه فقال لا الومكم فيما
فعلتموه من قبل ولا احمدكم في عذركم لان هذا امر كان من قبل السماء ولا بد منه ۝
وروي في الاسرائيليات ان رجلا تزوج امرأة من بلدة وارسل عبده
يحملها اليه فراودته نفسه وطالبته بها فجاهدها واستعصم قال فنبأه الله سبحانه
ببركة تقواه فكان نبيا في بني اسرائيل **وفي قصص موسى عليه السلام** انه
قال للخضر عليه السلام بم اطلعك الله تعالى على علم الغيب قال بترك المعاصي من اجل
الله تعالى **وروي ان الريح كانت تسير بسليمان عليه السلام**
فنظر الى قميصه وكان عليه قميص جديد فكأنه اعجبه فوضعته الريح فقال لم فعلت
ولم آمرك قالت انما اطيعك اذا اطعت الله **وروي ان الله سبحانه** اوحى الى يعقوب
عليه السلام اتدري لم فرقت بينك وبين يوسف قال لا قال لقولك لاخوته اخاف
ان يأكله الذئب لم خفت عليه ولم ترجني ولم نظرت الى غفلة اخوته ولم تنظر الى حفظي

المصائب بسبب الذنوب

حفظي له وكذلك لما قال يوسف عليه السلام اذكرني عند ربك قال تعالى
فانساه الشيطان ذكر ربه فلبث في السجن بضع سنين وامثال هذه الحكايات
لا تحصى ولم يرد في القران والاخبار ورود الاسمار بل الغرض بها الاعتبار
والاستبصار ليعلم ان الانبياء عليهم السلام لم يتجاوز عنهم في الذنوب
الصغار فكيف يتجاوز عن غيرهم نعم كانت سعادتهم بان عوجلوا بالعقوبة
ولم يؤخروا الى الاخرة والاشقياء يمهلون ليزدادوا اثما ولان عذاب الاخرة
اشد واكبر فهذا ايضا مما ينبغي ان يكثر جلسه على اسماع المصرين فانه نافع في
تحريك دواعي التوبة **النوع الثالث** ان يقرر عندهم ان تعجيل العقوبة
في الدنيا متوقع على الذنب وان كل ما يصيب العبد من المصايب فهو بسبب جناياته
فربما عبد يتساهل في امر الاخرة ويخاف من عقوبة الله في الدنيا اكثر لفرط جهله
فينبغي ان يخوف بذلك فان الذنوب كلها يتعجل في الدنيا شهوتها في غالب الامر
كما قد حكي في قصة داود وسليمان عليهما السلام حتى يضيق على العبد رزقه
بسبب ذنوبه وقد تسقط منزلته عن القلوب ويستولي عليه اعداوه بسببه

قال عليه السلام ان العبد ليحرم الرزق بالذنب يصيبه وقال ابن مسعود اني لاحسب ان العبد ليحرم الرزق بالذنب يصيبه
وهو معنى قوله عليه السلام من قارف ذنبا فارقه عقل لا يعود اليه ابدا **وقال
بعض السلف** ليست اللعنة سوادا في الوجه ونقصا في المال انما اللعنة ان لا تخرج
من ذنب الا وقعت في مثله او شر منه وهي كما قال لان اللعنة هي الطرد
والابعاد فاذا لم يوفق للخير ويسر له الشر فقد ابعد والحرمان من الرزق
التوفيق اعظم حرمان وكل ذنب فانه يدعو الى ذنب اخر فيتضاعف فيحرم العبد
رزقه النافع في مجالسة العلماء المنكرين للذنوب وعن مجالسة الصالحين بل تمقتهم
الصالحون **وحكي عن بعض العارفين** انه كان يمشي في الوحل
جامعا ثيابه متحرزا حتى زلقت رجله وسقط فقام فجعل يمشي في وسط الوحل
ويبكي ويقول هذا مثل العبد لا يزال يتوقى الذنوب ويجانبها حتى يقع في ذنب
وذنبين فعند ذلك يخوض الذنوب خوضا وهذه اشارة الى ان الذنب تستعجل
عقوبته بالاحتراز الى ذنب اخر ولذلك قال الفضيل رحمه الله ما انكرت
من تغير الزمان وجفا الاخوان فذنوبك ورثتك ذلك وقال بعضهم اني لاعرف

بسبب المصيبة الذنوب

عقوبة ذنبي في سوء خلق حماري ۞ وقال آخر أعرف العقوبة حتى في فار بيتي
وقال بعض صوفية الشام نظرت إلى غلام نصراني حسن الوجه فوقفت أنظر إليه
فمر بي ابن الجلاء الدمشقي فأخذ بيدي فاستحييت فقلت يا أبا عبد الله سبحان الله ۞
تعجبت من هذه الصورة الحسنة وهذه الصنعة المحكمة كيف خلقت للنار فغمز بيدي
وقال لتجدن عقوبتها ولو بعد حين قال فعوقبت بعد ثلاثين سنة وقال أبو
سليمان الداراني الاحتلام عقوبة وقال لا تفوت أحد صلاة جماعة
إلا بذنب يذنبه وفي الخبر يقول الله سبحانه إن أدنى ما أصنع
بالعبد إذا آثر شهوته على طاعتي أن أحرمه لذيذ مناجاتي ۞ وحكي عن ابن
عمر ابن علوان في قصة تطول قال فيها كنت قائما أصلي ذات يوم فخامر قلبي هوى
طاولته بفكري حتى تولد منه شهوة الرجال للنساء فوقعت إلى الأرض واسود ۞
جسدي كله فاستترت في البيت ولم أخرج ثلاثة أيام وكنت أعالج غسله في الحمام
بالصابون فلا يزداد إلا سوادا حتى انكشف بعد ثلاثة أيام فلقيت الجنيد وكان قد
وجه إلي فأشخصني من الرقة فلما أتيته قال لي أما استحييت من الله تعالى ۞
كنت قائما بين يديه فخامرت نفسك شهوة حتى استولت عليك فأخرجتك من بين
يدي الله تعالى فلولا أني دعوت الله لك وتبت إليه عنك للقيت الله بذلك اللون
قال فعجبت كيف علم ذلك وهو ببغداد ۞ واعلم أنه لا يذنب العبد ذنبا إلا ويسود
وجه قلبه فإن كان سعيدا أظهر السواد على ظاهره لينزجر وإن كان شقيا خفي عليه
حتى ينهمك ويستوجب النار والأخبار كثيرة في آفات الذنوب في الدنيا من المرض ۞
والفقر وغيره بل من شؤم الذنب في الدنيا على الجملة أن يكتسب ما بعده صفته
فإن ابتلي بشيء كانت عقوبة له ويحرم جميل الرزق حتى تتضاعف شقاوته ۞
وإن أصابته نعمة كان استدراجا ويحرم جميل الشكر حتى يعاقب على كفرانه وأما
المطيع فمن بركة طاعته أن تكون كل نعمة في حقه جزاء على طاعته ويوفق لشكرها ۞
وتكون بليته كفارة لذنوبه وزيادة في درجاته

۞ النوع الرابع ۞
ذكر ما ورد من العقوبات على آحاد الذنوب كالخمر ۞

والزنا والسرقة والقتل والغيبة والكبر والحسد وذلك مما لا يمكن حصره
وذكره مع غير أهله وضع الدواء في غير موضعه بل ينبغي أن يكون العالم كالطبيب
الحاذق يستدل أولا بالنبض والسحنة ووجود الحركات على العلل الباطنة ويشتغل

آفات الذنوب وضرره

النعمة استدراجا

الطبيب

ويشتغل بعلاجه ويستدل بقرائن الاحوال على خفايا الصفات وليتعرض بما
وقف عليه اقتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم حيث قال له رجل اوصني
ولا تكثر علي قال لا تغضب وقال آخر اوصني فقال عليك باليأس
مما في ايدي الناس فان ذلك هو الغنى واياك والطمع فانه الفقر الحاضر وصل صلاة
مودع واياك وما يعتذر منه وقال رجل لمحمد ابن واسع اوصني
فقال اوصيك ان تكون ملكا في الدنيا والآخرة فقال كيف لي بذلك فقال
الزم الزهد في الدنيا فكان النبي صلى الله عليه وسلم توسم في السائل الاول
مخايل الغضب فنهاه عنه وفي الآخر مخايل الحرص على الدنيا وقال رجل لمعاذ ابن
جبل اوصني فقال كن رحيما اكن لك بالجنة زعيما فكانه تفرس فيه آثار
الفظاظة والغلظة وقال رجل لابراهيم ابن ادهم قال اياك
والناس وعليك بالناس ولا بد من الناس فان الناس هم الناس وليس كل الناس
بالناس ذهب الناس وبقي النسناس وما اراهم بالناس بل غمسوا في ماء بالناس
فكانه تفرس فيه آفة المخالطة او اخبر عما كان هو الغالب على حاله في وقته وكان
الغالب اذاه بالناس والكلام على قدر السائل اولى من ان يكون بحسب حال القائل
وكتب معاوية الى عائشة رضي الله عنها ان اكتبي الي
كتابا توصيني فيه ولا تكثري فكتبت اليه من عائشة سلام عليك اما
بعد فاني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول
من التمس رضا الله بسخط الناس كفاه الله مؤنة الناس والسلام عليك فانظر
الى فهمها كيف تعرضت للآفة التي تكون الولاة بصددها وهي مراعاة الناس
وطلب مرضاتهم وكتبت مرة اخرى اما بعد فاتق الله فانك اذا
اتقيت الله كفاك الناس واذا اتقيت الناس لم يغنوا عنك من الله شيئا والسلام
فاذا على كل ناصح ان تكون عنايته مصروفة الى تفرس الصفات الخفية وتوسم
الاحوال اللائقة ليكون اشتغاله بالمهم فان حكايات جميع مواعظ الشرع
مع كل واحد غير ممكنة والاشتغال بوعظ من هو مستغن عن الوعظ فيه تضييع
زمان فان قلت فان كان الواعظ يتكلم في جمعة او جمع
او سأله من لا يدري باطن حاله ان يعظه فكيف يفعل فاعلم ان طريقه في ذلك
ان يعظه بما يشترك كافة الخلق في الحاجة اليه اما على العموم واما على الاكثر

الزهد والتقوى

نصايح

فان في علوم الشرع اغذية وادوية فالاغذية للكافة والادوية لارباب العلل ومثاله
ما روي ان رجلا قال لابي سعيد الخدري اوصني فقال عليك بتقوى الله فانه راس
كل خير وعليك بالجهاد فانه رهبانية الاسلام وعليك بالقران فانه نور في اهل
الارض وذكر في اهل السما وعليك بالصمت الا من خير فانك بذلك تغلب الشيطان
وقال رجل للحسن رحمه الله اوصني فقال له عز
امر الله يعزك الله وقال لقمان لابنه يا بني زاحم العلما بركبتيك ولا
تجادلهم فيمقتوك وخذ من الدنيا بلاغك وانفق فضول كسبك لاخرتك ولا ترفض
الدنيا كل الرفض فتكون عيالا وعلى اعناق الرجال كلا وصم صوما يكسر شهوتك
ولا تصم صوما يضر بصلاتك فان الصلاة افضل من الصوم ولا تجالس السفيه ۞
ولا تخالط ذا الوجهين ۞ وقال ايضا لابنه عليهما السلام يا بني لا تضحك من
غير عجب ولا تمش في غير ارب ولا تسال عما لا يعنيك ولا تضيع مالك وتصلح مال غيرك
فان مالك ما قدمت ومال غيرك ما تركت يا بني انه من يرحم يرحم ومن يصمت يسلم
ومن يقل الخير يغنم ومن يقل الشر ياثم ومن لا يملك لسانه يندم ۞ وقال
رجل لابي حازم اوصني فقال كل ما لو جاءك الموت عليه رايته غنيمة فالزمه
وكل ما لو جاءك الموت عليه رايته مصيبة فاجتنبه ۞ وقال موسى عليه
السلام للخضر اوصني فقال كن بساما ولا تكن غضابا
وكن نفاعا ولا تكن ضرارا وانزع عن اللجاجة ولا تمش في غير حاجة ولا تضحك
من غير عجب ولا تعير الخطائين بخطاياهم وابك على خطيئتك يا ابن عمران ۞ وقال رجل
لمحمد ابن كرام اوصني فقال اجتهد في رضى خالقك كما تجتهد في رضى نفسك
وقال رجل لحامد اللفاف اوصني فقال اجعل لدينك غلافا كغلاف المصحف
ان لا تدنسه الافات قال وما غلاف الدين قال ترك الدنيا الا ما لا بد منه وترك
كثرة الكلام الا فيما لا بد منه وترك مخالطة الناس الا فيما لا بد منه وكتب
الحسن الى عمر ابن عبد العزيز اما بعد فخف ما خوفك الله منه
واحذر ما حذرك الله وخذ مما في يديك لما بين يديك فعند الموت ياتيك الخبر
اليقين والسلام ۞ وكتب عمر ابن عبد العزيز الى الحسن يساله
ان يعظه فكتب اليه اما بعد فان الهول الاعظم والامور المفظعات امامك
ولا بد من مجاوزتك لذلك اما بالنجاة واما بالعطب ۞ واعلم ان من حاسب نفسه ربح

ولا ترفض الدنيا كل الرفض

نصايح

محاسبه

ربح ومن غفل عنها خسر ومن نظر في العواقب نجا ومن أطاع هواه ضل ومن حلم غنم
ومن خاف أمن ومن أمن اعتبر ومن اعتبر أبصر ومن أبصر فهم ومن فهم علم فإذا زللت
فارجع وإذا ندمت فاقلع وإذا جهلت فاسأل وإذا غضبت فامسك وكتب مطرف
ابن عبد الله إلى عمر ابن عبد الله رضي الله عنهما أما بعد فإن الدنيا دار
عقوبة ولها يجمع من لا عقل له وبها يغتر من لا علم عنده فكن فيها يا أمير المؤمنين
كالمداوي جرحه يصبر على شدة الدواء لما يخاف من عاقبة الداء. وكتب عمر ابن عبد العزيز
إلى عدي ابن أرطاه أما بعد فإن الدنيا عدوة الله وعدوة أولياء الله وعدوة أعداء
الله أما أولياء الله فغمتهم وأما أعداؤه فغرتهم وكتب أيضا إلى بعض عماله أما بعد
فقد أمكنتك المقدرة من ظلم العباد فإذا هممت بظلم أحد فاذكر قدرة الله عليك
واعلم أنه لا يأتي إلى الناس شيئا إلا كان زايلا عنهم باقيا عليك فهكذا ينبغي أن
يكون وعظ العامة ووعظ من لا يدري خصوص واقعته فهذه المواعظ مثل الأغذية
التي تشترك فيها الكافة في الانتفاع بها ولأجل فقد مثل هؤلاء الوعاظ انحسم باب الاتعاظ
وغلبت المعاصي واستشرى الفساد وبلي الخلق بوعاظ يزخرفون أسجاعا وينشدون
أبياتا ويتكلفون ذكر ما ليس في سعة علمهم ويتشبهون بحال غيرهم فسقط عن قلوب
العامة وقارهم ولم يكن كلامهم صادرا من القلب ليصل إلى القلب بل القايل
متصلف والمستمع متكلف وكل واحد منهما مدبر متخلف وإذا كان طلب الطبيب أول
علاج المرض فطلب العلماء أول علاج العاصين فهذا أحد أركان العلاج وأصوله

الأصل الثاني ووجه الحاجة إليه

إن المريض إنما يطول مرضه
لتناوله ما يضره وإنما يتناول إما لغفلته عن مضرته وإما لشدة غلبة شهوته فلهذان
سببان فما ذكرناه علاج الغفلة فيبقى علاج الشهوة وطريق علاجها قد ذكرناه
في كتاب رياضة النفس وحاصله أن المريض إذا اشتدت ضراوته بأكل مضر
فطريقه أن يستشعر عظيم ضرره ثم يغيب ذلك عن عينه فلا يحضره ثم يتسلى عنه بما
يقرب منه في صورته ولا يكثر ضرره ثم يصبر لقوة الخوف على الألم الذي يناله في تركه
فلا بد على كل حال من مرارة الصبر فكذلك يعالج الشهوة في المعاصي كالشاب مثلا
إذا غلبته الشهوة فصار لا يقدر على حفظ عينه وحفظ قلبه وحفظ جوارحه في
السعي وراء شهوته فينبغي أن يستشعر ضرر ذنبه بأن يستقرئ المخوفات
التي جاءت في كتاب الله وسنة رسوله عليه السلام فإذا اشتد خوفه تباعد من

مثل الواعظ

تركه م

مثل معالجة الشهوة

الاسباب المهيجة للشهوة ومهيج الشهوة من خارج هو حضور المشتهى والنظر
اليه وعلاجه الهرب والعزلة ومن داخل تناول الاطعمة اللذيذة وعلاجه الجوع
والصوم الدايم وكل ذلك لا يتم الا بالصبر ولا يصبر الا من خوف ولا يخاف الا من علم
ولا يعلم الا عن بصيرة وافتكار وعن سماع وتقليد فاول الامر حضور المجالس
من الذكر ثم الاستماع من قلب مجرد عن ساير الشواغل مصروف الى السماع ثم التفكر
فيما سمع لتمام الفهم وينبعث من تمام الفهم لا محالة خوف واذا قوي الخوف تيسر بمعونته
الصبر وانبعثت الدواعي لطلب العلاج وتوفيق وتيسيره من وراء ذلك ومن اعطى
من قلبه حسن الاصغاء واستشعر الخوف وانتظر الثواب وصدق بالحسنى
فسنيسره لليسرى واما من بخل واستغنى وكذب بالحسنى فسنيسره للعسرى
ثم لا يغني عنه ماله يشتغل به من ملاذ الدنيا مهما هلك وتردى وما على الانبياء الا شرح
طرق الهدى فانما لله الاخرة والاولى **فان قلت فقد رجع الامر
كله الى الايمان** لان ترك الذنب لا يمكن الا بالصبر والصبر لا يمكن الا بمعونة
الخوف والخوف لا يحصل الا بالعلم بعظيم ضرر الذنوب والتصديق بعظيم ضرر الذنوب
هو تصديق الله ورسوله فهو الايمان فكان من اصر على الذنب لم يصر الا لانه غير مومن
فاعلم ان هذا لا يكون لضعف الايمان اذ كل مومن مصدق بان المعصية سبب البعد من الله
تعالى وسبب العقاب في الاخرة ولكن سبب وقوعه في الذنب امور **احدها ان**
العقاب الموعود غايب ليس بحاضر والنفس جبلت متاثرة بالحاضر فتاثرها بالموعود
ضعيف بالاضافة الى تاثرها بالحاضر **الثاني ان الشهوات الباعثة**
على الذنوب لذاتها ناجزة في الحال وهي في الحال اخذة بالمخنق وقد قوي ذلك واستولى
بسبب الاعتياد والالف والعادة طبيعة خامسة والنزوع عن العاجل لخوف
الاجل شديد على النفس ولذلك قال سبحانه كلا بل تحبون العاجلة وتذرون
الاخرة وقال تعالى بل تؤثرون الحيوة الدنيا وقد عبر عن شدة الامر قوله
عليه السلام حفت الجنة بالمكاره وحفت النار بالشهوات وقوله ان الله لما خلق
النار قال لجبريل عليه السلام اذهب فانظر اليها فذهب فنظر اليها فقال وعزتك
لا يسمع بها احد فيدخلها فحفها بالشهوات فقال اذهب فانظر اليها فذهب فنظر
اليها فقال وعزتك وجلالك لا يسمعها احد الا دخلها فحفها بالمكاره فقال اذهب
فانظر اليها فقال وعزتك لقد خشيت ان لا يدخلها احد فاذا كون الشهوة مرهقة

مرهقة في الحال وكون العقاب متأخراً إلى المآل شيئان ظاهران في الاسترسال مع
حصول أصل الإيمان فليس كل من شرب في مرضه ماء الثلج لشدة عطشه مكذباً بأصل
الطب ولا مكذباً بأن ذلك مضر في حقه ولكن الشهوة تغلبه وألم الصبر ناجز فيهون
عليه الألم المنتظر **الثالث أنه ما من مذنب إلا وهو في الغالب**
عازم على التوبة وتكفير السيئات بالحسنات وقد وعد بأن ذلك يجبره وطول الأمل
غالب على الطبع فلا يزال يسوف التوبة والتكفير فمن حيث رجاؤه توفيق التوبة ربما يقدم
عليه مع الإيمان **الرابع أنه ما من مؤمن موقن إلا وهو معتقد**
أن الذنوب لا توجب العقوبة إيجاباً لا يمكن العفو عنه فهو يذنب وينتظر العفو اتكالاً
على فضل الله سبحانه فهذه أسباب أربعة موجبات للإصرار مع بقاء أصل الإيمان
نعم قد يقدم المؤمن الذنب لسبب خامس يقدح في أصل إيمانه وهو كونه شاكاً في
صدق الرسل هذا هو الكفر كالذي يحذره الطبيب تناول ما يضره في المرض وكان
المحذر ممن لا يعتقد فيه أنه عالم بالطب فيكذبه أو يشك فيه فلا يبالي به فهذا
هو الكفر **فإن قلت فما علاج الأسباب الخمسة**
فأقول علاجها الفكر وذلك بأن يقرر على نفسه في السبب الأول وهو تأخر
العقاب أن كل ما هو آت آت وأن غداً للناظرين قريب وأن الموت أقرب إلى
كل أحد من شراك نعله فما يدريه لعل الساعة قريب والمتأخر إذا وقع صار
ناجزاً ويذكر نفسه أنه أبداً في دنياه يتعب في الحال لخوف أمر في الاستقبال
إذ يركب البحار ويقاسي الأسفار لأجل الربح الذي يظن أنه يحتاج إليه في ثاني حال
بل لو مرض فأخبره نصراني طبيب بأن الماء البارد يضره ويسوقه إلى الموت
وكان الماء البارد ألذ الأشياء عنده تركه مع أن الموت ألمه لحظة إذا لم يخف
ما بعده ومفارقته للدنيا ولا بد منها فكم نسبة وجوده في الدنيا إلى عدمه أزلاً
وأبداً فلينظر كيف يبادر إلى ترك ملاذه بقول ذمي لم يقم معجزة على طبه
فيقول كيف يليق بعقلي أن يكون الأنبياء المؤيدون بالمعجزات دون نصراني يدعي
الطب لنفسه بلا معجزة ولا يشهد له إلا بعض عوام الخلق فكيف يكون عذاب النار
أخف عندي من عذاب المرض وكل يوم في الآخرة فمقداره خمسين ألف سنة من أيام الدنيا
وبهذا التفكر بعينه يعالج اللذة الغالبة عليه ويكلف نفسه تركها ويقول إذا
كنت لا أقدر على ترك لذاتي أيام العمر وهي أيام قلائل فكيف أقدر على ذلك أبد الآباد

مطلب

وإذ كنت لا أطيق ألم الصبر فكيف أطيق ألم النار فإذا كنت لا أصبر عن زخارف الدنيا
مع كدورتها وتنغصها وامتزاج صفوها بكدرها فكيف أصبر عن نعيم الآخرة وأما
تسويف التوبة فيعالجه بالفكر في أن أكثر صياح أهل النار من التسويف
لأن المسوف يبني الأمر على ما ليس إليه وهو البقاء فلعله لا يبقى وإن بقي فلا يقدر
على الترك غدا كما لا يقدر عليه اليوم فليت شعري هل عجز في الحال إلا لغلبة
الشهوة والشهوة ليست تفارقه غدا بل تتضاعف إذ تتأكد بالاعتياد فليست الشهوة
التي أكدها الإنسان بالعادة كالتي لم يؤكدها وعن هذا هلك المسوفون لأنهم
يظنون الفرق بين المتماثلين ولا يظنون أن الأيام متشابهة في أن ترك الشهوات
فيها أبدا شاق وما مثال المسوف إلا مثال من احتاج إلى قلع شجرة فرآها قوية لا تنقلع
إلا بمشقة شديدة فأخرها سنة ثم أعود إليها وهو يعلم أن الشجرة كلما بقيت
ازداد رسوخها وهو كلما طال عمره ازداد ضعفه فلا حماقة في الدنيا أعظم من حماقته
إذ عجز مع قوته عن مقاومة ضعيف فأخذ ينتظر الغلبة عليه إذا ضعف هو في نفسه
وقوي الضعيف وأما المعنى الرابع وهو انتظار عفو الله
فعلاجه ما سبق وهو كمن ينفق جميع أمواله ويترك نفسه وعياله فقراء منتظرا من
فضل الله أن يرزقه العثور على كنز في الأرض في أرض خربة فإن إمكان العفو عن الذنب
مثل هذا الإمكان وهو مثل من توقع النهب في بلده من الظلمة وذخائر أمواله
في صحن داره وقدر على دفنها وإخفائها فلم يفعل وقال أنتظر من فضل الله أن يسلط
غفلة على الظالم المنتهب حتى لا يتفرغ إلى داري وإذا انتهى إلى داري مات على باب الدار
فإن الموت ممكن والغفلة ممكنة وقد حكي في الأسمار أن مثل
ذلك وقع فأنا أنتظر من فضل الله مثله فمنتظر هذا أمر ممكن
ولكنه في غاية الحماقة وأما الخامس وهو الشك فهذا كفر وعلاجه الأسباب
التي تعرفه صدق الرسول وذلك يطول ولكن يمكن أن يعالج بأمر قريب يليق بحد
عقله فيقال له ما قاله الأنبياء المؤيدون بالمعجزات صدقهم هل هو ممكن أو تقول
أعلم أنه محال كما أعلم استحالة شخص واحد في مكانين في حالة واحدة فإن قال استحالته
كذلك فهو أحمق معتوه وكأنه لا وجود لمثل هذا في العقلاء فإن قال أنا شاك فيه
فيقال له لو أخبرك شخص واحد مجهول عند تركك طعامك في البيت بعد لحظة
أنه قد ولغت فيه حية وألقت سمها فيه وجوزت صدقه فهل تترك له أم تأكله

مثال تسويف التوبة

مثال تصديق الرسول والعلماء

تأكله وإن كان ألذ الأطعمة فيقول إن له لا محالة لأني أقول إن كذب فلا يفوته إلا هذا الطعام والصبر عنه وإن كان شديدا فهو قريب وإن صدق فتفوتني الحياة والموت بالإضافة إلى ألم الصبر عن الطعام وأيضا فهو شديد فيقال له يا سبحان الله كيف تؤخر صدق الأنبياء كلهم مع ما ظهر لهم من المعجزات وصدق كافة العلماء والأولياء والحكماء بل جميع أصناف العقلاء ولست أعني بهم جهال العوام بل ذوي الألباب عن صدق رجل واحد مجهول لعل له غرضا فيما يقول وليس في العقلاء إلا من صدق باليوم الآخر وأثبت ثوابا وعقابا وإن اختلفوا في كيفيته فإن صدقوا أشرفت على عذاب يبقى أبد الآباد وإن كذبوا فلا يفوتك إلا بعض شهوات هذه الدنيا الفانية المكدرة فلا يبقى له توقف إن كان عاقلا مع هذا الفكر إذ لا نسبة لمدة العمر إلى أبد الآباد لو قدر الدنيا مملوءة بالذر وقدرنا طائرا يختطف كل سنة واحدة منها لفني الذر ولم ينقص من أبد الآباد شيء فكيف يفتر رأي العاقل في الصبر عن الشهوات مائة سنة مثلا لأجل سعادة تبقى أبد الآباد ولذلك قال أبو العلاء ابن سليمان المعري

قال المنجم والطبيب كلاهما ٭ لا تبعث الأموات قلت إليكما ٭
إن كان صحيحا فاستراح جميعنا ٭ أو كان كذبا فالخسار عليكما ٭

ولذلك قال علي رضي الله عنه لبعض من قصر عقله عن فهم تحقيق الأمور وكان شاكا إن صح ما قلت فقد تخلصت وتخلصنا جميعا وإلا فقد تخلصنا وهلكت أي العاقل يسلك طريق الأمن في جميع الأحوال ٥ فإن قلت هذه أمور جلية ولكنها لا تنال إلا بالفكر فما بال القلوب هجرت الفكر واستثقلته وما علاج القلوب لردها إلى الفكر لا سيما من آمن بأصل الشرع وتفصيله فاعلم أن المانع من الفكر هو الفكر في عقاب الآخرة وأهوالها وشدائدها وحسرات العاصين في الحرمان عن النعيم المقيم وهذا فكر لذاع مؤلم للقلب فينفر القلب عنه ويتلذذ بالفكر في أمور الدنيا على سبيل التفرج والاستراحة الثاني أن الفكر شغل في الحال مانع من لذيذ الدنيا وقضاء الشهوات وما من إنسان إلا وله في كل حالة من أحواله ونفس من أنفاسه شهوة قد تسلطت عليه واسترقته فصار عقله مسخرا لشهوته فهو مشغول بتدبير حيلته وصارت لذته في طلب الحيلة فيه أو في مباشرة قضاء الشهوة والفكر يمنعه من ذلك ٥ وأما علاج هذين المانعين فهو أن يقول لقلبه ما أشد غباوتك في الاحتراز

الموت وما بعده

من الفكر في الموت وما بعده تألما بذكره مع استحقار لمواقعته فكيف تصبر على
مقاساته إذا وقع وأنت عاجز عن الصبر على تقدير الموت وما بعده وتتألم به وأما
الثاني وهو كون الفكر مفوتا للذات الدنيا وهو أن يتحقق أن فوات لذات الآخرة
أشد وأعظم فإنها لا آخر لها ولا كدورة فيها ولذات الدنيا سريعة الدثور وهي
مشوبة بأنواع من الكدورات فما فيها لذة صافية عن كدر وكيف وفي التوبة عن المعاصي
والإقبال على الطاعة تلذذ بمناجاة الله سبحانه واستراحة بمعرفته وطاعته وطول
الأنس به ولو لم يكن للمطيع جزاء على عمله إلا ما يجده من حلاوة الطاعة وروح الأنس
بمناجاة الله سبحانه لكان ذلك كافيا فكيف بما ينضاف إليه من نعيم الآخرة نعم هذه
اللذة لا تكون إلا في ابتداء التوبة ولكن يصبر عليها مديدة وقد صار الخير ديدنا كما أن
الشر ديدنا فإن النفس قابلة ما عودتها تتعود والخير عادة والشر لجاجة فإذا هذه
الأفكار هي المهيجة للخوف المهيج لقوة الصبر عن اللذات ومهيج هذه الأفكار
وعظ الوعاظ وتنبيهات تقع للقلب بأسباب تتفق ولا تدخل في الحصر فيصير الفكر موافقا
للطبع فيميل القلب إليه ويعبر عن السبب الذي أوقع الموافقة بين الطبع وبين الفكر
الذي هو سبب الخير توفيقا إذ التوفيق هو التأليف بين الإرادة وبين المعنى الذي هو طاعة
نافعة في الآخرة وقد روي في حديث طويل أنه قام عمار بن ياسر لعلي بن أبي طالب
فقال يا أمير المؤمنين أخبرنا عن الكفر على ماذا بني قال على أربع دعائم على الجفاء
والعمى والغفلة والشك فمن جفا احتقر الحق وجهر بالباطل ومقت العلماء ومن عمي
نسي الذكر ومن غفل حاد عن الرشد وغرته الأماني فأخذته الحسرة والندامة وبدا
له من الله ما لم يكن يحتسب فما ذكرناه بيان لبعض آفات الغفلة عن التفكر وهذا القدر
في التوبة كاف وإذا كان الصبر ركنا من أركان التوبة فلا بد من بيان الصبر فنذكره في
كتاب مفرد إن شاء الله تعالى تم كتاب التوبة يتلوه إن
شاء الله تعالى كتاب الصبر والشكر

بسم الله الرحمن الرحيم اللهم صل على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم

كتاب الصبر والشكر

كتاب الصبر والشكر

الشطر الأول في الصبر
بيان فضيلة الصبر
الآيات في الصبر

الحمد لله أهل الحمد والثناء المنفرد برداء الكبرياء المتوحد بصفات المجد والعلاء المؤيد صفوة الأوليا بقوة الصبر على السراء والضراء والشكر على البلاء والنعماء والصلاة على محمد سيد الأنبياء وعلى أصحابه سادة الأصفياء وعلى آله قادة البررة الأتقياء صلاة محروسة بالدوام عن الفناء أما بعد فإن الإيمان نصفان نصف صبر ونصف شكر كما وردت به الآثار وشهدت له الأخبار وهما وصفان من أوصاف الله وأسمان من أسمائه الحسنى إذ سمى نفسه صبورا وشكورا فالجهل بحقيقة الصبر والشكر جهل بكلا شطري الإيمان دون معرفة ما به الإيمان فما أحوج كلا الشطرين إلى الإيضاح والبيان ونحن نوضح كلا الشطرين في كتاب واحد لارتباط أحدهما بالآخر

الشطر الأول في الصبر

وفيه بيان فضيلة الصبر وبيان حده وحقيقته وبيان كونه نصف الإيمان وبيان اختلاف أساميه باختلاف متعلقاته وبيان أقسامه بحسب اختلافه في القوة والضعف وبيان مظان الحاجة إلى الصبر وبيان دواء الصبر وما يستعان به عليه فهي سبعة فصول تشتمل على جميع مقاصده

بيان فضيلة الصبر

قد وصف الله سبحانه الصابرين بأوصاف وذكر الصبر في القرآن في نيف وسبعين موضعا وأضاف أكثر الخيرات والدرجات إلى الصبر وجعلها ثمرة له فقال سبحانه وجعلنا منهم أئمة يهدون بأمرنا لما صبروا وقال وتمت كلمة ربك الحسنى على بني إسرائيل بما صبروا وقال تعالى ولنجزين الذين صبروا أجرهم بأحسن الذي كانوا يعملون وقال تعالى أولئك يؤتون أجرهم مرتين بما صبروا وقال تعالى إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب فما من قربة إلا وأجرها بتقدير وحساب إلا الصبر ولأجل كون الصوم من الصبر فإنه نصف الصبر فإن الصوم لي وأنا أجزي به فأضافه إلى نفسه من سائر العبادات ووعد الصابرين بأنه معهم فقال

تعالى ان الله مع الصابرين وعلق النصرة على الصبر فقال تعالى ان تصبروا وتتقوا
ويأتوكم من فورهم هذا يمددكم ربكم بخمسة الف من الملائكة مسومين وجمع للصابرين
بين امور لم يجمعها لغيرهم فقال اولئك هم المهتدون فالهدى والصلوات
والرحمة مجموعة للصابرين واستقصاء جميع الآيات في مقام الصبر يطول
واما الاخبار فقد قال عليه السلام الصبر نصف الايمان على ما يأتي وجه كونه نصفاً وقال من اقل ما اوتيتم اليقين وعزيمة
الصبر ومن اعطي حظه منهما لم يبال ما فاته من قيام الليل وصيام النهار ولان
تصبروا على ما انتم عليه احب الي من ان يوافيني كل امرء منكم بمثل عمل جميعكم
ولكني اخاف ان تفتح عليكم الدنيا بعدي فينكر بعضكم بعضاً وينكركم اهل السماء
عند ذلك فمن صبر واحتسب ظفر بكمال ثوابه ثم قرأ سبحانه ما عندكم ينفد وما عند
الله باق ولنجزين الذين صبروا الآية **وروى جابر انه عليه السلام عن
الايمان فقال الصبر والسماحة** وقال ايضاً الصبر
كنز من كنوز الجنة وسئل مرة عن الايمان فقال الصبر والسماحة وهذا شبيه بقوله
الحج عرفة وقال ايضاً افضل الاعمال ما اكرهت عليه النفوس وقيل اوحى الله تعالى الى داود
عليه السلام تخلق باخلاقي وان من اخلاقي اني انا الصبور وفي حديث عطاء عن
ابن عباس لما دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم على الانصار فقال امؤمنون انتم
فسكتوا فقال عمر نعم يا رسول الله فقال وما علامة ايمانكم فقالوا نشكر على الرخاء ونصبر
على البلاء ونرضى بالقضاء فقال مؤمنون ورب الكعبة وقال عليه السلام في الصبر
على ما تكره خير كثير **وقال المسيح عليه السلام** انكم لا تدركون
ما تحبون الا بالصبر على ما تكرهون وقال عليه السلام لو كان الصبر رجلاً
لكان رجلاً كريماً والله يحب الصابرين والاخبار في هذا مما لا يحصى **واما
الآثار فقد قال علي رضي الله عنه بني الاسلام
على اربع دعائم** اليقين والصبر والجهاد والعدل وقال ايضاً الصبر
من الايمان بمنزلة الرأس من الجسد ولا جسد لمن لا رأس له ولا ايمان لمن لا صبر له
وكان عمر رضي الله عنه يقول نعم العدلان ونعم العلاوة للصابرين
يعني بالعدلين الصلاة والرحمة وبالعلاوة الهدى والعلاوة ما يحمل فوق العدلين
على البعير اشار به الى قوله سبحانه اولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة الآية وكان

الصبور لا يعجل عقوبة المذنبين

وكان حبيب ابن ابي حبيب اذا قرأ هذه الآية انا وجدناه صابرا نعم العبد انه اواب
بكى وقال واعجباه اعطى واثنى ۝ اي هو المعطي للصبر وهو المثني عليه ۝
وقال ابو الدرداء رضي الله عنه ذروة الايمان الصبر لحكم الله والرضا ۝
بالقدر فهذه فضيلة الصبر من حيث النقل فاما من حيث النظر بعين الاعتبار
فلا تفهمه الا بعد فهم حقيقة الصبر ومعناه اذ معرفة الفضيلة والرتبة ۝
معرفة صفة فلا تحصل قبل معرفة الموصوف فلنذكر حقيقته ومعناه

بيان حقيقة الصبر ومعناه

اعلم ان الصبر مقام من مقامات الدين ومنزل من منازل السالكين
وجميع مقامات الدين انما تنتظم من ثلاثة امور معارف واحوال واعمال
فالمعارف هي الاصول وهي تورث الاحوال والاحوال تثمر الاعمال فالمعارف
كالاشجار والاحوال كالاغصان والاعمال كالثمار وهو مطرد في جميع منازل السالكين
الى الله تعالى واسم الايمان تارة يختص بالمعارف وتارة يطلق على الكل كما ذكرناه في
اختلاف اسم الايمان والاسلام في كتاب قواعد العقائد وكذلك الصبر لا يتم
الا بمعرفة سابقة وبحالة قائمة فالصبر على التحقيق عبارة عنهما ولا يعرف
هذا الا بمعرفة كيفية الترتيب بين الملائكة والانس والبهائم فان الصبر خاصية ۝
الانسان ولا يتصور ذلك في البهائم والملائكة اما في البهائم فلنقصانها واما في الملائكة
فلكمالها وبيانه ان البهائم سلطت عليها الشهوات وصارت مسخرة لها فلا باعث
لها على الحركة والسكون الا الشهوة وليس فيها قوة تصادم الشهوة وتردها عن
مقتضاها حتى يسمى ثبات تلك القوة في مقابلة مقتضى تلك الشهوة ۝ واما
الملائكة عليهم السلام فانهم جردوا للشوق الى الحضرة الربوبية والابتهاج
بدرجة القرب منها ولم تسلط عليهم شهوة صارفة صادة عنها حتى يحتاج الى
مصادمة ما يصرفها عن حضرة الجلال بجند آخر يغلب الصوارف واما الانسان
فانه خلق في ابتداء الصبا ناقصا مثل البهيمة لم تخلق فيه الا شهوة الغذاء
الذي هو محتاج اليه ثم تظهر فيه شهوة اللعب والزينة ثم شهوة النكاح ۝

مطلب

على الترتيب وليس له قوة الصبر البتة اذ الصبر عبارة عن ثبات جند في مقابلة جند
اخر قام القتال بينهما لتضاد مقتضياتهما ومطالبهما وليس في الصبي الا جند الهوى
كما في البهائم ولكن الله تعالى لفضله وسعة جوده كرم ابن آدم ورفع درجته عن درجة
البهائم فوكل به عند كمال شخصه بمقاربة البلوغ ملكين احدهما يهديه والاخر يقويه
فتميز بمعونة الملكين عن البهائم واختص بصفتين احداهما معرفة الله ومعرفة رسوله
ومعرفة المصالح المتعلقة بالعواقب وكل ذلك حاصل من الملك الذي اليه الهداية
والتعريف فالبهيمة لا معرفة لها ولا هداية الى مصلحة العواقب بل الى مقتضى شهوتها
في الحال فقط فلذلك لا تطلب الا اللذيذ **واما الدواء النافع** مع كونه مضرا
في الحال فلا تطلبه ولا تعرفه فصار الانسان بنور الهداية يعرف ان اتباع الشهوات
لها معقبات مكروهة في العاقبة ولكن لم تكن هذه الهداية كافية ما لم تكن له قدرة
على ترك ما هو مضر فكم من مضر يعرفه الانسان كالمرض النازل به مثلا ولكن
لا قدرة له على دفعه فافتقر الى القدرة والقوة يدفع بها في نحر الشهوات فيجاهدها
بتلك القوة حتى يقطع عداوتها عن نفسه فوكل الله تعالى به ملكا يسدده ويؤيده
ويقويه بجنود لم تروها وامر هذا الجند بقتال جنود الشهوة فتارة يضعف هذا
الجند وتارة يقوى وذلك بحسب امداد الله تعالى عبده بالتأييد كما ان نور الهداية
ايضا يختلف في الخلق اختلافا لا ينحصر فلنسم هذه الصفة التي فارق الانسان بها
البهائم في قمع الشهوات وقهرها باعثا دينيا ولنسم مطالبة الشهوات بمقتضياتها
باعث الهوى والحرب بينهم سجال ومعركة هذا القتال قلب العبد ومدد باعث الدين
من الملائكة الناصرين حزب الله ومدد باعث الشهوة من الشياطين الناصرين
لاعداء الله **فالصبر عبارة عن ثبات باعث الدين في مقابلة
باعث الشهوة والهوى** فان ثبت حتى يقهره ويستمر على مخالفة الشهوة
فقد نصر حزب الله والتحق بالصابرين وان تخاذل وضعف حتى غلبته الشهوة فلم
يصبر على دفعها التحق باتباع الشياطين فاذا ترك الافعال المشتهاة عمل يثمره
حال يسمى الصبر وهو ثبات باعث الدين الذي في مقابلة باعث الشهوة وثبات
باعث الدين حال تثمرها المعرفة بعداوة الشهوات ومضادتها لاسباب السعادة
في الدنيا والاخرة فاذا قوي يقينه اعني المعرفة التي تسمى ايمانا وهو اليقين
بكون الشهوة عدوا قاطعا لطريق الله تعالى قوي ثبات باعث الدين فاذا قوي ثباته

مطلب التصوف

قوة الايمان

ثباته ثمت الافعال على خلاف ما تقتضاه الشهوة فلا تترك الشهوة الا
بقوة باعث الدين المضاد لباعث الشهوة وقوة المعرفة والايمان بقبح مغبة
الشهوات وسوء عاقبتها وهذان الملكان هما المتوكلان المتكلفان بجذب
الجندين باذن الله سبحانه وتسخيره اياهما وهما من الكرام الكاتبين وهما الموكلان
بكل شخص من الادميين فاذا عرفت ان رتبة الملك الهادي اعلى من رتبة الشيطان
المغوي لم يخف عليك ان جانب اليمين الذي هو اشرف الجانبين من جنبي الادمي
ينبغي ان يكون مسلما له فهو اذا صاحب اليمين والاخر صاحب الشمال وللعبد طوران
في الغفلة والفكر وفي الاسترسال والمجاهدة فهو بالغفلة معرض عن صاحب
اليمين ومسيء اليه فيكتب اعراضه سيئة وبالفكر مقبل عليه ليستفيد منه
الهداية فهو به محسن فتكتب له حسنة وكذا بالاسترسال هو معرض عن صاحب
الشمال تارك للاستمداد منه فهو به مسيء اليه فتكتب عليه سيئة
وبالمجاهدة مستشمر من جنوده فتكتب له به حسنة وانما تكتب هذه الحسنات
والسيئات باثباتهما فلذلك سميا كراما كاتبين اما الكرام فلانتفاع العبد
بكرمهما ولان الملائكة كلهم كرام بررة واما الكاتبين فلاثباتهما الحسنات
والسيئات وانما يكتبان في صحايف مطوية في سر الغيب ومطوية عن سر القلب
حتى لا يطلع عليه في هذا العالم فانهما وكتبهما وخطهما وصحايفهما وجملة ما يتعلق
بهما من عالم الغيب والملكوت لا من عالم الشهادة وشيء من عالم الملكوت لا تدركه
الابصار في هذا العالم ثم تنشر هذه الصحايف المطوية عنه مرتين مرة
في القيمة الصغرى ومرة في القيمة الكبرى واعني بالقيمة الصغرى حالة الموت
اذ قال صلى الله عليه وسلم من مات فقد قامت قيامته
وفي هذه القيمة يكون العبد وحده وعندها يقال له ولقد جئتمونا
فرادى كما خلقناكم اول مرة وفيها يقال كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا
اما في القيمة الكبرى الجامعة لكافة الخلايق فلا يكون وحده بل ربما يحاسب
على ملاء من الخلق وفيها يساق المتقون الى الجنة والمجرمون الى النار زمرا
لا احادا والهول الاول هو هول القيمة الصغرى ولجميع اهوال القيمة الكبرى
نظير في القيمة الصغرى مثل زلزلة الارض مثلا فان ارضك الخاصة بك تزلزل في الموت
فانك تعلم ان الزلزلة اذا نزلت بارض صدق ان يقال قد تزلزلت ارضهم

ف

وجه تسمية كراما كاتبين

قيمة الصغرى الموت

نظير قيامة الصغرى

○ وإن لم تزلزل البلاد المحيطة بها بل لو زلزل مسكن الإنسان بزلزلة مسكنه لا بزلزلة مسكن غيره فحصته من الزلزلة قد توفرت من غير نقصان ○ واعلم أنك أرضي مخلوق من التراب وحظك الخاص من التراب بدنك فقط فأما بدن غيرك فليس بحظك والأرض التي أنت جالس عليها بالإضافة إلى بدنك ظرف ومكان وإنما تخاف من تزلزله أن يتزلزل بدنك بسببه وإلا فالهوى أبداً متزلزل وأنت لا تخشاه إذ ليس يتزلزل به بدنك فحظك من زلزلة الأرض كلها زلزلة بدنك فقط فهي أرضك وترابك الخاص بك وعظامك جبال أرضك ورأسك سماء أرضك وقلبك شمس أرضك وسمعك وبصرك وسائر حواسك نجوم سمائك ومغيض العروق من بدنك بحر أرضك ○ وشعورك نبات أرضك وأطرافك أشجار أرضك وهكذا إلى جميع أجزائك فإذا انهدمت بالموت أركان بدنك فقد زلزلت الأرض زلزالها فإذا انفصلت العظام من اللحوم فقد حملت الأرض والجبال فدكتا دكة واحدة فإذا رمت العظام فقد نسفت الجبال نسفاً فإذا أظلم قلبك عند الموت فقد كورت الشمس تكويراً ○ فإذا بطل سمعك وبصرك وسائر حواسك فقد انكدرت النجوم انكداراً فإذا انشق دماغك فقد انشقت السماء انشقاقاً فإذا انفجر من هول الموت عرق جبينك فقد فجرت البحار تفجيراً فإذا التفت إحدى ساقيك بالأخرى وهما مطيتاك فقد عطلت العشار تعطيلاً فإذا فارق الروح الجسد فقد حملت الأرض فمدت حتى ألقت ما فيها وتخلت ولست أطول بموازنة جميع الأحوال والأهوال ولكني أقول بمجرد الموت تقوم عليك هذه القيامة ولا يفوتك من القيامة الكبرى شيء ○ مما يخصك بل ما يخص غيرك فإن الكواكب في حق غيرك ماذا ينفعك وقد انتثرت ○ حواسك التي بها تنتفع بالكواكب والأعمى يستوي عنده الليل والنهار وكسوف الشمس وانجلاؤها لأنه قد كسفت في حقه دفعة واحدة وذلك حظه منها فالانجلاء بعد ذلك حظ غيره ومن انشق رأسه فقد انشقت سماؤه وإذا السماء عبارة عما يلي جهة الرأس له لا سماء له فمن أين ينفعه بقاء السماء لغيره فهذه القيامة الصغرى والخوف بعد أسفل والهول بعد مدخر وذلك إذا جاءت الطامة وبطلت السموات والأرض ونسفت الجبال وتمت الأهوال وهذه الصغرى وإن طول في وصفها فإنا لم نذكر عشر عشير أوصافها فهي بالنسبة إلى القيامة الكبرى ○ كالولادة الصغرى بالنسبة إلى الولادة الكبرى فإن للإنسان ولادتين أحداهما

ف

الارض والجبال والنجوم وغيرها في بدن الانسان عجائب

الموت

ولادة الصغرى والكبرى

أحدهما الخروج من الصلب والترائب إلى مستودع الأرحام وهو في الرحم في
قرار مكين إلى قدر معلوم وله في سلوكه إلى الكمال منازل وأطوار من نطفة
وعلقة ومضغة وغيرها إلى أن يخرج عن مضيق الرحم إلى فضاء العالم فنسبة
عموم القيامة الكبرى إلى خصوص القيامة الصغرى كنسبة فضاء العالم إلى سعة
فضاء الرحم ونسبة سعة العالم الذي يقدم عليه العبد بالموت إلى سعة فضاء
الدنيا كنسبة فضاء الدنيا أيضا إلى الرحم بل أوسع وأعظم فقس بالآخرة الأولى
فما خلقكم ولا بعثكم إلا كنفس واحدة وما النشأة الثانية إلا على قياس النشأة
الأولى بل أعداد النشأة ليست محصورة في اثنتين وإليه الإشارة بقوله سبحانه
وننشئكم فيما لا تعلمون فالمقر بالقيامتين مؤمن بعالم الغيب والشهادة
ومؤمن بالملك والملكوت والمقر بالقيامة الصغرى دون الكبرى ناظر
بالعين العوراء إلى أحد العالمين وذلك هو الجهل والضلال والاقتداء بالأعور
الدجال فما أعظم غفلتك يا مسكين وكلنا ذلك المسكين وبين يديك هذه الأهوال
فإن كنت لا تؤمن بالقيامة الكبرى بالجهل والضلال أفلا يكفيك القيامة الصغرى
أوما سمعت قول سيد الأنبياء عليهم السلام كفى بالموت واعظا أوما
سمعت بكربه عليه السلام عند الموت اللهم هون على محمد سكرات الموت أوما
تستحيي من استبطائك هجوم الموت اقتداء برعاع الغافلين الذين لا ينظرون إلا صيحة
واحدة تأخذهم وهم يخصمون فلا يستطيعون توصية ولا إلى أهلهم يرجعون
فيأتيهم المرض نذيرا من الموت فلا ينزجرون ويأتيهم الشيب رسولا فلا يعتبرون
فيا حسرة على العباد ما يأتيهم من رسول إلا كانوا به يستهزئون أفيظنون أنهم
في الدنيا خالدون ألم يروا كم أهلكنا قبلهم من القرون أنهم إليهم لا يرجعون
إن الموتى سافروا من عندهم فهم معدومون كلا إن كل لما جميع لدينا محضرون
ولكن ما يأتيهم من آية من آيات ربهم إلا كانوا عنها معرضين وذلك لأنا
جعلنا من بين أيديهم سدا ومن خلفهم سدا فأغشيناهم فهم لا يبصرون
فسواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون ولنرجع إلى الغرض فإن
هذه تلويحات تشير إلى أمور هي أعلى من علوم المعاملة فنقول قد ظهر أن الصبر
عبارة عن ثبات باعث الدين في مقاومة باعث الهوى وهذه المقاومة من
من خاصية الآدميين لما وكل بهم من الكرام الكاتبين فلا يكتبون شيئا على

القيامتين

مطلب اللزوم

الموت

علم التصوف أولى من علم المعاملة

الصبيان والمجانين اذ ذكر ان الحسنة في الاقبال على الاستفادة منهم والسيئة في الاعراض وما للصبيان والمجانين سبيل الى الاستفادة منهم اقبال واعراض وهم لا يكتبون الا الاقبال والاعراض من القادرين على الاقبال والاعراض ولعمري تظهر مبادي اشراق نور الهداية عند سن التمييز وتنمو على التدريج الى سن البلوغ كما يبدو نور الصبح الى ان يطلع قرص الشمس ولكنها هداية قاصرة لا ترشد الى مضار الاخرة بل الى مضار الدنيا فلذلك يضرب على ترك الصلاة باجزا ولا يعاقب في الاخرة ولا يكتب عليه في الصحائف ما ينشر في الاخرة بل على القيم العدل والولي البر الشفيق ان كان من الابرار وكان على سمت الكرام البررة ان يكتب على الصبي سيئة وحسنة على صحيفة فيكتب ذلك عليه بالحفظ ثم ينشره عليه بالتعريف ثم يعذبه عليه بالضرب فكل ولي هذه سمته في حق الصبي فقد ورث اخلاق الملائكة واستعملها في حق الصبي فينال بها درجة القرب من رب العالمين كما نالته الملائكة فيكون مع النبيين والمقربين من الصديقين واليه الاشارة بقوله عليه السلام انا وكافل اليتيم كهاتين

بيان كون الصبر نصف الايمان

اعلم ان الايمان تارة يختص في اطلاقه بالتصديقات باصول الدين وتارة يعبر بالاعمال الصادرة منه وتارة يطلق عليهما جميعا وللمعارف ابواب وللاعمال ابواب ولاشتمال لفظ الايمان على جميعها كان الايمان نيفا وسبعين بابا واختلاف هذه الاطلاقات ذكرناه في كتاب قواعد العقائد من ربع العبادات ولكن الصبر نصف الايمان باعتبارين وعلى مقتضى اطلاقين احدهما ان يطلق على التصديقات والاعمال جميعا فيكون للايمان ركنان احدهما اليقين والاخر الصبر والمراد باليقين المعارف القطعية الحاصلة بهداية الله عبده الى اصول الدين والمراد بالصبر العمل بمقتضى اليقين اذ اليقين يعرفه ان المعصية ضارة والطاعة نافعة ولا يمكن ترك المعصية والمواظبة على الطاعة الا بالصبر وهو استعمال باعث الدين في قهر باعث الهوى والكسل فيكون الصبر نصف الايمان بهذا الاعتبار ولهذا جمع عليه السلام بينهما فقال من اقل ما اوتيتم اليقين وعزيمة الصبر

الصبر الحديث إلى آخره **الاعتبار الثاني** أن يطلق على الأحوال المثمرة للأعمال لا على المعارف وعند ذلك ينقسم جميع ما يلاقيه العبد إلى ما ينفعه في الدنيا والآخرة أو يضره فيهما وله بالإضافة إلى ما يضره حال الصبر وبالإضافة إلى ما ينفعه حال الشكر فيكون الشكر أحد شطري الإيمان بهذا الاعتبار كما كان اليقين أحد الشطرين بالاعتبار الأول وبهذا النظر قال ابن مسعود رضي الله عنه الإيمان نصف صبر ونصف شكر وقد يرفع أيضا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم **ولما كان الصبر صبرا عن بواعث الهوى** بثبات باعث الدين وكان باعث الهوى قسمين باعث من جهة الشهوة وباعث من جهة الغضب فالشهوة لطلب اللذيذ والغضب للهرب من المؤلم وكان الصوم صبرا على مقتضى الشهوة فقط وهي شهوة البطن والفرج دون مقتضى الغضب ۞ قال عليه السلام بهذا الاعتبار الصوم نصف الصبر لأن كمال الصبر بالصبر عن دواعي الشهوة ودواعي الغضب جميعا فيكون الصوم بهذا الاعتبار ربع الإيمان فهكذا ينبغي أن تفهم تقديرات الشرع لحدود الأعمال والأحوال ونسبتها إلى الإيمان والأصل فيه أن تعرف كثرة أبواب الإيمان وأن اسم الإيمان يطلق على وجوه مختلفة

بيان الأسامي التي تتجدد للصبر

بالإضافة إلى ما عنه الصبر

اعلم أن الصبر ضربان ضرب بدني كتحمل المشاق ۞ بالبدن والثبات عليها وذلك إما بالفعل كتعاطي الأعمال الشاقة إما من العبادات أو غيرها وإما بالاحتمال كالصبر على الضرب الشديد والمرض العظيم والجراحات الهائلة وذلك قد يكون محمودا إذا وافق الشرع ولكن المحمود التام هو الضرب الآخر وهو الصبر النفسي عن مشتهيات الطبع ومقتضيات الهوى ثم هذا الضرب إن كان صبرا عن شهوة البطن والفرج سمي عفة وإن كان على احتمال مكروه اختلفت أساميه عند الناس باختلاف المكروه الذي غلب عليه الصبر فإن كان في مصيبة اقتصر على اسم الصبر وتضاده حالة تسمى الجزع والهلع وهو إطلاق داعي الهوى ليسترسل في رفع الصوت وضرب الخدود وشق الجيوب وغيرها وإن كان في احتمال الغنى سمي ضبط النفس

مطلب أقسام الصبر

الاخلاق

وتضاده حالة تسمى البطر وإن كان في حرب ومقاتلة سمي شجاعة وتضاده الجبن وإن
كان في كظم غيظ وغضب سمي حلماً وتضاده التذمر وإن كان في نائبة من نوائب الزمان
مضجرة سمي سعة الصدر وتضاده الضجر والتبرم وضيق الصدر وإن كان في إخفاء كلام
سمي كتمان السر وسمي صاحبه كتوماً وإن كان عن فضول العيش سمي زهداً وتضاده
الحرص وإن كان صبراً على قدر يسير من الحظوظ سمي قناعة وتضاده الشره فأكثر
أخلاق الإيمان داخلة في الصبر لأنه أكثر أعماله سئل رسول الله صلى الله
عليه وسلم عن الإيمان فقال هو الصبر لأنه أكثر أعماله وأعزها كما قال الحج عرفة
وقد جمع الله سبحانه أقسام ذلك كله وسمى الكل صبراً فقال والصابرين في البأساء
والضراء أي الفقر وحين البأس أي المحاربة أولئك الذين صدقوا وأولئك هم المتقون
فإذاً هذه أقسام الصبر باختلاف متعلقاتها ومن يأخذ المعاني من الأسامي يظن أن
هذه الأحوال مختلفة في ذواتها وحقائقها من حيث رأى الأسامي مختلفة
والذي يسلك الطريق المستقيم وينظر بنور الله تعالى يلحظ المعاني أولاً فيطلع على
حقائقها ثم يلاحظ الأسامي فإنها وضعت دالة على المعاني فالمعاني هي الأصول
والألفاظ هي التوابع ومن يطلب الأصول من التوابع لابد أن يزل وإلى الفريقين
الإشارة بقوله سبحانه أفمن يمشي مكباً على وجهه أهدى أمن يمشي سوياً على صراط
مستقيم فإن الكفار لم يغلطوا فيما غلطوا فيه إلا بمثل هذه الانعكاسات

بيان أقسام الصبر بحسب الضعف والقوة

اعلم أن باعث الدين بالإضافة إلى باعث الهوى
ثلاثة أحوال أحدها أن يقهر داعي الهوى فلا يبقى له قوة المنازعة ويتوصل
إلى ذلك بدوام الصبر وعند هذا يقال من صبر ظفر والواصلون إلى هذه الرتبة
هم الأقلون فلا جرم هم الصديقون المقربون الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا
فهؤلاء لزموا الصراط المستقيم واستووا على الصراط القويم واطمأنت نفوسهم
على مقتضى باعث الدين وإياهم ينادي المنادي يا أيتها النفس المطمئنة ارجعي

الاستقامة على الدين

الآمنة التي لم يخالطها شك في الايمان والتي اطمأنت بلقاء الله تعالى
عند الموت او البعث اكرام الله تعالى

ارجعي الى ربك راضية مرضية ۞ **الحالة الثانية** ان تغلب دواعي الهوى
وتسقط بالكلية منازعة باعث الدين فيسلم نفسه الى جند الشيطان ولا يجاهده
ليأسه عن المجاهدة وهؤلاء هم الغافلون وهم الاكثرون وهم الذين استرقتهم
شهواتهم وغلبت عليهم شقوتهم فحكموا اعداء الله في قلوبهم التي هي سر من
اسرار الله وامر من امر الله واليهم الاشارة بقوله سبحانه ولو شئنا لآتينا
كل نفس هداها ولكن حق القول مني لأملأن جهنم من الجنة والناس اجمعين
وهؤلاء هم الذين اشتروا الحيوة الدنيا بالآخرة فخسرت صفقتهم وقيل
لمن قصد ارشادهم فاعرض عمن تولى عن ذكرنا ولم يرد الا الحيوة الدنيا ذلك
مبلغهم من العلم وهذه الحالة علامتها اليأس والقنوط والغرور والاماني
وذلك غاية الحمق كما قال صلى الله عليه وسلم الكيس من دان
نفسه وعمل لما بعد الموت والاحمق من اتبع نفسه هواها وتمنى على الله وصاحب هذه
الحالة اذا وعظ قال انا مشتاق الى التوبة ولكنها قد تعذرت علي فلست اطمع
فيها او لم يكن مشتاقا الى التوبة ولكن يقول ان الله غفور رحيم كريم فلا حاجة بي الى
التوبة وهذا المسكين قد صار عقله رفيقا لشهوته فلا يستعمل عقله الا في
استنباط دقائق الحيل التي يتوصل بها الى قضاء شهوته فقد صار عقله في يدي
شهوته كمسلم اسير في ايدي الكفار فيستسخرونه في رعاية الخنازير وحفظ الخمور
ومحله عند الله تعالى محل من يقهر مسلما ويسلمه الى الكفار ويجعله اسيرا عندهم
لانه بفاحش جنايته يشبه انه سخر ما كان حقه ان يستسخر وسلط من كان حقه
ان يسلط عليه وانما استحق المسلم ان يكون مسلطا عليه لما فيه من معرفة الدين
وباعث الدين وانما يستحق الكافر ان يكون مسلطا عليه لما فيه من الجهل بالدين
وباعث الشيطان وحق المسلم على نفسه اوجب من حق غيره عليه فمهما سخر المعنى
الشريف الذي هو من حزب الله وجند الملائكة للمعنى الخسيس الذي هو من حزب
الشيطان المبعدين عن الله تعالى كمن ارق مسلما لكافر بل هو كمن قصد الملك المنعم
عليه فاخذ اعز اولاده واسلمه الى ابغض اعدائه فانظر كيف يكون كفرانه
لنعمته واستحقاقه لنقمته لان الهوى ابغض اله عبد في الارض عند الله والعقل اعز
موجود خلق في الارض . **الحالة الثالثة ان يكون الحرب سجالا ۞**
بين الجندين فتارة له اليد عليها وهذا من المجاهدين يعد لا من الظافرين واهل هذه

كالبهيمة الذين خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا عسى الله أن يتوب عليهم هذا باعتبار
القوة والضعف وينطرق اليه ايضا ثلاثة احوال باعتبار عدد ما يصبر عنه
فانه اما ان يغلب جميع الشهوات او لا يغلب شيئا منها او يغلب بعضا دون بعض
وتنزيل قوله سبحانه خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا عسى الله ان يتوب عليهم
على من عجز عن بعض دون بعض اولى والتاركون للمجاهدة مع الشهوات مطلقا يشبهون
بالانعام بل هم اضل سبيلا اذ البهيمة لم تخلق لها المعرفة والقوة التي
بهما تجاهد مقتضى الشهوات وهذا خلق له ذلك وعطله فهو الناقص حقا المدبر

• يقينا ولذلك قيل •

• ولم ار في عيوب الناس عيبا • كنقص القادرين على التمام •

وينقسم الصبر ايضا باعتبار اليسر والعسر

الى ما يشق على النفس فلا يمكن الدوام عليه الا بجهد جهيد وتعب شديد
ويسمى ذلك تصبرا والى ما يكون من غير شدة تعب بل يحصل بادنى محاملة على النفس
ويخص ذلك باسم الصبر فاذا ادام التقوى وقوي التصديق بما في العاقبة من
الحسنى تيسر الصبر ولذلك قال تعالى فاما من اعطى واتقى وصدق
بالحسنى فسنيسره لليسرى ومثال هذه القسمة قدرة المصارع
على غيره فان الرجل القوي يقدر على ان يصرع الضعيف بادنى حيلة واليسر قوة بحيث
لا يلقاه في مصارعته اعياء ولا لغوب ولا تضطرب نفسه فيه ولا ينبهر ولا
يقوى على ان يصرع الشديد الا بتعب ومزيد جهد وعرق جبين فهكذا تكون
المصارعة بين باعث الدين وبين باعث الهوى فانه على التحقيق صراع بين جنود
الملائكة وجنود الشياطين ومهما اذعنت الشهوات وانقمعت وتسلط باعث
الدين فاستولى وتيسر الصبر بطول المواظبة اورث ذلك مقام الرضى كما سيأتي
في كتاب الرضى اذ الرضا اعلى من الصبر ولذلك قال صلى الله عليه وسلم
اعبد الله على الرضى فان لم تستطع ففي الصبر على ما تكره خير كثير وقال
بعض العارفين اهل الصبر على ثلاث مقامات الاول
ترك الشكوى وهذه درجة التائبين والثانية الرضى بالمقدور وهذه
درجة الزاهدين والثالثة المحبة لما يصنع به مولاه وهذه درجة الصديقين
وسنبين في كتاب المحبة انها اعلى من مقام الرضى كما ان مقام الرضى اعلى من مقام الصبر

مثال المجاهدة بالهوى

اقسام الصبر

الصبر وكان هذا الانقسام يجري في صبر خاص وهو الصبر على المصائب والبلايا
واعلم ان الصبر ايضاً ينقسم باعتبار حكمه الى فرض ونفل ومكروه ومحظور
فالصبر على المحظورات فرض وعن المكاره نفل والصبر على الاذى المحظور محظور
كمن تقطع يده او يد ولده وهو يصبر على ذلك ساكتاً استحياء وكمن يقصد حريمه
بشهوة محظورة فتهيج غيرته فيصبر عن اظهار الغيرة ويسكت على ما يجري على اهله
والصبر المكروه وهو الصبر على اذى يناله بجهة مكروهة في الشرع فليكن الصبر
محك الشرع فكون الصبر نصف الايمان لا ينبغي ان يخيل اليك ان جميعه محمود
بل المراد انواع من الصبر مخصوصة

بيان مكان الحاجة الى الصبر

وان العبد لا يستغني عنه في حال من الاحوال

اعلم ان جميع ما يلقى العبد في هذه الحيوة لا يخلوا
من نوعين احدهما هو الذي يوافق الهوى والثاني هو الذي لا يوافقه بل
يكرهه وهو محتاج الى الصبر في كل واحد منهما وهو في جميع الاحوال لا يخلوا
عن احد هذين النوعين او كلاهما فهو اذاً لا يستغني قط عن الصبر **النوع
الاول** ما يوافق الهوى وهو الصحة والسلامة والمال والجاه وكثرة
العشيرة واتساع الاسباب وكثرة الاتباع والانصار وجميع ملاذ الدنيا
وما احوج العبد الى الصبر على هذه الامور فانه لم يضبط نفسه عن الاسترسال
والركون اليها والانهماك في ملاذها المباحة اخرجه ذلك الى البطر والطغيان
فان الانسان ليطغى ان رآه استغنى حتى قال بعض العارفين البلاء يصبر
عليه المؤمن والعافية لا يصبر عليها الا صديق وقال سهل الصبر
على العافية اشد من الصبر على البلاء ولما فتحت ابواب الدنيا على الصحابة
رضي الله عنهم قالوا ابتلينا بفتنة الضراء فصبرنا وابتلينا بفتنة السراء

اتباع الهوى

فتنة المال والاهل والاولاد

فلم تصبر ولذلك حذر الله سبحانه عباده من فتنة المال والزوج والولد ۵ فقال تعالى يا ايها الذين امنوا لا تلهكم اموالكم ولا اولادكم عن ذكر الله ۵ وقال تعالى ان من ازواجكم واولادكم عدوا لكم فاحذروهم وقال صلى الله عليه وسلم الولد مجبنة مبخلة محزنة ولما نظر الى ابنه الحسن رضي الله عنه يتعثر في قميصه نزل عن المنبر واحتضنه ثم قال صدق الله انما اموالكم ۵ واولادكم فتنة اني لما رايت ابني يتعثر لم املك نفسي ان اخذته ففي ذلك عبرة لاولي الابصار فالرجل كل الرجل من يصبر على العافية ومعنى الصبر على العافية ان لا يركن اليها ويعلم ان ذلك مستودع عنده وعساه ان يسترجع على القرب وان لا يرسل نفسه بالفرح بها ولا ينهمك في التنعم واللذة واللهو واللعب وان يراعي حقوق الله تعالى في ماله بالانفاق وفي بدنه ببذل المعونة وفي لسانه ببذل

الاطعام

الصدق ويتخلق وكذلك في ساير ما انعم الله تعالى عليه به وهذا الصبر ۵ يتصل بالشكر فلا يتم الا بالقيام بحق الشكر كما سياتي وانما كان الصبر على السراء اشد لانه مقرون بالقدرة ومن العصمة ان لا يقدر والصبر على الحجامة والفصاد اذا تولاه غيرك ايسر من الصبر على فصد نفسك وحجامتك نفسك والجايع عند غيبة الطعام اقدر على الصبر منه اذا حضرته الاطعمة الطيبة اللذيذة وقدر عليها فلهذا عظمت السراء **والنوع الثاني** ما لا يوافق الهوى والطبع وذلك لا يخلو اما ان يرتبط باختيار العبد كالطاعات والمعاصي او لا يرتبط ۵ باختياره كالمصايب والنوايب او لا يرتبط اولها باختياره ولكن له اختيار في ۵ ازالتها كالتشفي من الموذي بالانتقام منه فهذه ثلاثة اقسام **القسم الاول** ما يرتبط باختياره وهي ساير افعاله التي توصف بكونها طاعة او معصية وهما ضربان **الضرب الاول الطاعة** والعبد يحتاج الى الصبر عليها فالصبر على الطاعة شديد لان النفس بطبعها تنفر عن العبودية وتشتهي الربوبية ولذلك قال بعض العارفين ما من نفس الا وهي مضمرة ما اظهره فرعون من قوله انا ربكم الاعلى ولكن فرعون وجد له مجالا وقبولا فاظهره فاستخف قومه فاطاعوه وما من احد الا وهو يدعي ذلك مع عبده وخادمه واتباعه وكل من هو تحت قهره وطاعته وان كان ممتنعا من اظهاره فان امتناعه وغيظه عند تقصيرهم في خدمته واستبعاده ذلك ليس يصدر

لا يوافق الهوى

بصفاتهم إلا اعتراضا دالكبر ومنازعة الربوبية في رداء الكبر فإذا العبودية شاقة
على النفس مطلقا ثم من العبادات ما يكره بسبب الكسل كالصلاة ومنها ما يكره
بسبب البخل كالزكوة ومنها ما يكره بسببهما جميعا كالحج والجهاد فالصبر على الطاعة
صبر على الشدائد ويحتاج المطيع إلى الصبر على طاعته في ثلاثة أحوال الأولى قبل
الطاعة وذلك في تصحيح النية والإخلاص والصبر عن شوائب الرياء ودواعي الآفات
وعقد العزم على الإخلاص والوفاء وذلك من الصبر الشديد على من اعرف حقيقة
النية والإخلاص وآفات الرياء ومكايد النفس وقد نبه صلى الله
عليه وسلم حيث قال إنما الأعمال بالنيات
ولكل امرئ ما نوى وقال سبحانه وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين
له الدين ولهذا قدم الصبر على العمل فقال إلا الذين صبروا وعملوا الصالحات
الحالة الثانية حالة العمل كي لا يغفل عن الله سبحانه في أثناء عمله ولا يتكاسل
عن تحقيق آدابه وسننه ويدوم على شرط العمل إلى آخر الأدب فيلزم الصبر عن
دواعي الفتور إلى الفراغ وهذا أيضا من شدائد الصبر ولعله المراد بقوله سبحانه
نعم أجر العاملين الذين صبروا إلى تمام العمل الحالة الثالثة
بعد الفراغ من العمل إذ يحتاج إلى الصبر عن إفشائه والتظاهر به للسمعة والرياء
والصبر عن النظر إليه بعين العجب وعن كل ما يبطل عمله ويحبط أثره كما قال سبحانه
ولا تبطلوا أعمالكم وكما قال لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والأذى فمن لم
يصبر على المن والأذى فقد أبطل عمله والطاعات تنقسم إلى فرض ونفل وهو محتاج
إلى الصبر عليهما جميعا وقد جمعهما الله سبحانه في قوله إن الله يأمر
بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى هي المودة وصلة الرحم وكل ذلك
يحتاج إلى الصبر الضرب الثاني المعاصي فما أحوج العبد
إلى الصبر عنها وقد جمع الله أنواع المعاصي في قوله وينهى عن الفحشاء والمنكر
والبغي وقال صلى الله عليه وسلم المهاجر من هجر السوء والمجاهد
من جاهد هواه والمعاصي مقتضى بواعث الهوى وأشد أنواع الصبر عن المعاصي
الصبر عن المعاصي التي صارت مألوفة بالعادة فإن العادة طبيعة خامسة
فإذا انضاف إلى الشهوة تظاهر جندان من جنود الشيطان على جند الله تعالى فلا يقوى
باعث الدين على قمعها ثم إذا كان ذلك الفعل مما يتيسر فعله كان الصبر عنه أثقل

الصبر على تمام العمل

اقسام الصبر عن المعاصي

على النفس كالصبر عن معاصي اللسان بالغيبة والكذب والمراء والثناء على النفس
تعريضا وتصريحا وانواع المزاح المؤذي للقلوب وضروب الكلمات التي يقصد بها
الازدراء والاستخفاف وذكر الموتى والقدح فيهم وفي علومهم وفي سيرهم
ومناصبهم فان في ظاهر ذلك غيبة وفي باطنه ثناء على النفس فللنفس فيه شهوتان
احداهما نفي الغير والاخرى اثبات نفسه وبهما تتم له الربوبية التي هي في طبعه
وهو ضد ما امر به لاجتماع الشهوتين وتيسير تحريك اللسان ومصير ذلك معتادا
في المحاورات يعسر الصبر عنها حتى يبطل استنكارها واستقباحها من القلوب
لكثرة تكررها وعموم الانس بها فترى الانسان يلبس حريرا مثلا فيستبعد
غاية الاستبعاد ويطلق لسانه طول النهار في اعراض الناس فلا يستنكر ذلك
مع ما ورد في الخبر ان الغيبة اشد من الزناء ومن لم يملك لسانه في المحاورات
ولم يقدر على الصبر عن ذلك فيجب عليه العزلة والانفراد فلا ينجيه غيره فالصبر
على الانفراد اذا هو اهون من الصبر على السكون مع المخالطة وتختلف شدة
الصبر في احاد المعاصي في اختلاف داعية تلك المعصية في قوتها وضعفها
وايسر من حركة اللسان حركة الخواطر باختلاف الوسواس فلا جرم يبقى حديث
النفس في العزلة ولا يمكن الصبر عنه اصلا الا ان يغلب على القلب هم اخر
في الدين يستغرقه كمن اصبح وهمومه هم واحد والا فلم يستعمل الفكر في شي معين
القسم الثاني ما لا يرتبط هجومه باختياره وله اختيار في دفعه كما لو اوذي
بفعل او قول او جني عليه في نفسه او ماله فالصبر على ذلك بترك المكافاة
تارة يكون واجبا وتارة يكون فضيلة قال بعض الصحابة رضي الله
عنهم ما كنا نعد إيمان الرجل ايمانا اذا لم يصبر على الاذى
وقال سبحانه ولنصبرن على ما اذيتمونا وعلى الله فليتوكل المتوكلون
وقسم عليه السلام مرة مالا فقال بعض الاعراب هذه قسمة ما اريد بها
وجه الله فاخبر به عليه السلام فاحمرت وجنتاه ثم قال رحم الله اخي
موسى لقد اوذي باكثر من هذا فصبر سبحانه ودع اذاهم وتوكل على الله وكفى
بالله وكيلا وقال تعالى واصبر على ما يقولون واهجرهم هجرا جميلا
وقال تعالى ولقد نعلم انك يضيق صدرك بما يقولون وقال تعالى ولتسمعن
من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين اشركوا اذى كثيرا وان تصبروا وتتقوا

وقال ح

وتتقوا فان ذلك من عزم الامور ۞ اي تصبروا على المكافاة ولذلك مدح الله سبحانه العافين عن حقوقهم في القصاص وغيرهم فقال سبحانه وان عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به ولئن صبرتم لهو خير للصابرين وقال صلى الله عليه وسلم صل من قطعك واعط من حرمك واعف عمن ظلمك ورايت في الانجيل قال عيسى عليه السلام لقد قيل لكم من قبل ان السن بالسن والانف بالانف وانا اقول لكم لا تقاوموا الشر بالشر بل من ضرب خدك الايمن فحول له خدك الايسر ومن اخذ رداءك فاعطه ازارك ومن سخرك لتسير معه ميلا فسر معه ميلين وكل ذلك امر بالصبر على الاذى ۞ فالصبر على الاذى من اعلى مراتب الصبر لانه يتعاون فيه على باعث الدين باعث الغضب والشهوة جميعا

القسم الثالث ما لا يدخل

تحت الاختيار اوله واخره كالمصائب مثل موت الاعزة وهلاك الاموال وزوال الصحة بالمرض وعمى العينين وفساد الاعضاء وبالجملة فسائر انواع البلاء فالصبر على ذلك من اعلى مقامات الصبر قال ابن عباس رضي الله عنه ۞ الصبر في القران على ثلاثة اوجه صبر على اداء فرائض الله فله ثلاث مائة درجة وصبر عن محارم الله فله ستمائة درجة وصبر في المصيبة عند الصدمة الاولى فله تسعمائة درجة وانما فضل الله هذه الرتبة مع انها من الفضائل ۞ على من قبلها وهي من الفرائض لان كل مؤمن يقدر على الصبر عن المحارم فالصبر على بلاء الله فلا يقدر عليه الا بضاعة الصديقين فان ذلك شديد على النفس ولذلك ۞ قال عليه السلام اسالك من اليقين ما تهون به علي مصائب الدنيا وهذا صبر مستنده حسن اليقين ۞ وقال ابو سليمان والله ما نصبر على ما نحب فكيف نصبر على ما نكره وقال صلى الله عليه وسلم قال الله سبحانه اذا وجهت الى عبد من عبيدي مصيبة في بدنه او ماله او ولده ثم استقبل ذلك بصبر جميل استحييت منه يوم القيامة ان انصب له ميزانا او انشر له ديوانا وقال عليه السلام انتظار الفرج بالصبر عبادة وقال عليه السلام من اصيب بمصيبة فقال كما امره الله سبحانه انا لله وانا اليه راجعون اللهم اجرني في مصيبتي واعقبني خيرا منها الا فعل الله ذلك به ۞ وقال انس رضي الله عنه حدثني رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله

ما لا يدخل تحت الاختيار

اقسام الصبر عجايب

ثواب المصايب

تعالى قال يا جبريل ما جزاء من سلبته كريمتيه قال سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا
قال جزاؤه الخلود في داري والنظر إلى وجهي وقال عمر بن عبد العزيز
في خطبته ما أنعم الله على عبد نعمة فانتزعها منه وعوضه منها الصبر إلا ما كان
ما عوضه منها أفضل مما انتزع منه وقد قال الله تعالى إنما يوفى الصابرون
أجرهم بغير حساب وسئل فضيل عن الصبر فقال هو الرضا
بقضاء الله تعالى قيل وكيف ذلك قال الراضي لا يتمنى فوق منزلته وكان الشبلي حبس
في المارستان فدخل عليه جماعة فقال من أنتم فقالوا أحبابك جاؤوك زائرين
فأخذ يرميهم بالحجارة فأخذوا يهربون فقال لو كنتم أحبابي صبرتم على بلائي
وكان بعض العارفين في جيبه رقعة يخرجها كل ساعة
ويطالعها وكان فيها واصبر لحكم ربك فإنك بأعيننا وقيل إن امرأة فتح
الموصلي عثرت فانقطع ظفرها فقيل لها أما تجدين الوجع فقالت إن لذة ثوابه
أزالت عن قلبي مرارة وجعه وقال داود لسليمان عليهما السلام
يستدل على تقوى الإنسان بثلاث حسن التوكل فيما لم ينل وحسن الرضا فيما قد نال
وحسن الصبر فيما قد فات وقال نبينا عليه السلام من إجلال الله ومعرفة
حقه أن لا تشكو وجعك ولا تذكر مصيبتك ويروى عن بعض الصالحين أنه خرج
يوما وفي كمه صرة ففقدها فإذا هي قد أخذت من كمه فقال بارك الله له فيها لعله
لعله أحوج مني إليها ويروى عن بعضهم أنه قال مررت على
سالم مولى أبي حذيفة في القتلى رحمهم الله وبه رمق فقلت له أسقيك ماء
فقال جرني قليلا إلى العدو واجعل الماء في الترس فإني صائم فإن عشت إلى
الليل شربته فهكذا كان صبر سالكي طريق الآخرة على بلاء الله سبحانه فإن
قلت فبماذا تنال درجة الصبر في المصائب وليس الأمر إلى اختياره وهو
مضطر شاء أم أبى فإن كان المراد به أن لا يكون في نفسه كراهة للمصيبة فذلك
غير داخل في الاختيار فاعلم أنه إنما يخرج عن مقام الصابرين بالجزع وشق
الجيوب وضرب الخدود والمبالغة في الشكوى وإظهار الكآبة وتغيير العادة
في الملبس والمفرش والمطعم وهذه الأمور داخلة تحت اختياره فينبغي أن يجتنب
جميعها ويظهر الرضا بقضاء الله تعالى ويبقى مستمرا على عادته ويعتقد أن
ذلك كان وديعة فاسترجعت وقد قيل إن الصبر الجميل هو

البكاء على الموتى

هو أن لا يعرف من صاحب المصيبة من غيره ولا يخرجه
عن حد الصابرين توجع القلب ولا فيضان العين بالدموع على الميت فإن ذلك
مقتضى البشرية ولا يفارق الإنسان إلى الموت ولذلك لما مات إبراهيم
ولد النبي صلى الله عليه وسلم فاضت عينا رسول الله صلى الله عليه
وسلم فقيل له أما نهيتنا عن هذا فقال إن هذه رحمة وإنما يرحم
الله من عباده الرحماء بل ذلك أيضا لا يخرج عن مقام الرضى فالمقدم على الحجامة
راض بذلك وهو متألم بسببه لا محالة وقد تفيض عيناه إذا عظم ألمه
وسيأتي ذلك في كتاب الرضى وكتب ابن أبي نجيح يعزي
بعض الخلفاء إن أحق من عرف حق الله فيما أخذ منه من عظم حق الله عنده فيما أبقاه
واعلم أن الماضي قبلك هو الباقي لك والباقي بعدك هو المأجور فيك واعلم أن أجر
الصابرين فيما يصابون به أعظم من النعمة عليهم فيما يعافون فيه فإذا مهما دفع
الكراهة بالتفكر في نعمة الله تعالى عليه بالثواب نال درجة الصابرين ٥ نعم
من كمال الصبر كتمان المرض والفقر وسائر المصائب ٥ وقد قيل من كنوز البر كتمان
المصائب والأوجاع والصدقة فقد ظهر لك بهذه التقسيمات أن وجوب الصبر
عام في جميع الأحوال والأفعال فإن الذي كفي الشهوات كلها فاعتزل وحده ٥
لا يستغني عن الصبر على العزلة والانفراد ظاهرا وعن الصبر على وساوس الشيطان
باطنا فإن اختلاج الخواطر لا يسكن وأكثر جولان الخاطر إنما يكون في فائت ٥
لا تدارك له أو في مستقبل لا بد أن يحصل منه ما هو مقدر فهو كيف ما كان تضييع
زمان وآلة العبد قلبه وبضاعته عمره فإذا غفل العبد في نفس واحد عن ذكر
ما يستفيد به أنسا بالله تعالى أو عن فكر يستفيد به معرفة الله ويستفيد
بالمعرفة محبة الله فهو مغبون هذا إن كان فكره ووسواسه في المباحات مقصورا
عليها ولا يكون كذلك غالبا بل يتفكر في وجوه الحيل لقضاء الشهوات إذ لا
يزال كل من تحرك على خلاف غرضه في جميع أموره أو من يتوهم به أنه ينازعه
ويخالف غرضه بظهور أمارة له منه بل يقدر المخالفة من أخلص الناس في حبه
حتى في أهله وولده ويتوهم مخالفتهم له ثم يتفكر في كيفية زجرهم
وكيفية قهرهم وجوابهم عما يتعللون به في مخالفتهم ولا يزال في شغل
دائم فللشيطان جندان جند يطير وجند يسير والوسواس عبارة عن حركة

ثواب المصيبة

اقسام جند الشيطان

جند الطيار والشهوة عبارة عن حركة جند السيار وهذا لان الشيطان خلق
من النار وخلق الانسان من صلصال كالفخار قد اجتمع فيه مع النار الطين
والطين طبعه السكون والنار طبعه الحركة فلا يتصور نار مشتعلة لا تتحرك
بل لا تزال تتحرك بطبعها وقد كلف الملعون المخلوق من النار ان يطمئن عن حركته ساجدا
لمن خلق من الطين فأبى واستكبر واستعصى وعبر عن سبب استعصائه
بان قال خلقتني من نار وخلقته من طين فاذا حيث لم يسجد الملعون لابينا
آدم صلوات الله عليه وسلامه فلا ينبغي ان يطمع في سجوده لاولاده ومهما كف
عن القلب وسواسه وعداوته وطيرانه وجولانه فقد ظهر انقياده واذعانه
وانقياده بالاذعان سجود منه فهو روح السجود وانما وضع الجبهة على الارض
للذلة وعلامة قالبه بالاصطلاح عليه ولو جعل وضع الجبهة على الارض علامة
استخفاف بالاصطلاح لتصور ذلك كما ان الانبطاح بين يدي المعظم المحترم
يرى استخفافا بالعادة فلا ينبغي ان يدهشك صدف الجوهر عن الجوهر وقالب
الروح عن الروح وقشر اللب عن اللب فتكون ممن قيده عالم الشهادة بالكلية
عن عالم الغيب وتحقق ان الشيطان من المنظرين فلا يتواضع لك بالكف عن الوسواس
الى يوم الدين الا ان تصبح وهموم لك هم واحد فيشتغل قلبك بالله وحده فلا يجد
الملعون مجالا فيك فعند ذلك تكون من عباد الله الصالحين الداخلين في الاستثناء
عن سلطنة هذا اللعين ولا تظنن انه يخلو منه قلب فارغ بل هو سيال يجري من ابن
آدم مجرى الدم وسيلانه مثل الهوى في القدح اذا اردت ان يخلو عن الهوى من غير ان
يشغله بالماء او غيره فقد طمعت في غير مطمع بل بقدر ما يخلو من الماء يدخل فيه
الهوى لا محالة فكذلك القلب بفكر مهم في الدين يخلو عن جولان الشيطان والا فمن
غفل عن الله ولو في لحظة فليس في تلك اللحظة قرين الا الشيطان ولذلك
قال سبحانه وتعالى ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض
له شيطانا فهو له قرين وقال صلى الله عليه وسلم ان الله يبغض
الشاب الفارغ وهذا لان الشاب اذا تعطل عن عمل يشغل ظاهره بمباح يستعين
به على دينه كان باطنه فارغا بل يعشش فيه الشيطان ويبيض ويفرخ ثم يزدوج
افراخه ايضا ويبيض مرة اخرى وهكذا يتولد نسل الشيطان توالدا اسرع من
توالد ساير الحيوانات لان طبعه من النار واذا وجدت النار الحلفاء اليابسة كثر توالدها

تولد نسل الشيطان

تتوالد فلا يزال يتولد النار من النار ولا ينقطع البتة بل يسري شيئا شيئا على الاتصال فالشهوة في نفس الشاب للشيطان كالحلفاء اليابسة للنار وكما لا يبقى النار اذا لم يبق لها قوت وهو الحطب فلا يبقى للشيطان مجال اذا لم تكن شهوة فاذا تأملت علمت ان أعدا عدوك شهوتك وهي صفة نفسك ولذلك قال الحسين ابن منصور الحلاج حين صلب وقد سئل عن التصوف ما هو فقال هي نفسك ان لم تشغلها شغلتك فاذا حقيقة الصبر وكماله الصبر عن كل حركة مذمومة وحركة الباطن اولى بالصبر عن ذلك وهذا صبر دائم لا يقطعه الا الموت

بيان الصبر وما يستعان به عليه

اعلم ان الذي أنزل الداء أنزل الدواء ووعد الشفاء فالصبر وان كان شاقا او ممتنعا فتحصيله ممكن بمعجون العلم والعمل هما الاخلاط التي منها تركب الادوية لامراض القلوب كلها ولكن يحتاج كل مرض الى علم اخر وعمل اخر وكما ان اقسام الصبر مختلفة واذا اختلفت العلل اختلف العلاج اذ معنى العلاج مضادة العلة وقمعها واستقصاء ذلك مما يطول ولكنا نعرف الطريق في بعض الامثلة فنقول اذا افتقر الى الصبر عن شهوة الوقاع مثلا وقد غلبت عليه بحيث لا يقدر على ضبطها او ملك فرجه ولكن ليس يملك عينه أو يملك عينه ولكن ليس يملك قلبه ونفسه اذ لا تزال تحدثه بمقتضيات الشهوة وتصرفه ذلك عن المواظبة على الذكر والفكر والاعمال الصالحة فنقول قد قدمنا ان الصبر عبارة عن مصارعة باعث الدين مع باعث الهوى وكل متصارعين أردنا أن يغلب أحدهما الاخر فلا طريق لنا فيه الا تقوية من أردنا ان تكون له اليد العليا وتضعيف الاخر فلزمنا ههنا تقوية باعث الشهوة فاما باعث الشهوة فسبيل تضعيفه في ثلاثة امور أحدها ان ينظر الى مادة قوتها فهي الاغذية الطيبة المحركة للشهوة من حيث نوعها ومن حيث كثرتها فلا بد من قطعها بالصوم الدائم مع الاقتصار عند الافطار على طعام قليل في نفسه ضعيف في جنسه فيحترز عن اللحم وعن الاطعمة المهيجة للشهوة والثاني قطع اسبابه المهيجة

بيان الصبر وما يستعان به عليه

سبب ضعف الشهوة

لها في الحال فإنها إنما تهيج بالنظر إلى مظان الشهوة إذ النظر يحرك القلب
والقلب يحرك الشهوة وهذا يحصل بالعزلة والاحتراز عن مظان وقوع البصر
على الصور المشتهاة والفرار منها بالكلية **قال صلى الله عليه**
وسلم النظرة سهم مسموم من سهام إبليس ٥
وهذا سهم يسدده الملعون ولا ترس يمنع منه إلا تغميض الأجفان أو الهرب من صوب
رميه فإنه إنما يرمي هذا السهم عن قوس الصور فإذا انقلبت عن صوب الصور لم يصبك سهمه
الثالث تسلية النفس بالمباح من الجنس الذي يشتهيه وذلك بالنكاح فإن كل
ما يشتهيه الطبع ففي المباحات ما يغني عن المحظورات وهذا العلاج الأنفع في حق الأكثر
فإن قطع الغذاء يضعف عن سائر الأعمال ثم قد لا يقمع الشهوة في حق أكثر الرجال ولذلك
قال عليه السلام عليكم بالباءة فمن لم يستطع فعليه بالصوم فإن الصوم له وجاء
فهذه ثلاثة أسباب ٥ فالعلاج الأول وهو قطع الطعام يضاهي قطع العلف عن
البهيمة الجموح وعن الكلب الضاري ليضعف فتسقط قوته **والثاني يضاهي تغييب**
اللحم عن الكلب وتغييب الشعير عن البهيمة حتى لا تحرك بواطنهما
بسبب مشاهدتهما **والثالث** يضاهي تسليتهما بشيء قليل مما يميل إليه طبعهما
حتى يبقى معهما من القوة ما يصبران به على التأديب وأما تقوية باعث الدين فإنما
تكون بطريقين أحدهما إطماعه في فوائد المجاهدة وثمراتها في الدين والدنيا وذلك بأن
يكثر فكره في الأخبار التي أوردناها في فضل الصبر وفي حسن عواقبه في الدنيا والآخرة
وفي الخبر أن ثواب الصبر على المصيبة أكثر مما فات
وأنه بسبب ذلك مغبوط بالمصيبة إذ فاته ما يبقى معه إلا مدة الحياة وحصل له ما
يبقى له بعد موته أبدا ومن أسلم خسيسا في نفيس فلا ينبغي أن يحزن في فوات الخسيس
في الحال وهذا من باب المعارف وهو من الإيمان وتارة يضعف وتارة يقوى فإن قوي قوي
باعث الدين وهيجه تهييجا شديدا وإن ضعف ضعفه وإنما قوة الإيمان يعبر عنه
باليقين وعزيمة الصبر **والثاني** أن يعود هذا الباعث مصارعة الهوى تدريجا
قليلا قليلا حتى يدرك لذة الظفر فيستجري عليها ويقوى منه في مصارعتها فإن الاعتياد
والممارسة للأعمال الشاقة تؤكد القوى التي تصدر منها تلك الأعمال ولذلك تزيد قوة ٥
الحمالين والفلاحين والمقاتلين وبالجملة الممارسين للأعمال الشاقة على قوة الخياطين
والعطارين والفقهاء والصالحين وذلك لأن قواهم لم تتأكد بالممارسة فالعلاج

فالعلاج الاول يضاهي اطماع المصارع الخلقة عند الغلبة ووعده بانواع الكرامة
كما وعد فرعون سحرته عند اغرايه اياهم بموسى حيث قال وانكم لمن المقربين ٥
والثاني يضاهي تعويد الصبي الذي يراد منه المصارعة
والمقاتلة بمباشرة اسباب ذلك منذ الصبى حتى يانس به ويستجرئ عليه
وتقوى فيه منته فمن ترك بالكلية المجاهدة بالصبر ضعف فيه باعث الدين و لا
يقوى على الشهوة وان ضعفت ومن عود نفسه مخالفة الهوى غلبها مهما اراد
فهذا منهاج العلاج في جميع انواع الصبر ولا يمكن استيفاؤه وانما اشدها
كف الباطن عن حديث النفس وانما يشتد ذلك على من تفرغ له بان قمع الشهوات ٥
الظاهرة واثر العزلة وجلس للمراقبة وللذكر والفكر فان الوسواس لا يزال يجاذبه
من جانب الى جانب وهذا لا علاج له البتة الا قطع العلايق كلها ظاهرا وباطنا
بالفرار عن الاهل والولد والمال والجاه والرفقا والاصدقا والاعتزال الى
زاوية بعد اخذ قدر يسير من القوت بعد القناعة به ثم كل ذلك لا يكفي
ما لم يصر الهموم هما واحدا وهو الله سبحانه ثم اذا غلب ذلك على القلب فلا
يكفي ذلك ما لم يكن له مجال في الفكر وسير باطن في ملكوت السموات ٥
والارض وعجايب صنع الله وساير انواع معرفة الله حتى اذا استولى ذلك على
القلب دفع اشتغاله بذلك مجاذبة النفس الشيطان ووساوسه وان لم يكن
له سير بالباطن فلا ينجيه الا الاوراد المتواصلة المرتبة في كل لحظة من القراة
والاذكار والصلوات ويحتاج مع ذلك الى تكليف القلب الحضور فان الفكر ٥
بالباطن هو الذي يستغرق القلب دون الاوراد الظاهرة ثم اذا فعل كل ذلك لم
يسلم له من الاوقات الا بعضها اذ لا يخلو في جميع اوقاته عن حوادث محدثة ٥
فيشغله عن الذكر والفكر من مرض وخوف وايذاء من انسان وطغيان من مخالط
اذ لا يستغني عن مخالطة من يعينه في بعض اسباب المعيشة فهذا انواع ٥
الشاغلة واما النوع الثاني وهو ضروري اشد ضرورة من الاول
وهو اشتغاله بالمطعم والملبس واسباب المعيشة فان تهيئة ذلك ايضا
يحوج الى شغل ان تولاه بنفسه او تولاه غيره فلا يخلو عن شغل قلب بمن يتولاه
ولكن بعد قطع العلايق كلها يسلم له اكثر الاوقات ان لم تهجم به ملمة وواقعة
وفي مثل تلك الاوقات يصفو القلب ويتيسر الفكر وينكشف من اسرار الله في ٥

[illegible]

ملكوت السموات والارض ما لا يقدر على عشر عشيره في زمان طويل لو كان مشغول
القلب بالعلائق والانتهى الى هذا هو اقصى الدرجات التي يمكن ان تنال بالاكتساب
والجهد فاما مقادير ما ينكشف ومبلغ ما يرد من لطف الله سبحانه في الاحوال
والاعمال فذلك يجري مجرى الصيد وهو بحسب الرزق فقد يقل الجهد ويجل
الصيد وقد يطول الجهد ويقل الحظ والمعول وراء هذا الاجتهاد على جذبة
من جذبات الرحمن فانها توازي اعمال الثقلين وليس ذلك باختيار العبد
نعم اختيار العبد في ان يتعرض لتلك الجذبة بان يقطع عن قلبه جواذب الدنيا
فان المجذوب الى اسفل سافلين لا يجذب الى اعلا عليين وكل منهوم بالدنيا فهو منجذب
اليها فقطع العلائق الجاذبة هو المراد بقوله عليه السلام ان لله سبحانه في ايام
دهركم نفحات الا فتعرضوا لها وذلك لان تلك النفحات والجذبات لها اسباب
سماوية قال سبحانه وفي السماء رزقكم وما توعدون وهذا من اعلى
انواع الرزق والامور السماوية غائبة عنا فلا ندري متى ييسر الله اسباب الرزق فما علينا
الا تفريغ المحل والانتظار لنزول الرحمة وبلوغ الكتاب كالذي يصلح الارض وينقيها
من الحشيش ويبث البذر فيها وكل ذلك لا ينفعه الا بمطر ولا يدري متى يقدر الله اسباب
المطر الا انه يثق بفضل الله انه لا يخلي سنة من مطر فكذلك قلما تخلو سنة وشهر
ويوم من جذبة من الجذبات ونفحة من النفحات فينبغي ان يكون العبد قد طهر
القلب عن حشيش الشهوات وبذر فيه بذر الاخرة والاخلاص وعرضه لمهاب
رياح الرحمة وكما يقوى انتظار المطر في اوقات الربيع وعند ظهور الغيم فيقوى انتظار
تلك النفحات في الاوقات الشريفة وعند اجتماع الهمم وتساعد القلوب وكما في
يوم عرفة ويوم الجمعة وايام رمضان فان الهمم والانفاس اسباب بحكم تقدير
الله لاستدرار رحمته حتى يستدر بها الامطار في اوقات الاستغفار وهي
لاستدرار امطار المكاشفة ولطائف المعارف من خزائن الملكوت اشد مناسبة
منها لاستدرار قطرات الماء واستجرار الغيوم من اقطار الجبال والبحار بل الاحوال
والمكاشفات حاضرة معك في قلبك وانما انت مشغول عنها بعلائقك وشهواتك
فصار ذلك حجابا بينك وبينها فلا تحتاج الا ان ينكسر البين ويرفع الحجاب فتشرق
انواع المعارف من باطن القلب واظهارها من الارض بحفر القناة اسهل واقرب من
استنزالها اليها من مكان بعيد منخفض عنها لكونه حاضرا في القلب ومنسيا بالاشتغال

مطلب

ف

بالتشاغل عنه سمى الله سبحانه جميع معارف الايمان تذكرا فقال تعالى وليتذكر
أولوا الالباب وقال تعالى ولقد يسرنا القران للذكر فهل من مدكر فهذا
هو علاج الصبر عن الوسواس والشواغل وهو اخر درجات الصبر وانما الصبر
عن العلايق كلها مقدم عن الخواطر قال الجنيد رحمه الله
المسير من الدنيا الى الاخرة سهل على المؤمن وهجران الخلق في جنب الحق
شديد والمسير من النفس الى الله صعب شديد والصبر مع الله اشد فذكر شدة
الصبر عن شواغل القلب ثم شدة هجران الخلق واشد العلايق علقة الخلق وحب
الجاه فان لذة الرياسة والغلبة والاستعلا والاستتباع اغلب اللذات
في الدنيا على نفوس العقلا وكيف لا يكون اعلا اللذات ومطلوبها صفة من
صفات الله سبحانه والربوبية مطلوبة ومحبوبة بالطبع للقلب لما فيه من المناسبة
للامور الربوبية وعنها العبارة بقوله سبحانه ويسلونك عن الروح قل الروح
من امر ربي وليس القلب مذموما على حبه ذلك وانما هو مذموم على غلط
وقع له بسبب تغرير الشيطان الرجيم المبعد عن عالم الامر اذ حسده على كونه
من عالم الامر فاضله واغواه وكيف يكون مذموما وهو يطلب سعادة الاخرة
فليس يطلب الا بقاء لا فناء له وعزا لا ذل فيه وامنا لا خوف معه وغنى لا فقر فيه
وكمالا لا نقصان فيه وهذه كلها من اوصاف الربوبية وليس مذموما على طلب
ذلك بل حق كل عبد ان يطلب ملكا عظيما لا اخر له وطالب الملك طالب للعلو
والعز والكمال لا محالة ولكن الملك ملكان ملك مشوب بانواع الالام
وملحوق بسرعة الانصرام ولكنه عاجل وهو في الدنيا وملك مخلد دايم لا
يشوبه كدر ولا الم ولا يقطعه قاطع ولكنه اجل وقد خلق الانسان
عجولا راغبا في العاجلة فجاء الشيطان وتوسل اليه بواسطة العجلة
التي في طبعه فاستغواه بالعاجلة وزين له الحاضر وتوسل اليه بواسطة
الحمق فوعده بالغرور في الاخرة كما قال عليه السلام الاحمق من اتبع
نفسه هواها وتمنى على الله فانخدع المغرور المخذول بغروره فلا يكفيه
في العلاج مجرد العلم والكشف بل لا بد ان يضيف اليه العمل وعمله في ثلثة
امور احدها ان يهرب عن موضع الجاه كيلا يشاهد اسبابه فيتعسر عليه الصبر
مع الاسباب كما يهرب من غلبة الشهوة عن مشاهدة الصور المحركة ومن

مطلب

لم يفعل هذا فقد كفر نعمة الله تعالى في سعة الارض اذ قال سبحانه الم تكن ارض
الله واسعة فتهاجروا فيها ٥ الثاني ان يكلف نفسه في اعماله افعالا
تخالف ما اعتاده فيبدل التكلف بالتبذل وزي الحشمة بزي التواضع وكذلك
كل هيئة وحال وفعل ومسكن وملبس ومطعم وقيام وقعود كان يعتاده
وفا بمقتضى جاهه فينبغي ان يبدلها بنقايضها حتى يرسخ باعتياد ذلك ضد
ما كان رسخ فيه من قبل فلا معنى للمعالجة الا المضادة ٥ الثالث ان يراعي
في ذلك التلطف والتدريج فلا ينتقل دفعة واحدة الى الطرف
الاقصى من التبدل فان الطبع نفور ولا يمكن نقله عن اخلاقه الا بالتدريج
فيترك البعض ويسلي نفسه بالبعض ابتداء بترك البعض من ذلك الى ان يقنع
بالبقية وهكذا يفعل شيئا شيئا الا ان يقمع تلك الصفات التي رسخت فيه
والى هذا التدريج الاشارة بقوله عليه السلام ان هذا الدين متين فاوغل فيه
برفق ولا تبغض الى نفسك عبادة الله فان المنبت لا ارضا قطع ولا ظهرا ابقى ٥
واليه الاشارة بقوله عليه السلام لا تشادوا هذا الدين فان من يشاده يغلبه
فاما ما ذكرناه في علاج الصبر عن الشهوة وعن الجاه صفة لما ذكرناه من
فوايد طرق المجاهدة في كتاب رياضة النفس من ربع المهلكات
واتخذه دستورك لتعرف به علاج الصبر في جميع الاقسام التي فصلناها
من قبل فان تفصيل الاحاد يطول ومن راعى التدريج ترقى به الصبر الى حالة
يشق عليه الصبر معه فتنعكس اموره فيصير ما كان محبوبا عنده ممقوتا
وما كان ممقوتا عنده مشربا هنيئا لا يصبر عنه وهذا لا يعرف الا بالتجربة
والذوق وله نظاير في العادات فان الصبي يحمل على التعلم في الابتداء فيشق
عليه الصبر عن اللعب والصبر على التعلم حتى اذا انفتحت بصيرته وانس بالعلم
انقلب الامر فصار يشق عليه الصبر عن العلم والصبر عن اللعب والى هذا اشار
ما حكي عن بعض العارفين انه سال الشبلي رحمه الله ٥
عن الصبر ايه اشد فقال الصبر في الله فقال السايل لا فقال
الصبر لله فقال لا فقال الصبر مع الله قال لا قال فاي شي قال الصبر عن الله
فصرخ الشبلي صرخة كادت نفسه تتلف منها وقد قيل في معنى قوله
سبحانه اصبروا وصابروا ورابطوا اصبروا في الله وصابروا

اقسام الصبر

وصابروا بالله ورابطوا مع الله وقيل الصبر لله غنا والصبر في
الله بقي والصبر عن الله جفا وقيل

والصبر يحمد في المواطن كلها . الا عليك فانه لا يحمد

وقيل

والصبر عنك فمذموم عواقبه . والصبر في سائر الاشيا محمود

الشطر الثاني من الكتاب في الشكر

وله ثلاثة اركان الركن الاول في فضيلة الشكر
وحقيقته واقسامه واحكامه الركن الثاني في حقيقة
النعمة واقسامها الخاصة والعامة الركن الثالث في بيان
الافضل من الصبر والشكر الركن الاول في نفس الشكر

بيان فضيلة الشكر

بيان فضيلة الشكر

اعلم ان الله سبحانه قرن الشكر بالذكر في كتابه مع
انه قال سبحانه ولذكر الله اكبر فقال اذكروني اذكركم
واشكروا لي ولا تكفرون وقال تعالى ما يفعل الله بعذابكم
ان شكرتم وقال وسنجزي الشاكرين وقال تعالى حكاية عن
ابليس لاقعدن لهم صراطك المستقيم قيل هو طريق الشكر ولعلو
رتبة الشكر طعن اللعين في الخلق فقال ولا تجد اكثرهم شاكرين
وقال تعالى وقليل من عبادي الشكور وقد قطع الله سبحانه بالمزيد
مع الشكر ولم يستثن فقال تعالى لئن شكرتم لازيدنكم واستثنى في
خمسة في الاغناء والاجابة والرزق والمغفرة والتوبة فقال سبحانه
فسوف يغنيكم الله من فضله ان شاء وقال ويتوب الله على من يشاء فقال فيكشف
ما تدعون اليه ان شاء وقال ويرزق من يشاء وقال ويغفر لمن يشاء وهو خلق
من اخلاق الربوبية اذ قال سبحانه والله شكور حليم وجعل الله الشكر مفتاح

اهل الجنة فقال تعالى وقالوا الحمد لله الذي صدقنا وعده وقال وآخر
دعويهم ان الحمد لله رب العالمين وأما الاخبار فقد قال عليه السلام
الطاعم الشاكر بمنزلة الصايم الصابر وروي عن عطاء انه قال دخلت
على عايشة رضي الله عنها فقلت أخبريني بأعجب ما رأيت من رسول الله
صلى الله عليه وسلم فبكت وقالت اي شانه لم يكن عجبا أتاني في ليلة فدخل معي
في فراشي او قالت في لحافي حتى مس جلدي جلده ثم قال يا ابنة ابي بكر ذريني اتعبد
لربي فقلت اني احب قربك ولكني اوثر هواك فاذنت له فقام الى قربة ماء فتوضأ
فلم يكثر صب الماء ثم قام يصلي فبكى حتى سالت دموعه على صدره ثم ركع فبكى
ثم سجد فبكى ثم رفع رأسه فبكى فلم يزل كذلك حتى جاء بلال فاذنه بالصلاة
فقلت يا رسول الله ما يبكيك وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر
فقال أفلا اكون عبدا شكورا ولم لا افعل وقد انزل الله علي ان في
خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار الآية وهذا يدل على ان البكاء
لا ينقطع ابدا والى هذا يشير ما روي انه مر بعض الانبياء عليهم السلام
بحجر صغير يخرج منه ماء كثير فتعجب فانطقه الله سبحانه فقال منذ سمعت قوله
سبحانه وقودها الناس والحجارة فانا ابكي من خوفه فسأله ان يجيره من النار
فاجابه ثم رآه بعد مدة على مثل ذلك فقال لم تبك الآن فقال ذلك بكاء
الخوف وهذا بكاء الشكر والسرور وقلب العبد كالحجارة او اشد قسوة
ولا تزول قسوته الا بالبكاء في حال الخوف والشكر جميعا وروي عن
النبي عليه السلام انه قال ينادي يوم القيمة
ليقم الحمادون فتقوم زمرة فينصب لهم لواء فيدخلون الجنة قيل
ومن الحمادون قال الذين يشكرون الله على كل حال وفي لفظ آخر على السراء
والضراء وقال عليه السلام الحمد رداء الرحمن
واوحى الله سبحانه الى ايوب عليه السلام اني رضيت
بالشكر مكافاة من اوليائي في كلام طويل واوحى الله ايضا اليه في صفة
الصابرين دارهم دار السلام اذا دخلوها الهمتهم الشكر وهو خير الكلام
وعند الشكر استزيدهم وبالنظر الي ازيدهم ولما نزل في الكنوز ما نزل قال عمر
رضي الله عنه فأي المال نتخذ فقال عليه السلام ليتخذ احدكم لسانا ذاكرا وقلبا

حكاية في الشكر

البكاء

شاكراً فأمر باقتناء القلب الشاكر بدلاً من المال وقال ابن مسعود الشكر
نصف الإيمان

بيان حد الشكر وحقيقته

اعلم أن الشكر من جملة مقامات السالكين
وهو أيضاً ينتظم من علم وعمل وحال فالعلم هو الأصل ويورث الحال
والحال يورث العمل أما العلم فهو معرفة النعمة من المنعم والحال هو الفرح
الحاصل بإنعامه والعمل هو القيام بما هو مقصود المنعم ومحبوبه ويتعلق ذلك
العمل بالقلب وبالجوارح وباللسان ولا بد من بيان جميع ذلك ليحصل بمجموعه
الإحاطة بحقيقة الشكر فإن كل ما قيل في حد الشكر قاصر عن الإحاطة
بكمال معانيه فالأصل الأول العلم وهو علم بثلاثة أمور بعين النعمة ووجه كونها
نعمة في حقه وبذات المنعم ووجود صفاته التي بها يتم الإنعام ويصدر
الإنعام منه عليه فإنه لا بد من نعمة ومنعم ومنعم عليه تصل إليه النعمة
من المنعم بقصد وإرادة وهذه أمور لا بد من معرفتها في حق غير الله تعالى
فأما في حق الله فلا يتم إلا بأن يعرف أن النعم كلها من الله وهو المنعم والوسائط
مسخرون من جهته وهذه المعرفة وراء التقديس والتوحيد إذ دخل التوحيد
والتقديس فيها بل الرتبة الأولى في معارف الإيمان التقديس ثم إذا عرف ذاتاً
مقدسة فيعرف أنه لا مقدس إلا واحد وما عداه غير مقدس وهو التوحيد
ثم يعلم أن كل ما في العالم فهو موجود من ذلك الواحد فقط فالكل نعمة فتقع هذه
المعرفة في الرتبة الثالثة إذ ينطوي فيها مع التقديس والتوحيد كمال القدرة
والانفراد بالفعل وعن هذا عبر عليه السلام حيث قال من قال سبحان الله
فله عشر حسنات ومن قال لا إله إلا الله فله عشرون حسنة ومن قال الحمد لله
فله ثلاثون حسنة وقال أفضل الذكر لا إله إلا الله وأفضل الدعاء الحمد لله
وقال ليس شيء من الأذكار يضاعف كما يضاعف الحمد لله ولا تظنن
أن هذه الحسنات بإزاء تحريك اللسان بهذه الكلمات من غير حصول معانيها

التوحيد

في القلب فسبحان الله كلمة تدل على التقديس ولا إله الا الله كلمة تدل على التوحيد
والحمد لله تدل على معرفة النعمة من الواحد الحق فالحسنات بازاء هذه المعارف
التي هي من ابواب الايمان واليقين واعلم ان تمام هذه المعرفة ينفي الشرك في الافعال
فمن انعم عليه ملك من الملوك بشيء فان راى المنعم عليه لوزير الملك او لوكيله دخلا
في تيسير ذلك وايصاله اليه فهو اشراك به في النعمة من الملك من كل وجه بل منه
بوجه ومن غيره بوجه فيتوزع فرحه عليهما فلا يكون موحدا في حق الملك نعم لا ينقص
من توحيده في حق الملك وكمال شكره ان يرى النعمة الواصلة اليه بتوقيعه الذي كتبه
بقلمه وكاغده الذي كتبه عليه فانه لا يفرح بالقلم والكاغد ولا يشكرهما لانه لا
يثبت لهما دخلا من حيث هما موجودان بانفسهما بل من حيث هما مسخران تحت قدرة
الملك وقد يعلم ان الوكيل الموصل والخازن ايضا مضطران من جهة الملك في الايصال
وانه لو رد اليه الامر ولم يكن من جهة الملك ارهاق وامر جازم يخاف عاقبته لما سلم
فاذا عرف ذلك كان نظره الى الخازن الموصل كنظره الى القلم والكاغد فلا يورث ذلك
شركا في توحيده من اضافة النعمة الى الملك فكذلك من عرف الله تعالى وعرف افعاله
علم ان الشمس والقمر والنجوم مسخرات بامره كالقلم مثلا في يد الكاتب وان الحيوانات
التي لها اختيارات مسخرات في نفس اختيارها فان الله هو المسلط الدواعي عليها
لتفعل شاءت ام ابت كالخازن المضطر الذي لا يجد سبيلا الى مخالفة الملك ولو
خلي ونفسه لما اعطاك ذرة مما في يده فكل من وصلت اليك نعمة الله على يده فهو مضطر
اذ سلط الله عليه الارادة وهيج عليه الدواعي والقى في قلبه ان خيره في الدنيا
والاخرة في ان يعطيك ما اعطاك وان غرضه المقصود عنده في الحال والمال لا يحصل
الا به وبعد خلق الله تعالى له هذا الاعتقاد فلا يجد سبيلا الى تركه فهو اذا
انما يعطيك لغرض نفسه لا لغرضك ولو لم يكن غرضه في الاعطاء لما اعطاك ذرة
مما في يده ولو لم يعلم ان منفعته في منفعتك لما نفعك فهو اذا يطلب نفع نفسه
بنفعك وليس هو منعم عليك بل اتخذك وسيلة الى نعمة اخرى وهو يرجوها
وانما الذي انعم عليك هو الذي سخره لك والقى في قلبه من الاعتقادات والارادات
ما صار به مضطرا الى الايصال اليك فان عرفت الامور كذلك فقد عرفت الله سبحانه
وعرفت افعاله وكنت موحدا وقدرت على شكره بل كنت بهذه المعرفة بمجردها شاكرا
ولذلك قال موسى عليه السلام في مناجاته الهي خلقت ادم بيده

مطلب

أدم بيدك وفعلت وفعلت فكيف شكرك فقال علم ان ذلك مني فكانت معرفته
شكرا فاذا لا شكر الا بان تعرف ان الكل منه فان خالجك ريب في هذا لم تكن عارفا
لا بالنعمة ولا بالمنعم فلا تفرح بالمنعم وحده بل بغيره فبنقصان معرفتك
ينقص من حالك في الفرح وبنقصان فرحك ينقص عملك فهذا بيان هذا

الاصل الثاني

الحال المستثمر من اصل المعرفة

وهو الفرح بالمنعم مع هيبة الخضوع والتواضع وهذا ايضا في نفسه شكرك
في تجرده كما ان المعرفة شكر على تجرده ولكن انما يكون شكرا اذا كان جامعا
شروطه وشرطه أن يكون فرحك بالمنعم لا بالنعمة ولا بالانعام ولعل هذا
مما يتعذر عليك فهمه فنضرب لك مثلا فنقول الملك الذي يريد الخروج الى سفر
فانعم بفرس على انسان فيتصور أن يفرح المنعم عليه بالفرس من ثلاثة
اوجه أحدها ان يفرح بالفرس من حيث انه فرس وانه مال ينتفع به ومركوب
يوافق غرضه وانه جواد نفيس وهذا فرح من لا حظ له في الملك بل غرضه الفرس
فقط ولو وجده في صحرا فاخذه لكان فرحه مثل هذا الفرح الوجه الثاني
ان يفرح به لا من حيث انه فرس بل من حيث انه يستدل به على عناية الملك
به وشفقته عليه واهتمامه بجانبه حتى لو وجد هذا الفرس في صحرا او اعطاه
اياه غير الملك لكان لا يفرح به اصلا لاستغنائه عن الفرس او لاستحقاره
له بالاضافة الى مطلوبه من نيل المحل في قلب الملك **الوجه الثالث**
ان يفرح به ليركبه فيخرج به في خدمة الملك ويحتمل مشقة السفر لينال
بخدمته رتبة القرب منه ويرتقي الى درجة الوزارة من حيث انه ليس يقنع
بان يكون محله في قلب الملك ان يعطيه فرسا ويعني به هذا القدر من العناية
بل هو طالب أن لا ينعم الملك بشيء من ماله على أحد الا بواسطته ثم انه لا يريد
من الوزارة الوزارة ايضا بل مشاهدة الملك والقرب منه حتى لو خير
بين القرب دون الوزارة وبين الوزارة دون القرب لاختار القرب فهذه ثلاث
درجات فالاول لا يدخل فيه معنى الشكر اصلا لان نظر صاحبه مقصور على الفرس

مثال الشكر لله عجايب

ففرحه بالفرس لا بالمعطي وهذا حال كل من فرح بنعمة من حيث انها لذيذة موافقة
لغرضه بعيد عن معنى الشكر والثاني داخل في معنى الشكر ٥
من حيث انه فرح بالمنعم ولكن من حيث ذاته بل من حيث معرفة عنايته التي
تستحثه على الانعام في المستقبل وهذا حال الصالحين الذين يعبدون الله ويشكرونه
خوفا من عقابه ورجاء لثوابه وانما الشكر التام في الفرح الثالث وهو ان
يكون فرح العبد بنعم الله سبحانه من حيث انها يقدر بها على الوصول
الى القرب منه والنزول في جواره والنظر الى وجهه على الدوام فهذه هي الرتبة
العليا وامارته انه لا يفرح من الدنيا الا بما هو مزرعة للآخرة ويعين عليها
ويحزن بكل نعمة تلهيه عن ذكر الله وتصده عن سبيل الله لانه ليس يريد النعمة
لانها لذيذة كما لم يرد صاحب الفرس الفرس لانه جواد ومهملج بل من حيث انه
يحمله في صحبة الملك حتى يدوم مشاهدته وقربه منه ولذلك
قال الشبلي الشكر رؤية المنعم لا رؤية
النعمة وقال الخواص شكر العامة على المطعم والملبس وشكر الخاصة
على واردات القلوب وهذه رتبة لا يدركها كل من انحصرت عنده اللذات في البطن
والفرج ومدركات الحواس من الالوان والاصوات وخلا عن لذات القلب فان القلب لا
يلتذ في حال الصحة الا بذكر الله ومعرفته ولقائه وانما يلتذ بغيره اذا مرض بسوء
العادات كما يلتذ بعض الناس باكل الطين وكما يستبشع بعض المرضى الاشياء الحلوة
ويستحلي الاشياء المرة حتى قيل ٥

• ومن يك ذا فم مر مريض • يجد مرا به الماء الزلالا •

فاذا هو شرط الفرح بنعمة الله تعالى فان لم تكن بالمعنى وان لم تكن هذه فالدرجة
الثانية ٥ اما الاولى فخارجة عن كل حساب فكم من فرق بين من يريد الله لينعم
عليه وبين من يريد نعم الله ليصل بها اليه ٥

شكر الخواص والعوام

الأصل الثالث

العمل بموجب الفرح الحاصل من معرفة النعم وهذا

وهذا العمل يتعلق بالقلب وباللسان وبالجوارح اما بالقلب فقصد الخير
واضماره لكافة الخلق واما باللسان فاظهار الشكر لله بالتحميدات الدالة عليه
واما بالجوارح فاستعمال نعم الله في طاعته والتوقي من الاستعانة بها في
معصيته حتى ان شكر العينين ان يستر كل عيب يراه لمسلم وشكر الاذنين ان
يستر كل عيب يسمعه فيدخل في هذا شكر نعمة هذه الاعضاء والشكر باللسان لاظهار
الرضى عن الله وهو مامور به قال عليه السلام ۵
لرجل كيف اصبحت فقال بخير فاعاد السؤال فاعاد جوابه حتى قال في الثالثة بخير
احمد الله اليك واشكره فقال هو الذي اردت منك وكان السلف يتساءلون
ونيتهم استخراج الشكر لله ليكون الشاكر مطيعا والمستنطق له به مطيعا وما كا
قصدهم الرياء باظهار الشوق وكل عبد يسال عن حال فهو بين ان يشكر او يشكو او
يسكت فالشكر طاعة والشكوى معصية قبيحة من اهل الدين وكيف لا يقبح الشكوى
من ملك الملوك وبيده كل شي الى عبد مملوك لا يقدر على شي والاحرى بالعبد
ان لم يحسن الصبر على البلاء وافضى به الضعف الى الشكوى ان شكواه الى الله سبحانه
فهو المبتلي وهو القادر على ازالة البلاء وذل العبد لمولاه عز والشكوى الى غيره ذل
واظهار الذل للعبيد مع كونه قبيح قال سبحانه ان الذين تعبدون من دون
الله لا يملكون لكم رزقا فابتغوا عند الله الرزق واعبدوه وقال تعالى ان الذين
تدعون من دون الله عباد امثالكم فالشكر باللسان من جملة الشكر وقد
روي ان وفدا قدموا على عمر ابن عبد العزيز رضي الله
عنه فقام شاب ليتكلم فقال عمر الكبر الكبر فقال يا امير المؤمنين ۵
لو كان الامر بالسن لكان في المسلمين من هو اسن منك فقال تكلم فقال لسنا
وفد الرهبة ولا وفد الرغبة اما الرغبة فقد اوصلنا اليها فضلك واما الرهبة
فقد امننا منها عدلك وانما نحن وفد الشكر جئناك نشكرك باللسان وننصرف
فهذه اصول معاني الشكر المحيطة بمجموع حقيقته ۵ فاما قول من قال ان
الشكر هو الاعتراف بنعمة المنعم على وجه الخضوع فهو نظر الى فعل اللسان مع بعض
احوال القلب وقول من قال ان الشكر هو الثناء على المنعم بذكر جماله نظر
الى مجرد عمل اللسان وقول من قال ان الشكر هو اعتكاف على بساط الشهود
بادامة حفظ الحرمة جامع لاكثر معاني الشكر لا يشذ منه الا عمل اللسان ۵

اقسام الشكر

وقول حمدون القصار شكر النعمة ان ترى نفسه في الشكر طفيليا اشارة الى
معنى المعرفة من معاني الشكر فقط وقول الجنيد الشكر ان لا ترى نفسك اهلا
للنعمة اشارة الى حال من احوال على الخصوص وهولاء اقوالهم تعرب عن احوالهم
ولذلك تختلف اجوبتهم ولا تتفق ثم قد يختلف جواب كل واحد في حالتين ٥
لانهم لا يتكلمون الا عن حالتهم الراهنة الغالبة عليهم اشتغالا بما يهمهم عما لا
يهمهم اذ يتكلمون بما لا يرونه لايقا بحال السايل اقتصارا على ذكر القدر الذي يحتاج
اليه واعراضا عما لا يحتاج اليه فلا ينبغي ان يظن ان ما ذكرناه طعن عليهم وانه لو عرض
عليهم مجامع المعاني التي شرحناها لكانوا ينكرونها بل لا يظن ذلك بعاقل اصلا
الا ان تعرض منازعة من حيث اللفظ في ان اسم الشكر في وضع اللسان هل يشمل
جميع المعاني ام يتناول بعضها مقصودا وبقية المعاني تكون من توابعها ولوازمها
ولسنا نقصد في هذا الكتاب شرح موضوعات اللغات فليس ذلك من علم
طريق الاخرة في شي

بيان طريق كشف الغطاء

عن الشكر في حق الله تعالى

لعله يخطر ببالك ان الشكر انما يعقل في حق منعم هو صاحب حظ في الشكر فانا نشكر
الملوك اما بالثناء ليزيد محلهم في القلوب ويظهر كرمهم عند الناس فيزيد بذلك
صيتهم وجاههم او بالخدمة التي هي اعانة لهم على بعض اغراضهم او بالمثول بين
ايديهم في صورة الخدم وذلك تكثير سوادهم وهو سبب لزيادة جاههم
فلا يكونون شاكرين لهم الا بشي من ذلك وهذا محال في حق الله سبحانه من وجهين احدهما
ان الله منزه عن الحظوظ والاغراض مقدس عن الحاجة الى الخدمة والاعانة وعن
نشر الجاه والحشمة بالثناء والاطراء وعن تكثير سواد الحرم بالمثول بين يديه راكعا
وساجدا فشكرنا اياه بما لا حظ له فيه يضاهي شكرنا الملك المنعم علينا بان ننام
في بيوتنا او نركع او نسجد اذ لا حظ للملك فيه ولا حظ لله سبحانه في افعالنا كلها
والوجه الثاني ان جميع ما نتعاطاه باختيارنا فهو نعمة اخرى

أخرى من الله سبحانه إذ جوارحنا وقدرتنا وإرادتنا ودواعينا وسائر
الأمور التي هي أسباب حركاتنا من خلق الله ونعمته فكيف نشكر نعمة بنعمته ولو
أعطانا الملك مركوبا فأخذنا مركوبا آخر فركبناه وأعطانا مركوبا لم يكن الثاني
شكرا للأول بل كان الثاني يحتاج إلى شكر كما يحتاج الأول ثم لا يمكن شكر النعمة إلا
بنعمة أخرى فيؤدي إلى أن يكون الشكر محالا في حق الله تعالى من هذين الوجهين
ولسنا نشك في الأمرين جميعا والشرع قد ورد به فكيف السبيل إلى الجمع
فاعلم أن هذا الخاطر قد خطر لداود عليه السلام وكذلك لموسى عليه السلام
فقال يا رب كيف أشكرك وأنا لا أستطيع أن أشكرك إلا بنعمة ثانية من نعمك
وفي لفظ آخر وشكري لك نعمة أخرى توجب علي الشكر لك فأوحى الله تعالى
إليه إذا عرفت هذا فقد شكرتني وفي خبر آخر إذا عرفت أن النعم مني رضيت
منك بذلك شكرا **فإن قلت** فقد فهمت السؤال وفهمي قاصر عن إدراك
معنى ما أوحي إليهما فإني أعلم استحالة الشكر لله تعالى فأما كون العلم باستحالة
الشكر شكرا فلا أفهمه فإن هذا العلم أيضا نعمة منه فكيف صار شكرا وكان الحاصل
يرجع إلى أن من لم يشكر فقد شكر وأن قبول الخلعة الثانية من الملك شكر للخلعة
الأولى والفهم قاصر عن ذلك السر فيه فإن أمكن تعريف ذلك بمثال فهو مهم
في نفسه فاعلم أن هذا قرع باب من المعارف وهي أعلى من علوم المعاملة ولكنا
نشير منها إلى ملامح فنقول ههنا نظران نظر بعين التوحيد المحض وهذا
النظر يعرفك قطعا أنه الشاكر وأنه المشكور وأنه المحب وأنه المحبوب وهذا
نظر من عرف أنه ليس في الوجود غيره وأن كل شيء هالك إلا وجهه وأن ذلك صدق في
كل حال أزلا وأبدا لأن الغير هو الذي يتصور أن يكون له بنفسه قوام ومثل هذا
الغير فلا وجود له بل هو محال أن يوجد إذ الموجود المحقق هو القائم بنفسه
وما ليس له بنفسه قوام فليس له بنفسه وجود بل هو قائم بغيره فهو موجود بغيره
فإن اعتبر بذاته ولم يلتفت إلى غيره لم يكن له وجود البتة وإنما الموجود هو
القائم بنفسه والقائم بنفسه هو أن قدر عدم غيره فهو قيوم ولا قيوم إلا واحد
ولا يتصور أن يكون غير ذلك فإذا ليس في الوجود غير الحي القيوم وهو الواحد
الصمد فإن نظرت في هذا المقام علمت أن الكل منه مصدره وإليه مرجعه فهو الشاكر
وهو المشكور وهو المحب وهو المحبوب ومن ههنا نظر حبيب بن أبي حبيب حيث

سمع قوله سبحانه انا وجدناه صابرا نعم العبد انه أواب فقال واعجبا أعطى واثنى أشار الى انه اذا اثنى على عطايه فعلى نفسه اثنى فهو المثني وهو المثنى عليه ومن ههنا نظر الشيخ ابو سعيد الميهني حيث قرئ بين يديه يحبهم ويحبونه فقال لعمري يحبهم ودعه يحبهم لانه انما يحب نفسه اشار بقوله الى انه المحب وانه المحبوب وهذه رتبة عالية لا تفهمها الا بمثال على حد عقلك ولا يخفى عليك ان المصنف اذا احب تصنيفه فقد احب نفسه والصانع اذا احب صنعته فقد احب نفسه ٥ وكل ما في الوجود سوى الله فهو تصنيف الله وصنعته فان احبه فما احب الا نفسه ٥ وان لم يحب الا نفسه فبحق احب ما احب وهذا كله نظر بعين التوحيد وتعبر الصوفية عن هذه الحالة بفنا النفس اي فنى عن نفسه وعن غير الله فلم ير الا الله فلم يفهم هذا ينكر عليهم ويقول كيف فني وطول ظله اربعة اذرع ولعله ياكل في كل يوم اربعة ارطالا من الخبز فيضحك عليهم الجهال لجهلهم معاني كلامهم وضرورة العارفين ان يكونوا ضحكة للجاهلين واليه الاشارة بقوله سبحانه ان الذين اجرموا كانوا من الذين امنوا يضحكون واذا مروا بهم يتغامزون واذا انقلبوا الى اهلهم انقلبوا فاكهين ٥ واذا راوهم قالوا ان هولاء لضالون وما ارسلوا عليهم حافظين ثم ان ضحك العارفين عليهم اعظم اذ قال فاليوم الذين امنوا من الكفار يضحكون على الارائك ينظرون ٥ ثم كذلك امة نوح عليه السلام كانوا يضحكون عليه عند اشتغاله بعمله السفينة فقال ان تسخروا منا فانا نسخر منكم كما تسخرون فسوف تعلمون فهذا احد النظرين ٥ النظر الثاني نظر من لم يبلغ الى مقام الفنا عن نفسه وهولاء فئتان فئة لم يبصروا الا وجود انفسهم فانكروا ان يكون لهم رب يعبد وهولاء هم العميان المنكوسون وعماهم في كلتى العينين لانهم نفوا ما هو ثابت تحقيقا وهو القيوم الذي هو قايم بنفسه وقايم على كل نفس بما كسبت وكل قايم فقايم به ولم يقتصروا على هذا حتى اثبتوا انفسهم ولو عرفوا العلموا انهم من حيث هم هم لا ثبات لهم ولا وجود لهم وانما وجودهم من حيث اوجدوا لا من حيث وجدوا وفرق بين الموجود والموجد وليس في الوجود الا موجود فواجد وموجد فالموجود حق والموجد باطل من حيث هو هو والموجود قديم وقيوم والموجد هالك وفان فاذا كان كل من عليها فان فلا يبقى الا وجه ربك

الفريق الثاني ٥

الثاني للتبيين بهم عمي ولكن بعضهم عور يبصر باحدى العينين وجود الموجود الحق فلا ينكرونه
والعين الاخرى ان تم عماها لم يبصر بها فناء غير الموجود الحق فاثبت موجودا اخر مع الله
سبحانه وهذا مشرك تحقيقا كما ان الذي قبله جاحد تحقيقا فان جاوز حد العمى
الى العمش ادرك تفاوتا بين الموجودين فاثبت عبدا وربا فبهذا التقدير من اثبات
التفاوت والنقص من الموجود الاخر دخل في حد التوحيد ثم ان كحل بصره بما يزيد
في انواره يقل عمشه وبقدر ما يزيد في بصره يظهر له من نقصان ما اثبته
سوى الله سبحانه فلا يرى الا الله فيكون قد بلغ كمال ـــــــ التوحيد من حيث
ادرك نقصا في وجود ما سوى الله دخل في اوايل التوحيد وبينهما درجات لا تحصى
فبهذا تتفاوت درجات الموحدين وكتب الله تعالى المنزلة على السنة رسله هي
الكحل الذي يحصل به انوار الابصار والانبياء عليهم السلام هم الكحالون وقد جاءوا
داعين الى التوحيد المحض وترجمة قولك لا اله الا الله ومعناه ان لا ترى الا الواحد
الحق والواصلون الى كمال التوحيد هم الاقلون والجاحدون من المشركين
ايضا قليلون وهم على الطرف الاقصى المقابل لطرف التوحيد اذ عبدة الاوثان
قالوا ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى فكانوا داخلين في اوايل ابواب
التوحيد دخولا ضعيفا والمتوسطون هم الاكثرون ومنهم من تنفتح بصيرته
في بعض الاحوال فتلوح له حقايق التوحيد ولكن كالبرق الخاطف لا يثبت ۝
ومنهم من يلوح له ذلك ويثبت زمانا ولكن لا يدوم والدوام فيه عزيز
ولكل الى شأن العلا حركاته ۝ ولكن عزيز في الرجال ثباته ۝

ولما امر عليه السلام بطلب القرب فقيل واسجد واقترب

قال ـــــــ في سجوده اعوذ بعفوك من عقابك واعوذ برضاك من سخطك
واعوذ بك منك لا احصي ثناء عليك انت كما اثنيت على نفسك فقوله اعوذ
بعفوك من عقابك كلام عن مشاهدة فعل الله فقط فكانه لم ير الا الله وافعاله
فاستعاذ بفعله من فعله ثم اقترب فغنى عن مشاهدة الافعال وترقى الى مصادر
الافعال وهي الصفات فقال اعوذ برضاك من سخطك وهما صفتان ثم راى ذلك
نقصانا في التوحيد فاقترب ورقى من مقام مشاهدة الصفات الى مشاهدة
الذات فقال اعوذ بك وهذا فرار منه اليه من غير رؤية فعل وصفة ولكنه راى
نفسه فارا منه اليه ومستعيذا ومثنيا ففنى عن مشاهدة نفسه اذ راى ذلك ۝

درجات الموحدين

مطلب

نقصانا واقترب فقال أنت كما أثنيت على نفسك لا أحصي ثناء عليك فقوله
لا أحصي خبر عن فناء نفسه وخروجه عن مشاهدتها وقوله أنت كما أثنيت
على نفسك بيان أنه المثني وهو المثنى عليه وأن الكل منه بدا وإليه يعود وأن كل شيء
هالك إلا وجهه فكان أول مقاماته نهاية مقامات الموحدين وهو أن لا يرى إلا
الله وأفعاله فيستعيذ من فعل بفعل وانظر إلى ماذا انتهت نهايته
إذ انتهى إلى الواحد الحق حتى ارتفع من نظره ومشاهدته سوى الذات بالحق
ولكن كان عليه السلام لا يرقى من رتبة إلى أخرى إلا ويرى الأولى بالإضافة
إلى الثانية فكان يستغفر الله من الأولى ويرى ذلك نقصا في سلوكه وتقصيرا
في مقاماته وإليه الإشارة بقوله عليه السلام إنه ليغان على قلبي
في اليوم والليلة حتى أستغفر الله سبعين مرة وكان ذلك لترقيه إلى سبعين
مقاما بعضها بعد البعض أولها وإن كان مجاوزا أقصى غايات مقامات الخلق
ولكن كان نقصانا بالإضافة إلى أواخرها فكان استغفاره لذلك ولما
قالت عائشة رضي الله عنها قد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر
فما هذا البكاء في السجود وما هذا الجهد الشديد قال أفلا أكون عبدا شكورا
معناه أفلا أكون طالبا للمزيد في المقامات فإن الشكر سبب الزيادة حيث قال
تعالى لئن شكرتم لأزيدنكم وإذا تغلغلنا في بحار المكاشفات فلنقبض العنان
ولنرجع إلى ما يليق بعلوم المعاملة فنقول الأنبياء عليهم
السلام بعثوا لدعوة الخلق إلى كمال التوحيد الذي وصفناه ولكن بينهم
وبين الوصول إليه مسافة بعيدة وعقبات شديدة وإنما الشرع كله تعريف سلوك
تلك المسافة وقطع تلك العقبات وعند ذلك يكون النظر عن مشاهدة أخرى
ومقام آخر فيظهر في ذلك المقام بالإضافة إلى تلك المشاهدة الشكر والشاكر
والمشكور ولا يعرف ذلك إلا بمثال فأقول يمكنك أن تفهم أن ملكا من الملوك أرسل
إلى عبد قد بعد منه مركوبا وملبوسا ونقدا لأجل زاده في الطريق حتى يقطع به
مسافة البعد ويقرب من حضرة الملك ثم يكون له حالان أحدهما أن يكون قصده من
وصول العبد إلى حضرته أن يقوم ببعض مهماته ويكون له عناء في خدمته والثانية
أن لا يكون للملك حظ في العبد ولا حاجة به إليه بل حضوره لا يزيد في ملكه لأنه لا
يقوى على القيام بخدمة يغني فيها غناء وغيبته لا ينقص من ملكه فيكون قصده

استغفار رسول الله

شكر الشاكر راجع الله

مطلب

فقصده من الانعام عليه بالمركوب والزاد أن يحظى العبد بالقرب منه وينال
سعادة حضرته لينتفع هو في نفسه لا لينتفع الملك به فينزل العبد من
الله سبحانه في المنزلة الثانية لا في المنزلة الاولى فان الاولى محال على الله
تعالى والثانية غير محال ○ ثم اعلم ان العبد لا يكون شاكرا في الحالة
الاولى بمجرد الركوب والوصول الى حضرته ما لم يقم بخدمته التي ارادها الملك
منه واما في الحالة الثانية فلا يحتاج الى الخدمة اصلا ومع ذلك يتصور ان يكون
اما شاكرا أو كفورا ويكون شكره بان يستعمل ما انفذه اليه مولاه فيما أحبه
لأجله لا لأجل نفسه وكفره ان لا يستعمل ذلك فيه بأن يعطله أو يستعمله
فيما يزيد في بعده منه فمهما لبس العبد الثوب وركب المركوب ولم ينفق الزاد الا
في الطريق فقد شكر مولاه إذا استعمل نعمته في محبته أي فيما أحبه لعبده
لا لنفسه وان جلس ولم يركب لا في طلب القرب ولا في طلب البعد فقد كفر أيضا
نعمته اذ اهملها وعطلها وان كان هذا دون ما يبعد منه فكذلك خلق الله ○
سبحانه الخلق وهم في ابتداء فطرتهم يحتاجون الى استعمال الشهوات لتكمل
بها ابدانهم فيبعدون به عن حضرته وانما سعادتهم في القرب منه فأعد لهم من النعم
ما يقدرون على استعماله في نيل درجات القرب وعن بعدهم وقربهم عبر الله
سبحانه اذ قال لقد خلقنا الانسان في احسن تقويم ثم رددناه اسفل سافلين
الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات الآية فاذا نعم الله آلات يترقى العبد بها
عن اسفل سافلين خلقها الله تعالى لأجل العبد حتى ينال بها سعادة القرب
والله تعالى غني عن قرب أو بعد والعبد فيها بين ان يستعملها في طاعة فقد
شكر لموافقته محبة الله تعالى وبين ان يستعملها في معصية فقد كفر
لاقتحامه لما يكرهه مولاه ولا يرضاه فان الله لا يرضى لعباده الكفر والمعصية
وان عطلها فلم يستعمل في طاعة ولا معصية فهو أيضا كفران للنعمة بالتضييع
وكل ما خلق في الدنيا انما خلق آلة للعبد ليتوصل به الى سعادة الآخرة ونيل
القرب من الله فكل مطيع فهو بقدر طاعته شاكر نعمة الله في الاسباب التي ○
استعملها في الطاعة وكل كسلان ترك الاستعمال أو عاص استعمل ذلك في
طريق البعد فهو كافر جاحد في غير محبة الله سبحانه فالطاعة والمعصية تشملها
المشيئة ولكن لا تشملهما المحبة والكراهة بل رب مراد محبوب ورب مراد مكروه

ووراء بيان هذه الدقيقة سر القدر الذي منع من افشائه وقد انحل بهذا
الاشكال الاول وهو انه اذا لم يكن للمشكور حظ فكيف يكون الشكر وبهذا ايضا
ينحل الثاني فانا لم نعن بالشكر الا انصراف نعمة الله في جهة المحبة بفعل الله تعالى
فقد حصل المراد وفعلك عطاء من الله تعالى من حيث انك محله فقد اثنى عليك
وثناؤه نعمة اخرى منه اليك فهو الذي اعطى وهو الذي اثنى وصار احد فعليه
سببا لانصراف فعله الثاني الى جهة محبته فله الشكر على كل حال وانت موصوف
بانك شاكر بمعنى انك محل المعنى الذي الشكر عبارة عنه لا بمعنى انك موجد له
كما انك موصوف بانك عارف وعالم لا بمعنى انك خالق العلم وموجده ولكن بمعنى
انك محل له وقد وجد بالقدرة الازلية فيك فوصفك بانك شاكر اثبات شيئية
لك وانت شيء اذ خلقك خالق الاشياء وانما انت لا شيء اذ كنت انت قائما بنفسك
سببية من ذلك فاما في اعتبار النظر الى الذي جعل الاشياء اشياء فانت شيء
اذ جعلك شيئا وان قطع النظر عن جعله كنت لا شيء حقيقة والى هذا اشار
عليه السلام حيث قال اعملوا فكل ميسر لما خلق له لما قيل له ففيم العمل اذا
كانت الاشياء قد فرغ منها من قبل فبين ان الخلق مجاري قدر الله تعالى ومحل افعاله
ولكن بعض افعاله محل للبعض وقوله اعملوا وان كان جاريا على لسان الرسول
عليه السلام فهو فعل من افعاله وسبب لعلم الخلق بان العمل نافع وعلمهم
فعل من افعال الله والعلم سبب لانبعاث داعية جازمة الى الحركة والطاعة
وانبعاث ايضا من افعال الله تعالى وهو سبب لحركة الاعضاء وهي ايضا من
افعال الله تعالى ولكن بعض افعاله سبب لبعض اي الاول شرط للثاني كما كان
خلق الجسم سببا لخلق العرض اذ لا يخلق العرض قبله وخلق الحياة شرط لخلق
العلم وخلق العلم شرط لخلق الارادة والكل من افعال الله سبحانه وبعضه
سبب البعض اي هو شرط ومعنى كونه شرطا انه لا يستعد لقبول فعل الحيوة
الا جوهر ولا يستعد لقبول العلم الا ذو حياة ولا لقبول الارادة الا ذو علم
فتكون بعض افعاله سببا للبعض بهذا المعنى لا بمعنى ان بعض افعاله موجد لغيره
بل ممهد شرط الحصول لغيره وهذا اذا حقق ارتقى الى درجة التوحيد الذي ذكرناه
فان قلت فلم قال الله تعالى اعملوا والا فانتم معاقبون ومذمومون
على العصيان وما الينا شيء فكيف نذم وانما الكل الى الله فاعلم ان هذا القول

القول من الله سبب لحصول اعتقاد فينا والاعتقاد سبب لهيجان الخوف وهيجان الخوف
سبب لترك الشهوات والتجافي عن دار الغرور وذلك سبب للوصول الى جوار الله
سبحانه والله مسبب الاسباب وهو مرتبها لمن سبقت له في الازل السعادة
ليتيسر له هذه الاسباب حتى تقوده بسلسلتها الى الجنة ويعبر عن مثله بان كلا
ميسر لما قدر له ومن لم يسبق من الله الحسنى بعد سماع كلام الله تعالى وكلام رسوله
وكلام العلماء فاذا لم يسمع لم يتعلم واذا لم يتعلم لم يخف واذا لم يخف لم يترك الركون
الى الركون واذا لم يترك الركون الى الدنيا بقي في حزب الشيطان وان جهنم لموعدهم
اجمعين فاذا عرفت هذا عجبت من قوم يقادون الى الجنة بالسلاسل فما من احد
الا وهو مقود الى الجنة بسلاسل الاسباب وهو تسليط العلم والخوف عليه
وما من مخذول الا وهو مقود الى النار بالسلاسل وهو تسليط الغفلة والامن
والغرور والمتقون يساقون الى الجنة قهرا والمجرمون يقادون الى النار
قهرا ولا قاهر الا الواحد القهار ولا قادر الا الملك الجبار واذا انكشف الغطاء
عن اعين الغافلين فشاهدوا الامر كذلك سمعوا عند ذلك نداء المنادي لمن
الملك اليوم لله الواحد القهار ولقد كان الملك لله الواحد القهار كل يوم
لا ذلك اليوم على الخصوص ولكن الغافلين لا يسمعون هذا النداء الا ذلك اليوم
فهو نبأ عن ما يتجدد للغافلين من كشف الاحوال حيث لا ينفعهم الكشف
فنعوذ بالله من الجهل والعمى فانه اصل اسباب الهلاك

بيان تمييز ما يحبه الله عما يكرهه

اعلم ان فعل الشكر وترك الكفر انه لا يتم الا بمعرفة ما يحبه الله اذ معنى الشكر استعمال نعمة الله في محابه ومعنى الكفر نقيض
ذلك اما بترك الاستعمال او باستعماله في مكارهه ولتمييز ما يحبه الله عن
عن ما يكرهه مدركان احدهما السمع ومستنده الايات والاخبار والثاني
بصيرة القلب وهو النظر بعين الاعتبار وهذا الاخير عسير وهو لاجل

معنى الشكر والكفر

ذلك غير بين فلذلك أرسل الله سبحانه الرسل وسهل بهم الطريق على الخلق وتعرفة
ذلك ينبني على معرفة جميع أحكام الشرع في أفعال العباد فمن لا يطلع على حكم
الشرع في جميع أفعاله لم يمكنه القيام بحق الشكر أصلا وأما الثاني وهو النظر
بعين الاعتبار وهو إدراك حكمة الله تعالى في كل موجود خلقه إذ ما خلق شيء في
العالم إلا وفيه حكمة وتحت الحكمة مقصود ذلك المقصود هو المحبوب وتلك
الحكمة منقسمة إلى جلية وخفية أما الجلية فكالعلم بأن من الحكمة في خلق
الشمس بأن يحصل منها الليل والنهار فيكون النهار معاشا والليل لباسا فتيسر الحركة
عند الابصار والسكون عند الاستتار فهذا من جملة حكم الشمس لا كل
الحكم فيها بل فيها حكم أخر كثيرة دقيقة وكذلك معرفة الحكمة في الغيم ونزول
الأمطار وذلك لانشقاق الأرض بأنواع النبات مطعما للخلق ومرعى للأنعام وقد
انطوى القرآن على جملة من الحكم الجلية التي تحملها أفهام الخلق دون الدقيق
الذي يقصرون عن فهمه إذ قال سبحانه إنا صببنا الماء صبا ثم شققنا الأرض
شقا فأنبتنا فيها حبا وعنبا وقضبا وزيتونا ونخلا وأما الحكمة في سائر
الكواكب السيارة منها والثوابت خفية لا يطلع عليها سائر الخلق والقدر
الذي يحتمله كافة الخلق أنها زينة السماء ليستلذ العين النظر إليها وأشار إليه قوله
سبحانه إنا زينا السماء الدنيا بزينة الكواكب فجميع العالم سماؤه وكواكبه ورياحه
وبحاره وجباله ومعادنه ونباته وحيوانه وأعضاء حيوانه لا تخلو ذرة من ذراته
عن حكم كثيرة من حكمة واحدة إلى عشرة إلى ألف وكذلك أعضاء الحيوان تنقسم
إلى ما يعرف حكمتها كالعلم بأن العين للابصار واليد للبطش لا للمشي
والرجل للمشي لا للبطش وأما الأعضاء الباطنة من الأمعاء والمرارة والكلية
والكبد وأحاد العروق والأعصاب والعضلات وما فيها من التجاويف
والالتفافات والاشتباك والانحراف والرقة والغلظ وسائر الصفات فلا يعرف
الحكمة فيها كافة الناس والذين يعرفونها لا يعرفون منها إلا قدرا يسيرا
بالإضافة إلى علم الله سبحانه فما أوتيتم من العلم إلا قليلا فإذا كل من
استعمل شيئا في جهة غير الجهة التي خلق له ولا على الوجه الذي أريد به
فقد كفر نعمة الله تعالى فيه فمن ضرب غيره بيده فقد كفر نعمة اليد إذ خلقت
له اليد ليدفع بها عن نفسه ما يهلكه ويأخذ بها ما ينفعه لا ليهلك بها

مطلب ما خلق شيء إلا وفيه حكمة

مطلب الحكمة في أعضاء الإنسان وغيرها

غيره ومن نظر الى وجه غير ذي محرم فقد كفر نعمة العينين ونعمة الشمس
اذ الابصار لا تتم الا بهما وانما خلقتا ليبصر بهما ما ينفعه في دينه ودنياه
ويتقي بهما ما يضره فيهما فقد استعملهما في غير ما اريد له وهذا لان المراد
من خلق الخلق وخلق الدنيا واسبابها ان يستعين الخلق بها على الوصول
الى الله سبحانه ولا وصول اليه الا بمحبته والانس به في الدنيا والتجافي عن غرور
الدنيا ولا انس الا بدوام الذكر ولا محبة الا بالمعرفة الحاصلة بدوام الذكر
ولا يمكن الدوام على الذكر والفكر الا بدوام البدن ولا يبقى البدن الا بالارض
والماء والهواء والغذاء ولا يتم ذلك الا بخلق السماء والارض وخلق ساير الاعضاء
ظاهرا وباطنا فكل ذلك لاجل البدن والبدن مطية النفس والراجع الى الله
تعالى هي النفس المطمئنة بطول العبادة والمعرفة ولذلك قال سبحانه وتعالى
وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون فكل من استعمل شيئا في غير طاعة الله
فقد كفر نعمة الله في جميع الاسباب التي لا بد منها لاقدامه على تلك المعصية
ولنذكر مثالا واحدا للحكمة الخفية التي ليست في غاية الخفاء حتى تعتبر
بها وتعلم طريق الشكر والكفران على النعم فنقول من نعم الله تعالى خلق
الدنانير والدراهم وبهما قوام الدين وهما حجران لا منفعة في اعيانهما
ولكن يضطر الخلق اليهما من حيث ان كل انسان محتاج الى اعيان كثيرة في
مطعمه وملبسه وساير حاجاته وقد يعجز عما يحتاج اليه ويملك ما يستغني
عنه كمن يملك الزعفران مثلا وهو محتاج الى جمل يركبه ومن يملك الجمل
ربما يستغني عنه ويحتاج الى الزعفران فلا بد بينهما من معاوضة ولا بد
من مقدار العوض من تقدير اذ لا يبذل صاحب الجمل جمله بكل مقدار
من الزعفران ولا مناسبة بين الزعفران والجمل حتى يقال يعطى منه مثله
في الوزن او الصورة وكذلك من يشتري دارا بثياب او عبدا بخف او دقيقا
بحمار فهذه الاشيا لا تناسب فيها فلا يدري ان الجمل كم يسوى بالزعفران
فتتعذر المعاملات جدا فافتقرت هذه الاعيان المتنافرة المتباعدة
الى متوسط بينهما يحكم فيها بحكم عدل فيعرف من كل واحد رتبته ٥
ومنزلته حتى اذا تقدرت المنازل وترتبت الرتب علم بعد ذلك
المساوي من غير المساوي فخلق الله الدراهم والدنانير حاكمين ومتوسطين

حكمة خلق الدراهم والدنانير

بين سائر الأموال حتى تقدر الأموال بهما فيقال هذا الجمل يسوي مائة
وهذا القدر من الزعفران يسوي مائة من حيث انهما متساويان وانما
امكن التعديل بالنقدين اذ لا غرض في اعيانهما ولو كان في اعيانهما غرض
ربما اقتضى خصوص ذلك الغرض ترجيحا ولم يقتض ذلك في حق من لا غرض
له فلا ينتظم الامر فاذا انما خلقهما الله سبحانه لتتداولهما الايدي ويكونا
حاكمين بين الاموال ولحكمة اخرى وهو التوسل بهما الى سائر الاشياء لان
لانهما عزيزان في انفسهما ولا غرض في اعيانهما ونسبتهما الى سائر الاموال
نسبة واحدة فمن ملكهما فكانما ملك كل شيء لا كمن ملك ثوبا فانه لم يملك
الا الثوب فلو احتاج الى الطعام ربما لم يرغب صاحب الطعام في الثوب لان غرضه
في دابة مثلا فاحتيج الى شيء هو في صورته كانه ليس بشيء وهو في معناه كانه
كل الاشياء. والشيء انما تستوي نسبته الى المختلفات اذا لم تكن له صورة
خاصة تفيدها بخصوصها كالمراة لا لون لها وتحكي كل لون فكذلك النقد لا غرض
له فيه وهو وسيلة الى كل غرض وكالحرف لا معنى له في نفسه وبه تظهر
المعاني في غيره فهذه هي الحكمة الثانية وفيهما ايضا حكم يطول ذكرها فكل من
عمل فيهما عملا لا يليق بالحكم ويخالف الغرض المقصود بالحكم فقد كفر نعمة الله
فيهما وكان كمن حبس حاكم المسلمين في سجن يمتنع عليه الحكم بسببه لانه
اذا كنز فقد ضيع ولا يحصل الغرض المقصود به وما خلقت الدراهم والدنانير
لزيد خاصة ولا لعمرو خاصة اذ لا غرض للاحاد في اعيانهما فانهما
حجران وانما خلقت لتتداولهما الايدي فيكونا حاكمين بين الناس وعلامة
معرفة المقادير مقومة للمراتب فاخبر الله تعالى الذين يعجزون عن قراءة
الاسطر الالهية المكتوبات على صفحات الموجودات بخط الهي لا حرف
فيه ولا صوت ولا يدرك بعين البصر بل بعين البصيرة خبر هولاء العاجزين
بكلام سمعوه من رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى وصل اليهم بواسطة
الحرف والصوت المعنى الذي عجزوا عن ادراكه فقال سبحانه والذين
يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فبشرهم بعذاب اليم
وكل من اتخذ من الدراهم والدنانير انية من ذهب او فضة فقد كفر النعمة
وكان اسوا حالا ممن كنزه لان مثال هذا مثال من استسخر حاكم البلد في

كنز الذهب

واتخاذ اواني الذهب والفضة

البلد في الحاكة والكنس والاعمال التي يقوم بها اخسا الناس فيها فحبس اهون منه وذلك
ان الخزف والحديد والرصاص والنحاس تنوب مناب الذهب والفضة في حفظ المايعات
ولا يكفي الخزف والحديد في المقصود الذي اريدت له النقود فمن لم ينكشف
له هذا انكشف بالترجمة الالهية وقيل له من شرب في انية من ذهب او
فضة فكانما يجرجر في بطنه نار جهنم وكل من عامل معاملة الربا على الدراهم
والدنانير فقد كفر وظلم لانهما خلقا لغيرهما لا لانفسهما اذ لا غرض في عينهما
فاذا اتجر في عينهما فقد اتخذهما مقصودا على خلاف وضع الحكمة اذ طلب
النقد لغير ما وضع له ظلم ومن معه ثوب ولا نقد معه فقد لا يقدر على ان
يشتري به طعاما ودابة وربما لا يباع الطعام والدابة بالثوب فهو معذور
في بيعه بنقد ليحصل النقد فيتوصل به الى مقصوده فانهما وسيلتان الى الغير
لا غرض في اعيانهما وموقعهما من الاموال كموقع الحرف من الكلام كما قال
النحويون ان الحرف هو الذي جا لمعنى في غيره وكموقع المراة من الالوان
واما من معه نقد فلو جاز له ان يبيع بالنقد فيتخذ النقد في التعامل
غاية عمله فيبقى النقد متقيدا عنده وينزل منزلة المكنوز وتقييد الحاكم
والبريد الموصل الى الغير ظلم كما ان حبسه ظلم فلا معنى لبيع النقد بالنقد
الا باتخاذ النقد مقصودا للادخار وذلك هو ظلم فان قلت
فلم جاز بيع النقدين بالاخر ولم جاز بيع الدرهم بمثله فاعلم ان احد
النقدين يخالف الاخر في مقصود التوصل اذ قد يتيسر التوصل باحدهما
من حيث كثرته كالدراهم فتتفرق الحاجات قليلا ففي المنع منه ما
يشوش المقصود الخاص به وهو تيسر التوصل به الى غيره واما بيع الدرهم
بالدرهم بمثله فجايز من حيث ان ذلك لا يرغب فيه عاقل مهما تساويا ولا
يشتغل به تاجر فانه عبث يجري مجرى الدرهم على الارض واخذه
ونحن لا نخاف على العقلا ان يصرفوا اوقاتهم الى وضع الدرهم على الارض
واخذه بعينه فلا نمنع مما تتشوف النفوس اليه الا ان يكون احدهما اجود
وذلك ايضا لا يتصور جريانه اذ صاحب الجيد لا يرضى بمثله من الردي
فلا ينتظم العقد فان طلب زيادة على الردي فذلك مما نقصده فلا جرم
نمنعه منه ونحكم بان جيدها ورديها سوا لان الجودة والرداه ينبغي

الربوا

الظلم

بيع الدرهم بالدرهم

ان ينظر اليهما فيما يقصد عينه ولا غرض في عينه فلا ينبغي ان ينظر الى
مصادفات دقيقة في ذاته وانما الذي ظلم هو كالذي ضرب النقود
مختلفة في الجودة والرداة حتى صارت مقصودة في اعيانها وحقها ان لا
ان لا تقصد واما اذا باع درهما بدرهم مثله نسية فانما لم يجز ذلك
فانه لا يقدم على هذا الا مسامح قاصد للاحسان ففي القرض مكرمة مندوحة
عنده لتبقى صورة المسامحة فيكون له حمد واجر والمعاوضة لا حمد فيها ولا
اجر فهو ايضا ظلم لانه اضاعة خصوص المسامحة واخراجها في معرض
المعاوضة فكذلك الاطعمة خلقت ليتغذى بها او يتداوى بها فلا ينبغي ان
تصرف عن جهتها فان فتح باب المعاملة فيها يوجب تقييدها في الايدي ويؤخر
عنها الاكل الذي اريدت له فما خلق الطعام الا ليوكل والحاجة الى الاطعمة
شديدة فينبغي ان تخرج عن يد المستغني عنها الى المحتاج ولا يتعامل
على الاطعمة الا مستغنون عنها اذ من معه الطعام فلم لا ياكله ان كان محتاجا
اليه ولم يجعله بضاعة تجارة وان جعله بضاعة تجارة فليبعه ممن يطلبه
بعوض غير الطعام يكون محتاجا اليه فاما من يطلبه بعين ذلك الطعام
فهو ايضا مستغن عنه ولهذا ورد في الشرع لعن المحتكر وورد فيه
من التشديدات ما ذكرناه في كتاب ـــ آداب الكسب نعم بايع البر بالتمر
معذور اذ احدهما لا يسد مسد الاخر في العوض وبايع صاع من البر بصاع
غير معذور ولكنه عابث فلا يحتاج الى منع لان النفوس لا تسمح به الا عند
التفاوت في الجودة ومقابلة الجيد بمثله من الرديء لا يرضى به صاحب
الجيد واما جيد برديين فقد يقصد ولكن لما كانت الاطعمة من الضروريات
والجيد يساوي الرديء في اصل الفايدة ويخالفه في وجوه التنعم اسقط
الشرع غرض التنعم فيما هو القوام فهذه حكمة الشرع في تحريم
الربا وقد انكشف لنا هذا بعد الاعراض عن فن الفقه فلنلحق هذا بفن الفقهيات
فانه اقوى من جميع ما اوردناه وذكرناه في الخلافيات وبهذا يتضح
رجحان مذهب الشافعي رضي الله عنه في التخصيص دون المكيلات اذ لو دخل
الجص فيه لكانت الثياب والدواب اولى بالدخول ولولا الملح لكان مذهب
مالك رضي الله عنه اقوى المذاهب فيه اذ خصصه بالاقوات ولكن كل معنى

الظلم

الاطعمة اى شئ خلقت

حكمة تحريم الربوا

معنى يرعاه الشرع فلا بد أن يضبطه بحد وتحديد هذا كان ممكنا
بالقوت وكان ممكنا بالمطعوم فرأى الشرع التحديد بنفع كذلك بالضرورة
ولو لم يحد لتحير الخلق في تتبع جوهر المعنى مع اختلافه بالأحوال والأشخاص
فيكون الحد ضروريا فلذلك قال سبحانه ومن يتعد حدود الله فقد ظلم
نفسه ولأن أصول هذه المعاني لا تختلف فيها الشرائع وإنما تختلف في وجوه
التحديد كما تحده شرع عيسى عليه السلام الخمر بالسكر وقد حرمه شرعنا
بكونه من جنس السكر لأن قليله يدعو إلى كثيره والداخل في الحدود داخل
في الخمر بحكم الجنس كما دخل أصل المعنى بالحكمة الأصلية فهذا مثال الحكمة
خفية من حكم النقدين فينبغي أن يعتبر شكر النعمة وكفرانها بهذا المثال
فكل خلق لنعمة فلا ينبغي أن يصرف عنها ولا يعرف هذا إلا من عرف الحكمة
ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا ولكن لا تصادف جواهر الحكمة
في قلوب هي مزابل الشهوات وملاعب الشياطين بل لا يتذكر إلا أولو الألباب
ولذلك قال عيسى عليه السلام لولا أن الشياطين يحومون على قلوب
بني آدم لنظروا إلى ملكوت السماء، وإذا عرفت هذا المثال فقس عليه
حركتك وسكونك ونطقك وسكوتك وكل فعل صادر منك فإنه إما شكر
وإما كفران ولا يتصور أن ينفك عنهما وبعض ذلك نصفه في لسان
الفقه الذي يتعاطاه عوام الخلق بالكراهة وبعضه بالحظر وكل ذلك
عند أرباب القلوب موصوف بالحظر فأقول مثلا لو استنجيت باليمين
فقد كفرت نعمة اليدين إذ خلق الله لك اليدين وجعل إحداهما أقوى من
الأخرى فاستحق الأقوى بمزيد رجحان في الغالب التشريف والتفضيل
إذ تفضيل الناقص عدول عن العدل والله سبحانه لا يأمر إلا بالعدل ثم
أحوجك من إعطائك اليدين إلى أعمال بعضها شريفة كأخذ المصحف باليسار
وإزالة النجاسة باليمين فقد خصصت الشريف بما هو خسيس فغضضت من
حقه وظلمته وعدلت عن العدل وكذلك إذا بصقت مثلا إلى جهة القبلة
أو استقبلتها في قضاء الحاجة فقد كفرت نعمة الله في خلق الجهات وخلق
سعة العالم لأنه خلق الجهات لتكون متسعا في حركاتك وقسم الجهات إلى
ما لم يشرفه وإلى ما وضع فيها بيتا أضافه إلى نفسه استمالة لقلبك إليه

شكر الأعضاء

لتقيد به قلبك ويتقيد بسببه بدنك في تلك الجهة على هيئة الثبات
والوقار اذا عبدت ربك وكذلك انقسمت افعالك الى ما هو شريف كالطاعات
والى ما هو خسيس كقضاء الحاجة ورمي البصاق فاذا رميت بصاقك الى جهة
القبلة فقد ظلمتها وكفرت نعمة الله عليك بوضع القبلة التي بوضعها كمال
عبادتك وكذلك اذا لبست خفك فابتدات باليسرى فقد ظلمت لان الخف وقاية
الرجل فللرجل فيه حظ والبداية بالحظوظ ينبغي ان تكون بالاشرف وهو
العدل والوفاء بالحكمة ونقيضه ظلم وكفران لنعمة الرجل والخف وهذا
عند العارفين كبيرة وان سماه الفقيه مكروها حتى ان بعضهم كان قد جمع
اكوارا من الحنطة وكان يتصدق بها فسئل عن سبب ذلك فقال لبست المداس
مرة فابتدات بالرجل اليسرى سهوا فاردت ان اكفر ذلك بالصدقة نعم
الفقيه لا يقدر على تفخيم الامر في هذه الامور لانه مسكين بلي باصلاح
العوام الذين تقترب درجتهم من درجة الانعام وهم منغمسون في ظلمات
اطم واعظم من ان تظهر امثال هذه الظلمات بالاضافة اليها فقبيح ان يقال
الذي يشرب الخمر واخذ القدح بيساره قد تعدى من وجهين احدهما الشرب
والاخر الاخذ باليسار ومن باع خمرا في وقت النداء يوم الجمعة فقبيح ان
يقال خالف من وجهين احدهما بيع الخمر والاخر بيع في وقت النداء ومن قضى
حاجته في محراب المسجد مستقبل القبلة فقبيح ان يذكر تركه الادب في قضاء
الحاجة من حيث لم يجعل القبلة عن يمينه فالمعاصي كلها ظلمات وبعضها فوق
بعض فينمحق بعضها في جنب البعض فالسيد قد يعاقب عبده اذا استعمل سكينا بغير اذنه
ولكن لو قتل بتلك السكين اعز اولاده عليه لم يبق لاستعمال السكين بغير اذنه حكم
ونكاية في نفسه فكل ما راعاه الانبياء عليهم السلام والاولياء رضي الله عنهم
من الادب وتساهلنا فيه في الفقه مع العوام فسببه هذه الضرورة والا فكل
هذه عدول عن العدل وكفران للنعمة ونقصان عن الدرجة المبلغة للعبد الى
درجات القرب نعم بعضها يؤثر في البعض بنقصان القرب وانحطاط المنزلة
وبعضها يخرج بالكلية عن حدود القرب الى عالم البعد الذي هو مستقر الشياطين
وكذلك من كسر غصنا من شجرة من غير حاجة ناجزة مهمة ومن غير غرض
صحيح فقد كفر نعمة الله سبحانه في خلق الاشجار وخلق اليد واما اليد فانها

الظلم مطلب والاثم

مطلب الظلمات

مطلب كسر غصن الشجرة وقطعها

فانه لم يخلق للعبث بل للطاعة وللاعمال الصالحة المعينة على الطاعة واما الشجر
فانما خلقه الله تعالى وخلق له العروق وساق اليه الماء وخلق فيه قوة الاغتذا
والنما ليبلغ منتهى نشوه فينتفع به عباده فكسره قبل منتهى نشوه لا على
وجه ينتفع به عباده مخالفة لمقصود الحكمة وعدول عن العدل فان كان له
غرض صحيح فله ذلك اذ الشجرة والحيوان جعل فدآء لاغراض الانسان فانهما جميعا
فانيان هالكان فافنا الاخس في ابقا الاشرف مدة ما اقرب الى العدل
من تضييعهما جميعا واليه الاشارة بقوله سبحانه وسخر لكم ما في
السموات وما في الارض جميعا منه ۝ نعم اذا كسر ذلك من ملك غيره
فهو ظالم ايضا وان كان محتاجا لان كل شجرة بعينها لا تفي بحاجات عباد
الله كلهم بل تفي بحاجة واحد ولو خصص واحد بها من غير رجحان واختصاص كان
ظلما وصاحب الاختصاص هو الذي حصل البذر ووضعه في الارض وساق اليه الماء
وقام بالتعهد فهو اولى به من غيره ويرجح جانبه بذلك فان نبت ذلك في موات
لا بسعي لآدمي اختص بغرسه فلا بد من طلب اختصاص آخر وهو السبق الى الاخذ
فللسابق خاصية السبق فالعدل هو اولى به وعبر الفقها عن هذا الترجيح بالملك
وهو مجاز محض اذ لا ملك الا لمالك الملوك الذي له ما في السموات والارض
وكيف يكون العبد مالكا وهو في نفسه ليس يملك نفسه بل هو ملك غيره ۝
نعم الخلق عباد الله والارض مائدة الله وقد اذن لهم في الاكل من مائدته بقدر
حاجتهم فالملك ينصب مائدته لعبيده فمن اخذ لقمة بيمينه واحتوت عليها
براجمه فجا عبد آخر واراد انتزاعها من يده لم يمكن من ذلك لا لان اللقمة
صارت ملكا له بالاخذ باليد فان اليد وصاحب اليد ايضا مملوك ولكن اذا
كانت كل لقمة بعينها لا تفي بحاجة كل العبيد فالعدل في التخصيص عند حصول
ضرب من الترجيح والاختصاص والاخذ اختصاص ينفرد به العبد فيمنع من لا
يدلي بذلك الاختصاص عن مزاحمته فهكذا ينبغي ان تفهم امر الله تعالى ۝
ولذلك نقول من اخذ من اموال الدنيا اكثر من حاجته وكنزه وامسكه
وفي عباد الله من يحتاج اليه فهو ظالم وهو من الذين يكنزون الذهب والفضة
ولا ينفقونها في سبيل الله وانما سبيل الله طاعته وزاد الخلق في طاعته
اموال الدنيا اذ بها تندفع ضروراتهم وترتفع حاجاتهم ۝ نعم لا يدخل

الاشرف

كيف يكون العبد مالكا وهو ليس مالكا على نفسه

كنز الذهب والفضة

هذا في حد فتاوي الفقه لان مقادير الحاجات خفية والنفوس في استشعار الفقر
في الاستقبال مختلفة واواخر الاعمال غير معلومة فتكليف العوام ذلك يجري
مجري تكليف الصبيان الوقار والتودة والسكوت عن كل كلام غير مهم وهم بحكم
نقصانهم لا يطيقونه فتركنا الاعتراض عليهم في اللعب واللهو واباحتنا اياهم ذلك
لا يدل علي ان اللهو واللعب حق فكذلك اباحتنا للعوام حفظ الاموال والاقتصار
في الانفاق علي قدر الزكوات لضرورة ما جبلوا عليه من البخل لا يدل علي انه غاية
الحق وقد اشار القران اليه اذ قال ان يسئلكموها فيحفكم تبخلوا ويخرج
اضغانكم بل الحق الذي لا كدورة فيه والعدل الذي لا ظلم فيه ان لا ياخذ احد من
عباد الله تعالي من مال الله الا بقدر زاد الراكب وكل عباد الله ركاب لمطايا الابدان
الي حضرة الملك الديان فمن اخذ زيادة عليه ومنعه عن راكب اخر محتاج اليه
فهو ظالم تارك للعدل وخارج عن مقصود الحكمة وكافر بنعمة الله تعالي عليه
بالقران والعقل وسائر الاسباب التي بها عرف ان ما سوي زاد الراكب
وبال عليهم في الدنيا والاخرة فمن فهم حكمة الله تعالي في جميع انواع المو
جودات قدر علي القيام بوظيفة الشكر واستقصاء ذلك يحتاج الي مجلدات
ثم لا يفي الا بالقليل وانما اوردنا هذا القدر ليعلم علة الصدق في قوله سبحانه
وقليل من عبادي الشكور وفرح ابليس لقوله ولا تجد اكثرهم شاكرين
ولا يعرف معني هذه الاية من لم يعرف هذا كله وامورا اخر وراء هذه تنقضي الاعمار
دون استقصاء مبادئها فاما تفسير الاية ومعني لفظها فيعرفه كل من يعرف اللغة
وبهذا يتبين لك الفرق بين المعني والتفسير فان قلت فقد
رجع حاصل الكلام الي ان لله حكمة في كل شيء وانه جعل بعض افعال
العباد سببا لتمام تلك الحكمة وبلوغها غاية المراد منها وجعل بعض افعالهم مانعا
من تمام الحكمة فكل فعل وافق مقتضي الحكمة حتي انساقت الحكمة الي غايتها فهو شكر
وكل ما خالف ومنع الاسباب من ان تنساق الي الغاية المرادة بها فهو كفران وهذا
كله مفهوم ولكن الاشكال باق وهو ان فعل العبد منقسم الي ما يتمم الحركة
والي ما يدفعها من فعل الله تعالي فاين العبد في البين حتي يكون شاكرا مرة وكافرا اخري
واعلم ان تمام التحقيق في هذا يستمد من تيار بحر عظيم من علوم المكاشفات
وقد رمزنا فيما سبق الي تلويحات مبادئها ونحن الان نعبر بعبارة وجيزة عن اخرها

الظالم

فعل العباد

عجز

أخيرها وغايتها يفهمها من عرف منطق الطير ويجحدها من عجز عن
الإبضاع في السير فضلا عن أن يجول في جو الملكوت جولان الطير فنقول
إن الله سبحانه في جلاله وكبريائه صفة يصدر عنها الخلق والاختراع
وتلك الصفة أعلى وأجل من أن تلمحها عين واضع اللغة حتى يعبر عنها بعبارة
تدل على كنه جلالها وخصوص حقيقتها فلم يكن في العالم لها عبارة لعلو شأنها
وانحطاط رتبة واضعي اللغات عن أن يمتد طرفهم إلى مبادي إشراقها فانخفضت
عن ذروتها أبصارهم كما تنخفض أبصار الخفافيش عن نور الشمس ولكن
لضعف أبصار الخفافيش فاضطر الذين فتحت أبصارهم لملاحظة جلالها
أن يستعيروا من حضيض عالم المتناطقين باللغات عبارة تفهم من مبادي
حقائقها شيئا ضعيفا جدا واستعاروا لها اسم القدرة فتجاسرنا بسبب
استعارتهم على النطق فقلنا لله صفة هي القدرة عنها يصدر الخلق والاختراع
ثم الخلق ينقسم في الوجود إلى أقسام وخصوص صفات ومصدر انقسامها
واختصاصها بخصوص صفاتها صفة أخرى استعير لها مثل الضرورة
التي سبقت عبارة المشيئة فهي توهم منها أمرا مجملا عند المتناطقين باللغات
هي حروف وأصوات المتفاهمين بها وقصور لفظ المشيئة عن الدلالة على كنه
تلك الصفة وحقيقتها كقصور لفظ القدرة ثم انقسمت الأفعال الصادرة
من القدرة إلى ما ينساق إلى المنتهى الذي هو غاية حكمتها وإلى ما يقف دون
الغاية وكان لكل واحد نسبة إلى صفة المشيئة لرجوعها إلى الاختصاصات
التي بها تتم القسمة والاختلاف فاستعير لنسبة البالغ غايته عبارة المحبوب
واستعير لنسبة الواقف دون غايته عبارة الكراهة وقيل إنهما جميعا داخلان
في وصف المشيئة الأزلية أن يستعملهم بسياقة حكمية إلى غايتها في بعض
الأمور فكان لكل واحد من الفريقين نسبة إلى المشيئة خاصة فاستعير
لنسبة المستعملين في إتمام الحكمة بهم عبارة الرضى واستعير للذين
استوقفت بهم أسباب الحكمة دون غايتها عبارة الغضب وظهر على من غضب
عليه في الأزل فعل وقفت الحكمة به دون غايتها واستعير لها الكفران
وأردف ذلك بنقمة اللعن والمذمة وزيادة في النكال وظهر على من ارتضاه
في الأزل فعل انساقت بسببه الحكمة إلى غايتها واستعير لها عبارة الشكر

واردف بخلعة الثنا والاطراز بادة في الرضا والقبول والكمال فكان
الحاصل انه اعطي الجمال ثم اثني واعطي الكمال ثم فرح وادني فكان مثاله ان
ينظف عبده الوسخ منه واوساخه ثم يلبسه من محاسن ثيابه فاذا تم زينته
قال يا جميل ما اجملك واجمل ثيابك وانظف وجهك فيكون بالحقيقة
هو المجمل وهو المثني على الجمال بكل حال وكانه لم يثن من حيث المعني الا على نفسه
وانما العبد هدف الثنا من حيث الظاهر والصورة فهكذا كانت الامور في ازل
الازل وهكذا تسلسلت الاسباب والمسببات بتقدير رب الاسباب
ومسبب الاسباب ولم يكن ذلك عن اتفاق وبخت بل عن ارادة وحكمة وحكم
حق وامر جزم استعير له لفظ القضا وقيل انه كلمح بالبصر فغاضت بحار المقادير
بحكم ذلك القضا الحتم بما سبق به التقدير واستعير لترتب احاد المقدرات
بعضها على بعض لفظ القدر فكان لفظ القضا بازاء الامر الواحد الكلي ولفظ القدر
بازاء التفصيل المتمادي الى غير نهاية وقيل ان شيئا من ذلك خارجا عن القضا
والقدر فخطر لبعض العباد ان القسمة لماذا اقتضت هذا التفصيل وكيف
انتظم العدل مع هذا التفاوت والتفضيل وكان بعضهم لقصوره لا يطيق ملاحظة
كنه هذا الامر والاحتوا على مجامعه فالجموا عما لا يطيقوا خوض غمرته بلجام
المنع وقيل لهم اسكتوا فما لهذا خلقتم لا يسئل عما يفعل وهم يسالون وامتلات
مشكاة بعضهم نورا مقتبسا من نور الله في السموات والارض وكان زيتهم اولا
صافيا يكاد يضي ولو لم تمسسه نار فمسته نار فاشتعل نورا على نور فاشرق
اقطار الملكوت بين ايديهم بنوره بها فادركوا الامور كما هي عليه فقيل لهم
تادبوا باداب الله واسكتوا واذا ذكر القدر فامسكوا فان للحيطان اذانا
وحواليكم ضعفا الابصار فسيروا بسير اضعفكم ولا تكشفوا حجاب
الشمس لابصار الخفافيش فيكون سبب هلاككم فتخلقوا باخلاق الله وانزلوا
الى السما الدنيا من منتهي علوكم ليانس بكم الضعفا ويقتبسوا من بقايا
انواركم المشرقة من ورا حجابكم كما يقتبس الخفاش من بقايا نور الشمس والكواكب
في جنح الليل فيحيى بذلك حياة يحتملها شخصه وحاله وان كان لا يحيى به الحياة المترددين
في كمال نور الشمس وكونوا كمن قيل فيهم شعر

شربنا شرابا طيبا عند طيب • كذاك شراب الطيبين يطيب •

شربنا واهرقنا على الارض فضله . وللارض من كاس الكرام نصيب

فهكذا كان اول هذا الامر واخره ولا تفهمه الا اذا كنت

اهلا له واذا كنت اهلا له فتحت العين وابصرت فلا تحتاج الى قايد يقودك
والاعمى يمكن ان يقاد ولكن الى حد ما فاذا ضاق الطريق وصار احد من السيف
وادق من الشعر قدر الطاير على ان يطير عليه ولم يقدر على ان يستجر وراءه
اعمى واذا دق المجال ولطف لطف الما. لم يمكن العبور الا بالسباحة فقد يقدر الما
هر بصنعة السباحة ان يعبر بنفسه وربما لم يقدر على ان يستجر وراءه
اعمى فهذه امور نسبة السير عليها الى السير على ما هو مجال جماهير الخلق كنسبة
المشي على الماء الى المشي على الارض والسباحة يمكن ان يتعلم واما المشي على الماء
فلا يكتسب بالتعلم بل ينال بقوة اليقين ولذلك قيل للنبي صلى الله عليه وسلم
ان عيسى عليه السلام يقال انه مشى على الماء فقال عليه السلام لو
ازداد يقينا لمشى على الهوى فهذه رموز واشارات الى معنى الكراهة والمحبة
والرضى والغضب والشكر والكفران لا يليق بعلوم المعاملة اكثر منها وقد ضرب الله
مثلا لذلك تقريبا الى افهام الخلق اذ عرف انه ما خلق الانس والجن الا ليعبدوه
فكانت عبادتهم غاية الحكمة في حقهم ثم اخبر ان له عبدين يحب احدهما واسمه
جبريل وروح القدس والامين وهو عنده محبوب مطاع مكين ويبغض الاخر
واسمه ابليس وهو اللعين المنظر الى يوم الدين ثم احال الارشاد الى جبريل
عليه السلام فقال قل نزله روح القدس من ربك بالحق وقال يلقي
الروح من امره على من يشاء من عباده واحال الاغوا على ابليس فقال ليضلهم
عن سبيله والاغوا هو استيقاف للعباد دون بلوغ غاية الحكمة فانظر كيف
نسب ذلك الى العبد الذي غضب عليه والارشاد سياقة لهم الى الغاية فانظر
كيف نسبه الى العبد الذي احبه وعندك في العادة له مثال فالملك اذا كان
يحتاج الى من يسقيه الشراب والى من يحجمه وكان له عبدان فلا يعين للحجامة
الا اقبحهما واخسهما ولا يفوض حمل الشراب الطيب اليه الا الى احسنهما
واكملهما واحبهما اليه ولا ينبغي ان تقول هذا فعلي فلم يكن فعله دون فعلي
فانك اخطات اذا اضفت ذلك الى نفسك بل هو الذي صرف داعيتك لتخصيص الفعل
المكروه فالشخص المكروه والفعل المحبوب بالشخص المحبوب تماما للعدل فان

عدله تارة بتيسير امور لا مدخل لك فيها وتارة بتيسيرك فيك فانك ايضا من افعاله
فداعيتك وقدرتك وسائر اسباب حركتك في التعيين هو فعله الذي رتبه بالعدل
ترتيبا يصدر منه الافعال المعتدلة الا انك لا ترى الا نفسك فتظن انما يظهر
عليك في عالم الشهادة ليس له سبب من عالم الغيب والملكوت فلذلك تضيفه
الى نفسك وانما انت مثل الصبي الذي ينظر ليلا الى لعب المشعبذ الذي يخرج
صورا من وراء حجاب ترقص وتزعق وتقوم وتقعد وهي مؤلفة من خرق لا تتحرك
بانفسها انما تحركها خيوط شعرية دقيقة لا تظهر في ظلام الليل ورؤسها في يد
المشعبذ وهو محتجب عن ابصار الصبيان فيفرحون ويتعجبون لظنهم ان تلك الخرق
ترقص وتلعب وتقوم وتقعد وأما العقلاء فيعلمون ان ذلك ليس بتحرك
ولكنهم ربما لا يعلمون تفصيله والذي يعلم بعض تفصيله لا يعلمه كما يعلمه المشعبذ
الذي الامر اليه والحادثة في يديه فكذلك صبيان اهل الدنيا والخلق كلهم صبيان
الا العلماء ينظرون الى هذه الاشخاص فيظنون انها المتحركة فيحيلون عليها والعلماء
يعلمون انهم محركون الا انهم لا يعلمون كيفية التحريك وهم الاكثرون الا العارفون
والعلماء الراسخون فانهم ادركوا بحدة ابصارهم خيوطا دقيقة عنكبوتية
بل ادق منها بكثير معلقة من السماء متشبثة الاطراف باشخاص اهل الارض
لا تدرك هذه الخيوط لدقتها بهذه الابصار الظاهرة ثم شاهدوا رؤس تلك الخيوط
في مناطات لها هي معلقة بها وشاهدوا لتلك المناطات مقابض هي في ايدي
الملائكة المحركين للسموات وشاهدوا ابصار ملائكة السموات مصروفة الى
حملة العرش ينتظرون منهم ما ينزل عليهم من الامر من حضرة الربوبية كيلا يعصون
الله ما امرهم ويفعلون ما يؤمرون وعبر عن هذه المشاهدات
في القرآن فقيل وفي السماء رزقكم وما توعدون وعبر عن انتظار ملائكة
السموات لما ينزل اليهم من الامر والقدر فقيل خلق سبع سموات ومن الارض
مثلهن يتنزل الامر بينهن لتعلموا ان الله على كل شيء قدير وان الله قد احاط
بكل شيء علما وهذه امور لا يعلمها الا الله والراسخون في العلم وعبر ابن عباس
رضي الله عنه عن اختصاص الراسخين في العلم بعلوم لا تحتملها افهام الخلق
حيث قرا قوله سبحانه يتنزل الامر بينهن لتعلموا ان الله على كل شيء قدير فقال لو
ذكرت ما اعرفه من معنى هذه الاية لرجمتموني وفي لفظ لقلتم انه كافر

مطلب

كافر ولنقتصر على هذا القدر فقد خرج عنان الكلام عن قبضة الاختيار ○
وامتزج بعلم المعاملة ما ليس منها ○ فلنرجع الى مقاصد الشكر فنقول
اذا رجع حقيقة الشكر الى كون العبد مستعملا في اتمام حكمة الله سبحانه فاشكر
العباد احبهم الى الله واقربهم الى الله الملائكة ولهم ايضا ترتيب وما منهم
الا له مقام معلوم واعلام في درجة القرب اسمه اسرافيل وانما علو درجتهم
لانهم في انفسهم كرام بررة وقد اصلح الله بهم الانبيا وهم اشرف مخلوق على
وجه الارض وتلي درجتهم درجة الانبيا عليهم السلام فانهم في انفسهم
اخيار وقد هدى الله بهم ساير الخلق فتمم بهم حكمته واعلاهم رتبة نبينا
عليه السلام اذ اكمل الله به الدين وختم به النبيين ويليهم العلما الذين
هم ورثة الانبيا فانهم في انفسهم صالحون وقد اصلح الله بهم ساير الخلق ○
ودرجة كل واحد بقدر ما اصلح من نفسه ومن غيره ثم يليهم السلاطين بالعدل
لانهم اصلحوا دنيا الخلق كما اصلح العلما دينهم ولاجل اجتماع الدين والملك
والسلطنة لنبينا عليه السلام كان افضل من ساير الانبيا عليهم السلام ○
فانه اكمل الله به صلاح دينهم ودنياهم ولم يكن السيف والملك لغيره من الانبيا
عليهم السلام ثم يلي السلاطين العلما الصالحون الذين اصلحوا انفسهم فقط
فلم تتم حكمة الله تعالى بهم الا في انفسهم ومن عدا هولاء فهم رعاع والسلام

واعلم ان السلطان به قوام الدين فلا ينبغي ان يستحقر
وان كان ظالما فاسقا ○ قال عمرو ابن العاص رضي الله عنه امام غشوم
خير من فتنة تدوم ○ وقال النبي صلى الله عليه وسلم سيكون
عليكم امرا يفسدون وما يصلح الله بهم اكثر فان احسنوا فلهم الاجر ○
وعليكم الشكر وان اساوا فعليهم الوزر وعليكم الصبر وقال سهل
رحمه الله من انكر امامة السلطان فهو زنديق ومن دعاه السلطان
فلم يجب فهو مبتدع ومن اتاه من غير دعوة فهو جاهل وسيل اي الناس
خير فقال السلطان وقد كنا نرى ان شر الناس السلطان ○
فقال مهلا ان لله سبحانه في كل يوم نظرتين نظرة الى سلامة اموال
المسلمين ونظرة الى سلامة ابدانهم فيطلع في صحيفته فيغفر له ذنوبه
وكان يقول الخشبات السود المعلقة على ابوابهم خير من سبعين قاصا يقصون

الركن الثاني من أركان الشكر ما عليه الشكر وهي النعمة

ولنذكر فيه حقيقة النعمة وأقسامها ودرجاتها وأصنافها ومجامعها فيما يخص
ويعم فإن إحصاء نعم الله سبحانه على عباده خارج عن مقدار الشكر كما قال تعالى
وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها فنقدم أمورا كلية تجري مجرى القوانين في معرفة
النعم ثم نشتغل بذكر الآحاد ٥

بيان حقيقة النعم وأقسامها ٥

اعلم أن كل خير ولذة وسعادة بل كل مطلوب ومؤثر فإنه يسمى نعمة
ولكن النعمة بالحقيقة هي السعادة الأخروية وتسمية ما عداها نعمة وسعادة إما غلطا
وإما مجازا كتسمية السعادة الدنيوية التي لا تعين على الآخرة نعمة فإن ذلك
غلط محض وقد يكون اسم النعمة للشيء صدقا ولكن يكون إطلاقه على السعادة الأخروية
أصدق فكل سبب يوصل إلى سعادة الآخرة ويعين عليها إما بواسطة واحدة أو بوسائط
فإن تسميته نعمة صحيحة وصدق لأنه يفضي إلى النعمة الحقيقية والأسباب المعينة ٥
واللذات المسماة نعمة نشرحها بتقسيمات القسمة الأولى أن الأمور
كلها بالإضافة إلينا تنقسم إلى ما هو نافع في الدنيا والآخرة
جميعا كالجهل وسوء الخلق وإلى ما ينفع في الحال ويضر في المآل كالتلذذ باتباع
الشهوات وإلى ما يضر في الحال ويؤلم ولكن ينفع في المآل كقمع الشهوات ومخالفة النفس
فالنافع في الحال والمآل هو النعمة تحقيقا كالعلم وحسن الخلق والضار فيهما هو
البلاء تحقيقا وهو ضدهما والنافع في الحال المضر في المآل بلاء محض عند ذوي الأبصار
وتظنه الجهال نعمة ٥ ومثاله الجائع إذا وجد عسلا فيه سم فإنه يعده نعمة إن كان
جاهلا فإذا علمه علم أن ذلك بلاء سيق إليه والضار في الحال النافع في المآل نعمة عند ذوي
الألباب وبلاء عند الجهال ومثاله الدواء البشع في حال مذاقه
إلا أنه شاف من الأمراض والأسقام وجالب للصحة والسلامة فالصبي الجاهل إذا كلف
شربه يظنه بلاء والعاقل يعده نعمة ويتقلد المنة ممن يهديه إليه ويقربه إليه ويهيئ له أسبابه
فلذلك تمنع الأم ولدها من الحجامة والأب يدعوه إليها فإن الأب بكمال عقله يلحظ

العاقبة والام لقصورها وفرط حبها بلحظ الحال والصبي بجهله يتغلد منه من امه دون ابيه ويانس اليها والى شفقتها ويقدر الاب عدوا له ولو عقل العلم ان الام عدو باطن في صورة صديق لان منعها اياه من الحجامة يسوقه الى امراض والام ابوي اشد من الحجامة ولكن الصديق الجاهل شر من العدو العاقل وكل انسان فهو صديق نفسه ولكنه صديق جاهل ولذلك يعمل بها ما لا يعمل العدو ٥

قسمة ثانية

اعلم ان الاسباب الدنيوية مختلطة قد امتزج خيرها بشرها فقل ما يصفو خيرها كالمال والاهل والولد والاقارب والجاه وساير الاسباب ولكن ينقسم الى ما نفعه اكثر من ضرره كقدر الكفاية من المال والجاه وساير الاسباب والى ما ضرره اكثر من نفعه في حق اكثر الاشخاص كالمال الكثير والجاه الواسع والى ما يكافي ضرره ونفعه وهذه امور تختلف بالاشخاص فرب انسان صالح ينتفع بالمال الصالح وان كثر فينفقه في سبيل الله ويصرفه الى الخيرات فهو مع هذا التوفيق نعمة في حقه ورب انسان يستضر بالقليل ايضا اذ لا يزال مستصغرا له شاكيا من ربه طالبا للزيادة على ما عنده فيكون ذلك مع هذا الخذلان بلاء في حقه

قسمة ثالثة

٥ اعلم ان الخيرات باعتبار اخر تنقسم الى ما هي موثرة لذاتها والى موثرة لغيرها والى موثرة لذاتها ولغيرها فالاول ما يوثر لذاته لا لغيره كلذة النظر الى وجه الله تعالى وسعادة لقايه وبالجملة سعادة الاخرة التي لا انقضا لها فانها لا تطلب ليتوصل بها الى غاية اخرى مقصودة وراها بل تطلب لذاتها الثاني ما يقصد لغيره ولا غرض اصلا في ذاته كالدراهم والدنانير فان الحاجات لو كانت لا تنقضي بها لكانت هي والحصا بمنزلة واحدة ولكن لما كانت وسيلة الى اللذات سريعة الايصال اليها صارت عند الجهال محبوبة في انفسها حتى جمعوها وكنزوها وتصادفوا عليها بالربا. ٥ وظنوا انها مقصودها ومثال هولاء مثال من يحب شخصا فيحب بسببه رسوله الذي يجمع بينه وبينه حتى ينسى في محبة الرسول محبة الاصل فيعرض عنه طول عمره ولا يزال مشغولا بتعهد الرسول ومراعاته وتفقده وهذا غاية الجهل والضلال الثالث ما يقصد لذاته ولغيره كالصحة والسلامة فانها تقصد ليقدر

مشغولا
صح

بسببها على الذكر والفكر الموصلين إلى لقاء الله سبحانه أو ليتوصل بها إلى استيفاء
لذات الدنيا وتقصد أيضا لذاتها فإن الإنسان وإن استغنى عن الشيء الذي يراد
سلامة الرجل لأجله يريد أيضا سلامة الرجل من حيث إنها سلامة فإذا المؤثر
لذاته فقط هو الخير والنعمة تحقيقا وما يؤثر لذاته ولغيره أيضا فهو نعمة ولكن
دون الأولى فأما ما لا يؤثر إلا لغيره كالنقدين فلا يوصفان في أنفسهما من حيث
هما جوهران بأنهما نعمة من حيث هما وسيلتان فيكونان نعمة في حق من يقصد أمرا
ليس يمكن أن يتوصل إليه إلا بهما فلو كان مقصده العلم والعبادة ومعه الكفاية
التي هي ضرورة حياته استوى عنده الذهب والمدر فكان وجودهما أو عدمهما عنده
بمثابة واحدة بل ربما شغله وجودهما عن الفكر والعبادة فيكونان بلاء في حقه
ولا يكونان نعمة **قسمة رابعة** اعلم أن الخيرات باعتبار آخر
تنقسم إلى نافع وجميل ولذيذ فاللذيذ هو الذي تدرك راحته في الحال
والنافع هو الذي يفيد في المآل والجميل هو الذي يستحسن في سائر الأحوال
والشرور أيضا تنقسم ضربان مطلق ومقيد فالمطلق هو الذي اجتمعت فيه
الأوصاف الثلاثة أما في الخير فكالعلم والحكمة فإنها نافعة وجميلة ولذيذة
عند أهل العلم والحكمة وأما في الشر فكالجهل فإنه ضار وقبيح ومؤلم وإنما
يحس الجاهل بألم جهله إذا عرف أنه جاهل بأن يرى غيره عالما ويرى نفسه جاهلا
فيدرك ألم النقص فتنبعث منه شهوة العلم اللذيذة ثم قد يمنعه الحسد والكبر
والشهوات البدنية من التعلم فيتجاذبه متضادان فيعظم ألمه فإنه إن ترك التعلم
تألم بالجهل ودرك النقصان وإن اشتغل بالتعلم تألم بترك الشهوات وبترك الكبر
وذل التعلم ومثل هذا الشخص لا يزال في عذاب دائم لا محالة **والضرب
الثاني** مقيد وهو الذي جمع بعض هذه الأوصاف دون بعض فرب نافع مؤلم
كقطع الإصبع المتآكلة والسلعة الخارجة من البدن ورب نافع قبيح كالحمق فإنه
بالإضافة إلى بعض الأحوال نافع وقد قيل استراح من لا عقل له فإنه لا يهتم بالعاقبة
فيستريح في الحال إلى أن يجيء وقت هلاكه ورب نافع من وجه ضار من وجه كإلقاء
المال في البحر عند خوف الغرق فإنه ضار بالمال نافع للنفس في نجاتها والنافع قسمان
ضروري كالإيمان وحسن الخلق في الإيصال إلى سعادة الآخرة وأعني بهما العلم
والعمل إذ لا يقوم مقامهما البتة غيرهما وأما ما لا يكون ضروريا كالسكنجبين مثلا

مثلاً في تسكين الصفراء فإنه قد يمكن تسكينها بما يقوم مقامه **قسمة خامسة**
اعلم أن النعمة يعبر بها عن كل لذيذ واللذات بالإضافة إلى الإنسان من حيث
اختصاصه بها أو مشاركته لغيره ثلاثة أنواع عقلية وبدنية مشتركة مع بعض الحيوانات
وبدنية مشتركة مع جميع الحيوانات أما العقلية فكلذة العلم والحكمة إذ ليس
يستلذهما السمع والبصر والشم والبطن والفرج وإنما يستلذهما القلب لاختصاصه
بصفة يعبر عنها بالعقل وهذه أقل اللذات وجوداً وهي أشرفها أما قلتها فلأن
العلم لا يستلذه إلا عالم والحكمة لا يستلذها إلا حكيم وما أقل أهل الحكمة
والعلم وما أكثر المتشبهين بهم والمترسمين برسمهم وأما شرفها فلأنها
لازمة لا تزول أبداً في الدنيا ولا في الآخرة ودائمة لا تمل فالطعام يشبع منه
فيمل وشهوة الوقاع يفرغ منها فيستثقل والعلم والحكمة قط لا يتصور أن
يملا ويستثقلا ومن قدر على الشريف الباقي أبد الآباد إذا رضي بالخسيس الفاني
في أقرب الآماد فهو مصاب في عقله محروم بشقاوته وإدباره وأقل أمر فيه أن
العلم والعقل لا يحتاج إلى أعوان وحفظة بخلاف المال إذ العلم يحرسك وأنت
تحرس المال والعلم يزيد بالإنفاق والمال ينقص بالإنفاق والمال يسرق والولاية
يعزل عنها والعلم لا تمتد إليه أيدي السراق بالأخذ ولا أيدي السلاطين بالعزل
فيكون صاحبه في روح الأمن أبداً والمال تارة يجذب إلى الهلاك وتارة يجذب
إلى النجاة ولذلك ذم الله تعالى المال في القرآن في مواضع وإن سماه خيراً في مواضع
وأما قصور أكثر الخلق عن إدراك لذة العلم فبعدم الذوق فمن لم يذق لم يعرف
ولم يشتق إذ الشوق يتبع الذوق وإما لفساد أمزجتهم ومرض قلوبهم بسبب
اتباع الشهوات كالمريض الذي لا يدرك حلاوة العسل ويراه مراً وإما لقصر
وطرهم إذ لم يخلق لهم بعد الصفة التي بها يستلذ العلم كالصبي لا يدرك لذة
العسل والطيور السمان ولا يستلذ إلا اللبن وذلك لا يدل على أنها ليست لذيذة
ولا استطابته اللبن يدل على أنه ألذ الأشياء فالقاصرون عن درك لذة العلم
والحكمة ثلاثة إما من لم يحيى بعد باطنه كالصبي وإما من مات بعد الحياة
باتباع الشهوات وإما من مرض بسبب اتباع الشهوات وقوله سبحانه في قلوبهم
مرض إشارة إلى مرض العقل وقوله تعالى لينذر من كان حياً إشارة
إلى من لم يمت حياته وكل حي بالبدن ميت بالقلب فهو عند الله من الموتى وإن

النعمة

فضل العلم

الجهل

الشهدا احياء

كان عند الجهال من الاحياء ولذلك كان الشهدا احيا عند ربهم يرزقون فرحين وان كانوا امواتا بالابدان **والثانية** لذة يشارك الانسان فيها بعض الحيوانات كلذة الرياسة والغلبة والاستيلا وذلك موجود في الاسد والنمر وبعض الحيوانات ٥ **الثالثة** ما يشارك الانسان فيها ساير الحيوانات كلذة البطن والفرج وهذه اكثرها وجودا وهي اخسها ولذلك اشترك فيها كل ما دب ودرج حتى الديدان والحشرات ومن جاوز هذه الرتبة تشبث به لذة الغلبة وهي اشدها التصاقا بالمتغافلين فان جاوز ذلك ارتقى الى الثالثة فصار اغلب اللذات عليه لذة العلم والحكمة لا سيما معرفة لذة الله سبحانه ومعرفة صفاته وافعاله ٥ وهذه رتبة الصديقين ولا ينال تمامها الا بخروج استيلاء حب الرياسة من القلب واخر ما يخرج من رؤس الصديقين حب الرياسة واما شره البطن والفرج فكسره مما يقوى عليه الصالحون وشهوة الرياسة لا يقوى على قهرها الا الصديقون فاما قمعها بالكلية حتى لا يقع لها الاحساس على الدوام في اختلاف الاحوال فيشبه ان يكون خارجا عن مقدور البشر ٥ نعم تغلب لذة معرفة الله سبحانه في احوال لا يقع معها الاحساس على الدوام في اختلاف الاحوال بلذة الرياسة ٥ والغلبة ولكن ذلك لا يدوم طول العمر بل تعتريه الفترات فتعود اليه الصفات البشرية فتكون موجودة ولكن تكون مقهورة لا تقوى على حمل النفس على العدول عن العدول وعندها تنقسم القلوب الى اربعة اقسام قلب لا يحب الا الله ولا يستريح الا بزيادة المعرفة والفكر فيه وقلب لا يدري ما لذة المعرفة بالله ولا الانس به وانما لذته بالجاه والرياسة والمال وساير الشهوات البدنية وقلب ٥ اغلب احواله الانس بالله والتلذذ بمعرفته والفكر فيه ولكن تعتريه في بعض الاحوال الرجوع الى اوصاف البشرية وتعتريه في بعض الاحوال التلذذ بالعلم والمعرفة **اما الاول** وان كان ممكنا في الوجود فهو في غاية البعد ٥ واما الثاني فالدنيا طافحة فيه ٥ واما الثالث والرابع فموجود وهي على غاية الندور ولا ان يتصور ان يكون الا نادرا شاذا وهو مع الندور يتفاوت في القلة والكثرة ٥ وانما تكون كثرته في الاعصار القريبة من اعصار الانبياء فلا يزال يزداد ٥ العهد طولا ويزداد مثل هذه القلوب قلة الى ان يقرب الوقت ويقضي الله امرا كان مفعولا وانما وجب ان يكون هذا نادرا لانه مبادي ملك الاخرة والملك عزيز

القلوب

الدنيا مرآة الآخرة

عالم الشهادة وعالم الغيب

عالم الملك وعالم الملكوت

عزيز والملوك لا يكثرون فكما لا يكون الفائق في الملك والجمال الا نادرا واكثر
الناس مردودون فكذا في ملك الاخرة فان الدنيا مرآة الاخرة فالدنيا عالم الشهادة
والاخرة عبارة عن عالم الغيب وعالم الشهادة تابع لعالم الغيب كما ان الصورة
في المرآة تابعة لصورة الناظر في المرآة والصورة في المرآة وان كانت هي الثانية
في رتبة الوجود فانها اول في حق رؤيتك فانك لا ترى نفسك وترى صورتك
في المرآة اولا فتعرف بها صورتك التي هي قائمة بك ثانيا على سبيل المحاكاة
فانقلب التابع في الوجود متبوعا في حق المعرفة وانقلب المتأخر متقدما وهذا
نوع من الانعكاس والانتكاس ضرورة هذا العالم فكذلك عالم الملك والشهادة
محاك لعالم الغيب والملكوت فمن الناس من يسر له نظر الاعتبار فلا ينظر في شيء من
عالم الملك الا ويعبر به الى عالم الملكوت فيسمى عبوره عبرة وقد امر الخلق
بذلك فقيل فاعتبروا يا اولي الابصار ومنهم من عميت بصيرته فلم يعتبر
فاحتبس في عالم الملك والشهادة فستنفتح الى حبسه ابواب جهنم وهذا الحبس
مملي نارا شأنها ان تطلع على الافئدة الا ان بينه وبين ادراك المها حجابا
فاذا رفع الحجاب بالموت ادرك وعن هذا اظهر الله الحق على لسان قوم
استنطقهم بالحق فقالوا الجنة والنار مخلوقتان ولكن الجنة تدرك مرة
بادراك يسمى علم اليقين ومرة بادراك اخر يسمى عين اليقين فقد يكون
في الدنيا ولكن للذين وفر حظهم من نور اليقين فلذلك قال سبحانه
كلا لو تعلمون علم اليقين لترون الجحيم اي في الدنيا ثم لترونها عين اليقين
اي في الاخرة فاذا قد ظهر ان القلب الصالح لملك الاخرة لا يكون
الا عزيزا كالشخص الصالح لملك الدنيا

قسمة سادسة حاوية لمجامع النعم

النعم

اعلم ان النعم تنقسم الى ما هو غاية مطلوب لذاته والى ما هو مطلوب
لاجل الغاية اما الغاية فانها سعادة الاخرة ويرجع حاصلها الى اربعة
امور بقاء لا فناء بعده وسرور لا غم فيه وعلم لا جهل معه وغنى لا فقر
معه وهي النعمة الحقيقية ولذلك قال عليه السلام لا عيش
الا عيش الاخرة وقال ذلك مرة في الشدة تسلية للنفوس وذلك
وقت حفر الخندق وفي شدة الضر ومرة في السرور منعا للنفوس من

الركون الى سرور الدنيا وذلك عند احداق الناس به في حجة الوداع وقال
رجل اللهم اني اسالك تمام النعمة فقال عليه السلام وهل تعلم ما تمام
النعمة قال لا قال دخول الجنة **واما الوسايل** فتنقسم الى الاقرب الاخص
كفضايل النفس والى ما يليه في القرب كفضايل البدن وهو الثاني والى ما يليه
في القرب ويجاوز الى غير البدن كالاسباب المطيفة بالبدن من المال والاهل
والعشيرة والى ما يجمع بين هذه الاسباب الخارجة عن النفس وبين الحاصلة
للنفس كالتوفيق والهداية فهي اذا اربعة انواع **النوع الاول** وهو الاخص
الفضايل النفسية ويرجع حاصلها مع انشعاب اطرافها الى الايمان وحسن الخلق

علم المكاشفة والمعاملة

وينقسم الايمان الى علم المكاشفة وهو العلم بالله سبحانه وتعالى وصفاته
وملايكته ورسله والى علوم المعاملة وحسن الخلق وينقسم الى قسمين
ترك مقتضى الشهوة والغضب واسمه العفة ومراعاة العدل في الكف عن
مقتضى الشهوات والاقدام حتى لا يمتنع اصلا ولا يقدم كيف شا بل يكون
اقدامه واحجامه بالميزان العدل الذي انزله الله تعالى على لسان رسوله عليه
السلام اذ قال سبحانه وتعالى الا تطغوا في الميزان واقيموا الوزن بالقسط ولا
تخسروا الميزان فمن خصى نفسه لترك شهوة النكاح او ترك النكاح مع القدرة
والامن من الافات وترك الاكل حتى ضعف عن العبادة والذكر والفكر
فقد اخسر الميزان ومن انهمك في شهوة البطن والفرج فقد طغى في الميزان
وانما العدل ان يخلو وزنه وتقديره عن الطغيان والخسران فتعتدل بذلك
كفتا الميزان فاذا الفضايل الخاصة بالنفس المقربة الى الله اربع علم مكاشفة
وعلم معاملة وعفة وعدالة ولا يتم هذا في غالب الامر الا بالنوع

الفضايل البدنية

الثاني وهو الفضايل البدنية وهي اربعة الصحة والقوة والجمال وطول العمر
ولا تتهيا هذه الامور الاربعة الا بالنوع الثالث وهي النعم الخارجة
والمطيفة بالبدن وهي اربع المال والاهل والجاه وكرم العشيرة ولا ينتفع
بشي من هذه الاسباب الخارجة والبدنية الا بالنوع الرابع وهي الاسباب
التي تجمع بينها وبين ما يناسب الفضايل النفسية الداخلة وهي اربعة
هداية الله ورشده وتسديده وتاييده فمجموع هذه النعم ست عشرة
اذ قسمناها الى اربع وقسمنا كل واحدة من الاربع الى اربع وهذه الجملة

الجملة تحتاج البعض منها إلى البعض إما حاجة ضرورية أو نافعة أما الحاجة
الضرورية فكحاجة سعادة الآخرة إلى الإيمان وحسن الخلق إذ لا سبيل
إلى الوصول إلى سعادة الآخرة البتة إلا بهما فليس للإنسان إلا ما سعى
وليس لأحد في الآخرة إلا ما تزود من الدنيا وكذلك حاجة الفضائل النفسية
ككسب العلوم وتهذيب الأخلاق إلى صحة البدن ضرورية وأما الحاجة النافعة على الجملة
فكحاجة هذه النفسية والبدنية إلى النعم الخارجة مثل المال والعز والأهل فإن
ذلك لو عدم ربما تطرق الخلل إلى بعض النعم الداخلة **فإن قلت** فما وجه الحاجة
لطريق الآخرة إلى النعم الخارجة من الأهل والمال والجاه والعشيرة فاعلم أن هذه
الأسباب جارية مجرى الجناح المبلغ والآلة المسهلة للمقصود أما المال فالفقير
في طلب العلم والكمال إذا لم يكن معه كفاية كساع إلى الهيجا بغير سلاح وكباز يروم
الصيد بلا جناح ولذلك قال عليه السلام نعم المال الصالح للرجل الصالح
وقال عليه السلام نعم العون على تقوى الله المال وكيف ومن عدم المال صار مستغرق

المال نعم العون على التقوى

الأوقات في طلب القوت وتهيئة اللباس والمسكن وضرورات المعيشة ثم يتعرض
لأنواع من الأذى تشغله عن الذكر والفكر لا تندفع إلا بسلاح المال مع ذلك
يحرم فضيلة الحج والزكاة والصدقات وإفاضة الخيرات قال بعض الحكما
وقد قيل له ما النعيم فقال الغنى فإني رأيت الفقير لا عيش له قيل زدنا قال
والأمن فإني رأيت الخائف لا عيش له قيل زدنا قال والعافية فإني رأيت المريض لا
عيش له وكان ما ذكره إشارة إلى نعيم الدنيا ولكنه من حيث أنه معين على الآخرة

نعيم الدنيا

فهو نعمة ولذلك قال عليه السلام من أصبح معافى في بدنه آمنا في سربه وعنده
قوت يومه فكأنما حيزت له الدنيا بحذافيرها وأما الأهل والولد الصالح فلا يخفى
وجه الحاجة إليهما إذ قال عليه السلام نعم العون على الدين المرأة الصالحة

النساء

وقال في الولد إذا مات الرجل انقطع عمله إلا من ثلاث ولد صالح يدعو له وقد
ذكرنا فوائد الأهل والولد في كتاب النكاح وأما الأقارب فمهما كثر أولاد
الرجل وأقاربه كانوا له مثل الأعين والأيدي فيتيسر له من الأمور الدنيوية المهمة
في دينه ما لو انفرد به لطال شغله وما يفرغ قلبك عن ضرورات الدنيا فهو معين
على الدين فهو إذا نعمة وأما العز والجاه فبه يدفع الإنسان عن نفسه الذل والضيم
ولا يستغني عنه مسلم فإنه لا ينفك عن عدو يؤذيه وظالم يشوش عليه علمه وعمله

وفراغه ويشغل قلبه وقلبه رأس ماله وإنما تندفع بالعز والجاه ولذلك قيل
الدين والسلطان توأمان وقال سبحانه ولولا دفاع الله الناس بعضهم
ببعض لفسدت الأرض ولا معنى للجاه إلا ملك القلوب كما لا معنى للغنى إلا
ملك الدراهم ومن ملك القلوب تسخرت له أربابها لدفع الأذى عنه كما يحتاج الإنسان
إلى سقف يدفع عنه المطر وجبة تدفع عنه البرد وكلب يدفع الذئب عن ماشيته
فيحتاج أيضا إلى من يدفع الشر به عن نفسه وعلى هذا القصد كان الأنبياء صلوات الله
عليهم الذين لا ملك لهم ولا سلطنة يراعون السلاطين ويطلبون عندهم الجاه ٥
وكذلك علماء الدين لا على قصد التناول من خزائنهم أو الاستكثار في الدنيا بمتابعتهم
ولا تظنن أن نعمة الله تعالى على رسوله عليه السلام حيث نصره وأكمل دينه وأظهره
على جميع أعدائه ومكن له في القلوب حتى اتسع بذلك عزه وجاهه كان أقل من نعمته
عليه حيث كان يؤذى ويضرب حتى افتقر إلى الهرب والهجرة **فإن قلت**
كرم العشيرة وشرف الأهل من النعم أولا فأقول نعم ولذلك قال عليه السلام
الأئمة من قريش وكان من أقرب أرومة في نسب آدم صلى الله عليه وسلم ولذلك قال
تخيروا لنطفكم وقال إياكم وخضراء الدمن فقيل وما خضراء الدمن فقال المرأة
الحسناء في المنبت السوء فهذا أيضا من النعم ولست أعني به الانتساب إلى الظلمة
وأرباب الدنيا بل الانتساب إلى شجرة رسول الله صلى الله عليه وسلم وإلى أئمة العلماء
والصالحين وإلى الأبرار المتوسمين بالعلم والعمل **فإن قلت** فما غناء
الفضائل البدنية فأقول لا خفاء بشدة الحاجة إلى الصحة وإلى القوة وإلى طول العمر
إذ لا يتم علم وعمل إلا بها ولذلك قال عليه السلام أفضل السعادات
طول العمر في طاعة الله تعالى وإنما يستحقر من جملتها أمر الجمال فيقال يكفي
أن يكون سليما من الأمراض الشاغلة عن تحري الخيرات ولعمري الجمال قليل الغناء
ولكنه من الخيرات أيضا أما في الدنيا فلا يخفى نفعه وأما في الآخرة فمن وجهين
أحدهما أن القبيح مذموم والطباع عنه نافرة وحاجات الجميل إلى الإجابة أقرب
وجاهه في الصدور أوسع فكأنه من هذا الوجه جناح مبلغ كالمال والجاه إذ هو
نوع قدرة إذ يقدر الجميل الوجه على تنجيز حاجات لا يقدر عليها القبيح وكل معين
على قضاء حاجات الدنيا فمعين على الآخرة بواسطتها والثاني أن الجمال في الأكثر يدل
على فضيلة النفس لأن نور إشراقه يتأدى إلى البدن فالمنظر والمخبر كثيرا ما يتلازمان

النساء

بلا زمان ولذلك عول أصحاب الفراسة في معرفة مكارم النفس على هيئات البدن
وقالوا الوجه والعين مرآة الباطن ولذلك يظهر فيه أثر الغضب والسرور والغم
ولذلك قيل طلاقة الوجه عنوان ما في النفس وقيل ما في الأرض قبيح إلا وجهه
أحسن ما فيه واستعرض المأمون جيشا فعرض عليه رجل قبيح فاستنطقه فإذا هو
ألكن فأسقط اسمه من الديوان وقال الروح إذا أشرقت على الظاهر فصباحة
أو على الباطن ففصاحة وهذا ليس له ظاهر ولا باطن وقال عليه السلام
اطلبوا الخير عند حسان الوجوه وقال عمر رضي الله عنه إذا بعثتم رسولا
فاطلبوا أحسن الوجه حسن الاسم وقال الفقهاء إذا تساوت درجة المصلين
فأحسنهم وجها أولاهم بالإمامة وقال سبحانه ممتنا بذلك وزاده
بسطة في العلم والجسم ولسنا نعني بالجمال ما يحرك الشهوة فإن ذلك
أنوثة وإنما نعني به ارتفاع القامة على الاستقامة والاعتدال في اللحم
وتناسب الأعضاء وتناصف خلقة الوجه بحيث لا ينبو الطباع عن النظر إليها

فإن قلت فقد أدخلت المال والجاه والنسب والأهل والولد في حيز
النعم وقد حرم الله المال والجاه وكذلك رسوله عليه السلام وكذلك العلماء رضي
الله عنهم وقال تعالى إنما أموالكم وأولادكم فتنة وقال علي رضي
الله عنه في ذم النسب الناس أبناء ما يحسنون وقيمة كل امرئ ما يحسنه وقيل المرء
بنفسه لا بأبيه فما معنى كونها نعمة مع كونها مذمومة شرعا فاعلم أن من يأخذ
العلوم من الألفاظ المنقولة المأولة والعمومات المخصصة كان الضلال
عليه أغلب ما لم يهتد بنور الله تعالى إلى إدراك الأمور على ما هي عليه
ثم ينزل النقل على وفق ما ظهر له منها بالتأويل مرة وبالتخصيص أخرى
فهذه نعم معينة على أمر الآخرة لا سبيل إلى جحدها إلا أن فيها فتنا ومخاوف
فمثال المال مثال الحية التي فيها سم نافع ودرياق نافع فإذا أصابها المعزم
الذي يعرف وجه الاحتراز عن سمها وطريق استخراج درياقها النافع كانت نعمة
وإن أصابها السوادي الغر فهي عليه بلاء وهلاك وهو مثل البحر الذي
تحته أصناف الجواهر واللآلي فمن ظفر بالبحر إن كان عالما بالسباحة وطريق
الغوص وطريق الاحتراز عن مهلكات البحر فقد ظفر بنعمه وإن خاضه جاهل
بذلك فقد هلك فلذلك مدح الله المال وسماه خيرا ومدحه رسول الله صلى الله

الوجه والعين مرآة الباطن

حسن الوجه وعبوسه

مذموم الدنيا ومدحها

ومثال المال

المال عون على التقوى

عليه وسلم وقال نعم العون على تقوى الله المال وكذلك مدح الجاه والعز اذ منّ
الله سبحانه على رسوله اذ اظهره على الدين كله وحببه في قلوب الخلق وذلك المعني
بالجاه ولكن المنقول في مدحهما قليل والمنقول في ذم المال والجاه كثير وحيث ذم الريا
فهو ذم الجاه اذ الريا مقصوده اجتلاب القلوب ومعنى الجاه ملك القلوب وانما
كثر هذا وقل ذلك لان الناس اكثرهم جهال بطريق الرقية لحية المال وطريق الغوص
في بحر الجاه فوجب تحذيرهم من ذلك لئلا يهلكوا بسم المال قبل الوصول الى درياقه
ويهلكهم تمساح بحر الجاه قبل العثور على جواهره ولو كانا في اعيانهما مذمومين
بالاضافة الى كل احد لما تصور ان ينضاف الى النبوة الملك كما كان ذلك لنبينا
صلى الله عليه وسلم فالناس كلهم صبيان والاموال حيات والانبيا عليهم السلام
والعارفون معزمون وقد يضر الصبي ما لا يضر المعزم نعم المعزم لو كان
له ولد يريد بقاه واصلاحه وقد وجد حية وعلم انه لو اخذها لاجل درياقها
لاقتدى به ولده واخذ الحية اذا راها ليلعب بها فيهلك فله غرض في الدرياق
وغرض في حفظ الولد فواجب عليه ان يزن غرضه في حفظ الولد فاذا كان يقدر على
الصبر عن الدرياق ولا يستضر به ضررا كثيرا ولو اخذ الحية لاخذها الصبي ولعظم
ضرره بهلاكه فواجب عليه ان يهرب عن الحية اذا راها ويكثر على الصبي بالهرب
ويقبح صورتها في عينه ويعرفه ان فيها سما قاتلا لا ينجو منه احد ولا يخبره اصلا
بما فيها من نفع الدرياق فان ذلك ربما يغتره فيقدم عليه من غير تمام المعرفة
وكذلك الغواص اذا علم انه لو غاص في البحر بمرأى ولده لاتبعه وهلك فواجب عليه
ان يحذر الصبي ساحل البحر والنهر فان كان الصبي لا ينزجر بمجرد الزجر مهما راى اباه
يحوم حول الساحل فواجب عليه ان يبعد من الساحل مع الصبي ولا يقرب منه بين يديه
فكذلك الامة في حجور الانبيا عليهم السلام كالصبيان الاغبيا ولذلك قال
صلى الله عليه وسلم انما انا لكم مثل الوالد لولده وقال انكم تتهافتون في النار
تهافت الفراش وانا اخذ بحجزكم وحظهم الاوفر في حفظ اولادهم وهمهم
عن المهالك فانهم لم يبعثوا الا لذلك وليس لهم في المال حظ الا بقدر القوت فلا جرم
اقتصروا على قدر القوت وما فضل لم يمسكوه بل انفقوه فان الانفاق فيه الدرياق
وفي الامساك السم ولو فتح باب كسب المال فرغبوا فيه لمالوا الى سم الامساك ورغبوا
عن درياق الانفاق فلذلك قبحت الاموال والمعنى فيه تقبيح امساكها والحرص عليها

ق

مطلب

حديث انا لكم مثل الوالد الولد

سعة المال

والغنى

النعم

عليها بالاستكثار منها والتوسع في نعيمها بما يوجب الركون الى الدنيا ولذا نهانا فاما
بقدر الكفاية وصرف الغنا الى الخيرات فليس بمذموم وحق كل مسافر ان لا يحمل الا
بقدر زاده في السفر اذا صمم العزم على ان يختص بما يحمله فاما ان سمحت نفسه
باطعام الطعام وتوسيع الزاد على الرفقاء فلا باس بالاستكثار وقوله عليه السلام
ليكن بلاغ احدكم من الدنيا كزاد الراكب معناه لانفسكم خاصة والا فقد كان ممن
يروي هذا الحديث ويعمل به ياخذ مائة الف درهم في موضع واحد ويفرقها في موضعه
ولا يمسك منه حبة ولما ذكر عليه السلام ان الاغنيا يدخلون الجنة
بشدة استاذنه عبد الرحمن ابن عوف رضي الله عنه في ان يخرج في جميع ما يملكه
فاذن له فنزل جبريل عليه السلام فقال ــــــــــ مره بان يطعم المسكين
ويكسو العاري ويقري الضيف الحديث فاذا النعم الدنيوية مشوبة قد امتزج
دواها بدايها ومرجوها بمخوفها ونفعها بضرها فمن وثق ببصيرته وكمال معرفته فله
ان يقرب منها منتقيا داها مستخرجا دواها ومن لا فالبعد البعد والفرار الفرار
عن مظان الاخطار فلا يعدل بالسلامة شي في حق هولاء وهم الخلق كلهم الا من
عصمه الله تعالى وهداه لطريقه فان قلت فما معنى النعم التوفيقية
الراجعة الى الهداية والرشد والتاييد والتسديد فاعلم ان التوفيق لا
يستغني عنه احد وهو عبارة عن التاليف والتلفيق بين ارادة العبد وبين
قضا الله سبحانه وقدره وهذا يشمل الخير والشر ويشمل ما هو سعادة
وما هو شقاوة ولكن جرت العادة بتخصيص الاسم بما يوافق السعادة
من جملة قضاء الله سبحانه وقدره كما ان الالحاد عبارة عن الميل فخصص
بمن يميل الى الباطل من الحق وكذا الارتداد ولا خفاء بالحاجة الى التوفيق

ولذلك قيل

اذا لم يكن عون من الله للفتى فاكثر ما يجني عليه اجتهاده

فاما الهداية فلا سبيل لاحد الى طلب السعادة الا بها
لان داعية الانسان قد تكون مايله الى ما فيه صلاح اخرته حتى يظن الفساد صلاحا
فمن اين ينفعه مجرد الارادة فلا فايدة في الارادة والقدرة والاسباب الا بعد
الهداية ولذلك قال سبحانه ربنا الذي اعطى كل شي خلقه ثم هدى وقال
سبحانه ولو فضل الله عليكم ورحمته ما زكى منكم من احد ابدا ولكن الله يزكي من

بشاء وقال عليه السلام ما من أحد يدخل الجنة الا برحمة الله
أي بهدايته فقيل ولا أنت يا رسول الله قال ولا انا الا أن يتغمدني الله برحمته
والهداية ثلاث منازل الأولى معرفة طريق الخير والشر والمشار اليه بقوله تعالى
وهديناه النجدين وقد أنعم الله تعالى به على كافة عباده بعضها بالعقل وبعضها
على السنة الرسل ولذلك قال تعالى واما ثمود فهديناهم فاستحبوا العمى
على الهدى فأسباب الهدى هي الكتب والرسل وبصائر العقول وهي مبذولة ولا يمنع
منها الا الحسد والكبر وحب الدنيا والأسباب التي تعمي القلوب وان كانت لا تعمي
الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور ومن جملة المعميات الالف والعادة
وحب استصحابها وعن ذلك العبارة بقوله انا وجدنا ابانا على امة وانا
على آثارهم مقتدون وعن الكبر والحسد العبارة بقوله تعالى وقالوا لولا نزل هذا
القرآن على رجل من القريتين عظيم ۝ وقوله تعالى أبشرا منا واحدا ۝
فهذه المعميات هي التي منعت الاهتداء والهداية الثانية وراء هذه الهداية العامة
وهي التي يمد الله تعالى بها العبد حالا بعد حال وهي ثمرة المجاهدة حيث قال تعالى
والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وهو المراد بقوله تعالى والذين اهتدوا
زادهم هدى ۝ والهداية الثالثة وراء الثانية وهو النور الذي يشرق في عالم
النبوة والولاية بعد كمال المجاهدة فيهتدي بها الى ما لا يهتدي اليه بالعقل
الذي يحصل به التكليف وامكان تعلم العلوم به وهو الهدى المطلق وما عداه
حجاب له ومقدمات وهو الذي شرفه الله تعالى بتخصيص الاضافة وان كان
الكل من جهته فقال تعالى قل ان هدى الله هو الهدى وهو المسمى حياة
في قوله تعالى أومن كان ميتا فأحييناه وجعلنا له نورا يمشي به في الناس
كمن مثله في الظلمات وبقوله تعالى أفمن شرح الله صدره للاسلام فهو على نور
من ربه ۝ وأما الرشد فنعني به العناية الالهية التي تعين الانسان عند توجهه
الى مقاصده فتقويه على ما فيه صلاحه وتفتره عما فيه فساده ويكون ذلك من الباطن
كما قال تعالى ولقد آتينا ابراهيم رشده وكنا به عالمين ۝
فالرشد عبارة عن هداية باعثة الى جهة السعادة محركة اليها فالصبي اذا بلغ كان
خبيرا بحفظ المال وطرق التجارة والاستنماء ولكنه مع ذلك يبذر ولا يريد
الاستنماء لا يسمى رشيدا الا لعدم هدايته بل لقصور هدايته عن تحريك

انواع الهداية

عمى القلب

تحريك داعيته فكم من شخص يقدم على ما يعلم انه يضره فقد اعطي الهداية وميز بها عن الجاهل الذي لا يدري انه يضره ولكن ما اعطي الرشد فالرشد بهذا الاعتبار اكمل من مجرد الهداية الى وجوه الاعمال وهي نعمة عظيمة واما التسديد فهو توجيه حركاته الى صوب المطلوب وتيسيرها عليه ليشتد في صوب الصواب في اسرع وقت فان الهداية بمجردها لا تكفي بل لا بد من هداية محركة للداعية وهي الرشد والرشد لا يكفي بل لا بد من تيسير الحركات بمساعدة الاعضاء والالات حتى يتم المراد مما انبعثت الداعية اليه فالهداية محض التعريف والرشد هو تنبيه الداعية لتستيقظ وتتحرك والتسديد اعانة ونصرة بتحريك الاعضاء في صوب السداد واما التاييد فانه جامع للكل وهو عبارة عن تقوية امره بالبصيرة من داخل والبطش ومساعدة الاسباب من خارج وهو المراد بقوله تعالى اذ ايدتك بروح القدس وتقرب منه العصمة وهي عبارة عن جود الهي يسبح في الباطن يقوى به الانسان على تحري الخير وتجنب الشر حتى يصير كمانع في باطنه غير محسوس واياه عنى بقوله سبحانه وتعالى ولقد همت به وهم بها لولا ان راى برهان ربه فهذه مجامع النعم ولن تتيسر الا بما يخوله الله تعالى من الفهم الصافي الثاقب والسمع الواعي والقلب البصير المتواضع المراعي والعلم الناصح والمال الزائد على ما يقصر عن المهمات بقلة القاصر عما يشغل عن الدين لكثرته والعز الذي يصونه عن سفه السفهاء وظلم الاعداء ويستدعي كل واحد من هذه الاسباب الستة عشر اسبابا الى ان تنتهي بالاخرة الى دليل المتحيرين وملجا المضطرين ذلك رب الارباب ومسبب الاسباب واذا كانت تلك الاسباب طويلة لا تحتمل مثل هذا الكتاب فلنذكر منها انموذجا ليعلم به معنى قوله سبحانه وتعالى وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها

مطلب

بيان وجه الانموذج

في كثرة نعم الله تعالى وتسلسلها عن الحصر والاحصاء

اعلم انا جمعنا النعم في ستة عشر ضربا وجعلنا

النعم

صحة البدن نعمة من النعم الواقعة في الرتبة المتأخرة فهذه النعمة الواحدة لو أردنا
أن نستقصي الأسباب التي بها تمت هذه النعمة لم نقدر عليه ولكن الأكل أحد أسباب
الصحة فلنذكر من الأسباب التي بها تتم نعمة الأكل ولا يخفى أن الأكل فعل وكل فعل من هذا
النوع فهو حركة وكل حركة فلا بد لها من جسم متحرك هو آلتها ولا بد لها من قدرة على الحركة
ولا بد من إرادة للحركة ولا بد من علم بالمراد وإدراك له ولا بد للأكل من مأكول ولا بد للمأكول
من أصل منه يحصل ولا بد له من صانع يصلحه فلنذكر أسباب الإدراك ثم أسباب
الإرادة ثم أسباب القدرة ثم أسباب المأكول على سبيل التلويح لا على سبيل الاستقصاء

الطرف الأول في
نعم الله تعالى في خلق أسباب الإدراك

اعلم أن الله سبحانه وتعالى
خلق النبات وهو أكمل وجودا من الحجر والمدر والحديد والنحاس وسائر الجواهر التي لا تنمو
ولا تغتذي فإن النبات خلقت فيه قوة بها يجتذب الغذاء إلى نفسه من جهة أصله
وعروقه التي في الأرض وهي آلات فيه يجتذب الغذاء وهي العروق الدقيقة التي تراها
في كل ورقة تغلظ أصولها ثم تتشعب ولا تزال تستدق وتتشعب إلى عروق شعرية
تنبسط في أجزاء الورقة حتى تغيب عن البصر إلا أن النبات مع هذا الكمال ناقص فإنه
لو أعوزه غذاء ما يساق إليه ويماس أصله جف ويبس ولم يمكنه طلب الغذاء من موضع آخر
فإن الطلب إنما يكون بمعرفة المطلوب وبالانتقال إليه والنبات عاجز عن ذلك فمن نعمة الله
تعالى عليك أن خلق آلة الإحساس وآلة الحركة في طلب الغذاء فانظر إلى ترتيب حكمة الله
سبحانه في خلق الحواس الخمس التي هي آلة الإدراك فأولها حاسة اللمس وإنما خلقت لك
حتى إذا مستك نار محرقة أو سيف جارح تحس بها فتهرب منه وهذا أول حاس
يخلق للحيوان ولا يتصور حيوان إلا أن يكون له هذا الحس لأنه إن لم يحس أصلا
فليس بحيوان وأنقص درجات الحيوان أن يحس بما يلاصقه ويماسه فإن الإحساس
بما يبعد منه إحساس أتم لا محالة وهذا الإحساس موجود لكل حيوان حتى الدودة
التي في الطين فإنها إذا غرزت فيها إبرة انقبضت للهرب كالنبات فإن النبات يقطع
فلا ينقبض إذ لا يحس بالقطع إلا أنك لو لم يخلق لك إلا هذا الحس لكنت ناقصا كالدودة
لا تقدر على طلب الغذاء من حيث يبعد عنك بل ما يمس بدنك فتحس به فتجذبه إلى نفسك
فقط فافتقرت إلى حس تدرك به ما بعد عنك فخلق لك الشم إلا أنك تدرك به الرائحة
ولا تدري من أي ناحية جاءت فتحتاج إلى أن تطوف كثيرا من الجوانب فربما تعثر على

النعم

له صح

النعم

الحواس الخمسة

على الغذا الذي شممت ريحه وربما لم تعثر فتكون في غاية النقصان ولو لم يخلق لك
الا هذا فخلق لك البصر لتدرك به ما بعد عنك وتدرك جهته فتقصد تلك الجهة
بعينها الا انه لو لم يخلق لك الا هذا لكنت ناقصا اذ لا تدرك بهذا ما ورا الجدرات
والحجب فتبصر غذا ليس بينك وبينه حجاب وتبصر عدوا لا حجاب بينك وبينه
وقد لا ينكشف الحجاب الا بعد قرب العدو فتعجز عن الهرب فخلق لك السمع حتى تدرك
به الاصوات من ورا الجدرات عند جريان الحركات ولانك لا تدرك بالبصر الا شيا
حاضرا واما الغايب فلا يمكنك معرفته الا بكلام ينتظم من حروف واصوات
تدرك بحس السمع فاشتدت اليه حاجتك فخلق لك ذلك وميزت بفهم الكلام عن
ساير الحيوان وكل ذلك ما كان يغنيك لو لم يكن لك حس الذوق اذ يصل اليك الغذا
فلا تدرك انه موافق لك او مخالف فتاكله فتهلك كالشجرة يصب في اسفلها كل مايع
ولا ذوق لها فتجذبه وربما يكون ذلك سبب جفافها ثم كل ذلك لا يكفيك لو لم يخلق
لك في مقدمة دماغك ادراك آخر يسمى حسا مشتركا تتادي اليه هذه
المحسوسات وتجتمع فيه لطال الامر عليك فانك اذا اكلت شيا اصفر مثلا فوجدته
مرا مخالفا لك فتركته فاذا رايته مرة اخرى فلا تعرف انه مضر ما لم تذقه
ثانيا ولولا الحس المشترك اذ العين تبصر الصفرة ولا تدرك المرارة فكيف تمتنع
عنه والذوق يدرك المرارة ولا يدرك الصفرة فلا بد من حاكم تجتمع عنده الصفرة
والمرارة جميعا حتى اذا ادرك الصفرة حكم انه مر فيمتنع من تناوله ثانيا
وهذا كله يشاركك في الحيوانات اذ للشاة هذه الحواس كلها فلو لم يكن لك الا هذا
لكنت ناقصا لان البهيمة يحتال عليها فتوخذ فلا تدري كيف تدفع الحيلة وكيف تتخلص
اذا قيدت وهي تلقي نفسها في البير فلا تدري ان ذلك يهلكها وكذلك تاكل البهيمة
ما تستلذه في الحال ويضرها في ثاني الحال فتمرض فتموت اذ ليس لها الا الاحساس
بالحاضر فاما ادراك العواقب فلا فميزك الله سبحانه واكرمك بصفة اخرى
هي اشرف من الكل وهو العقل فبه تدرك مضرة الاطعمة ومنفعتها وما يضره في
المال وبه تدرك كيفية طبخ الاطعمة وتاليفها واعداد اسبابها فتنتفع بعقلك
في الاكل الذي هو سبب صحتك وذلك هو اخس فوايد العقل واقل الحكم فيه بل الحكمة
الكبرى فيه معرفة الله ومعرفة الحكمة في عالمه وعند ذلك تنقلب فايدة الحواس
في حقك فتكون الحواس الخمس كالجواسيس واصحاب الاخبار والموكلين بنواحي المملكة

السمع

العقل

وقد وكل كل واحد منها بامر يختص بها فواحدة باخبار الالوان والاخرى باخبار
الاصوات والاخرى باخبار الارايح والاخرى باخبار الطعوم والاخرى باخبار
الحر والبرد والخشونة والملاسة واللين والصلابة وهذه البرد والجواسيس
يقتبسون الاخبار من اقطار المملكة ويسلمونها الى الحس المشترك والحس المشترك
قاعد في مقدمة الدماغ مثل صاحب القصص والكتب على باب الملك يجمع القصص والاخبار
الواردة من نواحي الاقلام فياخذها وهي مختومة اذ ليس له الا اخذها وحفظها
فاما حقايق ما فيها فلا ولكن اذا صادف القلب العاقل الذي هو الامير والملك
سلمها اليه مختومة فيفتشها الملك ويطلع منها على اسرار المملكة ويحكم
فيها باحكام عجيبة لا يمكن استقصاؤها في هذا المقام وبحسب ما يلوح من الاحكام
والمصالح يحرك الجنود وهي الاعضاء مرة في الطلب ومرة في الهرب ومرة في اتمام
التدبيرات التي تعن له فهذه سياقة نعم الله تعالى عليك في الادراكات ولا تظنن
انا استوفيناها فان الحواس الظاهرة هي بعض الادراكات والبصر واحد من جملة
الحواس والعين آلة واحدة له وقد ركبت العين من عشر طبقات مختلفة بعضها
رطوبات وبعضها اغشية وبعض الاغشية كانها نسج العنكبوت وبعضها كالمشيمة
وبعض تلك الرطوبات كانه بياض البيض وبعضها كانه الجمد ولكل واحد من الطبقات
العشر صفة وصورة وشكل وهيئة وعرض وتدوير وتركيب لو اختلت طبقة واحدة
من جملة العشر او صفة واحدة من صفات كل طبقة لاختل البصر وعجز عنه الاطبا
والكحالون كلهم فهذا في حس واحد فقس به حاسة السمع وساير الحواس بل لا
ينبغي ان يستوفى حكمة الله في انواع النعمة في جسم البصر وطبقاته في مجلدات
كثيرة مع ان حجمه لا يزيد على جوزة صغيرة فكيف ظنك بجميع البدن وساير
اعضايه وعجايبه فهذه مرامز الى نعم الله سبحانه بخلق الادراكات

الطرف الثاني في اصناف وخلق الالات

اعلم انه لو خلق لك البصر حتى تدرك به الغذا من بعد ولم يخلق لك ميل في الطبع وشوق
اليه وشهوة له تستحثك على الحركة لكان البصر معطلا فكم من مريض يرى الطعام
وهو انفع الاشيا له وقد سقطت شهوته فلا يتناوله فقد بقي البصر والادراك
معطلا في حقه فاضطررت الى ان يكون لك ميل الى ما يوافقك يسمى شهوة ونفرة

الحس المشترك

ف مملكة القلب

الاعضاء

النعم

الصحة

النعم لله

ونفرة عما يخالفك تسمى كراهة لتطلب بالشهوة وتهرب بالكراهة فخلق الله فيك
شهوة الطعام وسلطها عليك ووكلها بك كالمتقاضي الذي يضطرك الى التناول
حتى تتناول وتغتذي فتبقى بالغذاء وهذا مما يشاركك فيه الحيوان دون النبات
ثم هذه الشهوة لو لم تكن اذا اخذت مقدار الحاجة اسرفت واهلكت نفسك
فخلق الله الكراهة عند الشبع لتترك بها الاكل لا كالزرع فانه لا يزال يجتذب الماء اذا انصب
في اسافله حتى يفسد فيحتاج الى الآدمي يقدر غذاءه بقدر الحاجة فيسقيه مرة ويقطع
عنه الماء اخرى وكما خلقت لك هذه الشهوة حتى تأكل فيبقى بالاكل بدنك
خلقت لك شهوة الوقاع حتى تجامع فيبقى بذلك نسلك ولو قصصنا عليك عجائب
صنع الله تعالى في خلقة الرحم وخلق دم الحيض وتأليف الجنين من النطفة
والحيض وكيفية خلق الانثيين والعروق السالكة من الفقار الذي هو مستقر النطفة
وكيفية انصباب ماء المراة من الترائب بواسطة العروق وكيف انقسام مقر الرحم
الى قوالب تقع النطفة في بعضها فتتشكل بشكل الاناث وكيفية ادارتها في اطوار
خلقها مضغة وعلقة ثم عظما ولحما ودما وكيفية قسمة اجزائها الى راس ورجل
وظهر وبطن ويد وسائر الاعضاء لقضيت من انواع نعم الله عليك في مبتدا خلقك
كل العجب فضلا عما تراه الآن ولكنا لسنا نريد ان نتعرض الا لنعم الله تعالى في
الاكل وحده حتى لا يطول الكلام جدا فاذا شهوة الطعام احد ضروب الارادة
وذلك لا يكفيك فانه تاتيك المهلكات من الجوانب فلو لم يخلق فيك الغضب
الذي به تدفع كل ما يضادك ولا يوافقك لبقيت عرضة للآفات ولاخذ منك كل ما
حصلته من الغذا فان كل انسان يشتهي ما في يديك فتحتاج الى داعية في دفعه
ومقاتلته وهي داعية الغضب ثم هذا لا يكفيك اذ الشهوة والغضب لا يدعوان
الى ما يضر وينفع الا في الحال اما في المآل فلا تكفي فيه هذه الارادة فخلق الله
ارادة اخرى مسخرة تحت اشارة العقل المعرف للعواقب كما خلق الشهوة والغضب
مسخرين تحت ادراك الحس المدرك للحالة الحاضرة فتم بها انتفاعك بالعقل اذ كان مجرد
المعرفة بان هذه الشهوة مثلا تضرك لا يغنيك في الاحتراز منها ما لم يكن لك ميل
الى العمل بموجب المعرفة فهذه الارادة افردت بها عن البهائم اكراما لبني
آدم كما افردت بمعرفة العواقب وقد سمينا هذه الارادة باعثا دينيا وفصلنا
ذلك في كتاب الصبر تفصيلا اوفى من هذا ۝ ۝ ۝ ۝

عجايب مخلوق الله تعالى

الشهوة والغضب

الطرف الثالث في نعم الله في خلق القدرة وآلات الحركة

اعلم ان الحس لا يفيد الا الادراك والارادة لا معنى لها الا الميل الى الطلب والهرب وهذا لا فائدة فيه ما لم تكن له آلة الى الطلب والهرب فكم من زمن مشتاق الى شيء بعيد عنه مدرك له لكنه لا يمكنه ان يمشي اليه لفقد رجليه او لا يمكنه ان يتناوله لفقد يديه او لفالج وخدر فيهما فلا بد من آلات للحركة وقدرة في تلك الآلات على الحركة لتكون حركتها بمقتضى الشهوة طلبا وبمقتضى الكراهة هربا فلذلك خلق الله تعالى لك الاعضاء التي لا تنظر الا ظاهرها ولا تعرف اسرارها فمنها ما هو للطلب والهرب كالرجل للانسان والجناح للطائر والقوائم للدواب ومنها ما هو للدفع كالاسلحة للانسان والقرون للحيوانات وفي هذا تختلف الحيوانات اختلافا كثيرا فمنها ما يكثر اعداؤه ويبعد غذاؤه فيحتاج الى سرعة الحركة فخلق له الجناح فيطير بسرعة ومنها ما خلق له اربع قوائم ومنها ما له رجلان ومنها ما يدب وذكر ذلك يطول فلنذكر الاعضاء التي بها يتم الاكل فقط ليقاس عليها غيرها فنقول رؤيتك للطعام من بعد وحركتك اليه لا تكفي ما لم تأخذه فافتقرت الى آلة باطشة فانعم الله تعالى عليك بخلق اليدين وهما طويلتان فتمتد الى الاشياء ومشتملة على مفاصل كثيرة لتتحرك الى الجهات فتمتد وتنثني اليك ولا تكون كخشبة منصوبة ثم جعل رأس اليد عريضا بخلق الكف ثم قسم رأس الكف بخمسة اقسام هي الاصابع وجعلها في صفين بحيث يكون الابهام في جانب ويدور على الاربع الباقية ولو كانت مجتمعة او متراكمة لم يحصل بها تمام غرضك فوضعها وضعا ان بسطتها كانت لك مغرفة وان ضممتها وثنيتها كانت لك مجرفة وان جمعتها كانت لك آلة للضرب وان نشرتها ثم قبضتها كانت لك آلة للقبض ثم خلق لك اظفارا واسند اليها رؤوس الاصابع حتى لا تتفتت وحتى تلتقط بها الاشياء الدقيقة التي لا تحويها الاصابع فتأخذها برؤوس اظفارك ثم هب انك اخذت الطعام باليد فمن اين يكفيك هذا ما لم يصل الى المعدة وهو الباطن فلا بد ان يكون من الظاهر دهليز اليه حتى يدخل الطعام منه فجعل الفم منفذا الى المعدة مع ما فيه من الحكم الكثيرة سوى كونه منفذا للطعام الى المعدة ثم ان وضعت الطعام قطعة فلا يتيسر ابتلاعه فيحتاج الى طاحونة يطحن بها الطعام فخلق لك اللحيان من عظمين وركب فيهما الاسنان وطبق الاضراس من العليا على السفلى ليطحن بها الطعام طحنا ثم الطعام تارة يحتاج الى الكسر

خلق الله تعالى الاعضاء للانسان والجناح للطائر والقوائم للدواب وغيرها لحكمة

النعم

في الفم

الاعضاء

الكسر ويحتاج إلى القطع ثم يحتاج إلى الطحن بعد ذلك فقسم الأسنان إلى عريضة
طواحن كالأضراس وإلى حادة قواطع كالرباعيات وإلى ما يصلح للكسر كالأنياب
ثم جعل مفصل اللحيين متخلخلا بحيث يتقدم الفك الأسفل ويتأخر حتى يدور
على الفك الأعلى دوران الرحا ولولا ذلك لما تيسر إلا ضرب أحدهما على الآخر مثل تصفيق
اليدين مثلا وبذلك لا يتم الطحن فجعل اللحي الأسفل متحركا حركة دورية واللحي
الأعلى ثابتا لا يتحرك فانظر إلى عجيب صنع الله فإن كل رحى صنعه الخلق فيثبت
منه الحجر الأسفل ويدور الأعلى إلا هذا الرحا الذي هو صنعة الله العظيم إذ يدور
منه الأسفل على الأعلى فسبحانه ما أعظم شأنه وأعز برهانه وأوسع امتنانه
ثم هب أنك وضعت الطعام في فضلة الفم فكيف يتحرك الطعام إلى ما تحت الأسنان
أو كيف تستجره الأسنان إلى نفسها وكيف تتصرف باليد من داخل الفم فانظر كيف
أنعم الله عز وجل عليك بخلق اللسان فإنه يطوف في جوانب الفم ويرد الطعام من
الوسط إلى الأسنان بحسب الحاجة كالمجرفة التي تردد الطعام إلى الرحى مع ما فيه
من فائدة الذوق وعجائب قوة النطق التي لسنا نطنب بذكرها ثم هب أنك قطعت
الطعام وطحنته وهو يابس فلا تقدر على الابتلاع إلا بأن تنزلق إلى الحلق بنوع
رطوبة فانظر كيف خلق الله تعالى تحت اللسان عينا يفيض اللعاب منها وينصب
بقدر الحاجة حتى ينعجن به الطعام وانظر كيف سخرها لهذا الأمر فإنك ترى الطعام
من بعد فتثور السكينة للخدمة وينصب اللعاب حتى تتحلب أشداقك والطعام
بعد بعيد منك ثم هذا الطعام المطحون المعجون من يوصله إلى المعدة وهو
في الفم ولا تقدر على أن تدفعه باليد ولا في المعدة يد فتمتد فتجذب الطعام
فانظر كيف هيأ الله المريء والحنجرة وجعل على رأسها طبقات تنفتح لأخذ الطعام
ثم تنطبق وتنضغط حتى ينقلب الطعام بضغطه فيه فيهوي إلى المعدة في
دهليز المريء فإذا ورد الطعام على المعدة فهو خبز وفاكهة مقطعة فلا يصلح
لأن يصير لحما وعظما ودما على هذه الهيئة بل لا بد أن يطبخ طبخا تاما تتشابه
أجزاؤه فخلق الله تعالى المعدة على هيئة قدر فيقع فيه الطعام فتحتوي عليه
وتغلق الأبواب فلا يزال لابثا فيها حتى يتم الهضم والنضج بالحرارة
التي تحيط بالمعدة من الأعضاء الباطنة إذ من جانبها الأيمن الكبد ومن الأيسر
الطحال ومن قدامها الترب ومن خلفها لحم الصلب فتتعدى الحرارة إليها من تسخين

عجيب خلق الله

صنعة باطن الانسان

هذه الاعضاء من الجوانب حتى يطبخ الطعام ويصير ما بقي متشابهاً يصلح للنفوذ في
مجاري دقاق العروق وعند ذلك يشبه ماء الشعير في تشابه اجزائه ورقته وهو بعد
لا يصلح للتغذية فخلق الله اللطيف بينها وبين الكبد مجاري من العروق وجعل لها
افواهاً كثيرة حتى ينصب ما فيها فينتهي الى الكبد والكبد مخلوق من طينة الدم
حتى كأنه دم وفيه عروق كثيرة شعرية منتشرة في اجزاء الكبد فينصب الطعام
الدقيق النافذ فيها وينتشر في اجزائها حتى يستولي عليه قوة الكبد فتصبغه
بلون الدم فيستقر فيها ريث ما يحصل له نضج آخر ويحصل له هيئة الدم الصافي
الصالح لغذاء الاعضاء الا ان حرارة الكبد هي التي تنضج هذا الدم فيتولد من هذا
الدم فضلتان كما يتولد في جميع ما يطبخ احداهما شبيهة بالدردي والعكر وهو الخلط
السوداوي والاخرى شبيهة بالرغوة وهي الصفراء ولو لم تنفصل عنه الفضلتان
فسد مزاج الاعضاء فخلق الله الحكيم المرارة والطحال وجعل لكل واحد منهما عنقاً ممدوداً
الى الكبد داخلاً في تجويفه فتجذب المرارة الفضلة الصفراوية ويجذب الطحال العكر
السوداوي فيبقى الدم صافياً ليس فيه الا زيادة رقة رطوبة لما فيه من المائية
ولولاها ما انتشر في تلك العروق الشعرية ولخرج منها متصاعداً الى الاعضاء
فخلق الله تعالى الكليتين واخرج من كل واحدة عنقاً طويلاً الى الكبد ۵ ومن
عجايب حكمة الله عز وجل ان عنقها ليس داخلاً في تجويف الكبد
بل متصل بالعروق الطالعة من حدبة الكبد حتى يجذب ما فيها بعد الطلوع من العروق
الدقيقة التي في الكبد اذ لو اجتذب قبل ذلك لغلظ ولم يخرج من العروق ۵
واذا انفصلت منه المائية فقد صار الدم صافياً من الفضلات الثلاث نقياً من
كل ما يفسد الغذاء ثم ان الله سبحانه وتعالى اطلع من الكبد عروقاً ثم
قسمها بعد الطلوع اقساماً وشعبها كل تشعب وانتشر ذلك في البدن كله من
القرن الى القدم ظاهراً وباطناً فيجري الدم الصافي فيها ويصل الى ساير الاعضاء
حتى تصير العروق المنقسمة شعرية كعروق الاوراق والاشجار بحيث لا تدرك
بالابصار فينفصل منها الغذاء بالترشح الى ساير الاجزاء ولو حلت بالمرارة آفة
لفسد الدم وحصلت من ذلك الامراض الصفراوية كاليرقان والبثور والحمرة
وان حل بالطحال آفة فلم يجذب الخلط السوداوي حدثت الامراض السوداوية
كالبهق والجذام والماليخوليا وغير ذلك وان لم تندفع المائية نحو الكلى حدث من ذلك

عجايب مخلوق الله

قسم

سبب الامراض

ذلك الا بسبب استسقا وغيره ثم انظروا الى حكمة الفاطر الحكيم كيف رتب منافع هذه
الفضلات الثلاث الخسيسة اما المرارة فانها تجذب باحدى عنقيها وتقذف
بالعنق الاخرى الى الامعا ليحصل بذلك في ثفل الطعام رطوبة مزلقة وتحدث في
الامعا لذعا يحركها للدفع فتنضغط حتى يندفع الثفل وينزلق ويكون صفرته
لذلك واما الطحال فانه يحيل تلك الفضلة احالة يحصل لها بها حموضة
وقبض ثم يرسل منها في كل يوم شيا الى فم المعدة ليحرك الشهوة بحموضتها وتنبهها
وتثيرها وتخرج الباقي مع الثفل واما الكلية فتغتذي بما في تلك المائية
من دم وترسل الباقي الى المثانة ولنقتصر على هذا القدر من بيان نعم
الله تعالى في الاسباب التي اعدت للاكل ولو ذكرنا كيفية احتياج الكبد الى
القلب والدماغ واحتياج كل واحد من هذه الاعضا الرئيسة الى صاحبه
وكيفية تشعب العروق والضوارب من القلب الى ساير البدن التي بواسطتها
يصل الروح وكيفية تشعب العروق السواكن من الكبد الى ساير البدن
وبواسطتها يصل الغذا ثم كيفية تركيب الاعضا وعدد عظامها وعضلاتها وعروقها
واوتادها ورباطاتها ورطوباتها وغضاريفها لطال الكلام وكل ذلك محتاج
اليه للاكل ولامور اخر سوى الاكل بل في الادمي الاف من العضلات والعروق
والاعصاب مختلفة بالصغر والكبر والرقة والغلظ وكثرة الانقسام وقلته
ولا شي منها الا وفيه حكمة او اثنان او ثلاث او اربع الى عشر وزيادة وكل ذلك
نعم من الله تعالى عليك لو سكن من جملتها عرق متحرك او تحرك عرق ساكن لهلكت
يا مسكين فانظر الى نعم الله اولا لتقوى بعد ذلك على الشكر فانك لا تعرف من
نعم الله تعالى الا الاكل وهو اقلها ثم انك لا تعرف الا انك تجوع فتاكل والحمار
ايضا يعلم انه يجوع فياكل ويتعب فينام ويشتهي فيجامع ويستريح فيستمرض
ويرمح فاذا لم تعرف انت من نفسك الا ما يعرفه الحمار فكيف تقوم بشكر نعم الله
سبحانه وهو الذي رمزنا اليه على الايجاز قطرة من بحر واحد من بحار نعم الله تعالى
فقس على الاجمال ما اهملناه من جملة ما عرفناه حذرا من التطويل
وجملة ما عرفناه وعرفه الخلق كلهم بالاضافة الى ما لم يعرفوه من نعم الله
الله تعالى اقل من قطرة في بحر الا ان من علم شيا من هذا ادرك شمة من معاني
قوله سبحانه وتعالى وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها ثم انظر كيف ربط الله قوام

ما يكون في الآدمي عجايب

نعم الله

نعم الله

هذه الاعضا وقوامها ومنافعها وادراكها وقواها ببخار لطيف يتصاعد من
الاخلاط الاربعة مستقره القلب ويسري في جميع البدن بواسطة العروق
والضوارب فلا ينتهي الى جزء من اجزاء البدن الا ويحدث عند وصوله في
ذلك الجزء ما يحتاج اليه من قوة حس وادراك وقوة وحركة وغيرها كالسراج
الذي يدار به في اطراف البيت فلا يصل الى جزء منه الا ويحصل بسبب وصوله
ضوء على اجزاء البيت من خلق الله تعالى واختراعه ولكنه جعل السراج سببا له
بحكمته وهو البخار اللطيف هو الذي يسميه الاطبا الروح ومحله القلب ومثاله
جرم نار السراج والقلب له كالمسرجة والدم الاسود الذي في باطن القلب
له كالفتيلة والغذا له كالزيت والحياة الظاهرة في ساير الاعضا نسبتها
كالضوء للسراج في جملة البيت وكما ان السراج اذا انقطع ضوءه انطفا
فسراج الروح ايضا ينطفي مهما انقطع غذاوه وكما ان الفتيلة قد تحترق
فتصير رمادا بحيث لا يقبل الزيت فينطفي السراج مع كثرة الزيت فكذلك
الدم الذي تتشبث به هذا البخار في القلب قد يحترق بفرط حرارة القلب فينطفي
مع وجود الغذا الذي يبقى به الروح كما لا يقبل الرماد الزيت بوجه لا تتشبث
النار به وكما ان السراج تارة ينطفي بسبب من داخل وتارة بسبب من خارج كريح
عاصفة فكذلك الروح تارة ينطفي بسبب من داخل وتارة بسبب من خارج وهو
القتل وكما ان انطفا السراج بفناء الزيت او بفساد الفتيلة او بريح عاصفة
او بطفوه انسان ولا يكون انطفاوه الا باسباب مقدورة في علم الله سبحانه
مرتبة ويكون ذلك بقدر فكذلك انطفا الروح وكما ان انطفا السراج هو وقت
وجوبه فيكون ذلك اجله الذي اجل له في ام الكتاب فكذلك انطفا السراج
وكما ان السراج اذا انطفا اظلم البيت كله فكذلك الروح اذا انطفا اظلم
البدن كله وفارقته انواره التي كان يستفيدها من الروح وهي انوار الاحساسات
والقدر والارادات وساير ما يجمعه معنى لفظ الحياة فهذا ايضا رمز وجيز
الى عالم اخر من عوالم نعمة الله تعالى وعجايب صنعته وحكمته ليعلم انه لو كان
البحر مدادا لكلمات ربي لنفد البحر قبل ان تنفد كلمات ربي فتعسا لمن يكفر بالله
تعسا وسحقا لمن كفر نعمته سحقا وبعدا فان قلت فقد وصفت الروح
ومثلته ورسول الله صلى الله عليه وسلم سيل عن الروح فلم يزد على ان قال

مثال يدل على باطن الانسان من القلب وغيره عجايب

محل الروح

مثال جرم نار السراج

والقلب للروح كالمسرجة

والدم الاسود الذي في باطن القلب للروح كالفتيلة

والغذا للروح كالزيت

مطلب

الروح يطلق لمعان

قال قل الروح من أمر ربي لم يصفه لهم على هذا الوجه فاعلم أن هذا غفلة عن الاشتراك
الواقع في لفظ الروح يطلق لمعان كثيرة ولا نطول بذكرها ونحن إنما وصفنا منها جسماً
لطيفاً يسميه الأطباء روحاً وقد عرفوا صفته ووجودها وكيفيتها وكيفية سريانها
في الأعضاء وكيفية حصول الإحساس والقوى في الأعضاء بها حتى إذا خدر بعض
الأعضاء علموا أن ذلك لوقوع سدة في مجرى هذا الروح فلا يعالجون موضع هذا الخدر
بل منابت الأعصاب ومواقع السدة فيها ويعالجونها بما يفتح السدة فإن هذا الجسم
بلطفه ينفذ في شباك العصب وبواسطته يتأدى من القلب إلى سائر الأعضاء
وما ترتقي إليه معرفة قصر الأطباء فأمره سهل نازل وأما الروح التي هي الأصل
وهي التي إذا فسدت فسد لها سائر الجسد فذلك سر من أسرار الله لم نصفه
ولا رخصة في وصفه إلا بأن يقال هو أمر رباني كما قال سبحانه قل الروح
من أمر ربي والأمور الربانية لا تحتمل العقول وصفها بل تتحير فيها عقول أكثر
الخلق وأما الأوهام والخيالات فقاصرة عنها بالضرورة قصور البصر عن إدراك
الأصوات وتتزلزل في مبادي وصفها معاقد العقول المقيدة بالجوهر والعرض
المحبوسة في مضيقها فلا يدرك بالعقل شيئاً من وصفها بل بنور آخر أعلى وأشرف
من العقل يشرق ذلك النور في عالم الولاية والنبوة ونسبته إلى العقل نسبة
العقل إلى الوهم والخيال وقد خلق الله سبحانه وتعالى الخلق أطواراً فكما يدرك
الصبي المحسوسات ولا يدرك المعقولات لأن ذلك طور لم يبلغه بعد فكذلك يدرك
البالغ المعقولات ولا يدرك ما وراءها لأن ذلك طور لم يبلغه وإنه لمقام شريف
ومشرب عذب ورتبة عالية فيها يلحظ جناب الحق بنور الإيمان واليقين وذلك
المشرب أعز من أن يكون شريعة لكل وارد بل لا يطلع عليه إلا واحد بعد واحد
ولجناب الحق صدر وفي مقدمة الصدر مجال وميدان رحب وعلى أول الميدان
عتبة هي مستقر ذلك الأمر الرباني فمن لم يكن له على العتبة جواز ولا لحافظ
العتبة مشاهدة استحال أن يصل إلى الميدان فكيف الانتهاء إلى ما وراءه من
المشاهدات العالية ولذلك قيل من لم يعرف نفسه لم يعرف ربه وأنى يصادف
هذا في خزائن الأطباء ومن أين للطبيب أن يلاحظه بل المعنى المسمى روحاً
عند الطبيب بالإضافة إلى هذا الأمر الرباني كالكرة التي يحركها صولجان
الملك بالإضافة إلى الملك فمن عرف الروح الطبي وظن أنه أدرك الأمر الرباني

الروح لا يوصف بوصف

كان كمن رأى الكرة فظن انه رأى الملك ولا يشك انه خطأ فاحش وهذا الخطأ افحش منه جدا ولما كانت العقول التي بها تحصل التكليف وبها تدرك مصالح الدنيا عقولا قاصرة عن كنه هذا الامر لم يأذن الله سبحانه لرسوله عليه السلام ان يتحدث عنه بل امره ان يكلم الناس على قدر عقولهم ولم يذكر الله سبحانه وتعالى في كتابه العزيز من حقيقة هذا الامر شيئا لكن ذكر نسبته وفعله ولم يذكر ذاته اما نسبته ففي قوله سبحانه قل الروح من امر ربي واما فعله ففي قوله تعالى يا ايتها النفس المطمئنة ارجعي الى ربك راضية مرضية الآية ولنرجع الآن الى الغرض فان المقصود ذكر نعم الله تعالى في الاكل فقد ذكرنا بعض نعم الله تعالى في الآت الاكل

الطرف الرابع في نعم الله تعالى في الاصول

التي منها تحصل الاطعمة او تصير حالصة صالحة ان يصلحها الآدمي بعد ذلك بصنعته اعلم ان الاطعمة كثيرة ولله تعالى في خلقها عجايب كثيرة لا تحصى واسباب متوالية لا تتناهى وذكر ذلك في كل طعام مما يطول فان الاطعمة اما ادوية واما فواكه واما اغذية فنتأخذ الاغذية فانها الاصل ولنأخذ من جملتها حبة من البر ولندع ساير الاغذية فنقول اذا وجدت حبة او حبات فلو اكلتها فنيت وبقيت جايعا فما احوجك الى ان تنمو الحبة في نفسها وتزيد وتتضاعف حتى تفي بتمام حاجتك فخلق الله في حبة الحنطة من القوى ما تتغذى به فان النبات انما يفارقك في الحس والحركة ولا يفارقك في الاغتذاء لانه يتغذى بالماء ويجتذبه الى باطنه بواسطة العروق كما تتغذى انت وتجتذب ولسنا نطنب في ذكر الآت النبات في اجتذاب الغذا الى نفسه ولكن نشير الى غذايه فنقول كما ان الخشب والتراب لا يغذيك بل تحتاج الى طعام مخصوص فكذلك الحبة لا تتغذى بكل شيء بل تحتاج الى شيء مخصوص بدليل انك لو تركتها في البيت لم تزد ولو تركتها في ارض لا ماء فيها لم تزد بل لا بد من ارض فيها ماء يمتزج ماؤها بالارض فيصير طينا واليه الاشارة بقوله سبحانه وتعالى فلينظر الانسان الى طعامه انا صببنا الماء صبا ثم شققنا الارض شقا ثم لا يكفي الماء والتراب اذ لو تركت في الارض ندية صلبة متراكمة لم تنبت لفقد الهوا فتحتاج الى تركها في ارض رخوة متخلخلة يتغلغل الهوا اليها ثم الهوا لا يتحرك اليها بنفسه فيحتاج الى ريح تحرك الهوا وتضربه بقهر وعنف على الارض حتى تنفذ فيها واليه الاشارة

انواع الاطعمه

حكمة نبت الحنطة في ارض مائية

حكمة مخلوق الله

الاشارة بقوله تعالى وارسلنا الرياح لواقح وانما احتاجها في ايقاع الازدواج
بين الهوا والما والارض ثم كل ذلك لا يغنيك لو كانت في برد مفرط وشتاء شات
فتحتاج الى حرارة الربيع والصيف فقد بان احتياج غذائها الى هذه الاربعة اذ
يحتاج الما لينساق الى الارض الزراعية الى البحار والعيون والانهار والسواقي
فانظر كيف خلق البحار وفجر العيون واجرى منها الانهار ثم الارض ربما تكون
مرتفعة والمياه لا ترتفع فيها فانظر كيف خلق الغيوم وسلط الرياح عليها
لتسوقها باذنه الى اقطار العالم وهي سحاب ثقال حوامل بالما ثم انظر كيف ترسله
مدرارا على الارض في وقت الربيع والخريف على حسب الحاجة وانظر كيف خلق الجبال
حافظة للمياه وتنفجر منها العيون تدريجا فلو خرجت دفعة لغرقت البلاد وهلك
الزرع والمواشي ونعم الله في الجبال والسحاب والبحار والامطار لا يمكن احصاؤها
واما الحرارة فانها لا تحصل بين الما والارض وكلاهما باردان فانظر كيف
سخر الشمس وكيف خلقها مع بعدها عن الاشخاص مسخنة للارض في وقت دون وقت
ليحصل البرد عند الحاجة الى البرد والحر عند الحاجة الى الحر فهذه احدى حكم
الشمس والحكم فيها اكثر من ان تحصى ثم ان النبات اذا ارتفع على الارض كان
في الفواكه انعقاد وصلابة وتفتقر الى رطوبة تنضجها فانظر كيف خلق القمر
وجعل من خاصيته الترطيب كما جعل من خاصية الشمس التسخين فهو ينضج
الفاكهة ويصبغها بتقدير الفاطر الحكيم ولذلك لو كانت الاشجار في ظل يمنع
من شروق الشمس والقمر وساير الكواكب عليها لكانت فاسدة ناقصة حتى
ان الشجرة الصغيرة تفسد اذا اظلها شجرة كبيرة وتعرف ترطيب القمر بان
تكشف راسك له بالليل فتغلب على راسك الرطوبة التي يعبر عنها بالزكام كما
يرطب الراس يرطب الفواكه ايضا ولا نطول فيما لا مطمع في استقصائه بل نقول
كل كوكب في السماء سخر لنوع فايدة كما سخرت الشمس للتسخين والقمر للترطيب
فلا يخلو واحد منها من حكم كثيرة لا تفي قوة البشر باحصائها ولو لم يكن كذلك لكان
خلقها عبثا وباطلا ولم يصح قوله تعالى ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانك وقوله عز
وجل وما خلقنا السموات والارض وما بينهما لاعبين وكما انه ليس في اعضا بدنك
عضو الا لفايدة وكذلك ليس في اعضاء بدن العالم عضو الا لفايدة والعالم
كله كشخص واحد واحاد اجسامه كالاعضا لك فهي متعاونة تعاون اعضا بدنك

عجايب خلق الله من البحار وغيره من السحاب والمطر والجبال والشمس والقمر والنجوم والكواكب وغيرها

ترسله

عجايب

وشرح ذلك يطول ولا ولا ينبغي ان تظن ان الايمان والنجوم والشمس والقمر مسخرات
بامر الله تعالى في امور خلقت اسبابا لها بحكم الحكمة مخالف للشرع لما ورد فيه من
من النهي عن تصديق المنجمين وعن علم النجوم بل المنهي عنه في النجوم امران احدهما
ان تصدق بها فاعلة الاثار مستقلة بها وانها ليست تحت تدبير مدبر خلقها وقهرها
وهذا كفر والثاني تصديق المنجمين في تفصيل ما يخبرون عنه من الاثار التي لا يشترك كافة
في دركها لانهم يقولون ذلك عن جهل فان علم احكام النجوم كان معجزة لبعض الانبيا
عليهم السلام ثم اندرس ذلك العلم فلم يبق الا ما هو مختلط لا يتميز فيه الخطا عن
الصواب واعتقاد كون الكواكب اسبابا لاثار تحصل بخلق الله لها في الارض وفي
النبات والحيوان ليس قادحا في الدين وكذلك اذا كان معك ثوب غسلته وتريد
تجفيفه فقال لك غيرك اخرج الثوب وابسطه فان الشمس قد طلعت وحمي الهوا
فلا يلزمك تكذيبه ولا يلزمك الانكار عليه بحوالة حمي الهوا على طلوع الشمس واذا
سالت عن تغير وجه انسان فقال ضربتني الشمس في الطريق فاسود وجهي
لم يلزمك تكذيبه وقس بهذا ساير الاثار الا ان الاثار بعضها معلوم وبعضها
مجهول فالمجهول لا يجوز دعوى العلم فيه والمعلوم بعضه معلوم للناس لبعض
الناس كافة كحصول الضيا والحرارة بطلوع الشمس وبعضها لبعض الناس كحصول
الزكام بشروق القمر فاذا الكواكب ما خلقت عبثا بل فيها حكم كثيرة لا تحصر ولهذا
نظر عليه السلام وقرا قوله تعالى ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانك الاية ثم قال
ويل لمن قرا هذه الاية ثم مسح بها سبلته ومعنى الحديث ان يقرا ويترك التامل
ويقتصر من فهم ملكوت السموات على ان يعرف لون السما وضو الكواكب وذلك مما تعرفه
البهايم ايضا فمن قنع منه بمعرفة ذلك فهو الذي مسح بها سبلته فلله في ملكوت السموات
والافاق والانفس والحيوانات والنبات عجايب يطلب معرفتها المحبون لله تعالى فان
من احب عالما فلا يزال مشغوفا بطلب تصانيفه ليزداد بمزيد الوقوف على عجايب علمه
حبا له فكذلك الامر في عجايب صنع الله تعالى فان العالم كله من تصنيفه
والمصنفين من تصنيفه فلا تتعجب من المصنف بل الذي صنف سخر المصنف لتاليفه
بما انعم من هدايته وتسديده وتعريفه كما اذا رايت لعب المشعبذ ترقص
وتتحرك حركات موزونة متناسبة فلا تتعجب من اللعب فانه خرق محركة لا متحركة
ولا تكن تتعجب من حذق المشعبذ المحرك لها بروابط دقيقة عن الابصار فاذا المقصود

المقصود ان غذا النبات لا يتم الا بالماء والهوا والشمس والقمر والكواكب ولا يتم ذلك الا بالافلاك التي هي مركوزة فيها ولا تتم الا فلاك الا بحركاتها وكذلك يتمادى ذلك الى اسباب بعيدة تركنا ذكرها تنبيها بما ذكرناه على ما اهملناه ۞ ولنقتصر على هذا من ذكر اسباب النبات

الطرف الخامس في نعم الله في الاسباب

الموصلة للاطعمة اليك ۞ اعلم ان هذه الاطعمة كلها لا توجد في مكان بل لها شروط مخصوصة لاجلها توجد في بعض الاماكن دون بعض والناس منتشرون على وجه الارض وقد تبعد عنهم الاطعمة وتحول بينها وبينهم البحار والبراري فانظر كيف سخر الله سبحانه التجار وسلط عليهم حرص حب المال وشره الربح مع انه لا يغنيهم في غالب الامر شيء بل يجمعون فاما ان تغرق بهم السفن او ينهبها قطاع الطريق او يموتون في بعض الطريق والبلدان فياخذه السلاطين واحسن احوالهم ان ياخذه ورثتهم وهم اشد اعداوهم لو عرفوهم فانظر كيف سلط الله الجهل والغفلة عليهم حتى يقاسوا الشدايد في طلب الربح ويركبوا الاخطار ويغرروا بالارواح ۞ في ركوب البحار فيحملون الاطعمة وانواع الحوايج من اقصى الشرق والغرب اليك فانظر كيف علمهم الله سبحانه صناعة السفن وكيفية الركوب فيها وانظر كيف خلق الحيوانات وسخرها للركوب عليها والحمل في البراري وانظر الى الابل كيف خلقت والى الجبال كيف امرت بسرعة الحركة والى الحمر كيف جعلت صابرة على التعب والى الجمال كيف تقطع البراري وتطوي المراحل تحت الاعبا الثقيلة على الجوع والعطش وانظر كيف سيرهم الله تعالى بواسطة السفن والحيوانات في البر والبحر يحملوا اليك الاطعمة وساير الحوايج وتامل ما تحتاج اليه السفن فقد خلق الله جميع ذلك الى حد الحاجة وفوق الحاجة واحصاء ذلك غير ممكن ويتمادى هذا الى امور خارجة عن الحصر ۞

الطرف السادس ۞ في اصلاح الاطعمة

اعلم ان الذي ينبت في الارض من النبات وما يخلق من الحيوانات لا يمكن ان تقضم وتوكل كذلك بل لا بد في كل واحد من اصلاح وطبخ وتركيب وتنظيف بالقاء البعض وابقا البعض الى امور اخر لا تحصى واستقصاء ذلك في كل طعام يطول فلنعين رغيفا واحدا ولننظر الى ما يحتاج

احوال السفن والركوب عليه

تسخير الله الانعام الحيوانات للركوب

مخلوق الله تعالى من النبات والحيوانات

إليه الرغيف الواحد حتى يستدير ويصلح للأكل بعد إلقاء البذر في الأرض
فأول ما يحتاج إليه الحراث ليزرع ويصلح الأرض ثم الثور الذي يثير به الأرض
والفدان وجميع أسبابه ثم بعد ذلك التعهد مدة ثم تنقية الأرض من الحشيش
ثم الحصاد ثم الفرك ثم التنقية ثم الطحن ثم العجن ثم الخبز فتأمل عدد هذه الأفعال
التي ذكرناها وما لم نذكره وعدد الأشخاص القائمين بذلك وعدد الآلات التي
يحتاج إليها من الحديد والخشب والحجر وغير ذلك وانظر إلى أعمال الصناع في إصلاح
آلات الحراثة والطحن والخبز من نجار وحداد وغير ذلك وانظر إلى حاجة الحداد
إلى الحديد والرصاص والنحاس وانظر كيف خلق الله الجبال والأحجار والمعادن
وكيف جعل الأرض قطعاً متجاورات مختلفة فإن فتشت علمت أن رغيفاً واحداً
لا يستدير حتى يصلح لأكلك يا مسكين ما لم يعمل عليه أكثر من ألف صانع فابتدئ
من الملك الذي يزجي السحاب لينزل الماء إلى آخر الأعمال من جهة الملائكة حتى تنتهي
النوبة إلى عمل الإنسان فإذا استدار طلبه قريب من سبعة آلاف صانع أصل من
أصول الصنائع التي تتم بها مصلحة الخلق ثم تأمل كثرة أعمال الإنسان في تلك
الآلات حتى إن الإبرة التي هي صغيرة فائدتها خياطة اللباس الذي يمنع البرد عنك
لا تكمل صورتها من حديدة تصلح للإبرة إلا بعد أن تمر على يد الإبري خمساً وعشرين
مرة يتعاطى في كل مرة منها عملاً فلو لم يجمع الله تعالى البلاد ولم يسخر العباد
وافتقرت إلى عمل المنجل الذي يحصد به البر مثلاً بعد نباته لنفد عمرك وعجزت
عنه أفلا ترى كيف هدى الله سبحانه عبده الذي خلقه من نطفة قذرة لأن
يعمل هذه الأعمال العجيبة والصنائع الغريبة فانظر إلى المقراض مثلاً وهما جلمان
متضابطان ينطبق أحدهما على الآخر فيتناولان الشيء معاً ويقطعانه بسرعة
ولو لم يكشف الله سبحانه طريق إيجاده بفضله وكرمه لمن قبلنا وافتقرنا
إلى استنباط الطريق فيه بفكرنا ثم إلى استخراج الحديد من الحجر وإلى تحصيل
الآلات التي بها يعمل المقراض وعمر الواحد منا عمر نوح عليه السلام وأوتي
أكمل العقول لقصر عمره عن استنباط الطريق في إصلاح هذه الآلة وحدها
فضلاً من غيرها فسبحان من ألحق ذوي البصائر بالعميان وسبحان من منع البصر
مع هذا التبيان فانظر الآن لو خلا بلدك عن الطحان مثلاً وعن الحداد وعن
الحجام الذي هو أخس الأعمال أو عن الحائك أو عن واحد من جملة الصناع

الصناعات الأربع وهداية الله إليها

الصناع ماذا يصيبك من الاذى وكيف تضطرب عليك امورك كلها فسبحان من سخر بعض العباد
لبعض حتى نفذت بذلك مشيئته وتمت حكمته ولنوجز القول في هذه الطبقة ايضا فان الغرض
التنبيه على النعم دون الاستقصاء.

الطرف السابع في اصلاح المصلحين

اعلم ان هولاء الصناع المصلحين للاطعمة وغيرهم لو تفرقت اراؤهم وتنافرت طباعهم تنافر
طباع الوحش لتبددوا وتباعدوا ولم ينتفع بعضهم بالبعض بل كانوا كالوحش لا يحويهم
مكان واحد ولا يجمعهم غرض واحد فانظر كيف الف الله بين قلوبهم وسلط الانس
والمحبة عليهم ولو انفقت ما في الارض جميعا ما الفت بين قلوبهم ولاجل الالف وتعارف
الارواح اجتمعوا وائتلفوا وبنوا المداين والبلاد وبنوا المساكن والدور متقاربة
متجاورة وبنوا الاسواق والخانات وسائر اصناف البقاع مما يطول احصاوه ثم
هذه المحبة تزول باغراض يتزاحمون عليها ويتنافسون فيها ففي جبلة الانسان
الغيظ والحسد والمنافسة وذلك يودي الى التقاتل والتنافر فانظر كيف سلط
الله السلاطين وامدهم بالقوة والعدة والاسباب والقى رعبهم في قلوب الرعايا
حتى اذعنوا لهم طوعا وكرها وكيف هدى السلاطين الى طريق اصلاح البلاد
حتى رتبوا اجزاء البلاد كانها اجزاء شخص واحد تتعاون على غرض واحد ينتفع
البعض منها بالبعض فرتبوا الروسا والقضاة والتجار وزعماء الاسواق واضطروا
الخلق الى قانون العدل والزموهم التساعد والتعارف حتى صار الحداد ينتفع بالقصاب
والخباز وسائر اهل البلد وكلهم ينتفعون بالحداد وصار الحجام ينتفع بالحراث
والحراث بالحجام وكل واحد منهم ينتفع بالاخر بسبب ترتيبهم واجتماعهم
وانضباطهم تحت ترتيب السلطان وجمعه كما يتعاون جميع اعضاء البدن فينتفع
بعضها ببعض وانظر كيف بعث الانبيا صلوات الله وسلامه عليهم حتى اصلحوا السلاطين
المصلحين للرعايا وعرفوهم قوانين الشرع في حفظ العدل بين الخلق وقوانين
السياسة في ضبطهم وكشفوا من احكام الامامة والسلطنة واحكام الفقه
ما اهتدوا به الى اصلاح الدنيا فضلا عما ارشدوهم اليه من اصلاح الدين
وانظر كيف اصلح الله الانبيا بالملايكة على جميعهم السلام وكيف اصلح الله
الملايكة عليهم السلام بعضهم ببعض الى ان انتهي الى الملك المقرب الذي لا واسطة
بينه وبين الله سبحانه فالخباز يصلح العجين والطحان يصلح الحب بالطحن والحراث
يصلحه بالحصاد والحداد يصلح الات الحراثة وكذلك جميع ارباب الصناعات المصلحين

السلطان

اصحاب الصنائع ينتفعون بعضهم ببعض

لان الاطعمة والسلطان يصلح الصناع والانبيا صلوات الله عليهم يصلحون العلما
الذين هم ورثتهم والعلما يصلحون السلاطين والملايكة يصلحون الانبيا الي ان
ينتهي الي حضرة الربوبية التي هي ينبوع كل نظام ومطلع كل حسن وجمال ومنشا
كل ترتيب وتاليف وكل ذلك نعم من رب الارباب ومسبب الاسباب ولولا فضل الله
تعالي وكرمه اذ قال والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا لما اهتدينا الي
معرفة هذه النبذة اليسيرة من نعم الله تعالي ولا عدد لها ايا فان نطمح بعين الطمع الي
الاحاطة بكنه نعمه لتشوفنا الي طلب الاحاطة والاستقصا ولحنه جل جلاله عزلنا
بحكم القهر والقدرة فقال سبحانه وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها فان تكلمنا
فباذنه انبسطنا وان سكتنا فبقهره انقبضنا اذ لا معطي لما منع ولا مانع لما اعطي
لانا في كل لحظة من لحظات العمر قبل الموت نسمع بسمع القلوب ندا الملك الجبار لمن
الملك اليوم لله الواحد القهار فالحمد لله الذي ميزنا عن الكفار واسمعنا هذا الندا قبل
انقضا الاعمار

الطرف الثامن في بيان نعم الله تعالي في خلق الملايكة عليهم السلام

لعلك يخفي عليك ما سبق من نعمة الله تعالي في الملايكة
باصلاح الانبيا عليهم السلام وهدايتهم وتبليغهم الوحي اليهم ولا تظنن انهم مقتصرون
في افعالهم علي ذلك القدر بل طبقات الملايكة مع كثرتها وترتيب مراتبها تنحصر في
الجملة في ثلاث طبقات الملايكة الارضية والسماوية وحملة العرش فانظر كيف وكلهم
الله تعالي بك فيما يرجع الي الاكل والغذا الذي ذكرناه دون ما جاوز ذلك من الهداية
والارشاد وغيرهما واعلم ان كل جزء من اجزاء بدنك بل من اجزاء النبات لا
يتغذي الا بان توكل به سبعة من الملايكة هو اقله الي عشرة الي ماية الي ما وراء ذلك
وبيانه ان معني الغذا ان يقوم جز من الغذا مقام جز قد تلف وذلك الغذا يصير
دما في اخر الامر ثم يصير لحما وعظما فاذا صار لحما وعظما تم اغتذاوك واللحم والدم
اجسام ليس لها قدرة ومعرفة واختيار فهي لا تتحرك بانفسها ولا تتغير بانفسها
ومجرد الطبع لا يكفي في ترددها في اطوارها كما ان البر لا يصير بنفسه طحينا ثم
عجينا ثم خبزا مستديرا ثم مطبوخا الا بصناع فكذلك الدم بنفسه لا يصير
عظما ولحما وعروقا وعصبا الا بصناع والصناع في الباطن هم الملايكة
كما ان الصناع في الظاهر بنو ادم وقد اسبغ الله نعمه عليك ظاهرة وباطنة
فلا ينبغي ان تغفل عن نعمة الله الباطنة فنقول لا بد من ملك يجذب الغذا الي جوار

نعم الله

طبقات الملائكة

الملائكة الموكلون للانسان والنبات

نعم الباطنة والظاهرة

الإثم وباطنه وترك باطن الإثم مما لا يعرفه الخلق من الحسد وسوء الظن والبدعة وإضمار السوء للناس إلى غير ذلك من آثام القلوب هو الشكر للنعم الباطنة وترك الإثم الظاهر بالجوارح شكر النعم الظاهرة بل أقول كل من عصى الله تعالى ولو في تطريفة واحدة بأن فتح جفنه مثلاً حيث يجب غض البصر فقد كفر كل نعمة لله تعالى عليه في السموات والأرض وما بينهما فإن كل ما خلق الله تعالى حتى السموات والملائكة والحيوانات والنبات بجملته نعمة كل واحد من العباد قد تم بها انتفاعه وإن انتفع أيضاً غيره بها فإن لله سبحانه في كل تطريفة نعمتين في نفس الجفن إذ خلق في كل جفن عضلات ولها أوتار ورباطات متصلة بأعصاب الدماغ بها يتم انخفاض الجفن الأعلى وارتفاع الجفن الأسفل وعلى كل جفن شعور سود ونعمة الله تعالى في سواد تلك الشعور أنها تجمع ضوء العين إذ البياض يفرق الضوء والسواد يجمعه ونعمة الله تعالى في ترتيبها صفاً واحداً أن تكون مانعة للهوام من الدبيب إلى باطن العين ومقتنصاً للأقذار التي تتناثر في الهواء ولله تعالى في كل شعرة منها نعمتان من حيث لين أصلها ومع اللين قوام نصبها وله في اشتباك الأهداب نعمة أعظم من الكل وذلك أن غبار الهواء قد يمنع من فتح العين ولو أطبقت لم يبصر فيجمع الأجفان مقدار ما تتشابك الأهداب فينظر من وراء شباك الشعر فيكون شباك الشعر مانعاً من وصول القذى من خارج وغير مانع من امتداد البصر من داخل ثم إن أصاب الحدقة غبار فقد خلقت أطراف الأجفان حادة منطبقة على الحدقة فتنظف الحدقة من الغبار وخرجت الأقذار إلى زوايا العين والأجفان والذباب لما لم يكن لحدقته جفن خلقت له يدان فتراه على الدوام يمسح بهما حدقتيه ليصقلهما من الغبار وإذ تركنا الاستقصاء لتفاصيل النعم لافتقار ذلك إلى تطويل يزيد على أصل هذا الكتاب فلعلنا نستأنف له كتاباً مقصوداً فيه إن أمهل الزمان وساعد التوفيق نسميه عجائب صنع الله تعالى فلنرجع إلى غرضنا فنقول قد كفر بفتح العين نعمة الله تعالى في الأجفان ولا تقوم الأجفان إلا بعين ولا العين إلا برأس ولا الرأس إلا بجميع البدن ولا البدن إلا بالغذاء ولا الغذاء إلا بالماء والأرض والهواء والمطر والغيم والشمس والقمر ولا يقوم شيء من ذلك إلا بالسموات ولا السموات إلا بالملائكة فإن الكل كالشيء الواحد يرتبط البعض منه بالبعض ارتباط أعضاء البدن بعضها ببعض فإذاً قد كفر كل نعمة لله تعالى

نعم الله في العين

كبيكج فانشمسي

في الوجود من منتهى الثريا الى منتهى الثرى فلم يبق فلك ولا ملك ولا حيوان ولا نبات
ولا جماد الا ويلعنه ولذلك ورد في الاخبار ان البقعة التي تجتمع فيها الناس اما
تلعنهم اذا تفرقوا او تستغفر لهم ٥ ولذلك ورد ان العالم يستغفر له كل شي
حتى الحوت في البحر وان الملائكة يلعنون العصاة في الفاظ كثيرة ولا يمكن احصاؤها
وكل ذلك اشارة الى ان العاصي بتطريفة واحدة جنى على ما في الملك والملكوت
وقد اهلك نفسه الا ان يتبع السيئة بحسنة تمحوها فيتبدل الله اللعن ٥
بالاستغفار فعسى الله ان يتوب عليه ويتجاوز عنه وأوحى الله تعالى
الى ايوب عليه السلام ما من عبد من الآدميين الا ومعه ملكان
فاذا شكرني على نعمائي قال الملكان اللهم زده نعما على نعم فانك اهل الحمد
وأهل الشكر فكن من الشاكرين وقريبا فكفى بالشاكرين علو رتبة عندي انا اشكر
شكرهم وملائكتي يدعون لهم والبقاع تحبهم والآثار تبكي عليهم ٥ وكما
عرفت ان في كل طرفة عين نعما كثيرة فاعلم ان كل نفس ينبسط وينقبض نعمتان اذ
بانقباضه يخرج الدخان المحترق من القلب ولو لم يخرج لهلك وبانقباضه يجمع
روح الهوى الى القلب ولو سد متنفسه لاحترق قلبه بانقطاع روح الهوى
وتبريده عنه وهلك بل اليوم والليلة اربع وعشرون ساعة وفي كل ساعة قريب
من الف نفس وكل نفس قريب من عشر لحظات فعليك في كل لحظة آلاف آلاف نعم في كل جزء
من اجزاء بدنك بل في كل جزء من اجزاء العالم فانظر هل يتصور احصاء ذلك
ام لا ولما انكشف لموسى عليه السلام حقيقة قوله سبحانه
وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها قال الهي كيف اشكرك ولك
في كل شعرة من جسدي نعمتان ان لينت راسها وان طيبت اسها وكذلك
ورد في الاثر من لم يعرف نعم الله تعالى عليه الا في مطعمه ومشربه فقد قل
علمه وحضر عذابه وجميع ما ذكرناه يرجع الى المطعم والمشرب فاعتبروا يا اولي
الابصار ما سواه من النعم به فان البصير لا تقع عينه في العالم على شي ولا يلم خاطره
الا بموجود الا ويتحقق ان لله تعالى فيه نعمة عليه فليترك الاستقصاء ٥
والتفصيل فانه طمع في غير مطمع ٥

بيان السبب الصارف للخلق عن الشكر

الشكر

نعم الله

بيان السبب الصارف للخلق عن الشكر

جوار اللحم والعظم فان الغذا لا يتحرك بنفسه ولا بد من ملك آخر يمسك الغذا في جواره
ولا بد من ثالث يخلع عليه صورة الدم ولا بد من رابع يكسوه صورة اللحم والعظم
والعروق ولا بد من خامس يدفع الفضل الفاضل من حاجة الغذا ولا بد من سادس
يلصق ما اكتسب صفة العظم بالعظم وما اكتسب صفة اللحم باللحم حتى لا
يكون منفصلا ولا بد من سابع يرعى المقادير في الالصاق فيلحق بالمستدير ما لا
يبطل استدارته وبالعريض ما لا يبطل عرضه وبالمجوف ما لا يبطل تجويفه ويحفظ
على كل واحد قدر حاجته فانه لو اجتمع مثلا من الغذا على انف الصبي ما يجتمع على فخذه
لكبر انفه وبطل تجويفه وتشوهت خلقته وصورته بل ينبغي ان يسوق الى الاجفان
مع رقتها والى الحدقة مع صفائها والى الافخاذ مع غلظها والى العظم مع صلابته
ما يليق بكل واحد منها من حيث القدر والشكل والا بطلت الصورة وربما تعظم بعض
المواضع وضعف بعض المواضع بل لو لم يراع هذا الملك العدل في القسمة والتقسيط مثلا
فساق الى راس الصبي وساير بدنه من الغذا ما ينمي به الى احد الرجلين مثلا لبقيت
تلك الرجل كما كانت في حد الصغر وكبر جميع البدن فكنت ترى شخصا في ضخامة
رجل وله رجل واحدة كانها رجل صبي فلا ينتفع بنفسه البتة فمراعاة هذه الهندسة
في القسمة مفوض الى ملك من الملايكة ولا تظنن ان الدم بطبعه يهندس شكل
نفسه فان من يحيل هذه الامور على الطبع جاهل لا يدري ما يقول فهذه هي الملايكة
الارضية وقد شغلوا بك وانت في النوم تستريح وفي الغفلة تتردد وهم يصلحون
الغذا في باطنك ولا خبر عندك منهم وذلك في كل جزء من اجزائك التي لا تتجزا
حتى يفتقر بعض الاجزا كالعين والقلب الى اكثر من مائة ملك تركنا للايجاز تفصيل
ذلك والملايكة الارضية مددهم من الملايكة السماوية على ترتيب معلوم لا يحيط
بكنهه الا الله سبحانه ومدد الملايكة السماوية من حملة العرش والمنعم على
جميعهم بالتاييد والهداية والتسديد القدوس المهيمن بالملك والملكوت والعزة
والجبروت جبار السموات والارض مالك الملك ذو الجلال والاكرام والاخبار
الواردة في الملايكة المقربين الموكلين بالسموات والارضين واجزا النبات والحيوان
حتى كل قطرة من المطر وكل سحاب ينجر من جانب الى جانب اكثر من ان تحصى فلذلك تركنا الاستشهاد
على ذلك فان قلت فهلا فوضت هذه الافعال الى ملك واحد ولم افتقرت
الى سبعة املاك والحنطة ايضا تحتاج الى من يطحنها اولا ثم الى من يميز عنها النخالة ثانيا

الملايكة يصلحون الغذا في باطنك

ويدفع الفضلة ثانيا ثم الى من يصب الماء عليها ثالثا ثم الى من يعجنه رابعا ثم الى من يقطعها
كرات مدورة خامسا ثم الى من يرققها رغفانا عريضة سادسا ثم الى من يلصقها
بالتنور سابعا ولكن قد يتولى جميع ذلك رجل واحد ويشتغل بها فهكذا
اعمال الملائكة باطنا كاعمال الانس ظاهرا فاعلم ان خلقة الملائكة تخالف خلقة
الانس وما من احد منهم الا وهو وحداني الصفة ليس فيها خلط وتركيب البتة ولا يكون
لكل واحد منهم الا فعل واحد واليه الاشارة بقوله تعالى وما منا الا له مقام
معلوم ولذلك ليس بينهم تنافس ولا تقاتل بل مثالهم في تعيين مرتبة كل ۵
واحد منهم وفعله مثل الحواس الخمس فان البصر لا يزاحم السمع في ادراك
الاصوات ولا الشم يزاحمه ولا هما يزاحمان الشم وليس كاليد والرجل فانك قد تبطش
باصبع الرجل بطشا ضعيفا فتزاحم به اليد وقد تضرب غيرك برأسك فتزاحم اليد وهي آلة ۵
الضرب وكالانسان الواحد الذي يتولى بنفسه الطحن والعجن والخبز فان هذه انواع
من الاعوجاج والعدول عن العدل سببه اختلاف صفات الانسان واختلاف
دواعيه فانه ليس وحداني الصفة فيكون وحداني الفعل ولذلك ترى الانسان ۵
يطيع الله مرة ويعصيه اخرى لاختلاف دواعيه وصفاته وذلك غير ممكن في
طباع الملائكة بل هم مجبولون على الطاعة لا مجال للمعصية في حقهم فلا جرم لا يعصون
الله ما امرهم ويفعلون ما يؤمرون يسبحون الليل والنهار لا يفترون فالراكع
منهم راكع ابدا والساجد ساجد والقائم قائم ابدا لا اختلاف في افعالهم ولا فتور ولكل
واحد منهم مقام معلوم لا يتعداه وطاعتهم لله من حيث لا مجال للمخالفة فيهم
يمكن ان تشبه بطاعة اطرافك لك فانك مهما جزمت الارادة بفتح الاجفان
لم يكن للجفن الصحيح تردد واختلاف في طاعتك مرة ومعصيتك اخرى بل كأنه
منتظر لامرك ونهيك ينفتح وينطبق متصلا باشارتك فهذا يشبهه من وجه
ولكن يخالفه من وجه اذ الجفن لا علم له بما يصدر منه من الحركة فتحا واطباقا
والملائكة احياء عالمون بما يفعلون فاذاً هذه نعمة الله عليك في خلق الملائكة
الارضية والسماوية وحاجتك اليها في غرض الاكل فقط دون ما عداه من الحركات
والحاجات اليها فانا لا نطول بذكرها فهذه طبقة اخرى من طبقات النعم ۵
ومجامع الطبقات لا يمكن احصاؤها فكيف آحاد ما يدخل تحت مجامع الطبقات
فاذاً قد انعم الله عليك بنعمه ظاهرة وباطنة ثم قال تعالى وذروا ظاهر

صفة الملائكة

الملائكة

فتحا

نعم الله

في الشكر

اعلم انه لا يقصر بالخلق عن الشكر الا الجهل والغفلة

فانهم منعوا بالجهل والغفلة عن معرفة النعم ولا يتصور شكر النعمة الا بعد
معرفتها ثم انهم ان عرفوا نعمة ظنوا ان الشكر عليها ان يقول احدهم بلسانه
الحمد لله الشكر لله ولم يعرفوا ان معنى الشكر ان يستعملوا النعمة في اتمام الحكمة
التي اريدت بها وهي طاعة الله سبحانه فلا يمنع من الشكر بعد حصول هاتين المعرفتين
الا غلبة الشهوة واستيلاء الشيطان اما الغفلة عن النعم فلها اسباب
واحد اسبابها ان الناس بجهلهم لا يعدون ما يعم الخلق ويسلم لهم
في جميع احوالهم نعمة فلذلك لا يشكرون على جملة ما ذكرناه من النعم لانها
عامة للخلق مبذولة لهم في جميع احوالهم فلا يرى كل واحد منهم لنفسه
اختصاصا بها فلا يعد ذلك نعمة فلا تراهم يشكرون الله تعالى على روح
الهواء ولو اخذ بمخنق احدهم لحظة حتى انقطع الهواء عنه لمات ولو حبس في
بيت حمام فيه هواء حار او في بئر فيه هواء بارد ثقيل برطوبة الماء لمات غما
فان ابتلي واحد منهم بشيء من ذلك ثم نجا منه قدر ذلك نعمة وشكر الله
تعالى عليها وذلك غاية الجهل اذ صار شكرهم موقوفا على ان تسلب عنهم النعمة
ثم ترد عليهم في بعض الاحوال والنعمة في جميع الاحوال اولى بان تشكر من
النعمة في بعضها فلا ترى البصير يشكر صحة بصره الا ان تعمى عينه فعند ذلك
لو اعيد عليه بصره لاحس به وشكره وعده نعمة ولما كانت رحمة الله
واسعة وعمت الخلق وبذلت في جميع الاحوال فلم يعدها الجاهلون نعمة وهذا
الجاهل مثل العبد السوء حقه ان يضرب دائما حتى اذا ترك ضربه ساعة
تقلد بذلك منة فان ترك ضربه على الدوام غلبه البطر وترك الشكر فصار
الناس لا يشكرون الا المال الذي يتطرق الاختصاص اليه من حيث الكثرة
والقلة وينسون جميع نعم الله تعالى عليهم كما شكى بعضهم فقره الى
بعض ارباب البصائر واظهر شدة اغتمامه بذلك فقال له ايسرك انك اعمى
ولك عشرة الف درهم قال لا قال ايسرك انك اخرس ولك عشرة الف درهم
قال لا قال ايسرك انك اقطع اليدين والرجلين ولك عشرة الف درهم قال لا
قال ايسرك انك مجنون ولك عشرة الف درهم قال لا قال اما تستحي ان تشكو
مولاك وله عندك عروض بخمسين الف **وحكي ان بعض القراء**

اشتد به الفقر حتى ضاق ذرعا فرأى في المنام كأن قائلا يقول له
تود أنا أنسيناك سورة الأنعام وأن لك ألف دينار قال لا قال فسورة هود
عليه السلام فقال لا قال فسورة يوسف عليه السلام قال لا قال فمعك قيمة ألف
وأنت تشكو فأصبح وقد سري عنه ٥ ودخل ابن السماك رضي الله عنه
على بعض الخلفاء وفي يده كوز يشربه فقال له عظني فقال له لو لم تعط هذه
الشربة إلا بجميع أموالك وإلا بقيت عطشان فهل كنت تعطيها قال نعم فقال
ولو لم تعطها إلا بملكك كله قال نعم قال فلا تفرح بملك لا يساوي شربة
من ماء عند العطش أعظم من ملك الأرض كلها وإذا كانت الطباع مائلة إلى اعتداد
النعمة الخاصة دون العامة وقد ذكرنا النعم العامة فلنذكر إشارة وجيزة إلى النعم
الخاصة فنقول ما من عبد إلا لو أنعم النظر في أحواله
لرأى من الله تعالى نعمة أو نعما كثيرة تخصه لا يشاركه فيها الناس كافة بل يشاركه
عدد يسير من الناس وربما لا يشاركه فيها أحد وذلك يعترف به كل عبد في ثلاثة
أمور في العقل والخلق والعلم أما العقل فما من عبد لله تعالى إلا وهو راض
عن الله تعالى في عقله يعتقد أنه أعقل الناس وقلما يسأل الله تعالى العقل
وإن من شرف العقل أنه يفرح الخالي عنه كما يفرح المتصف به فإذا كان اعتقاده
أنه أعقل الناس فواجب عليه أن يشكر الله تعالى على ذلك لأنه إن كان كذلك
فالشكر واجب على ذلك وإنه إن لم يكن كذلك ولكنه يعتقد أنه كذلك فهي
نعمة في حقه فمن وضع كنزا تحت الأرض فهو يفرح به ويشكر عليه فإذا أخذ
الكنز من حيث لا يدري بقي فرحه بحسب اعتقاده وبقي شكره لأنه في حقه كالباقي
وأما الخلق فما من عبد إلا وهو يرى من غيره عيوبا يكرهها وأخلاقا يذمها وإنما
يذمها من حيث إنه يرى نفسه بريئا منها فإذا لم يشتغل بذم الغير فينبغي أن
يشتغل بشكر الله تعالى إذ أحسن خلقه وابتلى غيره بالخلق السيء ٥ وأما العلم
فما من أحد إلا ويعرف من بواطن نفسه وخفايا أفكاره ما هو منفرد به
ولو كشف الغطا حتى اطلع عليه أحد من الخلق لافتضح فكيف لو اطلع عليه
الناس كافة فإذا لكل عبد علم بأمر خاص لا يشاركه فيه أحد من عباد الله تعالى
فلم لا يشكر ستر الله الجميل الذي أرسله على وجه مساويه فأظهر الجميل
وستر القبيح وأخفى ذلك عن أعين الخلق وخصص علمه به حتى لا يطلع عليه

نعمة الله

عليه أحد فهذه أمور ثلاثة من النعم خاصة يعترف بها كل عبد إما معرفة مطلقة
وإما في بعض الأمور فلننزل عن هذه الطبقة إلى طبقة أخرى أعم منها قليلا فما من
عبد إلا وقد رزقه الله تعالى في صورته أو شخصه أو أخلاقه أو صفاته أو أهله
أو ولده أو مسكنه أو بلده أو رفيقه أو أقاربه أو عزه أو جاهه أو في سائر محابه
أمورا لو سلب ذلك منه وأعطي ما خصص به غيره لكان لا يرضى به وذلك أن جعله
مؤمنا لا كافرا وحيا لا جمادا وإنسانا لا بهيمة وذكرا لا أنثى وصحيحا لا مريضا
وسليما لا معيبا فإن كل هذه خصائص وإن كان فيها عموما أيضا فإن هذه الأحوال
لو بدل بأضدادها لم يرض بذلك بل له أمور لا يبدلها بأحوال الآدميين أيضا وذلك
إما أن يكون بحيث لا يبدله بما خص به أحد من الخلق أو لا يبدله بما خص به الأكثر
فإذا كان لا يبدل حال نفسه بحال غيره فإذا حاله أحسن من حال غيره فإن كان لا يعرف
شخصا يرتضي لنفسه حاله بدلا عن حال نفسه إما على الجملة وإما في أمر خاص
فإذا لله تعالى عليه نعمة ليست على أحد من عباده سواه فإن كان يبدل حال نفسه
بحال بعضهم دون البعض فلينظر إلى عدد المغبوطين عنده فإنه لا محالة يراهم أقل بالإضافة
إلى غيرهم فيكون من دونه في الحال أكثر بكثير ممن هو فوقه فما له ينظر إلى من فوقه ليزدري
نعمة الله تعالى على نفسه ولا ينظر إلى من هو دونه ليستعظم نعمة الله تعالى عليه
وما له لا يسوي دنياه بدينه أليس إذا لامته نفسه على سيئة يقارفها فلا يعتذر إليها
بأن الفساق كثير فينظر أبدا في الدين إلى من هو دونه وإن نظر في الدين إلى من هو
فوقه كتبه الله صابرا شكورا ومن نظر في الدنيا إلى من هو فوقه وفي الدين إلى
من هو دونه لم يكتبه الله صابرا ولا شكورا فإذا كل من اعتبر حال نفسه وفتش عما خص
به وجد لله تعالى على نفسه نعما كثيرة لا سيما من خص بالسنة والإيمان والعلم والقرآن
ثم بالفراغ والصحة والأمن وغيره ولذلك قال عليه السلام من لم
يستغن بآيات الله فلا أغناه الله وهذه إشارة إلى نعمة العلم وقال عليه السلام
إن القرآن هو الغنى الذي لا غنى بعده ولا فقر معه وقال عليه السلام
ليس منا من لم يتغن بالقرآن وقال كفى باليقين غنى وقال بعض السلف
يقول الله سبحانه إن عبدا أغنيته عن ثلاثة لقد أتممت عليه نعمتي عن سلطان يأتيه
وطبيب يداويه وعما في يد أخيه وعبر الشاعر عن هذا فقال

إذا القوت يأتي لك والصحة والأمن ● وأصبحت أخا حزن فلا فارقك الحزن

مطلب نعم الله خاصة لعبده

النظر إلى الأعلى في الدين والدنيا وإلى الأسفل فيهما

بل أرشق العبارات وأفصح الكلمات كلام أفصح من نطق بالضاد حيث عبر عليه السلام عن هذا
المعنى وقال من أصبح آمنا في سربه معافى في بدنه عنده قوت يومه فكأنما حيزت
له الدنيا بحذافيرها ومهما تأملت الناس كلهم وجدتهم يشكون ويتألمون من أمور
وراء هذه الثلاث مع أنها وبال عليهم ولا يشكرون نعمة الله تعالى في هذه ولا يشكرون ۵
نعمة الله عليهم في الإيمان الذي به وصولهم إلى النعيم المقيم والملك العظيم بل البصير ۵
لا ينبغي أن يفرح إلا بالمعرفة واليقين والإيمان بل نحن نعلم من العلماء من لو سلم إليه
جميع ما دخل تحت قدرة ملوك الأرض من المشرق إلى المغرب من أموال وأتباع وأنصار
وقيل له خذ هذا عوضا عن علمك أو عن عشر عشير علمك لم يأخذه وذلك لرجائه أن نعمة
العلم تفضي به إلى قرب الله سبحانه في الآخرة بل لو قيل له لك في الآخرة ما ترجوه
بكماله فخذ هذه اللذات في الدنيا بدلا عن التذاذك بالعلم في الدنيا وفرحك به ۵
لكان لا يأخذه لعلمه بأن لذة العلم دائمة لا تنقطع وثابتة لا تسرق ولا تغصب ۵
ولا ينافس فيها وأنها صافية لا كدورة فيها وأن لذات الدنيا كلها ناقصة ومكدرة ۵
ومشوشة لا يفي مرجوها بمخوفها ولا آلامها بلذاتها ولا فرحها بغمها هكذا كانت إلى الآن
وهكذا تكون إلى آخر ما بقي الزمان إذ ما خلقت لذات الدنيا إلا ليجتلب بها العقول الناقصة
وتخدع حتى إذا انخدعت وتقيدت بها ولا يستصعب كالمرأة الجميلة ظاهرها
تتزين للشاب الشبق الغر حتى إذا تقيد بها قلبه استصعبت عليه واحتجبت عنه
فلا يزال معها في عناء دائم وتعب قائم وكل ذلك لاغتراره بلذة النظر إليها في لحظة
ولو عقل وغض البصر واستهان بتلك اللذة استراح جميع العمر فهكذا وقعت أرباب
الدنيا في شبكات الدنيا وحبائلها ولا ينبغي أن يقول المعرض عن الدنيا متألم بالصبر
عنها فإن المقبل عليها متألم بالصبر عليها وحفظها وتحصيلها ودفع المقصود عنها
وتألم المعرض يفضي إلى لذة في الآخرة وتألم المقبل يفضي إلى الألم في الآخرة فليقرأ
المعرض على نفسه قوله سبحانه ولا تهنوا في ابتغاء القوم إن تكونوا تألمون فإنهم
يألمون كما تألمون وترجون من الله ما لا يرجون فإذا إنما انسد طريق الشكر على الخلق
لجهلهم بضروب النعم الظاهرة والباطنة والخاصة والعامة **فإن قلت** فما
علاج هذه القلوب الغافلة حتى تشعر بنعمة الله تعالى فعساها تشكر فأقول أما القلوب
البصيرة فعلاجها التأمل فيما رمزنا إليه من أصناف نعم الله تعالى العامة وأما القلوب
البليدة التي لا تعد نعمة الله إلا إذا خصتها وأشعرت بالبلاء معها فسبيل أحدهم أن

الشكر

أن ينظر إلا من هو دونه وأن يفعل ما كان يفعله بعض الصوفية إذ كان يحضر كل يوم دار
المرضى والمقابر والمواضع التي تقام فيها الحدود وقد كان يحضر دار المرضى ليشاهد
أنواع بلاء الله سبحانه عليهم ثم يتأمل في صحته وسلامته فيستشعر قلبه نعمة الصحة ۵
عند شعوره ببلاء المرض ويشاهد الجناة الذين يقتلون وتقطع أطرافهم ويعذبون
بأنواع العذاب ليشكر الله تعالى على عصمته من الجنايات ومن تلك العقوبات ۵
ويشكر على نعمة الأمن ويحضر المقابر فيعلم أن أحب الأشياء إلى الموتى أن يردوا إلى
الدنيا ولو يوما واحدا أما من عصى فليتدارك ومن أطاع فليتزيد في طاعته فإن يوم
القيامة يوم التغابن فالمطيع مغبون إذ يرى جزاء طاعته فيقول كنت أقدر على
أكثر من هذه الطاعة فما أعظم غبني إذ ضيعت بعض الأوقات في المباحات وأما العاصي
فغبنه ظاهر فإذا شاهد المقابر وعلم أن أحب الأشياء إليهم أن يكون قد بقي لهم
من العمر ما بقي له فيصرف بقية العمر إلا ما يشتهي أهل القبور العود لأجله
ليكون ذلك معرفة لنعمة الله تعالى في بقية العمر بل في الإمهال في كل نفس من
الأنفاس وإذا عرف تلك النعمة شكرها بأن يصرف العمر إلى ما خلق العمر لأجله ۵
وهو التزود من الدنيا إلى الآخرة فهذا علاج هذه القلوب الغافلة لتستشعر
بنعم الله فعساها تشكر **ولقد كان الربيع بن خثيم رضي الله عنه** ۵
مع تمام استبصاره يستعين بهذه الطريق تأكيدا للمعرفة فكان قد حفر في داره
قبرا وكان يضع غلا في عنقه ويضطجع في لحده ويقول رب ارجعون لعلي أعمل صالحا ۵
ثم يقوم ويقول يا ربيع قد أعطيت ما سألت فاعمل قبل أن تسأل الرجوع فلا ترد
ومما ينبغي أن تعالج به القلوب البعيدة عن الشكر أن تعرف أن النعمة إذا لم تشكر
زالت ولم تعد ولذلك كان الفضيل رحمه الله يقول عليكم بمداومة الشكر على
النعم فقل نعمة زالت عن قوم فعادت إليهم **وقال بعض السلف
رضي الله عنهم** النعم وحشية فقيدوها بالشكر وفي الخبر ما عظمت نعمة الله على
عبد إلا كثرت حوائج الناس إليه فمن تهاون بهم عرض تلك النعمة للزوال وقال سبحانه إن
الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم فهذا تمام هذا الركن ۵

الركن الثالث

الركن الثالث

فيما يشترك فيه الصبر والشكر ويرتبط احدهما بالآخر

بيان وجه اجتماع الشكر والصبر

على شيء واحد

لعلك تقول ما ذكرته من النعم اشارة الى ان لله تعالى في
كل موجود نعمة وهذا يشير الى ان البلاء لا وجود له اصلا فما معنى الصبر اذا وان كان
البلاء موجودا فما معنى الشكر على البلاء وقد ادعى مدعون انا نشكر الله على البلاء فضلا عن
الشكر على النعمة فكيف يتصور الشكر على البلاء وكيف يشكر على ما يصبر عليه والصبر
يستدعي بلاء والشكر يستدعي فرحا وهما متضادان ومعنى ما ذكرتموه من ان الله سبحانه في
كل ما اوجده نعمة على عباده فاعلم ان البلاء موجود كما ان النعمة موجودة والقول باثبات
النعمة يوجب القول باثبات البلاء لانهما متضادان ففقد البلاء نعمة وفقد النعمة بلاء ولكن
ان النعمة تنقسم الى نعمة مطلقة من كل وجه اما في الآخرة فكسعادة العبد بالنزول في جوار
الله سبحانه واما في الدنيا فكالايمان وحسن الخلق وما يعين عليهما والى نعمة مقيدة من
وجه دون وجه كالمال الذي يصلح الدين من وجه ويفسده من وجه وكذلك البلاء
ينقسم الى مطلق ومقيد اما المطلق في الآخرة فالبعد من الله تعالى اما مدة واما ابدا
واما في الدنيا فالكفر والمعصية وسوء الخلق وهي التي تفضي الى البلاء المطلق واما المقيد
فكالفقر والمرض والخوف وسائر انواع البلاء التي لا تكون في الدين بل في الدنيا فالشكر
المطلق للنعمة المطلقة اما البلاء المطلق في الدنيا فقد لا يؤمر بالصبر عليه لان الكفر بلاء
ولا معنى للصبر عليه وكذا المعصية بل حق الكافر ان يترك كفره وكذلك حق العاصي
نعم الكافر قد لا يعرف انه كافر فيكون كمن به علة ولا يتألم بسبب غشية او غيره فلا صبر
عليه والعاصي يعرف انه عاصي فعليه ترك المعصية بل كل بلاء يقدر الانسان على
دفعه فلا يؤمر بالصبر عليه فلو ترك الانسان الماء مع طول العطش حتى عظم المه
فلا يؤمر بالصبر عليه بل يؤمر بازالة الالم وانما الصبر على الم ليس للعبد ازالته
فاذا يرجع الصبر في الدنيا الى ما ليس ببلاء مطلق بل يجوز ان يكون نعمة من وجه فلذلك
يتصور ان يجتمع عليه وظيفة الصبر والشكر فان الغنى مثلا يجوز ان يكون سببا لهلاك

بيان وجه اجتماع الشكر والصبر

السؤال والجواب في البلاء والشكر والصبر

اقسام نعم الله

اقسام البلاء

هو ... صح

الفقر والغنا

لإهلاك الإنسان حتى يقصد بسبب ماله فيقتل ويقتل أولاده والصحة أيضاً كذلك
فما من نعمة من هذه النعم الدنيوية إلا ويجوز أن تكون بلاء ولكن بالإضافة إلى حاله فرب
عبد تكون الخيرة له في الفقر والمرض ولو صح بدنه وكثر ماله لبطر وبغى قال سبحانه
وتعالى ولو بسط الله الرزق لعباده لبغوا في الأرض ولكن ينزل بقدر ما يشاء وقال
تعالى إن الإنسان ليطغى أن رآه استغنى وقال عليه السلام إن الله
ليحمي عبده المؤمن وهو يحبه كما يحمي أحدكم مريضه وكذلك الزوجة والولد والقريب
وكل ما ذكره في الأقسام الستة عشر من النعم سوى الإيمان وحسن الخلق فإنها تتصور
أن تكون بلاء في حق الناس فتكون أضدادها إذاً نعمة في حقهم إذ قد سبق أن المعرفة كمال
ونعمة فإنها صفة من صفات الله تعالى ولكن قد تكون على العبد في بعض الأحوال بلاء ويكون
فقدها نعمة مثاله جهل الإنسان بأجله فإنه نعمة عليه إذ لو عرف ذلك
ربما تنغص عليه العيش وطال بذلك غمه وكذلك جهله بما يضمره الناس له من معارفه
وأقاربه نعمة عليه إذ لو رفع الستر واطلع على ذلك منهم لطال ألمه وحقده وحسده
واشتغاله بالانتقام وكذلك جهله بالصفات المذمومة من غيره نعمة عليه
إذ لو عرف ذلك من غيره لأبغضه وآذاه وكان ذلك وبالاً عليه في الدنيا والآخرة
بل جهله بالخصال المحمودة في غيره قد تكون نعمة عليه فإنه ربما يكون ولياً
لله تعالى وهو يضطر إلى إيذائه وإهانته ولو عرفه ثم آذاه بعد المعرفة به كان إثمه
أعظم لا محالة فليس من آذى نبياً أو ولياً وهو يعرفه كمن آذاه وهو لا يعرفه ٥
ومنها إبهام الله تعالى أمور القيامة وإبهامه ليلة القدر وساعة يوم الجمعة وإبهامه
بعض الكبائر فكل ذلك نعمة لأن هذا الجهل يوفر دواعيك على الطلب والاجتهاد ٥
فهذه وجوه نعم الله تعالى في الجهل فكيف في العلم وحيث قلنا إن الله سبحانه في كل
موجود نعمة فهو حق وذلك مطرد في حق كل واحد ولا تستثنى عنه بالظن إلا الآلام
التي يخلقها في بعض الناس وهي أيضاً قد تكون نعمة في حق المتألم وإن لم تكن نعمة في حقه
كالألم الحاصل من المعصية كقطعه يد نفسه ووشمه بشرته فإنه يتألم وهو عاص
بذلك وآلام الكفار في النار أيضاً هي نعمة ولكن في حق غيرهم من العباد لا في حقهم فإن
مصائب قوم عند قوم فوائد ولولا أن الله خلق العذاب وعذب به طائفة لما عرف
المتنعمون قدر نعمته ولا كثر فرحهم بذلك ففرح أهل الجنة إنما يتضاعف إذا
تفكروا في آلام أهل النار أما ترى أهل الدنيا ليس يشتد فرحهم بنور الشمس مع

إبهام الله تعالى بعض الأشياء حكمة

شدة حاجتهم إليها من حيث إنها عامة مبذولة ولا يشتد فرحهم بالنظر إلى زينة
السماء وهي أحسن من كل بستان لهم في الأرض يجتهدون في عمارته ولكن زينة السماء
لما عمت لم يشعروا بها ولم يفرحوا بسببها فإذا قد صح ما ذكرناه من أن الله سبحانه
لم يخلق شيئا إلا وفيه حكمة ولا خلق شيئا إلا وفيه نعمة إما على جميع عباده أو على بعضهم
فإذا في خلق البلاء أيضا نعمة إما على المبتلى أو على غير المبتلى فإذا كل حالة لا توصف
بأنها بلاء مطلق ولا نعمة مطلقة فيجتمع فيها على العبد وظيفتان الصبر والشكر فإن
قلت فهما متضادان فكيف يجتمعان إذ لا صبر إلا على غم ولا شكر إلا على فرح
فاعلم أن الشيء الواحد قد يغتم به من جهة ويفرح به من جهة أخرى
فيكون الصبر من حيث الاغتمام والشكر من حيث الفرح وفي كل فقر ومرض وخوف وبلاء
في الدنيا خمسة أمور ينبغي أن يفرح العاقل بها ويشكر عليها أحدها أن كل مصيبة
ومرض فيتصور أن يكون أكبر منها إذ مقدورات الله تعالى لا تتناهى فلو ضعفها
الله تعالى وزادها ماذا كان يرده ويحجزه فليشكر الله تعالى إذ لم تكن أعظم منها في
الدنيا الثاني أنه كان يمكن أن تكون مصيبته في دينه قال رجل لسهل
رحمه الله دخل اللص بيتي فأخذ متاعي فقال اشكر الله تعالى لو دخل الشيطان
قلبك وأخذ التوحيد ماذا كنت تصنع ولذلك استعاذ عيسى عليه السلام في دعائه
إذ قال اللهم لا تجعل مصيبتي في ديني وقال عمر رضي الله عنه
ما ابتليت ببلية إلا وكان لله تعالى علي فيها أربع نعم إذ لم تكن في ديني وإذ لم تكن أعظم
منها وإذ لم أحرم الرضى بها وإذ أرجو الثواب عليها وكان لبعض أرباب القلوب
صديق فحبسه السلطان فأرسل إليه يعلمه ويشكو إليه فقال له اشكر الله تعالى
فجيء بمجوسي مبطون وقيد وجعلت حلقة من قيده في رجله وحلقة في رجل المجوسي
فأرسل إليه فقال اشكر الله تعالى فكان المجوسي يحتاج أن يقوم مرات ويحتاج
أن يقوم هو معه ويقف حتى يقضي حاجته فكتب إليه بذلك فقال اشكر الله تعالى
فقال إلى متى هذا وأي بلاء يزيد على هذا فقال لو وضع الزنار الذي في وسطه
في وسطك ماذا كنت تصنع فإذا ما من إنسان أصيب ببلاء إلا ولو تأمل حق التأمل
في سوء أدبه ظاهرا وباطنا في حق مولاه لكان يرى أنه يستحق أكثر مما أصيب به عاجلا
وآجلا ومن استحق عليك أن يضربك مائة سوط فاقتصر على عشرة فهو مستحق للشكر
ومن استحق أن يقطع يداه ورجلاه فترك إحداهما فهو حقيق أن يشكر لمن فعل ذلك

المصائب والشكر

تحمل المصائب فيشكر

زادت جماعة معصية ولم يصيبوا مصيبة كالكفار

مطلب ثواب البلاء

ذلك به ولذلك مر بعض الشيوخ بشارع فصب على رأسه طست من رماد فسجد لله تعالى سجدة وشكر فقيل له ما هذه السجدة فقال كنت انتظر ان تصب على النار فالاقتصار على الرماد نعمة ٥ وقيل لبعضهم الا تخرج الى الاستسقا فقد احتبست الامطار فقال انتم تستبطئون المطر وانا استبطئ الحجر ٥ فان قلت فكيف افرح وارى جماعة قد زادت معصيتهم على معصيتي ولم يصابوا بما اصبت حتى الكفار فاعلم ان الكافر قد خبئ لهم ما هو اكثر فانما امهلوا حتى يستكثروا من الاثم ٥ ويطول عليهم العذاب كما قال تعالى انما نملي لهم ليزدادوا اثما واما المعاصي فمن اين تعلم ان في العالم من هو اعصى ورب خاطر بسوء ادب في حق الله سبحانه ٥ وفي صفاته اعظم من شرب الخمر والزنا وساير المعاصي بالجوارح ولذلك قال سبحانه في مثله وتحسبونه هينا وهو عند الله عظيم ٥ فمن اين تعلم ان غيرك اعصى منك ثم لعله قد اخرت عقوبته الى الاخرة وعجلت عقوبتك في الدنيا فلم لا تشكر الله على ذلك وهذا هو الوجه الثالث في الشكر وهو انه ما من عقوبة الا وكان يتصور ان يكون تؤخر الى الاخرة ومصايب الدنيا يتسلى عنها باسباب اخر ٥ تهون المصيبة فيخف وقعها ومصيبة الاخرة تدوم وان لم تدم فلا سبيل الى تخفيفها بالتسلي اذ اسباب التسلي مقطوعة بالكلية في الاخرة على المعذبين ومن عجلت عقوبته في الدنيا فلا يعاقب ثانيا اذ قال عليه السلام ان العبد اذا اذنب ذنبا فاصابته شدة او بلا في الدنيا فالله اكرم من ان يعذبه ثانيا الرابع ان هذه المصيبة والبلية كانت مكتوبة عليه في ام الكتاب وكان لا بد من وصولها اليه وقد وصلت ووقع الفراغ منها واستراح من بعضها او من جميعها فهذه نعمة ٥ الخامس ان ثوابها اكثر منها فان مصايب الدنيا طرق الى الاخرة من وجهين احدهما الوجه الذي يكون به الدوا الكريه نعمة في حق المريض ويكون المنع من اسباب اللعب نعمة في حق الصبي فانه لو خلي واللعب كان يمنعه ذلك عن العلم والادب فكان يخسر جميع عمره وكذلك المال والاهل والاقارب والاعضا حتى العين التي هي اعز الاشيا قد تكون سببا لهلاك الانسان في ٥ بعض الاحوال بل العقل الذي هو اعز الامور قد يكون سببا لهلاك صاحبه فالملحدة غدا يتمنون لو كانوا مجانين او صبيانا ولم يتصرفوا بعقولهم في دين الله تعالى فما من شي من هذه الاسباب بوجود العبد الا ويتصور ان يكون له فيه خيرة

حسن الظن

دِينِيَّة فعليه ان يحسن الظن بالله ويعتقد في ذلك الخير ويشكر الله عليه فان حكمة
الله تعالى واسعة وهو بمصالح العباد اعلم ان من العباد وغدا يشكره العباد على البلاء
اذا راوا ثواب البلاء كما يشكر الصبي بعد العقل والبلوغ استاذه واباه على ضربه
وتاديبه ان يدرك ثمرة ما استفاده من التاديب والبلاء تاديب من الله سبحانه
وعنايته بعباده اتم واوفر من عناية الاباء بالاولاد فقد روي ان رجلا
قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم اوصني فقال لا تتهم الله في

الرضاء بالقضاء

شيء قضاه عليك ونظر عليه السلام الى السماء فضحك فسئل فقال عجبت لقضاء الله
سبحانه لعبده المؤمن ان قضى له بالسراء رضي وكان خيرا له وان قضى له بالضراء
رضي وكان خيرا له والوجه الثاني ان راس الخطايا المهلكة حب الدنيا

راس الخطاء

وراس اسباب النجاة التجافي بالقلب عن اسباب الغرور وموافاة النعم على وفق المراد
من غير امتزاج ببلاء ومصيبة تورث طمانينة القلوب الى الدنيا وانسه بها حتى
تصير كالجنة في حقه فيعظم بلاؤه عند الموت بسبب مفارقته لها واذا كثرت

الدنيا سجن المؤمن

عليه المصائب انزعج قلبه عن الدنيا ولم يسكن اليها ولم يانس بها وصارت الدنيا
سجنا عليه وكان نجاته منها غاية اللذة كالخلاص من السجن ولذلك قال عليه السلام
الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر والكافر كل من اعرض عن الله تعالى ولم يرد الا الحيوة
الدنيا ورضي بها واطمان اليها والمؤمن كل منقطع بقلبه عن الدنيا شديد الحنين
الى الخروج منها والكفر بعضه ظاهر وبعضه خفي وبقدر حب الدنيا في
القلب يسري فيه الشرك الخفي بل الموحد المطلق هو الذي لا يحب الا الواحد الحق
فاذا في البلاء نعم من هذا الوجه يجب الفرح به واما التالم فهو ضروري وذلك
يضاهي فرحك عند الحاجة الى الحجامة فمن يتولى حجامتك مجانا او يسقيك دواء
نافعا وهو مجان فانك تتالم وتفرح فتصبر على الالم وتشكره على سبب الفرح

مثال البلاء في امور الدنيا

فكل بلاء في الامور الدنيا مثاله الدواء الذي يؤلم في الحال وينفع في المال
بل من دخل دار الملك للنظر وعلم انه يخرج منها لا محالة فراى وجها حسنا لا يخرج
معه من الدار كان ذلك بلاء عليه لانه يورثه الانس بمنزل لا يمكن المقام فيه ولو
كان عليه في المقام خطر من ان يطلع عليه الملك فيعذبه فاصابه ما يكره حتى نفره
عن المقام كان ذلك نعمة عليه والدنيا منزل وقد دخلها الناس من باب الرحم
وخارجون عنها من باب اللحد فكلما حقق انسهم بالمنزل فهو بلاء وكلما ازعج عنها قلوبهم

قلوبهم وتقطع انفسهم بها فهو نعمة فمن عرف هذا تصور منه ان يشكر على البلاء ومن
لم يعرف هذه النعمة في البلاء لم يتصور منه الشكر لان الشكر يتبع معرفة النعمة ضرورة
ومن لم يؤمن بان ثواب المصيبة اكبر من المصيبة لم يتصور منه الشكر على المصيبة
حتى ان اعرابيا عزى ابن عباس في ابنه فقال

اصبر نكن بك صابرين فانما ٭ صبر الرعية بعد صبر الراس
خير من العباس اجرك بعده ٭ والله خير منك للعباس

فقال ما عزاني احد باحسن من تعزيته والاخبار
الواردة في الصبر على المصائب كثيرة قال عليه السلام من يرد الله
به خيرا يصب منه وقال عز وجل اذا وجهت الى عبد من عبيدي مصيبة
في بدنه او ماله او ولده ثم استقبل ذلك بصبر جميل استحييت منه يوم القيمة
ان انصب له ميزانا او انشر له ديوانا وقال عليه السلام ما من عبد اصيب
بمصيبة فقال كما امره الله تعالى انا لله وانا اليه راجعون اللهم اجرني في
مصيبتي واعقبني خيرا منها الا فعل الله تعالى ذلك به وقال عليه السلام
قال الله سبحانه من سلبت كريمتيه فجزاؤه الخلود في داري والنظر الى وجهي
وقال من اجلال الله تعالى ومعرفة حقه ان لا تشكو وجعك ولا تذكر
مصيبتك وقال ابو الدرداء تولدون للموت وتعمرون للخراب وتحرصون
على ما يفنى وتذرون ما يبقى الا حبذا المكروهات الثلاث الفقر والمرض والموت
وعن انس رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا اراد
بعبد خيرا او اراد ان يصافيه صب عليه البلاء صبا وثجه عليه ثجا فاذا دعا
قالت الملائكة صوت معروف وان دعاه ثانيا فقال يا رب قال الله سبحانه
لبيك عبدي وسعديك لا تسألني شيئا الا اعطيتك او رفعت لك ما هو خير
وادخرت لك عندي ما هو افضل منه فاذا كان يوم القيمة جيء باهل الاعمال
فوفوا اعمالهم بالميزان اهل الصلاة والصيام والصدقة والحج ثم يؤتى باهل
البلاء فلا ينصب لهم ميزان ولا ينشر لهم ديوان يصب عليهم الاجر صبا
فيود اهل العافية في الدنيا لو انهم كانت اجسادهم تقرض بالمقاريض
لما يرون ما يذهب به اهل البلاء فذلك قوله سبحانه وتعالى انما يوفى الصابرون
اجرهم بغير حساب وعن ابن عباس رضي الله عنه قال

الشكر

ثواب البلاء

ثواب الاعمى

الموت

الصابرون

الكافر نعمة الدنيا والمؤمن محنة

نخشى
شكى نبي من الانبياء عليهم السلام الى ربه فقال يا رب العبد المؤمن يطيعك و
يجتنب معاصيك تزوي عنه الدنيا وتعرضه للبلاء ويكون العبد الكافر لا يطيعك
ويجترئ على معاصيك تزوي عنه البلاء وتبسط له الدنيا فاوحى الله تعالى اليه ٥
ان العباد لي والبلاء لي وكل يسبح بحمدي فيكون المؤمن عليه من الذنوب فازوي عنه
الدنيا واعرض له البلاء فيكون ذلك كفارة لذنوبه حتى يلقاني فاجزيه بحسناته
ويكون الرجل له حسنات فابسط له في الرزق وازوي عنه البلاء واجزيه بحسناته
في الدنيا حتى يلقاني فاجزيه بسيئاته ويروى انه لما نزلت
قوله تعالى من يعمل سوءا يجز به قال ابو بكر الصديق رضي الله
عنه كيف الفرح بعد هذه الاية فقال عليه السلام غفر الله لك يا ابا بكر الست ٥
تمرض الست يصيبك البلاء الست تحزن فهذا ما تجزون به يعني ان جميع ما يصيبك
كفارة ٥ وعن عقبة ابن عامر رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه

عطاء الله تعالى استدراجا

وسلم انه قال اذا رأيت الرجل يعطيه الله ما يحب وهو مقيم على معصيته
فاعلموا ان ذلك استدراج ثم قرأ قوله تعالى فلما نسوا ما ذكروا به فتحنا عليهم
ابواب كل شيء حتى اذا فرحوا بما اوتوا اي بما اعطوا من الخير اخذناهم بغتة ٥
وعن الحسن رضي الله عنه ان رجلا من الصحابة رأى امرأة كان
يعرفها في الجاهلية فكلمها ثم فارقها وجعل يلتفت اليها وهو يمشي فصدمه جدار
فاثر في وجهه فاتى النبي صلى الله عليه وسلم فاخبره فقال اذا اراد الله بعبد
خيرا عجل له عقوبة ذنبه في الدنيا وقال علي رضي الله عنه الا اخبركم

المصائب بسبب الذنوب

بارجى اية في كتاب الله قالوا بلى فقرأ عليهم وما اصابكم من مصيبة فبما كسبت
ايديكم ويعفو عن كثير فالمصائب في الدنيا بكسب الاوزار فاذا عاقبه الله تعالى ٥
فالله اكرم من ان يعذبه يوم القيمة وعن انس رضي الله عنه عن النبي عليه
السلام ما تجرع عبد قط جرعتين احب الى الله تعالى من جرعة غيظ ردها
بحلم وجرعة مصيبة يصبر الرجل لها ولا قطرت قطرة احب الى الله تعالى من
قطرة دم اهريقت في سبيل الله وقطرة دمع في سواد الليل وهو ساجد لا يراه
الا الله وما خطا خطوتين احب الى الله تعالى من خطوة الى الصلاة الفريضة ٥

الصلوة وصلة الرحم

وخطوة الى صلة رحم وعن ابي الدرداء رضي الله عنه قال توفي ابن
لسليمان بن داود عليهما السلام فوجد عليه وجدا شديدا فاتاه ملكان فجلسا

فجلسا بين يديه في زي الخصوم فقال أحدهما بذرت بذرا ولم استحصده فمر به هذا فافسده فقال للآخر ما تقول فقال أخذت الجادة فاتيت على زرع فنظرت يمينا وشمالا فاذا الطريق عليه فقال له سليمان ولم بذرت على الطريق اما علمت انه لا بد للناس من الطريق فقال فلم تحزن على ولدك اما علمت ان الموت سبيل الى الآخرة فتاب سليمان الى ربه ولم يجزع على ولده بعد ذلك ❊ ودخل عمر ابن عبد العزيز رضي الله عنه على ولد له وهو مريض فقال يا بني لان تكون في ميزاني احب الي ان اكون في ميزانك ❊ فقال يا ابت لان يكون ما تحب احب الي من ان يكون ما احب وعن ابن عباس رضي الله عنه انه نعي له ابنة له وهو في سفر فاسترجع وقال عورة سترها الله ومؤنة كفاها الله واجر قد ساقه الله ثم نزل فصلى ركعتين ثم قال قد صنعنا ما امرنا الله قال سبحانه واستعينوا بالصبر والصلاة ❊ الآية وعن ابن المبارك رضي الله عنه انه مات له ابن فعزاه مجوسي بتعزية فقال ينبغي للعاقل ان يفعل ما يفعله الجاهل بعد خمسة ايام فقال ابن المبارك اكتبوا عنه هذه ❊ وقال بعض العلماء ان الله سبحانه يبتلي العبد بالبلاء بعد البلاء حتى يمشي على الارض وما له ذنب ❊ وقال الفضيل رضي الله عنه ان الله تعالى ليتعاهد عبده المؤمن بالبلاء كما يتعاهد الرجل اهله بالخير وقال حاتم الاصم رحمه الله ان الله تعالى يحتج على الخلق باربعة انفس على اربعة اجناس على الاغنياء بسليمان عليه السلام وعلى الفقراء بعيسى عليه السلام وعلى المرضى بايوب عليه السلام وعلى العبيد بيوسف عليه السلام وروي ان زكريا لما هرب من الكفار ❊ وبني اسرائيل واختفى في شجرة عرفوا ذلك فجيء بالمنشار عليه السلام فنشرت الشجرة ❊ حتى بلغ المنشار الى راس زكريا عليه السلام فان انة فاوحى الله تعالى اليه يا زكريا ان صعدت منك انة ثانية لامحونك من ديوان النبوة فعض ❊ زكريا على الصبر حتى قطع نصفين ❊ وقال ابو مسعود البلخي من اصيب بمصيبة فمزق ثوبا او ضرب صدرا فكانما اخذ رمحا يقاتل به ربه ❊ ❊ ❊ وقال لقمان عليه السلام لابنه يا بني ❊ ان الذهب يجرب بالنار والعبد الصالح يجرب بالبلاء واذا احب الله تعالى قوما ابتلاهم فمن رضي فله

الموت الولد

ابتلاء الله

نعم النفس جم

الشكاية من البلاء

الرضى ومن سخط فله السخط ۞ وقال الاحنف ابن قيس اصبحت يوما اشتكي ضرسي فقلت لعمي ما نمت البارحة من وجع الضرس حتى قلتها ثلاثا فقال لقد اكثرت من ضرسك في ليلة واحدة وقد ذهبت عيني منذ ثلاثين سنة ما علم بها احد واوحى الله سبحانه الى عزير عليه السلام اذا انزلت بك بلية فلا تشكني الى خلقي كما لا اشكوك لملائكتي ۞ اذا صعدت مساويك وفضائحك ۞

بيان فضل النعمة على البلاء

لعلك تقول هذه الاخبار تدل على ان البلاء خير في الدنيا من النعم فهل لنا ان نسئل الله البلاء فاقول لا وجه لذلك لما روي عن النبي عليه السلام انه كان يستعيذ في دعائه من بلاء الدنيا وبلاء الآخرة وكان يقول هو والانبياء عليهم السلام ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وكانوا يستعيذون من شماتة الاعداء وغير ذلك وقال علي رضي الله عنه اللهم اني اسئلك الصبر فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم لقد سألت الله البلاء ۞ فاسئله العافية وروى الصديق رضي الله عنه انه عليه السلام قال سلوا الله العافية فما اعطي عبدا افضل من العافية الا اليقين واشار باليقين الى عافية القلب من مرض الجهل والشك فعافية القلب اعلى من عافية البدن وقال الحسن رضي الله عنه الخير الذي لا شر فيه العافية مع الشكر فكم من منعم عليه غير شاكر وقال مطرف ابن عبد الله رضي الله عنه لان اعافى فاشكر خير من ان ابتلى فاصبر ۞ وقال النبي عليه السلام في دعائه وعافيتك احب الي وهذا اظهر من ان يحتاج فيه الى استشهاد وهذا لان البلاء صار نعمة باعتبارين احدهما بالاضافة الى ما هو اكبر منه اما في الدنيا واما في الآخرة بالاضافة الى ما يرجى من الثواب فينبغي ان يسأل الله تمام النعمة في الدنيا ودفع ما فوقه ونسئله الثواب في الآخرة على الشكر من نعمه على الصبر فان قلت فقد قال بعضهم اود ان اكون جسرا على النار يعبر على الخلق فينجون وانا في النار ۞

۞ وقال سمنون ۞

ن وفضل النعم على البلاء

البلاء خير من النعم

مرض الجهل

صافة

معنى بعض الفضلاء احب ان اكون اكون جسرا جهنم واكون وحدي فيها

وليس لي في سواك حظ • فكيف ما شئت فاختبرني •

وهذا من هؤلاء سؤال البلاء. فاعلم انه حكي ان سمنون بلي بعد هذا البيت بعلة الاسور فكان بعد ذلك يدور على ابواب المكاتب ويقول للصبيان ادعوا لعمكم الكذاب • واما محبة الانسان لان يكون هو في النار وحده دون سائر الخلق فغير ممكن ولكن قد تغلب المحبة على القلب حتى يظن المحب بنفسه انه يحب مثل ذلك فمن شرب كاس المحبة سكر ومن سكر توسع في الكلام ولو زايله سكره علم ان ما غلب عليه كانت حالة لا حقيقة لها فما تسمعه من هذا الفن فهو كلام العشاق الذين افرط حبهم وكلام العشاق يستلذ ولا يعول عليه كما حكي ان فاختة كان زوجها يراودها فمنعته فقال ما الذي يمنعك عني فلو اردت ان اقلب ملك سليمان ظهرا لبطن لفعلت لاجلك فسمعه سليمان عليه السلام فاستدعاه وعاتبه فقال يا نبي الله كلام العشاق لا يحكى وهو كما قال الشاعر

• اريد وصاله ويريد هجري • فاترك ما اريد لما يريد •

وذلك ايضا محال ومعناه اني اريد ما لا اريد لان من اراد الوصال ما اراد الهجر فكيف اراد الهجر الذي لم يرده بل لا يصدق هذا الكلام الا بتاويلين احدهما ان يكون ذلك في بعض الاحوال حتى يكتسب به رضاه الذي يتوصل به الى مراد الوصال في الاستقبال فيكون الهجران وسيلة الرضى والرضى وسيلة الوصال المحبوب والوسيلة الى المحبوب محبوبة فيكون مثاله مثال محب المال اذا سلم درهما في درهمين فهو لحب الدرهمين يترك الدرهم في الحال الثاني ان يصير رضاه عنده مطلوبا من حيث انه رضى وقد تكون له لذة في استشعاره رضى محبوبه منه تزيد تلك اللذة على لذته في مشاهدته مع كراهيته فعند ذلك يتصور ان يريد ما فيه الرضى فكذلك قد انتهى حال بعض المحبين الى ان صار لذاتهم في استشعارهم رضى الله عنهم اكثر من لذاتهم في العافية • من غير شعور الرضى فهؤلاء اذا قدروا رضاه في البلاء صار البلاء احب اليهم من العافية وهذه حالة لا يبعد وقوعها في غلبات الحب ولكنها لا تثبت مثلا فقد هي في حالة صحيحة ام هي حالة اقتضتها حالة اخرى وردت على القلب فمالت به عن الاعتدال فهذا فيه نظر وذكر حقيقته لا يليق بما نحن فيه •

وقد ظهر بما سبق أن العافية خير من البلاء، فنسأل الله العفو والعافية في الدين والدنيا والآخرة ۝

بيان الأفضل من الصبر والشكر

اعلم أن الناس اختلفوا في ذلك فقال قائلون الصبر أفضل من الشكر ۝ وقال آخرون الشكر أفضل من الصبر وقال آخرون هما سيان وقال آخرون يختلفان باختلاف الأحوال واستدل كل فريق منهم بكلام شديد ۝ الاضطراب بعيد عن التحصيل فلا معنى للتطويل بالنقل بل المبادرة إلى إظهار الحق أولى فنقول في بيان ذلك مقامان المقام الأول البيان على سبيل التساهل وهو أن ينظر إلى ظاهر الأمر ولا يطلب بالتفتيش حقيقته وهو البيان الذي ينبغي أن يخاطب به عوام الخلق لقصور أفهامهم عن درك الحقائق الغامضة وهذا الفن من الكلام هو الذي ينبغي أن يعتمده الواعظ إذ مقصود كلامه مخاطبة العوام إصلاحهم والمشفقة لا ينبغي أن تضع الصبي الطفل بالطيور السمان ۝ وضروب الحلويات بالتبن وعليها أن تؤخر عنه أطايب الأطعمة إلا أن يصير محتملاً لها بقوته ويفارق الضعيف الذي هو عليه في نفسه فنقول هذا المقام في البيان يأبى البحث والتفصيل ومقتضاه النظر إلى الظاهر المفهوم من موارد الشرع ۝ وذلك يقتضي تفضيل الصبر فإن الشكر وإن وردت أخبار في فضله فإذا أضيف إليها ما ورد في فضيلة الصبر كانت فضائل الصبر أكثر بل فيها ألفاظ صريحة في التفضيل كقوله عليه السلام من أفضل ما أوتيتم اليقين وعزيمة الصبر ۝ وفي الخبر يؤتى بأشكر أهل الأرض فيجزيه الله جزاء الشاكرين ويؤتى بأصبر أهل الأرض فيقال له أترضى أن نجزيك كما جزينا هذا الشاكر فيقول نعم يا رب فيقول كلا أنعمت عليه فشكر وابتليت فصبرت لأضعفن لك الأجر عليه فيعطى أضعاف جزاء الشاكرين وقد قال الله سبحانه إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب ۝ وأما قوله الطاعم الشاكر بمنزلة الصائم الصابر فهو دليل على أن الفضيلة في الصبر إذ ذكرنا ذلك في معرض المبالغة لرفع درجة الشكر فألحق بالصبر وكا

أأفضل الصبر أم الشكر

بيان الأفضل من الصبر والشكر

الواعظ

الغني والفقر

اهل المصايب

وكان هذا منتهى درجة فلولا انه فهم من الشرع علو درجة الصبر لما كان الحاق
الشكر به مبالغة في الشكر وهو كقوله عليه السلام الجمعة حج الفقرا وجهاد
المراة حسن التبعل وقوله شارب الخمر كعابد الوثن وابدا المشبه به ينبغي ان
يكون اعلا رتبة وكذلك قوله عليه السلام الصبر نصف الايمان فلا يدل على ان
الشكر مثله وفي الخبر اخر الانبيا عليهم السلام دخولا
الجنة سليمان عليه السلام لمكان ملكه واخر صحابي دخولا الجنة
عبد الرحمن ابن عوف لمكان غناه وفي لفظ اخر يدخل سليمان عليه السلام بعد
الانبيا عليهم السلام باربعين خريفا وفي الخبر ابواب الجنة كلها مصراعان
الا باب الصبر فانه مصراع واحد واول من يدخل الجنة اهل البلا امامهم ايوب
عليه السلام وكل ما ورد في فضايل الفقر يدل على فضيلة الصبر لان الصبر
حال الفقر والشكر حال الغنا فهذا هو المقام الذي يقنع العوام ويكفيهم
في الوعظ اللايق بهم والتعريف لما فيه صلاح دينهم المقام الثاني هو المقام
هو البيان نقصد به تعريف اهل العلم والاستبصار بحقايق الامور بطريق الكشف
والايضاح فنقول فيه كل امرين مبهمين لا يمكن الموازنة بينهما مع الابهام
ما لم ينكشف عن حقيقة كل واحد منهما وكل مكشوف يشتمل على اقسام لا يمكن
الموازنة بين الجملة بل يجب ان ينفرد الاحاد بالموازنة حتى يتبين الرجحان
والصبر والشكر اقسامهما وشعبهما كثيرة ولا يتبين حكمهما في الرجحان
والنقصان مع الاجمال فنقول قد ذكرنا ان هذه المقامات
تنتظم من ثلثة امور علوم واحوال واعمال والشكر والصبر وساير المقامات
هي كذلك وهي الثلث اذا وزنت البعض منها بالبعض لاح الى الظاهرين ان العلوم
تراد للاحوال والاحوال تراد للاعمال فالاعمال هي الافضل واما ارباب البصاير
فالامر عندهم بالعكس من ذلك فان الاعمال تراد للاحوال والاحوال تراد للعلوم
فالافضل العلوم ثم الاحوال ثم الاعمال لان كل مراد لغيره فذلك الغير لا محالة افضل
منه واما احاد هذه الثلثة فالاعمال قد تتساوى وتتقارب وقد تتفاوت
اذا اضيف بعضها الى بعض وكذا احاد المعارف وافضل المعارف علوم المكاشفة
وهي ارفع من علوم المعاملة بل علوم المعاملة دون المعاملة فانها تراد للمعاملة
ففايدتها اصلاح العمل وانما فضل العالم بالمعاملة على العابد اذ كان علمه

العلم المكاشفة

احوال القلب

مثال اصلاح القلب

ممن يعم نفعه فيكون بالاضافة الى عمل خاص افضل والا فالعلم الخاص ليس
بافضل من العمل القاصر فنقول ـــــــ فايدة اصلاح العمل اصلاح حال
القلب ان ينكشف له جلال الله تعالى في ذاته وصفاته وافعاله فارفع علوم
المكاشفة معرفة الله سبحانه وتعالى وهي الغاية التي تطلب لذاتها فان
السعادة تنال بها بل عين السعادة ولكن قد لا يشعر القلب في الدنيا بانها السعادة
وانما يشعر بها في الاخرة فهي المعرفة الحرة التي لا قيد عليها ولا تقيد لغيرها
وكل ما عداها من المعارف عبيد وخدم بالاضافة اليها فانها تولد لاجلها وكلما
كانت مرادة لاجلها كان تفاوتها بحسب نفعها بالافضاء الى معرفة الله سبحانه
فان بعض المعارف يفضي الى البعض اما بواسطة واما بوسايط كثيرة فكلما كانت
الوسايط بينه وبين معرفة الله تعالى اقل فهي الافضل واما الاحوال فنعني بها
احوال القلب في تصفيته وتطهيره عن شوايب الدنيا وشواغل القلب حتى اذا طهر
وصفا انضحت حقيقة الحق فاذا فضايل الاحوال بقدر تاثيرها في اصلاح القلب
وتطهيره واعداده لان تحصل له علوم المكاشفة وكما ان تصقيل المراة يحتاج ان
يتقدم على تمامه احوال المراة بعضها اقرب الى الصقالة من بعض فكذلك احوال القلب
فالحالة القريبة او المقربة من صفاء القلب هي افضل مما دونها لا محالة بسبب
القرب من المقصود وهكذا ترتيب الاعمال فان تاثيرها في تاكيد صفاء القلب
وجلب الاحوال اليه وكل عمل فاما ان يجلب الى القلب حالة مانعة من المكاشفة
موجبة في القلب جاذبة الى زخارف الدنيا واما ان يجلب اليه حالة مهيئة للمكاشفة
موجبة لصفاء القلب وقطع علايقه عن الدنيا واسم الاول المعصية واسم الثاني
الطاعة والمعاصي من حيث التاثير في ظلمة القلب وقساوته متفاوتة فكذا الطاعات
في تنوير القلب وتصفيته فدرجاتها بحسب درجات تاثيرها وذلك يختلف باختلاف
الاحوال وذلك اما بالقول المطلق فانا نقول الصلاة النافلة افضل من كل عبادة
وان الحج افضل من الصدقة وقيام الليل افضل من قيام غيره ولكن التحقيق فيه ان الغني
الذي معه مال وقد غلبه البخل وحب المال على امساكه فاخراج درهم له افضل من
قيام ليال وصيام ايام لان الصيام يليق بمن غلبته شهوة البطن فاراد كسرها
او منعه الشبع من صفاء القلب للفكر في علوم المكاشفة فاراد تصفية القلب
بالجوع فاما هذا المريد اذا لم تكن حالة هذه الاحوال فليس يستنضر شهوة بطنه

بطنه ولا هو مشتغل بنوع فكر يمنعه الشبع منه فاشتغاله بالصوم خروج منه عن حاله
إلى حال غيره وهو كالمريض الذي يشكو وجع البطن إذا استعمل دواء الصداع فلا ينتفع به
بل حقه أن ينظر في المهلك الذي استولى الشح المطاع من جملة المهلكات ولا يزيل صيام
مائة سنة وقيام ألف ليلة منه ذرة بل لا يزيله إلا إخراج المال فعليه أن يتصدق بما
معه وتفصيل هذا ذكرناه في ربع المهلكات فليرجع إليه فإذا باعتبار هذه الأحوال
تختلف وعند ذلك يعرف البصير أن الجواب المطلق فيه خطأ ولو قال قائل الخبز أفضل أم الماء
لم يكن فيه جواب حق إلا أن الخبز للجائع أفضل والماء للعطشان أفضل فإن اجتمعا فلينظر
إلى الأغلب فإن كان العطش هو الأغلب فالماء أفضل وإن تساويا فهما متساويان كما إذا
قيل السكنجبين أفضل أم النيلوفر لم يصح الجواب عنه مطلقا إطلاقا نعم لو قيل لنا
السكنجبين أفضل أم عدم الصفراء فنقول عدم الصفراء إلا أن السكنجبين مراد
له وما يراد لغيره فذلك الغير أفضل منه لا محالة فإذا في بذل المال عمل وهو الإنفاق
ويحصل به حال وهو زوال البخل وخروج حب الدنيا من القلب ويصفو القلب
بسبب خروج حب الدنيا من القلب لمعرفة حب الله تعالى وقلبه فالأفضل المعرفة
ودونه الحال ودونه العمل **فإن قلت** فقد حث الشرع على الأعمال وبالغ
في ذكر فضلها حتى طلب الصدقات بقوله تعالى من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا
وقال تعالى ويأخذ الصدقات فكيف لا يكون الفعل بالإنفاق هو الأفضل **فاعلم**
أن الطبيب إذا أثنى على الدواء لم يدل على أن الدواء مراد لعينه أو على أنه أفضل
من الصحة والشفاء الحاصل به ولكن الأعمال علاج لمرض القلب ومرض القلب مما لا
يشعر به فهو كبرص على وجه من لا مرآة له فإنه لا يشعر به ولو ذكر له لم يصدق به
فالسبيل معه المبالغة والثناء على غسل الوجه بماء الورد مثلا إن كان ماء الورد يزيل
البرص حتى يستحثه فرط الثناء على المواظبة فيزول برصه فإن لو ذكر له أن المقصود
زوال البرص عن وجهك ربما ترك العلاج وزعم أن وجهه لا عيب فيه ولنضرب
مثلا أقرب من هذا فنقول من له ولد علمه العلم أو القرآن فأراد أن يثبت ذلك في حفظه
بحيث لا يزول عنه وعلم أنه لو أمره بالتكرار والدراسة ليبقى له محفوظا لقال
إنه محفوظ ولا حاجة إلى تكرار الدراسة لأنه يظن إنما حفظه في الحال يبقى كذلك
أبدا وكان له عبيد فأمر الولد بتعليم العبيد ووعده على ذلك بالجميل ليوفر
داعيته على كثرة التكرار والتعليم فربما ظن الصبي أن المقصود تعليم العبيد

مثال مرض القلب

القرآن وأنه قد استخدم لتعليمهم فيستشكل عليه الأمر فيقول ما بالي قد استخدمت لأجل العبيد
وأنا أجل منهم وعند الوالد أعز وأعلم أن أبي لو أراد تعليم العبيد لقدر عليه دون تكليفي وأعلم
أنه لا نقصان لأبي لفقدها ولا للعبيد وصلاً عن عدم علمهم بالقرآن فربما يتحاسل هذا
المسكين ويقول تعليمهم اعتماداً على استغناء أبيه وعلى كرمه بالعفو عنه فينسى العلم
والقرآن ويبقى مدبراً أسيراً وما حيث لا يدري وقد انخدع بمثل هذا الخيال طائفة وسلكوا
طريق الإباحة فقالوا إن الله غني عن عبادتنا وعن أن يستقرض منا فأي معنى لقوله تعالى
من ذا الذي يقرض الله قرضاً حسناً ولو شاء إطعام المساكين لأطعمهم ولا حاجة بنا إلى صرف

سؤال وجواب

أموالنا إليهم كما قال حكاية عن الكفار وإذا قيل لهم أنفقوا مما رزقكم الله قال الذين
كفروا للذين آمنوا أنطعم من لو يشاء الله أطعمه وقالوا أيضاً لو شاء الله ما أشركنا ولا آباؤنا
فانظر كيف كانوا صادقين في كلامهم وكيف هلكوا بصدقهم فسبحان من إذا شاء أهلك
بالصدق وإذا شاء أسعد بالجهل يضل به كثيراً ويهدي به كثيراً وما يضل به إلا الفاسقين
فهؤلاء لما ظنوا أنهم استخدموا لأجل المساكين والفقراء أو لأجل الله تعالى ثم قالوا لا حظ لله
فينا ولا في أموالنا أنفقنا أو أمسكنا هلكوا كما هلك الصبي لما ظن أن مقصود الوالد استخدامه
لأجل العبيد ولم يشعر أنه إنما كان المقصود ثبات صفة العلم في نفسه وتأكده في قلبه
حتى يكون ذلك سبب سعادته في الدنيا وإنما كان ذلك من الوالد تلطفاً به في استجراره
إلى ما فيه سعادته فهذا المثال يبين لك ضلال من ضل عن هذا الطريق فإن المسكين لأخذه
المال يسعى في بواسطة المال حب البخل وحب الدنيا من باطنك فإنه مهلك لك كالحجام
مستخرج الدم منك يخرج بخروج الدم العلة المهلكة من باطنك فالحجام خادم لك لا أنت
خادم للحجام ولا يخرج الحجام عن كونه خادماً بأن يكون له غرض في أن يصنع شيئاً بالدم ولما كانت
الصدقات مطهرة للبواطن مزكية لها من خبائث الصفات امتنع رسول الله صلى الله عليه وسلم
من أخذها وانتهى عنها كما نهى عن كسب الحجام وسماها أوساخ الناس وشرف أهل بيته بالصيانة
عنها والمقصود أن الأعمال مؤثرات في القلب كما سبق في ربع المهلكات والقلب بحسب ذلك
يستعد لقبول الهداية ونور المعرفة فهذا هو القول الكلي والقانون الأصلي الذي ينبغي
أن يرجع إليه في فضائل الأعمال والأحوال والمعارف فلنرجع الآن إلى خصوص ما نحن فيه
من الصبر والشكر فنقول كل واحد منهما معرفة وحال وعمل ولا نقول أن تقابل المعرفة
في أحدهما بالحال والعمل في الآخر بل نقابل كل واحد بنظيره حتى يظهر التناسب وبعد
التناسب يظهر الفضل ومهما قوبلت معرفة الصابر بمعرفة الشاكر فربما رجحا إلى معرفة

مثال من ضل عن الطريق

الفرق بين الصبر والشكر

انواع الصبر

معرفة واحدة اذ معرفة الشاكر ان يرى صحة العينين من الله عز وجل ومعرفة الصابر
ان يرى العمى من الله تعالى وهما معرفتان متلازمتان ومتساويتان هذا ان اعتبر في البلاء
والمصائب وقد بينا ان الصبر يكون على الطاعة وعلى المعصية وفيهما يتحد الصبر والشكر
لان الصبر على الطاعة شكر الطاعة لان الشكر راجع الى صرف نعمة الله عز وجل الى ما هو
المقصود منه بالحكمة والصبر راجع الى ثبات باعث الدين في مقابلة باعث الهوى
والصبر والشكر اسمان لمسمى واحد باعتبارين مختلفين فاثبات باعث الدين في مقابلة
باعث الهوى يسمى صبرا بالاضافة الى باعث الهوى ويسمى شكرا بالاضافة الى باعث
الدين اذ باعث الدين انما خلق لهذه الحكمة وان يصرع ويصرفه مقصود الحكمة فهما
باعتبارين عن معبر واحد فكيف يفضل الشيء على نفسه فاذا مجالات الصبر ثلاثة
الطاعة والمعصية والبلاء وقد ظهر حكمها في الطاعة والمعصية واما البلاء فهو عبارة
عن فقد النعمة والنعمة اما ان تقع ضروري كالعينين واما ان تقع في محل كالزيادة على
قدر الكفاية من المال اما العينين فصبر الاعمى عنهما بان لا يظهر الشكوى ويضمر
الرضا بقضاء الله تعالى ولا يترخص بسبب العمى في بعض المعاصي وشكر البصير عليهما
من حيث العمل بامرين احدهما ان لا يستعين بهما على معصية والاخر ان يستعملهما
في الطاعة وكل واحد من الامرين لا يخلو عن الصبر وان الاعمى كفي الصبر عن الصور المليحة
لانه لا يراها والبصير اذا وقع بصره على جميل فصبر كان شاكرا لنعمة العينين وان اتبع
كفر نعمة العينين فقد دخل الصبر في شكره وكذلك اذا استعان بالعينين في الطاعة
فلا بد فيه ايضا من صبر على الطاعة ثم قد شكرهما بالنظر الى عجائب صنع الله تعالى لن
يتوصل به الى معرفة الله تعالى ويكون هذا الشكر افضل من الصبر ولولا هذا لكانت
رتبة شعيب عليه السلام مثلا وقد كان ضريرا من الانبياء فوق رتبة موسى عليه السلام
لانه صبر على فقد البصر وموسى لم يصبر ولكان الكمال في ان يسلب الانسان الاطراف
كلها ويترك الانسان كلحم على وضم وذلك محال جدا لان كل واحد من هذه الاعضاء
آلة في الدين فيفوت بفواتها ذلك الركن من الدين وشكره استعماله بما هو آلة فيه
من الدين وذلك لا يكون الا بصبر واما ما يقع في محل الحاجة كالزيادة على الكفاية
من المال فانه اذا لم يؤت الا قدر الضرورة وما هو محتاج اليه فهي الصبر عنه مجاهدة
وموجبها الفقر ووجود الزيادة نعمة وشكرها ان يصرف الى الخيرات وان لا يستعمل
في المعصية فان اضيف الصبر الى الشكر الذي هو مصروف الى الطاعة فالشكر افضل

لانه لا يضر الصبر ايضا فيه فرح بنعمة الله تعالى وفيه احتمال الاثم في صرفه الى الفقرا
وترك صرفه في التنعم المباح وكان الحاصل انما يرجع الى شيئين افضل ما يرجع الى شي واحد
وان الجملة اعلا رتبة من البعض وهذا فيه خلل اذ لا يصح الموازنة بين الجملة وبين ابعاضها
واما اذا شكره بان لا يستعين به على معصية بل يصرفه الى التنعم المباح فالصبر ههنا
افضل من الشكر والفقير الصابر افضل من الغني الممسك ماله الصارفه الى المباحات
لا من الغني الصارف ماله الى الخيرات لان الفقير قد جاهد نفسه وترك نهمتها واحسن الرضا
على بلاء الله تعالى وهذه الحالة تستدعي لا محالة قوة والغني اتبع نهمته واطاع شهوته
واقتصر على المباح وفي المباح مندوحة عن الحرام ولكن لا بد من قوة الصبر عن الحرام ايضا
الا ان القوة التي تصدر عنها صبر الفقير اعلا واتم من القوة التي عنها تصدر الاقتصاد
في التنعم على المباح والسر لتلك القوة التي يدل العمل عليها فان الاعمال لا تراد الا
لاحوال القلب وتلك القوة حالة للقلب تختلف بحسب قوة اليقين والايمان فما دل
على زيادة قوة الايمان فهو افضل لا محالة وجميع ما ورد في فضل اجر الصبر على اجر
الشكر في الاخبار والآيات انما اريد به هذه الرتبة على الخصوص لان السابق الى افهام
الناس من النعمة الاموال والغنا بها والسابق الى الافهام من الشكر ان يقول الحمد لله
ولا يستعين بالنعمة على المعصية الا ان يصرفه عن الطاعة فاذا الصبر افضل من الشكر
اي الصبر الذي تفهمه العامة افضل من الشكر الذي تفهمه العامة والى هذا المعنى على الخصوص
اشار الجنيد حيث سئل عن الصبر والشكر ايهما افضل فقال ليس مدح الغني
بالوجود ولا مدح الفقير بالعدم وانما المدح في الاثنين قيامهما بشروط ما عليهما
فشرط الغني يصحبه فيما عليه اشيا تلائم صفته وتمتعها والفقير يصحبه فيما عليه اشيا
تلائم صفته وتمتعها وتزعجها فاذا كان الاثنان قائمان لله تعالى بشرط ما عليهما كان الذي
الم صفته وازعجها اتم حالا ممن متع صفته وانعمها والامر على ما قاله صحيح من جملة اقسام
الصبر والشكر في القسم الاخير الذي ذكرناه وهو لم يرد سواه ويقال كان
العباس ابن عطا خالفه في ذلك وقال الغني الشاكر افضل من الفقير الصابر فدعا عليه
الجنيد فلحقه ما اصابه من البلا من قتل اولاده وتلف ماله وزوال عقله اربع عشر سنة
وكان يقول دعوة الجنيد اصابتني ورجع الى تفضيل الفقير الصابر على الغني الشاكر
فمهما لاحظت المعاني التي ذكرناها علمت ان لكل واحد من القولين وجها في بعض الاحوال
فرب فقير صابر افضل من غني شاكر كما سبق ورب غني شاكر افضل من فقير صابر وذلك

افضلية الغني والفقير

بين الصبر والشكر

وذلك هو الغني الذي سر نفسه مثل الفقير الذي لا يمسك لنفسه إلا قدر الضرورة
والباقي يصرفه إلى الخيرات أو يمسكه على اعتقاد أنه خازن المحتاجين والمساكين
وإنما ينتظر حاجة تسنح لبعضهم فيصرفه إليها ثم إذا صرف لم يصرفه لطلب جاه ولا
صيت ولا لتقليد منة بل أداء لحق الله سبحانه في تفقد عباده فهذا أفضل من الفقير
الصابر. فإن قلت هذا الأمر لا يثقل على نفس الغني والفقير يثقل
عليه الفقر لأن هذا يستشعر لذة القدرة وذلك يستشعر ألم الصبر فإن كان
متألماً بفراق المال فهو متلذذ بلذته في القدرة على الإنفاق فاعلم أن الذي نراه
أن من ينفق ماله على رغبة وطيب نفس أعلى حالاً ممن ينفقه وهو بخيل به وإنما يقتطعه
عن نفسه قهراً وقد ذكرنا تفصيل هذا فيما سبق من كتاب التوحيد فإيلام النفس
ليس مطلوباً لعينه بل لتأديبها وذلك يضاهي ضرب كلب الصيد والكلب المتأدب
أكمل من الكلب المحتاج إلى الضرب فإن كان صابراً على الضرب ولذلك يحتاج إلى الإيلام
والمجاهدة في البداية ولا يحتاج إليه في النهاية بل النهاية أن يصير ما كان مؤلماً في حقه
لذيذاً عنده كما يصير التعلم عند الصبي إذا عقل لذيذاً وقد كان مؤلماً أولاً ولكن كان
الناس كلهم إلا الأقلين في البداية فلذلك أطلق الجنيد رحمه الله القول بأن الذي لم
صفته أفضل وهو كما قال صحيح فيما أراده من عموم الخلق فإذا كنت لا
تفصل الجواب وتطلقه لإرادة الأكثر فأطلق القول بأن الصبر أفضل من الشكر
فإنه صحيح بالمعنى السابق إلى الأفهام فأما إذا أردت التحقيق ففصل بأن للصبر درجات
أعلاها ترك الشكوى مع الكراهة ووراءه الرضى وهو مقام وراء الصبر ووراءه الشكر
على البلاء وهو وراء الرضى إذ الصبر مع الألم وكذلك للشكر درجات كثيرة وقد ذكرنا
أقصاها ويدخل في جملتها أمور دونها فإن حياء العبد من تتابع نعم الله تعالى عليه
شكر ومعرفته بتقصيره عن الشكر شكر والاعتذار من قلة الشكر شكر والمعرفة
بعظيم حلم الله وكنف ستره شكر والاعتراف بأن النعم ابتداء من الله من غير استحقاق
شكر والعلم بأن الشكر أيضاً نعمة من الله تعالى وموهبة منه شكر وحسن التواضع
بالنعم من التذلل فيها شكر وشكر الوسائط شكر إذ قال عليه السلام من لم
يشكر الناس لم يشكر الله وقد ذكرنا حقيقة ذلك في كتاب أسرار الزكاة
وقلة الاعتراض وحسن الأدب بين يدي المنعم شكر وتلقي النعم بحسن القبول
واستعظام صغيرها شكر مما يندرج من الأحوال والأعمال تحت اسم الصبر والشكر لا تحصر

درجات الصبر والشكر

حديث من لم يشكر الناس

أحاده وهي درجات مختلفة فكيف يمكن إجمال القول بتفضيل أحدهما على الآخر إلا على
سبيل إرادة الخصوص باللفظ العام كما ورد في الأخبار والآثار وقد روي عن بعضهم
أنه قال رأيت في بعض الأسفار شيخاً كبيراً قد طعن في السن فسألته عن حاله فقال
إني كنت في ابتداء أمري أهوى بنت عم لي وكانت كذلك تهواني فاتفق أنها زوجت مني
فليلة زفافها قالت تعال حتى نحيي هذه الليلة شكراً لله تعالى على جمعنا فصلينا تلك
الليلة ولم يتفرغ أحدنا إلى صاحبه فلما كانت الليلة الثانية قلنا مثل ذلك فمنذ
سبعين سنة نحن على تلك الحالة كل ليلة أليس كذلك يا فلانة والعجوز كانت معه فقالت
العجوز هو كذلك كما قال الشيخ فانظر إليهما لو صبرا على بلاء الفرقة لم يجمع الله بينهما
وانسب صبر الفرقة إلى شكر الوصال على هذا الوجه فلا يخفى عليك أن هذا الشكر أفضل
فإذاً لا وقوف على حقائق المفضلات إلا بتفصيل كما سبق والله أعلم بالصواب

تم كتاب الصبر والشكر

والحمد لله وحده وصلواته على سيدنا محمد
وآله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً كثيراً

كتاب الرجا والخوف

بسم الله الرحمن الرحيم • اللهم صل وسلم على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم

الحمد لله المرجو لطفه وثوابه المخوف مكره وعقابه الذي عمر قلوب أوليائه
بروح رجائه حتى ساقتهم بلطائف آلائه إلى النزول بفنائه • والعدول عن دار بلائه
التي هي مستقر أعدائه • وضرب بسياط التخويف وزجر التعنيف وجوه المعرضين عن حضرته
وردهم إلى دار ثوابه وكرامته • وصدهم عن التعرض لنقمته والتهدف بسخطه ونقمته
قوداً لأصناف الخلق بسلاسل القهر والعنف وأزمة الرفق واللطف إلى جنته والصلاة
على محمد خير أنبيائه وخير خليقته • وعلى أصحابه وعترته • وبعد فإن الرجا والخوف
جناحان بهما يقطع من طريق الآخرة كل عقبة كؤود فلا يقرب إلى قرب الرحمن وروح الجنان
مع كونه بعيد الأرجاء ثقيل الأعباء محفوفاً بمكاره القلوب ومشاق الجوارح والأعضاء
إلا بأزمة الرجاء • ولا يصد عن نار الجحيم والعذاب الأليم مع كونه محفوفاً بلطائف الشهوات
وعجائب اللذات إلا بسياط التخويف وسطوات التعنيف فلا بد إذاً من بيان حقيقتهما
وفضيلتهما وسبيل التوصل إلى الجمع بينهما مع تضادهما وتعاندهما ونحن نجمع ذكرهما
في كتاب واحد مشتمل على شطرين الشطر الأول في الرجاء والشطر الثاني في الخوف

للخوف اما الشطر الاول فيشتمل على بيان حقيقة الرجا وبيان فضيلة الرجا وبيان دوا الرجا والطريق الذي به يجتلب الرجا

بيان الرجا

اعلم ان الرجا من جملة مقامات السالكين واحوال الطالبين وانما يسمى الوصف مقاما اذا ثبت واقام وانما يسمى حالا اذا كان عارضا سريع الزوال وكما ان الصفرة تنقسم الى ثابت كصفرة الذهب والى سريع الزوال كصفرة الوجل والى ما هو بينهما كصفرة المريض فكذلك صفات القلب تنقسم هذه الاقسام فالذي هو غير ثابت يسمى حالا لانه يحول على القرب وهذا جار في كل وصف من اوصاف القلب وغرضنا الان حقيقة الرجا فالرجا ايضا يتم بعلم وحال وعمل العلم سبب يثمر الحال والحال يقتضي العمل وكان الرجا اسم للحال من جملة الثلاث وبيانه ان كل ما يلاقيك من مكروه ومحبوب فينقسم الى موجود في الحال والى موجود فيما مضى والى منتظر في الاستقبال فاذا خطر ببالك موجود فيما مضى يسمى ذكرا وتذكرا وان كان ما خطر بقلبك موجودا في الحال يسمى وجدا لانها حالة تجدها من نفسك وان كان قد خطر ببالك وجود شي في الاستقبال وغلب ذلك على قلبك يسمى انتظارا وتوقعا فان كان المنتظر مكروها حصل منه الم في القلب وارتياح فيسمى ذلك الارتياح رجا فالرجا هو ارتياح القلب لانتظار ما هو محبوب عنده ولكن ذلك المحبوب المتوقع لا بد ان يكون له سبب فان كان انتظاره لاجل حصول اكثر اسبابه فاسم الرجا عليه صادق وان كان ذلك انتظارا مع انخرام اسبابه واضطرابها واسم الغرور والحمق عليه اصدق من اسم الرجا وان لم تكن الاسباب معلومة الوجود ولا معلومة الانتفا فاسم التمني اصدق على انتظاره لانه انتظار من غير سبب وعلى كل حال فلا يطلق اسم الرجا والخوف الا على ما يتردد فيه اما ما يقطع به فلا اذ لا يقال ارجو طلوع الشمس واخاف غروبها وقت المغرب لان ذلك مقطوع به نعم يقال ارجو نزول المطر واخاف انقطاعه وقد علم ارباب القلوب ان الدنيا مزرعة الاخرة والقلب كالارض والايمان كالبذر فيه والطاعات جارية مجرى تقليب الارض وتطهيرها ومجرى حفر الانهار وسياقة الما اليها والقلب المستهتر بالدنيا المستغرق بها كالارض السبخة التي لا ينمو فيها البذر ويوم

مثال صفة القلب

الوجد

ف

القلب كالارض والايمان كالبذر

القيمة يكون الحصاد ولا يحصد احدا الا ما زرع ولا ينموا زرع ما يحصد في القيامة
من الاعمال الا من بذر الايمان وقل ما ينفع الايمان مع خبث القلب وسوء اخلاقه
كما لا ينموا بذر في ارض سبخة فينبغي ان يقاس رجا العبد المغفرة برجا صاحب الزرع
فكل من طلب ارضا طيبة والقى فيها بذرا جيدا غير عفن ولا مسوس ثم اخذه بما يحتاج اليه
وهو سياق الما الى اوقاته ثم طهره ونقاه من الشوك والحشيش وكل ما يمنع نبات البذر
او يفسده ثم جلس منتظرا من فضل الله تعالى دفع الصواعق والافات المفسدة الى ان
يتم الزرع ويبلغ غايته سمي انتظاره رجاء وان بث البذر في ارض صلبة سبخة مرتفعة
لا ينصب اليها ما ولم يشتغل بتعهد البذر اصلا ثم انتظر حصاد الزرع منه سمي انتظاره
حمقا وغرورا لا رجاء وان بث البذر في ارض طيبة ولكن لا ما لها واخذ ينتظر مياه الامطار
حيث لا تغلب الامطار فلا يمتنع ايضا ان يسمى انتظاره لا رجاء فاذا اسم الرجا انما يصدق
عن انتظار محبوب تمهدت جميع اسبابه الداخلة تحت اختيار العبد ولم يبق الا ما ليس
يدخل تحت اختياره وهو فضل الله سبحانه بصرف القواطع والمفسدات فالعبد اذا
بث بذر الايمان وسقاه بما الطاعات وطهر القلب عن شوك الاخلاق الردية ۝
وانتظر فضل الله سبحانه تثبيته عليه الى المنصرف وحسن الخاتمة المفضية الى الاخرة
كان انتظاره رجاء حقيقيا محمودا في نفسه باعثا له على المواظبة والقيام بمقتضى
الايمان في اتمام اسباب المغفرة الى الاموات وان قطع عن بذر الايمان تعهده ۝
بما الطاعات او ترك القلب مشحونا برذايل الاخلاق وانهمك في طلب لذات
الدنيا ثم طلب المغفرة فانتظاره حمق وغرور ۝ وقال صلى الله
عليه وسلم الاحمق من اتبع نفسه هواها وتمنى على الله ۝ وقال تعالى
فخلف من بعدهم خلف ورثوا الكتاب ياخذون عرض هذا الادنى ويقولون ۝
سيغفر لنا وذم صاحب البستان اذ دخل جنته فقال ما اظن ان تبيد
هذه ابدا وما اظن الساعة قايمة ولين رددت الى ربي لاجدن خيرا منها منقلبا ۝
فاذا العبد المجتهد في الطاعات المجتنب للمعاصي حقيق بان ينتظر من فضل الله تعالى
تمام النعمة وما تمام النعمة الا بدخول الجنة واما العاصي فاذا تاب وتدارك جميع ما
فرط منه من تقصير فحقيق بان يرجو قبول التوبة واما قبل التوبة اذا كان كارها للمعصية
تسوؤه السيئة وتسره الحسنة وهو يذم نفسه ويلومها ويشتهي التوبة ويشتاق
اليها فحقيق بان يرجو من الله تعالى التوفيق للتوبة لان كراهة المعصية وحرصه على

مثال القلب الغافل
عجايب

الايمان

مطلب

على التوبة يجري مجرى السبب الذي يفضي الى التوبة وانما الرجا بعد تاكد الاسباب
ولذلك قال تعالى ان الذين امنوا والذين هاجروا وجاهدوا في سبيل الله اولئك
يرجون رحمة الله معناه ان اولئك يستحقون ان يرجوا وما اراد به تخصيص وجود الرجا
لان غيرهم ايضا قد يرجوا ولكن خصص بهم استحقاق الرجا فاما من ينهمك فيما يكرهه
الله تعالى ولا يذم نفسه عليه ولا يعزم على التوبة والرجوع فرجاؤه للمغفرة حمق
كرجاء من بث البذر في ارض سبخة وعزم على ان لا يتعاهدها بسقي ولا تطهير فاذا عرفت
حقيقة الرجا ومظنته فقد علمت انها حالة اثمرها العلم بجريان اكثر الاسباب وهذه
الحالة تثمر الجهد للقيام ببقية الاسباب على حسب الامكان فان من حسن بذره واد
ماؤه وصدق رجاؤه فلا يزال يحمله صدق الرجا على تفقد الارض وتعهده وتنقية
كل حشيش ينبت فيه فلا يفتر عن تعهده اصلا الى وقت الحصاد وهذا لان الرجا يضاده
اليأس واليأس يمنع من التعهد فمن عرف ان الارض سبخة وان الما معوز وان البذر
لا ينبت فيترك لا محالة تفقد الارض والتعب في تعهده والرجا محمود لانه باعث
واليأس مذموم وهو ضده لانه صارف عن العمل والخوف ليس بضد الرجا بل رفيق له كما
سيأتي بل هو باعث آخر بطريق الرهبة فاذا حال الرجا يورث طول المجاهدة بالاعمال
والمواظبة على الطاعات كيف ما تقلبت ومن آثاره التلذذ بدوام الاقبال على الله
تعالى والتنعم بمناجاته والتلطف في التملق له فان هذه الاحوال لا بد ان تظهر
على كل من يرجوا ملكا من الملوك وشخصا من الاشخاص فكيف لا يظهر ذلك في حق من
يرجوا الله فان كان لا يظهر فليستدل به على الحرمان من مقام الرجا والنزول في
حضيض الغرور والتمني فهذا هو البيان لحال الرجا ولما اثمره من العلم ولما
استثمر منه من العمل ويدل على اثماره لهذه الاعمال حديث زيد الخيل اذ قال
لرسول الله صلى الله عليه وسلم جئتك لاسألك عن علامة الله فيمن يريد وعلامته
فيمن لا يريد فقال كيف اصبحت فقال اصبحت احب الخير واهله واذا قدرت على شيء منه
سارعت اليه وايقنت بثوابه واذا فاتني شيء منه حزنت عليه وحننت اليه فقال
هذه علامة الله فيمن يريد ولو ارادك للاخرى هياك لها ثم لا يبالي في اي اوديتها
هلكت فقد ذكر علامة من اريد بالخير فمن ارتجى ان يكون يراد بالخير من غير هذه
العلامات فهو مغرور

بيان فضيلة الرجاء

والترغيب فيه اعلم ان العمل على الرجاء اعلى منه على الخوف لان اقرب العباد الى الله تعالى
احبهم له والحب يغلب بالرجاء واعتبر ذلك بملكين يخدم احدهما خوفا من عقابه
والآخر رجاء ثوابه ولذلك ورد في الرجاء وحسن الظن رغائب لا سيما وقت الموت قال الله سبحانه
لا تقنطوا من رحمة الله فحرم اصل اليأس وفي اخبار يعقوب عليه السلام اوحى الله اليه
أتدري لم فرقت بينك وبين يوسف لقولك اخاف ان يأكله الذئب وانتم عنه غافلون
لم خفت الذئب ولم ترجني ولم نظرت الى غفلة اخوته ولم تنظر الى حفظي له وقال
عليه السلام لا يموتن احدكم الا وهو يحسن الظن بالله وقد قال الله سبحانه انا عند ظن عبدي
بي فليظن بي ما شاء ودخل عليه السلام على رجل وهو في النزع فقال كيف تجدك فقال
اجدني اخاف ذنوبي وارجو رحمة ربي فقال ما اجتمعا في قلب عبد في هذا الموطن الا
اعطاه الله ما رجا وامنه مما خاف وقال علي رضي الله عنه لرجل اخرجه
الخوف من القنوط لكثرة ذنوبه يا هذا يأسك من رحمة الله اعظم من ذنوبك
وقال سفيان من اذنب ذنبا فعلم ان الله تعالى قدره عليه ورجا غفرانه غفر الله
له ذنبه قال لان الله سبحانه عير قوما فقال وذلكم ظنكم الذي ظننتم بربكم
ارداكم وقال تعالى وظننتم ظن السوء وكنتم قوما بورا وقال عليه السلام
ان الله سبحانه يقول للعبد يوم القيامة ما منعك اذ رأيت المنكر ان تنكره فان لقنه
الله حجته قال رب رجوتك وخفت الناس قال الله تعالى قد غفرت لك وفي
الخبر الصحيح ان رجلا كان يداين الناس ويسامح ويتجاوز عن المعسر فلقي الله سبحانه
ولم يعمل خيرا قط فقال الله سبحانه من احق بذلك منا فعفا عنه بحسن ظنه ورجائه
انه يعفو عنه مع افلاسه من الطاعات وقال سبحانه ان الذين يتلون كتاب الله
واقاموا الصلاة وانفقوا مما رزقناهم سرا وعلانية يرجون تجارة لن تبور ولما قال
عليه السلام لو تعلمون ما اعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا ولخرجتم الى الصعدات
تلدمون صدوركم وتجأرون الى ربكم هبط جبريل عليه السلام فقال ان ربك تعالى
يقول لك لم تقنط عبادي فخرج عليهم فرجاهم وشوقهم وفي الخبر ان الله سبحانه اوحى
الى داود عليه السلام احببني واحب من يحبني وحببني الى خلقي فقال رب كيف

اعلى منه

حسن الظن بالله

اليأس من الله

كيف احببتك واحببتك الى خلقك فقال اذكرني بالحسن الجميل واذكر آلائي واحساني وذكرهم
ذلك فانهم لا يعرفون مني الا الجميل ٥ ورئي ابن عباس بعد موته في النوم وكان يكثر ذكر ابواب
الرجا فقال وقفني بين يديه فقال ما الذي حملك على ما فعلت فقال اردت
ان احببك الى خلقك فقال قد غفرت لك ٥ ورئي يحيى ابن اكثم في النوم فقيل له ما
فعل الله بك فقال وقفني بين يديه وقال يا شيخ فعلت وفعلت قال فاخذني من الرعب
ما يعلم الله ثم قلت يا رب ما هكذا حدثت عنك قال وما حدثت عني قال نا عبد الرزاق
عن معمر عن الزهري عن انس عن نبيك عليه السلام انك قلت انا عند ظن عبدي فليظن
بي ما شاء وكنت اظن بك ان لا تعذبني فقال سبحانه صدق نبيي وصدق انس وصدق الزهري
وصدق معمر وصدق عبد الرزاق وصدقت انت قال فالبست ومشى بين يدي الولدان الى
الجنة فقلت يا لها من فرحة وفي الخبر ان رجلا من بني اسرائيل كان يقنط الناس
ويشدد عليهم فيقول الله سبحانه له يوم القيامة اليوم اويسك من رحمتي كما كنت
تقنط عبادي منها ٥ وقال صلى الله عليه وسلم ان رجلا يخرج من النار فيقول الله
سبحانه كيف وجدت مكانك فيقول شر مكان فيقول ردوه الى مكانه فيمشي ويلتفت الى
ورائه فيقول سبحانه الى اي شي تلتفت فيقول قد رجوت ان لا تعيدني اليها بعد ان
اخرجتني منها فيقول الله تعالى اذهبوا به الى الجنة فدل على ان رجاه كان سبب نجاته ٥

بيان دوا الرجاء ٥

والسبيل الذي يحصل منه الرجا ويغلب

اعلم ان هذا الدوا يحتاج اليه احد رجلين اما رجل غلب عليه الخوف فاسرف في المواظبة
على العبادة حتى اضر بنفسه واهله وهذان رجلان مايلان عن الاعتدال الى طرفي
الافراط والتفريط فيحتاج الى علاج يردهما الى الاعتدال فاما العاصي المغرور المتمني
على الله مع الاعراض عن العبادة واقتحام المعاصي فادوية الرجا تنقلب سموما مهلكة
في حقه وتنزل منزلة العسل الذي هو شفا لمن غلبه البرد وهو سم مهلك لمن غلبته
الحرارة بل المغرور لا يستعمل في حقه الا ادوية الخوف والاسباب المهيجة له ٥
فلهذا يجب ان يكون واعظ الخلق متلطفا ناظرا الى مواقع العلل معالجا لكل علة
بما يضادها لا بما يزيد فيها فان المطلوب هو العدل والقصد في الصفات والاخلاق

مغفرة الله

عند والاول

الطبيب والواعظ

كلها وخير الامور اوساطها فاذا جاوز الوسط الى حد الطرف فيعوج بما يرد الوسط لا بما
يزيد في ميله عن الوسط وهذا الزمان زمان لا ينبغي ان يستعمل فيه مع الخلق اسباب
الرجا بل المبالغة في التخويف ايضا يكاد لا يردهم الى جادة الحق والصواب فاما ذكر اسباب
الرجا فيهلكهم ويرديهم بالكلية ولكنها لما كانت اخف على القلوب والذ عند النفوس
ولم يكن غرض الوعاظ الا استمالة القلوب واستنطاق الخلق بالثناء كيفما كانوا مالوا
الى الرجا حتى ازداد الفساد فسادا وازداد المنهمكون في طغيانهم تماديا
قال علي رضي الله عنه انما العالم الذي لا يقنط الناس من رحمة الله ولا يؤمنهم
من مكر الله ونحن نذكر اسباب الرجا ليستعمل في حق اليائس او من غلب عليه الخوف اقتدا
بكتاب الله وسنة رسوله عليه السلام فانهما مشتملان على الخوف والرجا جميعا
لانهما جامعان لاسباب الشفا في حق اصناف المرضى ليستعمله العلما الذين هم ورثة
الانبيا بحسب الحاجة استعمال الطبيب الحاذق لا استعمال الاخرق الذي يظن ان كل شي
من الادوية صالح لكل مريض كيف كان وحال الرجا تغلب بشيئين احدهما الاعتبار والاخر
استقرا الايات والاخبار والاثار اما الاعتبار فهو ان يتامل جميع ما ذكرناه في اصناف
النعم في كتاب الشكر حتى اذا علم لطايف رحمة الله بعباده في الدنيا وعجايب حكمته
التي راعاها في فطرة الانسان حتى اعد له في الدنيا كل ما هو ضروري له في دوام الوجود
كالات الغذا وما هو محتاج اليه كالاظفار والاصابع وما هو زينة له كتقويس الحاجبين
واختلاف الوان العينين وحمرة الشفتين وغير ذلك مما كان لا ينثلم بفقده غرض
مقصود وانما كان يفوت به مزيد جمال فالعناية الالهية اذا لم تقصر عن عباده في امثال
هذه الدقايق حتى لم يرض لعباده ان يفوتهم المزيد والمزايا في الزينة والحاجة كيف
يرضى بسياقهم الى الهلاك المؤبد بل اذا نظر الانسان نظرا شافيا علم ان اكثر الخلق
قد هيا له اسباب السعادة في الدنيا حتى انه يكره الانتقال من الدنيا بالموت وانه
لا يعذب بعد الموت مثلا او لا يحشر اصلا فليس كراهتهم للعدم لان اسباب النعم
اغلب لا محالة وانما الذي يتمنى الموت نادر ثم لا يتمناه الا في حالة نادرة وواقعة
هاجمة غريبة فاذا كان اكثر الخلق في الدنيا الغالب عليهم الخير والسلامة وسنة الله
تعالى لا تجد لها تبديلا فالغالب ان امر الاخرة هكذا يكون لان مدبر الدنيا والاخرة
واحد وهو غفور رحيم لطيف بعباده متعطف عليهم فهذا اذا تومل حق التامل يقوي
اسباب الرجا ومن الاعتبار ايضا النظر في حكمة الشريعة وسننها في مصالح الدنيا

الواعظ

مطلب

حكمة الشرع

الدنيا ووجه الرحمة على العباد بها حتى كان بعض العارفين يرى آية المداينة في البقرة
من أقوى أسباب الرجا فقيل له وما فيها من الرجا فقال الدنيا كلها قليل
ورزق الانسان منها قليل والدين قليل من رزقه فانظر كيف انزل الله سبحانه فيه
أطول آية ليهتدي عبده الى طريق الاحتياط في حفظ دينه فكيف لا يحفظ دينه
الذي لا عوض له منه **الفن الثاني استقراء الآيات والاخبار** فما ورد في الرجا
خارج عن الحصر اما الآيات فقد قال الله سبحانه يا عبادي الذين اسرفوا على
أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ان الله يغفر الذنوب جميعا ○ وفي قراءة رسول الله
صلى الله عليه وسلم ولا يبالي انه هو الغفور الرحيم ○ وقال سبحانه والملائكة يسبحون
بحمد ربهم ويستغفرون لمن في الارض واخبر سبحانه ان النار اعدها لاعدائه وانما
خوف بها اولياءه فقال تعالى لهم من فوقهم ظلل ومن تحتهم ظلل ذلك يخوف
الله به عباده وقال تعالى واتقوا النار التي اعدت للكافرين وقال تعالى فانذرتكم نارا تلظى
لا يصلاها الا الاشقى الذي كذب وتولى ○ وقال تعالى وان ربك لذو مغفرة
للناس على ظلمهم ويقال ان النبي صلى الله عليه وسلم لم يزل يسأل في امته حتى قيل
له اما ترضى وقد انزلت هذه الآية وان ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم وفي تفسير
قوله تعالى ولسوف يعطيك ربك فترضى **واما الاخبار** فقد روى ابو موسى عن النبي
صلى الله عليه وسلم انه قال امتي امة مرحومة لا عذاب عليها في الآخرة عجل عقابها
في الدنيا الزلازل والفتن فاذا كان يوم القيمة دفع الى كل واحد من امتي رجل من
أهل الكتاب فقيل هذا فداؤك من النار ○ وفي لفظ آخر يأتي كل رجل من هذه الامة
بيهودي او نصراني الى جهنم فيقول هذا فداي من النار فيلقى فيها وقال عليه السلام
الحمى من فيح جهنم وهو حظ المؤمن من النار وروي في تفسير قوله تعالى يوم لا يخزي
الله النبي والذين آمنوا معه ان الله اوحى الى نبيه عليه السلام اتحب ان اجعل حساب
امتك اليك فقال لا يا رب انت خير لهم مني قال اذا لا اخزيك فيهم **وروي**
عن انس ان النبي صلى الله عليه وسلم سأل الله في ذنوب امته فقال يا رب
اجعل حسابهم الي لئلا يطلع على مساويهم غيري فاوحى الله اليه هم امتك وهم
عبادي وانا ارحم بهم منك لا اجعل حسابهم الى غيري لئلا ينظر في مساويهم احد
ولا غيرك وقال صلى الله عليه وسلم حياتي خير لكم وموتي خير لكم اما حياتي ○
فاسن لكم السنن واشرع الشرائع واما موتي فان اعمالكم تعرض علي فما رأيت منها

الآيات في الرجا

الأخبار في الرجا

مغفرة الله

الأعمال تعرض على النبي عم

حسنا حمدت الله تعالى عليه وما رأيت منها سيئا استغفرت الله تعالى لكم وقال صلى الله عليه
وسلم يوما يا كريم العفو فقال جبريل عليه السلام أتدري ما كريم العفو هو ان عفى عن
السيئات برحمته ثم بدلها حسنات بكرمه ٥ وسمع عليه السلام رجلا يقول اللهم اني
أسئلك تمام النعمة فقال هل تدري ما تمام النعمة قال لا قال دخول الجنة ٥ وقال العلماء قد
أتم نعمته علينا برضاه الاسلام لنا اذ قال تعالى وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام
دينا **وفي الخبر اذا أذنب العبد** فاستغفر الله يقول للملائكة انظروا الى عبدي اذنب
ذنبا يعلم ان له ربا يغفر الذنب ويأخذ بالذنب اشهدكم على اني قد غفرت له
وفي الخبر اذا اذنب العبد حتى تبلغ ذنوبه عنان السماء غفرتها ما استغفرني ورجاني
وفي الخبر لو لقيني عبدي بقراب الارض ذنوبا لقيته بقراب الارض مغفرة وفي الخبر ان
الملك ليرفع القلم عن العبد اذا اذنب ست ساعات فان تاب فاستغفر لم يكتبه عليه ٥
والا كتبها سيئة **وفي لفظ اخر** فاذا كتبها عليه وعمل حسنة قال لصاحب
الشمال وهو امير عليه الق هذه السيئة حتى ألقي من حسناته واحدة من تضعيف العشر
وأرفع تسع حسنات فيلقي عنه هذه السيئة **وروى انس في حديثه** انه عليه السلام
قال اذا اذنب العبد ذنبا كتب عليه قال اعرابي فان تاب قال محي عن صحيفته قال الى متى قال
الى ان يستغفره ويتوب الى الله ان الله لا يمل من المغفرة حتى يمل العبد من الاستغفار ٥
فاذا هم العبد بحسنة كتبها صاحب اليمين حسنة قبل ان يعملها فاذا عملها كتبت عشر حسنات
ثم يضاعفها الله سبحانه الى سبع مائة ضعف واذا هم بخطيئة لم تكتب عليه فاذا عملها ٥
كتبت خطيئة وورائها حسن عفو الله تعالى ٥ وجاء رجل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ٥
فقال يا رسول الله اني لا اصوم الا شهر رمضان لا ازيد ولا أصلي الا الخمس لا ازيد عليها وليس
لله في مالي صدقة ولا حج ولا تطوع اين انا اذا مت فتبسم وقال أنت معي ان حفظت قلبك
من اثنتين الغل والحسد ولسانك من اثنتين الغيبة والكذب وعينك من اثنتين النظر
الى ما حرم الله وان تزدري بها مسلما دخلت في الجنة على راحتي هاتين ٥ وفي الحديث
الطويل عن انس رضي الله عنه ان الاعرابي قال يا رسول الله من يلي حساب الخلق فقال الله
تعالى فقال ــــــ هو بنفسه قال نعم قال فتبسم الاعرابي فقال عليه السلام لم
يا اعرابي فقال ان الكريم اذا قدر عفى واذا حاسب سامح فقال عليه السلام صدق ٥
الا ولا كريم اكرم من الله تعالى هو اكرم الاكرمين ثم قال فقه الاعرابي وفيه ايضا ان
الله سبحانه شرف الكعبة وعظمها ولو ان عبدا هدمها حجرا حجرا ثم احرقها ما بلغ

مغفرة الله

الغل والحسد
الغيبة والكذب

بلغ جرم من استخف بولي من اولياء الله تعالى قال الاعرابي ومن اوليا الله تعالى قال
المومنون كلهم اوليا الله تعالى اما سمعت قوله سبحانه وتعالى الله ولي الذين امنوا
يخرجهم من الظلمات الى النور ٥ وفي بعض الاخبار المومن افضل من الكعبة والمومن طيب طاهر
والمومن اكرم من الملايكة على الله تعالى ٥ وفي خبر اخر خلق الله سبحانه جهنم من
فضل رحمته سوطا يسوق به عباده الى الجنة ٥ وفي خبر اخر يقول الله سبحانه انما خلقت
الخلق ليربحوا علي ولم اخلقهم لاربح عليهم وفي حديث ابي سعيد الخدري ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما خلق الله شيئا الا جعل له ما يغلبه
وجعل رحمته تغلب غضبه وفي الخبر المشهور ان الله كتب على نفسه قبل ان يخلق الخلق
ان رحمتي سبقت غضبي ٥ وعن معاذ وانس انه عليه السلام قال من قال
لا اله الا الله دخل الجنة ومن كان اخر كلامه لا اله الا الله لم تمسه النار ومن لقي
الله لا يشرك به شيئا حرمت عليه النار ولا يدخل النار من في قلبه وزن ذرة من ايمان
وفي خبر اخر لو علم الكافر سعة رحمة الله تعالى ما ييس من رحمة الله ولما تلى
عليه السلام ان زلزلة الساعة شيء عظيم قال اتدرون اي يوم هذا يقال لادم قم
فابعث الى النار من ذريتك فقال كم فقيل من كل الف تسعماية وتسعة وتسعون
الى النار وواحد الى الجنة قال فبلس القوم وجعلوا يبكون يومهم وتعطلوا عن
الاشغال والعمل فخرج عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال ما لكم لا تعملون
فقالوا ومن يشتغل بعمل بعد ما حدثتنا به فقال كم انتم في الامم اين تاويل وفزنا وماريس
وهذا وياجوج وماجوج امم لا يحصيهم الا الله تعالى انما انتم في ساير الامم كالشعرة
البيضا في جلد الثور الاسود وكالرقمة في ذراع الدابة فانظر كيف كان عليه السلام
يسوق الناس بازمة الخوف والرجا الى الله سبحانه اذ ساقهم بسياط الخوف اولا فلما
خرج بهم ذلك عن حد الاعتدال الى افراط الياس داواهم بدوا الرجا وردهم الى
الاعتدال والقصد والاخر لم يكن منافضا للاول ولكن ذكر في الاول ما راه سببا
للشفا واقتصر عليه فلما احتاجوا الى المعالجة بالرجا ذكر تمام الامر فعلى الواعظ
ان يقتدي بسيد الوعاظ صلى الله عليه وسلم فليتلطف في استعمال
اخبار الخوف والرجا بحسب الحاجة بعد ملاحظة العلل الباطنة وان لم يراع ذلك كان ما
يوعظه اكثر مما يصلحه ٥ وفي الخبر لو لم تذنبوا لخلق الله خلقا يذنبون ليغفر لهم
وفي لفظ اخر لذهب بكم وجا بخلق اخرين يذنبون فيغفر لهم انه هو الغفور الرحيم ٥

مغفرة الله

الواعظ

وفي الخبر لو لم تذنبوا لخشيت عليكم ما هو أشد من الذنوب قيل يا رسول الله ما هو قال
العجب وقال والذي نفسي بيده لله أرحم بعبده من الوالدة الشفيقة بولدها ٥
وفي الخبر ليغفرن الله مغفرة يوم القيامة ما خطرت قط على قلب أحد حتى ان ابليس
لعنه الله ليتطاول رجاء ان تصيبه ٥ وفي الخبر ان لله تعالى مائة رحمة أظهر منها في الدنيا
واحدة بها يتراحم الخلق فتحن الوالدة إلى ولدها فإذا كان يوم القيامة ضم هذه الرحمة
إلى التسع والتسعين ثم بسطها على جميع خلقه وكل رحمة منها طباق السموات والأرض قال
فلا يهلك على الله إلا هالك ٥ وفي الخبر ما منكم أحد يدخله عمله الجنة ولا ينجيه من النار
قالوا ولا أنت يا رسول الله قال ولا أنا إلا أن يتغمدني الله برحمته ٥ وقال اعملوا وابشروا
واعلموا ان أحدا لن ينجيه عمله ٥ وقال إني اختبأت شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي أترونها
للمطيعين المتقين بل هي للمخلطين والمتلوثين ٥ وقال عليه السلام بعثت بالحنيفية
السمحة السهلة وقال احب ان يعلم أهل الكتابين ان في ديننا سماحة ويدل على معنى
استجابة للمؤمنين في قولهم ولا تحمل علينا إصرا كما حملته على الذين من قبلنا وقوله تعالى
ويضع عنهم إصرهم والأغلال التي كانت عليهم ٥ وروى محمد ابن الحنفية عن علي رضي
الله عنه أنه قال لما نزل قوله تعالى فاصفح الصفح الجميل قال يا جبريل وما الصفح الجميل
قال إذا عفوت عمن ظلمك فلا تعاتبه فقال يا جبريل والله أكرم من أن يعاتب من عفى
عنه فبكى جبريل وبكى النبي صلى الله عليه وسلم فبعث إليهما ميكائيل عليه السلام وقال
ان ربكما يقرئكما السلام ويقول كيف أعاتب من عفوت عنه هذا ما لا يشبه كرمي
والأخبار الواردة في أسباب الرجاء أكثر من أن تحصى **وأما الآثار**
فقد قال علي رضي الله عنه من أذنب ذنبا فستره الله تعالى عليه
في الدنيا فالله أكرم من أن يكشف ستره في الآخرة ومن أذنب ذنبا فعوقب عليه
في الدنيا فالله أعدل من أن يثني عليه عقوبته في الآخرة ٥ وقال الثوري ما أحب
أن حسابي جعل إلى أبوي لأني أعلم أن الله أرحم بي منهما ٥ وقال بعض السلف المؤمن إذا
عصى ستره الله عن أبصار الملائكة كيلا تراه فتشهد عليه ٥ وكتب محمد ابن مصعب
إلى أسود بن سالم بخطه ان العبد إذا كان مسرفا على نفسه فرفع يديه يدعو يقول يا رب
حجبت الملائكة صوته وكذلك الثانية والثالثة حتى إذا قال الرابعة يا رب قال الله سبحانه
انه ليس له رب يغفر الذنوب غيري اشهدكم اني قد غفرت له ٥ وقال ابراهيم ابن أدهم
رضي الله عنه خلا لي الطواف ليلة وكانت ليلة ممطرة مظلمة فوقفت في الملتزم عند الباب

رحمة الله

ستر العيوب

الباب فقلت يا رب اعصمني حتى لا اعصيك ابدا فهتف بي هاتف من البيت يا ابراهيم انت تسالني
العصمة وكل عبادي يطلبون ذلك فاذا عصمتهم فعلى من اتفضل ولمن اغفر وكان الحسن
يقول لو لم يذنب المؤمن لكان يطير ولكن الله قمعه بالذنوب
وقال الجنيد ان بدت عين من الكرم الحقت المسيئين بالمحسنين ولقي مالك ابن دينار ابانا
فقال له الى كم تحدث الناس بالرخص فقال له يا ابا يحيى اني لارجو ان ترى من عفو الله عز وجل
يوم القيمة ما تخرق له كساءك هذا من الفرح وفي حديث ربعي ابن خراش عن ابيه وكان من
خيار التابعين وهو ممن تكلم بعد الموت قال لما مات اخي وسجي بثوبه والقيناه على نعشه
كشف الثوب عن وجهه واستوى قاعدا فقال اني لقيت ربي فحياني بروح وريحان
ورب غير غضبان واني رايت الامر ايسر مما تظنون ولا تغتروا وان محمدا ينتظرني
واصحابه حتى ارجع اليهم قال ثم طرح نفسه فكانما حصاة وقعت في طست فحملناه ودفناه
وفي الحديث ان رجلين تواخيا من بني اسرائيل في الله سبحانه
فكان احدهما يسرف على نفسه وكان الاخر عابدا وكان يردعه فكان يقول دعني وربي
أبعثت علي رقيبا حتى راه ذات يوم على كبيرة فغضب فقال لا يغفر الله لك قال فيقول
الله سبحانه يوم القيمة ايستطيع احد ان يحظر رحمتي على عبادي اذهب فقد غفرت له
ثم قال للعابد وانت فقد اوجبت لك النار قال فوالذي نفسي بيده لقد تكلم بكلمة اذهبت
دنياه واخرته وروي ان لصا كان يقطع الطريق في بني اسرائيل فمر
عيسى عليه السلام وخلفه عبد من عباد بني اسرائيل من الحواريين فقال اللص في نفسه هذا
نبي الله والى جنبه حواريه ولو نزلت فكنت معهما ثالثا قال فنزل فجعل يريد ان
يدنو من الحواري ويزدري نفسه تعظيما للحواري فقال في نفسه هذا يمشي الى جانبي
فضم منه نفسه وتقدم الى عيسى عليه السلام فمشى الى جانبه فبقي اللص خلفه
قال فاوحى الله تعالى الى عيسى عليه السلام قل لهما يستانفا العمل فقد احبطت ما
سلف من اعمالهما اما الحواري فقد احبطت حسناته بعجبه بنفسه واما الاخر فقد احبطت
سيئاته بازدرائه على نفسه فاخبرهما بذلك وضم اللص اليه في سياحته وجعله من
حواريه وروي عن مسروق ان نبيا من الانبياء عليهم السلام كان ساجدا
فوطي بعض العتاه عنقه حتى الصق الحصاة بجبهته قال فرفع النبي عليه السلام راسه
مغضبا فقال اذهب فلن يغفر الله لك فاوحى الله اليه تتألى علي في عبادي
اني قد غفرت له ويقرب منه ما روي ابن عباس رضي الله عنه ان رسول الله صلى

حكاية في العجب والمغفرة

عليه وسلم كان يقنت فيدعو على المشركين ويلعنهم في صلاته فنزل قوله تعالى ليقطع طرفا
من الذين كفروا أو يكبتهم فينقلبوا خائبين ليس لك من الامر شيء أو يتوب عليهم أو يعذبهم
فإنهم ظالمون فترك الدعاء عليهم وهدى الله عامة ذلك إلى الاسلام ٥ وفي الاثر
ان رجلين كانا من العابدين متساويين في العبادة فإذا دخلا الجنة دفع أحدهما في
الدرجات العلى على صاحبه فيقول يا رب ما كان في الدنيا بأكثر عبادة مني فرفعته
علي في عليين فيقول الله سبحانه انه كان يسألني في الدنيا الدرجات وكنت تسألني النجاة من النار
فأعطيت كل عبد سؤاله وهذا يدل على ان العبادة على الرجاء أفضل لان المحبة أغلب على الراجي
منها على الخائف فكم من فرق في الملوك بين من يخدم اتقاء لعقابه وبين من يخدم رجاء لانعامه
وإكرامه ولذلك أمر الله سبحانه بحسن الظن ولذلك قال عليه السلام سلوا الله الدرجات
العلى فإنما تسألون كريما ٥ وقال اذا سألتم الله تعالى فأعظموا الرغبة واسألوا
الفردوس الاعلى فإن الله تعالى لا يتعاظمه شيء وقال بكر بن سليمان الصواف دخلنا على مالك
ابن أنس رحمه الله في العشية التي قبض فيها فقلنا يا أبا عبد الله كيف تجدك فقال لا أدري
ما أقول لكم الا انكم ستعاينون من عفو الله تعالى ما لم يكن لكم في حساب ثم ما برحنا حتى
غمضناه ٥ وقال يحيى بن معاذ يكاد رجائي مع الذنوب يغلب على رجائي لك
مع الاعمال لأني اعتمد في الاخلاص على الاعمال فكيف احفظها وأنا بالآفات معروف وأجدني
في الذنوب أعتمد على عفوك فكيف لا تغفرها وأنت بالجود موصوف وقيل ان
مجوسيا استضاف ابراهيم الخليل عليه السلام فقال ان أسلمت
أضفتك فمر المجوسي فأوحى الله يا ابراهيم لم تطعمه الا بتغيير دينه نحن منذ سبعين
سنة نطعمه على كفره فلو اضفته ليلة ما ذا عليك فمر ابراهيم عليه السلام خلف المجوسي
وأضافه فقال له المجوسي ما السبب فيما بدا لك فذكر له فقال له المجوسي أهكذا يعاملني
ثم قال اعرض علي الاسلام فأسلم ٥ ورأى الاستاذ أبو سهل الصعلوكي أبا سهل
الزجاجي في المنام وكان يقول بوعيد الابد فقال له كيف حالك فقال وجدنا الامر
أسهل مما توهمناه ورأى بعضهم أبا سهل الصعلوكي في المنام على هيئة حسنة لا توصف
فقال يا استاذ بم نلت هذا فقال بحسن ظني بربي وحكي ان أبا العباس
ابن سريج رأى في مرض موته في منامه كان القيامة قد قامت فإذا الجبار سبحانه يقول
أين العلماء فجاؤوا ثم قال ما ذا عملتم فيما علمتم قال فقلنا يا ربنا قصرنا وأسأنا قال فأعاد
السؤال كأنه لم يرض به فأرادوا جوابا آخر فقلت أما أنا فليس في صحيفتي الشرك

اجابة السؤال

ضيف ابراهيم عم

الشرك وقد وعدت ان تغفر ما دونه قال فاذهبوا به فقد غفرت له ولكم ومات بعد
ذلك بثلاث ليال وقيل كان رجل يشرب جمع قوما من ندمايه ودفع لغلام له
اربعة دراهم وامره ان يشتري شيا من الفواكه للمجلس فمر الغلام بباب مجلس منصور
ابن عمار وهو يسال الفقير شيا ويقول من دفع له اربعة دراهم دعوت له اربع دعوات
قال فدفع الغلام الدراهم فقال منصور ما الذي تريد ان ادعو لك فقال لي
سيد اريد ان اتخلص منه فدعا منصور وقال الاخرى فقال يتوب الله على سيدي
فدعا وقال الاخرى فقال ان يغفر الله لي ولسيدي ولك وللقوم فدعا منصور
فرجع الغلام فقال له سيده لم ابطات فقص عليه القصة فقال وبم دعا فقال
سالت لنفسي العتق فقال اذهب فانت حر وايش الثاني فقال ان يخلف الله على الدراهم
فقال لك اربعة الف درهم قال وايش الثالث فقال ان يتوب الله عليك فقال
تبت الى الله قال وايش الرابع قال ان يغفر الله لي ولك وللقوم وللمذكر قال هذا
الواحد ليس الي فلما بات راى في المنام كان قايلا يقول انت فعلت ما كان لك ترى اني
لا افعل ما الي قد غفرت لك وللغلام وللمنصور ابن عمار وللقوم الحاضرين اجمعين
وروي عن عبد الوهاب ابن عبد المجيد الثقفي قال رايت جنازة يحملها ثلاثة نفر
من الرجال وامراة قال فاخذت مكان المراة وذهبنا الى المقبرة وصلينا عليها
ودفنا الميت فقلت للمراة من كان هذا منك قالت ابني ولم يكن له جيران قلت نعم
ولكن صغر وامره فقلت واي شي كان هذا فقالت كان مخنثا قال فرحمتها وجيت بها الى
منزلي واعطيتها دراهم وحنطة وثيابا فرايت تلك الليلة كاني اتاني ات كانه
القمر ليلة البدر وعليه ثياب بيض فجعل يشكرني فقلت من انت فقال المخنث الذي
دفنتموني اليوم رحمني ربي باحتقار الناس اياي **وقال ابراهيم الاطروش**
كنا قعودا ببغداد مع معروف الكرخي على دجلة اذ مر قوم احداث في زورق
يضربون بالدف ويشربون ويلعبون فقالوا للمعروف اما تراهم يعصون الله مجاهرين
ادع الله عليهم فرفع يديه وقال اللهم كما فرحتهم في الدنيا ففرحهم في
الاخرة فقلنا انا سالناك ان تدعو عليهم فقال اذا فرحهم في الاخرة
تاب عليهم فهذه الاسباب التي بها تجلب روح الرجا قلوب الخايفين واليايسين
فاما الحمقا المغرورون فلا ينبغي ان يسمعوا شيا من ذلك بل ينبغي ان يسمعوا ما سنورده
في اسباب الخوف فان اكثر الناس لا يصلحون الا على الخوف كالعبد السوء والصبي الغر

التصدق

احتقار احتقار الناس سبب للمغفرة

الدعاء لاصلاح الفساق

لا يستقيمون الا بالسوط والعصا واظهار الخشونة في الكلام فاما ضد ذلك فيسد عليهم باب الصلاح في الدين والدنيا

الشطر الثاني من الكتاب في الخوف

وفيه بيان حقيقة الخوف وبيان درجات الخوف وبيان اقسام الخوف وبيان فضيلة الخوف وبيان ان الافضل من الخوف والرجا وبيان دوا الخوف وبيان معنى سو الخاتمة وبيان احوال الخايفين من الانبياء والصالحين

بيان حقيقة الخوف

اعلم ان الخوف عبارة عن تألم القلب واحتراقه بسبب توقع مكروه في الاستقبال وقد ظهر في بيان حقيقة الرجا ومن انس بالله وملك الحق قلبه وصار ابن وقته مشاهدا لجمال الحق على الدوام لم يكن له التفات الى المستقبل ولم يكن له خوف ولا رجا بل صار حوفه اعلا من الخوف والرجا فانهما زمامان يمنعان النفس عن الخروج الى دعوناتها والى هذا اشار الواسطي حيث قال الخوف حجاب بين العبد وبين الله تعالى وقال ايضا اذا ظهر الحق على السراير لم يبق فيها فضلة لرجا ولا خوف وبالجملة فالمحب اذا شغل قلبه في مشاهدة المحبوب بخوف الفراق كان ذلك نقصانا في الشهود وانما الشهود غاية المقامات ولكنا الآن انما نتكلم في اوايل المقامات فنقول حال الخوف تنتظم ايضا من علم وحال وعمل اما العلم فهو العلم بالسبب المفضي الى المكروه وذلك كمن جنى على ملك فوقع في يده فيخاف القتل مثلا ويرجوا العفو والافلات مثلا ولكن يكون تألم قلبه بالخوف بسبب توقع علمه بالاسباب المفضية الى قتله وهو تفاحش جنايته وكون الملك في نفسه حقودا غضوبا منتقما وكونه محفوفا بمن يحثه على الانتقام خاليا ممن يتشفع اليه ويكون هذا الخايف عاطلا عن كل وسيلة وحسنة تمحو جنايته عند الملك فالعلم بتظاهر هذه الاسباب سبب لقوة الخوف وشدة تألم القلب وبحسب ضعف هذه الاسباب يضعف الخوف وقد يكون الخوف لا عن سبب جناية قارفها الخايف بل عن صفة المخوف كالذي وقع في مخالب سبع فانه يخاف السبع لصفة ذات السبع وهي سطوته وحرصه على الافتراس غالبا وان كان افتراسه باختيار وقد يكون من صفة جلية للمخوف منه كخوف من وقع في مجرى سيل

مثال الخوف من الله

سبيل أو جواد طريق فإن الما لا يخاف لأنه بطبعه مجبول على السيلان والإغراق وكذا النار
على الإحراق فالعلم بأسباب المكروه هو السبب الباعث المثير لاحتراق القلب وتألمه
وذلك الاحتراق هو الخوف فلذا الخايف من الله تعالى تارة يكون بمعرفة الله تعالى ومعرفة

انواع الخوف

صفاته وأنه لو أهلك العالمين لم يبال ولم يمنعه مانع وتارة يكون لكثرة الجناية
من العبد بمقارفة المعاصي وتارة يكون بهما جميعا وبحسب معرفته بعيوب نفسه ومعرفته
بجلال الله تعالى وتعاليه واستغنايه وأنه لا يسال عما يفعل وهم يسالون تكون قوة
خوفه فأخوف الناس لربه أعرفهم بنفسه وبربه ولذلك قال عليه السلام أنا أخوفكم
ولذلك قال سبحانه إنما يخشى الله من عباده العلما ثم إذا كملت المعرفة أورثت
حال الخوف واحتراق القلب ثم يفيض أثر الحرقة من القلب على البدن وعلى الجوارح وعلى الصفات
أما في البدن فبالنحول والصفار والغشية والزعقة والبكا وقد تنشق به المرارة فيفضي
إلى الموت أو يصعد إلى الدماغ فيفسد العقل أو يقوى فيورث القنوط واليأس وأما
في الجوارح فبكفها عن المعاصي وتقييدها بالطاعات تلافيا لما فرط واستعدادا للمستقبل
ولذلك قيل ليس الخايف من يبكي ويمسح عينيه بل الخايف من يترك ما يخاف العذاب عليه
وقال أبو القسم الحكيم من خاف شيئا هرب منه ومن خاف الله هرب إليه ○
وقيل لذي النون المصري متى يكون العبد خايفا قال إذا أنزل نفسه منزلة

متى يكون العبد خايفا

السقيم فيحتمي مخافة طول السقام وأما في الصفات فإنه يقمع الشهوات ويكدر اللذات
فتصير المعاصي المحبوبة عنده مكروهة كما يصير العسل مكروها عند من يشتهيه إذا عرف أن
فيه سما فتحترق الشهوات بالخوف وتتأدب الجوارح ويحصل في القلب الذبول والخشوع
والذلة والاستكانة ويفارقه الكبر والحقد والحسد بل يصير مستوعب الهم لخوفه
والنظر في خطر عاقبته فلا يتفرغ لغيره ولا يكون له شغل إلا المراقبة والمحاسبة
والمجاهدة والضنة بالأنفاس واللحظات ومؤاخذة النفس في الخطرات والخطوات
والكلمات ويكون حاله حال من وقع في مخالب سبع ضار لا يدري أنه يغفل عنه فيفلت

مثال حال من غلبه الخوف

أو يهجم عليه فيهلك فيكون ظاهره وباطنه مشغولا بما هو خايف منه لا متسع فيه لغيره
هذا حال من غلبه الخوف واستولى عليه وهكذا كان جماعة من الصحابة والتابعين
وقوة المراقبة والمجاهدة بحسب قوة الخوف الذي هو تألم القلب واحتراقه وقوة الخوف
بحسب قوة المعرفة بجلال الله تعالى وصفاته وأفعاله وبعيوب النفس وما بين يديها
من الأخطار والأهوال وأقل درجات الخوف مما يظهر أثره في الأعمال أن يمنع عن المحظورات

التقوى

وَيسمى الكف الحاصل عن المحظورات ورعا فإن زادت قوته كف عما يتطرق اليه امكان التحريم فيكف عما لا يتيقن ايضا تحريمه ويسمى ذلك تقوى اذ التقوى ان يترك ما يريبه الى ما لا يريبه وقد يحمله على ان لا يترك ما لا باس به مخافة ما به باس وهو الصدق في التقوى فاذا انضم اليه التجرد للخدمة فصار لا يبني ما لا يسكنه ولا يجمع ما لا ياكله ولا يلتفت الى دنيا يعلم انها تفارقه ولا يصرف الى غير الله نفسا من انفاسه فهو الصدق وصاحبه جدير بان يسمى صديقا ويدخل في الصدق والتقوى ويدخل في التقوى والورع ويدخل في الورع العفة فانها عبارة عن الامتناع عن مقتضى الشهوات خاصة فاذا الخوف يؤثر في الجوارح بالكف والاقدام ويتجدد له بالكف اسم العفة وهو كف عن مقتضى الشهوة واعلى منه الورع فانه اعم لانه كف عن كل محظور واعلى منه التقوى فانه اسم للكف عن المحظور والشبهة جميعا ووراءه اسم الصدق والقرب ويجري الرتبة الاخيرة مما قبلها مجرى الاخص من الاعم فاذا ذكرت الاخص فقد ذكرت الكل كما انك تقول الانسان اما عربي واما عجمي واما قرشي واما غيره والقرشي اما هاشمي واما غيره والهاشمي اما علوي واما غيره والعلوي اما حسني او حسيني فاذا ذكرت له حسني مثلا فقد وصفته بالجميع وان وصفته بانه علوي وصفته بما فوقه مما هو اعم منه فكذلك اذا قلت صديق فقد قلت انه متق وورع وعفيف فلا ينبغي ان تظن ان كثرة هذه الاسامي تدل على معان كثيرة متباينة فيختلط عليك كما اختلط على كل من طلب المعاني من الالفاظ ولم يتبع الالفاظ المعاني فهذه اشارة الى مجامع معاني الخوف وما يكتنفه من جانب العلو كالمعرفة الموجبة له ومن جانب السفل كالاعمال الصادرة عنه كفا واقداما

اثر الخوف

بيان درجات الخوف واختلافه في القوة والضعف

اعلم ان الخوف محمود وربما يظن كل ما هو خوف محمود فكل ما كان اقوى واكثر كان احمد وهو غلط بل الخوف سوط الله يسوق به عباده الى المواظبة على العلم والعمل لينالوا بهما رتبة القرب من الله سبحانه والاصلح للبهيمة ان لا تخلو عن سوط وكذلك الصبي ولكن ذلك لا يدل على ان المبالغة في الضرب محمود فكذلك الخوف له قصور وله افراط وله اعتدال والمحمود هو الاعتدال والوسط واما القاصر منه فهو الذي يجري مجرى رقة النساء يخطر بالبال عند سماع آية من القرآن فيورث البكاء وتفيض الدموع وكذلك عند مشاهدة سبب هائل فاذا غاب ذلك السبب عن الحس رجع القلب الى

الخوف سوط الله

مراتب الخوف

القلب الى الغفلة فهذا خوف قاصر قليل الجدوى ضعيف النفع وهو كالقضيب الضعيف
الذي تضرب به دابة قوية ولا يؤلمها ألماً مبرحاً ولا يسوقها الى المقصد ولا يصلح لرياضتها ٥
وهكذا خوف الناس كلهم الا العارفين والعلماء ولست أعني بالعلماء المترسمين برسومهم
والمتسمين بأسمائهم فانهم أبعد الناس عن الخوف بل أعني به العلماء بالله وبأيامه وبأفعاله
وذلك مما عز وجوده الآن ولذلك قال الفضيل رحمه الله اذا قيل لك هل تخاف الله
فاسكت فانك ان قلت لا كفرت وان قلت نعم كذبت واشار به الى ان الخوف هو الذي يكف
الجوارح عن المعاصي ويقيدها بالطاعات وما لم يؤثر في الجوارح فهو حديث نفس وحركة
خاطر لا يستحق ان يسمى خوفاً وانما المفرط هو الذي يقوى ويجاوز حد الاعتدال حتى يخرج
الى اليأس والقنوط وهو مذموم ايضاً لانه يمنع من العمل والمراد من الخوف ما هو المراد
من السوط وهو الحمل على العمل ولولا ذلك لما كان الخوف كمالاً لانه بالحقيقة نقصان
لان منشأه الجهل والعجز اما الجهل فانه ليس يدري عاقبة امره ولو عرف لم يكن خائفاً
لان المخوف هو الذي يتردد فيه واما العجز فانه متعرض لمحذور لا يقدر على دفعه فاذاً هو
محمود بالاضافة الى نقص الآدمي وانما المحمود في ذاته هو العلم والقدرة وكل ما يجوز
ان يوصف الله به وما لا يجوز وصف الله تعالى به فليس بكمال في ذاته وانما يصير محموداً بالاضافة
الى نقص اعظم منه كما يكون احتمال ألم الدواء محموداً لانه أهون من ألم المرض والموت
فما يخرج الى القنوط فهو مذموم وقد يخرج الخوف ايضاً الى المرض والضعف والى الوله
والدهشة وزوال العقل وقد يخرج الى الموت فكل ذلك مذموم وهو كالضرب الذي
يقتل الصبي والسوط الذي يهلك الدابة ويمرضها او يكسر عضواً من اعضائها وانما ذكر
عليه السلام اسباب الرجاء واكثر منها ليعالج به الخوف المفرط المفضي الى القنوط واحد
هذه الامور وكل ما يراد لامر فالمحمود منه ما يفضي الى المراد المقصود منه وما
يقصر عنه ويجاوزه فهو مذموم وفائدة الخوف الحذر والورع والتقوى والمجاهدة
والعبادة والفكر والذكر وسائر الاسباب الموصلة الى الله تعالى وكل ذلك يستدعي
الحياة مع صحة البدن وسلامة العقل وكل ما يقدح في هذه الاسباب مذموم ٥

فان قلت ـــــ من خاف فمات من خوفه فهو شهيد فيكون حاله مذموماً فاعلم ان
معنى كونه شهيداً ان له رتبة بسبب موته من الخوف فكان لا ينالها لو مات في ذلك الوقت
لا بسبب الخوف فهو بالاضافة اليه فضيلة فاما بالاضافة الى تقدير بقائه وطول عمره
في طاعة الله وسلوك سبيله فليس بفضيلة بل للسالك سبيل الله بطريق الفكر

منشأ الخوف

العلماء العاملون

اليأس والقنوط

فائدة الخوف

الموت مع الخوف مرضوع الخوف

طول العمر خير

مثال الخوف

والمشاهدة والترقي في درجات المعارف في كل لحظة رتبة شهيد وشهداء ولولا هذا لكانت رتبة صبي يقتل أو مجنون يفترسه سبع أعلى من رتبة نبي وولي يموت حتف أنفه وذلك محال فلا ينبغي أن يظن هذا بل أفضل السعادات طول العمر في طاعة الله تعالى فكل ما أبطل العمر أو الصحة والعقل التي يتعطل الأمور بتعطيلها فهو خسران ونقصان بالإضافة إلى أمور وإن كان انقسامها فضيلة بالإضافة إلى أمور أخر كما كانت الشهادة فضيلة بالإضافة إلى درجة النبيين والصديقين فإذاً الخوف إن لم يؤثر في العمل فوجوده كعدمه مثل السوط الذي لا يزيد في حركة الدابة وإن أثر فيه درجات بحسب ظهور أثره فإن لم يحمل إلا على العفة وهي الكف عن مقتضى الشهوات فله درجة فإذا أثمر الورع فهو أعلى وأقصى درجاته أن يثمر درجات الصديقين وذلك أن يسلب الظاهر والباطن عما سوى الله تعالى حتى لا يبقى لغير الله فيه متسع فهو أقصى ما يحمد منه وذلك مع بقاء الصحة والعقل فإن جاوز هذا إلى إزالة العقل والصحة فهو مرض يجب علاجه إن قدر عليه وإن كان محموداً لما وجب علاجه بأسباب الرجاء وبغيره حتى يزول ولذلك كان سهل رحمه الله يقول للمريدين الملازمين للجوع أياماً كثيرة احفظوا عقولكم فإن الله لم يكن ولي ناقص العقل قط

بيان أقسام الخوف

• بالإضافة إلى ما يخاف منه •

اعلم أن الخوف لا يتحقق إلا بانتظار مكروه والمكروه إما أن يكون مكروهاً في ذاته كالنار وإما أن يكون مكروهاً لأنه يفضي إلى المكروه كما تكره المعاصي لأدائها إلى المكروه في الآخرة وكما يكره المريض الفواكه المضرة لأدائها إلى الموت ولا بد لكل خائف من أن يتمثل لنفسه مكروهاً من أحد القسمين ويقوى انتظاره في قلبه حتى يحترق قلبه بسبب استشعاره ذلك المكروه ومقام الخائفين يختلف فيما يغلب على قلوبهم من المكروهات المحذورة فالذين يغلب على قلوبهم ما ليس مكروهاً لذاته بل لغيره كالذين تغلب عليهم الموت قبل التوبة أو خوف نقض التوبة ونكث العهود وخوف ضعف القوة عن الوفاء بتمام حقوق الله تعالى أو خوف زوال الرقة القلب وتبدلها بالقساوة أو خوف الميل عن الاستقامة أو خوف استيلاء العادة في اتباع الشهوات المألوفة أو خوف الاغترار بزخارف الدنيا أو خوف اطلاع الله تعالى على سريرته في حال غفلته عنه أو خوف الختم له عند الموت بسوء الخاتمة أو خوف السابقة التي سبقت له في الأزل فكل هذه مخاوف العارفين

العارفين ولكل واحد منها خصوص مقابدة وهو سلوك سبيل الحذر عما يفضي الى المخوف
فمن خاف استيلاء العادة عليه فليواظب على الفطام عن العادة والذي يخاف من الخاتمة
فالامر في ذلك مخطور واعلى الاقسام وادلها على كمال المعرفة خوف السابقة لان الخاتمة
تبع للسابقة وفرع يتفرع عنها وقد تتخلل اسباب كثيرة والخاتمة تظهر ما سبق به القضا
في ام الكتاب والخائف من الخاتمة بالاضافة الى الخائف من السابقة كرجلين وقع الملك
في حقهما بتوقيع يحتمل ان يكون هو حز الرقبة ويحتمل ان يكون هو تسليم الوزارة ولم يحصل التوقيع
اليهما بعد فيرتبط قلب احدهما بحالة وصول التوقيع ونشره وانه عماذا يظهر ويرتبط قلب الاخر
بحالة توقيع الملك وكيفيته وانه ما الذي خطر له في حال التوقيع من رحمة او غضب وهذا التفات
الى السبب فهو اعلى من الالتفات الى ما هو فرع منه وهذا كانقسام الخائفين الى من يخاف معصيته
وجنايته الى من يخاف الله نفسه بصفته وجلاله واوصافه التي تقتضي الهيبة لا محالة فهذا
اعلى رتبة وكذلك يبقى خوفه وان كان في طاعة الصديقين واما الاخر فهو في عرضة الغرور
والامن ان واظب على الطاعات فالخوف من المعصية خوف الصالحين والخوف من الله خوف الموحدين
والصديقين وهو ثمرة المعرفة بالله عز وجل فكل من عرفه وعرف صفاته علم من صفاته ما
هو جدير بان يخاف من غير جناية بل العاصي لو عرف الله حق المعرفة لخاف الله ولم يخف معصيته ٥
ولولا انه يخوف في نفسه لما استجره الى المعصية ويسر له سبيلها ومهد له اسبابها فان
تيسر اسباب المعصية ابعاد ولم يسبق منه قبل المعصية معصية استحق بها ان يستجره الى
المعصية الثانية ويجري عليه اسبابها ولا سبق قبل الطاعة وسيلة توسل بها من يسرت
له الطاعة ومهد له سبيل القربات فالعاصي قد قضي عليه بالمعصية شاء ام ابى وكذا
المطيع فالذي رفع محمدا عليه السلام اعلى عليين من غير وسيلة سبقت منه قبل وجوده
ووضع ابا جهل اسفل سافلين من غير جناية سبقت منه قبل وجوده جدير بان يخاف لصفة
جلاله فان من اطاع اطاع بان سلط الله عليه ارادة الطاعة واتاه القدرة وبعد خلق
الارادة الجازمة واتيان الاسباب والقدرة التامة يصير الفعل ضروريا والذي عصى عصى
لانه سلط عليه ارادة قوية جازمة واتاه الاسباب والقدرة فكان الفعل بعد الارادة
والقدرة ضروريا فليت شعري ما الذي اوجب اكرام هذا وتخصيصه بتسليط ارادة
الطاعات عليه وما الذي اوجب اهانة الاخر وابعاده بتسليط دواعي المعصية عليه فكيف
يحال ذلك العبد فاذا كانت الحوالة ترجع الى القضاء الازلية من غير جناية ولا وسيلة فالخوف
ممن يقضي ما شاء ويحكم ما يريد حزم عند كل عاقل مريد وراء هذا المعنى سر القدر الذي لا يجوز

افشاؤه ولا يمكن تفهيم الخوف منه جل جلاله في صفاته الا بمثال لولا اذن الشرع لم يتجرء على ذكره ذو بصيرة فقد جاء في الخبر ان الله سبحانه اوحى الى داود عليه السلام يا داود خفني كما تخاف السبع الضاري فهذا المثال يفهمك حاصل المعنى وان كان لا يفف بك على سببه ووقوف على سر القدر ولا يكشف ذلك الا لاهله والحاصل ان السبع يخاف لا لجناية سبقت اليه بل لصفته وبطشه وسطوته وكبره وهيبته ولا يفعل ما يفعل ولا يبالي ما المديرو قتلك عليك ولم يتأ لم بقتلك وان خلاك لم يخلك شفقة عليك وابقا على روحك بل انت عنده احس من ان يلتفت اليك حيا كنت او ميتا بل اهلاك الف ملك واهلاك نملة عنده على وتيرة واحدة اذ لا يقدح ذلك في عالم سبعيته وما هو موصوف به من قدرته وسطوته ولله المثل الاعلى ولكن من عرفه عرف بالمشاهدة الباطنة التي هي اقوى واوثق واجلى من المشاهدة الظاهرة انه صادق في قوله سبحانه هولاء في الجنة ولا ابالي وهولاء في النار ولا ابالي ويكفيك من موجبات الهيبة الخوف والمعرفة بالاستغناء وعدم المبالات

الطبقة الثانية من الخائفين ان يتمثل في انفسهم ما هو مكروه وذلك مثل سكرات الموت وشدته او سوال منكر ونكير او عذاب القبر او هول المطلع او هيبة الموقف بين يدي الله سبحانه والحيا من كشف الستر والسوال عن النقير والقطمير او الخوف من الصراط وحدته وكيفية العبور عليه او الخوف من النار واغلالها واهوالها او الخوف من الحرمان عن الجنة دار النعيم والملك المقيم وعن نقصان الدرجات او الخائف من الحجاب عن الله تعالى فكل هذه الاسباب مكروهة في انفسها فهي لا محالة مخوفة وتختلف احوال الخائفين فيها واعلاها رتبة هو خوف الفراق والحجاب عن الله تعالى وهو خوف العارفين وما قبل ذلك خوف العابدين والزاهدين والصالحين وكافة العاملين ومن لم تكمل معرفته وتنفتح بصيرته لم يشعر بلذة الوصال ولا ايلام البعد والفراق واذا ذكر له ان العارف لا يخاف النار وانما يخاف الحجاب وجد ذلك منكرا في باطنه وتعجب منه نفسه وربما انكر لذة النظر الى وجه الله سبحانه لولا منع الشرع اياه من انكار ذلك فيكون اعترافه باللسان عن ضرورة التقليد والا فباطنه لا يصدق فيه لانه لا يعرف الا لذة البطن والفرج والعين بالنظر الى الالوان والوجوه الحسان وبالجملة كل لذة يشارك البهايم فيها ۝ فاما لذة العارفين فلا يدركها غيرهم وتفصيل ذلك وشرحه حرام مع من ليس اهلا له ۝ ومن كان اهلا له استبصر بنفسه واستغنى عن ان يشرحه له غيره والى هذه الاقسام يرجع خوف الخائفين ۝

التصوف لكر

الخائفين

بيان فضيلة الخوف

والترغيب فيه

اعلم ان فضل الخوف تارة يعرف بالتأمل والاعتبار وتارة بالآيات والاخبار اما الاعتبار فسبيله ان تعلم ان فضيلة الشيء بقدر غنائه في الافضاء الى سعادة لقاء الله سبحانه اذ لا مقصود سوى السعادة ولا سعادة للعبد الا في لقاء مولاه والقرب منه فكل ما اعان عليه فله فضيلة وفضيلته بقدر اعانته وقد ظهر انه لا وصول الى سعادة لقاء الله تعالى في الآخرة الا بتحصيل محبته والانس به في الدنيا ولا تحصل المحبة الا بالمعرفة ولا تحصل المعرفة الا بدوام الفكر ولا يحصل الانس الا بالمحبة ودوام الذكر ولا يتيسر المواظبة على الذكر والفكر الا بانقلاع حب الدنيا من القلب ولا ينقلع ذلك الا بترك لذات الدنيا وشهواتها ولا يمكن ترك المشتهيات الا بقمع الشهوات ولا تنقمع الشهوة بشيء كما تنقمع بنار الخوف فالخوف هو النار المحرقة للشهوات فاذا فضيلته بقدر ما يحرق من الشهوات وبقدر ما يكف عن المعاصي ويحث على الطاعات ويختلف ذلك باختلاف درجات الخوف كما سبق وكيف لا يكون للخوف فضيلة وبه تحصل العفة والورع والتقوى والمجاهدة وهي الاعمال الصالحة المحمودة التي تقرب الى الله زلفى واما بطريق الاقتباس من الآيات والاخبار فما ورد في فضيلة الخوف خارج عن الحصر وناهيك دلالة على فضيلته جمع الله للخائفين الهدى والرحمة والعلم والرضوان وهي مجامع مقامات اهل الجنان قال سبحانه هدى ورحمة للذين هم لربهم يرهبون وقال تعالى انما يخشى الله من عباده العلماء فوصفهم بالعلم لخشيتهم وقال تعالى رضي الله عنهم ورضوا عنه ذلك لمن خشي ربه وكل ما دل على فضيلة العلم دل على فضيلة الخوف لان الخوف ثمرة العلم ولذلك جاء في خبر موسى عليه السلام واما الخائفون فان لهم الرفيق الاعلى لا يشاركون فيه فانظر كيف افردهم بمرافقة الرفيق الاعلى وذلك لانهم العلماء والعلماء لهم رتبة مرافقة الانبياء لانهم ورثة الانبياء ومرافقة الرفيق الاعلى للانبياء صلوات الله وسلامه عليهم ومن يلحق بهم ولذلك لما خير عليه السلام في مرض موته بين البقاء في الدنيا وبين القدوم على الله تعالى كان يقول الرفيق الاعلى فاذا ان نظر الى مثمره فهو العلم وان نظر الى ثمرته فالورع والتقوى ولا يخفى ما ورد في فضائلها حتى ان العاقبة كانت مرسومة بالتقوى مخصوصة

ولهذا كما صار الحمد مخصوصا بالله تعالى والصلاة برسول الله صلى الله عليه وسلم حتى يقال
الحمد لله رب العالمين والعاقبة للمتقين وصلى الله على محمد وآله أجمعين وقد خصص الله سبحانه
التقوى بالإضافة إلى نفسه فقال لن ينال الله لحومها ولا دماؤها ولكن يناله التقوى منكم
وإنما التقوى عبارة عن كف بمقتضى الخوف كما سبق ولذلك قال سبحانه إن أكرمكم عند الله أتقاكم
ولذلك وصى الله تعالى الأولين والآخرين بالتقوى فقال ولقد وصينا الذين أوتوا
الكتاب من قبلكم وإياكم أن اتقوا الله وقال تعالى وخافون إن كنتم مؤمنين فأمر
بالخوف وأوجبه وشرطه في الإيمان فلذلك لا يتصور أن ينفك مؤمن عن خوف وإن ضعف ويكون
ضعف خوفه بسبب ضعف معرفته وإيمانه وقال عليه السلام في فضيلة التقوى إذا جمع
الله تعالى بين الأولين والآخرين لميقات يوم معلوم ناداهم بصوت يسمع أقصاهم كما يسمع أدناهم
يقول يا أيها الناس إني قد أنصت لكم منذ خلقتكم إلى يومكم هذا فأنصتوا إلي اليوم إنما هي
أعمالكم ترد عليكم أيها الناس إني جعلت لكم نسبا وجعلتم نسبا فوضعتم نسبي ورفعتم
نسبكم قلت إن أكرمكم عند الله أتقاكم وأبيتم إلا أن تقولوا فلان ابن فلان وفلان أغنى
من فلان فاليوم أضع نسبكم وأرفع نسبي أين المتقون فينصب للقوم لواء فيتبع القوم لواءهم
إلى منازلهم فيدخلون الجنة بغير حساب ۝ **وفي خبر موسى عليه السلام**
وأما الورعون فإنه لا يبقى أحد إلا ناقشته الحساب وفتشت عما في يديه إلا الورعين فإني ۝
أستحييهم وأجلهم أن أوقفهم للحساب والورع والتقوى أسامٍ اشتقت من معانٍ شرطها الخوف
فإن خلت عن الخوف لم تسم بهذه الأسامي **وكذلك ما ورد في فضائل الذكر**
لا تحصى وقد جعله الله تعالى مخصوصا بالخائفين فقال سيذكر من يخشى ۝ وقال ولمن
خاف مقام ربه جنتان ۝ وقال عليه السلام قال الله وعزتي لا أجمع على عبدي خوفين
ولا أجمع له أمنين فإذا أمنني في الدنيا أخفته يوم القيامة ۝ وقال الفضيل رضي الله
عنه وقد يرفع إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم من خاف الله خافه كل شيء ومن خاف من غير الله
خاف من كل شيء. **وقيل للحسن رضي الله عنه** يا أبا سعيد كيف نصنع بأقوام يخوفونا
حتى تكاد قلوبنا تطير فقال إنك والله لأن تخالط قوما يخوفونك حتى يدركك أمن خير
من أن تصحب قوما يؤمنونك حتى يدركك الخوف ۝ وقال أبو سليمان الداراني ما فارق
الخوف قلبا إلا خرب ۝ وقالت عائشة رضي الله عنها قلت يا رسول الله الذين يؤتون
ما آتوا وقلوبهم وجلة هو الرجل يسرق ويزني قال لا بل الرجل يصوم ويتصدق ويصلي ويخاف
أن لا يقبل منه والتشديدات الواردة في الأمن من مكر الله وعذابه لا تنحصر وكل ذلك ثناء

التقوى

شرطها

خوف الله

ثناء على الخوف لان مذمة الشيء ثناء على ضده الذي ينافيه وضد الخوف الأمن كما ان ضد الرجاء اليأس
وكما دلت مذمة القنوط على فضيلة الرجاء فكذلك تدل مذمة الامن على فضيلة الخوف المضاد له
بل نقول كل ما ورد في فضل الرجاء فهو دليل على فضل الخوف لانهما متلازمان فان كل من رجا محبوبًا
فلا بد ان يخاف فوته فان كان لا يخاف فوته فهو اذا لا يحبه فلا يكون بانتظاره راجيا فالخوف والرجاء
متلازمان يستحيل انفكاك احدهما عن الآخر وهما مجتمعان ويجوز ان يشتغل القلب باحدهما
ولا يلتفت الى الآخر في الحال لغفلته عنه وهذا لان من شرط الرجاء والخوف تعلقهما بما
هو مشكوك فيه اذ المعلوم لا يرجى ولا يخاف فاذا المحبوب الذي يجوز وجوده يجوز عدمه لا محالة
فتقدير وجوده يروح القلب وهو الرجاء وتقدير عدمه يوجع القلب وهو الخوف والتقديران
يتقابلان لا محالة اذا كان ذلك الامر المنتظر مشكوكا فيه نعم احد طرفي الشك قد يترجح بحضور
بعض الاسباب ويسمى ذلك ظنا فيكون ذلك سببا لغلبة احدهما على الآخر فاذا غلب على
الظن وجود المحبوب قوي الرجاء وخفي الخوف بالاضافة اليه وكذا بالعكس وكذا على كل حال
فهما متلازمان ولذلك قال سبحانه ويدعوننا رغبا ورهبا وقال سبحانه
يدعون ربهم خوفا وطمعا ولذلك عبرت العرب عن الخوف بالرجاء فقال تعالى لا ترجون لله وقارا
اي لا تخافون وكثيرا ما ورد في القرآن الرجاء بمعنى الخوف وذلك لتلازمهما اذ عادة العرب التعبير
عن الشيء بما يلازمه بل اقول كل ما ورد في فضل البكاء من خشية الله تعالى اظهار لفضيلة الخشية
فان البكاء ثمرة الخشية وقد قال تعالى فليضحكوا قليلا وليبكوا كثيرا وقال تعالى
يبكون ويزيدهم خشوعا وقال أفمن هذا الحديث تعجبون وتضحكون ولا تبكون
وقال عليه السلام ما من عبد مؤمن يخرج من عينيه دموع
وان كانت مثل راس الذباب من خشية الله تعالى ثم تصيب شيئا من حر وجهه الا حرمه
الله على النار وقال عليه السلام لا يلج احد في النار بكى من خشية الله تعالى حتى يعود
اللبن في الضرع وقال عقبة ابن عامر رضي الله عنه ما النجاة يا رسول الله قال امسك
عليك لسانك وليسعك بيتك وابك على خطيئتك وقالت عائشة رضي الله عنها
قلت يا رسول الله أيدخل الجنة احد من امتك بغير حساب قال نعم من ذكر ذنوبه فبكى وقال
ما من قطرة احب الى الله تعالى من قطرة دمع من خشية الله او قطرة دم اهريقت في سبيل
الله وقال اللهم ارزقني عينين هطالتين تشفيان بذرف الدمع قبل ان يصير الدمع
دما والاضراس جمرا وقال سبعة يظلهم الله يوم لا ظل الا ظله وذكر منهم
رجلا ذكر الله في خلوة ففاضت عيناه فاذا كل ما ورد في فضل الرجاء والبكاء وفضل التقوى

الخوف والرجاء متلازمان

البكاء

والورع وفضل العلم ومذمة الامن فهو دلالة على الخوف لان جملة ذلك متعلقة به اما تعلق السبب او تعلق المسبب

بيان ان الافضل

هو غلبة الخوف او غلبة الرجا او اعتدالهما

اعلم ان الاخبار في فضل الرجا والخوف قد كثرت وربما ينظر الناظر اليها فيعتريه شك في ان الافضل ايهما وقول القايل الخوف افضل من الرجا سؤال وامر يضاهي قول القايل الخبز افضل ام الما وجوابه ان الخبز افضل للجايع والما افضل للعطشان فاذا اجتمعا نظر الى الاغلب فان كان الجوع اغلب فالخبز افضل فان استويا فهما متساويان وهذا لان كل ما يراد لمقصود ففضله يظهر بالاضافة الى مقصوده لا الى نفسه والخوف والرجا دوا ان يداوى بهما القلوب ففضلهما بحسب الدا الموجود فان كان الغالب على القلب دا الامن والقنوط من رحمة الله تعالى فالرجا افضل وكذلك ان كان الغالب على العبد المعصية فالخوف افضل ويجوز ان يقال مطلقا الخوف افضل في التاويل الذي يقال الخبز افضل من السكنجبين اذ يعالج بالخبز مرض الجوع والسكنجبين مرض الصفرا ومرض الجوع اكثر واغلب والحاجة الى الخبز اكثر فهو اكثر فبهذا الاعتبار غلبة الخوف افضل لان المعاصي والاغترار على الخلق اغلب وان نظر الى مطلع الخوف والرجا فالرجا افضل لان الرجا مستقى من بحر الرحمة ومستقى الخوف من بحر الغضب ومن لاحظ من صفات الله تعالى ما يقتضي اللطف والرحمة كانت المحبة عليه اغلب وليس ورا المحبة مقام واما الخوف فمقامه الالتفات الى الصفات التي تقتضي العنف فلا تمازجه المحبة ممازجتها للرجا وعلى الجملة فما يراد لغيره فينبغي ان يستعمل فيه لفظ الاصلح لا لفظ الافضل **فنقول اكثر الخلق الخوف لهم اصلح من الرجا** وذلك لاجل غلبة المعاصي فاما التقي الذي ترك ظاهر الاثم وباطنه وخفيه وجليه فالاصلح ان يعتدل خوفه ورجاوه ولذلك قيل لو وزن رجا المومن وخوفه لاعتدلا ولذلك قال عمر رضي الله عنه لو نودي ليدخل النار كل الناس الا رجلا لرجوت ان اكون انا ذلك الرجل ولو نودي ليدخل الجنة كل الناس الا رجلا لخفت ان اكون انا ذلك الرجل فهذا اعتقاد عن غاية الخوف وغاية الرجا واعتدالهما مع الغلبة والاستيلا ولكن على سبيل التقاوم والتساوي فمثل عمر رضي الله عنه ينبغي ان يتساوى خوفه ورجاوه فاما العاصي فاذا ظن انه الرجل الذي استثني من الذين امروا ان يدخلوا النار كان ذلك دليلا على اغتراره **فان قلت** مثل عمر رضي الله عنه لم ينبغي ان يتساوى خوفه

قول عمر رض في الخوف

خوفه ورجاؤه بل كان ينبغي ان يغلب رجاؤه كما سبق في اول الرجاء. وان قوة الرجاء ينبغي
ان يكون بحسب قوة اسبابه كما مثل بالبذر عن الزرع ومعلوم ان من بث البذر الصحيح في ارض
نقية واظب على تعهدها وجاء بجميع شروطها غلب على قلبه رجاء الادراك ولم يكن خوفه
متساويا لرجائه فهكذا ينبغي ان يكون احوال المتقين فاعلم ان من ياخذ المعارف
من الالفاظ والامثلة يكثر زلله وذلك وان اوردناه مثلا فليس يضاهي ما نحن فيه
من كل وجه لان سبب غلبة الرجاء العلم الحاصل بالتجربة اذ علم بالتجربة صحة الارض وطهارتها
وصحة البذر وصحة الهواء وقلة الصواعق المهلكة في تلك البقاع وانما مثل مسئلتنا بذر لم
يجرب جنسه وقد بث في ارض غريبة لم يتعهدها الزارع ولم يختبرها او في بلاد لم يدر اتكثر
الصواعق فيها ام لا فان هذا الزارع وان ادى كل مجهوده وجاء بكل مقدوره فلا يغلب رجاؤه
على خوفه والبذر في مسئلتنا وشروط صحته دقيقة والارض القلب وخبايا خبثه وصفائه
من الشرك الخفي والنفاق والرياء وخبايا الاخلاق وفيها غامضة والافات هي الشهوات
وزخارف الدنيا والتفات القلب اليها في مستقبل الزمان وان سلم في الحال وذلك
مما لا يتحقق ولا يعرف بالتجربة اذ قد يعرض من الاسباب ما لا يطاق مخالفته ولم يجرب مثله
والصواعق هي اهوال سكرات الموت واضطراب الاعتقاد عند ذلك وذلك مما لم يجرب
والحصاد والادراك عند المنصرف في القيامة الى الجنة وذلك لم يجرب ومن عرف حقائق
هذه الامور فان كان ضعيف القلب جبانا في نفسه غلب خوفه على رجائه لا محالة كما حكي
عن احوال الخائفين من الصحابة والتابعين رضي الله عنهم اجمعين وان كان قوي القلب
ثابت الجاش تام المعرفة استوى خوفه ورجاؤه فاما ان يغلب رجاؤه فلا
بقية
ولقد كان عمر رضي الله عنه يبالغ في تفتيش قلبه حتى كان يسأل حذيفة
رضي الله عنه انه هل يعلم به من اثر النفاق شيئا اذ كان رسول الله صلى الله عليه وسلم
خصص حذيفة بعلم المنافقين فمن الذي يقدر على تطهير قلبه من خبايا النفاق والشرك
الخفي وان اعتقد نقاء قلبه من ذلك فمن اين يامن مكر الله بتلبيس حاله عليه واخفاء
عيبه عنه وان وثق به فمن اين يثق ببقائه على ذلك الى تمام حسن الخاتمة وقد قال عليه
السلام ان الرجل ليعمل بعمل اهل الجنة خمسين سنة حتى ما يبقى بينه وبينها الا
شبر وفي رواية الا فواق ناقة فيسبق عليه الكتاب فيختم له بعمل اهل النار وفواق ناقة
لا يحتمل عملا بالجوارح وانما هو خاطر يختلج في القلب عند الموت فيقتضي خاتمة السوء
فكيف يؤمن ذلك فاذا اقصى غايات المؤمن ان يعتدل خوفه ورجاؤه اما غلبة الرجاء في غالب

فائدة
ف
البذر ارض هوى والحصاد بعد الاشياء
شرك خفي نفاق ريا قلب
سكرات الموت
والقيمة

الناس فانما يكون مستنده الاغترار وقلة المعرفة ولذلك جمع الله بينهما في وصف من
اثنى عليه فقال تعالى يدعون ربهم خوفا وطمعا وقال تعالى ٥
ويدعوننا رغبا ورهبا ٥ وابن مثل عمر رضي الله عنه فالخلق الموجودون كلهم الاصلح لهم
غلبة الخوف بشرط ان لا يخرجهم الى الياس وترك العمل وقطع الطمع من المغفرة فيكون
ذلك سببا للتكاسل عن العمل والانهماك في المعاصي فان ذلك قنوط وليس بخوف انما الخوف
هو الذي يحث على العمل ويكدر جميع الشهوات ويزعج القلب عن الركون الى الدنيا ويدعوه
الى التجافي عن دار الغرور فهو الخوف المحمود دون حديث النفس الذي لا يؤثر في الكف
والحذر دون الياس الموجب للقنوط وقال يحيى ابن معاذ رحمه الله من عبد الله بمحض الخوف
غرق في بحر الافكار ومن عبد الله بمحض الرجا تاه في مفازة الاغترار ومن عبد الله بالخوف
والرجا استقام على محجة الاذكار وقال مكحول الدمشقي ٥
من عبد الله بالخوف فهو حروري ومن عبد الله بالرجا فهو مرجي ومن عبد الله بالمحبة
فهو زنديق ومن عبد الله بالخوف والرجا والمحبة فهو موحد فاذا لا بد من الجمع بين هذه الامور
وغلبة الخوف الذي هو الاصلح ولكن قبل الاشراف على الموت اما عند الموت فالاصلح غلبة
الرجا وحسن الظن لان الخوف جار مجرى السوط الباعث على العمل وقد انقضى وقت العمل
فالمشرف على الموت لا يقدر على العمل ثم لا يطيق اسباب الخوف فان ذلك يقطع نياط قلبه ٥
ويعين على تعجيل موته فاما روح الرجا فانه يقوي قلبه ويحبب اليه ربه الذي اليه رجاؤه
ولا ينبغي ان يفارق احد الدنيا الا وهو محب لله تعالى ليكون محبا للقاء الله تعالى حتى تتم
المعرفة المحبة فان المصير اليه والقدوم بالموت عليه ومن قدم على محبوبه عظم سروره
بقدر محبته ومن فارق محبوبه اشتدت محنته وعذابه فمهما كان الغالب عند الموت حب
الاهل والولد والمال والمسكن والرفقا والاصحاب فهذا رجل محابه كلها في الدنيا ٥
فالدنيا جنته اذ الجنة عبارة عن البقعة الجامعة لجميع المحاب فموته خروج من الجنة
وحيلولة بينه وبين ما يشتهيه فاما اذا لم يكن محبوبه سوى الله تعالى وسوى ذكره ٥
ومعرفته والفكر فيه فالدنيا وعلائقها شاغلة له عن المحبوب فالدنيا اذا سجنه لان السجن
عبارة عن البقعة المانعة للمحبوس عن الانشراح الى محابه فهو بذلك قدومه على محبوبه ٥
وخلاص من السجن فلا يخفى حال من افلت من السجن وخلي بينه وبين محبوبه بلا مانع ولا مكدر
فهذا اول ما يلقاه عن كل من فارق الدنيا عقيب موته من الثواب والعقاب فضلا عما
اعد الله لعباده الصالحين ما لم تره عين ولا خطر على قلب بشر وفضلا عما اعد للذين ٥

مطلب الخوف والرجا

للذين استحبوا الحياة الدنيا على الآخرة ورضوا بها واطمأنوا إليها من الأنكال والسلاسل والأغلال وضروب الخزي والنكال فنسأل الله تعالى أن يتوفانا مسلمين ويلحقنا بالصالحين ولا مطمع في إجابة هذا الدعاء إلا باكتساب حب الله ولا سبيل له إلا بإخراج حب غيره من القلب وقطع العلائق عن كل ما سوى الله تعالى من جاه ومن مال ومن وطن فالأولى أن ندعو بما دعا به نبينا صلى الله عليه وسلم إذ قال اللهم ارزقني حبك وحب من أحبك وحب من يقربني إلى حبك واجعل حبك أحب إلي من الماء البارد والغرض أن غلبة الرجاء عند الموت أصلح لأنه أجلب للمحبة [in the hand: أحرق لنار الشهوات وأقمع لمحبة الدنيا من القلب] ٥ ولذلك قال عليه السلام لا يموتن أحدكم إلا وهو يحسن الظن بالله تعالى وقال سبحانه أنا عند ظن عبدي بي فليظن بي ما شاء ولما حضرت سليمان التيمي الوفاة قال لابنه يا بني حدثني بأحاديث الرجاء حتى ألقى الله تعالى على حسن الظن به ٥ وكذلك لما حضرت الثوري الوفاة واشتد وجعه جمع العلماء حوله يرجونه وقال أحمد بن حنبل رحمه الله عند الموت لابنه اذكر لي الأخبار التي فيها الرجاء وحسن الظن ٥ والمقصود من ذلك كله أن يحبب الله إلى نفسه ولذلك أوحى الله تعالى إلى داود عليه السلام أن حببني إلى عبادي فقال بماذا فقال أن تذكرهم آلائي ونعمائي فإذا غاية السعادة أن يموت العبد محبا لله تعالى وإنما تحصل المحبة بالمعرفة وبإخراج حب الدنيا من القلب حتى تصير الدنيا كالسجن المانع من المحبوب ٥ ولذلك رأى بعض الصالحين أبا سليمان الداراني في المنام وهو يطير فسأله فقال الآن أفلت فلما أصبح سأل عن حاله فقيل له مات البارحة

بيان الدوا
الذي يستحكم حال الخوف

اعلم أن ما ذكرناه في دواء الصبر وشرحناه في كتاب الصبر والشكر كاف في هذا الغرض لأن الصبر لا يمكن إلا بعد حصول الخوف والرجاء لأن أول مقامات الدين اليقين الذي هو عبارة عن قوة الإيمان بالله واليوم الآخر والجنة والنار وهذا اليقين بالضرورة يهيج الخوف من النار والرجاء للجنة ٥ والخوف والرجاء يقويان على الصبر فإن الجنة قد حفت بالمكاره فلا يصبر على تحملها إلا بقوة الرجاء والنار قد حفت بالشهوات فلا يصبر على قمعها إلا بقوة الخوف ولذلك قال علي

حب الله

عند الموت

الجنة والنار

رضي الله عنه من اشتاق الى الجنة سلا عن الشهوات ومن اشفق من النار رجع عن المحرمات
ثم يؤدي مقام الصبر المستفاد من الخوف والرجا الى مقام المجاهدة والتجرد لذكر الله
سبحانه والفكر فيه على الدوام ويؤدي دوام الذكر الى الانس ويؤدي دوام الانس الى كمال
المعرفة والانس الى المحبة ويتبعها مقام الرضى والتوكل وساير المقامات فهذا هو الترتيب
في سلوك منازل الدين وليس بعد اصل اليقين مقام سوى الخوف والرجا ولا بعدهما مقام
سوى الصبر وبه المجاهدة والتجرد لله ظاهرا وباطنا ولا مقام بعد المجاهدة لمن يفتح له
الطريق الا الهداية والمعرفة ولا مقام بعد المعرفة الا المحبة والانس من ضرورة المحبة
الرضى بفعل المحبوب والثقة بعنايته وهو التوكل فاذا فيما ذكرناه في علاج الصبر كفاية
ولكنا نفرد الخوف بكلام جملي فنقول الخوف يحصل بطريقين مختلفين احدهما اعلى من الاخر

مثال الخوف

ومثاله ذلك ان الصبي اذا كان في بيت فدخل عليه سبع او حية ربما كان لا يخاف وربما
مد يده الى الحية لياخذها ويلعب بها ولكن اذا كان معه ابوه وهو عاقل خاف من الحية
وهرب منها فاذا نظر الصبي الى ابيه وهو يرتعد فرايصه ويحتال في الهرب قام معه وغلب
عليه الخوف ووافقه في الهرب فخوف الاب عن بصيرة ومعرفة بصفة الحية وسمها وخاصيتها
وسطوة السبع وبطشه وقلة مبالاته واما خوف الابن فانما من مجرد التقليد لانه يحسن
الظن بابيه ويعلم انه لا يخاف الا من سبب مخوف ولا يدري وجه الخوف فاذا عرف هذا

انواع الخوف

المثال فاعلم ان الخوف من الله تعالى على مقامين احدهما الخوف من عذابه والثاني
الخوف منه في ذاته فاما الخوف منه فهو خوف العلما وارباب القلوب العارفين من صفاته
بما يقتضي الهيبة والخوف والحذر المطلعين على سر قوله تعالى ويحذركم الله نفسه
وقوله اتقوا الله حق تقاته فهو خوف عموم الخلق وهو حاصل باصل الايمان بالجنة
والنار وكونهما جزائين على الطاعة والمعصية وضعفه بسبب الغفلة وبسبب ضعف
الايمان وانما تزول الغفلة بالوعظ والتذكر وملازمة الفكر في اهوال القيمة واصناف
العذاب في الآخرة ويزيد ايضا بالنظر الى الخايفين ومجالستهم ومشاهدة احوالهم فان
فاتت المشاهدة فالسماع لا يخلو عن تاثير واما الثاني وهو الاعلى فان يكون الله هو المخوف
اعني ان يخاف العبد الغفلة والحجاب عنه ويرجو القرب منه قال ذو النون
خوف النار عند خوف الفراق كقطرة قطرت في بحر لجي وهذه خشية العلما حيث قال سبحانه
انما يخشى الله من عباده العلما ولعموم المومنين ايضا حظ من هذه الخشية ولكن هي

مثال الخوف

بمجرد التقليد تضاهي خوف الصبي من الحية تقليدا لابيه وذلك لا يستند الى بصيرة

عقايد تقليدي
مثال الخوف

بصيرة فلاجرم تضعف وتزول عن قريب كما ان الصبي ربما يرى المعزم يقدم على
اخذ الحية فينظر اليه ويغتر به فيجتري على اخذها تقليدا له كما احترز عن اخذها
تقليدا لابيه والعقايد التقليدية ضعيفة في الغالب الا اذا قويت بمشاهدة
اسبابها الموكدة لها على الدوام والمواظبة بمقتضاها في تكثير الطاعات واجتناب
المعاصي مدة طويلة على الاستمرار فاذا من ارتقى الى درجة المعرفة وعرف الله خافه
بالضرورة فلا يحتاج الى علاج في طلب الخوف كما ان عرف السبع وراى نفسه واقعا
في مخاليبه لا يحتاج الى علاج بجلب الخوف الى قلبه بل يخاف بالضرورة شاء ام ابى ولذلك
اوحى الله سبحانه الى داود عليه السلام خفني كما تخاف السبع الضاري ولا حيلة في
جلب الخوف من السبع الضاري الا معرفة السبع ومعرفة الوقوع في مخاليبه فلا يحتاج
الى حيلة سوى ذلك فمن عرف الله عرف انه يفعل ما يشاء ولا يبالي ويحكم ما يريد ولا
يخاف قرب الملايكة من غير وسيلة سابقة وابعد ابليس
من غير جريمة سابقة بل صفته جل جلاله ما ترجمه قوله هولاء في الجنة ولا ابالي وهولاء
في النار ولا ابالي وان خطر ببالك انه لا يعاقب الا على معصية ولا يثيب الا على طاعة
فتامل انه لم يمد المطيع باسباب الطاعة حتى يطيع شاء ام ابى ولم يمد العاصي بدواعي
المعصية حتى يعصي شاء ام ابى فانه مهما خلق الشهوة والغفلة والقدرة على قضاء
الشهوة كان الفعل واقعا بالضرورة فان كان ابعده لانه عصاه فلم حمله على المعصية
هل ذلك لمعصية سابقة حتى يتسلسل الى غير نهاية او يقف لا محالة على اول لا علة
له من جهة العبد فلم قضى عليه في الازل ٥ وعن هذا المعنى عبر رسول الله صلى الله
عليه وسلم اذ قال حج ادم موسى صلى الله عليهما وقال خلقك الله تعالى في الجنة
ونهاك عن الشجرة وفعل بك كيت وكيت فاكلت الشجرة واخرجت نفسك وذريتك من
الجنة فقال ادم وهل كان ذلك مكتوبا علي في الازل قال عليه السلام ٥
فحج ادم موسى عليهما السلام فمن عرف السبب في هذا الامر معرفة صادرة عن نور الهداية
فهو من خصوص العارفين المطلعين على سر القدر ومن سمع هذا فامن به وصدق بمجرد
السماع فهو من عموم المومنين ويحصل لكل واحد من الفريقين خوف فان كل عبد فهو
واقع في قبضة القدر وقوع الصبي الضعيف في مخالب السبع قد يغفل باتفاق فيخليه
وقد يهجم عليه فيفترسه وذلك بحسب ما يتفق ولذلك الاتفاق اسباب مركبة بقدر
معلوم ولكن اذا اضيف الى علم الله سبحانه لم يجز ان يسمى اتفاقا والواقع في مخالب السبع

مثال الخوف

لو كملت معرفته لكان لا يخاف السبع لأن السبع مسخر إن سلط عليه الجوع افترس وإن
سلطت عليه الغفلة خلى وترك وإنما يخاف خالق السبع وخالق صفاته ولست أقول
مثال الخوف من الله الخوف من السبع بل إذا كشف الغطا علم أن الخوف من السبع هو عين الخوف
من الله تعالى لأن المهلك بواسطة السبع هو الله تعالى ٥ واعلم أن سباع الآخرة
مثل سباع الدنيا وأن الله خلق أسباب العذاب وأسباب الثواب وخلق لكل واحدة ٥
أهلا يسوقهم القدر المتفرع عن القضاء الجزم الأزلي إلى ما خلقوا له فخلق الجنة
وخلق لها أهلا سخروا لأسبابها شاؤا أم أبوا وخلق النار وخلق لها أهلا وسخر لها
أهلا سخروا لأسبابها شاؤا أم أبوا فلا يرى أحد نفسه في ملتطم أمواج القدر إلا غلبه
الخوف بالضرورة فهذه مخاوف العارفين لسر القدر فمن قعد به القصور عن الارتقاء
إلى يفاع الاستبصار فسبيله أن يعالج نفسه بسماع الأخبار والآثار فيطالع أحوال
الخائفين وأقوالهم وينسب عقولهم ومناصبهم إلى مناصب الراجين المغرورين فلا
يتمادى في أن الاقتدا بهم أولى لأنهم الأنبيا والأوليا والعلما وأما الآمنون فهم
الفراعنة الجهال الأغبيا. أما نبينا صلى الله عليه وسلم فهو سيد
الأولين والآخرين وكان أشد الناس خوفا حتى روي أنه كان يصلي على طفل ففي رواية
أنه سمع دعاوه يقول اللهم قه من فتنة القبر وعذاب النار وفي رواية ثانية ٥
أنه سمع قائلة تقول هنيا لك عصفور من عصافير الجنة فغضب وقال ما يدريك
أنه كذلك والله إني رسول الله وما أدري ما يصنع بي إن الله تعالى خلق الجنة وخلق لها أهلا
فلا يزاد فيهم ولا ينقص منهم وروي أنه قال ذلك على جنازة عثمان بن مظعون ٥
وكان من المهاجرين الأولين فكانت أم سلمة تقول بعد ذلك والله لا أزكي أحدا بعد عثمان
وقال محمد بن خولة الحنفي والله لا أزكي أحدا بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم
ولا أبي الذي ولدني فثارت الشيعة فأخذ يذكر من فضايل علي ومناقبه عليه السلام ٥
وروي في حديث آخر أن رجلا من أهل الصفة استشهد فقالت أمه هنيا لك
عصفور من عصافير الجنة هاجرت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقتلت في سبيل
الله فقال عليه السلام وما يدريك لعله كان يتكلم بما لا ينفعه ويمنع ما لا يضره
وفي حديث آخر دخل عليه السلام على بعض أصحابه وهو عليل فسمع امرأة تقول هنيا
لك الجنة فقال عليه السلام من هذه المتألية على الله تعالى فقال المريض هي أمي
يا رسول الله فقال وما يدريك لعل فلانا كان يتكلم بما لا يعنيه ويبخل بما لا يغنيه وكيف لا

البقية

الا بعدا لمدين

وكيف لا يخاف المؤمنون كلهم وهو عليه السلام يقول شيبتني هود وأخواتها
سورة الواقعة وإذا الشمس كورت وعم يتساءلون فقال العلماء لعل ذلك في سورة
هود من الإبعاد كقوله ألا بعداً لثمود ألا بعداً لعاد كما بعدت ثمود مع علمه عليه السلام
بأنه لو شاء ما أشركوا وإذ لو شاء لآتى كل نفس هداها وفي سورة الواقعة ليس لوقعتها
كاذبة أي جف القلم بما هو كائن وتمت السابقة حتى نزلت الواقعة أما خافضة قوم
كانوا مرفوعين في الدنيا وأما رافعة قوم كانوا مخفوضين في الدنيا وفي سورة
التكوير أهوال القيامة وانكشاف الخاتمة وإذا الجحيم سعرت وإذا الجنة أزلفت علمت
نفس ما أحضرت وفي عم يتساءلون يوم ينظر المرء ما قدمت يداه وقوله تعالى لا يتكلمون
إلا من أذن له الرحمن وقال صوابا والقرآن الكريم من أوله إلى آخره مخاوف لمن قرأه
بتدبر ولو لم يكن إلا قوله سبحانه وإني لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحا ثم
اهتدى لكان ذلك كافيا إذ علق المغفرة على أربعة شروط يعجز العبد عن آحادها
وكذلك قوله سبحانه والعصر إن الإنسان لفي خسر إلى آخر السورة فهي أربعة
شروط للخلاص من الخسران وإنما خوفوا الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم مع ما فاض
عليهم من النعم لأنهم لم يأمنوا مكر الله ولا يأمن مكر الله إلا القوم الخاسرون
حتى روي أن النبي وجبريل صلى الله عليهما وسلم بكيا خوفا من الله سبحانه فأوحى
الله إليهما لم تبكيان وقد أمنتكما فقال ومن لا يأمن مكرك وكأنهما إذ علما
أن الله تعالى علام الغيوب ولأنه لا وقوف لهما على غاية الأمور لم يأمنا أن يكون
قوله تعالى قد أمنتكما ابتلاء لهما وامتحانا ومكرا بهما حتى إن سكن خوفهما
ظهر أنهما قد أمنا من المكر وما وفيا بقولهما كما أن إبراهيم عليه السلام لما وضع في
المنجنيق قال حسبي الله وكانت هذه من الدعاوي العظام فامتحن وعورض بجبريل
عليه السلام في الهواء فقال له ألك حاجة قال أما إليك فلا فكان ذلك وفاء بمقتضى قوله
عليه السلام حسبي الله فأخبر الله تعالى عنه فقال وإبراهيم الذي وفى أي بموجب
قوله حسبي الله وبمثل هذا أخبر موسى عليه السلام حيث قال إننا نخاف أن يفرط
علينا أو أن يطغى قال لا تخافا إنني معكما أسمع وأرى ومع هذا ألقى السحرة
سحرهم أوجس موسى في نفسه خيفة ولم يأمن مكر الله حتى جدد عليه الأمن
قال لا تخف إنك أنت الأعلى ولما ضعفت شوكة المسلمين يوم بدر قال عليه السلام
اللهم إن تهلك هؤلاء لم يبق على وجه الأرض أحد يعبدك فقام أبو بكر الصديق رضي الله

عنه مقام الثقة بوعد الله تعالى وكان مقام رسول الله صلى الله عليه وسلم مقام الخوف
من مكر الله وهو أتم لأنه لا يصدر إلا عن كمال المعرفة بأسرار الله تعالى وخفايا أفعاله
ومعاني صفاته التي يعبر عما يصدر عنها بالمكر وما لأحد من البشر الوقوف على كنه صفات
الله تعالى ومن عرف حقيقة المعرفة وقصور معرفته عن الإحاطة بكنه الأمر عظم خوفه
لا محالة ولذلك قال عليه السلام لما قيل له أأنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلهين
من دون الله قال إن كنت قلته فقد علمته تعلم ما في نفسي ولا أعلم ما في نفسك إنك
أنت علام الغيوب وقال إن تعذبهم فإنهم عبادك وإن تغفر لهم فإنك
أنت العزيز الحكيم وفوض الأمر إلى المشيئة وأخرج نفسه بالكلية من الأمر لعلمه
أنه ليس له من الأمر شيء وأن الأمور مرتبطة بالمشيئة ارتباطاً يخرج عن حد المعقولات
والمألوفات ولا يمكن الحكم عليها بقياس وحدس وحسبان فضلاً عن التحقيق
والاستيقان وهذا هو الذي قطع قلوب العارفين إذ الطامة الكبرى عن ارتباط
أمرك بمشيئة من لا يبالي بك إن أهلكك فقد أهلك من لا يحصى من أمثالك
ولم يزل في الدنيا يعذبهم بأنواع الآلام والأمراض ويمرض مع ذلك قلوبهم بالكفر
والنفاق ثم يخلد العقاب عليهم أبد الآباد ثم يخبر سبحانه عن ذلك ويقول ولو
شئنا لآتينا كل نفس هداها ولكن حق القول لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين
فكيف لا يخاف ما حق القول في الأزل ولا مطمع في تداركه ولو كان الأمر أنفاً لكانت تمتد
إلى حيلة فيه ولكن ليس إلا التسليم واستقراء خفي السابقة من جلي الأسباب الظاهرة
على القلب والجوارح فمن تيسرت له أسباب الشر وحيل بينه وبين أسباب الخير
وأحكمت علاقته مع الدنيا فكأنه كشف له على التحقيق سر السابقة التي سبقت له
بالشقاوة إذ كل ميسر لما خلق له وإن كانت الخيرات كلها ميسرة والقلب بالكلية
عن الدنيا منقطع بظاهره وباطنه على الله تعالى مقبل كان يقتضي تخفيف الخوف
لو كان الدوام على ذلك موثوقاً به ولكن خطر الخاتمة وعسر الثبات يزيد نيران الخوف
اشتعالاً ولا يخليه للانقطاع وكيف يؤمن تغير الحال وقلب المؤمن بين إصبعين
من أصابع الرحمن وإن القلب أشد تقلباً من القدر في غليانها وقد قال مقلب القلوب
إن عذاب ربهم غير مأمون فأجهل الناس من أمنه وهو ينادي بالتحذير من الأمن
ولولا أن الله لطف بعباده العارفين إذ روح قلوبهم بروح الرجاء لاحترقت قلوبهم
من نار الخوف وأسباب الرجاء رحمة من الله تعالى وأسباب الغفلة رحمة على عوام الخلق

عيسى م

أسباب الرجاء والغفلة رحمة

الخلق من وجد اذ لو انكشف الغطا لزهقت النفوس وانقطعت القلوب ومن خوف تقلب القلوب
قال بعض العارفين لو كان بيني وبين من عرفته بالتوحيد خمسين سنة اسطوانة فمات
لما قطعت له بالتوحيد لاني لا ادري ما ظهر له من التقليب ٥ وقال بعضهم لو كانت
الشهادة على باب الدار والموت على الاسلام عند باب الحجرة لاخترت الموت على الاسلام لاني
لا ادري ما يعرض لقلبي من باب الحجرة الى باب الدار وكان ابو الدردا رضي الله عنه ٥
يحلف بالله ما احد امن على نفسه ايمانه ان يسلبه عند الموت الا سلبه ٥ وكان سهل
يقول خوف الصديقين من سوء الخاتمة عند كل خطرة وكل حركة وهم الذين
وصفهم الله تعالى اذ قال وقلوبهم وجلة ٥ ولما احتضرت سفيان رحمه
الله الوفاة جعل يبكي ويجزع فقيل يا ابا عبد الله عليك بالرجا فان عفو الله
تعالى اعظم من ذنوبك فقال وعلى ذنوبي ابكي لو علمت اني اموت على التوحيد
لم ابالي ان القى الله وامثال الجبال من الخطايا وحكي عن بعض العارفين ٥
الخائفين انه اوصى بعض اخوانه فقال اذا حضرتني الوفاة فاقعد عند راسي فان
رايتني مت على التوحيد فخذ جميع ما املكه واشتر به لوزا وسكرا وانثره على
صبيان اهل البلد وقل هذا عرس المنقلب وان مت على غير التوحيد فاعلم الناس
ذلك حتى لا يغتروا بشهود جنازتي ليحضر جنازتي من احب على بصيرة من احب
بصيرة لئلا يلحقني الريا بعد الوفاة قال وبماذا اعلم ذلك فذكر له علامة
فراى علامة التوحيد عند موته فاشترى اللوز والسكر وفرقه وكان سهل يقول ٥
المريد يخاف ان يبتلى بالمعاصي والعارف يخاف ان يبتلى بالكفر ٥ وكان ابو يزيد يقول
اذا توجهت الى المسجد فكان في وسطي زنارا اخاف ان يذهب بي الى البيعة ٥
او بيت النار حتى ادخل المسجد فيقطع عني الزنار فهذا في كل يوم خمس مرات وروي
عن عيسى عليه السلام انه قال يا معشر الحواريين انتم تخافون المعاصي
ونحن معاشر الانبيا نخاف الكفر ويروى في اخبار الانبيا عليهم السلام ان نبيا
شكى الى الله الجوع والقمل والعري سنين وكان لباسه الصوف فاوحى الله تعالى اليه
عبدي اما رضيت ان عصمت قلبك ان تكفر بي حتى تسالني الدنيا فاخذ التراب ووضعه
على راسه وقال بلى قد رضيت يا رب فاعصمني من الكفر فاذا كان خوف
العارفين مع رسوخ اقدامهم وقوة ايمانهم من سوء الخاتمة فكيف لا يخاف ذلك ٥
الضعفاء ولسوء الخاتمة اسباب تتقدم على الموت مثل البدعة والنفاق والكبر

خوف سوء خاتمة

سبب سوء خاتمة

وجملة من الصفات المذمومة ولذلك اشتد خوف الصحابة رضي الله عنهم من النفاق
قال الحسن رضي الله عنه لو أعلم اني بري من النفاق كان أحب الي مما طلعت عليه الشمس
وما عنوا به النفاق الذي هو ضد أصل الايمان بل المراد به ما يجتمع مع أصل الايمان فيكون
به العبد مسلما منافقا وله علامات كثيرة وقال عليه السلام أربع من كن فيه فهو

علامة النفاق

منافق خالص وان صام وصلى وزعم انه مسلم وان كانت فيه خصلة منهن ففيه شعبة
من النفاق حتى يدعها من اذا حدث كذب واذا وعد أخلف واذا اؤتمن خان واذا خاصم
فجر وفي لفظ اذا عاهد غدر وفسر الصحابة والتابعون رضي الله عنهم النفاق بتفاسير
لا يخلو عنها الا صديق وقال الحسن رحمه الله ان من النفاق اختلاف
السر والعلانية واختلاف اللسان والقلب والمدخل والمخرج ومن ذا الذي يخلو عن هذه
المعاني بل صارت هذه الامور مألوفة من الناس معتادة ونسي كونها منكرا بالكلية حتى جرى
ذلك على قرب عهد بالنبي بزمان النبوة فكيف الظن بزماننا اليوم حتى قال حذيفة رضي
الله عنه ان كان الرجل ليتكلم بالكلمة على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فيصير بها
منافقا واني لأسمعها من أحدكم في اليوم عشر مرات ۞ وكان أصحاب رسول الله
صلى الله عليه وسلم يقولون انكم تعملون أعمالا هي أدق في أعينكم من الشعر كنا نعدها على عهد
رسول الله صلى الله عليه وسلم من الكبائر وقال بعضهم علامة النفاق أن تكره

البغض على الحق

من النفاق ما تأتي بمثله وان تحب على شيء من الجور وان تبغض على شيء من الحق وقيل
من النفاق اذا مدح بشيء ليس فيه أعجبه ذلك وقال رجل لابن عمر
رضي الله عنهما انا ندخل على هؤلاء الامراء فنصدقهم بما يقولون فاذا خرجنا تكلمنا فيهم
قال كنا نعد هذا نفاقا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وروي انه
سمع رجلا يذم الحجاج ويقع فيه فقال أرأيت لو كان الحجاج حاضرا أكنت تتكلم فيه بما
تكلمت به قال لا قال كنا نعد هذا نفاقا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم واشد
من ذلك ما روي أن نفرا قعدوا على باب حذيفة رضي الله عنه ينتظرونه فكانوا
يتكلمون في شيء من شأنه فلما خرج عليهم سكتوا حياء منه فقال تكلموا فيما كنتم تقولون
فسكتوا فقال كنا نعد هذا نفاقا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وهذا
حذيفة رضي الله عنه قد خص بعلم المنافقين وأسباب النفاق فكان يقول يأتي على القلب
ساعة يمتلي من الايمان حتى لا يكون فيه للنفاق مغرز ابرة وقد عرف بهذا ان خوف العارفين
من سوء الخاتمة وان سببه أمور متقدمة منها البدع ومنها المعاصي ومنها النفاق ۞

النفاق ومتى يخلو العبد عن جملة ذلك وانظن انه قد خلا عنه فهو النفاق اذ قيل من أمن النفاق فهو منافق وقال بعضهم لبعض العارفين اني اخاف على نفسي النفاق فقال لو كنت منافقا ما خفت النفاق فلا يزال العارف بين الالتفات الى السابقة والخاتمة خايفا منهما ولذلك قال عليه السلام العبد المؤمن بين مخافتين بين اجل قد مضى لا يدري ما الله صانع فيه وبين اجل قد بقي لا يدري ما الله قاض فيه

بيان معنى سوء الخاتمة

فإن قلت فان اكثر خوف هؤلاء راجع الى سوء الخاتمة فما معنى سوء الخاتمة فاعلم ان سوء الخاتمة على رتبتين احدهما اعظم من الاخرى فاما الرتبة العظيمة الهايلة فان يغلب على القلب عند سكرات الموت وظهور اهواله اما الشك واما الجحود او الشك فيكون ما غلب على القلب من عقدة الجحود حجابا بينه وبين الله تعالى ابدا وذلك يقتضي البعد الدايم والعذاب المخلد والثانية وهي دونها ان يغلب على قلبه عند الموت حب امر من امور الدنيا وشهوة من شهواتها ويتمثل ذلك في قلبه ويستغرقه حتى لا يبقى في تلك الحالة متسع لغيره فيتفق قبض روحه في تلك الحال فيكون استغراق قلبه في ذلك منكسا راسه الى الدنيا وصارفا وجهه اليها ومهما انصرف الوجه عن الله سبحانه حصل الحجاب ومهما حصل الحجاب نزل العذاب اذ نار الله الموقدة لا تاخذ الا المحجوبين فاما المؤمن السليم قلبه عن حب الدنيا المصروف همه الى الله سبحانه فتقول له النار جز يا مؤمن فان نورك قد اطفا لهبي فمهما اتفق قبض الروح في حالة غلبة الدنيا فالامر مخطر لان المرء يموت على ما عاش عليه ولا يمكن اكتساب صفة اخرى في القلب بعد الموت تضاد الصفة الغالبة اذ لا تصرف في القلوب الا باعمال في الجوارح وقد بطلت الجوارح بالموت فبطلت الاعمال فلا مطمع في عمل ولا مطمع في رجوع الى الدنيا ليتدارك ما فات وعند ذلك تعظم الحسرة الا ان اصل الايمان وحب الله تعالى اذا كان قد رسخ في القلب مدة طويلة تاكد ذلك بالاعمال الصالحة فانه يمحو عن القلب هذه الحالة التي عرضت له عند الموت فان كان ايمانه في القوة الى حد مثقال اخرجه من النار في اقرب زمان وان كان اقل من ذلك طال مكثه في النار ولكن لو لم يكن الا مثقال حبة فلا بد ان يخرجه من النار ولو بعد الاف من السنين فان قلت فما ذكرته يقتضي ان تسرع النار اليه عقيب موته فما باله

يوخر الى يوم القيمة ويمهل طول هذه المدة فاعلم ان من انكر عذاب القبر فهو مبتدع محجوب
عن نور الايمان ونور القران بل الصحيح عند ذوي الابصار ما صحت به الاخبار وهو ان القبر اما
روضة من رياض الجنة او حفرة من حفر النار وانه قد يفتح الى قبر المعذب سبعون بابا من
الجحيم كما وردت به الاخبار فلا يفارقه روحه الا وقد نزل به البلاء ان كان شقيا بسوء الخاتمة
وانما تختلف اصناف العذاب باختلاف الاوقات فيفوت سؤال منكر ونكير عند الوضع في القبر
والتعذيب بعده المناقشة في الحساب والافتضاح على ملا الاشهاد في القيمة ثم بعد ذلك
خطر الصراط واهوال الزبانية الى اخر ما وردت به الاخبار فلا يزال الشقي مرددا في
جميع احواله بين اصناف العذاب وهو في جملة الاحوال معذب الى ان يتغمده الله برحمته ولا تظنن
ان محل الايمان ياكله التراب بل التراب ياكل جميع الجوارح ويبددها الى ان يبلغ الكتاب اجله ○
فتجتمع الاجزاء المتفرقة وتعاد اليه الروح التي هي محل الايمان وقد كانت من وقت الموت الى الاعادة
اما في حواصل طير خضر معلقة تحت العرش ان كان سعيدا واما على حالة تضاد هذه الحالة
ان كانت والعياذ بالله شقية. **فإن قلت** فما السبب الذي يفضي الى سوء الخاتمة
فاعلم ان اسباب هذه الامور لا يمكن احصاؤها على التفصيل ويمكن الاشارة الى مجامعها
اما الختم على الشك والجحود فينحصر سببه في شيئين احدهما يتصور مع تمام الورع والزهد
وتمام الصلاح في الاعمال كالمبتدع الزاهد فان عاقبته مخطرة جدا وان كانت اعماله صالحة
ولست اعني مذهبا واقول انه بدعة فان بيان ذلك يطول القول فيه بل اعني بالبدعة ان
يعتقد الرجل في ذات الله سبحانه وصفاته وافعاله خلاف الحق فيعتقده على خلاف ما هو
عليه اما برايه او معقوله ونظره الذي به يجادل الخصوم وعليه يعول وبه يغتر واما اخذا
بالتقليد فمن هذا حاله فاذا قرب الموت فظهرت ناصية ملك الموت واضطرب القلب
بما فيه فربما ينكشف له في حال سكرات الموت بطلان ما اعتقده جهلا اذ حال الموت حال
كشف الغطاء ومبادي سكراته منه فقد ينكشف به بعض الامور فمهما بطل عنده ما كان
اعتقده وقد كان قاطعا به متيقنا له عند نفسه لم يظن بنفسه انه اخطا في هذا
الاعتقاد خاصة لالتجائه فيه الى رايه الفاسد في عقله الناقص بل يظن كل ما اعتقده
لا اصل له اذ لم يكن عنده فرق بين ايمانه بالله ورسوله وسائر اعتقاداته الصحيحة ○
وبين اعتقاده الفاسد فيكون انكشاف بعض اعتقاداته عن الجهل سببا لبطلان بقية
اعتقاداته او شكه فيها فان اتفق زهوق روحه في هذه الخطرة قبل ان يتثبت ويعود الى
اصل الايمان فقد ختم له بالسوء وخرجت روحه على الشك والعياذ بالله من ذلك ○

القبر روضة او حفرة

ذلك ثم

سبب سوء الخاتمة

البدعة

التقليدي

ذلك فهولاء المرادون بقوله تعالى وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون وبقوله سبحانه قل هل ننبئكم بالاخسرين اعمالا الذين ضل سعيهم في الحيوة الدنيا وهم يحسبون انهم يحسنون صنعا وكما انه قد ينكشف في النوم ما يكون في المستقبل وذلك لخفة اشغال الدنيا فكذلك ينكشف في سكرات الموت بعض الامور اذ شواغل الدنيا هي المانعة للقلب من ان ينظر الى الملكوت فيطالع في اللوح المحفوظ فتنكشف له الامور على ما هي عليه فيكون مثل هذا سببا للكشف ويكون الكشف سببا للشك في بقية الاعتقادات فكل من اعتقد في الله سبحانه وفي صفاته وافعاله شيئا على خلاف ما هي اما تقليدا واما نظرا بالرأي والمعقول فهو في هذا الخطر والزهد والصلاح لا يكفي لدفع هذا الخطر بل لا ينجي منه الا الاعتقاد الحق والبله بمعزل عن هذا الخطر اعني الذين امنوا بالله ورسله واليوم الاخر ايمانا مجملا راسخا كالاعراب والسوادية وسائر العوام الذين لم يخوضوا في البحث والنظر ولم يشرعوا في الكلام استقلالا ولا اصغوا الى اصناف المتكلمين في تقليد اقاويلهم المختلفة ولذلك قال عليه السلام اكثر اهل الجنة البله ولذلك منع السلف رحمهم الله من البحث والنظر والخوض في الكلام والتفتيش عن هذه الامور وامروا الخلق ان يقتصروا على ان يؤمنوا بما انزل الله جميعا وبكل ما جاء من الظواهر مع اعتقاد نفي التشبيه ومنعوهم من الخوض في التأويل لان الخطر في البحث عن الصفات عظيم وعقباتها كؤودة ومسالكها وعرة والعقول عن درك جلال الله تعالى قاصرة وهداية الله تعالى بنور اليقين عن القلوب بما جبلت عليه من حب الدنيا محجوبة وما ذكره الباحثون ببضاعة عقولهم مضطرب ومتعارض والقلوب لما القي اليها في مبتداء النشأة آلفة وبه متعلقة والتعصبات الثائرة بين الخلق مسامير مؤكدة للعقائد الموروثة المأخوذة بحسن الظن من المعلمين في اول الامر ثم الطباع بحب الدنيا مشغوفة وعليها مقبلة وشهوات الدنيا بمخنقها اخذة وعن تمام الفكر صارفة فاذا فتح باب الكلام في الله تعالى وفي صفاته بالرأي والمعقول مع تفاوت الناس في قرائحهم واختلافهم في طبائعهم وحرص كل جاهل منهم على ان يدعي كمال الاحاطة بكنه الحق انطلقت السنتهم بما يقع لكل واحد منهم وتعلق ذلك بقلوب المصغين اليه وتأكد ذلك بطول الالف فيهم وانسد بالكلية طريق الخلاص عليهم وكانت سلامة الخلق في ان يشتغلوا بالاعمال الصالحة ولا يتعرضوا لما هو خارج عن حد طاقتهم ولكن الان فقد استرخي العنان وفشى الهذيان

المنع من علم الكلام

وترك كل جاهل بما وافق طبعه بظن وحسبان وهو يعتقد ان ذلك علم واستيقان وانه
صفو الايمان ويظن ان ما فتح به من حدس وتخمين علم اليقين وعين اليقين وسيعلمون
نباه بعد حين وينبغي ان ينشد في هؤلاء عند كشف الغطاء ٥

أحسنت ظنك بالايام اذ حسنت • ولم تخف سوء ما ياتي به القدر ٥
وسالمتك الليالي فاغتررت بها • وعند صفو الليالي يحدث الكدر ٥

واعلم يقينا ان كل من فارق الايمان الساذج بالله تعالى ورسله
وكتبه وخاض في البحث فقد تعرض لهذا الخطر ومثاله مثال من انكسرت سفينته ٥
وهو في ملتطم الامواج ترميه موج الى موج فربما يتفق ان تلقيه موجة الى الساحل وذلك
بعيد والهلاك اغلب عليه وكل نازل على عقيدة تلقفها من الباحثين ببضاعة عقولهم ٥
اما مع الادلة التي حررها من تعصبه لهم او دون الادلة فانه ان كان شاكا فيه فهو فاسد
الدين وان كان واثقا بها فهو امن من مكر الله تعالى مغتر بعقله الناقص وكل خائض في البحث
فلا ينفك عن هاتين الحالتين الا اذا جاوز حدود المعقول الى نور المكاشفة الذي يشرق في
عالم النبوة والولاية وذلك هو الكبريت الاحمر وانى يتيسر وانما يسلم من هذا الخطر
البله من العوام والذين شغلهم خوف النار وطاعة الله تعالى فلم يخوضوا في هذا الفضول
فهذا احد الاسباب المخطورة في سوء الخاتمة ٥ واما السبب الثاني ٥
فهو ضعف الايمان في الاصل ثم استيلاء حب الدنيا على القلب ومهما ضعف الايمان ضعف
حب الله تعالى وقوي حب الدنيا فيصير بحيث لا يبقى في القلب موضع لحب الله سبحانه الا
من حيث حديث النفس لا يظهر له اثر في مخالفة النفس والعدول عن طريق الشيطان فيورث
ذلك الانهماك في اتباع الشهوات حتى يظلم القلب ويقسو ويسود وتتراكم ظلمة الذنوب
عليه ولا تزال تطفي ما فيه من نور الايمان على ضعفه حتى يصير طبعا ورينا فاذا جاءت
سكرات الموت ازداد ذلك الحب اعني حب الله تعالى ضعفا لما يبدو من استشعار فراق
الدنيا وهي المحبوب الغالب على القلب فيتألم القلب باستشعار فراق الدنيا فيرى ذلك
من الله تعالى فيختلج ضميره بانكار ما قدر عليه وكراهية ذلك من حيث انه من الله ٥
فيخشى ان يثور في باطنه بغض الله بدل الحب كما ان الذي يحب ولده حبا ضعيفا اذا اخذ
ولده امواله التي هي احب اليه من ولده واحرقها انقلب ذلك الحب الضعيف بغضا
فان اتفق زهوق روحه في تلك اللحظة التي خطرت فيها هذه الخطرة فقد ختم له بالسوء ٥
وهلك هلاكا مؤبدا والسبب الذي يفضي الى هذه الخاتمة هو غلبة حب الدنيا والركون

مثال البحث في الكلام

سبب زوال الايمان

الركون اليها والفرح باسبابها مع ضعف الايمان الموجب لضعف حب الله تعالى
فمن وجد في قلبه حب الله تعالى اغلب من حب الدنيا وان كان يحب الدنيا ايضا فهو
ابعد عن هذا الخطر وحب الدنيا راس كل خطيئة وهو الداء العضال وقد عم
اصناف الخلق وذلك كله لقلة المعرفة بالله تعالى اذ لا يحبه الا من عرفه ولذلك
قال سبحانه وتعالى قل ان كان اباؤكم وابناؤكم الى قوله احب اليكم من الله ورسوله
وجهاد في سبيله فتربصوا حتى ياتي الله بامره فاذا من فارقته روحه في حال خطرة
الانكار على الله تعالى بباله وظهور بغض فعل الله تعالى بقلبه في تفريقه بينه وبين اهله
وماله وساير محابه فيكون موته قدوما على ما ابغضه وفراقا لما احبه فيقدم على الله
تعالى قدوم العبد المبغض الابق اذا قدم به على مولاه فهذا لا يخفى ما يستحقه من الخزي
والنكال واما الذي يتوفى على الحب فانه يقدم على الله تعالى قدوم العبد المحسن
المشتاق الى مولاه الذي تحمل مشاق الاعمال ووعثاء الاسفار طمعا في لقايه فلا يخفى
ما يلقاه من الفرح والسرور بمجرد القدوم فضلا عما يستحقه من لطايف الاكرام
وبدايع الانعام **واما الخاتمة الثانية** التي هي دون الاولى وليست
مقتضية للخلود في النار فلها ايضا سببان احدهما كثرة المعاصي وان قوي الايمان
والاخر ضعف الايمان وان قلت المعاصي وذلك لان مقارفة المعاصي سببها غلبة
الشهوات ورسوخها في القلب بكثرة الالف والعادة وجميع ما الفه الانسان
في عمره يعود ذكره الى قلبه عند موته فان كان ميله الاكثر الى الطاعات كان اكثر
ذكره طاعة الله تعالى وان كان ميله الاكثر الى المعاصي غلب ذكرها على قلبه
عند الموت فربما يقبض روحه عند غلبة شهوة من شهوات الدنيا ومعصية من
المعاصي فيتقيد بها قلبه ويصير محجوبا عن الله تعالى فالذي لا يقارف الذنب الا
الفينة بعد الفينة فهو ابعد من هذا الخطر والذي لم يقارف ذنبا اصلا
فهو بعيد جدا عن هذا الخطر والذي غلبت عليه المعاصي وكانت اكثر من طاعاته
وقلبه بها افرح منه بالطاعات فهذا الخطر قريب في حقه جدا ونعرف هذا بمثال
وهو انه لا يخفى عليك ان الانسان يرى في منامه جملة من الاحوال التي عهدها
طول عمره حتى انه لا يرى الا ما يماثل مشاهدته في اليقظة وحتى ان المراهق
الذي لم يحتلم لا يرى صورة الوقاع اذا لم يكن قد واقع في اليقظة ولو بقي كذلك
مدة لما راى عند الاحتلام صورة الوقاع ثم لا يخفى ان الذي قضى عمره في الفقه يرى

الموت على ما عاش

فوق الموت النوم

من الاحوال المتعلقة بالعلم والعلماء اكثر مما يراه التاجر الذي قضى عمره في التجارة لان
والتاجر يرى من الاحوال المتعلقة باسباب التجارة اكثر مما يراه الطبيب والفقيه
لانه انما يظهر له في حالة النوم ما حصلت له مناسبة مع القلب بطول الالف او بسبب
اخر من الاسباب والموت شبه النوم ولكنه فوقه ولكن سكرات الموت وما يتقدمه
من الغشية قريب من النوم فيقتضي ذلك تذكر المالوفات وعودها الى القلب واحد
الاسباب المرجحة لحصول ذكرها في القلب طول الالف فطول الالف بالمعاصي والطاعات
ايضا مرجحة ولذلك تخالف ايضا منامات الصالحين منامات الفساق فتكون
غلبة الالف سببا لان تتمثل صورة فاحشة في قلبه وتميل اليها نفسه فربما تقبض
روحه على ذلك فيكون ذلك سوء خاتمة وان كان اصل الايمان باقيا بحيث يرجى له الخلاص
منها وكما ان ما يخطر في اليقظة انما يخطر بسبب خاص يعلمه الله تعالى فكذلك احاد المنامات
لها اسباب عند الله تعالى نعرف البعض كما انا نعلم ان الخاطر ينتقل من الشيء الى ما
يناسبه اما بالمشابهة واما بالمضادة واما بالمقارنة بان يكون قد ورد على الحس معه
اما المشابهة فبان ينظر الى جميل فيتذكر جميلا اخر واما بالمضادة فبان ينظر الى
جميل فيتذكر قبيحا ويتامل في شدة التفاوت بينهما واما بالمقارنة فبان ينظر
الى فرس قد راه قبل مع انسان فيتذكر ذلك الانسان وقد ينتقل الخاطر من شيء الى
شيء ولا يدري وجه مناسبته له وانما يكون ذلك بواسطة او واسطتين مثل ان
ينتقل من شيء الى ثان ومنه الى ثالث ثم ينسى الثاني ولا يكون بين الثالث والاول
مناسبة ولكن تكون بينه وبين الثاني مناسبة فكذلك لانتقالات الخواطر في المنام
اسباب من هذا الجنس وكذا عند سكرات الموت ومن اراد ان يكف خاطره عن
الانتقال الى المعاصي والشهوات فلا طريق له الا المجاهدة طول العمر في فطام
نفسه عن ذلك في قمع الشهوات من القلب فهذا هو القدر الذي يدخل تحت الاختيار
ويكون طول المواظبة على الخير وتخلية الفكر عن الشر عدة وذخيرة لحالة سكرات
الموت فان المرء يموت على ما عاش عليه ويحشر على ما مات عليه ولذلك نقل عن
بقال   انه كان يلقن عند الموت كلمتي الشهادة وهو يقول خمسة ستة اربعة
فكان مشغول النفس بالحساب الذي طال الفه له قبل الموت ولذلك قال
بعض العارفين من السلف ان العرش جوهرة تتلالا نورا فلا يكون العبد على
حال الا انطبع مثاله في العرش على الصورة التي كان عليها فاذا كان في سكرات الموت

الموت كشف له صورته من العرش فربما يرى نفسه على صورة معصية وكذلك يكشف
له في القيامة فيرى أحوال نفسه فيأخذه من الحياء والخوف ما يجل عن الوصف وما ذكرناه
صحيح وسبب الرؤيا الصادقة قريب من ذلك فإن النائم يدرك ما سيكون في المستقبل
من مطالعة اللوح المحفوظ وهو من أجزاء النبوة وإذا رجع سوء الخاتمة إلى أحوال القلب
واختلاج الخواطر ومقلب القلوب هو الله تعالى والاتفاقات المقتضية لسوء
الخاتمة غير داخلة تحت الاختيار دخولا كليا وإن كان لطول الإلف فيها تأثير فلهذا
عظم خوف العارفين من سوء الخاتمة لأنه لو أراد الإنسان أن لا يرى في المنام إلا أحوال
الصالحين وأحوال الطاعات والعبادات لعسر عليه ذلك وإن كانت كثرة الصلاح
والمواظبة عليه مما يؤثر ذلك ولأن اضطرابات الخيال لا تدخل بالكلية تحت الضبط
وإن كان في الغالب مناسبة ما يظهر في النوم لما غلب في اليقظة حتى سمعت الشيخ
أبا علي الفارمذي يصف وجوب حسن أدب المريد لشيخه وأنه لا يكون في قلبه
إنكار لما يقوله ولا في لسانه مجادلة عليه فقال حكيت لشيخي أبي القسم
الكركاني مناما لي فقلت رأيتك قلت لي كذا فقلت لم ذلك فهجرني شهرا ولم
يكلمني فقال لولا أنه كان في باطنك تجويز للمطالبة وإنكار ما أقول لك لما
جرى ذلك على لسانك في المنام وهو كما قال إذ قلما يرى الإنسان في منامه
خلاف ما يغلب في اليقظة على قلبه فهذا القدر يسمح بذكره في علم المعاملة من أسرار
أمر الخاتمة وما وراء ذلك فهو داخل في علم المكاشفة وقد ظهر لك بهذا أن
الأمن من سوء الخاتمة أن ترى الأشياء كما هي عليه من غير جهل وتزجي جميع العمر
في طاعة الله سبحانه من غير معصية فإن كنت تعلم أن ذلك محال أو عسير
فلا بد أن يغلب عليك من الخوف ما غلب على العارفين حتى يطول بسبب ذلك بكاؤك
ونياحتك ويدوم به حزنك وقلقك كما سنحكيه من أحوال الأنبياء عليهم السلام
والأولياء والسلف الصالح رضي الله عنهم أجمعين ليكون ذلك أحد الأسباب
المهيجة لنار الخوف من قلبك وقد عرفت بهذا أن أعمال العمر كلها ضائعة إن لم تسلم
في النفس الأخير الذي عليه خروج الروح فإن سلامته مع اضطراب أمواج الخواطر
مشكل جدا ولذلك كان مطرف بن عبد الله رحمه الله يقول إني لا أعجب ممن
هلك كيف هلك ولكني أعجب ممن نجا كيف نجا في دنيا فسد فيها خيارها وكان الثوري
يبكي فقيل له علام تبكي فقال بكينا على الذنوب زمانا فالآن نبكي على الإسلام

وبالجملة من وقعت سفينته في لجة البحر وهجمت الرياح العاصفة عليه واضطربت
الامواج كانت النجاة في حقه ابعد من الهلاك وقلب المؤمن اشد اضطرابا وامواج الخواطر
اعظم التطاما من امواج البحر وانما المخوف عند الموت خاطر سوء يخطر فقط وهو الذي قال
عليه السلام ان الرجل يعمل بعمل اهل الجنة خمسين سنة حتى لا يبقى بينه وبينها الا فواق
ناقة فيختم له بما سبق به الكتاب ولا يتسع فواق ناقة لاعمال توجب الشقاوة بل هي الخواطر
الذي تضطرب وتخطر خطور البرق الخاطف **وقال سهل رايت كاني**
ادخلت الجنة فرايت ثلثماية نبي فسألتهم ما اخوف ما كنتم تخافون فقالوا سوء
الخاتمة ولاجل هذا الخطر العظيم كانت الشهادة مغبوطة وكان موت الفجاة مكروها اما الموت
فجاة فربما يتفق عند غلبة خاطر واستيلايه على القلب والقلب لا يخلو عن امثاله الا
ان يدفع بالكراهة او بنور المعرفة واما الشهادة فلانها عبارة عن قبض الروح في حالة
لم يبق للقلب فيها سوى حب الله وخروج حب الدنيا والاهل والمال والولد وجميع
الشهوات عن القلب اذ لا يهجم على صف القتال موطنا نفسه على الموت الا حبا لله تعالى
وطلبا لمرضاته وبايعا دنياه باخرته وراضيا بالبيع الذي بايعه الله تعالى به اذ
قال ان الله اشترى من المؤمنين انفسهم واموالهم الاية والبايع راغب عن
المبيع لا محالة ومخرج حبه عن القلب ومجرد حب المطلوب في قلبه ومثل هذه الحالة
قد تغلب على القلب في بعض الاحوال ولكن لا يتفق زهوق الروح فيها فصف القتال سبب لزهوق
الروح على مثال هذه الحالة هذا فيمن ليس يقصد الغلبة والغنيمة وبعد الصيت بالشجاعة
فان من هذا حاله وان قتل في المعركة فهو بعيد عن مثل هذه الرتبة كما دلت عليه الاخبار
واذ بان لك معنى سوء الخاتمة وما هو مخوف فيها فاشتغل بالاستعداد لها وواظب على ذكر
الله تعالى واخرج حب الدنيا من قلبك واحرص عن فعل المعاصي جوارحك وعن الفكر
فيها قلبك واحترز عن مشاهدة المعاصي ومشاهدة اهلها جهدك فان ذلك ايضا
يوثر في قلبك ويصرف اليه فكرك وخواطرك واياك ان تسوف وتقول ساستعد
له اذا جاءت الخاتمة فان كل نفس من انفاسك خاتمتك اذ يمكن ان يختطف فيه روحك
فراقب قلبك في كل لحظة واياك ان تهمله فلعل تلك اللحظة خاتمتك هذا ما دمت
في يقظتك واما اذا نمت فاياك ان تنام الا على طهارة الظاهر والباطن ولن يغلبك
النوم الا بعد غلبة ذكر الله على قلبك ولست اقول على لسانك فان حركة اللسان بمجردها
ضعيفة الاثر واعلم قطعا انه لا يغلب عند النوم على قلبك الا ما كان قبل النوم غالبا

مثال سوء الخاتمة

آية ان الله اشترى

مثال الخاتمة

غالبًا فتقبض النوم ولا تبعث من نومك الا على ما غلب على قلبك في نومك والنوم والبعث
يشبه النوم واليقظة فكما لا ينام العبد الا على ما غلب عليه في يقظته ولا يستيقظ الا
على ما كان عليه في نومه فكذلك لا يموت المرء الا على ما عاش عليه ولا يحشر الا على ما مات
عليه وتحقق قطعًا ويقينًا ان الموت والبعث حالتان من احوالك كما ان النوم واليقظة
حالتان من احوالك فآمن بهذا تصديقًا باعتقاد القلب ان لم تكن اهلًا لمشاهدة ذلك
بعين اليقين ونور البصيرة وراقب انفاسك ولحظاتك واياك ان تغفل عن الله طرفة
عين فانك اذا فعلت ذلك كله كنت مع هذا في خطر عظيم فكيف اذا لم تفعل فالناس كلهم
هلكى الا العالمين والعالمون كلهم هلكى الا العاملين والعاملون كلهم هلكى الا
المخلصين والمخلصون على خطر عظيم ۝ واعلم ان ذلك لا يتيسر لك ما لم تقنع من الدنيا
بقدر ضرورتك وضرورتك مطعم وملبس ومسكن والباقي كله فضول ۝ والضرورة
من الطعام ما يقيم صلبك ويسد رمقك وينبغي ان يكون تناولك تناول مضطر
كاره ولا تكون رغبتك فيه اكثر من رغبتك في قضاء الحاجة اذ لا فرق بين ادخال الطعام
في البطن وبين اخراجه فهما ضرورتان في الجملة وكما لا يكون قضاء الحاجة من همتك
التي تشغل بها قلبك فلا ينبغي ان يكون تناول الطعام من همتك ۝ واعلم ان كان همتك
ما يدخل في بطنك فقيمتك ما يخرج من بطنك واذا لم يكن قصدك الطعام الا التقوي
على عبادة الله تعالى كحذرك من قضاء حاجتك فعلامة ذلك في ثلاثة امور من ماكولك
في وقته وقدره وجنسه فاما الوقت فاقله ان تكتفي في اليوم والليلة بمرة واحدة
فتواظب على الصوم واما قدره فان لا تزيد على ثلث البطن واما جنسه فلا تطلب اللذيذ
من الاطعمة بل تقنع بما يتفق فان قدرت على هذه الثلاث وسقطت عنك مؤنة الشهوات
للذاته قدرت بعد ذلك على ترك الشبهات وامكنك ان لا تاكل الا من حله فان الحلال يعز
ولا يفي بالشهوات واما ملبسك فليكن غرضك منه دفع الحر والبرد وستر العورة
فكلما دفع البرد عن راسك ولو قلنسوة بدانق فطلبك غيرها فضول منك تضييع زمانك
فيه ويلزمك الشغل الدائم والعناء القائم في تحصيله بالكسب مرة والطمع اخرى
من الحرام والشبهة وقس بهذا ما تدفع به الحر والبرد عن بدنك فكل ما حصل به
مقصود اللباس اذا لم تكتف به في خساسة قدره وجنسه لم يكن لك موقف ومنزل بعده
بل كنت ممن لا يملا بطنك الا التراب وكذلك المسكن ان اكتفيت بمقصوده فهذه السماء سقفا
والارض مستقرًا فان غلبك حر او برد فالمساجد فان طلبت مسكنا خاصا طال عليك

الموت والحشر على ما عاش

التقنع من الدنيا

مقدار كيفية اكل الطعام

مقدار لبس الثوب

المسكن

وانصرف اليه اكثر عمرك وعمرك هو بضاعتك ثم ان تيسر لك فقصدت من الحايط سوى كونه حايلا بينك وبين الابصار ومن السقف سوى كونه دافعا للامطار فاخذت ترفع الحيطان وتزين السقوف فقد تورطت في مهواة بعيد دفيك منها وهكذا جميع ضرورات ان اقتصرت عليها تفرغت لله تعالى وقدرت على التزود لاخرتك والا استغرقت حاجتك وان جاوزت حد الضرورة في اودية الاماني تشعبت همومك ولم يبال الله تعالى في اي واد اهلكك فقبل هذه النصيحة منك واعلم ان متسع التدبير والتزود والاحتياط لهذا العمر القصير فلو دفعته يوما بيوم في تسويفك او غفلتك اختطفت الحاجة في غير وقت ارادتك ولم تفارقك حسرتك وندامتك فان كنت لا تقدر على ملازمة ما ارشدت اليه لضعف خوفك اذ لم يكن فيما وصفناه من امر الخاتمة كفاية في تخويفك فانا نورد عليك من احوال الخايفين ما نرجوا ان يزيل بعض القساوة عن قلبك فانك تتحقق ان عقول الانبيا عليهم السلام والاوليا والابنيا رضي الله عنهم وعلمهم ومكانتهم عند الله تعالى لم يكن دون عقلك وعلمك ومكانتك فتامل مع كلال بصيرتك وعمش عينك في احوالهم لم اشتد الخوف منهم وطال بهم الحزن والبكا حتى كان بعضهم يصعق وبعضهم يدهش وبعضهم يسقط مغشيا عليه وبعضهم يخر ميتا الى الارض ولا غرو وان كان ذلك لا يوثر في قلبك فان قلوب الغافلين مثل الحجارة او اشد قسوة وان من الحجارة لما يتفجر منه الانهار وان منها لما يشقق فيخرج منه الانهار وان منها لما يهبط من خشية الله وما الله بغافل عما تعملون ﴿

باب احوال الانبيا صلوات الله وسلامه عليهم ٥

روت عايشة رضي الله عنها ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا تغير الهوى او هبت ريح عاصفة تغير وجهه ويقوم ويخرج كل ذلك خوف من عذاب الله تعالى وقرا عليه السلام اية في سورة الحاقة فصعق وقال سبحانه وخر موسى صعقا ﴿ وراى النبي صلى الله عليه وسلم صورة جبريل عليه السلام بالابطح فصعق وقال ما جاني جبريل عليه السلام قط الا وهو

النصيحة غريب

باب احوال الانبيا صلوات الله وسلامه عليهم و ...

جا جبرائيل عم بصورته

وهو يرعد فرقا من الجبار تعالى وقيل لما ظهر على ابليس لعنه الله ما ظهر
طفق جبريل وميكائيل عليهما السلام يبكيان فاوحى الله تعالى اليهما ما لكما تبكيان كل هذا البكا
فقالا يا رب ما نامن مكرك فقال تعالى هكذا كونا لا تامنا مكري وقال ابن عمر رضي الله
عنه خرجت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى دخل بعض حيطان الانصار فجعل يلتقط
من الثمر وياكل فقال لي يا ابن عمر ما لك لا تاكل فقلت يا رسول الله لا اشتهيه قال لكني

الخوف

اشتهيه وهذا صبح رابعة منذ لم اذق طعاما ولم اجده ولو سالت ربي لاعطاني
ملك كسرى وقيصر فكيف بك يا ابن عمر اذا بقيت في قوم يخبؤن سنتهم ويضعف اليقين
في قلوبهم قال فوالله ما برحنا ولا قمنا حتى نزلت وكاين من دابة لا تحمل رزقها

اتباع الشهوات

الله يرزقها واياكم وهو السميع العليم فقال عليه السلام ان الله تعالى لم
يامركم بكنز الاموال ولا باتباع الشهوات من كنز دنيا يريد بها حياة فانية فان
الحياة بيد الله تعالى الا اني لا اكنز دينارا ولا درهما ولا اخبا رزقا لغد وقال ابو
الدرداء رضي الله عنه كان يسمع ازيز قلب ابراهيم عليه السلام اذا قام في الصلاة من مسيرة
ميل خوفا من ربه سبحانه وقال مجاهد رضي الله عنه بكى داود عليه السلام اربعين
يوما ساجدا لا يرفع راسه حتى نبت المرعى من دموعه وحتى غطى راسه فنودي يا داود اجائع
انت فتطعم ام ظمآن فتسقى ام عار فتكسى فنحب نحبة هاج العود فاحترق من حر جوفه ثم انزل
الله عليه التوبة والمغفرة فقال يا رب اجعل خطيئتي في كفي فصارت خطيئته في كفه مكتوبة

البكا على الذنوب

فكان لا يبسط كفه لطعام ولا لشراب ولا لغيرهما الا راها فابكته قال فكان يؤتى بالقدح
ثلثاه ماء فاذا تناوله ابصر خطيئته فما يضعه على شفتيه حتى يفيض من دموعه وروي
عنه عليه السلام انه ما رفع راسه حتى مات حياء من الله عز وجل فكان يقول في مناجاته
الهي اذا ذكرت خطيئتي ضاقت علي الارض برحبها واذا ذكرت رحمتك ارتدت الي روحي
سبحانك الهي اتيت اطباء عبادك ليداووا خطيئتي فكلهم يدلني عليك فبؤسا للقانطين
من رحمتك وقال الفضيل رحمه الله بلغنا ان داود عليه السلام ذكر ذنبه
ذات يوم فوثب صارخا واضعا يده على راسه حتى لحق بالجبال فاجتمعت اليه السباع
فقال ارجعوا لا اريدكم انما اريد كل بكاء على خطيئته فلا يستقبلني الا بالبكا فمن لم يكن
ذا خطيئة فما يصنع بداود الخطاء وكان يعاتب في كثرة البكا فيقول دعوني ابكي قبل
يوم البكا قبل تحريق العظام واشتعال اللحا وقيل ان يؤمر بي ملائكة غلاظ شداد
لا يعصون الله ما امرهم ويفعلون ما يؤمرون وقال عبد العزيز ابن عمير لما اصاب

داود عليه السلام الخطية نقص صوته فقال الهي بح صوتي في صفا اصوات الصديقين
وروي انه لما طال بكاوه ولم ينفعه ذلك وضاق ذرعه واشتد غمه قال رب اما ترحم
بكاي فاوحى الله تعالى اليه يا داوود نسيت ذنبك وذكرت بكاءك فقال الهي وكيف انسى
ذنبي وكنت اذا تلوت الزبور كف الما الجاري عن جريه وسكن هبوب الريح واظلني الطير
على راسي وانست الوحوش الى محرابي الهي وسيدي فما هذه الوحشة التي بيني وبينك
فاوحى الله تعالى اليه يا داوود ذاك انس الطاعة وهذه وحشة المعصية يا داوود ادم
خلق من خلقي خلقته بيدي ونفخت فيه من روحي واسجدت له ملايكتي والبسته ثوب كرامتي
وتوجته بتاج وقاري وشكى الي الوحدة فزوجته حوى امتي واسكنته جنتي فعصاني فطردته
عن جواري عريانا ذليلا يا داوود اسمع مني والحق اقول اطعتنا فاطعناك وسالتنا فاعطيناك
وعصيتنا فامهلناك فان عدت الينا على ما كان منك قبلناك وقال يحيى ابن ابي كثير
بلغنا ان داوود عليه السلام كان اذا اراد ان ينوح مكث قبل ذلك سبعا لا ياكل الطعام
ولا يشرب الشراب ولا يقرب النسا فاذا كان قبل ذلك بيوم اخرج له منبر الى البرية فامر
سليمان ان ينادي بصوت يستقري البلاد وما حولها من الغياض والاكام والجبال والبراري
والصوامع والبيع فينادي فيها الا من اراد ان يسمع صوت داوود فليات قال فياتي الوحوش
من البراري والاكام وياتي السباع من الغياض وياتي الهوام من الجبال وياتي الطير من الاوكار
وياتي العذارى من خدورهن وتجتمع الناس لذلك اليوم وياتي داوود حتى يرقى على المنبر
ويحيط به بنو اسرايل وكل صنف على حدته محدقون به وسليمان قايم على راسه فياخذ في
الثنا على ربه فيضجون بالبكا والصراخ ثم ياخذ في ذكر الجنة والنار فيموت الهوام وطايفة
من الوحوش والسباع والناس ثم ياخذ في اهوال القيمة وفي النياحة على نفسه فيموت
من كل نوع طايفة فاذا راى سليمان عليه السلام كثرة الموتى قال يا ابتاه قد مزقت
المستمعين كل ممزق وماتت طوايف من بني اسرايل ومن الوحوش والهوام فياخذ في
الدعا فبينما هو كذلك اذ ناداه بعض عباد بني اسرايل يا داوود عجلت بطلب الجزا على ربك
فخر داوود عليه السلام مغشيا عليه فلما نظر سليمان عليه السلام الى ما اصابه
اتى بسرير فحمله عليه ثم امر مناديا ينادي الا من كان له مع داوود حميم او قريب فليات
بسرير فيحمله فان الذين كانوا معه قد قتلهم ذكر الجنة والنار فكانت المراة تاتي السرير
فتحمل قريبها وتقول يا من قتله ذكر الجنة يا من قتله خوف الله ثم اذا افاق داوود قام
فوضع يده على راسه ودخل بيت عبادته واغلق بابه ويقول يا اله داوود غضبان

مغفرة الله

الخوف

ذكر الجنة والخوف
عجايب

عضبان أنت على داود فلا يزال يناجيه فيأتيه سليمان عليه السلام فيقعد على الباب
ويستأذن ثم يدخل ومعه قرص من شعير ويقول يا أبتاه تقوّ بهذه على ما تريد فيأكل
من ذلك القرص ما شاء الله ثم يخرج إلى بني اسرائيل فيكون بينهم قال يزيد الرقاشي ؏
خرج داود عليه السلام ذات يوم بالناس يعظهم ويخوفهم في اربعين الفا فمات
ثلاثون الفا وما رجع الا في عشرة آلاف قال وكان له جاريتان اتخذهما حتى اذا جاءه الخوف
وسقط فاضطرب قعدتا على صدره ورجليه مخافة ان تتفرق اعضاؤه ومفاصله
فيموت وقال ـــ عمر ابن عبد العزيز دخل يحيى ابن زكريا عليهما السلام بيت المقدس
وهو ابن ثمان حجج فنظر الى عبادهم قد لبسوا مدارع الشعر والصوف ونظر الى مجتهديهم
قد خرقوا التراقي وسلكوا فيها السلاسل وشدوها على اطراف بيت المقدس فهاله ذلك
فرجع الى ابويه فمر بصبيان يلعبون فقالوا يا يحيى هلم بنا نلعب فقال اني لم اخلق للعب قال فأتى
ابويه فسألهما ان يدرعاه الشعر ففعلا فرجع الى بيت المقدس فكان يخدمه نهارا ؏
ويصبح فيه ليلا يعني يسرجه حتى اتت عليه خمسة عشر سنة فخرج ولزم اطواد الارض
وغيران الشعاب فخرج ابواه في طلبه فادركاه على بحيرة الاردن وقد انقع رجليه في الماء
وقد كاد العطش يذبحه وهو يقول وعزتك وجلالك لا اذوق بارد الشراب حتى اعلم اين
مكاني منك فسأله ابواه ان يفطر على قرص كان معهما من شعير ويشرب من ذلك الماء
ففعل وكفّر عن يمينه فسرح بالبر فرده ابواه الى بيت المقدس فكان اذا قام يصلي
بكى حتى يبكي معه الشجر والمدر ويبكي زكريا عليه السلام لبكائه حتى يغمى عليه ؏
فلم يزل يبكي حتى احرقت دموعه لحم خديه وبدت اضراسه للناظرين فقالت له امه
يا بني لو اذنت لي ان اتخذ لك شيئا تواري به اضراسك عن الناظرين فاذن لها فعمدت
الى قطعتي لبود فالصقتهما على خديه فكان اذا قام يصلي بكى فاذا استنقعت دموعه
في القطعتين اتته امه فعصرتهما فاذا رأى دموعه تسيل على ذراعي امه قال اللهم
هذه دموعي وهذه امي وانت ارحم الراحمين فقال له يوما زكريا عليه السلام ؏
يا بني انما سألت ربي ان يهبك لي لتقر عيني فقال يا ابت ان جبريل عليه السلام اخبرني
ان بين الجنة والنار مفازة لا يقطعها الا كل بكاء فقال ابك يا يحيى ؏ وقال عليه السلام
معاشر الحواريين خشية الله وحب الفردوس يورثان الصبر على المشقة ويبعدان من
الدنيا وحق اقول لكم ان اكل الشعير والنوم على المزابل مع الكلاب في طلب الفردوس كثير
وقيل كان الخليل عليه السلام اذا ذكر خطيئته يغشى عليه ويسمع اضطرابه

البكاء والعبادة

قلبه ميلا في ميل فياتيه جبريل عليه السلام فيقول له الجبار يقرئك السلام ويقول لك هل رايت خليلا يخاف خليله فيقول يا رب اذا ذكرت خطيئتي نسيت خلتي فهذه احوال الانبياء فدونك التامل فيها فانهم اعرف خلق الله بالله تعالى وصفاته ۝

بيان احوال الصحابة والتابعين

والسلف الصالح رضي الله عنهم في شدة الخوف
قال ابو بكر رضي الله عنه لطائر ليتني مثلك يا طائر ولم اخلق بشرا ۝
وقال ابو ذر رضي الله عنه وددت اني شجرة تعضد وكذا قال طلحة ۝ وقال عثمان رضي الله عنه وددت اني اذا مت لم ابعث وقالت عائشة رضي الله عنها وددت اني كنت نسيا منسيا وكان في وجه عمر رضي الله عنه خطان اسودان من الدموع ۝ وقال عمر رضي الله عنه ۝ من خاف الله لم يشف غيظه ومن اتقى الله لم يصنع ما يريد ولولا يوم القيامة لكان غير ما ترون ولما قرا عمر رضي الله عنه اذا الشمس كورت فانتهى الى قوله واذا الصحف نشرت خر مغشيا عليه ومر يوما بدار انسان وهو يصلي ويقرا سورة والطور فوقف يستمع فلما بلغ قوله ان عذاب ربك لواقع ما له من دافع نزل عن حماره واستند الى جدار ومكث زمانا ورجع الى منزله ومرض شهرا يعوده الناس لا يدرون ما مرضه ۝ وقال علي رضي الله عنه وقد سلم من صلاة الفجر وقد علته كآبة وهو يقلب يده لقد رايت اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم ۝ فلم ار اليوم شيئا يشبههم لقد كانوا يصبحون صفرا شعثا غبرا بين اعينهم امثال ركب المعزى قد باتوا سجدا وقياما يتلون كتاب الله تعالى يراوحون بين جباههم واقدامهم فاذا اصبحوا ذكروا الله فمادوا كما يميد الشجر في يوم الريح وهملت اعينهم بالدموع حتى تبل ثيابهم والله ولكاني بالقوم باتوا غافلين يعني من كان حوله ثم قام فما رئي بعد ذلك ضاحكا حتى ضربه ابن ملجم وروي ان عمر رضي الله عنه كان يسقط من الخوف اذا سمع اية من القران مغشيا عليه ۝ فكان يعاد اياما واخذ يوما تبنة من الارض فقال يا ليتني كنت نسيا منسيا ۝ وقال عمران بن الحصين لوددت اني رماد تنسفني الرياح في يوم عاصف ۝ وقال ابو عبيدة بن الجراح رضي الله عنه وددت اني كبش فيذبحني اهلي فياكلون لحمي ويشربون مرقي ۝

الخوف

منسيا ومنوا كما ذكر وقيل النسي خرقة الحايض

تربي وكان علي ابن الحسين رضي الله عنهما اذا توضا اصفر لونه فيقول له
اهله ما الذي يعتادك عند الوضوء فيقول اتدرون بين يدي من اريد ان اقوم وقال موسى
ابن مسعود رحمه الله كنا اذا جلسنا الى الثوري رضي الله عنه كان النار قد احاطت بنا
لما نرى من خوفه وجزعه وقال مالك ابن دينار رضي الله عنه بينما انا اطوف
بالبيت اذا انا بجويرية متعبدة متعلقة باستار الكعبة وهي تقول يا رب كم من شهوة
ذهبت لذتها وبقيت تبعتها يا رب ما كان لك ادب وعقوبة الا النار وتبكي فما زال
ذلك مقالها حتى طلع الفجر قال مالك فلما رايت ذلك وضعت يدي على راسي صارخا اقول
ثكلت مالك امه ويروى ان الفضيل رضي الله عنه رئي يوم عرفة والناس يدعون وهو
يبكي بكاء الثكلى المحترقة حتى اذا كادت الشمس تغرب قبض على لحيته ثم رفع راسه
الى السماء وقال واسوأتاه منك وان غفرت ثم انقلب مع الناس وسئل ابن عباس
رضي الله عنهما عن الخائفين فقال قلوبهم بالخوف قرحة واعينهم باكية
يقولون كيف نفرح والموت وراءنا والقبر امامنا والقيامة موعدنا وعلى جهنم طريقنا
وبين يدي ربنا موقفنا وكان حماد ابن عبد ربه اذا جلس جلس مستوفزا على قدميه
فقيل له لو اطمأننت فيقول تلك جلسة الامنين وانا غير امن اذ عصيت الله تعالى
وقال عمر ابن عبد العزيز انما جعل الله هذه الغفلة رحمة في قلوب العباد كيلا يموتوا
من خشية الله تعالى وقال مالك ابن دينار رضي الله عنه لقد هممت اذا انا مت
ان يقيدوني ويغلوني ثم ينطلقوا بي الى ربي كما ينطلق بالعبد الابق الى سيده
وقال حاتم الاصم لا تغتر بموضع صالح فلا مكان اصلح
من الجنة فلقي فيها ادم ما لقي ولا تغتر بكثرة العبادة فان ابليس لعنه الله بعد طول العبادة
لقي ما لقي ولا تغتر بكثرة العلم فان بلعام كان يحسن اسم الله الاعظم فانظر ما لقي ولا
تغتر برؤية الصالحين فلا شخص اكبر من المصطفى ثم لم ينتفع بلقائه اقاربه وقال
السري اني لانظر الى انفي مرات مخافة ان يكون قد اسود وقال ابو جعفر منذ
اربعين سنة اعتقادي في نفسي ان الله سبحانه ينظر الي نظر السخط واعمالي تدل على ذلك
وخرج ابن المبارك رضي الله عنه يوما على اصحابه فقال اني اجترأت البارحة على الله
سألته الجنة وقالت ام محمد ابن كعب القرظي لابنها يا بني اني اعرفك صغيرا
طيبا وكبيرا طيبا وكانك احدثت موبقا لما اراك تصنع في ليلك ونهارك فقال يا اماه
ما يؤمنني ان يكون الله قد اطلع علي وانا على بعض ذنوبي فمقتني وقال وعزتي لا غفرت لك

الخوف

يوم عرفة

الغفلة رحمة

المغرور بكثرة العبادة والعلم

لا غفرت لك وقال الفضيل ابن عياض رضي الله عنه لا اغبط نبيا مرسلا ولا ملكا
مقربا ولا عبدا صالحا اليس هولاء يعاينون يوم القيامة انما اغبط من لم يخلق **وروي**
ان فتى من الانصار دخلته خشية النار فكان يبكي حتى حبسه ذلك في
البيت فجاء النبي صلى الله عليه وسلم فدخل عليه في البيت فاعتنقه فخر ميتا فقال عليه السلام
جهزوا صاحبكم فان الفرق من النار فتت كبده ٥ وقيل لفرقد السبخي رحمه الله ٥
اخبرنا باعجب شي بلغك عن بني اسرائيل فقال بلغني انه دخل بيت المقدس ٥
خمسمائة عذراء لباسهن الصوف والمسوح فذكرن ثواب الله تعالى وعقابه فمتن جميعا في يوم
واحد وكان عطا السلمي رضي الله عنه من الخايفين وكان لا يسال الله تعالى الجنة البتة ٥
وانما يسال الله تعالى العفو وقيل له في مرضه الا تشتهي شيئا فقال ان خوف جهنم لا يدع
في قلبي موضعا للشهوة ويقال انه ما رفع راسه الى السماء ولا ضحك اربعين سنة ٥
فرفع راسه يوما ففزع فسقط فانفتق بطنه ٥ وكان يمس جسده في بعض الليل مخافة ان يكون
قد مسخ وكان اذا اصابتهم ريح او برق او غلاء طعام قال هذا من اجلي لو مات عطا لاستراح
الناس وقال عطا كنا خرجنا مع عتبة الغلام وفينا كهول وشبان يصلون صلاة الفجر
بطهور العشا قد تورمت اقدامهم من طول القيام وغارت اعينهم في رؤسهم ولصقت
جلودهم على عظامهم وبقيت العروق كانها الاوتار يصبحون كان جلودهم قشور البطيخ
وكانهم قد خرجوا من القبور يخبرون كيف اكرم الله المطيعين وكيف اهان العاصين فبينما هم
كذلك يمشون اذ مر احدهم بمكان فخر مغشيا عليه فجلس اصحابه حوله يبكون في يوم شديد البرد
وجبينه يرشح عرقا فجاوا بماء فمسحوا وجهه فافاق وسالوه عن امره فقال اني ذكرت اني
عصيت الله تعالى في ذلك المكان وقال صالح المري قرات على رجل من المتعبدين ٥
يوم تقلب وجوههم في النار يقولون يا ليتنا اطعنا الله واطعنا الرسولا فصعق ثم افاق
فقال زدني يا صالح فاني اجد غما فقرات كلما ارادوا ان يخرجوا منها من غم اعيدوا فيها ٥
فخر ميتا **وروي ان زرارة ابن اوفى** صلى بالناس صلاة الغداة فلما قرا فاذا نقر
في الناقور خر مغشيا عليه فحمل ميتا ودخل يزيد الرقاشي على عمر ابن عبد العزيز
رضي الله عنهم فقال عظني يا يزيد فقال يا امير المومنين اعلم انك اول خليفة يموت ٥
فبكى وقال زدني فقال يا امير المومنين ليس بين الجنة والنار منزل فسقط مغشيا عليه
وقال ميمون ابن مهران لما نزلت هذه الاية وان جهنم لموعدهم اجمعين صاح سلمان
الفارسي رضي الله عنه ووضع يده على راسه ثم خرج هاربا ثلاثة ايام لا يقدرون عليه

خشية النار عجايب

عدم الاكل لخوف النار

الرياضة

الخوف عند قراءة آية العذاب

عليه **ورأى داود الطائي امرأة تبكي على قبر ولدها** وهي تقول يا ابتاه
ليت شعري اي خديك بدا به الدود اولا فصعق داود وسقط مكانه وقيل
مرض سفيان الثوري فعرض دليله على طبيب ذمي فقال هذا رجل قطع الخوف كبده
ثم جاء وجس عرقه ثم قال ما علمت ان في الحنيفية مثله وقال احمد بن حنبل
سألت الله تعالى ان يفتح علي بابا من الخوف ففتح فخفت على عقلي فقلت يا رب على قدر
ما اطيق فسكن قلبي وقال **عبد الرحمن بن عمرو بن العاص رضي
الله عنه** ابكوا فان لم تبكوا فتباكوا فوالذي نفسي بيده لو يعلم العلم احدكم لصرخ حتى
ينقطع صوته وصلى حتى ينكسر صلبه وكأنه اشار الى قوله عليه السلام لو علمتم
ما اعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا وقال العنبري اجتمع اصحاب الحديث
على باب الفضيل بن عياض رضي الله عنه فاطلع عليهم وهو يبكي ولحيته تكف فقال
عليكم بالقرآن عليكم بالصلاة ويحكم ليس هذا زمان حديث انما هذا زمان تضرع وبكاء
واستكانة ودعاء كدعاء الغريق انما هذا زمان احفظ لسانك واخف مكانك وعالج
قلبك وخذ ما تعرف ودع ما تنكر ورئي الفضيل يوما وهو يمشي فقيل له الى اين
فقال لا ادري فكان يمشي والها من الخوف وقال ذر بن عمر لابيه عمر بن
ذر ما بال المتكلمين يتكلمون فلا يبكي احد واذا تكلمت سمعت البكاء من كل جانب فقال
يا بني ليست النائحة الثكلى كالنائحة المستأجرة **وحكي ان قوما وقفوا
بعابد وهو يبكي** فقالوا ما الذي يبكيك يرحمك الله فقال قرحة يجدها الخائفون في
قلوبهم قالوا وما هي قال روعة النداء بالعرض على الله سبحانه وكان الخواص يبكي
ويقول في مناجاته قد كبرت وضعف جسمي عن خدمتك فاعتقني وقال
صالح المري قدم علينا ابن المبارك مرة فقال ارني شيئا من بعض عجائب عبادكم
فذهبت به الى رجل في بعض الاحياء في خص له فاستأذنا عليه فاذا رجل يعمل خوصا فقرأ
اذ الاغلال في اعناقهم والسلاسل يسحبون في الحميم ثم في النار يسجرون فشهق
الرجل شهقة وخر مغشيا عليه فقمنا من عنده وتركناه على حاله وذهبنا الى آخر
فدخلنا عليه فقرأت هذه الآية فشهق شهقة وخر مغشيا عليه فذهبنا الى
ثالث واستأذنا عليه فقال ادخلوا ان لم تشغلونا عن ربنا فقرأت ذلك لمن
خاف مقامي وخاف وعيد فشهق شهقة فبدا الدم من منخريه فجعل يتشحط في دمه
حتى يبس فتركناه على حاله وخرجنا فادرته على ستة انفس كل نخرج من عنده ونتركه

مكررات

الخوف عند قراءة القرآن

مغشيا عليه ثم اتيت به السايح فاستاذنا فاذا امراة من ورا الخص تقول ادخلوا
فدخلنا فاذا بشيخ فاذ جالس في مصلاه فسلمنا فلم يشعر بسلامنا فقلت بصوت عال ان
للخلق غدا مقاما فقال الشيخ بين يدي من ويحك ثم بقي مبهوتا فاتحا فاه شاخصا ببصره
يصيح بصوت له ضعيف اوه اوه حتى انقطع ذلك الصوت فقالت امراته اخرجوا فانكم لا
تنتفعون به الساعة فلما كان بعد ذلك سالت عن القوم فاذا ثلاثة قد افاقوا وثلاثة
قد لحقوا بالله سبحانه واما الشيخ فاسكت ثلاثة ايام على حالته مبهوتا لا يودي فرضا
فلما كان بعد ثلاث عقل ودخلت مولاة لعمر ابن عبد العزيز فسلمت عليه ثم قامت الى مسجد
في بيته فصلت ركعتين ثم غلبتها عيناها فرقدت فاستيقظت من منامها فقالت يا
امير المومنين اني رايت والله عجبا قال وما ذاك قالت رايت النار وهي تزفر على اهلها
ثم جي بالصراط فوضع على متنها فقال هيه قالت فجي بعبد الملك ابن مروان فحمل
عليه فما مضى به الا يسيرا حتى انكفا به الصراط فهوى الى جهنم فقال هيه قالت ثم جي
بسليمان ابن عبد الملك فما مضى الا يسيرا حتى انكفا به الصراط فهوى فقال هيه قالت ثم
جي بك والله يا امير المومنين فصاح عمر رضي الله عنه صيحة خر مغشيا عليه فقامت
فجعلت تنادي في اذنه يا امير المومنين اني رايتك والله قد نجوت وهي تنادي وهو يصيح
ويفحص برجليه **وحكي ان اويسا القرني رضي الله عنه كان يحضر**
القاص فيبكي من كلامه فاذا ذكر النار صرخ اويس ثم يقوم منطلقا فيتبعه الناس
فيقولون مجنون مجنون **وقال معاذ ابن جبل رضي الله عنه**
ان المومن لا يسكن روعته حتى يخلف جسر جهنم وكان طاووس يفرش فراشه ثم
يضطجع ثم يتقلى كما تتقلى الحبة في المقلى ثم يثب فيدرجه ويستقبل القبلة حتى الصباح
ثم يقول طير ذكر جهنم نوم الخايفين **وقال الحسن البصري رحمه الله**
يخرج من النار رجل بعد الف عام ويا ليتني ذلك الرجل وانما قال ذلك لخوف الخلود بسوء
الخاتمة وروي انه ما ضحك اربعين سنة وكنت اذا رايته كانه اسير قوم ليضرب عنقه
واذا تكلم فكانه يعاين الاخرة فيخبره عن مشاهدتها واذا سكت فكانما النار تسعر بين عينيه
وعوتب في شدة حزنه فقال ما يومنني ان يكون الله قد اطلع علي في بعض ما يكره
فمقتني وقال اذهب فلا غفرت لك فانا اعمل في غير معمل فهذه مخاوف الانبيا عليهم
السلام والاوليا والعلما رضي الله عنهم ونحن اجدر بالخوف منهم ولكن ليس الخوف
لكثرة الذنوب بل لصفا القلوب وكمال المعرفة والا فليس امننا لقلة ذنوبنا وكثرة طاعتنا

الخوف

قول الحسن البصري ياليتني ذلك الرجل الذي خرج من النار بعد الف عام

سوء الخاتمة

حاعتنا برقادتنا شهواتنا وغلبت علينا شقوتنا وصدتنا عن ملاحظة أحوالنا
غفلتنا وقسوتنا فلا قرب الأجل ينبهنا ولا كثرة الذنوب تحركنا ولا مشاهدة أحوال
الخائفين تخوفنا ولا خطر الآخرة تزعجنا فنسأل الله تعالى أن يتدارك بفضله وجوده
أحوالنا فيصلحها إذ كان تحريك اللسان بمجرد السؤال دون الاستعداد ينفعنا ومن
العجائب أنا إذا أردنا المال في الدنيا زرعنا وغرسنا وتجرنا وركبنا البحار وخاطرنا
وإن أردنا رتبة العلم تفقهنا وتعبنا في حفظه وتكراره وسهرنا ونجتهد في طلب
أقواتنا ولا نثق بضمان الله تعالى لنا ولا نجلس في بيوتنا فنقول اللهم ارزقنا ثم إذا طمحت
أعيننا نحو الملك الدائم قنعنا بأن نقول بألسنتنا اللهم اغفر لنا وارحمنا والذي إليه
رجاؤنا وبه اعتزازنا ينادينا ويقول وأن ليس للإنسان إلا ما سعى وأن سعيه سوف
يرى ولا يغرنكم بالله الغرور ويا أيها الإنسان ما غرك بربك الكريم وكل ذلك لا ينبهنا
ولا يخرجنا عن أودية غرورنا وأمانينا فما هذه إلا محنة هائلة إن لم يتفضل علينا بتوبة
نصوح يتداركنا بها ويجبرنا فنسأل الله تعالى أن يتوب علينا بل نسأله أن يشوق إلى
التوبة سرائر قلوبنا وأن لا يجعل حركة اللسان بسؤال التوبة غاية حظنا ه

فلنقتصر من حكايات أحوال الخائفين على ما أوردناه

فإن القليل من هذا يصادف القلب القابل فيكفي والكثير منه وإن أفيض على القلب
الغافل لا يغني ولقد صدق الراهب الذي حكى عيسى بن مالك الخولاني وكان من
خيار العباد أنه رآه على باب بيت المقدس واقفا كهيئة المحزون من شدة الوله
ما تكاد ترقأ دموعه من كثرة البكاء قال عيسى رحمه الله فلما رأيته هالني منظره
فقلت أيها الراهب أوصني بوصية أحفظها عنك فقال يا أخي بماذا أوصيك
إن استطعت أن تكون بمنزلة رجل قد احتوشته السباع والهوام فهو خائف حذر
يخاف أن يغفل فتفترسه السباع أو يسهو فتنهشه الهوام فهو مذعور القلب
وجل فهو في المخافة في ليله وإن أمن المغترون والحزن في نهاره وإن فرح البطالون
ثم ولى وتركني فقلت لو زدتني شيئا عسى أن ينفعني فقال الظمآن يجزيه الماء أيسره
وقد صدق فإن القلب الصافي تحركه أدنى مخافة والقلب الجامد ينبو عنه كل المواعظ
وما ذكره من تقدير أنه قد احتوشته السباع والهوام فلا ينبغي أن تظن أنه تقدير
بل هو تحقيق فإنك لو شاهدت بنور البصيرة باطنك لرأيته مشحونا بأصناف السباع
وأنواع الهوام وهي التي لا تزال تفترسك وتنهشك إن سهوت عنها لحظة إلا

حكايات الخائفين

من

أنك محجوب العين عن مشاهدتها فإذا كشف الغطاء ووضعت في قبرك عاينتها وقد تمثلت لك بصورها وأشكالها الموافقة لمعانيها فترى بعينك العقارب والحيات قد أحدقت بك في قبرك فإنما هي صفاتك الحاضرة الآن وقد انكشفت لك صورها فإن أردت أن تقتلها وتقهرها وأنت قبل الموت قادر عليها فافعل وإلا وطن نفسك على لدغها ونهشها لصميم فؤادك فضلا عن ظاهر بشرتك والسلام

تم كتاب الرجا والخوف بحمد الله تعالى وعونه وصلواته على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم

بسم الله الرحمن الرحيم • اللهم صل على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم

كتاب الفقر والزهد

الحمد لله الذي تسبح له الرمال • وتسجد له الظلال وتندك من هيبته الجبال • خلق الإنسان من الطين اللازب الصلصال وزين صورته بأحسن صورة وأتم اعتدال • وعصم قلبه بنور الهداية عن ورطات الضلال • وأذن له في قرع باب الخدمة بالغدو والآصال • ثم كحل بصيرة المخلص لخدمته بنور العزة حتى لاحظ بضيائه حضرة الجلال • فلاح له من البهجة والبهاء والكمال • ما استحقر دون مبادي إشراقه كل حسن وجمال • واستثقل ما صرفه عن مشاهدته وملازمته غاية الاستثقال • وتمثل ظاهر الدنيا صورة امرأة جميلة تميس وتختال • وانكشف له باطنها عن عجوز شوهاء عجنت من طين الخزي وضربت في قالب النكال • وهي ملتفعة بجلبابها لتخفي قبائح أسرارها بلطائف السحر والاحتيال • وقد نصبت حبائلها في مدارج الرجال • فهي تقتنصهم بضروب المكر والاحتيال • ثم لا يحتظي منهم بالخلف في مواعيد الوصال • بل تقيدهم مع قطع الوصال بالسلاسل والأغلال • وتبتليهم بأنواع البلايا والأنكال • فلما انكشف للعارفين منها قبائح الأسرار والأفعال زهدوا فيها زهد المبغض لها فتركوا التفاخر فيها والتكاثر في الأموال • وأقبلوا بكنه همتهم على حضرة الجلال • واكتفوا منها بوصال ليس

انفصال • ونعقوا بمشاهدة ابدية لا يعتريها فنا ولا زوال • والصلاة على سيد الانبيا وعلى اله خير آل • اما بعد فان الدنيا عدوة الله تعالى بغرور ما ضل من ضل وبمكرها زل من زل فحبها راس الخطايا والسيئات وبغضها ام الطاعات واس الحسنات وقد استقصينا ما يتعلق بوصفها وذم الحب لها في كتاب ذم الدنيا في ربع المهلكات ونحن الان نذكر فضايل البغض لها والزهد فيها فانه راس المنجيات فلا مطمع في النجاة الا بالانقطاع عن الدنيا والبعد منها ولكن مقاطعتها اما ان تكون بانزوايها عن العبد ويسمى ذلك فقرا واما بانزواء العبد عنها ويسمى ذلك زهدا ولكل واحد منهما درجة في نيل السعادة وحظ في الاعانة على الفوز والنجاة ونحن نذكر الان حقيقة الفقر والزهد ودرجاتهما واقسامهما وشروطهما واحكامهما ه ونذكر الفقر في شطر من الكتاب والزهد في شطر اخر منه ونبدا بذكر الفقر ه

الشطر الاول من الكتاب في الفقر ه

وفيه بيان حقيقة الفقر وبيان فضيلة خصوص الفقرا وبيان فضل الفقر على الغنا ه وبيان اداب الفقير في فقره وبيان ادبه في قبول العطا وبيان تحريم السوال بغير ضرورة وبيان مقدار الغنا المحرج عن السوال وبيان احوال السايلين ه

بيان حقيقة الفقر ه

• واختلاف احوال الفقر واساميه ه

اعلم ان الفقر عبارة عن فقد ما هو محتاج اليه اما فقد ما لا حاجة اليه فلا يسمى فقرا وان كان المحتاج اليه موجودا مقدورا عليه لم يكن المحتاج فقيرا واذا فهمت هذا لم تشك في ان كل موجود سوى الله تعالى فهو فقير لانه محتاج الى دوام الوجود في ثاني الحال ودوام وجوده مستفاد من فضل الله تعالى وجوده فان كان في الوجود موجود ليس وجوده مستفادا له من غيره فهو الغني المطلق ولا يتصور ان يكون مثل هذا الموجود الا واحدا فليس في الوجود الا غني واحد وكل من عداه فهم محتاجون اليه ليمد وجودهم بالدوام والى هذا الحصر بقوله تعالى والله الغني وانتم الفقرا. هذا معنى الفقر مطلقا ولكنا لسنا نقصد بيان الفقر المطلق بل الفقر من المال على الخصوص والا فقد العبد بالاضافة الى اصناف حاجاته لا ينحصر لان حاجاته

حقيقة الفقر

معنى الفقير

لا حصر لها ومن جملة حاجاته ما يتوصل اليه بالمال وهو الذي اريد الان بيانه فقط
فنقول كل فاقد للمال فانما نسميه فقيرا بالاضافة الى المال الذي فقده اذا كان
ذلك المفقود محتاجا اليه في حقه ولا يتصور ان يكون له خمسة احوال عند الفقر ونحن
نميزها ونخصص كل حال باسم ليتوصل بالتمييز الى ذكر احكامها **الحالة الاولى**
وهي العليا ان يكون بحيث لو اتاه المال لكرهه وتاذى به وهرب من اخذه مبغضا له ومحترزا
من شره وشغله وهذه الحالة هي التي هي الزهد واسم صاحبها زاهد الثانية ان يكون
بحيث لا يرغب فيه رغبة يفرح بحصوله ولا يكرهه كراهية يتاذى به ويزهد فيه لو اتاه
وصاحب هذه الحالة يسمى راضيا الثالثة ان يكون وجود المال احب اليه من عدمه
لرغبة فيه ولكن لم يبلغ من رغبته ان ينهض لطلبه بل اتاه عفوا صفوا اخذه او فرح به
وان افتقر الى تعب في طلبه لم يشتغل به وصاحب هذه الحالة يسمى قانعا اذا قنع نفسه
بالموجود حتى ترك الطلب مع ما فيه من الرغبة الضعيفة الرابعة ان يكون تركه الطلب
لعجزه والا فهو راغب فيه رغبة لو وجد السبيل الى طلبه ولو بالتعب لطلبه او هو مشغول
بالطلب وصاحب هذه الحالة يسمى حريصا الخامسة ان يكون ما فقده من المال
ما هو مضطر اليه كالجائع الفاقد للخبز والعاري الفاقد للثوب ويسمى صاحب هذه الحالة
مضطرا كيف ما كانت رغبته في الطلب اما ضعيفة واما قوية وقلما تنفك هذه الحالة
عن الرغبة فهذه خمسة احوال اعلاها الزهد والاضطرار ان انضم اليه الزهد وتصور
ذلك فهو اقصى درجات الزهد كما سياتي ووراء هذه الاحوال الخمس حالة هي اعلى من الزهد
وهي ان يستوي عنده وجود المال وفقده فان وجده لم يفرح به ولم يتاذ وان فقده
كذلك بل حاله مثل حال عائشة رضي الله عنها اذ اتتها مائة الف درهم من العطاء
فاخذتها وفرقتها في يومها فقالت لها خادمها لو اشتريت لنا بدرهم لحما فقالت لو ذكرتني
لفعلت فمن هذه حاله لو كانت الدنيا بحذافيرها في يده او في يد غيره لم تضره اذ يرى
الاموال في خزائن الله تعالى لا في يد نفسه ولا يفرق بين ان يكون في يده او في يد غيره
وينبغي ان يسمى صاحب هذه الحالة المستغني لانه غني عن فقد المال ووجوده جميعا
وليفهم من هذا المعنى اسم يفارق اسم الغني المطلق على الله تعالى وعلى من كثر ماله
من العباد وهو يفرح به فهو فقير الى بقاء المال في يده وانما هو غني عن دخول المال
في يده وعن بقائه في يده وعن خروجه من يده ايضا فانه ليس يتاذى به ليحتاج الى الخروج
وليس يفرح به ليحتاج الى البقاء وليس فاقدا له ليحتاج الى الدخول فغناه الى العموم

زاهد من الدنيا

راضي

قانع

حريص

متصدق

وجود المال وعدمه سواء

فقر / غنى

العموم أميل فهو إلى الغنى الذي وصف الله تعالى أقرب وإنما قرب العبد من الله تعالى
بقرب الصفات لا بقرب المكان ولكن لا يسمى صاحب هذه الحالة غنيا لأنه مستغنيا
فبقي الغنى اسما لمنزلة الغني المطلق على كل شيء وأما هذا العبد فإن استغنى عن المال
وجودا وعدما فليس بمستغن عن أشياء أخر سواه ولم يستغن عن مدد توفيق الله تعالى
له ليبقي استغناءه الذي زين الله به قلبه فإن القلب المقيد بحب المال رقيق والمستغني
عنه حر والله الذي أعتقه عن هذا الرق فهو محتاج إلى دوام هذا العتق والقلوب
متقلبة بين الرق والحرية في أوقات متقاربة لأنها بين إصبعين من أصابع الرحمن
فلذلك لم يكن اسم الغني عليه مع هذا الكمال إلا مجازا واعلم أن الزهد درجة هي كمال
الأبرار وصاحب هذه الحالة من المقربين فلا جرم صار الزهد في حقه نقصانا إذ حسنات
الأبرار سيئات المقربين وهذا لأن الكاره للدنيا مشغول بالدنيا كما أن الراغب فيها مشغول
بها والشغل بما سوى الله حجاب عن الله تعالى إذ لا بعد بينك وبينه حتى لا يكون البعد
حجابا فإنه أقرب إليك من حبل الوريد وليس هو في مكان حتى تكون السموات والأرض
حجابا بينك وبينه فلا حجاب بينك وبينه إلا شغلك بغيره وشغلك بنفسك وشهواتك
شغل بغيره وأنت لا تزال مشغولا بنفسك وبشهوات نفسك فلذلك لا تزال محجوبا عنه
فالمشغول بحب نفسه مشغول عن الله سبحانه والمشغول ببغض نفسه أيضا مشغول عن الله
تعالى بل كل ما سوى الله تعالى مثاله مثال الرقيب الحاضر في مجلس جمع العاشق والمعشوق
فإن التفت قلب العاشق إلى الرقيب وإلى بغضه واستثقاله وكراهة حضوره
فهو في حالة اشتغال قلبه ببغضه مصروف عن التلذذ بمشاهدة معشوقه ولو
استغرقه العشق لغفل عن غير المعشوق ولم يلتفت إليه فكما أن النظر إلى غير المعشوق
لحبه عند حضور المعشوق شرك في العشق ونقص فيه فكذلك النظر إلى غيره لبغضه فيه
شرك ونقص ولكن أحدهما أخف من الآخر بل الكمال في أن لا يلتفت القلب إلى غير المحبوب
بغضا وحبا فإنه كما لا يجتمع في القلب حبان في حالة واحدة فلا يجتمع أيضا بغض وحب
في حالة واحدة فالمشغول ببغض الدنيا غافل عن الله تعالى كالمشغول بحبها إلا أن المشغول
بحبها غافل وهو في غفلته سالك في طريق البعد والمشغول ببغضها غافل وهو
في غفلته في طريق القرب إذ يترجى له أن ينتهي حاله إلى أن تزول هذه الغفلة
وتتبدل بالشهود فالكمال له مرتقب لأن بغض الدنيا مطية توصل إلى الله تعالى
فالمحب والمبغض كرجلين في طريق الحج مشغولين بركوب الناقة وعلفها وتسييرها

حسنات الأبرار سيئات المقربين

الحب لله

مثال الحب لله

بغض الدنيا

مثال المحب والمبغض

ولكن احدهما مستدبر الكعبة والآخر مستقبل لها فهما سيّان بالاضافة الى الحال في ان
كل واحد منهما محجوب عن الكعبة ومشغول عنها ولكن حال المستقبل محمود بالاضافة الى
المستدبر اذ يرجى له الوصول وليس محمودا بالاضافة الى المعتكف في الكعبة والملازم
لها الذي لا يخرج منها حتى يفتقر الى الاشتغال بالدابة في الوصول اليها فلا ينبغي ان
يكون بغض الدنيا مقصودا في عينه بل الدنيا عائق عن الله ولا وصول اليه الا بدفع العائق
ولذلك قال ابو سليمان الداراني من زهد في الدنيا واقتصر عليه فقد استعجل الراحة
بل ينبغي ان يشتغل بالآخرة فبين ان سلوك طريق الآخرة وراء الزهد كما ان سلوك طريق الحج
وراء دفع الغريم العائق عن الحج فاذا قد ظهر ان الزهد في الدنيا اذا اريد به عدم الرغبة في وجوده
وعدمه فهو غاية الكمال وان اريد به الرغبة في عدمه فهو كمال بالاضافة الى درجة الراضي
والقانع والحريص ونقصان بالاضافة الى درجة المستغني بل الكمال في حق المال ان يستوي
عندك المال والماء وكثرة الماء في جوارك لا يؤذيك بان تكون على شاطئ البحر ولا قلته يؤذيك
الا في قدر الضرورة مع ان المال يحتاج اليه كما ان الماء يحتاج اليه فلا يكون قلبك مشغولا
بالفرار عن جوار الماء الكثير ولا تبغض الماء الكثير بل تقول اشرب منه بقدر الحاجة
واسقي منه عباد الله بقدر الحاجة ولا ابخل به على احد فهكذا ينبغي ان يكون المال لان
الخبز والماء واحد في الحاجة وانما الفرق بينهما في قلة احدهما وكثرة الآخر فاذا عرفت
الله تعالى ووثقت بتدبيره الذي دبر به العالم علمت ان قدر حاجتك من الخبز يأتيك لا محالة
ما دمت حيا كما يأتيك قدر حاجتك من الماء على ما سنبين ذكره وبيانه في كتاب التوكل
قال احمد بن ابي الحواري قلت لابي سليمان الداراني قال مالك بن دينار
للمغيرة اذهب فخذ الركوة التي اهديتها الي فان العدو يوسوس الي ان اللص قد اخذها
فقال ابو سليمان هذا من ضعف قلب الصوفية من زهد في الدنيا فما عليه من اخذها
فبين ان كراهة كون الركوة في بيته التفاتا اليها سببه الضعف والنقصان ٥٥٥
فان قلت فما بال الانبياء والاولياء هربوا من المال ونفروا منه
كل النفار فاقول كما هربوا من الماء على معنى انهم ما شربوا الاكثر من حاجتهم
ونفروا عما وراءها ولم يجمعوه في القرب والروايا بل يرونه مع انفسهم بل تركوه في
الانهار والبراري للمحتاجين ولم تكن قلوبهم مشغولة بحبها او ببغضها وقد حملت خزائن
الارض الى رسول الله صلى الله عليه وسلم والى ابي بكر وعمر رضي الله عنهما فاخذوها
ووضعوها في مواضعها وما هربوا منها اذ كان قد استوى عندهم الماء والمال والذهب والحجر

مذموم الدنيا

حملت خزائن الارض
لنا رسول الله عم
ولم يقبل

العجز وما ينقل عنهم من امتناع فهو ان ينقل عن من خاف اذا اخذه ان يشغله المال ويفسد قلبه ويدعوه الى الشهوات وهذا حال الضعفاء فلا جرم البعض للمال والهرب منهم في حقهم كمال ـــــ وهذا حكم جميع الخلق لانكلهم ضعفاء الا الانبياء والاولياء. واما ان ينقل عن من قد بلغ الكمال ـــــ ولكن اظهر الفرار والنفار نزولا الى درجة الضعفاء والخلق كلهم ضعفاء الا الانبياء والاولياء. ليقتدوا ويصيب في النزول اذ لولا اقتدوا بهم في الاجرة لهلكوا كما يفر الرجل المعزم بين يدي اولاده عن الحية لا لضعفه عن اخذها ولكن لعلمه بانه لو اخذها لاخذها اولاده اذا راوها فهلكوا والتيسير بسير الضعفاء ضرورة الانبياء والاولياء والعلماء. فقد عرفت اذا ان المراتب ست وان اعلاها رتبة المستغني ثم الزاهد ثم الراضي ثم القانع ثم الحريص واما المضطر فتتصور في حقه ايضا الزهد والرضا والقناعة ودرجاته مختلفة بحسب اختلاف هذه الاحوال واسم الفقر مطلق على هذه الخمسة اما تسمية المستغني فقيرا فلا وجه له بهذا المعنى بل ان يسمى فقيرا فلمعنى اخر وهو معرفته بكونه محتاجا الى الله تعالى في جميع اموره عامة وفي بقاء استغنايه على المال خاصة فيكون اسم الفقير له كاسم العبد لمن عرف نفسه بالعبودية واقر بها فانه احق باسم العبد من الغافلين وان كان اسم العبد عاما للخلق فكذلك اسم الفقر عام ومن عرف نفسه بالفقر الى الله فهو احق باسم الفقر فاسم الفقر مشترك من هذين المعنيين واذا فهمت هذا الاشتراك فهمت ان قوله صلى الله عليه وسلم اعوذ بك من الفقر وقوله كاد الفقر ان يكون كفرا لا يناقض قوله احيني مسكينا اذ فقر المضطر هو الذي استعاذ منه رسول الله صلى الله عليه وسلم والفقر الذي هو الاعتراف بالمسكنة والذلة والافتقار الى الله عز وجل هو الذي ساله في دعايه

بيان فضيلة الفقر مطلقا

اما الايات فيدل عليه قوله تعالى للفقراء المهاجرين الذين اخرجوا من ديارهم واموالهم وقال تعالى للفقراء الذين احصروا في سبيل الله الاية فساق الكلام في معرض المدح ثم قدم وصفهم بالفقر على وصفهم بالهجرة والاحصار وفيه دلالة ظاهرة على مدح الفقر واما الاخبار في مدح الفقر فاكثر من ان تحصى فقد قال ابن عمر رضي الله عنهما قال رسول الله

مراتب اهل الغنا

صلى الله عليه وسلم لاصحابه اي الناس خير فقال موسر من المال يعطي حق الله تعالى في

فضل اعطاء الزكوة

نفسه وماله فقال نعم الرجل هذا وليس به فقالوا من خير الناس يا رسول الله فقال
فقير يعطي جهده وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لبلال الق الله فقيرا ولا
تلقه غنيا وقال صلى الله عليه وسلم ان الله يحب الفقير المتعفف ابا العيال
وفي الخبر المشهور يدخل فقراء امتي الجنة قبل اغنيائهم بخمسمائة عام وفي حديث آخر باربعين
خريفا اي اربعين سنة فيكون المراد به تقدير تقدم الفقير الحريص على الغني الراغب

فضل الفقراء

والمقدير بخمسمائة عام تقدير تقدم الفقير الزاهد على الغني الحريص وما ذكرناه من اختلاف
درجات الفقير يعرفك بالضرورة تفاوتا بين الفقراء في درجاتهم وكان الفقير الحريص
على درجة من خمس وعشرين درجة من الفقير الزاهد اذ هذه نسبة الاربعين الى خمسمائة
ولا تظنن ان تقدير رسول الله صلى الله عليه وسلم يجري على لسانه جزافا ولا بالاتفاق
بل لا ينطق رسول الله صلى الله عليه وسلم الا بحقيقة الحق فانه لا ينطق عن الهوى ان هو
الا وحي يوحى وهذا كقوله صلى الله عليه وسلم الرؤيا الصالحة جزء من ستة واربعين
جزءا من النبوة فانه تقدير تحقيق لا محالة ولكن ليس في قوة غيره ان يعرف علة تلك
النسبة الا بتخمين فاما بالتحقيق فلا اذ لا تعلم ان النبوة عبارة عما يختص به النبي

المخصوص الى الانبياء عم

ويفارق به غيره وهو يختص بانواع من الخواص احدها انه يعرف حقائق تلك النسبة
الا بتخمين فاما بالتحقيق حقائق الامور المتعلقة بالله تعالى وصفاته وملائكته والدار
الآخرة لا كما يعلمه غيره بل مخالفا له بكثرة المعلومات وبزيادة اليقين والتحقيق
والكشف والثاني ان له في نفسه صفة بها تتم له الافعال الخارقة للعادة كما ان لنا
صفة بها تتم الحركات المقرونة بارادتنا واختيارنا وهي القدرة وان كانت القدرة
والمقدور جميعا من فعل الله تعالى والثالث ان له صفة بها يبصر الملائكة ويشاهدهم
كما ان للبصير صفة بها يفارق الاعمى حتى يدرك بها المبصرات والرابع ان له
صفة بها يدرك ما سيكون في الغيب اما في اليقظة واما في المنام اذ بها يطالع ما في
اللوح المحفوظ فيرى ما فيه من الغيب فهذه كمالات وصفات يعلم ثبوتها للانبياء
عليهم السلام ونعلم انقسام كل واحد الى اقسام فربما يمكننا ان نقسمها الى اربعين
والى خمسين والى ستين ويمكننا ايضا ان نتكلف تقسيمها الى ستة واربعين بحيث تقع

الرؤيا الصالحة

الرؤيا الصالحة جزءا واحدا من جملتها ولكن تعيين طريق واحد من طرق التقسيمات
الممكنة لا يكون الا بظن وتخمين ولا ندري تحقيقا انه الذي اراده صلى الله عليه وسلم

وسلم أمره وإنما المعلوم مجامع الصفات التي بها تتم النبوة وأصل انقسامها وذلك لا يرشدنا إلى معرفة علة التقدير ولذلك نعلم أن الفقراء لهم درجات كما سبق فإنما لم يكن هذا الفقير الحريص مثلا في نصف سدس درجة الفقير الزاهد حتى لم يقتض له التقدم بأكثر من أربعين سنة في الجنة واقتضى ذلك التقدم خمسمائة عام فليس في قوة غير الأنبياء عليهم السلام الوقوف على ذلك إلا بنوع من التخمين لا وثوق به والغرض التنبيه على منهاج التقدير في أمثال هذه الأمور فإن الضعيف الإيمان قد يظن أن ذلك يجري من رسول الله صلى الله عليه وسلم على سبيل الاتفاق وحاشا لمنصب النبوة من ذلك ٥ **ولنرجع إلى نقل الأخبار**

فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم خير هذه الأمة فقراؤها وأسرعها تضجعا في الجنة ضعفاؤها ٥ وقال صلى الله عليه وسلم إن لي حرفتين اثنتين فمن أحبهما فقد أحبني ومن أبغضهما فقد أبغضني الفقر والجهاد **وروي أن جبريل عليه السلام** نزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا محمد إن الله يقرئك السلام ويقول أتحب أن أجعل هذه الجبال ذهبا وفضة وتكون معك ٥ حيثما كنت فأطرق رسول الله صلى الله عليه وسلم ساعة ثم قال يا جبريل إن الدنيا دار من لا دار له ومال من لا مال له قد يجمعها من لا عقل له فقال جبريل عليه السلام يا محمد ثبتك الله بالقول الثابت **وروي أن عيسى عليه السلام** مر في ٥ سياحته برجل نائم ملتف في عباءة فأيقظه وقال يا نائم قم فاذكر الله تعالى فقال ما تريد مني إني قد تركت الدنيا لأهلها فقال له فنم إذا حبيبي ثم **ومر موسى عليه السلام برجل نائم على التراب** وتحت رأسه لبنة ووجهه ولحيته في التراب وهو مشتمل بعباءة فقال موسى رب عبدك هذا في الدنيا ضائع فأوحى الله تعالى إليه يا موسى أما علمت أني إذا نظرت إلى عبدي بوجهي كله زويت عنه الدنيا كلها ٥ وعن أبي رافع أنه قال ورد على رسول الله صلى الله عليه وسلم ضيف فلم يجد عنده ما يصلحه فأرسلني إلى رجل يهودي من خيبر وقال له قل له يقول لك محمد أسلفني أربعين درهما إلى هلال رجب قال فأتيته فقال لا والله إلا برهن ٥ فأخبرت رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك فقال أما والله إني لأمين في أهل السماء أمين في أهل الأرض ولو باعني وأسلفني لأديت إليه اذهب بدرعي هذا إليه فارهنه فلما خرجت به نزلت هذه الآية ولا تمدن عينيك إلى ما متعنا به أزواجا

عدم قبول رسول الله الدنيا

رهن درعه ليهوديا لاجل قرض شيء الدرعي

منهم الا انه تعزية له عن الدنيا ه وقال صلى الله عليه وسلم من اصبح منكم
آمنا في سربه معافا في بدنه عنده طعام يومه فكانما حيزت له الدنيا بحذافيرها ه
وقال كعب الاحبار قال الله تعالى لموسى عليه السلام
يا موسى اذا رايت الفقر مقبلا فقل مرحبا بشعار الصالحين وقال عطا الخراساني
مر نبي من الانبياء عليهم السلام بساحل البحر فاذا هو برجل يصطاد
حيتانا فقال بسم الله والقى شبكته فلم يخرج فيها حوتا واحدا ثم مر باخر
فقال بسم الشيطان والقى شبكته فخرج فيها من الحيتان ما كان يتقاعس من كثرتها ه
فقال النبي يا رب ما هذا فقد علمت ان كل واحد بيدك فقال الله عز وجل للملائكة ه
اكشفوا لعبدي عن منزلتيهما فلما راى ما اعد الله لهذا من الكرامة ولهذا من الهوان
قال رضيت يا رب وقال نبينا صلى الله عليه وسلم اطلعت
في الجنة فرايت اكثر اهلها الفقراء واطلعت في النار فرايت اكثر اهلها الاغنياء وفي لفظ
اخر فقلت اين الاغنياء فقيل حبسهم الجد وفي حديث اخر فرايت اكثر اهل النار
النساء فقلت ما شانهن فقال شغلهن الاحمران الذهب والزعفران ه وقال
صلى الله عليه وسلم تحفة المؤمن في الدنيا الفقر وفي الخبر اخر الانبياء دخولا
الجنة سليمان عليه السلام لمكان ملكه واخر اصحابي دخولا الجنة عبد الرحمن ابن
عوف رضي الله عنه لاجل غناه وفي حديث اخر رايته دخل الجنة زحفا وقال
عيسى عليه السلام بشدة يدخل الغني الجنة ه وفي خبر عن اهل البيت عليهم السلام
انه صلى الله عليه وسلم قال اذا احب الله عبدا ابتلاه فان احبه الحب البالغ
اقتناه قيل وما اقتناه قال لم يترك له اهلا ولا مالا وفي الخبر اذا رايت الفقر
مقبلا فقل مرحبا بشعار الصالحين واذا رايت الغنا مقبلا فقل ذنب عجلت
عقوبته ه وقال موسى عليه السلام الهي من احباؤك من خلقك حتى
احبهم من اجلك فقال كل فقير فقير فيمكن ان يكون الثاني للتاكيد ويمكن ان يكون
المراد به شديد الضر وقال عيسى عليه السلام ه
اني لاحب المسكنة وابغض النعما وكان احب الاسامي اليه ان يقال يا مسكين ه
ولما قالت سادات العرب واغنياؤها لرسول الله صلى الله عليه وسلم اجعل
لنا يوما ولهم يوما يجيئون اليك ولا نجيء ونجيء ولا يجيئون يعنون الفقراء مثل
بلال وسلمان وصهيب وابي ذر وخباب ابن الارت وعمار ابن ياسر وابي هريرة

اهل الجنة والنار

فضل الفقر

هريرة واصحاب الصفة من الفقرا فاجابهم النبي صلى الله عليه وسلم الى ذلك وذلك
انهم شكوا اليه انه تؤذيهم روايحهم وكان لباس القوم الصوف في شدة الحر فاذا
عرقوا فاحت الروايح من ثيابهم فاشتد على الاغنيا ذلك منهم الاقرع ابن حابس التميمي
وعيينة ابن حصن الفزاري وعباس ابن مرداس السلمي وغيرهم فاجابهم النبي صلى الله
عليه وسلم ان لا يجمعهم واياهم في مجلس فنزل عليه قوله تعالى واصبر نفسك
مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه ولا تعد عيناك عنهم يعني
الفقرا تريد زينة الحيوة الدنيا يعني الاغنيا ولا تطع من اغفلنا قلبه عن ذكرنا
اي الاغنيا وقل الحق من ربكم فمن شا فليومن ومن شا فليكفر الاية ولما استاذن
ابن ام مكتوم على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعنده رجل من اشراف
قريش فشق ذلك على النبي صلى الله عليه وسلم فانزل الله تعالى عبس وتولى ان
جاه الاعمى وما يدريك لعله يزكى يعني ابن ام مكتوم اما من استغنى فانت له
تصدى يعني هذا الشريف وقال صلى الله عليه وسلم دخلت الجنة
فسمعت حركة امامي فنظرت فاذا بلال فنظرت في اعلاها فاذا فقرا امتي
واولادهم ونظرت في اسفلها فاذا فيهم من الاغنيا والنسا قليل فقلت يا رب ما
شانهم فقال اما النسا فاضر بهن الاحمران الذهب والحرير واما الاغنيا
فاشتغلوا بطول الحساب وتفقدت اصحابي ففقدت عبد الرحمن ابن عوف ثم
جاني بعد ذلك وهو يبكي فقلت ما خلفك عني قال اما والله يا رسول الله ما خلصت
اليك حتى لقيت المشقات وظننت اني لا اراك فقلت ولم قال كنت احاسب بمالي
فانظر الى هذا وعبد الرحمن ابن عوف صاحب السابقة العظيمة مع رسول الله صلى الله
عليه وسلم وهو من العشرة المخصوصين بانهم من اهل الجنة وهو من الاغنيا الذين
قال فيهم رسول الله صلى الله عليه وسلم الا من قال هكذا وهكذا ومع هذا
فقد استنصر بالغنا الى هذا الحد ومر رجل برسول الله صلى الله عليه وسلم
على رجل فقير ولم يره شيا فقال لو قسم نور هذا على اهل الارض لوسعهم وقال
صلى الله عليه وسلم الا اخبركم بملوك اهل الجنة قالوا بلى يا رسول الله قال كل ضعيف
مستضعف اغبر اشعث ذي طمرين لا يوبه له لو اقسم على الله لابره وقال عمران
ابن حصين كانت لي من رسول الله صلى الله عليه وسلم منزلة وجاه فقال يا عمران
ان لك عندي منزلة وجاها فهل لك في عيادة فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه

نزول عبس

وسلم فقلت نعم بابي انت وامي يا رسول الله فانطلقت معه حتى اتينا باب منزل فاطمة
رضي الله عنها فاستاذن عليها فاذنت له قال انا ومن معي قالت ومن معك يا رسول الله قال
عمران فقالت فاطمة والذي بعثك بالحق نبيا ما علي شيء الا عباءة قال اصنعي بها هكذا وهكذا
واشار بيده فقالت هذا جسدي قد واريته فكيف براسي فالقى اليها ملاءة كانت عليه خلقة
فقال شدي بها على راسك ثم اذنت له فدخل فقال السلام عليك يا بنيه
كيف اصبحت فقالت اصبحت والله وجعة وزادني وجعا على ما بي اني لست اقدر على
طعام اكله فقد اضر بي الجوع فبكى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال لا تجزعي يا
بنتاه فوالله ما ذقت طعاما منذ ثلاث واني لاكرم على الله منك ولو سالت ربي
لاطعمني ولكن اثرت الاخرة على الدنيا ثم ضرب بيده على منكبيها وقال ابشري فوالله
انك لسيدة نساء اهل الجنة قالت فاين اسية امراة فرعون ومريم ابنة عمران قال اسية
سيدة نساء عالمها ومريم سيدة نساء عالمها وخديجة سيدة نساء عالمها وانت سيدة
نساء عالمك انكن في بيوت من قصب لا صخب فيها ولا نصب ثم قال اقنعي بابن عمك فوالله لقد
زوجتك سيدا في الدنيا سيدا في الاخرة **واما الاثار** فقد قال ابو الدرداء
ذو الدرهمين اشد حسابا او قال حبسا من ذي الدرهم وارسل عمر الى سعيد ابن
عامر بالف دينار فجاء الى منزله كئيبا حزينا فقالت امراته احدث امر قال اشد
من ذلك ثم قال ادني درعك الخلق فشقه وجعله صررا وفرقه ثم قام يصلي ويبكي الى الغداة
ثم قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يدخل فقراء المسلمين الجنة
قبل الاغنياء بخمس مائة عام حتى ان الرجل من الاغنياء يدخل في غمارهم فيؤخذ بيده ٥
فيستخرج **وقال ابو هريرة رضي الله عنه ثلاث يدخلون**
الجنة بغير حساب رجل يريد ان يغسل ثوبه فلم يكن له خلق يلبسه ورجل لم ينصب على
مستوقد قدرين ورجل دعا بشرابه فلا يقال له ايهما تريد ٥ وقيل جاء رجل فقير الى مجلس
الثوري فقال له تخط لو كنت غنيا ما قربتك وكان الاغنياء من اصحابه يودون انهم فقراء
لكثرة تقريبه الفقراء واعراضه عن الاغنياء وقال المؤمل ما رايت الغني اذل منه في مجلس
الثوري ٥ وقال بعض الحكماء مسكين ابن ادم لو خاف من النار كما يخاف
من الفقر لنجا منهما جميعا ولو رغب في الجنة كما يرغب في الغنى لفاز بهما جميعا
وقال ابن عباس رضي الله عنهما ملعون من اكرم بالغنى
واهان بالفقر وقال لقمان لابنه لا تحقرن احدا لخلقان ثيابه فان ربك وربه واحد

حكاية في حق الفقراء

اهانة الفقراء

واحد وقال يحيى ابن معاذ حبك للفقرا من اخلاق المرسلين وايثارك مجالستهم
من علامة الصالحين وفرارك من صحبتهم من علامة المنافقين وفي الاخبار عن
الكتب السالفة ان الله تعالى اوحى الى بعض انبيائه احذر ان امقتك
فتسقط من عيني فاصب عليك الدنيا صبا وكانت عائشة رضي الله عنها تفرق
مائة الف درهم في يومها يوجهها اليها معاوية وابن عباس وغيرهما وان
درعها لمرقع وتقول لها الجارية لو اشتريت لك بدرهم لحما تفطرين عليه
وكانت صائمة او ذكرتني لفعلت وكان قد اوصاها رسول الله صلى الله عليه وسلم
وقال ان اردت اللحوق بي فعليك بعيش الفقرا واياك ومجالسة الاغنيا
ولا تنزعي درعك حتى ترقعيه وجا رجل الى ابراهيم ابن ادهم
بعشرة الف فابى عليه فطلب اليه الرجل ان ياخذها فقال له ابراهيم تريد ان تمحو
اسمي من ديوان الفقرا بعشرة الف لا افعل ذلك

بيان فضيلة خصوص الفقرا

من الراضين والقانعين والصادقين
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم طوبى لمن هدي الى الاسلام
وكان عيشه كفافا وقنع به وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
يا معشر الفقرا اعطوا الله الرضى من قلوبكم تظفروا بثواب فقركم والا فلا
فالاولى للقانع وهذا للراضي ويكاد يشعر مفهومه بان الحريص لا ثواب له على
فقره ولكن العمومات في فضل الفقر تدل على ان له ثوابا كما سياتي تحقيقه
فلعل المراد بعدم الرضى هو الكراهة بفعل الله في حبس الدنيا عنه ورب
راغب في مال لا يخطر بقلبه انكار على الله تعالى وكراهة فعله فتلك
الكراهة هي التي تحبط ثواب الفقير وروى عن علي رضي الله عنه
عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال احب العباد الى الله تعالى
الفقير القانع برزقه الراضي عن الله تعالى وقال صلى الله عليه وسلم
اللهم اجعل قوت ال محمد كفافا وقال ما من احد غني ولا فقير الا ود

يوم القيمة انه كان اوتي قوتا في الدنيا واوحى الله تعالى الى اسمعيل عليه السلام
اطلبني عند المنكسرة قلوبهم قال ومن هم قال الفقير اذا كان راضيا وقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الله تعالى يوم القيمة اين صفوتي من
خلقي فتقول الملائكة من هم يا ربنا فيقول المسلمين القانعين بعطائي الراضين
بقدري ادخلوهم الجنة فيدخلونها ويأكلون ويشربون والناس في الحساب
يترددون فهذا في القانع والراضي والزاهد فسنذكر فضله في الشطر
الثاني من الكتاب ٥ واما الآثار في القانع والراضي فكثيرة ولا يخفى ان
القناعة بضادة الطمع وقد قال عمر رضي الله عنه ان الطمع فقر واليأس غنى وانه
من يئس عما في ايدي الناس وقنع استغنى عنهم وقال ابن مسعود رضي الله عنهم
ما من يوم الا وملك ينادي تحت العرش يا ابن آدم قليل يكفيك خير من كثير
يطغيك وقال ابو الدرداء رضي الله عنه ما من احد الا وفي عقله نقص وذلك
انه اذا اتته الدنيا بالزيادة ظل فرحا والليل والنهار دائبان في هدم عمره
ثم لا يحزنه ذلك ويح ابن آدم ما ينفع ما يزيد وعمره ينقص وقيل لبعض الحكما
ما الغنا قال قلة تمنيك ورضاك بما يكفيك ٥ وقيل كان ابراهيم ابن ادهم
من اهل النعم بخراسان فبينما هو يشرف من قصر له ذات يوم اذ نظر الى رجل
في فناء القصر بيده رغيف يأكله فلما اكله نام فقال لبعض غلمانه اذا قام
فجئني به فلما قام جاء به اليه فقال ابراهيم ابن ادهم ايها الرجل اكلت الرغيف
وانت جائع قال نعم قال فشبعت قال نعم قال ثم نمت طيبا قال نعم فقال ابراهيم
في نفسه فما اصنع انا بالدنيا والنفس تقنع بهذا القدر ٥ ومر رجل بعامر
ابن عبد القيس وهو يأكل ملحا وبقلا فقال يا عبد الله ارضيت من الدنيا بهذا
فقال الا ادلك على من رضي بشر من هذا فقال بلى فقال من رضي بالدنيا عوضا عن
الآخرة وكان محمد ابن واسع يخرج خبزا يابسا فيبله بالماء ويأكله بالملح ويقول من
رضي من الدنيا بهذا لم يحتج الى احد ٥ وقال الحسن لعن الله اقواما اقسم
الله عز وجل لهم فلم يصدقوه ثم قرأ وفي السماء رزقكم وما توعدون
فورب السماء والارض انه لحق الآية ٥ وكان ابو ذر يوما جالسا في الناس فاتته امرأته
فقالت تجلس بين هؤلاء والله ما في البيت هفة ولا سفة فقال لها يا هذه ان بين
ايدينا عقبة كؤودا لا ينجي منها الا كل مخف فرجعت وهي راضية ٥ وقال

وقال ذو النون أقرب الناس إلى الكفر ذو فاقة لا صبر له وقيل لبعض الحكما ما مالك قال التجمل في الظاهر والقصد في الباطن واليأس عما في أيدي الناس ويروى أن الله تعالى قال في بعض الكتب المنزلة يا ابن آدم لو كانت الدنيا كلها لك لم يكن لك منها إلا القوت فإذا أنا أعطيتك منها القوت وجعلت حسابها على غيرك فأنا إليك محسن وقيل في القناعة.

اضرع إلى الله لا تضرع إلى الناس • واقنع بياس فإن العز في الياس •
واستغن عن كل ذي قربى وذي رحم • إن الغني من استغنى عن الناس •

وقيل

يا جامعا مانعا والدهر يرمقه • مقدرا أي باب عنه يغلقه •
مفكرا كيف تأتيه منيته • أغاديا أم بها ليلا ستطرقه •
جمعت مالا ففكر هل جمعت له • يا جامع المال أياما تفرقه •
المال عندك مخزون لوارثه • ما المال مالك إلا يوم تنفقه •
ارفه ببال فتى يغدو على ثقة • إن الذي قسم الأرزاق يرزقه •
فالعرض منه مصون ما يدنسه • والوجه منه جديد ليس يخلقه •
إن القناعة من يحلل بساحتها • لم يلق في ظلها هما يؤرقه •

بيان فضل الفقر على الغنى

اعلم أن الناس قد اختلفوا في هذا فذهب الجنيد والخواص والأكثرون إلى تفضيل الفقر وقال ابن عطا الغني الشاكر القائم بحقه أفضل من الفقير الصابر ويقال إن الجنيد دعا على ابن عطا لمخالفته إياه فيه فأصابته محنة وقد تقدم ذكرنا في كتاب الصبر والشكر وجه التفاوت بين الصبر والشكر ومهدنا سبيل الفضيلة في الأعمال والأحوال وأن ذلك لا يمكن إلا بتفصيل وأما الفقر والغنى إذا أخذ مطلقا لم يسترب من قرأ الأخبار والآثار في تفضيل الفقر فلا بد فيه من تفصيل فنقول إنما يتصور الشك في مقامين أحدهما فقير صابر ليس بحريص على الطلب بل هو قانع أو راض بالإضافة إلى غني

في فضل الفقر على الغنى

منفق ماله في الخيرات ليس حريصا على امساك المال ٥ والثاني فقير حريص مع غني حريص
اذ لا يخفى ان الفقير القانع افضل من الغني الحريص الممسك وان الغني المنفق في الخيرات ٥
افضل من الفقير الحريص اما الاول فربما يظن ان الغني افضل من الفقير لانهما تساويا في
ضعف الحرص على المال والغني متقرب بالصدقات والخيرات عاجز عنه وهو الذي ظنه
عطا فيما نحسبه فاما الغني المتمتع بالمال وان كان في مباح فلا يتصور ان يتفضل على الفقير
القانع وقد يشهد له ما روي في الخبر ان الفقرا سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم
سبق الاغنيا بالخيرات والصدقات والحج والجهاد فعلمهم كلمات في التسبيح وذكر لهم
انهم ينالون بها فوق ما ناله الاغنيا. فتعلم الاغنيا ذلك فكانوا يقولون فعادوا
الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ذلك فضل الله يؤتيه من يشا وقد
استشهد عطا ايضا لما سئل عنه فقال الغني لانه وصف الحق اما دليله الاول ففيه
نظر لان الخبر قد روي مفصلا تفصيلا يدل على خلاف ذلك وهو ان ثواب الفقير في ٥
التسبيح يدل على مزيد ثواب الغني وان فوزهم بذلك الثواب فضل الله يؤتيه من يشا.
فقد روي زيد ابن اسلم عن انس ابن مالك رضي الله عنه قال بعث الفقرا الى ٥
رسول الله صلى الله عليه وسلم رسولا فقال اني رسول الفقرا اليك فقال مرحبا بك
وبمن جئت من عندهم جئت من قوم احبهم الله قال قالوا يا رسول الله ان الاغنيا ذهبوا
بالجنة يحجون ونحن لا نقدر ويعتمرون ونحن لا نقدر عليه واذا مرضوا بعثوا بفضل
اموالهم ذخيرة لهم فقال بلغ عني الفقرا ان لمن صبر واحتسب منهم ثلاث خصال
ليست للاغنيا اما واحدة فان لهم غرفا في الجنة ينظر اليها اهل الجنة كما ينظر اهل الارض
الى نجوم السما. لا يدخلها الا نبي فقير او شهيد فقير او مومن فقير ٥ والثانية ٥
يدخل الفقرا الجنة قبل الاغنيا بنصف يوم وهو خمسماية عام والثالثة اذا قال
الغني الحمد لله وسبحان الله ولا اله الا الله والله اكبر وقال الفقير مثل ذلك لم يلحق الفقير
بالغني وان انفق عشرة الف درهم وكذلك اعمال البر كلها فرجع اليهم فقالوا رضينا
فهذا يدل على ان قوله عليه السلام ذلك فضل الله يؤتيه من يشا اي مزيد ثواب الفقرا
واما قوله ان الغني وصف الحق فاجابه بعض الشيوخ فقال ارايت ان الحق غني بالاسباب
والاعراض فانقطع ولم ينطق واجاب اخرون فقال التكبر من صفات الحق فينبغي ان يكون
افضل من التواضع ثم قال بل هذا يدل على ان الفقير افضل لان صفات الربوبية لا ينبغي
ان ينازع فيها ولذلك قال تعالى العظمة ازاري والكبريا ردائي فمن نازعني فيهما قصمته

فضل الفقراء

تضمنه ولذلك شهى حب العز والبقاء شرك في الربوبية
ومنازعة فيها لانه من صفات الرب تعالى فمن هذا الجنس تكلموا في تفضيل الغنى والفقر
وحاصلها يتعلق بعمومات تقبل التأويل وبكلمات قاصرة لا يبعد مناقضتها اذ كما
يناقض قول من فضل الغنى بانه صفة الحق بالمتكبر فكذلك يناقض قول من ذم الغنى
لانه وصف العبد بالعلم والمعرفة وانه وصف الرب تعالى والجهل والغفلة وصف
العبد وليس لاحد ان يفضل الغفلة على العلم فكشف الغطاء في هذا هو ما ذكرناه
في كتاب الصبر وهو ان ما لا يراد لعينه بل يراد لغيره فينبغي ان يضاف الى مقصوده
اذ به تظهر فضيلته والدنيا ليست محذورة بعينها ولكن لكونها عائقة عن الوصول
الى الله تعالى ولا الفقر مطلوب لعينه ولكن لان فيه فقد العائق عن الله تعالى
وعدم الشاغل عنه وكم من غني لم يشغله الغنى مثل سليمان صلى الله عليه وسلم
وعبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه وكم من فقير شغله الفقر وصرفه عن المقصد
وغاية المقصد في الدنيا هو حب الله تعالى والانس به ولا يكون ذلك الا بعد معرفته
وسلوك سبيل المعرفة مع الشواغل غير ممكن والفقر قد يكون من الشواغل كما
ان الغنى قد يكون من الشواغل وانما الشاغل على التحقيق حب الدنيا اذ لا يجتمع معه
حب الله تعالى في القلب والمحب للشيء مشغول به سواء كان في فراقه او في وصاله
وربما يكون شغله في الفراق اكثر وربما يكون في الوصال اكثر والدنيا
معشوقة الغافلين المحروم عنها مشغول بها وبطلبها والقادر عليها مشغول بحفظها
وبالتمتع بها فاذا ان فرضت فارغين من حب الدنيا بحيث صار المال في حقهما كالماء
استوى الفاقد والواجد اذ كل واحد غير متمتع الا بقدر الحاجة ووجود قدر الحاجة
افضل من فقده اذ الجائع يسلك سبيل الموت لا سبيل المعرفة وان اخذت
الامر بالاعتبار والاكثر فالفقر عن الخطر ابعد اذ فتنة السراء اشد من فتنة
الضراء ومن العصمة ان لا تقدر ولذلك قال الصحابة رضي الله عنهم بلينا
بفتنة الضراء فصبرنا وبلينا بفتنة السراء فلم نصبر وهذا خلق الآدميين الا
الشاذ الذي لا يوجد في الاعصار الكثيرة الا نادرا ولما كان خطاب الشرع مع الكل
لا مع ذلك النادر والضراء اصلح للكل دون ذلك البعيد زجر الشرع عن الغنى
وذمه وفضل الفقر ومدحه حتى قال عيسى صلى الله عليه وسلم لا
تنظروا الى اموال اهل الدنيا فان بريق اموالهم يذهب بنور ايمانهم وقال بعض العلماء

تقليب الاموال بمو بحلاوة الايمان وفي الخبر لكل امة عجل وعجل هذه الامة الدينار
والدرهم وكان اصل عجل قوم موسى من حلية الذهب والفضة ايضا فاستوا المال
والماء والذهب والحجر انما يتصور للانبيا عليهم السلام والاوليا رضي الله عنهم
ثم يتم لهم ذلك بفضل الله بطول المجاهدة اذ كان صلى الله عليه وسلم يقول اليك
عني اذ كانت الدنيا تتمثل له بزينتها وكان علي رضي الله عنه يقول يا صفرا
غري غيري ويا بيضا غري غيري وذلك لاستشعاره في نفسه ظهور مبادي الاغترار
بها لولا ان راي برهان ربه وذلك هو الغنى المطلق اذ قال صلى الله عليه
وسلم ليس الغنى بكثرة العرض انما الغنى غنى النفس واذا كان ذلك بعيدا فالاصلح لكافة
الخلق فقد المال وان تصدقوا وصرفوها الى الخيرات لا ينفكون في القدرة على المال
عند الانس بالدنيا وتمنع القدرة عليها واستشعار راحة في بذلها وكل ذلك يورث الانس
بهذا العالم وبقدر ما انس العبد بالدنيا يستوحش من الاخرة وبقدر ما يانس بصفة
من صفاته سوى صفة المعرفة بالله تعالى يستوحش من الله تعالى ومن حبه ومهما انقطعت
اسباب الانس بالدنيا تجافى القلب عن الدنيا وزهرتها والقلب اذا تجافى عما سوى الله
تعالى وكان مومنا بالله تعالى انصرف لا محالة الى الله تعالى اذ لا يتصور قلب فارغ
وليس في الوجود الا الله وحده فمن اقبل على غيره فقد تجافى عنه ومن اقبل عليه فقد
تجافى عن غيره ويكون اقباله على احدهما بقدر تجافيه عن الاخرة وقربه من احدهما بقدر بعده
من الاخر ومثلهما مثل المشرق والمغرب فانهما جهتان فالمتردد بينهما بقدر ما يقرب
من احدهما يبعد من الاخر بل عين القرب من احدهما هو عين البعد من الاخر فنفس حب
الدنيا هو عين بغض الله تعالى فينبغي ان يكون مطمح نظر العارف قلبه في عزوفه عن الدنيا
او حبه لها فاذا فضل الغني والفقير بقدر تعلق قلبيهما بالمال فقط فان تساويا فيه
تساوت درجتهما الا ان هذا مزلة القدم وموضع الغرور فان الغني ربما يظن انه
منقطع القلب عن المال ويكون حبه له دفينا في باطنه وهو لا يشعر به وانما يشعر به
اذا فقده فليجرب نفسه بتفريقه واذا سرق منه فان وجد لقلبه اليه التفاتا
فليعلم انه كان مغرورا فكم من رجل باع سرية له يظن انه منقطع القلب عنها فبعد
لزوم البيع وتسليم الجارية اشتعلت من قلبه النار التي كانت كامنة فيه فتحقق بهذا
انه كان مغرورا وانما مثل العشق مستكنا في الفواد مثل استكنان النار تحت الرماد
وهذا حال الاغنيا الا الانبيا والاوليا فاذا كان ذلك محالا او بعيدا فلنطلق القول

غنى النفس

مثل فارغ القلب

الفرق بين الغني والفقير

مثل الحب والعشق

القول بان الفقر اصلح لكافة الخلق وافضل لان علاقة الفقير وانسه بالدنيا اضعف
وبقدر ضعف علاقته تتضاعف تسبيحاته وعباداته فان حركات اللسان ليست
مرادة لاعيانها بل ليتأكد بها الانس في قلب فارغ عن غير المذكور وكاثيره في قلب
مشغول ولذلك قال بعض السلف مثل من تعبد وهو في طلب الدنيا مثل من

مثل عبادة حب الدنيا

يطفئ النار بالحلفا ومثل من يغسل يده من الغمر بسمك وقال ابو سليمان تنفس
فقير دون شهوة ولا يقدر عليها افضل من عبادة غني الف عام وقال رجل
لبشر ابن الحارث ادع الله لي فقد اضر بي العيال فقال له اذا قال لك عيالك
ليس عندنا دقيق ولا خبز فادع لي في ذلك الوقت فان دعاءك افضل من دعائي
وكان يقال مثل الغني المتعبد مثل روضة على مزبلة ومثل الفقير المتعبد

مثل عبادة الغني والفقير

مثل عقد الجوهر في جيد الحسناء وكانوا يكرهون سماع علم المعرفة من الاغنياء وقد
قال الصديق رضي الله عنه اللهم اني اسالك الذل عند النصف من نفسي
والزهد فيما جاوز الكفاف واذا كان مثله في الكمال حاله يحذر من الدنيا ووجودها
فكيف يشك ان فقد المال اصلح من وجوده وما ذكره غلط من ان الغنى وصف الحق
فذلك افضل صحيح ولكن اذا كان العبد غنيا عن وجود المال وعدمه جميعا بل يستوي
عنده كلاهما فاما اذا كان غنيا بوجوده ومفتقرا الى بقائه به فلا يضاهي غناه غنا
الله تعالى لان الله غني بذاته لا بما يتصور زواله والمال يتصور ان يسرق وما ذكر
في الرد عليه من ان ليس غنيا بالاعراض والاسباب صحيح في ذم غني يريد بقا المال
وما ذكره من ان صفات الحق لا يليق بالعبد غير صحيح بل العلم من صفاته وهو افضل
شي للعبد بل منتهى العبد ان يتخلق باخلاق الله تعالى وقد سمعت بعض المشايخ يقول
ان سالك الطريق الى الله تعالى قبل ان يقطع الطريق يصير الاسما التسعة والتسعون
اوصافا له اي يكون له من كل واحد نصيب فاما التكبر فلا يليق بالعبد فان التكبر
على من لا يستحق التكبر عليه ليس من صفات الله واما التكبر على من يستحقه كتكبر

التكبر

المومن على الكافر وتكبر العالم على الجاهل والمطيع على العاصي فذلك لا يليق به نعم
يراد بالتكبر الزهو والصلف والايذا وليس ذلك من وصف الله تعالى وانما وصف
الله انه اكبر من كل شي وانه يعلم كذلك والعبد مامور بان يطلب اعلى المراتب

انه

ان قدر على ذلك ولكن بالاستحقاق كما هو حقه لا بالباطل والتلبيس فعلى العبد
ان يعلم ان المومن اكبر من الكافر والمطيع اكبر من العاصي والعالم اكبر من الجاهل

والانسان اكرم من البهيمة والجماد والنبات واقرب الى الله تعالى منها فلو رأى نفسه
بهذه الصفة رؤية محققة لا يشك فيها لكان صفة الكبر حاصلا له ولا يقابه وفضيلة
في حقه الا انه لا سبيل الى معرفته فان ذلك موقوف على الخاتمة وليس يدري الخاتمة
كيف تتفق فلجهله به وجب ان لا يعتقد لنفسه رتبة فوق رتبة الكافر اذ ربما يختم
للكافر بالايمان ويختم له بالكفر بل يكن ذلك لا يقابه لقصور علمه عن معرفة العاقبة
ولما يتصور ان يعلم الشيء على ما هو به كان العلم كما لا في حقه لانه من صفات الله تعالى لكن
ولما كان معرفته بعض الاشيا قد تضره صار ذلك العلم نقصا في حقه اذ ليس من
اوصاف الله علم تضره فمعرفة الامور التي لا ضرر فيها هي التي تتصور في العبد من
صفات الله تعالى فلا جرم هو منتهى الفضيلة وبه فضل الانبيا عليهم السلام
والاوليا والعلما رضي الله عنهم فاذا لو استوى عنده وجود المال وعدمه فهو
نوع من الغنى يضاهي بوجه من الوجوه الغنى الذي يوصف به الله سبحانه فهو فضيلة
اما الغنى بوجود المال فلا فضيلة فيه اصلا فهذا بيان نسبة حال الفقير القانع الى
الغنى الشاكر **المقام الثاني** في نسبة الفقير الحريص الى نسبة الغنى الحريص
ونفرض ذلك في شخص واحد هو طالب للمال وشارع فيه وفاقد له ثم وجده فله حالة
الفقد وحالة الوجود فاي حالتيه افضل فنقول ينظر فان مطلوبه ما لا بد منه
في المعيشة وكان قصده ان يسلك سبيل الدين ويستعين به عليه فحال الوجود
افضل لان الفقر يشغله بالطلب وطالب القوت لا يقدر على الذكر والفكر الا قدرة
مدخولة لشغله والمكتفي هو القادر ولذلك قال صلى الله عليه وسلم
اللهم اجعل قوت آل محمد كفافا وقال كاد الفقر ان يكون كفرا اي الفقر مع الاضطرار
فيما لا بد منه وان كان المطلوب فوق الحاجة ولكن لم يكن المقصود الاستعانة على سلوك
السبيل فحال الفقر اصلح وافضل لانهما استويا في الحرص وحب المال واستويا في
ان كل واحد ليس يقصد به الاستعانة على الطريق فاستويا في ان كل واحد ليس يتعرض
لمعصية بسبب الفقر والغنى ولكن افترقا في ان الواجد يانس بما وجده فيتأكد حبه
في قلبه ويطمئن الى الدنيا والفاقد المضطر يتجافى قلبه عن الدنيا فتكون عنده مثل
السجن الذي يبتغي الخلاص منه ومهما استوت الامور كلها وخرج من الدنيا رجلان
احدهما اشد ركونا الى الدنيا فحاله اشد لا محالة اذ يلتفت قلبه الى الدنيا ويستوحش
من الاخرة بقدر تأكد انسه بالدنيا وقد قال صلى الله عليه وسلم ان روح

روح القدس نفث في روعي احبب من احببت فانك مفارقه وهذا تنبيه على ان
فراق المحبوب شديد فينبغي ان تحب ما لا يفارقك وهو الله تعالى ولا تحب ما يفارقك
وهو الدنيا فانك اذا احببت الدنيا كرهت لقاء الله تعالى فيكون قدومك بالموت
على ما تكرهه وفراقك لما تحبه وكل من فارق محبوبا فيكون اذاه في فراقه بقدر حبه وقدر
انسه به وانس الواجد للدنيا اكثر من انس الفاقد لها وان كان حريصا فاذا قد
انكشف بهذا التحقيق ان الفقر هو الاشرف والافضل والاصلح لكافة الخلق الا في موضعين
احدهما غني مثل عايشة رضي الله عنها يستوي عنده الوجود والعدم فيكون الوجود
مزيدا له اذ يستفيد به ادعية الفقرا والمساكين ونفعهم والثاني الفقر عن مقدار
الضرورة فان ذلك يكاد ان يكون كفرا ولا خير فيه بوجه من الوجوه الا اذا كان وجوده
يبقي حياته ثم يستعين بقوته وحياته على الكفر والمعاصي ولو مات جوعا لكانت معاصيه
اقل فالاصلح له ان يموت جوعا ولا يجد ما يضطر اليه ايضا فهذا تفصيل القول في
الغني والفقر ويبقى النظر في فقير حريص متكالب على طلب المال ليس له هم سواه
وفي غني حريص هو دونه في الحرص على حفظ المال ولم يكن تفجعه بفقد المال لو فقده
كتفجع الفقير لفقده فهذا في محل النظر والاظهر ان بعدهما عن الله بقدر تفجعهما
بفقد المال وقربهما بقدر ضعف تفجعهما بفقده والعلم عند الله تعالى فيه

بيان أدب الفقير في فقره

اعلم ان للفقر ادابا في باطنه وظاهره ومخالطته وافعاله ينبغي ان
يراعيها فاما في باطنه فلا ينبغي ان يكون فيه كراهية لما ابتلاه الله به من الفقر اعني انه
لا يكون كارها فعلا له من حيث انه فعله وان كان كارها للفقر كالمحجوم يكون كارها
للحجامة لتالمه بها ولا يكون كارها فعل الحجام ولا كارها له بل ربما يتقلد منه منة فهذا
اقل درجاته وهو واجب ونقيضه حرام محبط ثواب الفقر وهو معنى قوله صلى الله
عليه وسلم يا معشر الفقرا اعطوا الله الرضى من قلوبكم تظفروا بثواب فقركم والا
فلا وارفع من هذا ان لا يكون كارها للفقر بل يكون راضيا به وارفع منه ان يكون
طالبا له وفرحا به لعلمه بغوائل الغنى ويكون متوكلا في باطنه على الله تعالى وانقطا

بيان ادب الفقير في فقره

به في قدر ضرورته وانه آتيه لا محالة ويكون كارها للزيادة على الكفاف وقد قال
علي رضي الله عنه ان لله عقوبات بالفقر ومثوبات بالفقر فمن علامة الفقر اذا كان مثوبة
ان يحسن عليه خلقه ويطيع فيه ربه ولا يشكو حاله ويشكر الله تعالى على فقره ومن علامته
اذا كان عقوبة ان يسيء عليه خلقه ويعصي ربه ويكثر الشكاية ويتسخط القضاء وهذا
يدل على ان كل فقر ليس بمحمود بل الذي لا يتسخط او يرضى او يفرح بالفقر لعلمه بثمرته
اذ قيل ما اعطي عبد شيئا من الدنيا الا قيل له خذه على ثلاثة اثلاث شغل وهم وطول حساب
واما في ظاهره ان يظهر التعفف والتجمل ولا يظهر الشكوى والفقر بل يستره ويستر انه
يستره ففي الحديث ان الله يحب الفقير المتعفف ابا العيال وقد قال يحسبهم الجاهل اغنياء
من التعفف وقال سفيان افضل الاعمال التجمل عند المحنة وقال بعضهم ستر
الفقر من كنوز الجنة واما في اعماله فان لا يتواضع لغني لاجل غناه بل يتكبر عليه قال علي رضي
الله عنه ما احسن تواضع الغني للفقير رغبة في ثواب الله واحسن منه تيه الفقير على الغني
ثقة بالله تعالى فهذه رتبة واقل منها ان لا يخالط الاغنياء ولا يرغب في مجالستهم لان
ذلك من مبادي الطمع قال الثوري اذا خالط الفقير السلطان فاعلم انه لص وقال بعض
العارفين اذا خالط الفقير الاغنياء انحلت عروته فاذا طمع فيهم انقطعت عصمته فاذا
سكن اليهم ضل ولا ينبغي ان يسكت عن ذكر الحق مداهنة للاغنياء وطمعا في العطاء واما
ادابه في افعاله فان لا يفتر بسبب الفقر عن عبادته ولا يمنع بذل قليل ما فضل عنه
فان ذلك جهد المقل وفضله اكثر من اموال كثيرة تبذل عن ظهر غنى وينبغي ان لا يدخر ما لا
بل ياخذ قدر الحاجة ويخرج الباقي وفي الادخار ثلاث درجات احدها ان لا يدخر
الا ليومه وليلته وهي درجة الصديقين الثانية ان لا يدخر لاربعين يوما
فان ما زاد عليه داخل في طول الامل وقد فهم العلماء من ميعاد الله لموسى عليه السلام
فهم منه الرخصة في امل الحياة اربعين يوما وهذه درجة المتقين الثالثة
ان يدخر لسنة وهي اقصى المراتب وهي درجة الصالحين ومن زاد في الادخار على هذا
فهو واقع في غمار العموم خارج عن حيز الخصوص بالكلية فغنى الصالح الضعيف في
طمأنينة قلبه في قوت سنة وغنى الخصوص في اربعين يوما وغنى خصوص الخصوص في
يوم وليلة

بيان اداب الفقير في قبول العطاء

ستر الفقر

تيه الفقير على الغني

ادخار سنة

بيان اداب الفقير في قبول العطا

اذا جاءه من غير سؤال

ينبغي ان يلاحظ الفقير فيما جاءه ثلاثة امور نفس المال وغرض
المعطي وغرضه في الاخذ اما نفس المال فينبغي ان يكون حلالا خاليا عن الشبهات كلها
فان كان فيه شبهة فليحترز من اخذه وقد ذكرنا في كتاب الحلال والحرام درجة الشبهة
وما يجب اجتنابه وما يستحب واما غرض المعطي فلا يخلو اما ان يكون تطييبا لقلبه
وطلب محبته وهي الهدية او الثواب وهي الصدقة او الزكوة او الذكر والريا و
والسمعة اما مجردا واما ممزوجا ببقية الاغراض اما الاولى وهي الهدية فلا باس
بقبولها فان قبولها في سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ولكن ينبغي ان لا
تكون فيه منة فان كان فيه منة فالاولى تركها فان علم ان بعضها مما تعظم فيه المنة
فليرد البعض دون البعض واهدي الى رسول الله صلى الله عليه وسلم سمن
واقط وكبش فقبل السمن والاقط ورد الكبش وكان رسول الله صلى الله عليه
وسلم يقبل من بعض الناس ويرد على بعض وقال لقد هممت ان لا اتهب الا من قرشي
او ثقفي او دوسي وفعل هذا جماعة من التابعين وجاءت صرة الى فتح
الموصلي فيها خمسون درهما فقال حدثنا عطا عن النبي صلى الله عليه وسلم
انه قال من اتاه رزق من غير مسئلة فرده فانما يرد على الله ثم فتح الصرة واخذ منها
درهما ورد سايرها وكان الحسن يروي هذا الحديث ايضا ولكن حمل اليه رجل كيسا
ورزمة رقيق ثياب خراسان فرد ذلك وقال من جلس مجلسي هذا وقبل من الناس
مثل هذا لقي الله يوم القيامة وليس له خلاق وهذا يدل على ان امر الواعظ
والعالم اشد في قبول العطا وكان الحسن يقبل من اصحابه وكان ابراهيم التيمي
يسال اصحابه الدرهم والخمسة ونحوه ويعرض عليه غيرهم المائتين فلا ياخذها وكان بعضهم
اذا اعطاه صديقه شيئا يقول اتركه عندك وانظر ان كنت بعد قبوله في قلبك
افضل مني قبل القبول فاخبرني حتى آخذ والا فلا وامارة هذا ان يشق عليه الرد
لو رده ويفرح بالقبول ويرى المنة على نفسه في قبول صديقه هديته فان
علم ان العطا يمازجه منة فاخذه مباح لكنه مكروه عند الفقراء الصادقين
وقال بشر ما سالت احدا شيئا قط الا سريا السقطي لانه كان صح عندي
زهده في الدنيا فهو يفرح بخروج الشي عن يده ويتبرم ببقائه عنده فاكون
عونا له على ما يحب وجاء خراساني الى الجنيد بمال وساله ان ياخذه ويأكله

امر الواعظ

فقال فرقه على الفقرا. فقال ما اريد بهذا فقال ومتى اعيش حتى اكل هذا فقال ما اريد
ان تنفقه في اكل البقل والخل بل في الحلوات والطيبات فقبل فقال الخراساني ما اجد
في بغداد امنّ علي منك فقال الجنيد لا ينبغي ان يقبل الا من مثلك الثاني ان يكون
للثواب المجرد وذلك الصدقة او زكاة فعليه ان ينظر في صفات نفسه انه مستحق الزكاة
فان اشتبه عليه فهو محل شبهة وقد ذكرنا تفصيل ذلك في كتاب اسرار الزكوة
فان كانت صدقة وكان يعطيه لدينه فلينظر الى باطنه فان كان مقارفا للمعصية في
السر يعلم ان المعطي لو علم ذلك لنفر طبعه ولما تقرب الى الله تعالى بالتصدق عليه
فهذا حرام اخذه كما لو اعطاه لظنه انه عالم او علوي ولم يكن فاخذه حرام محض لا
شبهة فيه الثالث ان يكون غرضه الشهرة والريا والسمعة فينبغي ان يرد
عليه قصده الفاسد ولا يقبله اذ يكون معينا له على غرضه الفاسد وكان الثوري
يرد ما يعطى ويقول لو علمت انهم لا يذكرون ذلك افتخارا به لاخذت وعوتب بعضهم
في رد ما كان ياتيه من صلة فقال انما ارد عليهم اشفاقا ونصحا لانهم يذكرون عطاهم
ويحبون ان يعلم به فتذهب اموالهم وتحبط اجورهم واما غرضه في الاخذ فينبغي
ان ينظر اهو محتاج اليه فيما لا بد منه او هو مستغن عنه فان كان محتاجا اليه وقد
سلم من الشبهة والافات التي ذكرناها في المعطي فالافضل له الاخذ قال النبي
صلى الله عليه وسلم ما المعطي من سعة باعظم اجرا من الاخذ اذا كان محتاجا
وقال صلى الله عليه وسلم من اتاه شي من هذا المال من غير مسئلة ولا استشراف
فانما هو رزق ساقه الله اليه وفي لفظ اخر فلا يرده وقال بعض العلما
من اعطي ولم ياخذ سال ولم يعط وكان سري يوصل الى احمد ابن حنبل شيئا
فيرده فقال له سري يا احمد احذر افة الرد فانها اشد من افة الاخذ فقال له
احمد ما رددت عليك الا ان عندي قوت شهر فاحبسه لي عندك فاذا كان بعد
شهر فانفذه الي وقد قال بعض العلما يخاف في الرد مع الحاجة عقوبة
من ابتلاء بطمع او دخول في شبهة او غيره فاما اذا كان ما اتاه زائدا على حاجته
فلا يخلو اما ان يكون حاله الاشتغال بنفسه او التكفل بامور الفقرا والانفاق
عليهم لما في طبعه من الرفق والسخا فان كان مشغولا بنفسه فلا وجه لاخذه
وامساكه فان كان طالبا طريق الاخرة فان ذلك محض اتباع الهوى وكل عمل ليس لله
فهو في سبيل الى الشيطان او داع اليه ومن حام حول الحمى يوشك ان يقع فيه

اخذ الصدقة واعطاؤها ومصرفها ان كان فاسقا

فيه ثم له مقامان احدهما ان ياخذ في العلانية ويرد في السر او ياخذ في العلانية
ويفرق في السر وهذا مقام الصديقين وهو شاق على النفس لا يطيقه الا من اطمأنت
نفسه بالرياضة ۞ والثاني ان يترك ولا ياخذ ليصرفه صاحبه الى من هو احوج اليه منه
او ياخذ العطاء ويوصله الى من هو احوج منه فيفعل كلاهما في السر وكلاهما في العلانية
وقد ذكرنا ان الافضل اظهار الاخذ واخفاؤه في كتاب اسرار الزكوة مع جملة من احكام
الفقر فليطلب فيه وامتناع احمد عن قبول عطاء سري السقطي انما كان لاستغنائه
عنه اذ كان عنده قوت شهر ولم يرض لنفسه ان يشتغل باخذه وصرفه الى غيره ۞
فان في ذلك آفات واخطارا والورع يكون حذرا من مظان الآفات اذ لم يكن يامن مكيدة
الشيطان على نفسه ۞ وقال بعض المجاورين بمكة كانت عندي دراهم اعددتها
للانفاق في سبيل الله تعالى فسمعت فقيرا قد فرغ من طوافه وهو يقول بصوت
خفي جائع • كما ترى عريان كما ترى • فما ترى فيما ترى • يا من يرى ولا يرى ۞
فنظرت فاذا عليه خلقان لا تكاد تواريه فقلت في نفسي لا اجد لدراهمي موضعا
احسن من هذا فحملتها اليه فنظر اليها ثم اخذ منها خمسة دراهم فقال اربعة دراهم
ثمن مئزرين ودرهم نفقة ثلاثا فلا حاجة لي الى الباقي فرده وقيل فرايته الليلة ۞
الثانية وعليه مئزران جديدان فهجس في نفسي منه شيء فالتفت الي فاخذ بيدي
فاطافني معه اسبوعا كل شوط منها في جوهر من معادن الارض بتخشخش من تحتها
قدامنا منها ذهب وفضة وياقوت ولؤلؤ وجوهر ولم يظهر ذلك للناس فقال
هذا كله قد اعطانيه من زهدنا فيه ونأخذ من ايدي الخلق لان هذه اثقال وفتنة
وذلك للعباد فيه رحمة ونعمة والمقصود فان الزيادة على قدر الحاجة انما ياتيك
ابتلاء وفتنة لينظر الله تعالى اليك ماذا تعمل فيه وقدر الحاجة ياتيك رفقا بك
فلا تغفل عن الفرق بين الرفق والابتلاء قال تعالى انا جعلنا ما على الارض
زينة لها لنبلوهم ايهم احسن عملا وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم
لا حق لابن آدم الا في ثلاث طعام يقيم به صلبه وثوب يواري به عورته ۞
وبيت يسكنه فما زاد فهو حساب فاذا انت في اخذ الحاجة من هذه الثلاث مثاب
وفيما زاد عليها ان لم تعص الله تعالى متعرض للحساب فان عصيت الله فمتعرض
للعذاب ومن الاختبار ايضا ان تعزم على لذة من اللذات تقربا الى الله وكسرا
لشهوة النفس فتاتيك عفوا صفوا لتمتحن بها قوة عقدك والاولى الامتناع عنه

الحكاية في الصدقة

فإن النفس إذا رخصت لها في نقض العزم ألفت نقض العهد وعادت لعادتها
ولا يمكن قهرها فرد ذلك مهم فهو الزهد فإن أخذته وصرفته إلى محتاج فهو غاية
الزهد ولا يقدر عليه إلا الصديقون وأما إذا كان حالك السخاء والبذل والتكفل
بحقوق الفقراء أو تعهد جماعة من العلماء فخذ ما زاد على حاجتك فإنه غير زائد على حاجة
الفقراء وبادر به إلى الصرف إليهم ولا تؤخره فإن إمساكه ولو ليلة واحدة فيه فتنة
واختبار فربما يحلو في قلبك فتمسكه ويكون فتنة عليك فقد تصدى لخدمة الفقراء
جماعة اتخذوها وسيلة إلى التوسع في المال والتنعم في المطعم والمشرب وذلك هو
الهلاك ومن كان غرضه الرفق وطلب الثواب به فله أن يستقرض على حسن الظن بالله
لا على اعتماد السلاطين فإن رزقه الله تعالى من حلال قضاه وإن مات قبل القضاء
قضى الله عنه وأرضى غرماءه وذلك بشرط أن يكون مكشوف الحال عند من يقرضه
فلا يغر المقرض ولا يخدعه بالمداهنة بل يكشف حاله عنده ليقدم على إقراضه على بصيرة
ودين مثل هذا الرجل واجب أن يقضى من بيت المال والزكوات وقد قال تعالى
ومن قدر عليه رزقه فلينفق مما آتاه الله قيل معناه ليبع أحد ثوبيه وقيل معناه
فليستقرض بجاهه فذلك قد آتاه الله وقال بعضهم لله تعالى عباد ينفقون على
قدر بضائعهم ولله عباد ينفقون على قدر حسن الظن بالله تعالى ومات بعضهم
فأوصى بماله لثلاث طوائف الأقوياء والأسخياء والأغنياء فقيل من هؤلاء فقال أما
الأقوياء فهم أهل التوكل على الله تعالى وأما الأسخياء فهم أهل حسن الظن بالله تعالى
وأما الأغنيا فإذا امها وجدت هذه الشرائط فيه وفي المال
وفي المعطي إنما المعطي واسطة قد سخر للعطاء وهو مضطر إليه بما سلط الله عليه
من الدواعي والإرادات والاعتقادات وقد قيل إن شقيقا دعاه بعض
الناس في خمسين من أصحابه فوضع الرجل مائدة حسنة فلما قعد قال لأصحابه إن
هذا الرجل يقول من لم ير أني صنعت هذا الطعام وقدمته فطعامي عليه حرام
فقاموا كلهم فخرجوا إلا شاب كان دونهم في الدرجة فقال صاحب المنزل لشقيق ما قصدت
بهذا قال أردت أن أختبر توحيد أصحابي كلهم وقال موسى يا رب جعلت
رزقي هكذا على أيدي بني إسرائيل يغديني هذا يوما ويعشيني هذا ليلة فأوحى
الله إليه هكذا أصنع بأوليائي أجري أرزاقهم على أيدي البطالين من عبادي
ليؤجروا فيهم فلا ينبغي أن يرى المعطي إلا من حيث إنه مسخر مأجور

القرض

مطلب شقيق البلخي

بيان تحريم السؤال من غير ضرورة

بيان تحريم السؤال من غير ضرورة

وآداب الفقير المضطر إليه فيه

اعلم أنه قد وردت مناه كثيرة في السؤال وتشديدات وورد فيه
أيضاً ما يدل على الرخصة إذ قال صلى الله عليه وسلم للسائل حق وإن جاء على فرس
وفي الحديث ردوا السائل ولو بظلف محرق ولو كان السؤال حراماً لما جاز إعانة المتعدي
على عدوانه والإعطاء إعانة فالكاشف للغطاء فيه أن السؤال حرام في الأصل وإنما
يباح بضرورة أو حاجة مهمة قريبة من الضرورة فإن كان عنه بد فهو حرام وإنما
قلنا إن الأصل فيه التحريم لأنه لا ينفك عن ثلاثة أمور محرمة الأول
إظهار الشكوى من الله تعالى إذ السؤال إظهار للفقر وذكر لقصور نعمة الله عنه
وهو عين الشكوى وكما أن العبد المملوك لو سأل لكان سؤاله تشنيعاً على سيده
فكذلك سؤال العباد تشنيع على الله تعالى وهذا ينبغي أن يحرم ولا يحل إلا بضرورة
كما لا تحل الميتة والثاني أن فيه إذلال السائل نفسه لغير الله تعالى وليس
للمسلم أن يذل نفسه بل عليه أن يذل نفسه لمولاه فإن فيه عزه فأما سائر الخلق
فإنهم عباد أمثاله فلا ينبغي أن يذل لهم إلا بضرورة وفي السؤال ذل للسائل
بالإضافة إلى المسؤول والثالث أنه لا ينفك عن إيذاء المسؤول غالباً لأنه
ربما لا تسمح نفسه بالبذل عن طيبة نفس فإن بذل حياء من السائل أو رياء فهو حرام
على الآخذ وإن منع ربما استحيا وتأذى في نفسه بالمنع إذ يرى نفسه في صورة
البخلاء ففي البذل نقصان ماله وفي المنع نقصان جاهه وكلاهما مؤذيان والسائل
هو السبب في الإيذاء والإيذاء حرام إلا بضرورة ومهما فهمت هذه المحذورات الثلاث
فهمت قوله صلى الله عليه وسلم المسألة من الفواحش ما أحل الله من الفواحش
غيرها فانظر كيف سماها فاحشة ولا يخفى أن الفاحشة إنما تباح بضرورة كما يباح
شرب الخمر لمن غص بلقمة وهو لا يجد غيرها وقال صلى الله عليه وسلم من سأل

عن غنى فإنما يستكثر من جمر جهنم ومن سأل وله ما يغنيه جا يوم القيامة ووجهه
عظم يتقعقع ليس عليه لحم وفي حديث آخر كانت مسألته خدوشا او كدوحا
في وجهه وهذه الفاظ صريحة في التحريم والتشديد وبايع رسول الله صلى الله عليه
وسلم قوما على الإسلام فاشترط عليهم السمع والطاعة ثم قال كلمة خفيفة ولا تسألوا
الناس شيئا وكان يأمرهم بالتعفف عن السؤال ويقول من سألنا أعطيناه ومن
استغنى أغناه الله وقال ومن لم يسألنا فهو أحب إلينا وقال استغنوا عن السؤال
وما قل من السؤال فهو خير قالوا ومنك يا رسول الله قال ومني وسمع عمر رضي الله عنه
رجلا يسأل بعد المغرب فقال لواحد من قومه عش الرجل فعشاه ثم سمعه ثانيا
يسأل فقال ألم أقل لك عش الرجل فقال قد عشيته فنظر عمر رضي الله عنه
فإذا تحت يده مخلاة مملوءة خبزا فقال لست سائلا ولكنك تاجر ثم أخذ المخلاة فنثرها
بين يدي ابل الصدقة وضربه بالدرة وقال لا تعد فلولا ان سؤاله كان حراما لما ضربه
ولا أخذ مخلاته ولعل الفقيه الضعيف المنة الضيق الحوصلة يستبعد هذا من فعل
عمر ويقول أما ضربه فهو تأديب وقد ورد الشرع بالتعزير وأما أخذ ماله فهو مصادرة
والشرع لم يرد بالعقوبة في المال فكيف استجازه وهذا استبعاد مصدره القصور
في الفقه فأين يظهر الفقهاء كلهم في حوصلة عمر ابن الخطاب رضي الله عنه واطلاعه على
أسرار دين الله تعالى ومصالح عباده أفترى أنه لم يعلم أن المصادرة بالمال غير جائز
أو علم ذلك ولكنه أقدم عليه غضبا في معصية الله تعالى وحاشاه أو أراد الزجر
بالمصلحة بغير طريقة شرع نبي الله صلى الله عليه وسلم وهيهات فإن ذلك أيضا
معصية بل الفقه الذي لاح له أنه رآه مستغنيا عن السؤال وعلم أنه من أعطاه
قطعة فإنما أعطاه على اعتقاده أنه محتاج وقد يكون كاذبا فلم يدخل في ملكه
بأخذها مع التلبيس وعسر تمييز القطع وردها فلم يعرف أصحابها بأعيانهم فبقي
مالا لا مالك له فوجب صرفه إلى المصالح ويتنزل أخذ السائل مع اظهار الحاجة
كاذبا كأخذ العلوي بقوله إني علوي وهو كاذب فإنه لا يملك ما يأخذه وكأخذ
الصوفي والصالح الذي يعطى لصلاحه وهو في الباطن مقارف معصية لو عرفها
المعطي لما أعطاه وقد ذكرنا في مواضع انما أخذوه لا يملكونه وهو حرام عليهم
ويجب عليهم الرد على المالك فاستدل بفعل عمر رضي الله عنه على صحة هذا المعنى

موضوع السؤال

مصرف الصوفة

المعنى الذي يتغفل عنه كثير من الفقها وقد اوردناه في مواضع فلا تشتغل بتغفلك عن
هذا الفقه على ابطال فعل عمر رضي الله عنه فاذا عرفت السوال يباح لضرورة فاعلم
ان الشي اما ان يكون مضطرا اليه او محتاجا اليه حاجة مهمة او حاجة خفيفة
او مستغنيا عنه فهذه اربعة احوال اما المضطر اليه فهو سوال الجايع عند خوفه على
نفسه موتا او مرضا او سوال العاري وبدنه مكشوف ليس معه ما يواريه وهو
مباح مهما وجد بقية الشروط في المسوول بكون مباحا به والمسوول عنه بكونه راضيا
في الباطن والسايل بكونه عاجزا عن الكسب فان القادر على الكسب وهو بطال
ليس له السوال الا اذا استغرق طلب العلم اوقاته وكل من له خط فهو قادر على الكسب
بالوراقة فسواله حرام قطعا وهذا نظر يتفاوت واضحان واما المستغني عنه
فهو الذي يطلب شيا وعنده مثله او مثاله فسواله حرام قطعا واما المحتاج
حاجة مهمة فكالمريض الذي يحتاج الى دوا ليس يظهر خوفه لو لم يستعمله ولكنه
لا يخلو عن خوف وكمن له جبة ولا قميص تحتها في الشتاء وهو يتاذى بالبرد تاذيا
لا ينتهي الى حد الضرورة وكذا من يسال لاجل الكرا وهو قادر على المشي بمشقة
فهذا ينبغي ايضا ان ترسل عليه الاباحة لانها ايضا حاجة محققة ولكن الصبر
عليه اولى وهو بترك السوال تارك للاولى ولا يسمى سواله مكروها مهما
صدق في السوال وقال ليس تحت جبتي قميص والبرد يوذيني فاذا صدق
وصدقه يكون كفارة سواله ان شاء الله تعالى واما الحاجة الخفيفة فمثل سوال
قميصا ليلبسه فوق ثيابه عند خروجه فيستر به الخروق في ثيابه عن
اعين الناس وكمن سال لاجل الادم وهو واجد الخبز وكمن سال الكرا لفرس في
الطريق وهو واجد كرا الحمار او يسال كرا المحمل وهو قادر على الراحلة فهذا ان
كان فيه تلبيس حال باظهار حاجة غير هذه فهو حرام وان لم يكن وكان فيه شي من
المحذورات الثلاث من الشكوى والذل وايذا المسوول فهو حرام لان مثل هذه
الحاجة لا تصلح ان يباح بها هذه المحظورات وان لم يكن فيه شي من ذلك فهو
مباح مع الكراهية **فان قلت** فكيف يمكن اخلا السوال عن هذه المحذورات
فاعلم ان الشكوى تندفع بان يظهر الشكر لله والاستغنا عن الخلق ولا يسال
سوال المحتاج لكن يقول انا مستغن بما املكه ولكن تطالبني رعونة النفس بثوب
فوق ثيابي وهذه فضلة على الحاجة وفضول من النفس فيخرج به من حد الشكوى

احوال السائلين عجائب

السائل اذا قدر على الكسب

وأما البذل فإن سأل أباه أو قريبه أو صديقه الذي يعلم أنه لا ينقصه ذلك
في عينه ولا يزدريه بسبب سؤاله أو الرجل السخي الذي قد أعد ماله لمثل هذه المكارم
فيفرح بوجود مثله ويتقلد منه منة بقبوله فيسقط عنه الذل بذلك فإن الذل
لازم للمنة لا محالة وأما الإيذاء فسبيل الخلاص منه أن لا يعين شخصا بالسؤال بل يلقي
الكلام عرضا بحيث لا يقدم على البذل إلا متبرع بصدق الرغبة فإن كان في القوم شخص
مرموق لو لم يبذل لكان يلام فهو إيذاء فإنه ربما يبذل كرها خوفا من الملامة ويكون
الأحب إليه في الباطن الخلاص له إن قدر عليه من غير ملامة فأما إذا كان يسأل
معينا فينبغي أن لا يصرح بل يعرض تعريضا يبقى له سبيل التغافل إن أراد فإذا لم
يتغافل مع القدرة عليه فذلك لرغبته فإنه غير متأذ به وينبغي أن يسأل من لا يستحيي
منه لو رده أو تغافل عنه فإن الحياء من السائل يؤذي كما أن الرياء مع غير السائل يؤذي

فإن قلت فإذا أخذ مع العلم بأن باعث المعطي هو الحياء منه أو من الحاضرين
ولولاه لما ابتدأه به فهو حلال أو شبهة فأقول ذلك حرام محض لا خلاف فيه
بين الأمة وحكمه حكم أخذ مال الغير بالضرب والمصادرة ونكاية القلوب أشد من
نكاية الظاهر ولا فرق بين أن يضرب ظاهر جسمه بسياط الخشب أو باطنه بسياط الحياء
أو الملام وسياط الباطن أشد نكاية في قلوب العقلاء ولا يجوز أن يقال هو في الظاهر
قد رضي به وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم نحن نحكم بالظاهر والله
يتولى السرائر فإن هذه ضرورة القضاة في فصل الخصومات إذ لا يمكن ردهم للبواطن
وقرائن الأحوال فاضطروا إلى الحكم بظاهر اللسان مع أنه ترجمان كثير الكذب ولكن
الضرورة دعت إليه وهذا سؤال عما بين العبد وبين الله تعالى والحاكم فيه أحكم الحاكمين
والقلوب عنده كالألسنة عند سائر الحكام فلا تنظر في مثل هذا إلا إلى قلبك
وإن أفتوك وأفتوك وأفتوك فإن المفتي معلم القاضي والسلطان ليحكموا
في عالم الشهادة ومفتو القلوب هم علماء الآخرة وبفتواهم النجاة من سطوة
سلطان الآخرة كما أن بفتوى الفقيه النجاة من سطوة سلطان الدنيا فإذا أخذ ما أخذه
على الكراهة لا يملكه بينه وبين الله تعالى ويجب عليه الرد على صاحبه فإن كان يستحيي
من أن يرده فعليه أن يثيب عليه بما يساوي قيمته في معرض الهدية والمقابلة
لتنقضي عهدته فإن لم يقبل هديته فعليه أن يرد ذلك إليه أو ورثته فإن تلف في يده
فهو مضمون عليه بينه وبين الله تعالى وهو عاص بالتصرف فيه وبالسؤال الذي حصل به

مطلب اللازم في حق السؤال

مفتي عالم الشهادة

مفتي القلوب

بهذا الاذى فان قلت فهذا امر باطن يعسر الاطلاع عليه فكيف السبيل
فربما يظن السايل انه راض ولا يكون هو في الباطن راضيا فاقول لهذا ترك المتقون
السؤال راسا فما كانوا ياخذون من احد شيئا اصلا فكان بشر لا ياخذ من احد اصلا
الا من السري لانه علم انه يفرح بخروج المال من يده فكان يعينه على ما يحبه وانما عظم
النكير في السؤال وتاكد الامر بالتعفف لهذا لان هذا الاذى انما يحصل بضرورة
وهو ان يكون مشرفا على الهلاك لم يترك له سبيل الى الخلاص ولم يجد من يعطيه من
غير كراهة من غير سؤال ولا اذى فيباح له ذلك كما يباح له لحم الخنزير واكل الميتة
فكان الامتناع طريق الورعين ومن ارباب القلوب من كان واثقا ببصيرته في الاطلاع
على قراين الاحوال فكانوا ياخذون بعض الناس دون البعض ومنهم من كان لا ياخذ الا
من اصدقايه ومنهم من كان ياخذ مما يعطى بعضا ويرد بعضا كما فعل رسول الله صلى
الله عليه وسلم في الكبش والسمن والاقط وكان هذا فيما ياتيهم من غير سؤال
فان ذلك لا يكون الا عن رغبة ولكن قد تكون رغبته طمعا في جاه او طلبا لريا او
سمعة فيحترزون من ذلك واما السؤال فقد منعوا منه راسا الا في موطنين احدهما
الضرورة فقد سال ثلاثة من الانبيا عليهم السلام في مقام الضرورة سليمن
وموسى والخضر صلوات الله وسلامه عليهم ولا شك انهم ما سالوا الا من علموا
انه يرغب بينهم والثاني السؤال من الاصدقا والاخوان وفي حق الاخوان انهم كانوا
ياخذون مالهم بغير سؤال واستيذان لان ارباب القلوب علموا ان المطلوب رضى
القلب لا نطق اللسان وقد كانوا وثقوا باخوانهم انهم كانوا يفرحون بمباسطتهم
فاذا كانوا يسالون الاخوان عند شكهم في اقتدار اخوانهم على ما يريدونه والا
فكانوا يستغنون عن السؤال ووجه اباحة السؤال ان يعلم ان المسؤل
بصفة لو علم ما بك من الحاجة لابتداك قبل السؤال فلا يكون لسؤالك تاثير
الا في تعريف حاجتك واما في تحريكه بالحياء واثارة داعيته بالحيا فلا ويتصدى
السايل حال لا يشك فيها في الرضى الباطن وحال لا يشك في الكراهة ويعلم ذلك
بقرينة الاحوال والاخذ بالحالة الاولى حلال مطلق وفي الثانية حرام سحت
ويتردد بين الحالين احوال يشك فيها فليستفت قلبه وليترك حواز القلب فانه
الاثم وليدع ما يريبه الى ما لا يريبه وادراك ذلك بقراين الاحوال سهل على من
قويت فطنته وضعف حرصه وشهوته فان قوي الحرص وضعفت الفطنة تراى له ما

مطلب

يوافق غرضه فلا يتفطن للقرائن الدالة على الكراهة وبهذه الدقائق يطلع على سر قوله صلى الله عليه وسلم ان اطيب ما ياكل الرجل من كسبه وقد اوتي والله جوامع الكلم لان من لا كسب له ولا كسب لابيه ورثه فيأكل من ايدي الناس فان اعطي بغير سؤال فانما يعطى بدينه ومتى يكون باطنه بحيث لو انكشف لاعطي بدينه فيكون ما يأخذه حراما ٥ وان اعطي بالسؤال فاين من تطيب نفسه بالعطا اذا سئل واين من يقتصر في السؤال على حد الضرورة فاذا فتشت احوال من يأكل من ايدي الناس علمت ان جميع ما يأكلونه او اكثره سحت وان الطيب هو الذي اكتسبته انت او مورثك فاذا بعيد ان يجمع الورع مع الاكل من ايدي الناس فنسأل الله تعالى ان يقطع طمعنا عن غيره وان يغنينا بحلاله عن حرامه بمنه وسعة جوده آمين ٥

بيان مقدار الغنى المحرم للسؤال ٥

اعلم ان قوله صلى الله عليه وسلم من سأل من غنى فانما يستكثر من جمر جهنم صريح في التحريم ولكن حد الغنى مشكل وتقديره عسير ٥ وليس الينا وضع المقادير بل يستدرك ذلك بالتوقيف وقد ورد في الحديث استغنوا بغنى الله تعالى عن غيره قالوا وما هو قال غدا يوم او عشا ليلة ٥ وفي حديث آخر من سأل وله خمسون درهما او عدلها من الذهب فقد سأل الحافا وورد في لفظ آخر اربعون ومهما اختلفت التقديرات وصحت الاخبار فينبغي ان يقطع بورودها على احوال مختلفة فان الحق في نفسه لا يكون الا واحدا والتقدير ممتنع وغاية الممكن فيه تقريب ولا يتم ذلك الا بتقسيم محيط باحوال المحتاجين فنقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا حق لابن آدم الا في ثلاثة طعام يقيم به صلبه وثوب يواري به عورته وبيت يكنه فما زاد فهو حساب فلنجعل لهذه الثلاثة اصلا في الحاجات لبيان اجناسها والنظر في الاجناس والاقدار والاوقات فاما الاجناس فهي هذه الثلاثة ويلحق بها ما في معناها حتى يلحق بها الكرا للمسافر اذا كان لا يقدر على المشي وكذلك ما يجري مجراه من المهمات ويلحق بنفسه عياله وولده وكل من يجب عليه كفالته واما الاقدار فالثوب يراعى فيه ما يليق بذوي الدين وهو ثوب واحد قميص ومنديل ٥

بيان مقدار الغنى المحرم للسؤال

مطلب

ومنديل وسراويل ومداس وأما الباقي من كل جنس فهو مستغنى عنه ولنقس على هذا
أمتعة البيت ولا ينبغي أن يطلب رفيع الثياب وكون الأواني من النحاس والصفر فيما
يكفي فيه الخزف فإن ذلك مستغنى عنه فيقتصر من العدد على واحد ومن النوع على أخس أجناسه
ما لم يكن في غاية البعد عن العادة وأما الطعام فقدره في اليوم مد وهو ما قدره
الشرع ونوعه ما يقتات ولو كان الشعير والأدم على الدوام فضلة وقطعه بالكلية
إضرار ففي طلبه بعض الأوقات رخصة وأما المسكن فأقله ما يجزئ من حيث المقدار
وذلك من غير زينة فأما السؤال للزينة والتوسع فهو سؤال عن ظهر غنى وأما بالإضافة
إلى الأوقات فما يحتاج إليه في الحال من طعام يوم وليلة وثوب يلبسه ومأوى يكنه
فلا شك فيه فأما سؤاله للمستقبل فهذا له ثلاث درجات إحداها ما يحتاج
إليه في غد والثانية ما يحتاج إليه أربعين يوما أو خمسين يوما والثالثة ما يحتاج
إليه في السنة ولنقطع بأن من معه ما يكفيه له ولعياله إن كان له عيال لسنة
فسؤاله حرام فإن ذلك غاية الغنى وعليه تنزل التقدير بخمسين درهما في الحديث
فإن خمسة دنانير تكفي المنفرد في السنة إذا اقتصد أما المعيل فربما لا يكفيه ذلك
وإن كان يحتاج إليه قبل السنة فإن كان قادرا على السؤال ولا يفوته فرصته فلا يحل
له السؤال لأنه مستغن في الحال وربما لا يعيش إلى الغد فيكون قد سأل ما لا
يحتاج إليه فيكفيه غداء يوم وعشاء ليلة وعليه ينزل الخبر الذي ورد في التقدير
بهذا وإن كان يفوته فرصة السؤال ولا يجد من يعطيه لو أخر فيباح له السؤال
لأن أمل البقاء سنة غير بعيد فهو بتأخير السؤال خائف أن يبقى مضطرا عاجزا عن
يعينه فإن كان خوف العجز عن السؤال في المستقبل ضعيفا وكان ما لأجله السؤال
خارجا عن محل الضرورة لم يخل سؤاله عن كراهية ويكون كراهته بحسب درجات
ضعف الاضطرار وخوف الفوت وتراخي المدة التي يحتاج إلى السؤال فيها وكل ذلك لا يقبل
الضبط وهو منوط باجتهاد العبد ونظره لنفسه بينه وبين الله عز وجل فيستفتي
فيه قلبه ويجانبه إن كان سالكا طريق الآخرة وكلما كان يقينه أقوى وثقته
أقوى بمجيء الرزق في المستقبل أتم وقناعته بقوت الوقت أظهر فدرجته عند الله أعلى
فلا يكون خوف الاستقبال وقد آتاك الله قوت يومك لك ولعيالك إلا من ضعف اليقين
والإصغاء إلى تخويف الشيطان وقد قال الله تعالى ولا تخافوهم وخافوني إن
كنتم مؤمنين وقال تعالى الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء والله

احوال السائلين

يجد كم مغفرة منه وفضلا . والسؤال من الحشا الذي ابيح بالضرورة وحال من يسأل
لحاجة متراخية عن يومه وان كان مما لا يحتاج اليه في السنة اشد من حال من ملك
مالا موروثا وادخره لحاجة وراء السنة وكلاهما مباحان في الفتوى الظاهر ولكنهما
صادران عن حب الدنيا وطول الامل وعدم الثقة بفضل الله وهذه الخصلة من امهات
المهلكات

بيان احوال السائلين

كان بشر يقول الفقراء ثلاثة فقير لا يسأل وان اعطي لم يأخذ فهذا
مع الروحانيين في عليين . وفقير لا يسأل وان اعطي اخذ فهذا من المقربين في جنات
الفردوس . وفقير يسأل عن الفاقة فهذا مع الصادقين . من اصحاب اليمين فاذن قد اتفق
كلهم على ذم السؤال وعلى انه مع الفاقة يحط المرتبة والدرجة وقال ابراهيم ابن ادهم
لشقيق ابن ابراهيم حين قدم عليه من خراسان كيف تركت الفقرا من اصحابك قال تركتهم ان
اعطوا شكروا وان منعوا صبروا وظن انه لما وصفهم بترك السؤال فقد اثنى عليهم غاية
الثنا فقال ابراهيم هكذا تركت كلاب بلخ عندنا فقال له شقيق كيف الفقرا عندك يا ابا
اسحق فقال الفقرا عندنا ان منعوا شكروا وان اعطوا آثروا فقبل راسه وقال صدقت
يا استاذ . فاذن درجات ارباب الاحوال في الرضى والصبر والشكر والسؤال كثيرة ولا
بد لسالك طريق الاخرة من معرفتها ومعرفة انقسامها واختلاف درجاتها فانه اذا لم
يعلم لم يقدر على الرقي من حضيضها الى يفاعها ومن اسفل السافلين الى اعلا عليين ومن لا
يميز بين السفل والعلو لا يقدر على الرقي قطعا وانما الشك فيمن عرف ذلك فانه ربما
لا يقدر عليه وارباب الاحوال قد يغلب عليهم حالة تقتضي ان يكون السؤال مزيدا لهم في درجاتهم
ولكن بالاضافة الى حالهم فان مثل هذه الاعمال بالنيات وذلك كما روي ان بعضهم
راى ابا الحسن النوري رحمه الله يمد يده ويسأل الناس في بعض المواطن قال فاستعظمت
ذلك واستقبحته له فاتيت الجنيد رحمه الله فاخبرته فقال لا يعظم هذا عليك فان
النوري لم يسأل الناس الا ليعطيهم انما سال لهم ليثيبهم في الاخرة فيوجرون من
حيث لا يضرهم . وكانه اشار به الى قوله صلى الله عليه وسلم يد المعطي هي
العليا فقال بعضهم هي يد الاخذ لانه يعطي الثواب والقدر له لا لما ياخذه ثم قال
قال الجنيد هات الميزان فوزن مائة درهم ثم قبض قبضة والقاها على المائة ثم قال احملها
اليه فقلت في نفسي انما يوزن الشي ليعرف مقداره فكيف خلط مجهولا وهو رجل حكيم

احوال السائلين في الاخرة

بيان احوال السائلين

حكيم واستحييت أن أسأله قد هيئت بالصرة إلى النوري فقال هات الميزان
فوزن مائة وقال له ردها عليه وقل له أنا لا آخذ منك شيئا وأخذ ما زاد على المائة
قال فزاد تعجبي فقال الجنيد رجل حكيم يريد أن يأخذ الحبل بطرفيه وزن المائة لنفسه
طلبا لثواب الآخرة وطرح عليها قبضة بلا وزن لله عز وجل فأخذت ما كان لله تبارك
وتعالى ورددت ما جعله لنفسه قال فرددتها إلى الجنيد فبكى وقال أخذ ماله
ورد مالنا الله المستعان فانظر الآن كيف صفت قلوبهم وأحوالهم وكيف ۵
خلصت لله تعالى أعمالهم حتى كان يشاهد كل واحد قلب صاحبه من غير مناطقة
باللسان ولكن بتشاهد القلوب وتناجي الأسرار وذلك نتيجة أكل الحلال
وخلو القلب عن حب الدنيا والإقبال على الله تعالى بكنه الهمة فمن أنكر ذلك قبل تجربة
طريقه فهو جاهل كمن ينكر كون الدواء مسهلا قبل شربه ومن أنكره بعد أن طال
اجتهاده حتى بذل كنه مجهوده ولم يصل وأنكر ذلك لغيره كمن شرب المسهل ولم يؤثر
في حقه خاصة لعلة في باطنه فأخذ ينكر كون الدواء مسهلا وهذا وإن كان في الجهل
دون الأول ولكنه ليس خاليا عن حظ وافر من الجهل بل البصير أحد رجلين إما رجل
سلك الطريق فظهر له مثل ما ظهر لهم فهو صاحب الذوق والمعرفة وقد وصل إلى
عين اليقين ۵ وأما رجل لم يسلك الطريق أو سلك ولم يصل ولكنه آمن بذلك وصدق
به فهذا صاحب علم اليقين وإن لم يكن واصلا إلى علم اليقين ولعلم اليقين
أيضا رتبة وإن كان دون عين اليقين ومن خلا عن علم اليقين وعين اليقين فهو
خارج عن زمرة المؤمنين ويحشر يوم القيامة في زمرة الجاحدين المستكبرين
الذين هم قتيلي العقول الضعيفة وأتباع الشياطين فنسأل الله عز وجل أن
يجعلنا من الراسخين في العلم القائلين آمنا به كل من عند ربنا وما يذكر إلا أولوا
الألباب ۵

الشطر الثاني من الكتاب في الزهد ۵

وفيه بيان حقيقة الزهد • وبيان فضيلة الزهد • وبيان درجات الزهد
وأقسامه • وبيان تفصيل الزهد في المطعم والملبس والمسكن • والأثاث وضروريات
المعيشات وبيان علامة الزهد ۵

بيان حقيقة الزهد

الزهد

اعلم ان الزهد في الدنيا مقام شريف من مقامات السالكين
وينتظم هذا المقام من علم وحال وعمل كسائر المقامات لان ابواب الايمان كلها
كما قال السلف ترجع الى عقد وقول وعمل وكان القول لظهوره اقيم مقام الحال اذ به يظهر
الحال الباطن والا فليس القول مرادا لعينه وان لم يكن صادرا عن حال سمي اسلاما
ولم يسم ايمانا والعلم هو السبب في الحال يجري مجرى المثمر والعمل يجري من الحال
مجرى الثمرة فلنذكر الحال مع كلا طرفيه من العلم والعمل اما الحال فنعني بها ما يسمى
زهدا وهو عبارة عن انصراف الرغبة عن الشيء الى ما هو خير منه فكل من عدل عن شيء
الى غيره بمعاوضة وبيع وغيره فانما عدل عنه برغبته عنه وانما عدل الى غيره لرغبته
في غيره فحاله بالاضافة الى المعدول عنه يسمى زهدا وبالاضافة الى المعدول اليه
يسمى رغبة وحبا فاذن يستدعي حال الزهد مرغوبا عنه ومرغوبا فيه هو خير من
المرغوب عنه وشرط المرغوب عنه ان يكون ايضا مرغوبا فيه بوجه من الوجوه فمن رغب
عما ليس مطلوبا في نفسه لا يسمى زاهدا اذ تارك التراب والحجر وما اشبهه لا يسمى زاهدا
وانما يسمى زاهدا من ترك الدراهم والدنانير لان التراب والحجر ليسا في مظنة
الرغبة وشرط المرغوب فيه ان يكون عنده خيرا من المرغوب عنه حتى تغلب هذه الرغبة
فالبائع لا يقدم على البيع الا والمشترى عنده خير من المبيع فيكون حاله بالاضافة الى
المبيع زهدا فيه وبالاضافة الى العوض عنه رغبة وحبا ولذلك قال الله تعالى
وشروه بثمن بخس دراهم معدودة وكانوا فيه من الزاهدين معناه باعوه
ووصف اخوة يوسف بالزهد فيه اذ طمعوا في ان يخلو لهم وجه ابيهم فكان ذلك عندهم
احب من يوسف عليه السلام فباعوه طمعا في العوض فاذن كل من باع الدنيا بالآخرة
فهو زاهد في الدنيا وكل من باع الآخرة بالدنيا فهو ايضا زاهد ولكن في الآخرة
ولكن العادة جارية بتخصيص اسم الزهد في الدنيا كما خصص اسم الالحاد بالميل
الى الباطل خاصة وان كان هو الميل في وضع اللسان ولما كان الزهد رغبة عن محبوب
بالجملة لم يتصور الا بالعدول الى شيء هو احب منه والا فترك المحبوب بغير الاحب محال
والذي يرغب عن كل ما سوى الله تعالى حتى الفراديس ولا يحب الا الله فهو الزاهد
المطلق والذي يرغب عن كل حظ ينال في الدنيا ولم يزهد في مثل تلك الحظوظ
في الآخرة بل طمع في الحور والقصور والانهار والفواكه فهو ايضا زاهد ولكنه دون
الاول والذي يترك من حظوظ الدنيا البعض دون البعض كالذي يترك المال دون

دون الجاه او يترك التوسع في الاكل ولا يترك التجمل في الزينة فلا يستحق اسم الزاهد
مطلقاً ودرجته في الزهد درجة من يتوب عن المعاصي في التائبين وهو زهد
صحيح كما ان التوبة عن بعض المعاصي صحيحة فان التوبة عبارة عن ترك المحظورات
والزهد عبارة عن ترك المباحات التي هي حظ النفس ولا يبعد ان يقدر على ترك
بعض المباحات دون بعض كما لا يبعد ذلك في المحظورات والمقتصر على ترك المحظورات
لا يسمى زاهداً وان كان قد زهد في المحظور وانصرف عنه ولكن العادة
تخصيص هذا الاسم بترك المباحات فاذن الزهد عبارة عن رغبة عن الدنيا
عدولاً الى الآخرة وعن غير الله تعالى عدولاً الى الله تعالى وهي الدرجة العليا وكما
يشترط في المرغوب فيه ان يكون خيراً عنده فيشترط في المرغوب عنه ان يكون مقدوراً
عليه فان ترك ما لا يقدر عليه محال وبالترك يتبين زوال الرغبة ولذلك
قيل لابن المبارك يا زاهد فقال الزاهد عمر بن عبد العزيز اذ جاءته الدنيا
راغمة فتركها اما انا ففيما زهدت واما العلم الذي هو مثمر لهذه
الحال فهو العلم بكون المتروك حقيراً بالاضافة الى المأخوذ كعلم التاجر بان العوض
خير من المبيع فيرغب فيه وما لم يتحقق هذا العلم لا يتصور ان تزول الرغبة عن المبيع
فكذلك من عرف ان ما عند الله باق وان الآخرة خير وابقى اي لذاتها خير
في انفسها وابقى كما تكون الجواهر خير من الثلج مثلاً وهي ابقى كما تكون الجواهر ابقى من
الثلج ولا يعسر على مالك الثلج بيعه بالجواهر واللآلي فهكذا مثال الدنيا والآخرة
فالدنيا كالثلج الموضوع في الشمس لا يزال في الذوبان الى الانقراض والآخرة
كالجواهر الذي لا فناء له فبقدر قوة اليقين والمعرفة بالتفاوت بين الدنيا
والآخرة يقوي الرغبة في البيع والمعاملة حتى ان من قوي يقينه يبيع نفسه
وماله كما قال الله تعالى ان الله اشترى من المؤمنين انفسهم واموالهم بان
لهم الجنة ثم بين ان صفقتهم رابحة فقال فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم
به فليس يحتاج من العلم في الزهد الا الى هذا القدر وهو ان الآخرة خير وابقى
وقد يعلم ذلك من لا يقدر على ترك الدنيا اما لضعف علمه ويقينه واما
لاستيلاء الشهوة في الحال عليه وكونه مقهوراً في يد الشيطان واما لاغتراره
بمواعيد الشيطان في التسويف يوماً بعد يوم الى ان يختطفه الموت ولا
يبقى معه الا الحسرة بعد الفوت والى تعريف خساسة الدنيا

مطلب

مطلب

مثال الدنيا والآخرة

آية ان الله اشترى الآية

الاشارة بقوله تعالى وقال الذين اوتوا العلم ويلكم ثواب الله خير لمن
فنبه على ان العلم بنفاسة الجوهر هو الرغوب عن عوضه ولما لم يتصور الزهد
الا بمعاوضة ورغبة عن محبوب في احب منه قال رجل في دعائه اللهم ارني الدنيا
كما تراها فقال له النبي صلى الله عليه وسلم لا تقل هكذا ولكن قل ارني الدنيا
كما اريتها الصالحين من عبادك وهذا لان الله تعالى يراها حقيرة كما هي وكل مخلوق
فهو بالاضافة الى جلاله حقير والعبد يراها حقيرة في نفسه بالاضافة الى ما
هو خير له ولا يتصور ان يرى بايع الفرس وان رغب عنه فرسه كما يرى حشرات الارض
مثلا لانه مستغن عن الحشرات وليس مستغنيا عن الفرس والله تعالى غني بذاته عن
كل ما سواه فيرى الكل في درجة واحدة بالاضافة الى جلاله ويراه متفاوتا بالاضافة
الى غيره والزاهد هو الذي يرى تفاوته بالاضافة الى نفسه لا الى غيره واما
العمل الصادر عن حال الزهد فانه ترك واحد لانه بيع ومعاملة واستبدال
للذي هو خير بالذي هو ادنى فكما ان العمل الصادر من عقد البيع هو ترك المبيع
واخراجه من اليد واخذ العوض فكذلك الزهد يوجب ترك المزهود فيه بالكلية
وهي الدنيا باسرها مع اسبابها ومقدماتها وعلائقها فيخرج من القلب حبها ويدخل
حب الطاعات ويخرج من اليد والعين ما اخرجه من القلب ويوظف على اليد والعين
وسائر الجوارح وظائف الطاعات والا كان كمن سلم المبيع ولم ياخذ الثمن فاذا وفى
بشرط الجانبين في الاخذ والترك فليستبشر ببيعه الذي بايع به فان الذي
بايعه بهذا البيع وفى بالعهد فمن اسلم حاضرا في غائب وسلم الحاضر واخذ يسعى
في طلب الغائب سلم له الغائب حين فراغه من سعيه وان العاقد ممن يوثق بصدقه
وقدرته ووفائه بالعهد وما دام ممسكا للدنيا لا يصح زهده اصلا ولذلك لم
يصف الله تعالى اخوة يوسف بالزهد في ابن يامين وان كانوا قد قالوا ليوسف
واخوه احب الى ابينا منا وعزموا على ابعاده كما عزموا على يوسف حتى شفع فيه
احدهم فترك ولا وصفهم ايضا بالزهد في يوسف عند العزم على اخراجه
بل عند التسليم والبيع فعلامة الرغبة الامساك وعلامة الزهد الاخراج
فان اخرجت عن اليد بعض الدنيا دون البعض فانت زاهد فيما اخرجته فقط
ولست زاهدا مطلقا وان لم يكن لك مال ولم تساعدك الدنيا لم يتصور منك
الزهد لان ما لا يقدر عليه ولا يقدر على تركه وربما يستهويك الشيطان بغروره

مثال الزهد

مطلب

بغروره وتخيل اليك انه وان اتاك فانت زاهد فيه فلا ينبغي ان تتدلى بحبل غروره
دون ان تستظهر بموثق غليظ من الله تعالى فانك اذا لم تجرب حال القدرة
فلا تثق بالقدرة على الترك عندها فكم من ظان بنفسه كراهية المعاصي عند تعذرها
فلما تيسرت له اسبابها من غير مكدر ولا خوف من الخلق وقع فيها واذا كان هذا
غرور النفس في المحظورات فاياك وان تثق بوعدها في المباحات والموثق الغليظ
ان تجربها مرة بعد مرة في حال القدرة فاذا وفت بما وعدت على الدوام مع
انتفا الصوارف والاعذار ظاهرا وباطنا فلا باس ان تثق بها وثوقا تاما
ولكن تكون من تغيرها على حذر فانها سريعة النقض للعهد قريبة الرجوع الى
مقتضى الطبع وبالجملة فلا امان منها الا عند الترك بالاضافة الى ما ترك فقط
وذلك عند القدرة **قال ابن ابي ليلى لابن شبرمة** الا ترى الى هذا ابن
الحائك لا نفتي في مسألة الا رد علينا يعني ابا حنيفة فقال ابن شبرمة
لا ادري اهو ابن الحائك او ما هو ولكن اعلم ان الدنيا غدت اليه فهرب منها وهربت منا
فطلبناها وكذلك قال جميع المسلمين في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم
انا نحب ربنا ولو علمنا في اي شي محبته لفعلناه حتى نزل قوله تعالى ولو انا كتبنا
عليهم ان اقتلوا انفسكم او اخرجوا من دياركم ما فعلوه الا قليل منهم
قال ابن مسعود رضي الله عنه قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم انت منهم
يعني من القليل قال وما عرفنا ان فينا من يحب الدنيا حتى نزل قوله تعالى منكم
من يريد الدنيا ومنكم من يريد الاخرة **واعلم انه ليس من الزهد
ترك المال** وبذله على سبيل السخا والفتوة وعلى سبيل استمالة القلوب
ولا على سبيل الطمع فذلك كله من محاسن العادات ولكن لا مدخل لشي منه في
العبادات **وانما الزهد ان تترك الدنيا لعلمك بحقارتها**
بالاضافة الى نفاسة الاخرة فاما كل نوع من الترك فانه يتصور ممن لا يؤمن بالاخرة
فذلك قد يكون مروة وفتوة وسخا وحسن خلق ولا يكون زهدا اذ حسن الذكر
وميل القلوب من الحظوظ العاجلة وهي الذ واهنا من المال وكما ان ترك المال على
سبيل السلم طمعا في العوض ليس من الزهد فكذلك تركه طمعا في الذكر والثنا
والاشتهار بالفتوة والسخا او استثقالا لما في حفظ المال من المشقة والعنا والحاجة
الى التذلل للسلاطين والاغنيا ليس من الزهد اصلا بل هو استعجال حظ اخر

تستظهر

الزهد

للنفس بل الزاهد من أتته الدنيا راغمة عفواً صفواً وهو قادر على التنعم
بها من غير نقصان جاه وقبح اسم ولا فوات حظ فتركها خوفاً من أن يأنس بها فيكون آنس
بغير الله ومحباً لما سوى الله ويكون مشركاً في حب الله غيره أو تركها طمعاً في ثواب الآخرة
فترك التمتع بأشربة الدنيا طمعاً في أشربة الآخرة وترك التمتع بالسرايا والنسوان
طمعاً في الحور العين وترك التفرج في البساتين طمعاً في بساتين الجنة وأشجارها وترك
التزين والتجمل بزينة الدنيا طمعاً في زينة الجنة وترك المطاعم اللذيذة طمعاً في فواكه
الجنة وخوفاً من أن يقال له أذهبتم طيباتكم في حياتكم الدنيا فآثر في جميع
ذلك ما وعد به في الجنة على ما تيسر له في الدنيا عفواً صفواً لعلمه بأن ما في الآخرة
خير وأبقى وما سوى هذا المعاملات دنيوية لا جدوى لها في الآخرة أصلاً

ترك أشربة الدنيا وزوجتها وغيرها

بيان فضيلة الزهد

قال الله تعالى فخرج على قومه في زينته إلى قوله وقال الذين أوتوا
العلم ويلكم ثواب الله خير فنسب الزهد إلى العلماء ووصف أهله بالعلم وهو غاية الثناء
وقال تعالى أولئك يؤتون أجرهم مرتين بما صبروا وجاء في التفسير على
الزهد في الدنيا وقال تعالى إنا جعلنا ما على الأرض زينة لها لنبلوهم أيهم
أحسن عملاً قيل معناه أيهم أزهد فيها فوصف الزهد بأنه من أحسن الأعمال
وقال تعالى من كان يريد حرث الآخرة نزد له في حرثه ومن كان يريد حرث الدنيا
نؤته منها وما له في الآخرة من نصيب وقال تعالى ولا تمدن عينيك إلى
ما متعنا به أزواجاً منهم زهرة الحياة الدنيا لنفتنهم فيه ورزق ربك خير وأبقى
وقال تعالى الذين يستحبون الحياة الدنيا على الآخرة فوصف الكفار بذلك
فمفهومه أن المؤمن هو الذي يتصف بنقيضه وهو أن يستحب الآخرة على الحياة الدنيا
وأما الأخبار فما ورد منها في ذم الدنيا كثير وقد أوردنا بعضها في كتاب ذم الدنيا
من ربع المهلكات إذ حب الدنيا من المهلكات ونحن الآن نقتصر على فضيلة بغض
الدنيا فإنه من المنجيات وهو المعني بالزهد وقد قال صلى الله عليه
وسلم من أصبح وهمه الدنيا شتت الله عليه أمره وفرق عليه ضيعته
وجعل فقره بين عينيه ولم يأته من الدنيا إلا ما كتب له ومن أصبح وهمه

وهمّه الآخرة جمع الله له همّه وحفظ عليه ضيعته وجعل غناه في قلبه واتته الدنيا وهي راغمة ۝ وقال صلى الله عليه وسلم اذا رأيتم العبد وقد اعطي صمتا وزهدا في الدنيا فاقتربوا منه فانه يلقي الحكمة وقد قال تعالى ومن يؤت الحكمة فقد اوتي خيرا كثيرا ولذلك قيل من زهد في الدنيا اربعين يوما اجرى الله تعالى ينابيع الحكمة في قلبه وانطق بها لسانه وعن بعض الصحابة انه قال قلنا يا رسول الله اي الناس خير فقال كل مؤمن مخموم القلب صدوق اللسان قلنا يا رسول الله وما مخموم القلب قال التقي النقي الذي لا غل فيه ولا غش ولا بغي ولا حسد قيل يا رسول الله فمن على اثره قال الذي يشنأ الدنيا ويحب الآخرة ومفهوم هذا ان شر الناس من يحب الدنيا وقال صلى الله عليه وسلم ان اردت ان يحبك الله فازهد في الدنيا فجعل الزهد سببا للمحبة فمن احبه الله فهو في اعلا الدرجات فينبغي ان يكون الزهد في افضل المقامات ومفهومه ايضا ان محب الدنيا متعرض لبغض الله تعالى ۝ وفي خبر آخر من طريق اهل البيت الزهد والورع يجولان في القلوب كل ليلة فان صادفا قلبا فيه الايمان والحياء اقاما فيه والا ارتحلا ولما قال حارثة لرسول الله صلى الله عليه وسلم انا مؤمن حقا فقال وما حقيقة ايمانك قال عزفت نفسي عن الدنيا فاستوى عندي حجرها وذهبها وكأني بالجنة والنار وكأني بعرش ربي بارزا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم عرفت فالزم عبد نور الله الايمان قلبه ۝ فانظر كيف بدأ في اظهار حقيقة الايمان بعزوف النفس عن الدنيا وقرنه باليقين وكيف زكاه رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ قال عبد نور الله قلبه بالايمان ولما سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن معنى الشرح في قوله تعالى فمن يرد الله ان يهديه يشرح صدره للاسلام وقيل له ما هذا الشرح فقال ان النور اذا دخل القلب انشرح له الصدر وانفسح قيل يا رسول الله وهل لذلك من علامة قال نعم التجافي عن دار الغرور والانابة الى دار الخلود والاستعداد للموت قبل نزوله فانظر كيف جعل الزهد شرطا للاسلام وهو التجافي عن دار الغرور وقال صلى الله عليه وسلم استحيوا من الله حق الحياء قالوا انا لنستحيي فقال تبنون ما لا تسكنون وتجمعون ما لا تأكلون فبين ان ذلك يناقض الحياء من الله تعالى ولما قدم عليه بعض الوفود قالوا انا مؤمنون قال وما علامة ايمانكم

محمود القلب

صح الله

آخر الانعام

نور القلب وشرحه وعلامته

الصبر ورضاء القضاء

تذكروا الصبر عند البلاء والشكر عند الرخاء والرضى بمواقع القضاء وترك الشماتة بالمصيبة إذا نزلت بالأعداء فقال عليه السلام ان كنتم كذلك فلا تجمعوا ما لا تأكلون ولا تبنوا ما لا تسكنون ولا تنافسوا في غنة ترحلون فجعل الزهد بجملة لا بالجوهر وقال جابر رضي الله عنه خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال من جاء بلا إله إلا الله لا يخلط معها غيرها وجبت له الجنة فقام إليه علي رضي الله عنه فقال بأبي أنت وأمي يا رسول الله ما لا يخلط بها غيرها صفه لنا وفسره لنا فقال حب الدنيا طلبا لها واتباعا لها وقوم يقولون قول الأنبياء ويعملون أعمال الجبابرة فمن جاء بلا إله إلا الله ليس فيها شيء من هذا وجبت له الجنة وفي الخبر السخاء من اليقين ولا يدخل النار مؤمن والبخل من الشك ولا يدخل الجنة من شك وقال أيضا السخي قريب من الله قريب من الجنة والبخيل بعيد من الله بعيد من الناس قريب من النار والبخل ثمرة الرغبة في الدنيا والسخاء ثمرة الزهد والثناء على الثمرة ثناء على المثمر لا محالة وروى ابن المسيب عن أبي ذر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال من زهد في الدنيا أدخل الله الحكمة قلبه وأنطق بها لسانه وعرفه داء الدنيا ودواءها وأخرجه منها سالما إلى دار السلام وروي أنه صلى الله عليه وسلم مر في أصحابه بعشار من النوق حفل وهي الحوامل وكانت من أحب أموالهم إليهم وأنفسها عندهم لأنها تجمع اللحم والظهر واللبن والوبر ولعظمها في قلوبهم قال الله عز وجل وإذا العشار عطلت قال فأعرض عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم وغض بصره فقيل له يا رسول الله هذه أنفس أموالنا لم لا تنظر إليها قال قد نهاني الله تعالى عن ذلك ثم تلا قوله تعالى ولا تمدن عينيك الآية وروى مسروق عن عائشة رضي الله عنها قالت قلت يا رسول الله ألا تستطعم الله تعالى فيطعمك قالت وبكيت لما رأيت من الجوع فقال يا عائشة والذي نفسي بيده لو سألت ربي أن يجري معي جبال الدنيا ذهبا لأجراها حيث شئت من الأرض ولكني اخترت جوع الدنيا على شبعها وفقر الدنيا على غناها وحزن الدنيا على فرحها يا عائشة ان الدنيا لا تنبغي لمحمد ولا لآل محمد يا عائشة ان الله لم يرض لأولي العزم من الرسل إلا الصبر على مكروه الدنيا والصبر عن محبوبها ثم لم يرض لي إلا أن يكلفني ما كلفهم فقال فاصبر كما صبر أولوا العزم من الرسل والله ما لي بد من طاعته وإني والله لأصبرن كما صبروا وأجهدن ولا قوة إلا بالله وروى عمر رضي الله عنه ٥ انه حين فتح عليه الفتوح قالت له ابنته حفصة رضي الله عنها البس ألين الثياب إذا

ترك الدنيا والصبر لفقدها

اذا قدمت عليه الوفود من الآفاق ومن تصنعه طعام تطعمه ويطعم من حضر فقال عمر رضي الله عنه يا حفصة انشدك الله هل تعلمين ان اعلم الناس بحال الرجل اهل بيته فقالت بلى فقال فانشدتك الله هل تعلمين ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لبث في النبوة كذا وكذا سنة لم يشبع هو ولا اهل بيته غدوة الا جاعوا عشية ولم يشبعوا عشية الا جاعوا غدوة وناشدتك الله هل تعلمين ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لبث في النبوة كذا وكذا سنة لم يشبع من التمر هو واهله حتى فتح الله خيبر وناشدتك الله هل تعلمين ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قربتم اليه طعاما يوما على مائدة فيها ارتفاع فشق ذلك عليه حتى تغير لونه ثم امر بالمائدة فرفعت ووضع الطعام على دون ذلك او وضع الطعام على الارض وناشدتك الله هل تعلمين ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان ينام على عباءة مثنية فثنيت له ليلة اربع طاقات فنام عليها فلما استيقظ قال منعتموني قيام الليلة بهذه العباءة اثنوها باثنتين كما كنتم تثنونها وناشدتك الله هل تعلمين ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يضع ثيابه ليغسل فياتيه بلال فيؤذنه بالصلاة فما يجد ثوبا يخرج به الى الصلاة حتى تجف ثيابه فيخرج فيها الى الصلاة وناشدتك الله هل تعلمين ان امرأة من بني ظفر صنعت لرسول الله صلى الله عليه وسلم كسائين ازارا ورداء وبعثت اليه باحدهما قبل ان يبلغ الآخر فخرج الى الصلاة وهو مشتمل به ليس عليه غيره وقد عقد طرفيه على عنقه فصلى كذلك فما زال حتى بكى وبكى عمر رضي الله عنه وانتحب حتى ظننا ان نفسه ستخرج وفي بعض الروايات زيادة من قول عروة وانه قال كان لي صاحبان سلكا طريقا فان سلكت غير طريقهما سلك بي طريقا غير طريقهما واني والله ساصبر على عيشهما الشديد لعلي ادرك معهما عيشهما الرغيد. وعن ابي سعيد الخدري عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال لقد كان الانبيا قبلي يبتلى احدهم بالفقر فلا يجد الا العبا وان كان احدهم ليبتلى بالقمل حتى يقتله القمل وكان ذلك احب اليهم من العطا اليكم. وعن ابن عباس لما ورد موسى عليه السلام ماء مدين كانت خضرة البقل ترى من بطنه من الهزال فهذا ما كان من اختاره انبيا الله ورسله وهم اعرف خلق الله بالله وبطريق الفوز في الآخرة. وفي حديث عمر رضي الله عنه انه قال لما نزل قوله تعالى والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله الآية قال رسول الله صلى الله عليه وسلم

احوال الانبيا في الدنيا

تبا للدنيا تبا للدينار والدرهم فقلت انما نها الله عن كنز الذهب والفضة فاي شيء
ندخر فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليتخذ احدكم لسانا ذاكرا وقلبا شاكرا
وزوجة صالحة تعينه على آخرته • وفي حديث حذيفة عن رسول الله صلى الله عليه
وسلم من آثر الدنيا على الآخرة ابتلاه الله بثلاث همًّا لا يفارق قلبه ابدا وفقرا لا يستغني
ابدا وحرصا لا يشبع ابدا وقال النبي صلى الله عليه وسلم لا يستكمل العبد الايمان
حتى يكون ان لا يعرف احب اليه ان يعرف وحتى يكون قلة الشيء احب اليه من كثرته وقال عيسى
عليه السلام الدنيا قنطرة فاعبروها ولا تعمروها وقيل له يا نبي الله لو امرتنا ان نبني
لك بيتا نعبد الله فيه فقال اذهبوا فابنوا بيتا على الماء فقالوا كيف يستقيم بيتا على
الماء فقال وكيف يستقيم عبادة مع حب الدنيا وقال نبينا صلى الله عليه وسلم ان
ربي عرض علي ان يجعل بطحاء مكة ذهبا فقلت لا يا رب ولكن اجوع يوما واشبع يوما
فاما اليوم الذي اجوع فيه فاتضرع اليك وادعوك واما اليوم الذي اشبع فيه
فاحمدك واثني عليك • وعن ابن عباس قال خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم
ذات يوم وجبريل عليه السلام معه فصعد على الصفا فقال له محمد والذي بعثك بالحق
ما امسى لآل محمد كف سويق ولا سفة دقيق فلم يكن باسرع من ان سمع هدة من السماء
افظعته فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم امر الله بيوم القيامة ان يقوم قال لا ولكن
هذا اسرافيل قد نزل اليك حين سمع كلامك فاتاه اسرافيل فقال ان الله عز وجل
سمع ما ذكرت فبعثني بمفاتيح الارض فامرني ان اعرض عليك ان احببت ان اسير معك
جبال تهامة زمردا وياقوتا او ذهبا او فضة فعلت وان شئت نبيا ملكا وان شئت
نبيا عبدا فاومى اليه جبريل ان تواضع فقال نبي عبد ثلاثا • وقال صلى الله عليه وسلم
اذا اراد الله بعبد خيرا زهده في الدنيا ورغبه في الآخرة وبصره بعيوب
نفسه • وقال صلى الله عليه وسلم ازهد في الدنيا يحبك الله وازهد فيما
ايدي الناس يحبك الناس • وقال صلى الله عليه وسلم من اراد ان يؤتيه الله علما
بغير تعلم وهدى بغير هداية فليزهد في الدنيا • وقال صلى الله عليه وسلم من اشتاق
الى الجنة سارع الى الخيرات ومن خاف من النار لهى عن الشهوات ومن ترقب الموت
ترك اللذات ومن زهد في الدنيا هانت عليه المصيبات • ويروى عن نبينا
وعن عيسى عليهما السلام اربع لا يدركن الا بعجب الصمت وهو اول العبادة
والتواضع وكثرة الذكر وقلة الشيء وجميع الاخبار الواردة في مدح بغض الدنيا

زوجة صالحة

الحرص

مثال حب الدنيا

اعطى الله لرسولنا الانبياء لم يختبر

مذموم الدنيا

الدنيا وذمها ولا يمكن حصرها فإن الأنبياء ما بعثوا إلا لصرف الناس عن الدنيا إلى
الآخرة فإليه يرجع أكثر كلامهم مع الخلق وفيما أوردناه كفاية وأما الآثار
فقد جاء في الأثر لا تزال لا إله إلا الله تدفع عن العباد سخط الله ما لم يبالوا ما نقص
من دنياهم وفي لفظ آخر ما لم يؤثروا صفقة دنياهم على دينهم فإذا فعلوا
ذلك وقالوا لا إله إلا الله قال الله كذبتم لستم بها صادقين • وعن بعض الصحابة
قال تتبعنا الأعمال كلها فلم نر في أمر الآخرة أبلغ من زهد في الدنيا • وقال بعض
الصحابة لصدر التابعين أنتم أكثر أعمالا واجتهادا من أصحاب رسول الله صلى الله
عليه وسلم وهم كانوا خيرا منكم قالوا ولم ذلك قال كانوا أزهد في الدنيا منكم
• وقال عمر رضي الله عنه الزهادة في الدنيا راحة للقلب والجسد وقال بلال بن سعد
كفى به ذنبا أن الله يزهدنا في الدنيا ونحن نرغب فيها • وقال رجل لسفيان أشتهي أن
أرى عالما زاهدا فقال ويحك تلك ضالة لا توجد • وقال وهب بن منبه إن للجنة
ثمانية أبواب فإذا صار أهل الجنة إليها جعل البوابون يقولون وعزة ربنا لا يدخلها
أحد قبل الزاهدين في الدنيا والعاشقين للجنة • وقال يوسف بن أسباط إني لأشتهي
من الله ثلاث خصال أن أموت حين أموت وليس في ملكي درهم ولا يكون علي دين ولا
على عظمي لحم فأعطي ذلك كله • ويروى أن بعض الخلفاء أرسل إلى الفقهاء بجوائز فقبلوها
وأرسل إلى الفضيل عشرة آلاف فلم يقبلها فقال له بنوه قد قبل الفقهاء وأنت ترد
على حالتك هذه فبكى الفضيل وقال أتدرون ما مثلي ومثلكم مثل قوم كانت لهم بقرة
يحرثون عليها فلما هرمت ذبحوها قبل أن لا ينتفعوا بجلدها وكذلك أنتم أردتم ذبحي
على كبر سني موتوا يا أهلي جوعا خير لكم من أن تذبحوا فضيلا • وقال عبيد بن عمير كان
عيسى ابن مريم عليه السلام يلبس الشعر ويأكل الشجر وليس له ولد يموت ولا بيت يخرب
ولا يدخر لغد أين ما أدركه المساء نام وقالت امرأة لأبي حازم هذا الشتاء قد
هجم علينا ولا بد لنا من الثياب والطعام والحطب فقال أبو حازم من هذا كله بد ولكن
لا بد لنا من الموت ثم البعث ثم الوقوف بين يدي الله عز وجل ثم الجنة ثم النار • وقيل
للحسن لم لا تغسل ثيابك قال الأمر أعجل من ذلك وقال إبراهيم بن أدهم قد حجبت
قلوبنا بثلاثة أغطية فلن يكشف للعبد اليقين حتى ترتفع هذه الحجب الفرح بالموجود
والحزن على المفقود والسرور بالمدح فإذا فرحت بالموجود فأنت حريص وإذا حزنت
على المفقود فأنت ساخط والساخط معذب وإذا سررت بالمدح فأنت معجب

العجب وحب المدح

والعجب يحبط العمل. وقال ابن مسعود رضي الله عنه ركعتان من زاهد قلبه خير له وأحب إلى الله من عبادة المتعبدين المجتهدين إلى آخر الدهر أبداً سرمداً. وقال بعض السلف نعمة الله علينا فيما صرف عنا أكثر من نعمته فيما صرف إلينا وكأنه التفت إلى معنى قوله صلى الله عليه وسلم إن الله يحمي عبده المؤمن من الدنيا وهو يحبه كما تحمون مريضكم الطعام والشراب تخافون عليه. وإذا فهم هذا علم أن النعمة في المنع المؤدي إلى الصحة أكثر منه في الإعطاء المؤدي إلى السقم. وكان الثوري يقول الدنيا دار التواء لا دار استواء ودار ترح لا دار فرح من عرفها لم يفرح برخاء ولم يحزن على شقاء. وقال سهل لا يخلص العمل للمتعبد حتى لا يفزع من أربعة أشياء الجوع والعري والفقر والذلة. وقال الحسن أدركت أقواماً وصحبت طوائف ما كانوا يفرحون بشيء من الدنيا أقبل ولا يأسفون على شيء منها أدبر ولهي كانت في أعينهم أهون من التراب كان أحدهم يعيش خمسين سنة وستين سنة لم يطو له ثوب ولم ينصب له قدر ولم يجعل بينه وبين الأرض شيئاً ولا أمر من في بيته بصنعة طعام قط فإذا كان الليل فقيام على أطرافهم يفترشون وجوههم تجري دموعهم على خدودهم يناجون ربهم في فكاك رقابهم كانوا إذا عملوا الحسنة دأبوا في شكرها وسألوا الله أن يتقبلها وإذا عملوا السيئة أحزنتهم وسألوا الله أن يغفرها لهم فلم يزالوا على ذلك ووالله ما سلموا من الذنوب ولا نجوا إلا بالعفو

قيام الليل

بيان درجات الزهد

وأقسامه بالإضافة إلى نفسه وإلى المرغوب عنه وإلى المرغوب فيه. اعلم أن الزهد في نفسه يتفاوت بحسب قوته على درجات ثلاث. الدرجة السفلى منها أن يزهد في الدنيا وهو لها مشتهٍ وقلبه إليها مائل ونفسه إليها ملتفتة ولكنه يجاهدها ويكفها وهذا يسمى المتزهد وهو مبدأ الزهد في حق من يصل إلى درجة الزهد بالكسب والاجتهاد والمتزهد يذيب أولاً نفسه ثم كيسه والزاهد يذيب أولاً كيسه ثم يذيب نفسه في الطاعة لا في الصبر على ما فارقه والمتزهد على خطر فإنه ربما تغلبه نفسه وتجذبه شهوته فيعود إلى الدنيا وإلى الاستراحة بها في قليل أو كثير. الدرجة الثانية الذي يترك الدنيا طوعاً لاستحقاره إياها بالإضافة إلى ما طمع فيه كالذي يترك درهماً لأجل درهمين فإنه لا يشق عليه ذلك وإن كان يحتاج إلى انتظار قليل ولكن هذا

هذا الزاهد يرى لا محالة زهده ويلتفت اليه كما يرى البايع المبيع ويلتفت اليه فيكاد يكون معجبا بنفسه وبزهده ويظن بنفسه انه ترك شيا له قدر لما هو اعظم قدرا منه وهو ايضا
الدرجة الثالثة وهي العليا ان يزهد طوعا ويزهد في زهده فلا يرى زهده اذ لا يرى انه ترك شيا اذا عرف ان الدنيا لا شي فيكون كمن ترك خزفة واخذ جوهرة فلا يرى ذلك معاوضة ولا يرى نفسه تاركا شيا والدنيا بالاضافة الى الله تعالى ونعيم الاخرة اخس من خزفة بالاضافة الى جوهرة فهذا هو الكمال في الزهد وسببه كمال المعرفة ومثل هذا الزاهد امن من خطر الالتفات الى الدنيا كما ان تارك الخزفة بالجوهرة امن من طلب الاقالة في البيع • قال ابو يزيد لابي موسى عبد الرحيم في اي شي تتكلم قال في الزهد قال في اي شي قال في الدنيا فنفض يده وقال ظننت انه يتكلم في شي • الدنيا لا شي ايش يزهد فيها • ومثل من ترك الدنيا للاخرة عند اهل المعرفة وارباب القلوب المعمورة بالمشاهدات والمكاشفات مثل من منعه عن باب الملك كلب على بابه فالقى اليه لقمة من خبز فشغله بنفسه ودخل الباب ونال القرب عند الملك حتى نفذ امره في جميع مملكته افترى انه يرى لنفسه يدا عند الملك بلقمة خبز القاها الى كلبه في مقابلة ما ناله فالشيطان كلب على باب الله تعالى يمنع الناس من الدخول مع ان الباب مفتوح والحجاب مرفوع والدنيا كلقمة خبز ان اكلت فلذتها في حال المضغ وتنقضي على القرب بالابتلاع ثم يبقى ثقلها في المعدة ثم تنتهي الى النتن والقذر ثم يحتاج بعد ذلك الى اخراج ذلك الثقل فمن تركها لينال عز الملك فكيف يلتفت اليه ونسبة الدنيا اعني ما يسلم لكل شخص وان كان عمره مائة سنة بالاضافة الى نعيم الاخرة اقل من لقمة بالاضافة الى نعيم ملك الدنيا اذ لا نسبة للمتناهي الى ما لا نهاية له والدنيا متناهية على القرب ولو كانت تتمادى الف الف سنة صافية عن كل كدر لكان لا نسبة لها الى نعيم الابد فاذا لا يلتفت الزاهد الى زهده الا اذا التفت الى ما زهد فيه ولا يلتفت الى ما زهد فيه الا انه يراه شيا معتدا به ولا يراه شيا معتدا به الا لقصور معرفته فسبب نقصان الزهد نقصان المعرفة فهذا تفاوت درجات الزهد وكل درجة من هذه ايضا لها درجات اذ تصبر المتزهد يختلف ويتفاوت ايضا باختلاف قدر المشقة في الصبر وكذلك درجة المعجب بزهده في قدر الالتفات الى زهده • واما انقسام الزهد بالاضافة الى المرغوب فيه فهو ايضا على ثلاث درجات • الدرجة السفلى ان يكون المرغوب فيه النجاة من النار ومن ساير الالام كعذاب القبر

مثال ترك الدنيا للاخرة

النجاة من العذاب

ومناقشة الحساب وخطر الصراط وسائر ما بين يدي العبد من الاهوال كما وردت به
الاخبار وفي الخبر ان الرجل ليوقف في الحساب حتى لو وردت مائة بعير عطاشا على عرقه
لصدرت رواء فهذا زهد الخائفين وكانهم رضوا بالعدم لو عدموا فان الخلاص من الالم
يحصل بمجرد العدم **الدرجة الثانية** ان يزهد رغبة في ثواب الله تعالى ونعيمه واللذات
الموعودة في جنته من الحور والقصور وغيره وهذا زهد الراجين فان هولاء ما تركوا الدنيا
قناعة بالعدم والخلاص من الالم بل طمعوا في وجود دائم ونعيم سرمد لا اخر له **الدرجة
الثالثة وهي العليا** ان لا يكون له رغبة الا في الله وفي لقائه ولا يلتفت قلبه الى الالام
ليقصد الخلاص منها ولا الى اللذات ليقصد نيلها والظفر بها بل هو مستغرق الهم بالله تعالى
وهو الذي اصبح وهمومه هم واحد وهو الموحد الحقيقي الذي لا يطلب غير الله تعالى لان
من طلب غير الله فقد عبده وكل مطلوب معبود وكل طالب عبد بالاضافة الى مطلبه وطلب
غير الله من الشرك الخفي وهذا زهد المحبين وهم العارفون لانه لا يحب الله تعالى خاصة الا من
عرفه وكما ان من عرف الدينار وعرف الدرهم وعلم انه لا يقدر على الجمع بينهما لم يحب الا الدينار
فكذلك من عرف الله وعرف لذة النظر الى وجهه الكريم وعرف ان الجمع بين تلك اللذة
وبين لذة التنعم بالحور العين والنظر الى نقش القصور وخضرة الاشجار غير ممكن فلا يحب الا
لذة النظر ولا يوثر غيره ولا تظنن ان اهل الجنة عند النظر الى وجه الله تعالى يبقى للذة
الحور والقصور متسع في قلوبهم بل تلك اللذة بالاضافة الى لذة نعيم الجنة كلذة ملك
الدنيا والاستيلاء على اطراف الارض ورقاب الخلق بالاضافة الى لذة الاستيلاء على عصفور
واللعب به والطالبون لنعيم الجنة عند اهل المعرفة وارباب القلوب كالصبي الطالب للعب
بالعصفور التارك للذة الملك وذلك لقصوره عن ادراك لذة الملك لا لان اللعب بالعصفور
في نفسه اعلى والذ من الاستيلا بطريق الملك على كافة الخلق واما انقسامه بالاضافة
الى المرغوب عنه فقد كثرت فيه الاقاويل ولعل المذكور فيه يزيد على مائة قول ولا نشتغل
بنقل الاقاويل ولكن نشير الى كلام محيط بالتفاصيل حتى يتضح ان اكثر ما ذكر
فيه قاصر عن الاحاطة بالكل فنقول المرغوب عنه بالزهد له اجمال وتفصيل ولتفصيله
مراتب بعضها اشرح لاحاد الاقسام وبعضها اجمع للجمل اما الاجمال في الدرجة الاولى فهو كل ما
سوى الله فينبغي ان يزهد فيه حتى يزهد في نفسه ايضا والاجمال في الدرجة الثانية
ان يزهد في كل صفة للنفس فيها متعة وهذا يتناول جميع مقتضيات الطبع من الشهوة
والغضب والكبر والرياسة والمال والجاه وغيرها وفي الدرجة الثالثة ان يزهد

اقسام الزهد عجايب

لذه روئية الله وتمناه

يزهد في المال والجاه واسبابهما اذ اليهما يرجع جميع حظوظ النفس وبقي الدرجة
الرابعة ان يزهد في العلم والقدرة والدينار والدرهم اذ الاموال وان كثرت
اصنافها فيجمعها الدينار والدرهم والجاه وان كثرت اسبابه فيرجع الى العلم والقدرة
واعني به كل علم وقدرة مقصودها ملك القلوب اذ معنى الجاه هو ملك القلوب والقدرة
عليها كما ان معنى المال ملك الاعيان والقدرة عليها فان جاوزت هذا التفصيل الى شرح
وتفصيل ابلغ من هذا فيكاد يخرج ما فيه الزهد عن الحصر وقد ذكر الله تعالى في اية
واحدة منها سبعة منها فقال زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير
المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والانعام والحرث ذلك متاع الحيوة
الدنيا ثم ردده في اية اخرى الى خمسة فقال اعلموا انما الحيوة الدنيا لعب ولهو
وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر في الاموال والاولاد ثم ردده في موضع اخر الى اثنين
فقال وما الحيوة الدنيا الا لعب ولهو ثم رده الى واحد في موضع اخر فقال
ونهى النفس عن الهوى فان الجنة هي الماوى فالهوى لفظ يجمع جميع حظوظ النفس في
الدنيا فينبغي ان يكون الزهد فيه واذا فهمت طريق الاجمال والتفصيل عرفت ان البعض
من هذه لا يخالف البعض وانما يفارقه في الشرح مرة والاجمال اخرى والحاصل ان
الزهد عبارة عن الرغبة عن حظوظ النفس كلها ومهما رغب عن حظوظ النفس كلها
رغب عن البقاء في الدنيا فقصر امله لا محالة لانه يريد البقا ليتمتع به ويريد التمتع
الدائم بارادة البقاء في الدنيا فان من اراد شيئا اراد دوامه ولا معنى لحب الجاه
الا حب دوام ما هو موجود او ممكن في هذه الحياة فاذا رغب عنها لم يردها ولذلك لما كتب
عليهم القتال قالوا ربنا لم كتبت علينا القتال لولا اخرتنا الى اجل قريب فقال تعالى
قل متاع الدنيا قليل اي لستم تريدون البقا الا لمتاع الدنيا فظهر عند ذلك الزاهد
وانكشف حال المنافقين اما الزاهدون المحبون لله تعالى فقاتلوا في سبيل الله كانهم
بنيان مرصوص وانتظروا احدى الحسنيين وكانوا اذا دعوا الى القتال
يستنشقون رائحة الجنة ويبادرون اليه مبادرة الظمآن الى الماء البارد حرصا
على نصرة دين الله او نيل رتبة الشهادة وكان من مات منهم على فراشه يتحسر
على فوت الشهادة حتى ان خالد ابن الوليد رضي الله عنه لما احتضر للموت
على فراشه كان يقول كم غررت بروحي وهجمت على الصفوف طمعا في الشهادة وانا الان
اموت موت العجائز فلما مات عد على جسده ثمان مائة ثقب من اثار الجراحات واما

وأما المنافقون ففروا من الزحف خوفا من الموت فقيل لهم إن الموت الذي تفرون منه
فإنه ملاقيكم فإيثارهم البقاء على الشهادة استبدال للذي هو أدنى بالذي هو خير
فأولئك الذين اشتروا الحيوة الدنيا بالآخرة فما ربحت تجارتهم وما كانوا مهتدين وأما
المخلصون فإن الله اشترى منهم أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة فلما رأوا أنهم تركوا تمتع
عشرين سنة مثلا أو ثلاثين سنة بتمتع الأبد استبشروا ببيعهم الذي بايعوا
به فهذا بيان المزهود فيه وإذا فهمت هذا علمت أن ما ذكره المتكلمون في حد الزهد لم
يشيروا به إلا إلى بعض أقسامه فذكر كل واحد ما رآه غالبا على نفسه أو على من كان يخاطبه
وقال بشر الزهد في الدنيا هو الزهد في الناس
وهذا إشارة إلى الزهد في الجاه خاصة وقال قاسم الجوعي الزهد في الدنيا هو الزهد
في الجوف فبقدر ما تملك من بطنك كذلك تملك من الزهد وهذه إشارة إلى الزهد في شهوة
واحدة ولعمري هي أغلب الشهوات على الأكثر وهي المهيجة لأكثر الشهوات وقال
الفضيل الزهد هو القناعة وهذا إشارة إلى المال خاصة وقال الثوري الزهد
هو قصر الأمل وهو جامع لجميع الشهوات يحدث نفسه بالبقا. فيطول أمله ومن قصر أمله
فكأنه رغب عن الشهوات كلها وقال أويس إذا خرج يطلب ذهب الزهد
وما قصد بهذا حد الزهد ولكن جعل التوكل شرطا في الزهد وقال أويس أيضا الزهد
هو ترك الطلب للمضمون وهو إشارة إلى الرزق ٥ وقال أهل الحديث الدنيا
هو العمل بالرأي والمعقول والزهد إنما هو اتباع العلم ولزوم السنة وهذا إن
أريد به الرأي الفاسد والمعقول الذي يطلب به الجاه في الدنيا فهو صحيح ولكنه ٥
إشارة إلى بعض أسباب الجاه خاصة وإلى بعض ما هو من فضول الشهوات فإن من
العلوم ما لا فائدة فيه في الآخرة وقد طولوه حتى ينقضي عمر الإنسان في الاشتغال
بواحد منها فشرط الزاهد أن يكون أول مرغوب عنه عنده ٥٥ وقال الحسن
الزاهد الذي إذا رأى أحدا قال هذا أفضل مني فذهب إلى أن الزهد هو التواضع
وهو إشارة إلى نفي الجاه والعجب وهو بعض أقسام الزهد وقال بعضهم الزهد
هو طلب الحلال وأين هذا ممن يقول الزهد هو ترك الطلب كما قال أويس ولا شك في
أنه أراد به طلب الحلال وكان يوسف بن أسباط يقول من صبر على الأذى وترك الشهوات
وأكل الخبز من حلال فقد أخذ بأصل الزهد وفي الزهد أقاويل وراء ما نقلناه
فلم نر في نقلها فائدة فإن من طلب كشف حقائق الأمور من أقاويل الناس رآها مختلفة

التواضع في الزهد

تختلف فلا يستفيد الا الحيرة وأما من انكشف له الحق في نفسه وأدركه بمشاهدة
من قلبه لا بتلقف من سمعه وثق بالحق واطلع على قصور من قصر لقصور بصيرته
وعلى اقتصار من اقتصر مع كمال المعرفة لاقتصار حاجته وهؤلاء كلهم اقتصروا
لا لقصور في البصيرة ولكنهم ذكروا ما ذكروه عند الحاجة فلا جرم ذكروه بقدر الحاجة
والحاجات تختلف فلا جرم الكلمات تختلف وقد يكون سببا لاقتصار الاخبار عن الحالة
الراهنة التي هي مقام العبد في نفسه فلا يكون الا واحدا ولا يتصور ان تختلف
وانما الجامع من هذه الاقاويل الكامل في نفسه وان لم يكن فيه تفصيل ما قاله ابو
سليمان الداراني اذ قال سمعنا في الزهد كلاما كثيرا والزهد عندنا ترك كل
شيء يشغلك عن الله عز وجل وقد فسره مرة وقال من تزوج او سافر في طلب المعيشة
او كتب الحديث فقد ركن الى الدنيا فجعل جميع ذلك ضد الزهد **وقرأ ابو سليمان
الداراني قوله تعالى الا من اتى الله بقلب سليم** فقال هو القلب
الذي ليس فيه غير الله تعالى وقال انما زهدوا في الدنيا ليفرغ قلوبهم من همومها للآخرة
فهذا بيان انقسام الزهد بالاضافة الى اصناف المزهود فيه فاما بالاضافة الى
احكامه فينقسم الى فرض ونفل وسلامة كما قال ابراهيم بن ادهم الفرض
هو الزهد في الحرام والنفل هو الزهد في الحلال والسلامة هو الزهد في الشبهات
وقد ذكرنا تفاصيل درجات الورع في كتاب الحلال والحرام وذلك من الزهد اذ قيل
لمالك بن انس ما الزهد قال التقوى واما بالاضافة الى خفايا ما يتركه فلا
نهاية للزهد فيه اذ لا نهاية لما يتمتع به النفس في الخطرات واللحظات وسائر الحالات
لا سيما خفايا الرياء فان ذلك لا يطلع عليه الا سماسرة العلماء بل الاموال الظاهرة
ايضا درجات الزهد فيها لا تتناهى فمن اقصى درجاته زهد موسى عليه السلام
اذ توسد حجرا في نومه فقال له الشيطان اما كنت تركت الدنيا فما الذي بدا لك
فقال وما الذي حدث قال توسدك الحجر الذي تنعمت برفع راسك عن الارض في النوم
فرمى الحجر وقال خذه فيما تركته لك **وروي عن يحيى بن زكريا عليهما السلام**
انه لبس المسوح حتى نقب جلده تركا للتنعم بلين الثياب واستراحة حس اللمس
فسألته امه ان يلبس مكان المسح جبة من صوف ففعل فاوحى الله تعالى اليه يا يحيى
آثرت على الدنيا فبكى وعاد الى ما كان **وقال احمد رحمه الله** الزهد زهد اويس
بلغ من العري الى ان جلس في قوصرة وجلس عليه السلام في ظل حائط انسان

الزهد

فأقامه صاحب الحائط فقال له أما أفتيتني أنت إنما أفتيت الذي لم يرض إلا أن ينتفع بظل الحائط فإذن درجات الزهد ظاهراً وباطناً لا حصر لها وأقل درجات الزهد في كل شبهة ومحظور وقال قوم الزهد هو الزهد في الحلال لا في الشبهة والمحظور فليس ذلك من درجاته في شيء ثم رأوا أنه لم يبق حلال في أموال الدنيا فلا يتصور الزهد فإن قلت مهما كان الصحيح هو أن ترك ما سوى الله فكيف يتصور ذلك مع الأكل والشرب واللبس ومخالطة الناس ومكالمتهم فكل ذلك اشتغال بما سوى الله عز وجل فاعلم أن معنى الانصراف عن الدنيا إلى الله تعالى هو الإقبال بكل القلب عليه ذكراً وفكراً ولا يتصور ذلك إلا مع البقاء ولا بقاء إلا بضروريات النفس فمهما اقتصرت من الدنيا على دفع المهلكات عن البدن وكان غرضك الاستعانة بالبدن على العبادة لم تكن مشتغلاً بغير الله فإن من لا يتوصل إلى الشيء إلا به فهو منه فالمشتغل بعلف الناقة وسقيها في طريق الحج ليس معرضاً عن الحج ولكن ينبغي أن يكون بدنك في طريق الله مثل ناقتك في طريق الحج ولا غرض لك في تنعم ناقتك باللذات بل غرضك مقصور على دفع المهلكات حتى تسير بك إلى مقصدك فكذلك ينبغي أن تكون في صيانتك بدنك من الجوع والعطش المهلك بالأكل والشرب وعن الحر والبرد المهلك باللباس والمسكن فتقتصر على قدر الضرورة ولا تقصد التلذذ بل التقوي على طاعة الله تعالى فذلك لا يناقض الزهد بل هو شرط الزهد وإن قلت لا بد وأن أتلذذ بالأكل عند الجوع فاعلم أن ذلك لا يضرك إن لم يكن قصدك التلذذ فإن شارب الماء البارد قد يستلذ الشرب ويرجع حاصله إلى زوال ألم العطش ومن يقضي حاجته قد يستريح بذلك ولكن لا يكون ذلك مقصوداً عنده ومطلوباً بالقصد فلا يكون القلب منصرفاً إليه فالإنسان قد يستريح في قيام الليل بنسيم الأسحار وصوت الطيور ولكن إذا لم يقصد طلب موضع لهذه الاستراحة فما يصيبه من ذلك بغير قصده لا يضره ولقد كان في الخائفين من طلب موضعاً لا يصيبه نسيم الأسحار خيفة من الاستراحة به وأنس القلب معه فيكون فيه أنس بالدنيا ونقصان في الأنس بالله بقدر وقوع الأنس بغير الله ولذلك كان داود الطائي رحمه الله له حب مكشوف فيه ماؤه فكان لا يرفعه من الشمس ويشرب الماء الحار ويقول من وجد لذة الماء البارد يشق عليه مفارقة الدنيا فهذه مخاوف المحتاطين والحزم في جميع ذلك الاحتياط فإنه وإن كان شاقاً فمدته قريبة والاحتماء مدة يسيرة للتنعم على التأبيد لا يثقل على أهل المعرفة القاهرين لأنفسهم بسياسة الشرع المعتصمين

هذا الكلام يقال كثيرا لاهل هذا الزمان

مثل عبادة البدن

شرب الماء البارد

بعروة

بعروة اليقين في معرفة المضادة التي بين الدنيا والدين ٥

بيان تفصيل الزهد

فيما هو من ضروريات الحيوة

اعلم أن الناس منهمكون فيه ينقسم فضول ومهم فالفضول كالخيل المسومة مثلاً إذ غالب الناس إنما يقتنيها للترفه بركوبها وهو قادر على المشي والمهم كالأكل والشرب ولسنا نقدر على تفصيل أصناف الفضول فإن ذلك لا ينحصر وإنما ينحصر المهم الضروري والمهم أيضاً يتطرق إليه فضول في مقداره وجنسه وأوقاته فلا بد من بيان وجه الزهد فيه والمهمات ستة أمور المطعم والملبس والمسكن وأثاثه والمنكح والمال والجاه يطلب لأغراض وهذه الستة من جملتها وقد ذكرنا معنى الجاه وسبب حب الخلق له وكيفية الاحتراز عنه في كتاب الرياء من ربع المهلكات ونحن الآن نقتصر على بيان هذه المهمات الستة الأول المطعم ولا بد للإنسان من قوت حلال يقيم صلبه ولكن له طول وعرض فلا بد من قبض طوله وعرضه حتى يتم به الزهد فأما طوله فبالإضافة إلى جملة العمر فإن من يملك طعام يومه فقد لا يقنع به وأما عرضه ففي مقدار الطعام وجنسه ووقت تناوله فأما طوله فلا يقصر إلا بقصر الأمل وأقل درجات الزهد فيه الاقتصار على قدر دفع الجوع عند شدة الجوع وخوف المرض ومن هذا حاله فإذا استقل بما تناوله لم يدخر من غدائه لعشائه وهذه الدرجة العليا الدرجة الثانية أن يدخر لشهر أو لأربعين يوماً والثالثة أن يدخر لسنة فقط وهذه رتبة ضعفاء الزهاد ومن ادخر لأكثر من ذلك فتسميته زاهداً محال لأن من أمل بقاء أكثر من سنة فهو طويل الأمل جداً فلا يتم منه الزهد إلا إذا لم يكن له كسب ولم يرض لنفسه الأخذ من أيدي الناس كداود الطائي فإنه ورث عشرين ديناراً فأمسكها وأنفقها في عشرين سنة فهذا لا يضاد أصل الزهد إلا عند من جعل التوكل شرط الزهد وأما عرضه فبالإضافة إلى المقدار فأقل درجاته في اليوم والليلة نصف رطل وأوسطه رطل وأعلاه مد وهو ما قدره الله تعالى في طعام المساكين في الكفارة وما وراء ذلك فهو من اتساع البطن والاشتغال به ومن لم يقدر على الاقتصار على مد لم يكن له من الزهد في هذا البطن نصيب وأما بالإضافة إلى الجنس فأقله يقوت ولو كان الخبز

المطعم وادخار الطعام

مقدار الادخار [illegible]

من النخالة وأوسطه خبز الشعير والذرة وأعلاه خبز البر غير منخول فإذا ميز من النخالة و
صار حواريا فقد صار من التنعم وخرج عن آخر أبواب الزهد فضلا عن أوائله وأما الأدم
فأقله الملح أو البقل أو الخل وأوسطه الزيت أو يسير من الأدهان أي دهن كان وأعلاه
اللحم أي لحم كان وذلك في الأسبوع مرة أو مرتين فإذا صار دائما أو أكثر من مرتين في
الأسبوع خرج من آخر أبواب الزهد فلم يكن صاحبه زاهدا في البطن أصلا **وأما بالإضافة
إلى الوقت** فأقله في اليوم والليلة مرة وهو أن يكون صائما وأوسطه أن يصوم
ويشرب ليلة ولا يأكل ويأكل ليلة ولا يشرب وأعلاه ينتهي إلى أن يطوي ثلاثة أيام
أو أسبوعا وما زاد عليه وقد ذكرنا طريق تقليل الطعام وكسر شهوته في ربع المهلكات
ولينظر إلى أحوال رسول الله صلى الله عليه وسلم والصحابة في كيفية
زهدهم في المطاعم وتركهم الأدم قالت عائشة رضي الله عنها كانت تأتي أربعون ليلة علينا
وما يوقد في بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم مصباح ولا نار قيل لها فبم كنتم تعيشون
قالت بالأسودين التمر والماء وهذا ترك اللحم والمرقة والأدم وقال الحسن كان رسول
الله صلى الله عليه وسلم يركب الحمار ويلبس الصوف وينتعل المخصوف ويلعق أصابعه
ويأكل على الأرض ويقول إنما أنا عبد آكل كما تأكل العبيد وقال عيسى عليه السلام
بحق أقول إنه من طلب الفردوس فخبز الشعير له والنوم على المزابل مع الكلاب كثير
وقال الفضيل ما شبع رسول الله صلى الله عليه وسلم منذ قدم المدينة ثلاثة أيام
من خبز البر وكان عيسى عليه السلام يقول يا بني إسرائيل عليكم بالماء القراح
والبقل البري وخبز الشعير وإياكم وخبز البر فإنكم لن تقوموا بشكره وقد ذكرنا سيرة الأنبياء
والسلف في المطعم في ربع المهلكات فلا نعيده ولما أتي رسول الله صلى الله عليه وسلم
بقباء فأتوه بشربة من لبن مشوبة بعسل فوضع القدح من يده وقال أما إني لست أحرمه
ولكني أتركه تواضعا لله تعالى وأتي عمر رضي الله عنه بشربة من ماء بارد وعسل
في يوم صائف فقال اعزلوا عني حسابها وقال يحيى بن معاذ الرازي الزاهد
الصادق قوته ما وجد ولباسه ما ستر ومسكنه حيث أدرك الدنيا سجنه والقبر
مضجعه والخلوة مجلسه والاعتبار فكرته والقرآن حديثه والرب أنيسه
والذكر رفيقه والزهد قرينه والحزن شأنه والحياء شعاره والجوع إدامه
والحكمة كلامه والتراب فراشه والتقوى زاده والصمت غنيمته والصبر معتمده
والتوكل حسبه والعقل دليله والعبادة حرفته والجنة مبلغه إن شاء الله تعالى

مقدار الادام

طريق تقليل الطعام

كيفية اكل رسول الله وعيسى

مقدار الملبس

إن شاء الله تعالى **المهم الثاني الملبس** وأقل درجاته ما يدفع الحر والبرد ويستر
العورة وهو كساء يتغطى به وأوسطه قميص وقلنسوة ونعلان وأعلاه أن يكون معه منديل
وسراويل وما جاوز هذا من حيث المقدار فهو مجاوز حد الزهد وشرط الزاهد أن لا
يكون له ثوب يلبسه إذا غسل ثوبه بل يلزمه القعود في البيت فإذا صار صاحب قميصين
وسراويلين ومنديلين فقد خرج من جميع أبواب الزهد هذا من حيث المقدار أما
الجنس فأقله المسوح الخشنة وأوسطه الصوف الخشن وأعلاه القطن الغليظ وأما من
حيث الوقت فأقصاه ما يستر سنة وأقله ما يبقى يوماً حتى رقع بعضهم ثوبه بورق الشجر
وإن كان يتسارع الجفاف إليه وأوسطه ما يتماسك عليه شهراً وما يقاربه فطلب
ما يبقى أكثر من سنة خروج إلى طول الأمل وهو مضاد للزهد إلا إذا كان المطلوب
خشونته ثم قد يتبع ذلك قوته ودوامه فمن وجد زيادة من ذلك فينبغي أن يتصدق
به فإن أمسكه لم يكن زاهداً بل كان محباً للدنيا ولينظر إلى أحوال الأنبياء والصحابة
كيف تركوا الملابس قال أبو بردة أخرجت لنا عائشة رضي الله عنها كساء
ملبداً وإزاراً غليظاً فقالت قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم في هذين وقال
صلى الله عليه وسلم إن الله تعالى يحب المتبذل الذي لا يبالي ما لبس وقال عمرو
ابن الأسود العنسي لا ألبس مشهوراً أبداً ولا أنام بليل على دثار أبداً ولا أركب
على مأثور أبداً ولا أملأ جوفي من طعام أبداً فقال عمر من سره أن ينظر إلى هدي
رسول الله صلى الله عليه وسلم فلينظر إلى عمرو ابن الأسود وفي الخبر ما من عبد
لبس ثوب شهرة إلا أعرض الله تعالى عنه حتى ينزعه وإن كان عنده حبيباً
واشترى رسول الله صلى الله عليه وسلم ثوباً بأربعة دراهم وكان قيمة ثوبيه
عشرة وكان إزاره أربعة أذرع ونصفاً واشترى سراويل بثلاثة دراهم
وكان يلبس شملتين بيضاوين من صوف وكانت تسمى حلة لأنهما ثوبان من جنس واحد
وربما كان يلبس بردين يمانيين أو سحوليين من هذه الغلاظ وفي الخبر كان
قميص رسول الله صلى الله عليه وسلم كأنه قميص زيات بيان الحديث قد ورد وهو من
الحسان ومعنى هذا الحديث أن قميص الزيات يكون قصيراً لأجل الشغل والحط وكان رسول
الله صلى الله عليه وسلم يلبس القميص القصير لزهده في الدنيا والتقلل منها وقد أمر
صلى الله عليه وسلم أن يكون القميص إلى أنصاف الساق وثبت أن كمه كان إلى رؤوس
أصابعه فمن اعتقد أنه كان دونها بعد ولأن الزيات أول ما يفصل قميصه يفصله قصيراً

لطيفًا فالتمثيل إنما وقع على هاتين الصفتين فمن حمله على غيرها ادب والله أعلم ولبس
رسول الله صلى الله عليه وسلم يومًا ثوبًا سبرًا من سندس قيمته مائتا درهم فكان أصحابه
يلمسونه ويقولون يا رسول الله أنزل هذا عليك من الجنة تعجبًا وكان قد أهداه إليه المقوقس
ملك الإسكندرية فأراد أن يكرمه بلبسه ثم نزعه وأرسل به إلى رجل من المشركين
وصله به ثم حرم لبس الحرير والديباج وكان إنما لبسه أولا تأكيدًا للتحريم كما لبس خاتمًا
من ذهب ثم نزعه فحرم لبسه على الرجال وكما قال لعائشة رضي الله عنها في شأن بريرة
اشترطي لأهلها الولاء فلما اشترطته صعد عليه السلام المنبر فحرمه وكما أباح المتعة
ثلاثًا ثم حرمها لتأكيد أمر النكاح وقد صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم في خميصة
لها علم فلما سلم قال شغلني النظر إلى هذه اذهبوا بها إلى أبي جهم وائتوني بأنبجانية يعني
كساء فاختار لبس الكساء على الثوب الناعم وكان شراك نعله قد أخلق فأبدل بسير جديد
فصلى فيه فلما سلم قال أعيدوا الشراك الخلق وانزعوا هذا الجديد فإني نظرت إليه في
الصلاة ولبس خاتمًا فنظر إليه على المنبر نظرة فرمى به وقال شغلني هذا عنكم نظرة إليه
ونظرة إليكم وكان صلى الله عليه وسلم قد احتذى نعلين جديدين فأعجبه حسنهما
فخر ساجدًا وقال أعجبني حسنهما فتواضعت لربي خشية أن يمقتني ثم خرج بهما فدفعهما
إلى أول مسكين رآه • وعن سنان بن سعد قال حيكت لرسول الله صلى الله عليه وسلم
جبة صوف من صوف أنمار وجعلت حاشيتها سوداء فلما لبسها قال انظروا ما أحسنها ما ألينها
فقام إليه أعرابي فقال يا رسول الله هبها لي قال وكان رسول الله صلى الله عليه
وسلم إذا سئل شيئًا لم يبخل به قال فدفعها إليه وأمر أن يحاك له واحدة أخرى فمات
رسول الله صلى الله عليه وسلم وهي في الحاكة • وعن جابر قال دخل رسول الله صلى
الله عليه وسلم على فاطمة وهي تطحن بالرحا وعليها كساء من أجلة الإبل فلما نظر إليها بكى
وقال يا فاطمة تجرعي لنعيم الآخرة فأنزل عليه ولسوف يعطيك ربك فترضى
وقال صلى الله عليه وسلم إن من خيار أمتي فيما أنبأني الملأ الأعلى قومًا يضحكون جهرًا
من سعة رحمة الله ويبكون سرًا من خوف عذابه مؤنتهم على الناس خفيفة وعلى أنفسهم
ثقيلة يلبسون الخلقان ويتبعون الرهبان أجسامهم في الأرض وأفئدتهم عند العرش
فهذه كانت سيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم في الملبوس وقد أوصى أمته عامة
باتباعه إذ قال من أحبني فليستن بسنتي وقال عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين
من بعدي عضوا عليها بالنواجذ • وقال تعالى قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله

سبب نزول ولسوف يعطيك

الله واوصى رسول الله صلى الله عليه وسلم عايشة رضي الله عنها خاصة وقال لها ان اردت
اللحوق بي فاياك ومجالسة الاغنيا ولا تنزعي ثوبا حتى ترقعيه • وعد على قميص عمر رضي
الله عنه اثنتي عشرة رقعة بعضها من ادم • واشترى علي رضي الله عنه ثوبا
بثلاثة دراهم ولبسه وهو في الخلافة وقطع كميه من الرسغين وقال الحمد لله الذي هذا
من رياشه • وقال الثوري وغيره البس من الثياب ما لا يشهرك عند العلماء ولا
يحقرك عند الجهال • وكان يقول ان الفقير ليمر بي وانا اصلي فادعه يجوز ويمر بي واحد
من ابناء الدنيا وعليه هذه البزة فامقته فلا ادعه يجوز • وقال بعضهم قومت ثوبي
سفيان ونعليه بدرهم واربعة دوانيق وقال ابن شبرمة خير ثيابي ما خدمني وشرها
ما خدمته • وقال بعض السلف البس من الثياب ما خالطك بالسوقة ولا تلبس
منها ما يشهرك فينظر اليك • وقال ابو سليمان الثياب ثلاثة
ثوب لله وهو ما يستر العورة • وثوب للنفس وهو ما يطلب لينه • وثوب للناس وهو ما يطلب
جوهره وحسنه • وقال بعضهم من رق ثوبه رق دينه • وكان جمهور العلماء من التابعين
قيمة ثيابهم ما بين العشرين الى الثلاثين وكان الخواص لا يلبس اكثر من قطعتين قميص ومئزر تحته
ويعطف ذيل قميصه على راسه • وقال بعض السلف اول النسك الزي • وفي
الخبر البذاذة من الايمان • وفي الخبر من ترك ثوب جمال وهو يقدر عليه تواضعا لله تعالى
وابتغاء لوجهه كان حقا على الله ان يدخر له من عبقري الجنة في تخوت اليواقيت • واوحى
الله تعالى الى بعض انبيائه قل لاوليائي لا يلبسوا ملابس اعدائي ولا يدخلوا مداخل
اعدائي فيكونوا اعدائي كما هم اعدائي • ونظر رافع ابن خديج الى بشر بن مروان
على منبر الكوفة وهو يعظ فقال انظروا الى اميركم يعظ الناس وعليه ثياب الفساق
وكان عليه ثياب رقاق • وجاء عبد الله بن عامر ابن ربيعة الى ابي ذر في بزته فجعل يتكلم في
الزهد فوضع ابو ذر راحته على فيه وجعل يضرط به فغضب ابن عامر فشكاه الى ابن عمر
فقال انت صنعت بنفسك تتكلم بالزهد بين يديه بهذه البزة • وقال علي كرم الله
وجهه ان الله عز وجل اخذ على ائمة الهدى ان يكونوا في مثل
ادنى احوال الناس ليقتدي بهم الغني ولا يزري بالفقير فقره • ولما عوتب في خشونة
لباسه قال هو ادنى الى التواضع واجدر ان يقتدي به المسلم • ونهى صلى الله عليه
وسلم عن التنعم وقال ان عباد الله ليسوا بالمتنعمين • وروي فضالة ابن عبيد
وهو والي مصر اشعث حافيا فقيل له انت الامير وتفعل هذا فقال نهانا رسول الله صلى

ملبس

الله عليه وسلم عن الارفاه وأمرنا أن نحتفي أحيانا • وقال علي لعمر رضي الله عنهما
إن أردت أن تلحق بصاحبيك فارقع القميص ونكس الإزار واخصف النعل وكل دون
الشبع وقال عمر رضي الله عنه اخلولقوا واخشوشنوا وإياكم وزي العجم كسرى وقيصر
وقال علي كرم الله وجهه من تزيا بزي قوم فهو منهم • وقال رسول الله صلى الله
عليه وسلم إن من شرار أمتي الذين غذوا بالنعيم يطلبون ألوان الطعام وألوان الثياب
ويتشدقون في الكلام وقال صلى الله عليه وسلم أزرة المؤمن إلى أنصاف ساقيه ولا جناح
فيما بينه وبين الكعبين وما أسفل من ذلك ففي النار ولا ينظر الله يوم القيامة إلى من جر إزاره بطرا
وقال أبو سليمان قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يلبس الشعر من أمتي إلا مراء أو أحمق
وقال الأوزاعي لباس الصوف في السفر سنة وفي الحضر بدعة • ودخل محمد بن واسع على
قتيبة بن مسلم وعليه جبة صوف فقال له قتيبة ما دعاك إلى مدرعة الصوف فسكت
فقال أكلمك ولا تجيبني فقال أكره أن أقول زهدا فأزكي نفسي أو فقرا فأشكو ربي
وقال أبو سليمان لما اتخذ الله إبراهيم خليلا أوحى إليه أن وار عورتك من الأرض
وكان لا يتخذ من كل شيء إلا واحدا سوى السراويل فإنه كان يتخذ سراويلين فإذا غسل أحدهما
لبس الآخر حتى لا يأتي عليه حال إلا وعورته مستورة • وقيل لسلمان الفارسي رضي الله عنه
ما لك لا تلبس الجيد من الثياب فقال وما للعبد وللثوب الحسن فإذا أعتق فله والله ثياب لا
تبلى أبدا • ويروى عن عمر بن عبد العزيز أنه كان له جبة شعر وكساء شعر يلبسهما من الليل
إذا قام يصلي وقال الحسن لفرقد السبخي تحسب أن لك فضلا على الناس بكسائك بلغني أن أكثر
أهل النار أصحاب الأكسية • وقال يحيى بن معين رأيت أبا معاوية الأسود وهو يلتقط
الخرق من المزابل ويغسلها ويلفقها ويلبسها فقلت إنك تكسى خيرا من هذا فقال ما ضرهم
ما أصابهم في الدنيا جبر الله لهم بالجنة كل مصيبة فجعل يحيى بن معين يحدث بهذا ويبكي

المهم الثالث المسكن وللزهد فيه أيضا ثلاث درجات

أعلاها أن لا يطلب موضعا خاصا لنفسه فيقنع بزوايا المساجد كأصحاب الصفة وأوسطها
أن يطلب موضعا خاصا لنفسه مثل كوخ مبني من سعف وخص أو ما يشبهه وأدناها أن يطلب
حجرة مبنية إما بشراء أو إجارة فإن كان قدر سعة المسكن على قدر حاجته من غير زيادة
ولم يكن فيه زينة لم يخرجه هذا القدر عن آخر درجات الزهد فإن طلب التشييد والتجصيص
والسعة وارتفاع السقف أكثر من ستة أذرع فقد جاوز بالكلية حد الزهد في المسكن
فاختلاف جنس البناء بأن يكون من الجص والقصب أو بالطين أو بالآجر واختلاف قدره بالسعة

الشبع

الوان الطعام والثياب وطويله وقصيره

لهم

احوال المساكن

السعة والضيق واختلافه وطوله بالإضافة الى الأوقات بأن يكون مملوكاً أو مستأجراً
أو مستعاراً وللزهد مدخل في جميع ذلك وبالجملة كلما يراد للضرورة فلا ينبغي أن يجاوز
حد الضرورة وقدر الضرورة من الدنيا آلة الدين ووسيلته وما جاوز ذلك فهو مضاد
الدين والغرض من المسكن دفع المطر والبرد ودفع الأعين والأيدي وأقل الدرجات فيه
معلوم وما زاد عليه فهو من الفضول والفضول كله من الدنيا وطالب الفضول والساعي له
بعيد من الزهد جداً وقد قيل أول شيء ظهر من طول الأمل بعد رسول الله صلى الله عليه
وسلم التدريز والتشييد يعني بالتدريز كف دروز الثياب فإنها كانت تشل شلاً ۝
والتشييد هو البنيان بالجص والآجر وإنما كانوا يبنون بالسعف والجريد وقد جاء في
الأثر يأتي على الناس زمان يوشون بنيانهم كما يوشون البرود اليمانية وأمر رسول الله
صلى الله عليه وسلم العباس رضي الله عنه أن يهدم علية كان قد علاها ۝ ومر رسول
الله صلى الله عليه وسلم بجنبذة معلاة فقال لمن هذه فقالوا لفلان فلما جاء الرجل
أعرض عنه فلم يقبل عليه كما كان فسأل الرجل عن تغير وجهه صلى الله عليه وسلم فأخبر
فذهب فهدمها فمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالموضع فلم يرها فأخبر بأنه هدمها
فدعا له بخير وقال الحسن رضي الله عنه مات رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يضع
لبنة على لبنة ولا قصبة على قصبة وقال صلى الله عليه وسلم إذا أراد الله بعبد شراً
أهلك ماله في الماء والطين وقال عبد الله بن عمر مر علينا رسول الله صلى
الله عليه وسلم ونحن نعالج خصاً فقال ما هذا فقلنا خص لنا قد وهى فقال أرى الأمر
أعجل من ذلك واتخذ نوح عليه السلام بيتاً من قصب ۝
فقيل له لو بنيت فقال هذا كثير لمن يموت ۝ وقال الحسن دخلنا على صفوان
ابن محرز وهو في بيت من قصب قد مال عليه فقيل له لو أصلحته فقال كم من رجل قد مات
وهذا قائم على حاله وقال النبي صلى الله عليه وسلم من بنى فوق ما يكفيه
كلف أن يحمله يوم القيامة ۝ وفي الخبر كل نفقة العبد يؤجر عليها إلا ما أنفقه في الماء
والطين وقوله تعالى تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علواً في الأرض ولا
فساداً إنه الرياسة والتطاول والبنيان وقال صلى الله عليه وسلم كل بناء وبال
على صاحبه يوم القيامة إلا ما أكن من حر وبرد وقال صلى الله عليه وسلم للرجل الذي
شكا إليه ضيق منزله اتسع في السماء أي في الجنة ونظر عمر رضي الله عنه في طريق
الشام إلى صرح قد بني بجص وآجر فكبر وقال ما ظننت أن يكون هذا في هذه الأمة

صرف المال الى البناء

اول من بنى بالجص والآجر

من يبني بنيان هامان لفرعون يعني قول فرعون فاوقد لي يا هامان على الطين يعني به الآجر
ويقال ان فرعون هو اول من بنى بالجص والآجر واول من عمله هامان ثم تبعهما الجبابرة
وهذا هو الزخرف وراى بعض السلف جامعا في بعض الامصار فقال ادركت هذا المسجد
مبنيا بالجريد والسعف ثم رأيته مبنيا من رهوص ثم رأيته الآن مبنيا باللبن فكان
اصحاب السعف خيرا من اصحاب الرهص وكان اصحاب الرهص خيرا من اصحاب اللبن وكان في السلف
من يبني داره مرارا في مدة عمره لضعف بنيانه وقصر امله وزهده في احكام البنيان
وكان منهم من اذا حج او غزا نزع بيته او وهبه لجيرانه فاذا رجع اعاده وكانت بيوتهم
من الحشيش والجلود وهي عادة العرب الآن ببلاد اليمن وكان ارتفاع بناء السلف قامة
وبسطة قال الحسن كنت اذا دخلت بيوت رسول الله صلى الله عليه وسلم ضربت بيدي

ارتفاع سقف البيت

الى السقف وقال عمرو بن دينار اذا اعلى العبد البناء فوق ستة اذرع ناداه ملك الى اين
يا افسق الفاسقين وقد نهى سفيان عن النظر الى بناء مشيد وقال لولا نظر الناس ما شيدوه
فالناظر معين عليه وقال الفضيل اني لا اعجب ولكن اعجب ممن نظر اليه ولم يعتبر وقال ابن مسعود
يأتي قوم يرفعون الطين ويضعون الدين ويستعملون البراذين يصلون الى قبلتكم ويموتون على
غير دينكم

المهم الرابع اثاث البيت وللزهد فيه ايضا درجات

اثاث البيت

واعلاها حال عيسى عليه السلام اذ كان لا يصحبه الا مشط وكوز فرأى انسانا يمشط لحيته باصابعه
فرمى المشط ورأى آخر يشرب من النهر بكفيه فرمى الكوز وهذا حكم كل اثاث فانه انما يراد
للمقصود فاذا استغني عنه فهو وبال في الدنيا والآخرة وما لا يستغنى عنه فيقتصر فيه على
اقل الدرجات وهو الخزف من كل ما يكفي فيه الخزف ولا يبالي بان يكون مكسور الطرف اذا كان
المقصود يحصل به • واوسطها ان يكون له اثاث بقدر الحاجة صحيح في نفسه ولكن يستعمل الآلة
الواحدة في مقاصد كالذي معه قصعة يأكل فيها ويشرب فيها ويحفظ المتاع فيها وكان السلف
يستحبون استعمال آلة واحدة للتخفيف • واعلاها ان يكون له بعدد كل حاجة من الجنس آلة لا من
الجنس النفيس فان زاد في العدد او في نفاسة الجنس خرج عن جميع ابواب الزهد وركن الى
طلب الفضول ولينظر الى سيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم وسيرة الصحابة وقد قالت
عائشة رضي الله عنها كان ضجاع رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي ينام عليه وسادة
من ادم حشوها ليف وقال الفضيل ما كان فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم الا
عباءة مثنية ووسادة من ادم حشوها ليف وروي ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه
دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو نائم على سرير مرمول بالشريط فجلس فرأى

فرأى أثر الشريط في جنبه صلى الله عليه وسلم فدمعت عينا عمر رضي الله عنه
فقال النبي صلى الله عليه وسلم ما الذي أبكاك يا ابن الخطاب فقال ذكرت
كسرى وقيصر وما هما فيه من الملك وذكرتك وأنت رسول الله وحبيبه وصفيه
نائم على سرير مرمول بالشريط فقال صلى الله عليه وسلم أما ترضى يا عمر
أن تكون لهم الدنيا ولنا الآخرة قال بلى يا رسول الله قال فذلك كذلك ● ودخل رجل على
أبي ذر رضي الله عنه فجعل يقلب بصره في بيته فقال يا أبا ذر ما أرى في بيتك
متاعا ولا غير ذلك من الأثاث فقال إن لنا بيتا نوجه فيه صالح متاعنا فقال إنه لا
بد لك من متاع ما دمت ههنا فقال إن صاحب المنزل لا يدعنا فيه ● ولما قدم عمير
ابن سعد أمير حمص على عمر رضي الله عنه قال له ما معك من الدنيا فقال معي عصاي
أتوكأ عليها وأقتل بها حية إن لقيتها ومعي جرابي أحمل فيه طعامي ومعي قصعتي
آكل فيها وأغسل فيها ثوبي ورأسي ومعي مطهرتي أحمل فيها شرابي ووضوئي للصلاة فما
كان بعد هذا من الدنيا فهو تبع لما معي فقال عمر رضي الله عنه صدقت
رحمك الله وقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم من سفر فدخل على فاطمة رضي الله
عنها فرأى على باب منزلها سترا وفي يديها قلبين من فضة فرجع فدخل عليها أبو رافع
وهي تبكي فأخبرته برجوع رسول الله صلى الله عليه وسلم فسأله أبو رافع فقال
من أجل الستر والسوارين فأرسلت بهما بلالا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم
وقالت قد تصدقت بهما فضعهما حيث ترى فقال اذهب فبعه وادفعه إلى أهل الصفة
فباع القلبين بدرهمين ونصف وتصدق بهما عليهم فدخل عليها رسول الله صلى الله
عليه وسلم فقال بأبي أحسنت ورأى رسول الله صلى الله عليه وسلم على باب عائشة
رضي الله عنها سترا فهتكه وقال كلما رأيته ذكرت الدنيا أرسلي به إلى آل فلان
وفرشت له عائشة رضي الله عنها ذات ليلة فراشا جديدا وقد كان صلى الله
عليه وسلم ينام على عباءة مثنية فما زال يتقلب ليلته فلما أصبح قال لها أعيدي
العباءة الخلقة ونحي هذا الفراش عني قد أسهرني الليلة وكذلك أتته دنانير
خمسة أو ستة عشاء فبيتها فسهر ليلة حتى أخرجها من آخر الليل قالت عائشة رضي الله
عنها فنام حينئذ حتى سمعت غطيطه ثم قال ما ظن محمد بربه لو لقي الله وهذه عنده
وقال الحسن أدركت سبعين من الأخيار ما لأحدهم إلا ثوبه وما وضع أحدهم
بينه وبين الأرض ثوبا قط كان إذا أراد النوم باشر الأرض بجسمه وجعل ثوبه فوقه

المهم الخامس المنكح وقد قال قائلون لا معنى للزهد في أصل النكاح
ولا في كثرته واليه ذهب سهل ابن عبد الله وقال قد حبب الى سيد الزاهدين النسا
فكيف نزهد فيهن ووافقه ابن عيينة وقال كان ازهد الصحابة علي ابن ابي طالب
رضي الله عنه وكان له اربع نسوة وبضع عشرة سرية والصحيح ما قاله ابو سليمان الداراني
اذ قال كل ما شغلك عن الله من اهل ومال وولد فهو عليك شوم والمراة قد تكون شاغلة
عن الله تعالى وكشف الحق فيه انه قد تكون العزوبة افضل في بعض الاحوال كما سبق في
كتاب النكاح فيكون ترك النكاح من الزهد وحيث يكون النكاح افضل لدفع الشهوة الغالبة
فهو واجب فكيف يكون من الزهد تركه وان لم يكن عليه افة في تركه ولا في فعله ولكن ترك
النكاح احترازا من ميل القلب اليهن والانس بهن بحيث يشغل عن ذكر الله فترك ذلك من
الزهد فان علم ان المراة لا تشغل عن ذكر الله ولكن ترك ذلك احترازا عن لذة النظر
والمضاجعة والمواقعة فليس ذلك من الزهد اصلا فان الولد مقصود لبقاء نسله
وتكثير امة رسول الله صلى الله عليه وسلم من القربات واللذة التي تلحق الانسان فيما
هو من ضرورة الوجود لا تضره اذا لم يكن هي المطلب والمقصد وهذا كمن ترك اكل
الخبز وشرب الما احترازا من لذة الاكل والشرب وليس ذلك من الزهد لان في
ترك ذلك فوات بدنه وكذلك في ترك النكاح انقطاع نسله ولا يجوز ان يترك النكاح
زهدا في لذته من غير خوف افة اخرى وهذا ما عناه سهل لا محالة ولاجله
نكح رسول الله صلى الله عليه وسلم واذا ثبت هذا فمن حاله حال رسول الله صلى
الله عليه وسلم في انه لا يشغله كثرة النسوة ولا اشتغال القلب باصلاحهن
والانفاق عليهن فلا معنى لزهده فيهن حذرا من مجرد لذة الوقاع والنظر ولكن انى
يتصور ذلك لغير الانبيا والاوليا فاكثر الناس يشغلهم كثرة النسوان فينبغي ان لا يترك
الاصل ان كان يشغله وان لم يشغله وكان يخاف ان تشغله الكثرة منهن او جمال المراة
فلينكح واحدة غير جميلة وليراع قلبه في ذلك قال ابو سليمان الزهد في النسا ان
تختار المراة الدون او اليتيمة على المراة الجميلة والشريفة وقال الجنيد احب
للمريد المبتدي ان لا يشغل قلبه بثلاث والا تغير حاله التكسب وطلب الحديث
والتزويج وقال احب للصوفي ان لا يكتب ولا يقرا لانه اجمع لهمه فاذن ظهر ان لذة
النكاح كلذة الاكل فما يشغل عن الله فهو محذور فيهما جميعا **المهم السادس**
ما يكون وسيلة الى هذه الخمسة وهو المال والجاه اذ الجاه معناه ملك

التناكح

مثال ترك النكاح

ملك القلوب بطلب محل فيها ليتوصل بها إلى الاستعانة في الأغراض وكل من لا يقدر على القيام
بنفسه في جميع حاجاته وافتقر إلى من يخدمه افتقر إلى جاه لا محالة في قلب خادمه
لأنه إن لم يكن له عنده محل وقدر لم يقم بخدمته وقيام القدر والمحل في القلوب هو الجاه
وهذا أوله أول قريب ولكن يتمادى إلى هاوية لا عمق لها ومن حام حول الحمى يوشك أن يقع
وإنما يحتاج إلى المحل في القلوب إما لجلب نفع أو لدفع ضر والخلاص من ظلم وأما النفع
فيغني عنه المال فإن من يخدم بأجرة يخدم وإن لم يكن للمستأجر عنده قدر وإنما يحتاج
إلى الجاه في قلب من يخدم بغير أجرة وأما دفع الضر فيحتاج لأجله إلى الجاه في بلد
لا يكمل العدل فيه أو يكون بين جيران يظلمونه فلا يقدر على دفع شرهم إلا بمحل له في
قلوبهم أو محل له عند السلطان وقدر الحاجة فيه لا ينضبط لا سيما إذا انضم إليه الخوف و
سوء الظن بالعواقب والخائض في طلب الجاه سالك طريق الهلاك بل حق الزاهد
أن لا يسعى لطلب المحل في القلوب أصلاً فإن اشتغاله بالدين والعبادة يمهد له من المحل
في القلوب ما يدفع به عنه الأذى ولو كان بين الكفار فكيف بين المسلمين وأما التوهمات
والتقديرات التي تحوج إلى زيادة في الجاه على الحاصل بغير كسب فهي أوهام كاذبة
إذ من طلب الجاه أيضاً لم يخل عن أذى في بعض الأحوال فعلاج ذلك بالاحتمال والصبر
أولى من علاجه بطلب الجاه فإذن طلب المحل في القلوب لا رخصة فيه أصلاً واليسير منه
داع إلى الكثير وضراوته أشد من ضراوة الخمر فليحترز من قليله وكثيره وأما المال
فهو ضروري في المعيشة أعني القليل منه فإن كان كسوباً فإذا اكتسب حاجة يومه
فينبغي أن يترك الكسب كان بعضهم إذا اكتسب حبتين رفع سفطه وقام هذا
شرط الزهد فإن جاوز ذلك إلى ما يكفيه إلى أكثر من سنة فقد خرج عن حد ضعفاء
الزهاد وأقويائهم جميعاً وإن كانت له ضيعة ولم يكن له قوة يقين في التوكل فأمسك
منها مقدار ما يكفي ريعه لسنة واحدة فلا يخرج بهذا القدر عن الزهد بشرط أن
يتصدق بكل ما يفضل عن كفاية سنته ولكن يكون من ضعفاء الزهاد فإن شرط التوكل
في الزهد كما شرطه أويس القرني فلا يكون هذا من الزهاد وقولنا إنه خرج عن حد
الزهاد نعني به أن ما وعد الله للزاهدين في الدار الآخرة من المقامات المحمودة
لا يناله وإلا فاسم الزهد قد لا يفارقه بالإضافة إلى ما زهد فيه من الفضول
والكثرة وأمر المنفرد في جميع ذلك أخف من أمر المعيل وقد قال أبو سليمان لا ينبغي
للرجل أن يرهق أهله إلى الزهد بل يدعوهم إليه فإن أجابوا وإلا تركهم وفعل بنفسه

ما شاء. معناه أن التضييق المشروط على الزهد بحضه ولا يلزمه كل ذلك في عياله نعم لا
ينبغي أيضاً أن يجيبهم فيما يخرج عن حد الاعتدال وليتعلم من رسول الله صلى الله عليه
وسلم إذ انصرف من بيت فاطمة رضي الله عنها بسبب ستر وقلبين لأن ذلك من الزينة
لا من الحاجة فإذاً ما يضطر الإنسان إليه من جاه ومال ولبس محمود بل الزائد على
الحاجة سم قاتل والمقتصر على الضرورة دواء نافع وما بينهما درجات متشابهة فيما يقرب
من الزيادة وإن لم يكن سماً قاتلاً فهو مضر وما يقرب من الضرورة فهو معفو عنه وإن
لم يكن دواء نافعاً ولكنه قليل الضرر والسم محظور شربه والدواء فرض تناوله وما
بينهما مشتبه فمن احتاط إنما يحتاط لنفسه ومن تساهل فإنما يتساهل على نفسه ومن
استبرأ لدينه وترك ما يريبه إلى ما لا يريبه ورد نفسه إلى مضيق الضرورة فهو الآخذ
بالحزم وهو من الفرقة الناجية لا محالة والمقتصر على الضرورة والمهم لا يجوز أن ينسب إلى
الدنيا كل ذلك القدر من الدنيا هو عين الدين لأنه شرط الدين والشرط من جملة المشروط
ويدل عليه ما روي أن إبراهيم الخليل عليه السلام أصابته حاجة فذهب إلى صديق
له يستقرض حاجة فلم يقرضه فرجع مهموماً فأوحى الله تعالى إليه لو سألت خليلك لأعطاك
فقال يا رب عرفت مقتك للدنيا فخفت أن أسألك منها شيئاً فأوحى الله إليه ليس قدر الحاجة
من الدنيا. فإذن قدر الحاجة من الدين وما وراء ذلك وبال في الآخرة وهو في الدنيا كذلك
يعرفه من يخبر أحوال الأغنياء. وما عليهم من المحنة في كسب المال وجمعه وحفظه واحتمال
الذل فيه وغاية سعادته به أن يسلم لورثته فيأكلونه وربما يكونون أعداء له وقد
يستعينون به على المعصية فيكون هو معيناً لهم عليها ولذلك شبه جامع الدنيا ومتبع
الشهوات بدود القز لا يزال ينسج على نفسه حتى يقتلها ثم يروم الخروج فلا يجد
مخلصاً فيموت ويهلك بسبب عمله الذي عمله بنفسه فكذلك كل من اتبع شهوات
الدنيا إنما يحكم على قلبه سلاسل تقيده بما يشتهيه حتى تتظاهر عليه السلاسل فتقيده
المال والجاه والأهل والولد وشماتة الأعداء ومراءاة الأصدقاء وسائر حظوظ الدنيا
فلو خطر له أنه قد أخطأ فيه وقصد الخروج من الدنيا لم يقدر عليه ورأى قلبه مقيداً
بسلاسل وأغلال لا يقدر على قطعها ولو ترك محبوباً من محابه باختياره كاد أن يكون
قاتلاً لنفسه وساعياً في هلاكها إلى أن يفرق ملك الموت بينه وبين جميعها دفعة
واحدة فيبقى السلاسل من قلبه معلقة بالدنيا التي فاتته وخلفها فهي تجاذبه إلى
الدنيا ومخاليب ملك الموت قد علقت بقلبه تجذبه إلى الآخرة فيكون أهون أحواله عند

شركاء المال للوارث

اتباع
مثال شهوات
الدنيا

سكرات الموت

عند الموت ان يكون كشخص ينشر بالمنشار ويفصل احد جانبيه عن الاخر بالمجاهدة
من الجانبين والذي ينشر بالمنشار انما ينزل المولم ببدنه وتالم قلبه بذلك بطريق
السراية من حيث اثره فما ظنك بالم يتمكن اولا من صميم القلب مخصوصا به لا بطريق
السراية اليه من غيره فهذا اول عذاب يلقاه قبل ما يراه من حسرة فوت النزول
في اعلا عليين وجوار رب العالمين فالنزوع الى الدنيا يحجب عن لقاء الله وعند الحجاب
تتسلط عليه نار جهنم اذ النار غير مسلطة الا على محجوب قال الله تعالى كلا انهم عن
ربهم يومئذ لمحجوبون ثم انهم لصالوا الجحيم فرتب العذاب بالنار على الحجاب والم الحجاب كاف
في غير علاوة النار فكيف اذا اضيفت العلاوة اليه فنسأل الله تعالى ان يجوز في اسماعنا
ما نفث في روع رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث قيل له احبب ما احببت
فانك مفارقه وفي معنى ما ذكرناه في المثال قال الشاعر

كدود كدود القز ينسج دائما • ويهلك غما وسط ما هو ناسجه •

ولما انكشف لاولياء الله ان العبد يهلك نفسه باعماله واتباعه هوى نفسه اهلاك دود القز
نفسه رفضوا الدنيا بالكلية حتى قال الحسن رايت سبعين بدريا كانوا فيما احل الله لهم
ازهد منكم فيما حرم الله عليكم • وفي لفظ كانوا بالبلاء اشد فرحا منكم بالخصب والرخاء
لو رايتموهم قلتم مجانين ولو راوا اخياركم قالوا ما لهولاء من خلاق ولو راوا اشراركم لقالوا
ما يؤمن هولاء بيوم الحساب وكان احدهم يعرض له المال الحلال فلا ياخذه يقول اخاف
ان يفسد علي قلبي فمن كان له قلب فهو لا محالة يخاف من فساده والذين امات حب الدنيا قلوبهم
فقد اخبر الله تعالى عنهم اذ قال تعالى ورضوا بالحياة الدنيا واطمانوا بها والذين هم عن
اياتنا غافلون وقال تعالى ولا تطع من اغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه وقال تعالى
فاعرض عمن تولى عن ذكرنا ولم يرد الا الحيوة الدنيا ذلك مبلغهم من العلم فاحال ذلك كله
على الغفلة وعدم العلم ولذلك قال رجل لعيسى عليه السلام احملني معك في سياحتك
فقال اخرج مالك والحقني فقال لا استطيع فقال عليه السلام بعجب يدخل الغني الجنة او قال بشده
وقال بعضهم • ما من يوم ذر شارقه الا واربعة املاك ينادون في الافاق
باربعة اصوات • فملكان بالمشرق وملكان بالمغرب يقول احدهم بالمشرق يا باغي الخير هلم
ويا باغي الشر اقصر • ويقول الاخر اللهم اعط منفقا خلفا واعط ممسكا تلفا •
ويقول احد اللذان بالمغرب • لدوا للموت • وابنوا للخراب ويقول الاخر كلوا وتمتعوا
لطول الحساب

الاجتناب عن المال

غافل القلب

بيان علامات الزهد

اعلم انه قد يظن ان تارك المال زاهد وليس كذلك
فان ترك المال واظهار الخشونة سهل علي من احب المدح بالزهد فكم من الرهابين من ردوا
انفسهم كل يوم الي قدر يسير من الطعام ولازموا ديرا لا باب له وانما مسرة احدهم
معرفة الناس حاله ونظرهم اليه ومدحهم له فذلك لا يدل علي الزهد دلالة قاطعة
بل لا بد من الزهد في المال والجاه جميعا حتي يكمل الزهد بل في جميع حظوظ النفس من الدنيا
قد يدعي جماعة الزهد مع لبس الاصواف الفاخرة والثياب الرفيعة كما قال الخواص في وصف
المدعين اذ قال وقوم ادعوا الزهد ولبسوا الفاخر من اللباس يموهون بذلك علي الناس
ليهدي اليهم مثل لباسهم لئلا ينظر اليهم بالعين التي ينظر بها الي الفقرا فيحتقروا فيعطوا
كما يعطي المساكين ويحتجون لانفسهم باتباع العلم وانهم علي السنة وان الاشيا داخلة عليهم
وهم خارجون منها وانما ياخذون بعلة غيرهم هذا اذا طولبوا بالحقايق والجوا الي المضايق
وكل هولا اكلة الدنيا بالدين لم يعتنوا بتصفية اسرارهم ولا بتهذيب نفوسهم فظهرت
صفاتهم فغلبتهم فادعوها حالا فهم مايلون الي الدنيا متبعون للهوا فهذا كله كلام
الخواص رحمه الله فاذا معرفة الزهد مشكل بل حال الزاهد علي الزاهد مشكل وينبغي ان يعول
في باطنه علي ثلاث علامات الاولي ان لا يفرح بموجود ولا يحزن علي مفقود كما قال
تعالي لكيلا تاسوا علي ما فاتكم ولا تفرحوا بما اتاكم بل ينبغي ان يكون بالضد من ذلك
وهو ان يحزن بوجود المال ويفرح بفقده العلامة الثانية ان يستوي عنده
ذامه ومادحه فالاول علامة الزهد في المال والثاني علامة الزهد في الجاه العلامة
الثالثة ان يكون انسه بالله والغالب علي قلبه حلاوة الطاعة اذ لا يخلوا القلب عن
حلاوة المحبة اما محبة الدنيا واما محبة الله وهما في القلب كالماء والهوا في القدح
فالماء اذا دخل خرج الهوا ولا يجتمعا وكل من انس بالله اشتغل به ولم يشتغل بغيره ولذلك
قيل لبعضهم الي ما افضي بهم الزهد فقال الي الانس بالله فاما الانس بالدنيا وبالله
فلا يجتمع وقد قال اهل المعرفة اذا تعلق الايمان بظاهر القلب احب الدنيا والاخرة جميعا
وعمل لهما واذا بطن الايمان سويدا القلب وباشره ابغض الدنيا ولهذا ورد في دعا ادم
عليه السلام اللهم اني اسالك ايمانا يباشر قلبي وقال ابو سليمان من شغل بنفسه

مطلب

الذم والمدح

مثال محبة الله والدنيا

مطلب الزهد

بنفسه شغل عن الناس وهذا مقام العاملين ومن شغل بربه شغل عن نفسه
وهذا مقام العارفين والزهد لا بد ان يكون في احد هذين المقامين ومقامه الاول
ان يشتغل بنفسه وعند ذلك تستوي عنده الذم والمدح والوجود والعدم ولا
يستدل بامساكه قليلا من المال على فقد زهده اصلا قال ابن ابي الحواري قلت لابي
سليمان اكان داود الطائي زاهدا قال نعم قلت بلغني انه ورث من ابيه عشرين دينارا
فانفقها في عشرين سنة فكيف كان زاهدا وهو يمسك الدنانير فقال اردت منه
ان يبلغ حقيقة الزهد واراد بالحقيقة الغاية فان الزهد ليس له غاية لكثرة صفات
النفس ولا يتم الزهد الا بالزهد في جميعها فكل من ترك من الدنيا شيئا مع القدرة
عليه خوفا على قلبه وعلى دينه فله مدخل في الزهد بقدر ما تركه واخره ان يترك كل ما
سوى الله حتى لا يتوسد حجرا كما فعله عيسى عليه السلام فنسال الله تعالى ان
يرزقنا من مباديه نصيبا وان قل فان امثالنا لا يستجري على الطمع في غاياته
وان كان قطع الرجا عن فضل الله تعالى غير ماذون فيه واذا لاحظنا عجايب نعم الله علينا
علمنا ان الله لا يتعاظمه شي فلا بد في ان نعظم السوال اعتمادا على الجود المجاوز لكل كمال

مطلب

فاذا علامة الزهد استوا الغنى والفقر والعز والذل والمدح والذم وذلك لغلبة
الانس بالله ويتفرع على هذه العلامات علامات اخر لا محالة مثل ان يترك الدنيا
ولا يبالي من اخذها وقيل علامته ان يترك الدنيا كما هي ولا يقول ابني رباطا ولا
اعمر مسجدا وقال يحيى بن معاذ علامة الزهد
السخا بالموجود وقال ابن خفيف علامته الراحة في الخروج من الملك وقال ايضا
الزهد هو عزوف النفس عن الدنيا بلا تكلف وقال ابو سليمان الصوف علم من اعلام
الزهد فلا ينبغي ان يلبس صوفا بثلاثة دراهم وفي قلبه رغبة خمسة دراهم ⁂
وقال احمد بن حنبل علامة الزهد قصر الامل وقال سري
لا يطيب عيش الزاهد اذا اشتغل عن نفسه ولا يطيب عيش العارف اذا اشتغل
بنفسه ⁂ وقال النصراباذي الزاهد غريب في الدنيا والعارف غريب في الاخرة
وقال يحيى بن معاذ علامة الزهد ثلاث عمل بلا علاقة وقول بلا طمع وعز بلا رياسة
وقال ايضا الزاهد يسعطك الخل والخردل والعارف يشمك المسك والعنبر
وقال له رجل متى ادخل حانوت التوكل والبس ردا الزهد واقعد مع الزاهدين
فقال اذا صرت من رياضتك لنفسك في السر الى حد لو قطع الله عنك الرزق ثلاثة

ايام لم يضعف في نفسك واما اذا لم تبلغ هذه الدرجة فجلوسك على بساط الزاهدين جهل ثم لا آمن عليك ان تفتضح وقالت ايضا الدنيا كالعروس ومن يطلبها ماشطتها والزاهد فيها يسخم وجهها وينتف شعرها ويخرق ثوبها والعارف يشتغل بالله تعالى لا يلتفت اليها وقال السري مارست كل شي من امر الزهد فنلت منه ما اريد الا الزهد في الناس فاني لم ابلغه ولم اطقه وقال الفضيل جعل الله الشر كله في بيت وجعل مفتاحه حب الدنيا وجعل الخير كله في بيت وجعل مفتاحه الزهد فيها فهذا ما اردنا ان نذكره من حقيقة الزهد واحكامه واذا كان الزهد لا يتم الا بالتوكل فلنشرع في بيانه ان شا الله تعالى

مثل الدنيا

اخر كتاب الزهد ويتلوه كتاب التوحيد والتوكل

وهو الكتاب الخامس من ربع المنجيات فرغ من كتابته ثالث ربيع الاول سنة [illegible]

كتاب التوحيد والتوكل

وهو الكتاب الخامس من احياء علوم الدين للشيخ الامام
العالم العلامة شرف الائمة ابي حامد
محمد بن محمد بن محمد الغزالي
رحمه الله
تعالى
امين

بسم الله الرحمن الرحيم ○

الحمد لله المدبر للملك والملكوت ○ المنفرد بالعزة والجبروت ○ الرافع السماء
بغير عماد ○ المقدر فيها ارزاق العباد ○ الذي صرف اعين القلوب والالباب ○
عن ملاحظة الوسايط والاسباب ○ الى مسبب الاسباب ○ ودفع هممهم عن الالتفات
الى ما عداه ○ والاعتماد على مدبر سواه ○ فلم يعبدوا الا اياه ○ علما بانه
الواحد الفرد الصمد الاله ○ وتحقيقا بان جميع اصناف الخلق عباد امثالهم لا يبتغى
عندهم الرزق وانه ما من ذرة الا الى الله خلقها ○ وما من دابة الا على الله رزقها
فلما تحققوا انه لرزق عباده ضامن وبه كفيل ○ توكلوا عليه وقالوا حسبنا الله
ونعم الوكيل ○ والصلاة على محمد قامع الاباطيل ○ الهادي الى سواء السبيل
وعلى اله واصحابه وسلم كثيرا ○ اما بعد فان التوكل منزل من منازل الدين ○
ومقام من مقامات الموقنين ○ بل هو من معالي درجات المقربين ○ وهو في نفسه
غامض من حيث العلم ثم هو شاق من حيث العمل ووجه غموضه من حيث الفهم ○ ان
ملاحظة الاسباب والاعتماد عليها شرك في التوحيد والتباعد عنها بالكلية طعن في
السنة وقدح في الشرع والاعتماد على الاسباب من غير ان ترى اسبابا تغيير في وجه
العقل وانغماس في غمرة الجهل ○ وتحقيق معنى التوكل على وجه يتوافق فيه مقتضى
التوحيد والعقل والشرع في غاية الغموض والعسر ○ ولا يقوى على كشف هذا الغطاء مع
شدة هذا الخفاء ○ الا سماسرة العلماء ○ الذين اكتحلوا من فضل الله بانوار الحقائق
فابصروا وتحققوا ثم نطقوا بالاعراب عما شاهدوه من حيث استنطقوا ونحن
الان نبتدي بذكر فضيلة التوكل اما من الايات فقد قال الله تعالى وعلى الله
فتوكلوا ان كنتم مومنين ○ وقال وعلى الله فليتوكل المتوكلون ○ وقال
تعالى ومن يتوكل على الله فهو حسبه ○ وقال تعالى ان الله يحب المتوكلين واعظم
بمقام موسوم بمحبة الله تعالى صاحبه ومضمون بكفاية الله تعالى ملابسه فمن الله
حسبه وكافيه ومحبه ومراعيه فقد فاز الفوز العظيم فان المحبوب لا يعذب ولا يبعد
ولا يحجب ○ وقد قال الله تعالى اليس الله بكاف عبده ○ فطالب الكفاية من غيره
هو التارك للتوكل وهو المكذب بهذه الاية فانه سوال في معرض استنطاق بالحق
كقوله تعالى هل اتى على الانسان حين من الدهر لم يكن شيئا مذكورا ○ وقال تعالى
ومن يتوكل على الله فان الله عزيز حكيم ○ اي عزيز لا يذل من استجار به ولا

فضيلة التوكل

ولا يضيع من لاذ بجنابه والتجأ إلى ذماره وحكيم لا يقصر عن تدبير من توكل على تدبيره
وقال تعالى إن الذين تدعون من دون الله عباد أمثالكم بين أن كل ما سوى الله عبد
مسخر حاجته مثل حاجتك فكيف تتكل عليه وقال تعالى إن الذين تعبدون من دون الله
لا يملكون لكم رزقا فابتغوا عند الله الرزق واعبدوه وقال تعالى ولله خزائن
السموات والأرض ولكن المنافقين لا يفقهون وقال تعالى يدبر الأمر ما من شفيع
إلا من بعد إذنه **وكل ما ذكر في القرآن من التوحيد** فهو تنبيه على
قطع الملاحظة عن الأغيار والتوكل على الواحد القهار **وأما الأخبار**
فقد قال صلى الله عليه وسلم فيما رواه ابن مسعود أريت الأمم بالموسم فرأيت أمتي
قد ملأوا السهل والجبل فأعجبني كثرتهم وهيئتهم فقيل لي أرضيت قلت نعم قال ومع
هؤلاء سبعون ألفا يدخلون الجنة بغير حساب قيل من هم يا رسول الله فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم الذين لا يكتوون ولا يتطيرون ولا يسترقون وعلى ربهم يتوكلون
فقام عكاشة بن محصن فقال يا رسول الله ادع الله أن يجعلني منهم فقال اللهم اجعله منهم
فقام آخر فقال ادع الله أن يجعلني منهم فقال صلى الله عليه وسلم سبقك بها عكاشة
وقال صلى الله عليه وسلم لو أنكم تتوكلون على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق
الطير تغدو خماصا وتعود بطانا وقال صلى الله عليه وسلم من انقطع إلى الله كفاه الله
كل مؤونة ورزقه من حيث لا يحتسب ومن انقطع إلى الدنيا وكله الله إليها وقال صلى الله
عليه وسلم من سره أن يكون أغنى الناس فليكن بما عند الله أوثق منه بما في يديه ويروى
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه كان إذا أصاب أهله خصاصة قال قوموا إلى الصلاة
ويقول بهذا أمرني ربي قال الله تعالى وأمر أهلك بالصلاة واصطبر عليها الآية
وقال صلى الله عليه وسلم لم يتوكل من استرقى واكتوى وروي أنه لما قال
جبريل لإبراهيم عليهما السلام وقد رمي إلى النار من المنجنيق ألك حاجة فقال أما إليك فلا
وفا بقوله صلى الله عليه وسلم حسبنا الله ونعم الوكيل إذ قال ذلك حين أخذ ليرمى
به **وأوحى الله تعالى إلى داود عليه السلام** يا داود ما
من عبد يعتصم بي دون خلقي فتكيده السموات والأرض إلا جعلت له مخرجا **وأما
الآثار** فقد قال سعيد بن جبير لدغتني عقرب فأقسمت علي أمي لتسترقين
فناولت الراقي يدي التي لم تلدغ وقرأ الخواص قوله تعالى وتوكل على الحي الذي
لا يموت إلى آخرها فقال ما ينبغي للعبد بعد هذه الآية أن يلجأ إلى أحد غير الله عز وجل

رزقه الله كما يرزق الطير

لا ينبغي أن يلجأ إلى غير الله

وقيل لبعض العلماء في منامه من وثق بالله فقد أحرز قوته وقال بعض العلماء لا يشغلك
المضمون لك من الرزق عن المفروض عليك من العمل فتضيع أمر آخرتك ولا تنال من الدنيا
إلا ما قد كتبه الله لك وقال يحيى بن معاذ في وجود العبد الرزق من غير طلب
دلالة على أن الرزق مأمور بطلب العبد وقال إبراهيم بن أدهم سألت بعض الرهبان
من أين تأكل فقال ليس هذا العلم عندي ولكن سل ربي من أين يطعمني وقال هرم بن حيان
لأويس القرني أين تأمرني أن أكون فأومى إلى الشام فقال هرم كيف المعيشة بها فقال
أف لهذه القلوب قد خالطها الشك فما ينفعها الموعظة وقال بعضهم متى رضيت بالله
وكيلا وجدت إلى كل خير سبيلا ٥

بيان حقيقة التوحيد
الذي هو أصل التوحيد

اعلم أن التوكل من أبواب الإيمان وجميع أبواب الإيمان لا تنتظم
إلا بعلم وحال وعمل والتوكل كذلك ينتظم من علم هو الأصل وعمل هو الثمرة وحال هو
المراد باسم التوكل فلنبدأ ببيان العلم الذي هو الأصل وهو المسمى
إيمانا في أصل اللسان إذ الإيمان هو التصديق وكل تصديق بالقلب فهو علم وإذا قوي
سمي يقينا ولكن أبواب اليقين كثيرة ونحن إنما نحتاج منها إلى ما يبنى عليه التوكل وهو
التوحيد الذي يترجمه قولك لا إله إلا الله وحده لا شريك له والإيمان بالقدرة التي
يترجم عنها قولك له الملك والإيمان بالجود والحكمة قولك وله الحمد فمن قال لا إله إلا الله
وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير فقد تم له الإيمان الذي
هو أصل التوكل أعني أن يصير معنى هذا القول وصفا لازما لقلبه غالبا عليه ٥
فأما التوحيد فهو الأصل والقول فيه يطول وهو من علم المكاشفة
ولكن بعض علوم المكاشفات يتعلق بالأعمال بواسطة الأحوال ولا يتم علم المعاملة
إلا به فإذن لا نتعرض إلا للقدر الذي يتعلق بالمعاملة وإلا فالتوحيد هو البحر الخضم
الذي لا ساحل له فنقول التوحيد أربع مراتب وهو منقسم إلى لب
ولب اللب وإلى قشر وقشر القشر ولنمثل ذلك تقريبا إلى الأفهام الضعيفة بالجوز
في قشرته العليا فإن له قشرتين وله لب وللب دهن هو لب اللب فالمرتبة الأولى من

الرزق

الايمان

كلمة الشهادة

والتوحيد

ومثال التوحيد والايمان

من التوحيد ان يقول الانسان بلسانه لا اله الا الله وقلبه غافل عنه او
منكر له كتوحيد المنافق والثانية ان يصدق بمعنى اللفظ قلبه كما صدق
به عموم المسلمين وهو اعتقاد والثالثة ان يشاهد ذلك بطريق الكشف بواسطة
نور الحق وهو مقام المقربين وذلك بأن يرى اشيا كثيرة ولكنه يراها على كثرتها صادرة
من الواحد القهار والرابعة ان لا يرى في الوجود الا واحدا وهو مشاهدة
الصديقين وتسميه الصوفية الفنا في التوحيد لانه من حيث لا يرى الا واحدا فلا يرى
نفسه ايضا واذا لم ير نفسه لكونه مستغرقا بالواحد كان فانيا عن نفسه في
توحيده بمعنى انه فني عن رؤية نفسه والخلق فالاول موحد بمجرد اللسان
ويعصم ذلك صاحبه في الدنيا عن السيف والسنان والثاني موحد بمعنى انه
معتقد بقلبه مفهوم لفظه وقلبه خال عن التكذيب بما انعقد عليه قلبه وهو
عقدة على القلب ليس فيه انشراح وانفساح ولكنه يحفظ صاحبه عن العذاب في
الآخرة ان توفي عليه ولم تضعف بالمعاصي عقدته ولهذا العقد حيل يقصد بها
تضعيفه وتحليله تسمى بدعة وله حيل يقصد بها دفع حيلة التحليل والتضعيف
ويقصد بها ايضا احكام هذه العقدة وشدها على القلب وتسمى كلاما
والعارف بها يسمى متكلما وهو في مقابلة المبتدع عن تحليل هذه العقدة
عن قلوب العوام وقد يخص المتكلم باسم الموحد من حيث انه يحمي بكلامه مفهوم لفظ
التوحيد على قلوب العوام حتى لا ينحل عقدته والثالث موحد بمعنى انه لم يشاهد
الا فاعلا واحدا اذا انكشف له الحق كما هو عليه ولا فاعل بالحقيقة الا واحد وقد
انكشف له الحقيقة كما هي عليه لا انه كلف قلبه ان يعتقد على مفهوم لفظ الحقيقة
فان تلك رتبة العوام والمتكلمين اذ لم يفارق المتكلم العامي في الاعتقاد بل في
صنعة تلفيق الكلام الذي به يدفع حيل المبتدع في تحليل هذه العقدة والرابع
موحد بمعنى انه لم يحضر في شهوده غير الواحد فلا يرى الكل من حيث انه كثير
بل من حيث انه واحد وهذه هي الغاية القصوى في التوحيد فالاول كالقشرة العليا
من الجوز والثاني كالقشرة السفلى والثالث كاللب والرابع كالدهن المستخرج
من اللب وكما ان القشرة العليا لا خير فيها بل ان اكلت فهي مر المذاق وان نظر الى
باطنها فهو كريه المنظر وان اتخذ حطبا اطفا النار واكثر الدخان وان ترك في البيت
ضيق المكان فلا يصلح ان يترك مدة على الجوز الصوان ثم يرمى به عنه فكذلك التوحيد

كلمة الشهادة

مطلب الفنا في التوحيد

مثال كلمة الشهادة

بمجرد اللسان دون التصديق بالقلب عديم الجدوى كثير الضرر مذموم الظاهر
والباطن ولكنه ينفع مدة في حفظ القشرة السفلى الى وقت الموت والقشرة السفلى
هي القالب والبدن وتوحيد المنافق يصون بدنه عن سيف الغزاة فانهم لم يومروا
بشق القلوب والسيف انما يصيب جسم البدن وهو القشر وانما يتجرد عنه بالموت
فلا يبقى لتوحيده فايدة بعده وكما ان القشرة السفلى ظاهرة النفع بالاضافة الى
القشرة العليا فانها تصون اللب وتحرسه عن الفساد عند الادخار واذا فصل امكن
ان ينتفع به حطبا لكنه نازل القدر بالاضافة الى اللب فكذلك مجرد الاعتقاد من غير
كشف كثير النفع بالاضافة الى مجرد نطق اللسان ناقص القدر بالاضافة الى الكشف
والمشاهدة التي تحصل بانشراح الصدر وانفساحه واشراق نور الحق فيه اذ الشرح هو
المراد بقوله فمن يرد الله ان يهديه يشرح صدره للاسلام وبقوله تعالى افمن شرح
الله صدره للاسلام فهو على نور من ربه وكما ان اللب نفيس في نفسه بالاضافة الى
القشر وكانه المقصود ولكنه لا يخلو عن شوب عصارة بالاضافة الى الدهن المستخرج
منه فكذلك توحيد الفعل مقصد عال للسالكين ولكنه لا يخلو عن شوب ملاحظة الغير
والالتفات الى الكثرة بالاضافة الى من لا يشاهد سوى الواحد الحق فان قلت كيف
يتصور ان لا يشاهد الا واحدا وهو يشاهد السما والارض وساير الاجسام المحسوسة
وهي كثيرة فكيف يكون الكثير واحدا فاعلم ان هذه غاية علوم المكاشفات
واسرار هذا العلم لا يجوز ان تسطر في كتاب فقد قال العارفون افشا سر
الربوبية كفر ثم هو غير متعلق بعلوم المعاملة نعم ذكر ما يكسر سورة استبعادك
ممكن وهو ان الشي قد يكون كثيرا بنوع مشاهدة واعتبار ويكون واحدا بنوع اخر
من المشاهدة والاعتبار وهذا كما ان الانسان كثير اذا التفت الى روحه وجسده
واطرافه وعروقه وعظامه واحشايه وهو باعتبار اخر ومشاهدة اخرى واحد
اذ نقول انه انسان واحد فهو بالاضافة الى الانسانية واحد وكم من شخص يشاهد
انسانا ولا يخطر بباله كثرة امعايه وعروقه واطرافه وتفصيل روحه وجسده
والفرق بينهما انه في حالة الاستغراق والاستهتار به مستغرق بواحد ليس فيه تفرق
وكانه في عين الجمع والملتفت الى الكثرة في تفرقة فكذلك كل ما في الوجود من الخالق
والمخلوق له اعتبارات ومشاهدات كثيرة مختلفة وهو باعتبار واحد من الاعتبارات
واحد وباعتبار اخر سواه كثير بعضه اشد من كثرة بعض ومثال الانسان وان

مطلب

وان كان لا يطابق الغرض ولكنه ينبه بالجملة على كيفية مصير الكثرة في حكم المشاهدة واحدا
وتستفيد بهذا الكلام ترك الانكار والجحود لمقام لم تبلغه وتؤمن به ايمان
تصديق فيكون لك من حيث انك مؤمن بهذا التوحيد نصيب وان لم يكن ما امنت به
صفتك كما انك اذا امنت بالنبوة وان لم تكن نبيا كان لك نصيب منها بقدر قوة
ايمانك وهذه المشاهدة التي لا يظهر فيها الا الواحد الحق تارة تدوم وتارة تطرى
كالبرق الخاطف وهو الاكثر والدوام نادر عزيز والى هذا اشار الحسين بن منصور الحلاج
حيث راى الخواص يدور في الاسفار فقال فيم انت فقال ادور في الاسفار لاصحح حالي
في التوكل وقد كان من المتوكلين فقال الحسين قد افنيت عمرك في عمران باطنك
فاين الفنا في التوحيد فكان الخواص في تصحيح المقام الثالث من التوحيد فطالبه بالمقام الرابع
فهذه مقامات الموحدين في التوحيد على سبيل الاجمال فان قلت فلا بد لهذا من
شرح بمقدار ما يفهم كيفية ابتنا التوكل عليه فاقول اما الرابع فلا يجوز الخوض في
بيانه وليس التوكل ايضا مبنيا عليه بل يحصل حال التوكل بالتوحيد الثالث واما الاول
وهو النفاق فهو واضح واما الثاني وهو الاعتقاد فهو موجود في عموم المسلمين وطريق
تاكيده بالكلام ودفع حيل المبتدعة فيه مذكور في علم الكلام وقد ذكرنا في كتاب الاقتصاد
في الاعتقاد القدر المهم منه واما الثالث وهو الذي ينبني عليه اذ مجرد التوحيد بالاعتقاد
لا يورث حال التوكل فلنذكر منه القدر الذي يرتبط التوكل به دون تفصيله الذي لا يحتمله
امثال هذا الكتاب وحاصله ان ينكشف لك ان لا فاعل الا الله تعالى وان كل موجود
من خلق ورزق وعطا ومنع وحياة وموت وغنى وفقر الى غير ذلك مما ينطلق عليه اسم
فالمنفرد بابداعه واختراعه هو الله تعالى لا شريك له فيه واذا انكشف لك هذا لم
تنظر الى غيره بل كان منه خوفك واليه رجاوك وبه ثقتك وعليه اتكالك فانه الفاعل على
الانفراد دون غيره وما سواه مسخرون لا استقلال لهم بتحريك ذرة من ملكوت السموات
والارض فاذا انفتحت لك ابواب المكاشفة اتضح لك هذا اتضاحا اتم من المكاشفة
بالبصر وانما يصدك الشيطان عن هذا التوحيد في مقامين يبتغي به ان يطرق الى قلبك
شايبة الشرك احدهما الالتفات الى اختيار الحيوانات والثاني الالتفات الى الجمادات
اما الالتفات الى الجمادات فاعتمادك على المطر في خروج الزرع ونباته ونمايه وعلى
الغيم في نزول المطر وعلى البرد في اجتماع الغيم وعلى الريح في استوا السفينة وسيرها
وهذا كله شرك في التوحيد وجهل بحقايق الامور ولذلك قال الله تعالى فاذا

مطلب الاعتقاد

الرجاء مع الله لا مع غيره

الشرك في التوحيد
عجايب

ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين فلما انجاهم الى البر اذا هم يشركون وقيل يقولون
لولا استوا الريح لما نجونا ومن انكشف له امر العالم كما هو عليه علم ان الريح هو الهوا
والهوا لا يتحرك بنفسه ما لم يحركه محرك وكذا محركه وهكذا الى ان ينتهي الى المحرك الاول
الذي لا محرك له ولا متحرك في نفسه فالتفات العبد في النجاة الى الريح يضاهي التفات
من اخذ لتحز رقبته فكتب الملك توقيعا بالعفو عنه وتخليته فاخذ يشتغل بشكر الحبر
والكاغد والقلم الذي به كتب التوقيع ويقول لولا القلم لما تخلصت فيرى نجاته من القلم
لا من محرك القلم وهو غاية الجهل ومن علم ان القلم لا حكم له في نفسه وانما هو مسخر في يد
الكاتب لم يلتفت اليه فلم يشكر الا الكاتب بل ربما يدهشه فرح النجاة وشكر الملك
الموقع عن ان يخطر بباله القلم والحبر والدواة فالشمس والقمر والنجوم والمطر والارض والغيم
وكل حيوان وجماد مسخرات في قبضة القدرة كتسخير القلم في يد الكاتب بل هذا تمثيل في حقك
لاعتقادك ان الملك الموقع هو كاتب التوقيع والحق ان الله تعالى هو الكاتب كما قال تعالى وما
رميت اذ رميت ولكن الله رمى واذا انكشف لك ان جميع ما في السموات والارض مسخر على
هذا الوجه انصرف عنك الشيطان خائبا وايس عن مزج توحيدك بهذا الوجه فياتيك في
المهلكة الثانية وهي الالتفات الى اختيار الحيوانات في الافعال الاختيارية
ويقول كيف ترى الكل من الله وهذا الانسان يعطيك رزقك باختياره فان شاء قطع عنك
وهذا الشخص هو الذي يحز رقبتك بسيفه وهو قادر عليك ان شا حز رقبتك وان شا عفى
عنك فكيف لا تخافه وكيف لا ترجوه وامرك بيده وانت تشاهد ذلك ولا شك فيه
ويقول ايضا نعم ان كنت لا ترى القلم لانه مسخر فكيف لا ترى الكاتب بالقلم وهو المسخر له
وعند هذا زل اقدام الاكثرين الا عباد الله المخلصين الذين لا سلطان عليهم للشيطان اللعين
فشاهدوا بنور البصائر كون الكاتب مسخرا مضطرا كما شاهد جميع الضعفا كون القلم
مسخرا وعلموا ان غلط الضعفا في ذلك كغلط النملة مثلا لو كانت تدب على الكاغد فترى راس
القلم يسود الكاغد ولم يمتد بصرها الى الاصابع الكاتب ويده فضلا عن صاحب اليد فغلطت
وظنت ان القلم هو المسود للبياض وذلك لقصور بصرها عن مجاوزة راس القلم لضيق حدقتها
فكذلك من لم ينشرح بنور الله صدره فقصرت بصيرته عن ملاحظة جبار السموات
والارض ومشاهدة كونه قهارا ورا الكل فوقف في الطريق على الكاتب وهو جهل محض بل
ارباب القلوب والمشاهدات قد انطق الله في حقهم كل ذرة في الارض والسموات بقدرته
التي بها انطق كل شي حتى سمعوا تقديسها وتسبيحها وشهادتها على نفسها بالعجز بلسان ذلق

امر العالم في امر الله من السماء والارض والنجوم

مطلب الاعتقاد

مثال الاعتقاد عجايب

كلام الله

فلو يتكلم بلا حرف ولا صوت لا يسمعه الذين هم عن السمع معزولون ولست اعني به السمع الظا
الذي لا يجاوز الاصوات فان الحمار شريك فيه ولا قدر لما يشارك فيه البهايم وانما اريد
به سمعا يدرك به كلاما ليس بحرف ولا صوت ولا هو عربي ولا عجمي فان قلت فهذه
اعجوبة لا يقبلها عقلي فصف لنا كيفية نطقها وانها كيف نطقت وبما نطقت
وكيف سبحت وكيف قدست وكيف شهدت على انفسها بالعجز فاعلم ان لكل ذرة
في السموات والارض مع ارباب القلوب مناجاة في السر وذلك مما لا ينحصر ولا يتناهي
فانها كلمات تستمد من بحر كلام الله الذي لا نهاية له ولو كان البحر مدادا لكلمات ربي
لنفد البحر قبل ان تنفد كلمات ربي ولو جئنا بمثله مددا ثم انها تناجي باسرار الملك
والملكوت وافشاء السر لؤم بل صدور الاحرار قبور الاسرار وهل رايت قط امينا
على اسرار الملك قد يوحي بخفاياه فنادي بسره على ملا من الخلق ولو جاز افشاء كل سر
لما قال صلى الله عليه وسلم لو تعلمون ما اعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا
بل كان يذكر ذلك لهم حتى يبكون ولا يضحكون ولما نهى عن افشاء سر القدر ولما قال اذا
ذكر النجوم فامسكوا واذا ذكر القدر فامسكوا واذا ذكر اصحابي فامسكوا ولما خص
حذيفة رضي الله عنه ببعض الاسرار فاذا حكاية مناجاة ذرات الملك والملكوت
لقلوب ارباب المشاهدات منعها مانعان احدهما استحالة افشاء السر والثاني خروج
كلماتها عن الحصر والنهاية ولكنا في المثال الذي كنا فيه وهو حركة القلم نحكي
من مناجاتها قدرا يسيرا يفهم منه على الاجمال كيفية ابتنائها التوكل عليه ونرد كلماتها
الي الحروف والاصوات وان لم تكن هي حروفا واصواتا ولكن هذه ضرورة التفهيم
فنقول قال بعض الناظرين عن مشكاة نور الله
تعالي للكاغد وقد راه اسود وجهه بالحبر ما بال وجهك كان ابيض مشرقا والان قد ظهر
عليه السواد فلم سودت وجهك وما السبب فيه فقال الكاغد ما انصفتني في هذه
المطالبة فاني ما سودت وجهي بنفسي ولكن سل الحبر فانه كان مجموعا في المحبرة التي هي مستقره
ووطنه فسافر عن وطنه ونزل بساحة وجهي ظلما وعدوانا فقال صدقت فسال الحبر عن
ذلك فقال ما انصفتني فاني كنت في المحبرة وادعا ساكنا عازما على ان لا ابرح منها
فاعتدى علي القلم بطمعه الفاسد واختطفني من وطني واجلاني عن بلادي وفرق جمعي
وبددني كما ترى على ساحة بيضاء فالسوال عليه لا علي فقال صدقت ثم سال القلم
عن السبب في ظلمه وتعديه واخراج الحبر عن وطنه فقال سل اليد والاصابع فاني

عجايب
موهلي براهلي تصوفدن
استماع اولنور

كنت قصبا نابتا على شط الانهار متنزها بين خضرة الاشجار فجاءتني اليد بسكين فازالت
عني قشري ومزقت علي ثيابي واقتلعتني عن اصلي ثم فصلت بين انابيبي ثم برتني وشقت
راسي ثم غمستني في سواد الحبر ومرارته وهو ذا يستخدمني ويمشيني على قمة راسي
فلقد نثرت الملح في جرحي بسؤالك فتنح عني واسأل من قهرني فقال صدقت ثم سأل اليد
عن ظلمها للقلم وتعديها واستخدامها له فقالت اليد ما انا الا لحم وعظم ودم وهل
رأيت لحما يظلم او جسما يتحرك بنفسه وانما انا مركب مسخر ركبني فارس يقال له القدرة
والقوة فهي التي تردني وتجول بي في نواحي الارض اما ترى المدر والحجر والشجر لا
يتعدى شيء منه مكانه ولا يتحرك بنفسه اذ لم يركبه مثل هذا الفارس القوي القاهر
اما ترى ايدي الموتى تساويني في صورة اللحم والعظم والدم ثم لا معاملة بينها وبين
القلم فانا ايضا من حيث انا لا معاملة بيني وبين القلم فسل القدرة عن شاني فاني
مركب ازعجني من ركبني فقال صدقت ثم سأل القدرة عن شانها في استعمال اليد واستخدامها
وكثرة ترديدها لها فقالت دع لومي ومعاتبتي فكم من لائم ملوم وكم من ملوم لا ذنب له
وكيف خفي عليك امري او كيف ظننت اني ظلمت لما ركبتها ولقد كنت لها راكبة قبل التحريك
وما كنت احركها ولا استسخرها بل كنت نائمة ساكنة نوما ظن الظانون بي اني ميتة
او معدومة لاني ما كنت اتحرك ولا احرك حتى جاءني محرك مزعج ازعجني وارهقني الى ما تراه
مني فكانت لي قوة على مساعدته ولم تكن لي قوة على مخالفته وهذا الموكل يسمى الارادة
ولا اعرفه الا باسمه وهجومه وصياله اذ ازعجني من غمرة النوم وارهقني الى ما كان لي
مندوحة عنه لو خلاني ورأيي فقال صدقت ثم سأل الارادة ما الذي جرأك على هذه القدرة
الساكنة المطمئنة حتى صرفتها الى التحريك وارهقتها اليه ارهاقا لم تجد عنه مخلصا ومناصا
فقالت الارادة لا تعجل علي فلعل لنا عذرا وانت تلوم فاني ما انتهضت بنفسي ولكن
انهضت وما انبعثت ولكن بعثت بحكم قاهر وامر جازم وكنت ساكنة قبل مجيئه ولكن
ورد علي من حضرة القلب رسول العلم على لسان العقل بالاشخاص للقدرة فاشخصتها باضطرار
فاني مسكينة مسخرة تحت قهر العلم والعقل ولا ادري باي جرم وقفت عليه وسخرت له
والزمت طاعته ولكني ادري اني في دعة وسكون ما لم يرد علي هذا الوارد القاهر
وهذا الحاكم العادل والظالم وقد وقفت عليه وقفا والزمت طاعته الزاما بل لا يبقى لي
معه مهما جزم حكمه طاقة على المخالفة لعمري ما دام هو في التردد مع نفسه والتحير
في حكمه فانا ساكنة لكن مع استشعار وانتظار لحكمه فاذا انجزم حكمه ازعجت بطبع

مطلب عجايب

صورة الانسان

ارادة الانسان

بطبع وقهر حتى طاعته واستحثت القدرة لتقوم بموجب حكمه فسل العلم عن شأني
ودع عني عتابك فاني اقول مهما ارتحلت عن قوم وقد قدروا ان لا افارقهم فالراحلون
هم فقال صدقت واقبل على العلم والعقل والقلب مطالبا لهم ومعاتبا اياهم
على استنهاض الارادة وتسخيرها لاشخاص القدرة فقال العقل اما انا فسراج ما اشتعلت
بنفسي ولكني اشعلت وقال القلب اما انا فلوح ما انبسطت بنفسي ولكني بسطت
وقال العلم اما انا فنقش نقشت في بياض لوح القلب لما اشرق سراج العقل وما
انخططت بنفسي فكم كان هذا اللوح خاليا عني فسل القلم عني فان الخط لا يكون الا
بالقلم فعند هذا يتعتع السائل ولم يقنعه جوابه وقد طال تعبي في هذا الطريق
وكثرت منازلي ولا يزال يحيلني من طمعت في معرفة هذا الامر منه على غيره ولكني
قد كنت اطيب نفسا بكثرة الترداد لما كنت اسمع كلاما مقبولا في الفؤاد وعذرا
ظاهرا في دفع السؤال فاما قولك اني خط ونقش وانما خطني قلم فلست افهمه لاني لا اعلم
قلما الا من القصب ولا لوحا الا من العظم او من الخشب ولا خطا الا بالحبر ولا سراجا الا
من النار واني لاسمع في هذا المنزل حديث اللوح والسراج والخط والقلم ولا اشاهد
من ذلك شيئا اسمع جعجعة ولا ارى طحنا فقال له القلم ان صدقت فيما قلت فبضاعتك
مزجاة وزادك قليل ومركبك ضعيف واعلم ان المهالك في الطريق الذي توجهت
اليه كثيرة فالصواب لك ان تنصرف وتدع ما انت فيه فما هذا بعشك فادرج عنه فكل
ميسر لما خلق له وان كنت راغبا في استتمام الطريق الى المقصد فالق سمعك وانت
شهيد واعلم ان العوالم في طريقك هذا ثلاثة عالم الملك والشهادة اولها
ولقد كان الكاغد والقلم والحبر واليد من هذا العالم ولقد جاوزت تلك المنازل
على سهولة والثاني عالم الملكوت وهو ورائي واذا جاوزتني انتهيت الى
منازله وفيه المهامه الفيح والجبال الشاهقة والبحار المغرقة ولا ادري كيف تسلم
فيها والثالث عالم الجبروت وهو بين عالم الملك وعالم الملكوت ولقد
قطعت منه ثلاث منازل اذ في اوائله منزلة القدرة والارادة والعلم وهو
واسطة بين عالم الملك والملكوت لان عالم الملك اسهل منه طريقا وعالم الملكوت
اوعر منه منهجا وانما عالم الجبروت بين عالم الملك وعالم الملكوت يشبه السفينة
التي في الحركة بين الارض والماء فلا هي في حد اضطراب الماء ولا هي في حد سكون الارض
وثباتها وكل من يمشي على الارض يمشي في عالم الملك والشهادة فان جاوزت قوته

مسئلة عقل والعلم

عالم الملك والشهادة
عالم الملكوت
عالم الجبروت
غرايب ومثالها

ف

في الحد تقوى في ركوب السفينة كان يمكن يمشي في عالم الجبروت فإن انتهى أن يمشي على الماء
من غير سفينة مشى في عالم الملكوت من غير تتعتع فإن كنت لا تقدر على المشي على الماء
فانصرف فقد جاوزت الارض وخلفت السفينة ولم يبق بين يديك الا الماء الصافي واول
عالم الملكوت مشاهدة القلم الذي يكتب به العلم وحصول اليقين الذي يمشي به على الماء
اما سمعت قول رسول الله صلى الله عليه وسلم في عيسى عليه السلام لو ازداد يقينا
لمشى في الهواء لما قيل له انه كان يمشي على الماء فقال السالك السائل قد تحيرت في امري
واستشعر قلبي خوفا مما وصفته من خطر الطريق ولست ادري اطيق قطع هذه المهامه
التي وصفتها ام لا فهل لذلك من علامة قال نعم افتح بصرك واجمع ضوء عينيك وحدقه
نحوي فان ظهر لك القلم الذي به اكتب في لوح القلب فيشبه ان تكون اهلا لهذا الطريق
فان كل من جاوز عالم الجبروت وقرع اول باب من ابواب الملكوت كوشف بالقلم اما ترى ان
النبي صلى الله عليه وسلم في اول امره كوشف بالقلم اذ نزل عليه قوله تعالى اقرا باسم
ربك الذي خلق الى قوله وربك الاكرم الذي علم بالقلم علم الانسان ما لم يعلم
فقال السايل لقد فتحت بصري وحدقته فوالله ما ارى قصبا ولا خشبا ولا اعلم قلما
الا كذلك فقال العلم لقد ابعدت النجعة اما سمعت ان متاع البيت يشبه رب البيت
اما علمت ان الله تعالى لا تشبه ذاته بساير الذوات وكذلك لا تشبه يده الايدي
ولا قلمه الاقلام ولا كلامه ساير الكلام ولا خطه ساير الخطوط وهذه امور الهية من عالم
الملكوت فليس الله تعالى في ذاته بجسم ولا هو في مكان بخلاف غيره ولا يده لحم وعظم
ودم بخلاف الايدي ولا قلمه من قصب ولا لوحه من خشب ولا كلامه بصوت ولا حرف
ولا خطه رقم ورسم ولا مداده زاج وعفص فان كنت لا تشاهد هذا هكذا فما اراك الا
مخنثا بين فحولة التنزيه وانوثة التشبيه مذبذبا بين هذا وذاك لا الى هؤلاء ولا
الى هؤلاء فكيف نزهت ذاته تعالى وصفاته عن الاجسام وصفاتها ونزهت كلامه
عن معاني الحروف والاصوات واخذت تتوقف في يده وقلمه ولوحه وخطه فان كنت قد
فهمت من قوله تعالى خلق ادم على صورته الصورة الظاهرة المدركة بالبصر فكن مشبها مطلقا
كما يقال كن يهوديا صرفا والا فلا تلعب بالتوراة وان فهمت منه الصورة الباطنة
التي تدرك بالبصاير لا بالابصار فكن منزها صرفا ومقدسا فحلا واطو الطريق
فانك بالواد المقدس طوى واستمع بسر قلبك لما يوحى فلعلك تجد على النار هدى
ولعلك من سرادقات العرش تنادي بما نودي به موسى اني انا ربك الاعلى فلما سمع

ف

عقايد في حق الله عجايب

كلام الله تعالى

ان الله ح

ق

سمع السالك من العلم ذلك استشعر قصور نفسه وانه مخنث في التشبيه والتنزيه
واشتعل قلبه نارا من شدة غضبه على نفسه لما راها بعين النقص ولقد كان زيته
الذي في مشكاة قلبه يكاد يضيء ولو لم تمسسه نار فلما نفخ فيه العلم بحدته اشتعل
زيته فاصبح نورا فقال له العلم اغتنم هذه الفرصة وافتح بصرك لعلك تجد
على النار هدى ففتح بصره فانكشف له القلم الالهي فاذا هو كما وصفه العلم
في التنزيه ما هو من خشب ولا قصب ولا له راس ولا ذنب وهو يكتب على الدوام في قلوب
البشر كلهم اصناف العلوم وكان له في كل قلب راسا ولا راس له فقضى منه العجب
وقال نعم الرفيق جزاه الله عني خيرا اذ الان ظهر لي صدق انبائه عن اوصاف القلم
فاني اراه قلما لا كالاقلام فعند هذا ودع العلم وشكره وقال قد طال مقامي عندك
ومرادي لك وانا عازم على السفر الى حضرة القلم فاساله عن شانه فسافر اليه وقال
ايها القلم ما بالك تخط على الدوام في القلوب من العلوم ما تبعث به الارادات
الى اشخاص القدر وصرفها الى المقدورات فقال لقد نسيت ما رايت في عالم الملك
والشهادة وسمعته من جواب القلم اذ سالته فاحالك على اليد فقال لم انس ذلك فقال
فجوابي مثل جوابه قال كيف وانت لا تشبهه قال القلم اما سمعت ان الله تعالى خلق ادم
على صورته قال بلى قال فسل عن شاني الملقب بيمين الملك فاني في قبضته هو الذي
يرددني وانا مقهور مسخر فلا فرق بين القلم الالهي وقلم الادمي في معنى التسخير
وانما الفرق في ظاهر الصورة فقال ومن يمين الملك فقال القلم اما سمعت قوله
تعالى والسموات مطويات بيمينه قال بلى قال فالاقلام ايضا في قبضة يمينه هو
الذي يرددها فسار السالك من عنده الى اليمين حتى شاهده وراى من عجائبه ما يزيد
على عجائب القلم ولا يجوز وصف شيء من ذلك ولا شرحه بل لا تحوي مجلدات كثيرة عشر
عشير وصفه والجملة فيه انه يمين لا كالايمان ويد لا كالايدي واصبع لا كالاصابع
فراى القلم محركا في قبضته فظهر له عذر القلم فسال اليمين عن شانه وتحريكه
للقلم فقال جوابي ما سمعته من اليمين الذي رايته في عالم الشهادة وهو الحوالة على
القدرة اذ اليد لا حكم لها في نفسها وانما محركها القدرة لا محالة فسار السالك
الى عالم القدرة فراى فيه من العجائب ما استحقر عندها ما قبل ذلك فسالها عن تحريك
اليمين فقالت انما انا صفة فسل القادر اذ العهدة على الموصوفات لا على الصفات
وعند هذا كاد ان يزيغ ويطلق بالجراءة لسان السؤال فثبت بالقول الثابت ونودي

من وراء حجاب سرادقات الحضرة لا يسأل عما يفعل وهم يسألون فغشيته هيبة الحضرة فخر
صعقاً يضطرب في غشيته مدة فلما أفاق قال سبحانك ما أعظم شأنك تبت إليك وتوكلت
عليك وآمنت بأنك الملك الجبار الواحد القهار فلا أخاف غيرك ولا أرجو سواك ولا أعوذ إلا
بعفوك من عقابك وبرضاك من سخطك وما لي إلا أن أسألك وأتضرع إليك وأبتهل بين يديك
فأقول اشرح لي صدري لأعرفك واحلل عقدة من لساني لأثني عليك فنودي من وراء الحجاب
إياك أن تطمع في الثناء وتزيد على سيد الأنبياء بل ارجع إليه فما آتاك فخذه وما نهاك عنه
فانته وما قاله لك فقله فإنه ما زاد في هذه الحضرة على أن قال سبحانك لا أحصي ثناء عليك
أنت كما أثنيت على نفسك فقال إلهي إن لم يكن للسان جرأة على الثناء عليك فهل للقلب
مطمع في معرفتك فنودي إياك وأن تتخطى رقاب الصديقين فارجع إلى الصديق الأكبر
واقتد به فإن أصحاب سيد الأنبياء رضوان الله عليهم أجمعين كالنجوم بأيهم اهتديت

اقتديتم

أما سمعته يقول العجز عن درك الإدراك إدراك فيكفيك نصيباً من حضرتنا أن تعرف أنك
محروم عن حضرتنا عاجز عن ملاحظة جمالنا وجلالنا فعند هذا رجع السالك واعتذر
عن أسئلته ومعاتباته وقال لليمين والقلم والعلم والإرادة والقدرة وما بعدها
اقبلوا عذري فإني كنت غريباً حديث العهد بالدخول في هذه البلاد ولكل داخل دهشة
فما كان إنكاري عليكم إلا عن قصور وجهل والآن قد صح عندي عذركم وانكشف لي أن
المنفرد بالملك والملكوت والعزة والجبروت هو الواحد القهار فما أنتم إلا مسخرون تحت قهره
وقدرته ومرددون في قبضته وهو الأول والآخر والظاهر والباطن فلما ذكر ذلك في
عالم الشهادة استبعد ذلك منه وقيل له كيف يكون هو الأول والآخر وهما وصفان
متناقضان وكيف يكون هو الظاهر والباطن والأول ليس بآخر والظاهر ليس بباطن فقال
هو الأول بالإضافة إلى الوجود إذ صدر منه الكل على ترتيبه واحداً بعد واحد وهو الآخر
بالإضافة إلى سير المسافرين فإنهم لا يزالون مترقين من منزل إلى منزل إلى أن يقع الانتهاء
إلى تلك الحضرة فيكون ذلك آخر السفر فهو آخر في المشاهدة وأول في الوجود وهو باطن
بالإضافة إلى العاكفين في عالم الشهادة الطالبين لإدراكه بالحواس الخمس ظاهر بالإضافة
إلى من يطلبه في السراج الذي اشتعل في قلبه بالبصيرة الباطنة النافذة في عالم الملكوت
فهكذا كان توحيد السالكين لطريق التوحيد في الفعل أعني من انكشف له أن الفاعل
واحد فإن قلت فقد انتهى هذا التوحيد إلى أنه مبني على الإيمان بعالم الملكوت فمن لا يفهم
ذلك أو يجحده فما طريقه فأقول إن الجاحد فلا علاج له إلا أن يقال إنكارك لعالم الملكوت

الملكوت كانكار السمنية لعالم الجبروت وهم الذين حصروا العلم في الحواس الخمس فانكروا
القدرة والارادة والعلم لانها لا تدرك بالحواس ولازموا حضيض عالم الشهادة
وان قال وانا منهم فاني لا اهتدي الا الى عالم الشهادة بالحواس الخمس ولا اعلم شيئا
سواه فيقال انكارك لما شاهدناه مما ورا الحواس الخمس كانكار السوفسطائية للحواس
الخمس فانهم قالوا ما نراه لا نثق به فلعلنا نراه في المنام فان قال وانا من جملتهم فاني شاك
ايضا في المحسوسات فيقال هذا شخص فسد مزاجه وامتنع علاجه فيترك فما كل مرض يقدر
على علاجه الاطبا فهذا حكم الجاحد واما الذي لا يجحد ولكن لا يفهم فطريق الانبيا بكبرد
معه ان ينظروا الى عينيه التي بها شاهد عين الملكوت فان وجدوها صحيحة في الاصل
وقد نزل فيها ما اسود يقبل الازالة اشتغلوا بازالته وتنقيته كازالة الكحال
بالابصار الظاهرة فاذا استوى بصره ارشد الى الطريق ليسلكه كما فعل ذلك رسول
الله صلى الله عليه وسلم بخواص اصحابه وان كان غير قابل للعلاج فلم يمكنه ان يسلك
السبيل الذي ذكرناه في التوحيد ولم يمكنه ان يسمع كلام ذوات الملك والملكوت
ليشاهد هذه التوحيد كلموه بحرف وصوت وردوا دون التوحيد الى حضيض فهمه
فان في عالم الشهادة ايضا توحيدا اذ لم يعلم كل احد ان المنزل يفسد بصاحبين
والبلد يفسد باميرين فيقال له على حد عقله اله العالم والمدبر واحد اذ لو كان فيهما
الهة الا الله لفسدتا فيكون ذلك على ذوق ما راه في عالم الشهادة فينغرس اعتقاد
التوحيد في قلبه بهذا الطريق اللائق بقدر عقله وقد كلف الانبيا ان يكلموا الناس
بقدر عقولهم ولذلك نزل القران بلسان العرب وعلى عادتهم في المحاورة
فان قلت ____ فمثل هذا التوحيد الاعتقادي هل يصلح ان يكون عمادا للتوكل واصلا
فيه فاقول نعم فان الاعتقاد اذا قوي عمل عمل الكشف في اثارة الاحوال الا انه في
الغالب يضعف ويتسارع اليه الاضطراب والتزلزل غالبا ولذلك يحتاج صاحبه
الى متكلم يحرسه بكلامه او الى ان يتعلم هو الكلام ليحرس به العقيدة التي تلقفها
من استاذه او من ابويه او من اهل بلده واما الذي شاهد الطريق وسلكه بنفسه
فلا يخاف عليه شي من ذلك بل لو كشف الغطا لما ازداد يقينا وان كان يزداد وضوحا
كما ان الذي يرى انسانا في وقت الاسفار لا يزداد يقينا عند طلوع الشمس بانه انسان
ولكن يزداد وضوحا في تفصيل خلقته واما مثال المكاشفين والمعتقدين الا
كسحرة فرعون مع اصحاب السامري فان سحرة فرعون لما ان كانوا مطلعين على منتهى

تأثير السحر لما شاهدوه وجربوه مرارا ورأوا من موسى عليه السلام ما جاوز حدود السحر انكشف
لهم حقيقة الأمر فلم يكترثوا بقول فرعون لأقطعن أيديكم وأرجلكم بل قالوا لن نؤثرك
على ما جاءنا من البينات والذي فطرنا فاقض ما أنت قاض إنما تقضي هذه الحياة الدنيا فإن
البيان والكشف يمنع التغيير وأما أصحاب السامري لما كان إيمانهم عن النظر إلى ظاهر
الثعبان فلما نظروا إلى عجل السامري وسمعوا خواره تغيروا وسمعوا قوله هذا إلهكم وإله موسى
ونسوا أنه لا يرجع إليهم قولا ولا يملك لهم ضرا ولا نفعا فكل من آمن بالنظر إلى ثعبان فيكفر
لا محالة إذا نظر إلى عجل لأن كلاهما من عالم الشهادة والاختلاف والتضاد في عالم الشهادة
كثير وأما عالم الملكوت فمن عند الله فلذلك لا تجد فيه اختلافا وتناقضا أصلا فإن قلت
ما ذكرته في التوحيد ظاهر مهما ثبت أن الوسائط والأسباب مسخرات وكل ذلك ظاهر إلا في حركات
الإنسان فإنه يتحرك إن شاء ويسكن إن شاء فكيف يكون مسخرا أنه لو كان مع هذا يشاء أن يشاء
ولا يشاء إن لم يرد أن يشاء لكان هذا مزلة القدم وموقع الغلط ولكن عليه أن يفعل إذا
شاء وما شاء فإن لا يفعل شاء أم لم يشأ فليست المشيئة إليه إذ لو كانت إليه لافتقرت
إلى مشيئة أخرى وتسلسل إلى غير نهاية وإذا لم تكن المشيئة إليه فمهما وجدت المشيئة
التي تصرف القدرة إلى مقدورها انصرفت القدرة لا محالة ولم يكن لها سبيل إلى المخالفة
فالحركة لازمة ضرورة بالقدرة والقدرة محركة ضرورة عند انجزام المشيئة والمشيئة
تحدث ضرورة في القلب فهذه ضروريات ترتب بعضها على بعض وليس للعبد أن يدفع وجود
المشيئة ولا انصراف القدرة إلى المقدور بعدها ولا وجود الحركة بعد بعث المشيئة القدرة
فهو مضطر في الجميع فإن قلت فهذا جبر محض والجبر يناقض الاختيار وأنت لا تنكر
الاختيار فكيف يكون مجبورا مختارا فأقول لو انكشف لك الغطاء عرفت أنه في عين الاختيار

الاختيار والجبر

مجبور فهو إذن مجبور على الاختيار وكيف يفهم هذا من لم يفهم الاختيار فلنشرح الاختيار
بلسان المتكلمين شرحا وجيزا يليق بما ذكر متطفلا وتابعا فإن هذا الكتاب لا يليق به
إلا علم المعاملة ولكني أقول لفظ الفعل من الإنسان يطلق في ثلاثة أوجه إذ يقال
الإنسان يكتب بالأصابع ويتنفس بالحنجرة والرية ويخرق الماء إذا وقف عليه بجسمه فينسب
إليه الخرق للماء والتنفس والكتابة وهذه الثلاث في حقيقة الاضطرار والجبر واحدة
ولكنها تختلف وراء ذلك في أمور فأعرب لذلك عنها بثلاث عبارات فسمي خرقه الماء عند وقوعه
على وجهه فعلا طبيعيا وسمي تنفسه فعلا إراديا وسميت كتابته فعلا اختياريا والجبر
ظاهر في الفعل الطبيعي لأنه مهما وقف على وجه الماء أو تخطى من السطح الهواء انخرق لا محالة

لا محالة به فيكون الخرق بعد التخطي ضروريا والتنفس في معناه فان نسبة حركة الحنجرة
الى ارادة التنفس كنسبة انخراق الما الى ثقل البدن فمهما كان الثقل موجودا وجد
الانخراق بعده وليس الثقل اليه فكذلك الارادة ليست اليه ولذلك لو قصدت
عين الانسان بابرة طبق الاجفان اضطرارا ولو اراد ان يتركها مفتوحة لم يقدر مع
ان تغميض الاجفان فعل ارادي ولكنه اذا تمثل صورة الابرة في مشاهدته بالادراك
حدثت الارادة للتغميض ضرورة وحدثت الحركة بها ولو اراد ان يترك ذلك لم يقدر
عليه مع انه فعل بالقدرة والارادة فقد التحق هذا بالفعل الطبيعي في كونه ضروريا
فاما الثالث وهو الاختياري فهو مظنة الالتباس كالكتبة والنطق وهو الذي يقال
فيه ان شا فعل وان شا لم يفعل وتارة يشا وتارة لا يشا فيظن من هذا ان الامر اليه
وهذا للجهل بمعنى الاختيار فلنكشف عنه وبيانه ان الارادة تتبع العلم الذي
يحكم بان الشي موافق لك والاشيا تنقسم الى ما تحكم مشاهدتك الظاهرة او الباطنة
بانه يوافقك من غير تحير وتردد والى ما قد يتردد العقل فيه فالذي يقطع به من غير تردد
ان يقصد عينك مثلا بابرة او بدنك بسيف فلا يكون في علمك تردد في ان دفع ذلك خير
لك وموافق فلا جرم تنبعث الارادة بالعلم والقدرة بالارادة وتحصل حركة الاجفان
بالدفع وحركة اليد بدفع السيف ولكن من غير روية وفكر ويكون ذلك بالارادة ومن
الاشيا ما يتوقف التمييز والعقل فيه فلا يدري انه موافق ام لا فيحتاج الى روية
وفكر حتى يتبين ان الخير في الفعل او الترك فاذا حصل بالفكر والروية العلم بان احدهما
خير التحق ذلك بالذي يقطع به من غير روية وفكر وانبعثت الارادة ههنا كما تنبعث
لدفع السيف والسنان فاذا انبعثت لفعل ما ظهر العقل انه خير سميت هذه الارادة
اختيارا مشتقا من الخير اي هو انبعاث الى ما ظهر للعقل انه خير وهو عين تلك الارادة
ولم ينتظر في انبعاثها الا ما انتظرت تلك الارادة وهو ظهور خيرية الفعل في
حقه الا ان الخيرية في دفع السيف ظهرت من غير روية بل على البديهة وهذا افتقر
الى الروية فالاختيار عبارة عن ارادة خاصة وهي التي انبعثت باشارة العقل فيما له في ادراكه
توقف وعن هذا قيل العقل يحتاج اليه للتمييز بين خير الخيرين وشر الشرين ولا يتصور
ان تنبعث الارادة الا بحكم الحس والتخيل او بحكم جزم من العقل ولذلك لو اراد
الانسان ان يحز رقبة نفسه مثلا لم يمكنه لا لعدم القدرة في يده او لعدم السكين
ولكن لفقد الارادة الداعية المشخصة للقدرة وانما فقدت الارادة لانها تنبعث

بحكم العقل والحس في بكون الفعل موافقا وقتله نفسه ليس موافقا له فلا يمكنه مع
قوة الأعضاء أن يقتل نفسه إلا إذا كان في عقوبة مؤلمة لا تطاق فإن الفعل ههنا
يتوقف في الحكم ويتردد لأنه تردد بين شر الشرين فإن ترجح له بعد الروية أن ترك
القتل أقل شرا لم يمكنه قتل نفسه وإن حكم بالقتل أقل شرا وكان حكمه جزما لا
ميل فيه ولا صارف منه انبعثت الإرادة والقدرة وأهلك نفسه كالذي بالسيف
يتبع للقتل فإنه يرمي بنفسه من السطح مثلا وإن كان مهلكا ولا يبالي ولا يمكنه أن لا
يرمي بنفسه ولو كان يتبع بضرب خفيف فإذا انتهى إلى أطراف السطح حكم العقل بأن
الضرب أهون من الرمي فوقفت أعضاؤه فلا يمكنه أن يرمي نفسه ولا تنبعث له داعية البتة
لأن داعية الإرادة مسخرة بحكم العقل والحس والقدرة مسخرة للداعية والحركة والكل
مقدر بالضرورة فيه من حيث لا يدري فإنما هو محل ومجرى لهذه الأمور فأما أن يكون
منه فكلا ولا فإذن معنى كونه مجبورا أن جميع ذلك حاصل فيه من غيره لا منه ومعنى كونه
مختارا أنه لا محل لإرادة حدثت فيه جبرا بعد حكم العقل بكون الفعل خيرا وحدث الحكم
أيضا خيرا فإذن هو مجبور على الاختيار ففعل النار في الإحراق مثلا جبر محض وفعل الله
تعالى اختيار محض وفعل الإنسان على منزلة بين المنزلتين فإنه جبر على الاختيار فطلب
أهل الحق لهذا عبارة ثالثة لأنه كان فنا ثالثا وتيمنوا فيه بكتاب الله تعالى فسموه
كسبا وليس مناقضا للجبر ولا للاختيار بل هو جامع بينهما عند من فهمه وفعل الله تعالى إن
سمي اختيارا فبشرط أن لا يفهم من الاختيار إرادة بعد تحير وتردد فإن ذلك في حقه
محال وجميع الألفاظ المذكورة في اللغات لا يمكن أن تستعمل في حق الله تعالى إلا على نوع
من الاستعارة والتجوز وذكره لا يليق بهذا العلم ويطول القول فيه فإن قلت
فهل تقول أن العلم ولد الإرادة والإرادة ولدت القدرة والقدرة ولدت الحركة
وأن كل متأخر حدث من المتقدم فإن قلت ذلك فقد حكمت بحدوث شيء لا من قدرة الله تعالى
وإن أبيت ذلك فما معنى ترتيب البعض من هذا على البعض فاعلم أن القول بأن بعض ذلك
حدث عن بعض جهل محض سواء عبر عنه بالتولد أو بغيره بل حوالة جميع ذلك على المعنى الذي
يعبر عنه بالقدرة الأزلية وهو الأصل الذي لم يقف عليه كافة الخلق إلا الراسخون
في العلم فإنهم وقفوا على كنه معناه والكافة وقفوا على مجرد لفظه مع نوع تشبيه
بقدرتنا وهو بعيد عن الحق وبيان ذلك يطول ولكن بعض المقدورات مترتبة على البعض
في الحدوث ترتب المشروط على الشرط فلا يصدر من القدرة الأزلية إرادة إلا بعد

الاختيار

القدرة والارادة والحركة

بعد علم ولا علم الا بعد حيوة ولا حياة الا بعد محل للحيوة وكما لا يجوز ان يقال الحيوة
حصلت من الجسم الذي هو شرط الحياة فكذلك في ساير درجات الترتيب ولكن
في بعض الشروط مما ظهر للعامة وبعضها لم يظهر الا للخواص المكاشفين بنور الحق
والا فلا يتقدم متقدم ولا يتاخر متاخر الا بالحق واللزوم وكذلك جميع افعال الله تعالى
ولولا ذلك لكان التقديم والتاخير عبثا يضاهي فعل المجانين تعالى الله عن قول
الجاهلين علوا كبيرا ولهذا اشار قوله تعالى وما خلقنا السموات والارض وما بينهما
لاعبين ما خلقناهما الا بالحق فكل ما بين السما والارض حادث على ترتيب واجب وحق لازم
لا يتصور الا ان يكون الا كما حدث وعلى الترتيب الذي وجد فما تاخر متاخر الا لانتظار
شرطه والمشروط قبل الشرط محال والمحال لا يوصف بكونه مقدورا فلا يتاخر العلم
عن النطفة الا لفقد شرط الحيوة ولا يتاخر عنها الارادة بعد العلم لفقد شرط العلم
وكل ذلك على منهاج الواجب وترتيب الحق ليس في شي من ذلك لعب واتفاق بل كل ذلك
بحكمة وتدبير وتفهيم ذلك عسير ولكنا نضرب لتوقف المقدور مع وجود القدرة على وجود
الشرط مثالا يقرب مبادي الحق من الافهام الضعيفة وذلك بان يقدر انسانا
محدثا قد انغمس في ماء الى رقبته فالحدث لا يرتفع عن اعضايه وان كان الما هو الذي يرفع
الحدث وهو ملاق له فتقدر القدرة الازلية حاضرة ملاقية للمقدورات متعلقة
بها ملاقاة الما للاعضاء ولكن لا يحصل بها المقدور كما لا يحصل رفع الحدث انتظارا
للشرط وهو غسل الوجه فاذا وضع الواقف في الماء وجهه على الماء عمل الما في ساير
الاعضاء وارتفع الحدث وربما يظن الجاهل ان الحدث قد ارتفع عن اليد برفعه عن الوجه
لانه حدث عقيبه اذ يقول كان الما ملاقيا ولم يكن رافعا والما لم يتغير عما كان فكيف
حصل منه ما لم يحصل من قبل بل حدث ارتفاع الحدث من اليد عند غسل الوجه
فاذا غسل الوجه هو الرافع للحدث عن اليد فهذا جهل يضاهي ظن من يظن ان الحركة
تحصل بالقدرة والقدرة بالارادة والارادة بالعلم وكل ذلك خطا بل عند ارتفاع
الحدث عن الوجه ارتفاع الحدث عن الوجه ارتفع الحدث عن اليد بالماء الملاقي لها
لا بغسل الوجه والما لم يتغير واليد لم تتغير ولم يحدث فيهما شي ولكن حدث وجود
الشرط فظهر اثر العلة فهكذا ينبغي ان يفهم صدور المقدورات من القدرة
الازلية مع ان القدرة قديمة والمقدورات حادث وهذا قرع باب لعالم
اخر من عوالم المكاشفات فلنترك جميع ذلك فان مقصودنا التنبيه على طريق التوحيد

مثال توقف المقدور مع وجود القدرة

القدرة والارادة

في الفعل وان الفاعل بالحقيقة واحد فهو المخوف والمرجو والاعتماد والتوكل عليه
ولم نقدر على ان نذكر من بحار التوحيد الا قطرة من بحر المقام الثالث من مقامات
التوحيد واستيفاء ذلك في عمر نوح محال كاستيفاء ماء البحر باخذ قطرات منه وكل ذلك
ينطوي تحت قول لا اله الا الله فما اخف مؤونته على اللسان وما اسهل اعتقاد مفهومه في القلب
وما اعز حقيقته ولبه عند العلماء الراسخين فكيف عند غيرهم فان قلت
فكيف الجمع بين التوحيد والشرع ومعنى التوحيد ان لا فاعل الا الله ومعنى الشرع اثبات
الافعال للعباد فلئن كان العبد فاعلا فكيف يكون الله فاعلا وان كان العبد فاعلا
ومفعول بين فاعلين غير مفهوم فاقول نعم ذلك غير مفهوم اذا كان للفاعل معنى
واحد وان كان له معنيان ويكون الاسم مجملا مرددا بينهما لم يتناقض كما يقال قتل الامير
فلانا ويقال قتله الجلاد ولكن الامير قاتل بمعنى والجلاد بمعنى اخر فكذلك العبد فاعل
بمعنى والله فاعل بمعنى اخر فمعنى كون الله تعالى فاعلا انه المخترع الموجد ومعنى كون العبد
فاعلا انه المحل الذي خلقت فيه القدرة بعد ان خلق الله فيه الارادة بعد ان خلق الله فيه
العلم فارتبطت القدرة بالارادة والحركة بالقدرة ارتباط الشرط بالمشروط وارتبط
بقدرة الله ارتباط المعلول بالعلة وارتباط المخترع بالمخترع وكل ما له ارتباط بقدرة
فان محل القدرة يسمى فاعلا كيفما كان الارتباط كما يسمى الجلاد قاتلا والامير قاتلا
لان القتل ارتبط بقدرتهما ولكن على وجهين مختلفين فلذلك سمي فعلا لهما فكذلك
ارتباط المقدورات بالقدرتين ولاجل توافق ذلك وتطابقه نسب الله تعالى الافعال في القران
مرة الى الملائكة ومرة الى العباد ونسبها بعينها مرة اخرى الى نفسه فقال تعالى في الموت
قل يتوفاكم ملك الموت الذي وكل بكم ثم قال الله يتوفى الانفس حين موتها
وقال تعالى افرايتم ما تحرثون اضاف الينا ثم قال تعالى انا صببنا الماء
صبا ثم شققنا الارض شقا فانبتنا فيها حبا وعنبا وقال تعالى
فارسلنا اليها روحنا فتمثل لها بشرا سويا ثم قال فنفخنا فيه من روحنا
وكان النافخ جبريل وكما قال تعالى فاذا قراناه فاتبع قرانه قيل في التفسير
معناه اذا قراه عليك جبريل وقال تعالى قاتلوهم يعذبهم الله بايديكم فاضاف
اليهم القتل والتعذيب الى نفسه وقال تعالى وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى
وهو جمع بين النفي والاثبات ظاهرا ولكن معناه اذ رميت بالمعنى الذي يكون العبد به راميا
فما رميت بالمعنى الذي يكون الرب به راميا اذ هما معنيان مختلفان وقال تعالى الذي علم

الله فاعلا فكيف يكون

معنى افعال العباد

الفاعل الله والفاعل الانسان

القدرة والارادة والحركة

كيفية الولد في بطن الام

علم بالقلم ثم قال الرحمن علم القرآن وقال علمه البيان وقال تعالى ثم ان علينا بيانه
وقال تعالى أفرأيتم ما تمنون أأنتم تخلقونه أم نحن الخالقون ثم قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم في وصف ملك الارحام انه يدخل الرحم فيأخذ النطفة
ثم يصورها جسدا فيقول يا رب أذكر أم انثى أسوي أم معوج فيقول الله ما شاء ويخلق
الملك وفي لفظ آخر ويصور الملك ثم ينفخ فيه الروح بالسعادة أم بالشقاوة وقد
قال بعض السلف ان الملك يقال له الروح هو الذي يولج الارواح في الاجسام
وانه يتنفس بوصفه فيكون كل نفس من انفاسه روحا يلج في جسم ولذلك سمي روحا
وما ذكره من مثل هذا الملك وصفته فهو حق يشاهده ارباب القلوب ببصائرهم فأما
كون الروح عبارة عنه فلا يمكن ان يعلم الا بالنقل والحكم به دون النقل تخمين مجرد
وكذلك ذكر الله تعالى في القرآن الادلة والآيات في الارض والسموات ثم قال
أولم يكف بربك انه على كل شيء شهيد وقال شهد الله انه لا اله الا هو فبين انه
الدليل على نفسه وليس ذلك متناقضا بل طرق الاستدلال مختلفة فكم من طالب عرف
الله بالنظر الى الموجودات وكم من طالب عرف كل الموجودات بالله كما قال بعضهم عرفت
ربي بربي ولولا ربي لما عرفت ربي وهذا معنى قوله تعالى أولم يكف بربك انه على
كل شيء شهيد وقد وصف الله تعالى نفسه انه المحيي والمميت ثم فوض الموت
والحيوة الى ملكين في الخبر ان ملكي الموت والحياة تناظرا فقال ملك الموت انا
اميت الاحيا وقال ملك الحياة انا احيي الاموات فأوحى الله تعالى اليهما كونا على عملكما
وما سخرتما له من الصنع وانا المميت والمحيي ولا مميت ولا محيي سواي فاذا الفعل يستعمل
على وجوه مختلفة فلا تتناقض هذه المعاني اذا فهمت ولذلك قال صلى الله عليه
وسلم للذي ناوله التمرة خذها لو لم تأتها لأتتك اضاف الاتيان اليه والى التمرة
ومعلوم ان التمرة لا تأتي على الوجه الذي يأتي الانسان اليها ولذلك قال التائب اتوب
الى الله ولا اتوب الى محمد فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم عرف الحق لاهله فكل من
اضاف الكل الى الله فهو المحقق الذي عرف الحق والحقيقة لأهله ومن اضاف الى غيره فهو
المتجوز المستعير في كلامه وللتجوز وجه كما ان للحقيقة وجها واسم الفاعل

اضافة الفعل الى الله والى غيره

وضعه واضع اللغة للمخترع ولكن ظن ان الانسان مخترع بقدرته فسماه فاعلا
بحركته وظن انه تحقيق وتوهم ان نسبته الى الله تعالى على سبيل المجاز مثل نسبة القتل
الى الامير فانه مجاز بالاضافة الى نسبته الى الجلاد فلما انكشف الحق لاهله عرفوا

عرفوا ان الامر بالعكس وقالوا ان كان الفاعل قد وضعته ايضا اللغوي المخترع فلا فاعل الا الله فلا اسم له بالحقيقة ولغيره بالمجاز اي يجوز به عما وضعه اللغوي له ولما جرت كيفية المعنى على لسان بعض الاعراب قصدا او اتفاقا صدقه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عليه السلام اصدق بيت قالته العرب

قول لبيد

الا كل شيء ما خلا الله باطل

اي كل ما لا قوام له بنفسه وانما قوامه بغيره فهو باعتبار نفسه باطل وانما حقيقته بغيره لا بنفسه فاذا لا حق بالحقيقة الا الحي القيوم الذي ليس كمثله شيء وهو السميع البصير فانه قائم بذاته وكل ما سواه قائم بقدرته فهو الحق وما سواه باطل ولذلك قال سهل رحمه الله يا مسكين كان ولم تكن ويكون ولا تكون فلما كنت اليوم صرت تقول انا وانا كن الان كما لم تكن فانه اليوم كما كان فان قلت فقد ظهر ان الكل جبر فما معنى الثواب والعقاب والغضب والرضى وكيف غضبه على فعل نفسه فاعلم ان معنى ذلك قد اشرنا اليه في كتاب الشكر فلا نطول باعادته فهذا هو القدر الذي رأينا الرمز اليه من التوحيد الذي يورث حال التوكل ولا يتم هذا الا بالايمان بالحكمة والرحمة فان التوحيد يورث النظر الى مسبب الاسباب والايمان بالرحمة وسعتها هو الذي يورث الثقة بمسبب الاسباب ولا يتم حال التوكل كما سيأتي الا بالثقة بالوكيل والطمأنينة القلب الى حسن نظر الكفيل وهذا الايمان ايضا باب عظيم من ابواب الايمان وحكاية طريق المكاشفين فيه تطول فلنذكر حاصله ليعتقده الطالب لمقام التوكل اعتقادا قاطعا لا يستريب فيه وهو ان يصدق فيه تصديقا يقينا لا ضعف فيه ولا ريب ان الله عز وجل لو خلق الخلائق كلهم على عقل اعقلهم وعلم اعلمهم وخلق لهم من العلم ما تحتمله نفوسهم وافاض عليهم من الحكمة ما لا منتهى لوصفه ثم زاد مثل عدد جميعهم علما وحكمة وعقلا ثم كشف لهم عن عواقب الامور واطلعهم على اسرار الملكوت وعرفهم دقائق اللطف وخفايا العقوبات حتى اطلعوا به على الخير والشر والنفع والضر ثم امرهم ان يدبروا الملك والملكوت بما اعطوا من العلوم والحكم لما اقتضى تدبير جميعهم مع التعاون والتظاهر عليه ان يزاد فيما دبر الله تعالى الخلق به في الدنيا والاخرة جناح بعوضة ولا ان ينقص منها جناح بعوضة ولا ان يرفع فيها ذرة ولا ان يدفع مرضا او عيبا او نقصا او فقرا او ضرا عمن بلي به ولا ان يزال صحة او كمال او غنى او نفع عمن انعم به عليه بل كل ما خلقه الله تعالى من السموات والارض اذا رجعوا فيها

فيها التقصير وطولوا فيها النظر لم يروا فيها تفاوتا ولا فطورا وكل ما قسم الله تعالى بين عباده
من رزق وأجل وسرور وفرح وعجز وقدرة وإيمان وكفر وطاعة ومعصية فكله عدل
محض لا جور فيه وحق صرف لا ظلم فيه بل هو على الترتيب الواجب على ما ينبغي وكما ينبغي
وبالقدر الذي ينبغي وليس في الإمكان أصلا أحسن منه ولا أتم ولا أكمل ولو كان وادخره
مع القدرة ولم يفعله لكان بخلا يناقض الجود وظلما يناقض العدل ولو لم يكن قادرا لكان
عجزا يناقض الإلهية بل كل فقر وضر في الدنيا فهو نقصان من الدنيا وزيادة في الآخرة
وكل نقص في الآخرة بالإضافة إلى شخص فهو نعيم بالإضافة إلى غيره إذ لولا الليل لما
عرف قدر النهار ولولا المرض لما تنعم الأصحاء بالصحة ولولا النار لم يعرف أهل الجنة قدر النعمة
كما أن فدا أرواح الإنس بأرواح البهائم وتسليطهم على ذبحها ليس بظلم بل تقديم الكامل
على الناقص عين العدل فكذلك تفخيم النعيم على سكان الجنان بتعظيم العقوبة على أهل النيران
فدا لأهل الإيمان بأهل الكفر عين العدل وما لم يخلق الناقص لم يعرف الكامل ولولا خلق البهائم
لما ظهر شرف الإنس فإن الكمال والنقص يظهر بالإضافة فمقتضى الوجود والحكمة خلق
الكامل والناقص جميعا وكما أن قطع اليد إذا تآكلت إبقاء على الروح عدل لأنه فدا كامل بناقص
فكذلك الأمر في التفاوت الذي بين الخلق في القسمة في الدنيا والآخرة فكل ذلك عدل لا
جور فيه وحق لا لعب فيه وهذا الآن بحر آخر عميق واسع الأطراف مضطرب الأمواج قريب في
السعة من بحر التوحيد فيه غرق طوائف من القاصرين ولم يعلموا أن ذلك غامض لا يعقله
إلا العالمون ووراء هذا البحر سر القدر الذي تحير فيه الأكثرون ومنع من إفشاء سره
المكاشفون والحاصل أن الخير والشر مقضي به وقد صار ما قضي به واجب الحصول
بعد سبق المشية فلا راد لحكمه ولا معقب لقضائه وأمره بل كل صغير وكبير مستطر
وحصوله بقدر معلوم منتظر وما أصابك لم يكن ليخطئك وما أخطأك لم يكن ليصيبك
ولنقتصر على هذه المرامز من علوم المكاشفة التي هي أصول مقام التوكل ولنرجع إلى
علم المعاملة

الحكمة لخلق الله

الشطر الثاني من الكتاب في أحوال التوكل

وأعماله وفيه بيان حال التوكل وبيان ما قاله الشيوخ
في حد التوكل وبيان التوكل في الكسب للمنفرد والمعيل
وبيان التوكل بترك الادخار وبيان التوكل في دفع المضار

د بيان التوكل في ازالة الضرر بالتداوي وغيره ٥

بيان حال التوكل

قد ذكرنا ان مقام التوكل ينتظم من علم وحال وعمل ٥
وقد ذكرنا العلم فاما الحال فالتوكل بالتحقيق عبارة عنه وانما العلم اصله والعمل ثمرته
وقد اكثر الخائضون في بيان حد التوكل واختلفت عباراتهم وتكلم كل واحد عن مقام نفسه
واخبر عن حده كما جرت عادة اهل التصوف به ولا فائدة في النقل والاكثار فلنكشف الغطا
عنه فنقول التوكل مشتق من الوكالة يقال وكل امره الى فلان اي فوضه اليه واعتمد فيه
عليه ويسمى الموكول اليه وكيلا ويسمى المفوض اليه متكلا عليه ومتوكلا عليه مهما اطمانت
اليه نفسه ووثق به ولم يتهمه فيه بتقصير ولم يعتقد فيه عجزا وقصورا فالتوكل عبارة
عن اعتماد القلب على الوكيل وحده ولنضرب للتوكيل في الخصومة مثلا فنقول من ادعي عليه
دعوى باطلة بتلبيس فوكل للخصومة من يكشف ذلك التلبيس لم يكن متوكلا عليه ولا واثق
القلب مطمئن النفس بوكيله الا اذا اعتقد فيه اربعة امور منتهى الهداية ومنتهى القوة
ومنتهى الفصاحة ومنتهى الشفقة اما الهداية فليعرف مواقع التلبيس حتى لا يخفى
عليه من غوامض الحيل شي اصلا واما القوة والقدرة فليستجري على التصريح بالحق ولا يداهن
ولا يخاف ولا يجبن ولا يستحيي عن التصريح بالحق فانه ربما يطلع على وجه تلبيس خصمه ٥
فيمنعه الخوف او الجبن او الحيا او صارف اخر من الصوارف المضعفة للقلب عن التصريح به ٥
واما الفصاحة فهي ايضا من القدرة الا انها قدرة في اللسان على الافصاح عن كل ما
استجرا القلب عليه واشار اليه فلا كل عالم بمواقع التلبيس قادر بذلاقة لسانه على حل
عقدة التلبيس اما منتهى الشفقة فليكن باعثا له على بذل كل ما يقدر عليه من المجهود
في حقه فان قدرته لا تغني دون العناية به اذا كان لا يهمه امره ولا يبالي به ظفر بخصمه او لم
يظفر هلك حقه او لم يهلك فان كان شاكا في هذه الاربعة منه لم تطمئن نفسه الى وكيله
بل بقي منزعج القلب مستغرق الهم بالحيلة والتدبير ليدفع ما يحذره من قصور وكيله
وسطوة خصمه ويكون تفاوت احواله في شدة الثقة والطمانينة بحسب تفاوت قوة
اعتقاده لهذه الخصال فيه والاعتقادات والظنون في القوة والضعف تتفاوت ٥
تفاوتا لا ينحصر فلا جرم تتفاوت احوال المتوكل بالطمانينة والثقة تفاوتا لا ينحصر ٥

بيان حال التوكل

مثال التوكل

١٩١
١٦٩

يتصور إلا أن يثق باليقين الذي لا ضعف فيه كما لو كان الوكيل والد الموكل وهو
الذي يسعى لجمع الحلال والحرام لأجله فإنه يحصل له اليقين بمنتهى الشفقة والعناية
فتصير خصلة واحدة من الخصال الأربعة قطعا وكذلك سائر الخصال يتصور أن يحصل
القطع به وذلك بطول الممارسة والتجربة وتواتر الأخبار بأنه أفصح الناس
لسانا وأقواهم بيانا وأقدرهم على نصرة الحق بل على تصوير الحق بالباطل والباطل
بالحق فإذا عرف التوكل في هذا المثال فقس التوكل على الله تعالى عليه فإن ثبت في
نفسك بكشف أو باعتقاد جازم أنه لا فاعل إلا الله كما سبق واعتقدت مع ذلك تمام
العلم والقدرة على كفاية العباد ثم تمام العطف والعناية والرحمة بجملة العباد
والآحاد وأنه ليس وراء منتهى قدرته قدرة ولا وراء منتهى علمه علم ولا وراء منتهى
عنايته بك ورحمته لك عناية ورحمة اتكل لا محالة قلبك عليه وحده ولم يلتفت إلى
غيره بوجه ولا إلى نفسه وحوله وقوته فإنه لا حول ولا قوة إلا بالله كما سبق في
التوحيد عند ذكر الحركة والقدرة فإن الحول عبارة عن الحركة والقوة عبارة عن
القدرة فإن كنت لا تجد هذه الحالة من نفسك فسببه أحد أمرين إما ضعف اليقين
بإحدى هذه الخصال الأربعة وإما ضعف القلب ومرضه باستيلاء الجبن عليه وانزعاجه
بسبب الأوهام الغالبة عليه فإن القلب قد ينزعج تبعا للوهم وطاعة له من غير
نقصان في اليقين فإن من يتناول عسلا فشبه بين يديه بالعذرة ربما نفر
طبعه وتعذر عليه تناوله ولو كلف العاقل أن يبيت مع الميت في قبر أو فراش أو
بيت نفر طبعه وإن كان متيقنا لكونه ميتا وأنه جماد في الحال وأن سنة الله
تعالى مطردة بأنه لا يحشره الآن ولا يحييه وإن كان قادرا عليه كما أنها مطردة
بأن لا يقلب القلم الذي بيده حية ولا يقلب السنور أسدا وإن كان قادرا
عليه ومع أنه لا يشك في هذا اليقين فينفر طبعه عن مضاجعة الميت ولا ينفر
عن سائر الجمادات وذلك جبن في القلب وهو نوع ضعف قلما يخلو الإنسان
عن شيء منه وإن قل وقد يقوى فيصير مرضا حتى يخاف أن يبيت في البيت وحده
مع إغلاق البيت وإحكامه فإذا لا يتم التوكل إلا بقوة القلب وقوة اليقين جميعا
إذ بهما يحصل سكون القلب وطمأنينته فالسكون في القلب شيء واليقين شيء آخر
فكم من يقين لا طمأنينة معه كما قال تعالى أولم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبي
فالتمس أن يشاهد إحياء الميت بعينه ليثبت في خياله فإن النفس تتبع الخيال

وَيطمئن به ولا يطمئن باليقين في ابتداء امره الي ان يبلغ بالاخرة الي درجة النفس
المطمئنة وذلك لا يكون في البداية اصلا وكم من مطمئن لا يقين له كسائر ارباب الملل
والمذاهب فان اليهودي مطمئن القلب الي تهوده وكذلك النصراني ولا يقين لهما اصلا
وانما يتبعون الظن وما تهوي الانفس ولقد جاءهم من ربهم الهدي وهو سبب اليقين
الا انهم معرضون عنه فاذا الجبن والجراة غرايز ولا ينفع اليقين معهما فهي احد الاسباب
الذي تضاد حال التوكل كما ان ضعف اليقين في الخصال الاربعة احد الاسباب واذا
اجتمعت هذه الاسباب حصلت الثقة بالله تعالى وقد قيل مكتوب في التوراة ملعون
من ثقته انسان مثله وقد قال عيسى عليه السلام من اعتز بالعبيد اذله الله واذا
انكشف معنى التوكل وعلمت الحال التي سميت توكلا فاعلم ان تلك الحال لها في القوة
والضعف ثلاث درجات الاولى ما ذكرناه وهو ان تكون حاله في حق الله تعالى والثقة
بكفالته وعنايته كحاله بالثقة بالوكيل الثانية وهي اقوى ان يكون حاله مع الله
كحال الطفل في حق امه فانه لا يعرف غيرها ولا يفزع الي سواها ولا يعتمد الا اياها
فان راها تعلق في كل حال بذيلها ولم يخلها وان نابه امر في غيبتها كان اول سابق
الي لسانه يا اماه واول خاطر علي قلبه امه فانها مفزعه وقد وثق بكفالتها
وكفايتها وشفقتها ثقة ليس خاليا عن نوع ادراك بالتمييز الذي له ويظن انه طبع
من حيث ان الصبي لو طولب بتفصيل هذه الخصال لم يقدر علي تلفيق لفظه ولا علي احضاره
مفصلا في ذهنه ولكن كل ذلك وراء الادراك فمن كان باله الي الله ونظره اليه واعتماده
عليه كلف به كما يكلف الصبي بامه فيكون متوكلا حقا فان الطفل متوكل علي امه
والفرق بين هذا وبين الاول ان هذا متوكل وقد فني في توكله عن توكله اذ ليس
يلتفت قلبه الي التوكل وحقيقته بل الي المتوكل عليه فقط فلا مجال في قلبه لغير
المتوكل عليه واما الاول فيتوكل بالتكلف والكسب وليس فانيا عن توكله اي له
التفات الي توكله وشعور به وذلك شغل صارف عن ملاحظة المتوكل عليه وحده
والي هذه الدرجة اشار سهل حيث سئل عن التوكل ما ادناه فقال ترك الاماني
قيل وما اوسطه قال ترك الاختيار وهو اشارة الي الدرجة الثانية وسئل عن اعلاه
فلم يذكره وقال لم يعرفه الا من بلغ اوسطه الثالثة ان يكون بين يدي الله
تعالى في حركاته وسكناته مثل الميت بين يدي الغاسل لا يفارقه الا في انه
يري نفسه ميتا تحركه القدرة الازلية كما تحرك يد الغاسل الميت وهو الذي

اليقين

مثال التوكل

مطلب

الذي قوي يقينه بانه مجري الحركة والقدرة والارادة والعلم وسائر الصفات
وان كله حدث جبرا فيكون غائبا عن الانتظار لما يجري عليه ويفارق الصبي فان
الصبي يفزع الى امه ويصيح ويتعلق بذيلها ويعدو خلفها بل مثاله مثال
صبي علم انه وان لم يزعق بامه فالام تطلبه وان لم يتعلق بذيل امه فالام تحمله
وان لم يسالها اللبن فالام تفاتحه وتسقيه وهذا المقام في التوكل يثمر ترك الدعا
والسوال ثقة منه بكرمه وعنايته فانه يعطي ابتدا افضل مما يسال فكم من نعمة
ابتداها قبل الدعا وقبل الاستحقاق والمقام الثاني لا يقتضي ترك الدعا والسوال
منه فانما يقتضي ترك السوال من غيره فقط فان قلت فهذه الاحوال هل يتصور وجودها
فاعلم ان ذلك ليس بمحال ولكنه عزيز نادر والمقام الثاني والثالث اعز والاول
اقرب الى الامكان ثم اذا وجد الثاني والثالث فدوامه ابعد منه بل يكاد لا يكون
المقام الثالث في دوامه الا كصفرة الوجل فان انبساط القلب الى ملاحظة الحول
والقوة والاسباب بطبع وانقباضه عارض كما ان انبساط الدم الى جميع الاطراف
طبع وانقباضه عارض والوجل عبارة عن انقباض الدم عن ظاهر البشرة الى الباطن
حتى ينمحي عن ظاهر البشرة الحمرة التي كانت تترائ من وراء الرقيق من ستر البشرة
فان البشرة ستر رقيق تترائ من ورائه حمرة الدم وانقباضه يوجب الصفرة وذلك
لا يدوم فكذلك انقباض القلب بالكلية عن ملاحظة الحول والقوة وسائر الاسباب
الظاهرة لا يدوم واما المقام الثاني فيشبه صفرة المحموم فانه قد يدوم يوما
ويومين والثالث يشبه صفرة مريض استحكم مرضه فلا يبعد ان يدوم
ولا يبعد ان يزول فان قلت فهل يبقى مع العبد تدبير
وتعلق بالاسباب في هذه الاحوال فاعلم ان المقام الثالث ينفي التدبير راسا
ما دامت الحالة باقية بل يكون صاحبها كالمبهوت والمقام الثاني ينفي كل تدبير
الا من حيث الفزع الى الله تعالى بالدعا والابتهال كتدبير الطفل والتعلق بامه
فقط والمقام الاول لا ينفي اصل التدبير والاختيار ولكن ينفي بعض التدبيرات
كالمتوكل على وكيله في الخصومة فانه يترك تدبيره من جهة غير الوكيل ولكن
لا يترك التدبير الذي اشار اليه وكيله به او التدبير الذي عرفه من عادته وسنته
دون صريح اشارته فاما الذي يعرفه باشارته فان يقول له لست اتكلم الا في
حضورك فيشتغل لا محالة بالتدبير للحضور ولا يكون هذا مناقضا لتوكله

التوكل

مثال التوكل

تدبير الانسان في فعله

عليه إذ ليس هو فزعاً منه إلى حول نفسه وقوته في إظهار الحجة بل إلى قول غيره بل من تمام توكله
عليه أن يفعل ما رسمه عليه إذ لو لم يفعل لم يكن متوكلاً ولا معتمداً عليه في قوله إلا احضر بقلبه
وأما المعلوم من عادته واطراد سنته فهو أن يعلم من عادته أنه لا يحاج الخصم إلا من السجل
فتمام توكله إن كان متوكلاً عليه أن يكون معولاً على سنته وعادته وافياً بمقتضاها
وهو أن يحمل السجل مع نفسه إليه عند مخاصمته فإذاً لا يستغني عن التدبير في الحضور وعن
التدبير في إحضار السجل ولو ترك شيئاً من ذلك كان نقصاناً في توكله فكيف يكون فعله نقصاً
فيه نعم بعد أن حضر وفاء بإشارته وإحضار السجل وفاء بسنته وعادته وقعد ناظراً
إلى محاجته فقد ينتهي إلى المقام الثاني أو الثالث في حضوره حتى يبقى كالمبهوت المنتظر
لا يفزع إلى حوله وقوته إذ لم يبق له حول ولا قوة وقد كان فزعه إلى حوله وقوته
في الحضور وإحضار السجل بإشارة الوكيل وسنته وقد انتهى نهايته فلم يبق إلا طمأنينة
النفس والثقة بالوكيل والانتظار لما يجري وإذا تأملت هذا اندفع عنك كل إشكال في
التوكل وفهمت أنه ليس من شرط التوكل ترك كل تدبير وعمل وأن كل تدبير وعمل لا يجوز
أيضاً مع التوكل بل هو على الانقسام وسيأتي تفصيله في الأعمال فإذا فزع الموكل إلى حوله
وقوته في الحضور والإحضار وكان لا يناقض التوكل لأنه يعلم أنه لولا الوكيل لكان حضوره
وإحضاره باطلاً وتعباً محضاً فلا جدوى فإذاً لم يصر مفيداً من حيث أنه حوله وقوته بل لا
من حيث أن الوكيل جعله مفيداً لمحاجته وعرفه ذلك بإشارته وسنته فإذاً لا حول ولا قوة إلا
بالوكيل إلا أن هذه الكلمة لا يكمل معناها في حق الوكيل لأنه ليس خالقاً حوله ولا قوته بل هو
جاعل لهما مفيداً في أنفسهما ولم يكونا مفيدين لولا فعله وإنما تصدق ذلك في
حق الوكيل الحق وهو الله تعالى إذ هو خالق الحول والقوة كما سبق في التوحيد وهو الذي
جعلهما مفيدين إذ جعلهما شرطاً لما سيخلقه من بعدهما من الفوائد والمقاصد فإذاً
لا حول ولا قوة إلا بالله حقاً صدقاً فمن شاهد هذا كذلك كان له الثواب الجزيل العظيم
الذي وردت به الأخبار فيمن يقول لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم وذلك قد يستبعد
فيقال كيف يعطى هذا الثواب كله لهذه الكلمة مع سهولتها على اللسان وسهولة اعتقاد القلب
لمفهوم لفظها وهيهات وإنما ذلك جزاء هذه المشاهدة التي ذكرناها في التوحيد
ونسبة هذه الكلمة وثوابها إلى كلمة لا إله إلا الله وثوابها كنسبة معنى إحداهما إلى الأخرى
في هذه الكلمة إضافة شيئين إلى الله تعالى فقط وهو الحول والقوة وأما كلمة لا إله إلا الله
فهو نسبة الكل إليه فانظر إلى التفاوت بين الكل وبين شيئين لتعرف به ثواب لا إله إلا

ثواب التسبيح والتهليل مع قلة مشقة

مطلب التوحيد وسائر الكلمات
عجايب تصوف

الا الله بالاضافة الى هذا وكما ذكرنا من قبل ان للتوحيد قشرين ولبين فكذلك لهذه
الكلمات ولساير الكلمات واكثر الخلق قيدوا بالقشرين وما طرقوا الى اللبين والى اللبين
الاشارة بقوله عليه السلام من قال لا اله الا الله مخلصا صادقا وجبت له
الجنة وحيث اطلق من غير ذكر الصدق والاخلاص اراد بالمطلق المقيد كما اضاف المغفرة
الى الايمان والعمل الصالح في بعض المواضع واضافها الى مجرد الايمان في بعض المواضع
والمراد به المقيد بالعمل الصالح فالملك لا ينال بالحديث وحركة اللسان وعقد القلب
ايضا حديث نفس وانما الصدق والاخلاص وراهما ولا ينصب سرير الملك الا للمقربين
وهم المخلصون نعم لمن تقرب منهم في الرتبة من اصحاب اليمين ايضا درجات عند الله تعالى
وان كان لا ينتهي الى الملك اما ترى ان الله تعالى لما ذكر في سورة الواقعة المقربين
السابقين تعرض لسرير الملك فقال تعالى على سرر موضونة متكئين عليها متقابلين
ولما انتهى الى اصحاب اليمين ما زاد على ذكر الماء والظل والفواكه والاشجار والحور
العين وكل ذلك لذات المشروب والمنظور والماكول والمنكوح ويتصور ذلك
للبهايم على الدوام واين لذات البهايم من لذات الملك والنزول في اعلى عليين
في جوار رب العالمين ولو كان لهذه اللذات قدر لما وسع لها على البهايم ولما رفع
عنها درجة الملايكة افترى ان احوال البهايم وهي مسيبة في الرياض متنعمة
بالمياه والاشجار واصناف الماكولات متنعمة بالنزاون والسفاد اعلى والذ
واشرف واجدر بان يكون عند ذوي الكمال مغبوطا من احوال الملايكة في سرورهم
بالقرب من جوار الله تعالى في اعلى عليين هيهات هيهات ما ابعد عن التحصيل
من اذا خير ان يكون حمارا او يكون في درجة جبريل عليه السلام فيختار درجة
الحمار على درجة جبريل عليه السلام وليس يخفى ان شبه كل شي مجذوب اليه وان
النفس التي نزوعها الى صنعة الاسكافة اكثر من نزوعها الى صنعة الكتابة
فهي بالاسكافة اشبه في جوهرها منها بالكتابة فكذلك من نزوع نفسه
الى نيل لذات البهايم اكثر من نزوعه الى نيل لذات الملايكة فهو بالبهايم اشبه
منه بالملايكة لا محالة وهولاء هم الذين يقال لهم اولئك كالانعام بل
هم اضل سبيلا وانما كانوا اضل لان الانعام ليس في قوتها طلب درجة
الملايكة فتركها الطلب للعجز واما الانسان ففي قوته ذلك والقادر على نيل
الكمال احرى بالذم واجدر بالنسبة الى الضلال مهما تقاعد عن طلب الكمال

صفة الملائكة والبهايم

وَاذا كان هذا كلاما معترضا فلنرجع الي المقصود فقد بينا معني قول لا اله الا الله ومعنى لا حول ولا قوة الا بالله ومن ليس قايلا بهما عن مشاهدة فلا يتصور منه حال التوكل **فان قلت** ليس في قولك لا حول ولا قوة الا بالله الا نسبة شيئين الى الله تعالى فلو قال قايل السما والارض خلق الله فهل يكون ثوابه مثل ثوابه فاقول لا لان الثواب على قدر درجات المثاب ولا مساواة بين الدرجتين ولا تنظر الي عظم السموات والارض وصغر الحول والقوة ان جاز وصفهما بالصغر تجوزا فليس الامور بعظم الاشخاص بل كل عامي يفهم ان الارض والسموات ليست من جهة الادميين فهو من الله سبحانه وتعالى فاما الحول والقوة فقد اشكل امرهما على المعتزلة والفلاسفة وطوايف كثيرة فمن يدعي انه يدقق النظر في الراي والمعقول حتى يشق الشعر بحدة نظره فهي مهلكة مخطرة ومزلة عظيمة هلكوا فيها الهالكون اذ اثبتوا لانفسهم امرا وهو شرك في التوحيد واثبات خالق سوي الله تعالى فمن جاوز هذه العقبة بتوفيق الله اياه فقد علت رتبته وعلت درجته فهو الذي يصدق قوله لا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم وقد ذكرنا انه ليس في التوحيد الا عقبتان احدهما النظر الى السما والارض والشمس والقمر والنجوم والغيم والمطر وساير الجمادات والثانيه النظر الى اختيار الحيوانات وهي اعظم العقبتين واخطرهما وبقطعهما كمال سر التوحيد فلذلك عظم ثواب هذه الكلمة اعني ثواب هذه المشاهدة التي هذه الكلمة ترجمتها فاذا رجع حال التوكل الا التبري من الحول والقوة والتوكل على الحق وسيتضح ذلك عند ذكرنا تفصيل احوال التوكل

بيان ما قاله الشيوخ في أحوال التوكل

ينبغي ان شيئا منهما لا يخرج عما ذكرناه ولكن كل واحد يشير الى بعض الاحوال فقد قال ابو موسى الديبلي قلت لابي يزيد ما التوكل فقال لي ما تقول انت قلت ان اصحابنا يقولون لو ان السباع والافاعي عن يمينك ويسارك ما تحرك لذلك سرك فقال ابو يزيد نعم هذا قريب ولكن لو ان اهل الجنة في الجنة يتنعمون واهل النار في النار يعذبون ثم وقع بك تمييز عليهما خرجت من جملة التوكل فما ذكره ابو موسى فهو خبر عن اعلى احوال التوكل وهو المقام الثالث وما ذكره ابو يزيد

عقبة التوحيد اثنتان

بيان ما قاله الشيوخ في احوال التوكل

عبارة عن أعز أنواع العلم الذي هو من أصول التوكل وهو العلم بالحكمة وان ما
فعله الله تعالى بالواجب فلا تمييز بين أهل النار وأهل الجنة بالاضافة الى أصل
العدل والحكمة وهذا أغمض أنواع العلم ووراءه سر القدر وابو يزيد قلما يتكلم
الا عن أعلى المقامات وأقصى الدرجات وليس ترك الاحتراز عن الحيات شرطا في
المقام الاول من التوكل فقد احترز ابو بكر رضي الله عنه في الغار اذ سد منافذ
الحيات الا ان يقال فعل ذلك برجله ولم يتغير بسببه سره او يقال فعل ذلك
في حق رسول الله صلى الله عليه وسلم لا في حق نفسه وانما يزول التوكل بحوله
سره وتغيره لامر يرجع الى نفسه وللنظر في هذا مجال ولكن سيأتي امثال ذلك
واكثر منه لا يناقض التوكل فان حركة السر من الحيات هو الخوف وحق المتوكل
ان يخاف مسلط ذلك لا حول للحيات ولا قوة الا بالله وان احترز لم يكن اتكاله على
تدبيره وحوله وقوته في الاحتراز بل على الخالق للحول والقوة والتدبير وسئل
ذو النون المصري عن التوكل فقال خلع الارباب وقطع الاسباب ۵
وخلع الارباب اشارة الى علوم التوحيد ۵ وقطع الاسباب اشارة الى الاعمال
وليس فيه تعرض صريح للحال وان كان اللفظ يتضمنه فقيل له زدنا فقال
القاء النفس في العبودية واخراجها من الربوبية وهذه اشارة الى التبري
من الحول والقوة فقط وسئل حمدون رحمه الله عن التوكل فقال
ان كان لك عشرة آلاف درهم وعليك دانق دين لم تأمن ان تموت ويبقى ذلك في عنقك
ولو كان عليك عشرة آلاف درهم دين من غير ان تترك لها وفاء لا تيأس من الله
ان يقضيها عنك وهذا اشارة الى مجرد الايمان بسعة القدرة وان في المقدور
اسبابا خفية سوى هذه الاسباب الظاهرة وسئل ابو عبد الله ۵
القرشي عن التوكل فقال التعلق بالله في كل حال فقال السائل زدني ۵
فقال ترك كل سبب يوصل الى سبب حتى يكون الحق هو المتولي لذلك والاول
عام للمقامات الثلاثة والثاني اشارة الى المقام الثالث خاصة وهو مثل توكل
ابراهيم الخليل عليه السلام اذ قال له جبريل ألك حاجة فقال اما
اليك فلا اذ كان سؤاله له سببا يفضي الى سبب وهو حفظ جبريل له فترك ذلك ثقة
بان الله تعالى اذا اراد سخر جبريل عليه السلام لذلك فيكون هو المتولي لذلك
وهذا حال مبهوت غائب عن نفسه بالله تعالى فلم ير معه غيره وهو حال عزيز

معنى التوكل

في نفسه ودوامه إن وجدا بعد منه وأعز . قال أبو سعيد الخراز رحمه الله: التوكل اضطراب بلا سكون وسكون بلا اضطراب إشارة إلى سكون القلب إلى الوكيل وثقته به واضطراب بلا سكون إشارة إلى فزعه إليه وابتهاله له وتضرعه بين يديه كاضطراب الطفل بيديه إلى أمه وسكون قلبه إلى تمام شفقتها . وقال أبو علي الدقاق: التوكل ثلاث درجات التوكل ثم التسليم ثم التفويض فالمتوكل يسكن إلى وعده والمسلم يكتفي بعلمه وصاحب التفويض يرضى بحكمه وهذه إشارة إلى تفاوت درجات نظره بالإضافة إلى المنظور إليه فإن العلم هو الأصل والوعد يتبعه والحكم يتبع الوعد ولا يبعد أن يكون الغالب على قلب المتوكل ملاحظة شيء من ذلك وللشيوخ في التوكل أقاويل سوى ما ذكرناه فلا نطول بها فإن الكشف أنفع من الرواية والنقل فهذا ما ينبغي أن يتعلق بحال التوكل .

بيان أعمال المتوكلين

اعلم أن العلم يورث الحال والحال يثمر الأعمال وقد يظن أن معنى التوكل ترك الكسب بالبدن وترك التدبير بالقلب والسقوط على الأرض كالخرقة الملقاة وكاللحم على الوضم وهذا ظن الجهال فإن ذلك حرام في الشرع والشرع قد أثنى على المتوكلين فكيف ينال مقام من مقامات الدين بمحظورات الدين بل نكشف الغطاء عنه ونقول إنما يظهر تأثير التوكل في حركة العبد وسعيه بعلمه إلى مقاصده وسعي العبد باختياره إما أن يكون لأجل جلب نافع هو مفقود عنده كالكسب أو لحفظ نافع موجود عنده كالادخار أو لدفع ضار لم ينزل به كدفع الصائل والسارق والسباع أو لإزالة ضار قد نزل به كالتداوي من المرض فمقصود حركات العبد لا تعدو هذه الفنون الأربعة وهو جلب النافع أو حفظه أو دفع الضار أو قطعه فلنذكر شرط التوكل ودرجاته في كل واحد منها مقرونا بشواهد الشرع

الفن الأول في جلب النافع ونقول الأسباب التي تجلب بها المنافع على ثلاث درجات مقطوع ومظنون ظنا يوثق به وموهوم وهما لا تثق به النفس ثقة تامة ولا تطمئن إليه

الدرجة الأولى المقطوع به وذلك مثل الأسباب التي ارتبطت بالمسببات لها بتقدير الله تعالى

شرط التوكل ودرجاته

تعالى ومشيئته ارتباطاً مطرداً لا يختلف كما اذا كان الطعام موضوعاً بين يديك
وانت جايع محتاج ولكنك لست تمد اليه اليد وتقول انا متوكل وشرط التوكل
ترك السعي ومد اليد اليه سعي وحركة وكذلك مضغه بالاسنان وابتلاعه
باطباق اعلى الحنك على اسافله فهذا جنون وليس من التوكل في شي فانك اذا
انتظرت ان يخلق الله تعالى فيك شبعاً دون الخبز او يخلق في الخبز حركة اليك
او يسخر ملكاً ليمضغه ويوصله الى معدتك فقد جهلت سنة الله تعالى وكذلك لو
لم تزرع الارض وطمعت في ان يخلق الله عز وجل نباتاً من غير بذر او تلد زوجتك
من غير وقاع كما ولدت مريم عليها السلام فكل ذلك جنون وامثال هذا مما يكثر
ولا يمكن احصاؤه فليس التوكل في هذا المقام بالعمل بل بالحال والعلم
اما العلم فهو ان تعلم ان الله تعالى خالق الطعام واليد والاسنان وقوة الحركة
انه الذي يطعمك ويسقيك واما الحال فهو ان يكون سكون قلبك واعتماده على فضل
الله تعالى لا على اليد والطعام وكيف تعتمد على صحة يدك وربما تجف في الحال وتفلج
وكيف تعول على قدرتك وربما يطرأ عليك في الحال ما يزيل عقلك ويبطل قوة حركتك
وكيف تعول على حضور الطعام وربما يسلط الله من يغلبك عليه او يبعث حية
تزعجك عن مكانك وتفرق بينك وبين طعامك واذا احتمل امثال ذلك ولم يكن لها علاج
الا بفضل الله تعالى فبه لك فلتفرح وعليه فلتعول فاذا كان هذا حاله وعلمه
فليمد اليه اليد فانه متوكل **الدرجة الثانية**
الاسباب التي ليست متيقنة لكن الغالب ان المسببات لا تحصل دونها وكان
احتمال حصولها دونها بعيد كالذي يفارق الامصار والقوافل ويسافر في
البوادي التي لا يطرقها الناس الا نادراً ويكون سفره من غير استصحاب زاد
فهذا ليس شرطاً في التوكل بل استصحاب الزاد في البوادي سنة الاولين
والآخرين ولا يزول التوكل به بعد ان يكون الاعتماد على فضل الله تعالى لا على الزاد
كما سبق ولكن فعل ذلك جائز وهو من اعلى مقامات التوكل ولذلك كان
يفعله الخواص رحمه الله **فان قلت** فهذا سعي في الهلاك
والقاء النفس في التهلكة فاعلم ان ذلك يخرج عن كونه حراماً بشرطين احدهما
ان يكون قد راض نفسه وسواها على الصبر على الطعام اسبوعاً فما يقاربه
بحيث يصبر عنه من غير ضيق قلب وتشويش خاطر وتعذر في ذكر الله تعالى

مطلب عجيب

مسبب الاسباب

التوكل على الله بلا زاد في البوادي

القاء النفس في التهلكة

والثاني أن يكون بحيث يقوى على التقوت بالحشيش وما يتفق له من الأشياء الخسيسة
فبعد هذين الشرطين لا يخلو في غالب الأمر في البوادي في كل أسبوع عن أن يلقاه
آدمي أو ينتهي إلى محلة أو قرية أو إلى حشيش يجتزي به وفيه فيجيء به مجاهداً نفسه والمجاهدة
عماد التوكل وعلى هذا كان يعول الخواص ونظراؤه من المتوكلين والدليل عليه أن الخواص
كان لا تفارقه الإبرة والمقراض والحبل والركوة ويقول هذا لا يقدح في التوكل
وسببه أنه علم أن البوادي لا يكون الماء فيها على وجه الأرض وما جرت سنة الله تعالى
بصعود الماء من البئر بغير دلو ولا حبل ولا يغلب وجود الحبل والدلو في البوادي كما يغلب
وجود الحشيش وإنما يحتاج إليه لوضوئه كل يوم مرات ولعطشه في يوم أو يومين مرة
فإن المسافر مع حرارة الحركة لا يصبر عن الماء وإن صبر عن الطعام وكذلك يكون له ثوب
واحد وربما يتخرق فتنكشف عورته ولا يوجد المقراض والإبرة في البوادي غالباً عند
كل صلاة ولا يقوم مقامهما في الخياطة والقطع شيء مما يوجد في البوادي فكل ما في معنى
هذه الأربعة يلتحق بالدرجة الأولى لأنه مظنون ظناً يلتبس مقطوعاً به لأنه يحتمل أن
لا يتخرق الثوب أو يعطيه إنسان ثوباً أو يجد على رأس البئر من يسقيه ولا يحتمل أن
يتحرك الطعام ممضوغاً إلى فيه فبين الدرجتين فرق ولكن الثاني في معنى الأول ٥
ولهذا نقول لو انحاز إلى شعاب الجبال حيث لا ماء ولا حشيش ولا يطرقه طارق فيه
وجلس متوكلاً فهذا آثم به ساع في إهلاك نفسه **كما روي أن زاهداً**
من الزهاد فارق الأمصار وأقام في سفح الجبل سبعاً وقال لا
أسأل أحداً شيئاً حتى يأتيني ربي برزقي فكاد يموت ولم يأته رزق فقال يا رب إن
أحييتني فأتني برزقي الذي قسمت لي وإلا فاقبضني فأوحى الله تعالى إليه وعزتي
لا أرزقك حتى تدخل الأمصار وتقعد بين الناس فدخل المصر وأقام فجاءه هذا
بطعام وهذا بشراب فأكل وشرب وأوجس في نفسه من ذلك فأوحى الله تعالى
إليه أردت أن تذهب حكمتي بزهدك في الدنيا أما علمت أن أرزق عبدي بأيدي عبادي
أحب إلي من أن أرزقه بيد قدرتي فإذاً التباعد عن الأسباب كلها مراغمة الحكمة وجهل
بسنة الله تعالى والعمل بموجب سنة الله تعالى مع الاتكال على الله تعالى دون الأسباب
لا يناقض التوكل كما ضربنا مثلاً في الوكيل بالخصومة من قبل ولكن الأسباب
تنقسم إلى ظاهرة وإلى خفية فينصرف المتوكل إلى الاكتفاء بالأسباب الخفية عن الأسباب
الظاهرة مع سكون النفس إلى مسبب السبب الخفي لا إلى السبب **فإن قلت**

مطلب

الحكاية في حق التوكل

القعود في البلد بغير كسب

فان قلت فما قولك في القعود في البلد بغير كسب أهو حرام أم مباح أم مندوب فاعلم ان ذلك
ليس بحرام لان صاحب السياحة في البوادي اذا لم يكن مهلك نفسه فكيف هذا
كان مهلكاً نفسه حتى يكون فعله حراماً بل لا يبعد ان يأتيه الرزق من حيث لا يحتسب
ولكن قد يتأخر عنه والصبر ممكن الى ان يتفق ولكن لو اغلق باب البيت على نفسه بحيث
لا طريق لاحد اليه ففعله ذلك حرام وان فتح باب البيت وهو بطال غير مشغول بعبادة
فالكسب والخروج له اولى ولكن ليس فعله حراماً الا ان يشرف على الموت فعند ذلك يلزمه
الخروج والسؤال والكسب وان كان مشغول القلب بالله غير مستشرف الى الناس ولا متطلع
الى من يدخل من الباب فيأتيه برزقه بل تطلعه الى فضل الله تعالى واشتغاله بالله فهذا
افضل وهو من مقامات التوكل وهو ان يشتغل بالله ولا يهتم برزقه فان الرزق
يأتيه لا محالة وعند هذا يصح ما قاله بعض العلماء وهو ان العبد لو هرب من رزقه
لطلبه كما لو هرب من الموت لادركه وانه لو سأل الله تعالى ان لا يرزقه لما استجاب الله

الرزق

وكان عاصياً ولقال له يا جاهل كيف اخلقك ولا ارزقك ولذلك قال ابن عباس رضي
الله عنه اختلف الناس في كل شيء الا في الرزق والاجل فانهم اجمعوا على ان لا رازق
ولا مميت الا الله تعالى وقال صلى الله عليه وسلم لو توكلتم على الله
حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماصاً وتروح بطاناً ولزالت بدعائكم الجبال
وقال عيسى عليه السلام انظروا الى الطير لا تزرع ولا تحصد ولا تدخر والله سبحانه

المرزوقة مثل البهايم

وتعالى يرزقها يوماً بيوم فان قلتم نحن اكبر بطوناً فانظروا الى الانعام كيف قيض الله
تعالى لها هذا الخلق وقال ابو يعقوب السوسي المتوكلون تجري ارزاقهم على
ايدي العباد بلا تعب منهم وغيرهم مشغولون مكدودون وقال بعضهم العبيد كلهم
في رزق الله لكن بعضهم يأكل بذل السؤال وبعضهم بتعب كالتجار وبعضهم بامتهان

مرزوق العبيد انواع

كالصناع وبعضهم بعز كالصوفية يشهدون العزيز فيأخذون رزقهم من يده ولا يرون
الواسطة **الدرجة الثالثة** ملابسة الاسباب التي يتوهم افضاؤها
الى المسببات من غير ثقة ظاهرة كالذي يستقصي في التدبيرات الدقيقة في
تفصيل الاكتساب ووجوهه وذلك يخرج بالكلية عن درجات التوكل كلها
وهو الذي فيه الناس كلهم اعني من يكتسب بالحيل الدقيقة اكتساباً مباحاً لمال مباح
فاما اخذ الشبهة او بطريق فيه شبهة فذلك غاية الحرص على الدنيا والاتكال
على الاسباب فلا يخفى ان ذلك يبطل التوكل وهي مثل الاسباب التي نسبتها الى جلب

النافع مثل نسبة الرقية والطيرة والكي بالاضافة الى ازالة الضرر فان النبي
صلى الله عليه وسلم وصف المتوكلين بذلك ولم يصفهم بانهم لا يكتسبون ولا يسكنون
الامصار ولا يأخذون من احد شيئا بل وصفهم بانهم يتعاطون هذه الاسباب
وامثال هذه الاسباب لا يوثق بها في المسببات ثم يكثر فلا يمكن احصاؤه وقال
سهل التوكل ترك التدبير وقال ان الله تعالى خلق الخلق ولم يحجبهم عن نفسه وانما
حجابهم بتدبيرهم ولعله اراد الاسباب البعيدة بالفكر فهي التي يحتاج الى التدبير دون
الاسباب الجلية فاذا قد ظهر ان الاسباب منقسمة الى ما يخرج التعلق بها عن التوكل والى
ما لا يخرج وان الذي لا يخرج ينقسم الى مقطوع به والى مظنون وان المقطوع لا يخرج
عن التوكل عند وجود حال التوكل وعلمه وهو الاتكال على مسبب الاسباب فالتوكل فيه بالحال
والعلم لا بالعمل واما المظنونات فالتوكل فيها بالحال والعلم والعمل جميعا والمتوكلون في
ملابسة هذه الاسباب على ثلث مقامات الاول مقام الخواص ونظرائه
وهو الذي يدور في البوادي بغير زاد ثقة بفضل الله عليه في تقويته على الصبر اسبوعا
او ما فوقه او بتيسير حشيش له او قوت او بتثبيته على الرضى بالموت ان لم يتيسر له شيء من ذلك
فان الذي يحمل الزاد قد يؤخذ زاده ويضل بعيره ويموت جوعا فذلك ممكن مع الزاد
كما انه ممكن مع فقده المقام الثاني ان يقعد في بيته او في مسجد ولكنه في القرى
والامصار فهذا اضعف من الاول ولكنه ايضا متوكل لانه تارك الكسب والاسباب
الظاهرة معول على فضل الله تعالى في تدبير امره من جهة الاسباب الخفية ولكنه بالقعود في
الامصار متعرض لاسباب الرزق فان ذلك من الاسباب الجلية الا ان ذلك لا يبطل توكله
اذا كان نظره الى الذي يسخر سكان البلد لايصال رزقه اليه لا الى سكان البلد اذ
يتصور ان يغفل جميعهم عنه ويضيعوه لولا فضل الله تعالى بتعريفهم وتحريك دواعيهم
المقام الثالث ان يخرج ويكتسب اكتسابا على الوجه الذي ذكرناه في الباب الثالث
والرابع من كتاب آداب الكسب وهذا السعي ايضا لا يخرجه عن مقامات التوكل
اذا لم يكن طمأنينة نفسه الى كفايته وقوته وجاهه وبضاعته فان ذلك ربما
اهلكه الله جميعه في لحظة بل يكون نظره الى الكفيل بحفظ جميع ذلك وتيسير اسبابا
له بل يرى كسبه وبضاعته وكفايته بالاضافة الى قدرة الله تعالى كما يرى القلم في يد
الملك والموقع فلا يكون نظره الى القلم بل الى قلب الملك انه بماذا يتحرك والى ماذا
يميل وبم يحكم ثم ان كان هذا المكتسب عياله او ينفق في المساكين فهو ببدنه مكتسب

الاسباب

توكل الخواص بلا زاد

الكسب والبضاعة مع الله ومثاله

الكسب لا ينافي التوكل

مكتسب ويتقلبه وعنه منقطع فحال هذا اشرف من حال القاعد في بيته والدليل
على ان الكسب لا ينافي حال التوكل اذا روعيت فيه الشروط وانضاف اليه الحال
والمعرفة كما سبق ان الصديق رضي الله عنه لما بويع بالخلافة اصبح فاخذ رزمة
متاعه تحت حضنه ودخل السوق فكره المسلمون ذلك وقالوا كيف تفعل هذا وقد
اقمت لخلافة النبوة فقال لا تشغلوني عن عيالي فاني ان اضعتهم كنت لما سواهم
اضيع حتى فرضوا له قوت اهل بيته من بيت مال المسلمين فلما رضوا بذلك راى
مساعدتهم وتطييب قلوبهم واستغراق وقته في مصالح المسلمين اولى ويستحيل ان يقال
لم يكن الصديق رضي الله عنه في مقام التوكل فمن اولى بهذا المقام منه
فدل انه كان متوكلا لا باعتبار الكسب والسعي بل باعتبار قطع الالتفات
الى قوته وكفايته والعلم بان الله تعالى ميسر الاكتساب ومدبر الاسباب
وبشروط كان يراعيها في طريق الكسب من الاكتفاء بقدر الحاجة من غير
استكثار وتفاخر وادخار ومن غير ان يكون درهمه احب اليه من درهم غيره فمن
دخل السوق ودرهمه احب اليه من درهم غيره فهو حريص في الدنيا ومحب لها
ولا يصح التوكل الا مع الزهد في الدنيا نعم يصح الزهد دون التوكل فان التوكل
مقام وراء الزهد وقال ابو جعفر الحداد وهو شيخ الجنيد
وكان من المتوكلين اخفيت التوكل عشرين سنة وما فارقت السوق كنت اكتسب
في كل يوم دينارا ولا ابيت منه دانقا ولا استريح منه الى قيراط ادخل به الحمام
بل اخرجه كله قبل الليل وكان الجنيد لا يتكلم بحضرته في التوكل وكان يقول
استحيي ان اتكلم في مقامه وهو حاضر عندي واعلم ان الجلوس في رباط الصوفية
مع وقف معلوم بعيد من التوكل وان لم يكن معلوم ووقف وامروا الخادم
بالخروج للطلب لم يصح معه التوكل الا على ضعف ولكن لا يقوى بالحال والعلم
كتوكل المكتسب وان لم يسألوا بل قنعوا بما يحمل اليهم فهو اقوى لكنه بعد اشتهار
القوم بذلك فقد صار سوقا فهو كدخول السوق ولا يكون داخل السوق متوكلا
الا بشروط كثيرة كما سبق **فان قلت** فالافضل ان يقعد في بيته
او يخرج ويكتسب فاعلم انه ان كان يتفرغ بترك الكسب لذكر وفكر واخلاص
واستغراق وقت بالعبادة وكان الكسب يشوش عليه ذلك وهو مع هذا لا
يستشرف نفسه الى الناس في انتظار من يدخل عليه فيحمل اليه شيئا بل يكون

قوي القلب في الصبر والاتكال على الله تعالى فالقعود له أولى وإن كان يضطرب
قلبه في البيت ويستشرف إلى الناس فالكسب أولى لأن استشراف القلب إلى الناس
سؤال بالقلب وتركه أهم من ترك الكسب وما كان المتوكلون يأخذون ما يستشرف
إليه نفوسهم وكان أحمد بن حنبل قد أمر أبا بكر المروزي أن يعطي بعض الفقراء شيئاً
فضلاً عما كان استأجره عليه فرده فلما ولى قال له أحمد الحقه وأعطه فإنه يقبل
فلحقه وأعطاه فقبل فسئل أحمد عن ذلك فقال كان استشرفت نفسه فرد فلما
خرج انقطع طمعه وأيس فأخذ وكان الخواص إذا نظر إلى عبد في العطاء أو خاف
اعتياد النفس له لم يقبل منه شيئاً وقيل سئل الخواص عن أعجب ما رآه في أسفاره
قال رأيت الخضر عليه السلام ورضي بصحبتي ولكني فارقته خيفة أن تسكن نفسي إليه
فيكون نقصاناً في توكلي فإذاً المكتسب إذا راعى آداب الكسب وشروط نيته
كما سبق في كتاب الكسب ولم يقصد الاستكثار ولم يكن اعتماده على بضاعته وكفايته
كان متوكلاً فإن قلت ـــــ ما علامة عدم اتكاله على البضاعة والكفاية فأقول
علامته أنه إن سرقت بضاعته أو خسرت تجارته أو تعوق أمر من أموره كان راضياً به
ولم تبطل طمأنينته ولم يضطرب قلبه بل كان حال قلبه في السكون قبله وبعده واحداً
فإن من لم يسكن إلى شيء لم يضطرب بفقده ومن اضطرب لفقد شيء فقد سكن إليه وكان
بشر يعمل المغازل فترك ذلك وذلك لأن العلوي كاتبه بلغني أنك استعنت على رزقك
بالمغازل أرأيت إن أخذ الله سمعك وبصرك الرزق على من فوقع ذلك في قلبه فأخرج
آلة المغازل من يده وقيل تركها لما نوهت باسمه وقصد لأجلها وقيل فعل ذلك
لما مات عياله كما كان لسفيان خمسون ديناراً يتجر بها فلما مات عياله فرقها
فإن قلت ـــــ فكيف يتصور أن يكون له بضاعة ولا يسكن إليها وهو يعلم
أن الكسب بغير بضاعة لا يمكن فأقول ـــــ بأن يعلم أن الذين يرزقهم الله بغير
بضاعة فيهم كثرة وأن الذين كثرت بضائعهم فسرقت وهلكت فيهم كثرة
وأن يوطن نفسه على أن الله تعالى لا يفعل به إلا ما فيه صلاحه فإن أهلك بضاعته
فهو خير له فلعله لو تركت كانت سبباً لفساد دينه وقد لطف الله تعالى به وغايته
أن يموت جوعاً فينبغي أن يعتقد أن الموت جوعاً خير له في الآخرة مهما قضى الله عليه
بذلك من غير تقصير من جهته فإذا اعتقد جميع ذلك استوى عنده وجود البضاعة
وعدمها ففي الخبر أن العبد ليهم من الليل بأمر من أمور التجارة مما لو فعله لكان

الكسب

التوكل

علامة عدم اتكاله على البضاعة

يهم أمر التجارة في الليل

لكان ذنبه هلاكه فينظر الله اليه من فوق عرشه فيصرفه عنه فيصبح كئيبا حزينا
يتطير بجاره وابن عمه من منعني من دهاني وما هو الا رحمة الله تعالى
بها ولذلك قال عمر رضي الله عنه لا ابالي اصبحت غنيا او فقيرا
فاني لا ادري ايهما خير لي ومن لم يتكامل يقينه بهذه الامور لم يتصور منه التوكل
فلذلك قال ابو سليمان الداراني لاحمد بن ابي الحواري لي من كل مقام
نصيب الا هذا التوكل المبارك فاني ما شممت منه رائحة هذا كلامه مع علو قدره
ولم ينكر كونه من المقامات الممكنة ولكنه قال ما ادركته ولعله قال واراد ادراك
اقصاه وما لم يكمل الايمان بان لا فاعل الا الله ولا رازق سواه وبان كل ما يقدره على العبد
من فقر وغنى وموت وحياة فهو خير له مما يتمناه العبد لنفسه لم يكمل له حالة التوكل
فبناء التوكل على قوة الايمان بهذه الامور كما سبق وكذا مقامات الدين من الاحوال
والاعمال ينبني على اصولها من الايمان وبالجملة التوكل مقام مفهوم ولكن يستدعي
قوة القلب وقوة اليقين وكذلك قال سهل من طعن على التكسب فقد طعن في السنة
ومن طعن على ترك التكسب فقد طعن في التوحيد **فان قلت فهل من
دواء** ينتفع به في صرف القلب عن الركون الى الاسباب الظاهرة وحسن الظن بالله تعالى
في تيسير الاسباب الخفية فاقول نعم هو ان تعرف ان سوء الظن تلقين الشيطان
وحسن الظن تلقين الله تعالى قال الله تعالى الشيطان يعدكم الفقر ويامركم
بالفحشاء والله يعدكم مغفرة منه وفضلا فالانسان بطبعه مشغوف بسماع تخويف
الشيطان ولذلك قيل الشفيق بسوء الظن مولع واذا انضم اليه الجبن وضعف القلب
ومشاهدة المتوكلين في الاسباب الظاهرة والباعثين عليها غلب سوء الظن وبطل
التوكل بالكلية بل رؤية الرزق من الاسباب الخفية ايضا يبطل التوكل فقد
حكي عن عابد انه عكف في مسجد ولم يكن له معلوم فقال له الامام
لو اكتسبت كان افضل لك فلم يجبه حتى اعاد ثلاثا فقال في الرابعة يهودي في جوار
المسجد قد ضمن لي في كل يوم رغيفين فقال ان كان صادقا في ضمانه فعكوفك في
المسجد خير لك فقال يا هذا لو لم تكن اماما تقف بين الله تعالى وبين العباد لهذا
النقص في التوحيد كان خيرا لك اذ فضلت وعد يهودي على ضمان الله تعالى للرزق
وقال امام المسجد لبعض المصلين من اين تاكل يا هذا فقال يا شيخ اصبر حتى اعيد
الصلاة التي صليتها خلفك ثم اجيبك وينفع في حسن الظن مجيء الرزق من لطف

الطعن على الكسب
الطعن على تركه

سوء الظن من الشيطان
وحسن الظن من الله

رؤية الرزق من الاسباب
الخفية

حكاية في الرزق

الله تعالى بواسطة الاسباب الخفية اذ تسمع الحكايات التي فيها عجايب صنع الله في
وصول الرزق الى صاحبه وفيها عجايب قهر الله تعالى في اهلاك اموال التجار والاغنيا
وقتلهم جوعا كما روي عن حذيفة المرعشي وكان قد خدم ابراهيم ابن ادهم
فقيل له ما اعجب ما رايت منه قال بقينا في طريق مكة اياما لم نجد طعاما
ثم دخلنا الكوفة فاوينا الى مسجد خراب فنظر الي ابراهيم ابن ادهم وقال يا حذيفة
ارى بك الجوع فقلت هو ما راى الشيخ فقال علي بدواة وقرطاس فجيت به فكتب
بسم الله الرحمن الرحيم ٥

أنا حامد أنا شاكر أنا ذاكر • أنا جايع أنا عاري •
هي ستة وانا الضمين لنصفها • فكن الضمين لنصفها يا باري •
مدحي لغيرك لهب نار خضتها • فاجر عبيدك من دخول النار •

ثم دفع الي الرقعة وقال اخرج لا تعلق قلبك بغير الله تعالى وادفع الرقعة
الى اول من يلقاك فخرجت فاول من لقيني كان رجلا على بغلة فناولته الرقعة
فاخذها فلما وقف عليها بكى وقال ما فعل صاحب هذه الرقعة فقلت هو في المسجد
الفلاني فدفع الي صرة فيها ستماية دينار ثم لقيت رجلا اخر فسألته عن راكب البغلة
فقال هذا رجل نصراني فجيت الى ابراهيم واخبرته بالقصة فقال لا تمسها فانه يجي الساعة
فلما كان بعد ساعة دخل النصراني فاكب على راس ابراهيم يقبله واسلم وقال
ابو يعقوب الاقطع البصري جعت مرة بالحرم عشرة ايام فوجدت ضعفا فحدثتني
نفسي بالخروج فخرجت الى الوادي لعلي اجد شيا يسكن ضعفي فرايت سلجمة مطروحة
فاخذتها فوجدت في قلبي منها وحشة وكان قايلا يقول لي جعت عشرة ايام واخره يكون
حظك سلجمة متغيرة فرميت بها ودخلت المسجد فقعدت فاذا انا برجل اعجمي
قد اقبل حتى جلس بين يدي ووضع قمطرة وقال هذه لك فقلت كيف خصصتني
بها فقال اعلم انا كنا في البحر منذ عشرة ايام واشرفت السفينة على الغرق فنذرت ان
خلصني الله تعالى ان اتصدق بهذه على اول من يقع عليه بصري من المجاورين وانت اول
من لقيته فقلت افتحها ففتحها فاذا فيها سميد مصري ولوز مقشور وسكر وكعاب فقبضت
قبضة من هذا وقبضة من هذا وقلت رد الباقي الى صبيانك هدية مني اليكم وقد قبلتها
ثم قلت في نفسي رزقك يسير من عشرة ايام وانت تطلبه في الوادي ٥ وقال
ممشاد الدينوري كان علي دين فاشتغل قلبي بسببه فرايت في النوم كان قايلا يقول

مطلب الحكاية في الرزق

انا قانع

الحكاية في امر الرزق

الحكاية في أمر الرزق

يقول يا بخيل قد أخذت علينا هذا المقدار من الذي يُجد عليك الأخذ وعلينا الإعطاء
فحاسبت بعد ذلك بقالاً ولا قصاباً ولا غيرهم **وحكي عن بنان الحمال**
قال كنت في طريق مكة أجيء من مصر ومعي زاد فجاءتني امرأة وقالت يا بنان أنت حمال
تحمل على ظهرك الزاد وتتوهم أنه لا يرزقك قال فرميت بزادي ثم أتى علي ثلاث
لم آكل فوجدت خلخالاً في الطريق فقلت في نفسي آخذه حتى يجيء صاحبه فربما
يعطيني شيئاً فأرده عليه فإذا أنا بتلك المرأة فقالت لي أنت تاجر تقول عسى
يجيء صاحبه فآخذ منه شيئاً ثم رمت إلي بشيء من الدراهم وقالت أنفقه فاكتفيت
بها إلى قريب من مصر **ويروى أن بنان احتاج إلى جارية** تخدمه فانبسط
إلى إخوانه فجمعوا له ثمنها فقالوا هو ذا يجيء النفير فنشتري ما يوافق فلما ورد
النفير اجتمع رأيهم على واحدة وقالوا إنها تصلح له فقالوا لصاحبها بكم هذه
الجارية فقال إنها ليست للبيع فألحوا عليه فقال إنها لبنان الحمال أهدتها إليه
امرأة من سمرقندي فحملت إلى بنان وذكرت له القصة **وقيل كان في
الزمن الأول رجل في سفر** ومعه قرص فقال إن أكلته مت فوكل الله تعالى به
ملكاً وقال إن أكله فارزقه وإن لم يأكله فلا تعطه غيره فلم يزل القرص معه إلى أن مات
ولم يأكل وبقي القرص بعينه وقال أبو سعيد الخراز دخلت البادية
بغير زاد فأصابتني فاقة فرأيت المرحلة من بعيد فسررت بأن وصلت ثم فكرت في نفسي
أني سكنت واتكلت على غيره فآليت أن لا أدخل المرحلة إلا أن أحمل إليها فحفرت لنفسي
حفيرة في الرمل وواريت جسدي فيها إلى صدري فسمعوا صوتاً في نصف الليل عالياً
يا أهل المرحلة إن لله ولياً حبس نفسه في هذا الرمل فالحقوه فجاءه جماعة فأخرجوني
وحملوني إلى القرية **ويروى أن رجلاً لازم باب عمر رضي
الله عنه** فقال عمر يا هذا هاجرت إلى عمر أو إلى الله اذهب فتعلم
القرآن فإنه سيغنيك عن باب عمر فذهب الرجل وغاب حتى افتقده عمر فإذا هو
قد اعتزل واشتغل بالعبادة فقال عمر إني اشتقت إليك فما الذي شغلك عنا
فقال إني قرأت القرآن فأغناني عن عمر وآل عمر فقال عمر رحمك الله فما وجدت فيه
فقال وجدت فيه وفي السماء رزقكم وما توعدون فقلت رزقي في السماء وأنا
أطلبه في الأرض فبكى عمر وقال صدقت وكان عمر بعد ذلك يأتيه ويجلس إليه
وقال أبو حمزة الخراساني حججت سنة من السنين فبينا أنا أمشي في الطريق

الرجوع إلى باب الله

إذ وقعت في بير فنازعتني نفسي ان استغيث ثم قلت لا والله لا استغيث فما استتممت هذا الخاطر حتى مر براس البير رجلان فقال احدهما تعال حتى نسد راس هذا البير لئلا يقع فيه احد فاتوا بقصب وبارية وطموا راس البير فهممت ان اصيح ثم قلت في نفسي الى من اصيح هو اقرب منهما وسكنت فبينا انا بعد ساعة اذا انا بشيء جاء وكشف عن راس البير وادلى رجله وكانه يقول تعلق بي في همهمة له كنت اعرف ذلك فتعلقت به فاخرجني فاذا هو سبع فمر وهتف بي هاتف يا ابا حمزة اليس هذا احسن نجيناك من التلف بالتلف فمشيت وانا اقول

نهاني حيائي منك ان اكتم الهوى • واغنيتني بالفهم منك عن الكشف •
تلطفت في امري فابديت شاهدي • الى غائبي واللطف يدرك باللطف •
تراءيت لي بالغيب حتى كانما • يبشرني بالغيب انك في الكف •
اراك وبي من هيبتي لك وحشة • فتونسني باللطف منك وبالعطف •
وتحيي محبا انت في الحب حتفه • وذا عجب كون الحياة مع الحتف •

وأمثال هذه الوقايع مما يكثر واذا قوي الايمان به وانضم اليه القدرة على الجوع قدر اسبوع من غير ضيق صدر وقوي الايمان بانه ان لم يسق اليه رزقه في الاسبوع فالموت خير له عند الله وذلك حسبه عند ذلك التوكل بهذه الاحوال والمشاهدات والا فلا يتم اصلا

بيان توكل المعيل

اعلم ان من له عيال فحكمه يفارق المنفرد لان المنفرد لا يصح توكله الا بامرين احدهما قدرته على الجوع اسبوعا من غير استشراف وضيق نفس والاخر ابواب من الايمان ذكرناها من جملتها ان يطيب نفسا بالموت وان لم ياته رزقه علما بانه رزقه الموت والجوع وهو وان كان نقصانا في الدنيا فهو زيادة في الاخرة فيرى انه سيق اليه خير الرزقين له وهو رزق الاخرة فبهذا يتم التوكل ولا يجوز تكليف العيال الصبر على الجوع ولا يمكن انه يقرر عندهم الايمان بالتوحيد وبان الموت على الجوع رزق مغبوط عليه في نفسه ان اتفق ذلك نادرا وكذلك ساير ابواب الايمان فاذا لا يمكنه في حقهم الا التوكل

بيان توكل المعيل

اتكال المنفرد واتكال ذي العيال

توكل المكتسب وهو المقام الثالث كتوكل ابي بكر الصديق رضي الله عنه اذ خرج
للكسب فاما دخول البوادي وترك العيال توكلا في حقهم او القعود عن
الاهتمام بامرهم توكلا في حقهم فهذا حرام وهذا قد يفضي الى هلاكهم ويكون
هو مواخذا بهم بل الحقيق انه لا فرق بينه وبين عياله فانه ان ساعده العيال
على الصبر على الجوع مدة وعلى الاستعداد والموت على الجوع رزقا وغنيمة في الاخرة
فله ان يتوكل في حقهم وفي نفسه ايضا عيال عنده لا يجوز له ان يضيعها الا بان يساعده
على الصبر مع الجوع مدة فان كان لا يطيقه ويضطرب عليه قلبه ويتشوش عبادته
لم يجز له التوكل ولذلك روي ان ابا تراب النخشبي نظر الى صوفي قد مد يده الى
قشر بطيخ ليأكله بعد ثلاثة ايام فقال لا يصلح لك التصوف الزم السوق اي لا تصوف
الا مع التوكل ولا يصح التوكل لمن لا يصبر عن الطعام اكثر من ثلاثة ايام وقال
ابو علي الروذباري اذا قال الفقير بعد خمسة ايام انا جائع فالزموه السوق ومروه
بالكسب والعمل فاذا بدنه وعياله وتوكله فيما يضربه ببدنه كتوكله في عياله ولا
يفارقه في شيء وهو ان له تكليف نفسه الصبر على الجوع وليس له ذلك في عياله وقد
انكشف لك من هذا ان التوكل ليس انقطاعا عن الاسباب بل الاعتماد على الصبر على الجوع
مدة والرضا بالموت ان تاخر الرزق نادرا وملازمة البلاد والامصار او ملازمة
البوادي التي لا تخلو عن حشيش وما يجري مجراه فهذه كلها اسباب البقاء ولكن مع نوع
من الاذى يمكن الاستمرار عليه بالصبر والتوكل في الامصار واقرب الى الاسباب
من التوكل في البوادي وكل ذلك من الاسباب الا ان الناس تعدلوا الى اسباب
اظهر منها فلم يعدوا ذلك اسبابا وذلك لضعف ايمانهم وشدة حرصهم
وقلة صبرهم على الاذى في الدنيا لاجل الاخرة واستيلاء الجبن على قلوبهم
باساءة الظن وطول الامل ومن نظر في ملكوت السموات والارض انكشف له
تحقيقا ان الله تعالى دبر الملك والملكوت تدبيرا لا يجاوز العبد رزقه وان ترك
الاضطراب فان العاجز عن الاضطراب لم يجاوزه رزقه اما ترى الجنين في بطن امه
لما ان كان عاجزا عن الاضطراب كيف وصل رزقه بالام حتى ينتهي اليه فضلات غذاء
الام بواسطة السرة لم يكن ذلك حيلة للجنين ثم لما انفصل سلط الحب والشفقة
على الام لتتكفل به شاءت ام ابت اضطرارا من الله تعالى اليها بما اشتعل في قلبها
من نار المحبة ثم لما لم يكن له سن يمضغ به الطعام جعل رزقه من اللبن الذي لا يحتاج

التوكل

الرزق في بطن الام وبعد خروجه

إلى المضغ ولانه لو خاوه مزاجه كان لا يحتمل الغذا الكثيف فادر له اللبن اللطيف في
ثدي الام عند انفصاله على حسب حاجته فكان هذا بحيلة الطفل او بحيلة الام فاذا
صار بحيث يوافقه الغذا الكثيف انبت له اسنانا قواطع وطواحن لاجل المضغ فاذا كبر
واستقل يسر له اسباب التعلم وسلوك سبيل الاخرة فجنبه بعد البلوغ تمهل محض
لانه ما نقص اسباب معيشته ببلوغه بل زادت فانه لم يكن قادرا على الاكتساب والان
قد قدر فزادت قدرته ثم كان المشفق شخص واحد وهو الام والاب فكانت شفقته
مفرطة جدا فكان يطعمه ويسقيه في اليوم مرة ومرتين فكان اطعامه بتسليط الله
تعالى الشفقة والحب على قلبه فكذلك الان قد سلط الله الشفقة والمودة والرقة والرحمة
على قلوب المسلمين واهل البلد كافة حتى ان كل واحد منهم اذا احس بمحتاج تالم قلبه
ورق عليه وانبعث له داعية الى ازالة حاجته فقد كان المشفق عليه واحدا والان
المشفق عليه الف وزيادة ولقد كانوا لا يشفقون عليه لانهم راوه في كفالة
الام وهو مشفق خاص فلم يروه محتاجا ولو راوه يتيما لسلط الله تعالى داعية الرحمة
على واحد من المسلمين او على جماعة حتى ياخذونه ويكفلونه فما روي الا في سني
الخصب يتيم قد مات جوعا مع انه عاجز عن الاضطراب ولم يكن له كافل خاص والله تعالى
كافله بواسطة الشفقة التي خلقها في قلوب عباده فلماذا ينبغي ان يشتغل قلبه
برزقه بعد البلوغ ولم يشتغل في الصبي وقد كان المشفق عليه واحد والمشفق
الان الف ثم كانت شفقة الام اقوى واخص ولكنها واحدة وشفقة احاد الناس
وان ضعفت فيخرج في مجموعها ما يفيد الغرض فكم من يتيم قد يسر الله تعالى له
حالا هو احسن من حال من له اب وام فينجبر ضعف شفقة الاحاد بكثرة المشفقين
وبترك التنعم والاقتصار على قدر الضرورة **ولقد احسن الشاعر**
حيث قال

• جرى قلم القضا بما يكون • فسيان التحرك والسكون •

• جنون منك ان تسعى لرزق • ويرزق في غشاوته الجنين •

فان قلت الناس يكفلون اليتيم لانهم يرونه عاجزا بصباه واما
هذا فبالغ قادر على الكسب فلا يلتفتون اليه ويقولون ان هذا مثلنا فليجتهد لنفسه
فاقول ___ ان كان هذا القادر بطالا فقد صدقوا فعليه الكسب ولا معنى للتوكل
في حقه فان التوكل مقام من مقامات الدين يستعان به على التفرغ لله تعالى فما للبطال

انفاق اهل البلد الى ما يحتاج

الشفقة الى الفقراء واليتيم

للبطال والتوكل وإن كان مشتغلاً بالله ملازماً لمسجد أو بيت وهو مواظب على العلم والعبادة
فالناس لا يلومونه في ترك الكسب ولا يكلفونه ذلك بل اشتغاله بالله تعالى يقرر حبه
في قلوب الناس حتى يحملون إليه فوق حاجته وإنما عليه أن لا يغلق الباب ولا يهرب إلى
جبل من بين الناس وما رؤي إلى الآن عالم أو عابد استغرق الأوقات بالله تعالى وهو في الأمصار
فمات جوعاً ولا يرى قط بل لو أراد أن يطعم جماعة من الناس بقوله لقدر عليه فإن من كان لله
كان الله له ومن اشتغل بالله ألقى محبته في قلوب الناس وسخر له القلوب كما سخر قلب الأم لولدها
فقد دبر الله الملك والملكوت تدبيراً كافياً لأهل الملك والملكوت فمن شاهد هذا التدبير وثق
بالمدبر واشتغل به وآمن ونظر إلى مسبب الأسباب نعم ما دبره تدبيراً يصل إلى المشتغل
به الحلوا والطير السمان والثياب الرفيعة والخيول النفيسة على الدوام لا محالة وقد
يقع ذلك أيضاً في بعض الأحوال لكن دبره تدبيراً يصل إلى كل مشتغل بعبادته في كل أسبوع
قرص شعير أو حشيش بحتاً وإنه لا محالة والغالب أنه يصل أكثر منه بل يصل ما يزيد على
الحاجة والكفاية فلا سبب لترك التوكل إلا رغبة النفس في التنعم على الدوام ولبس الثياب
الناعمة وتناول الأغذية اللطيفة وليس ذلك من طريق الآخرة وذلك قد لا يحصل من غير
اضطراب وهو في الغالب أيضاً ليس يحصل مع الاضطراب وإنما يحصل نادراً ومع النادر
أيضاً قد يحصل بغير اضطراب فأثر الاضطراب ضعيف ومن انفتحت بصيرته فلذلك لا يطمئن
إلى اضطرابه بل إلى مدبر الملك تدبيراً لا يجاوز عبداً من عباده رزقه وإن سكن إلا نادراً
ندوراً عظيماً يتصور مثله في حق المضطرب وإذا انكشفت هذه الأمور وكان معه قوة
في القلب وشجاعة أثمر ذلك ما قاله الحسن البصري رحمه الله إذ قال وددت
أن أهل البصرة في عيالي وأن حبة بدينار وقال ——— وهيب ابن الورد لو كانت السماء
نحاساً والأرض رصاصاً واهتممت برزقي لظننت أني مشرك فإذا فهمت هذه الأمور
فهمت أن التوكل مقام مفهوم في نفسه ويمكن الوصول إليه لمن قهر نفسه وعلمت
أن من أنكر أصل التوكل وإمكانه أنكره عن جهل فإياك أن تجمع بين الإفلاسين الإفلاس
عن وجود المقام ذوقاً والإفلاس عن الإيمان به علماً فإذاً عليك بالقناعة بالنزر
القليل والرضا بالموت فإنه يأتيك لا محالة وإن فررت منه وعند ذلك على الله أن
يبعث إليك رزقك على يد من لا تحتسب فإن اشتغلت بالتقوى والتوكل شاهدت
بالتجربة مصداق قوله تعالى ومن يتق الله يجعل له مخرجاً ويرزقه من حيث لا يحتسب
إلا أنه لم يتكفل أن يرزقه لحم الطير ولذائذ الأطعمة فما ضمن إلا الرزق الذي يدوم

الاشتغال بالله تعالى

التقوى سبب الرزق

بيانه وهذا المضمون مبذول لكل من اشتغل بالضمان واطمأن إلى ضمانه فإن الذي أحاط به
تدبير الله تعالى من الأسباب اللطيفة للرزق أعظم مما ظهر للخلق بل مداخل الرزق لا تحصى
ومجاريه لا يهتدى إليها وذلك لأن ظهوره على الأرض وسببه في السماء قال الله تعالى
وفي السماء رزقكم وما توعدون وأسرار السماء لا يطلع عليها ولهذا دخل جماعة على الجنيد
فقالوا نطلب الرزق فقال إن علمتم أي موضع هو فاطلبوه قالوا فنسأل الله تعالى قال إن
علمتم أنه ينساكم فذكروه قالوا فندخل البيت فنتوكل فقال التوكل على التجربة شك
قالوا فما الحيلة قال ترك الحيلة وقال أحمد بن عيسى الخراز كنت في البادية فنالني جوع
شديد فغلبتني نفسي أن أسأل الله عز وجل طعاما فقلت ليس هذا من فعل المتوكلين
فطالبتني أن أسأل الله صبرا فلما هممت بذلك سمعت هاتفا يقول ويزعم أنه منا قريب

وأنا لا نضيع من أتانا

ويسألنا القوي جهدا وضعفا . كأنا لا نراه ولا يرانا .

فهمت أن من انكسرت نفسه وقوي قلبه ولم يضعف بالجبن وقوي إيمانه بتدبير الله تعالى
كان مطمئن النفس أبدا واثقا بالله تعالى فإن أسوأ أحواله أن يموت ولا بد أن يأتيه
الموت كما يأتي من ليس مطمئنا فإذا تمام التوكل بقناعة من جانب ووفاء والذي ضمن رزق القانعين
بهذه الأسباب التي ذكرها صادق وقانع وجرب تشاهد صدقه ثم قد تحققت بما يرد عليك
من الأرزاق العجيبة التي لم تكن في ظنك وحسابك ولا تكن في توكلك منتظرا للأسباب
بل للمسبب للأسباب كما لا يكون منتظرا للقلم الكاتب بل لقلب الكاتب فإنه أصل حركة القلم
والمحرك الأول واحد فلا ينبغي أن يكون النظر إلا إليه وهذا شرط توكل من يدخل البوادي
بلا زاد أو يقعد في الأمصار وهو خامل. وأما الذي ذكر بالعبادة والعلم فإذا قنع
في اليوم والليلة بالطعام مرة واحدة كيف كان وإن لم يكن من اللذائذ وبثوب خشن يليق
بأهل الدين فهذا يأتيه من حيث يحتسب على الدوام بل يأتيه أضعافه فتركه التوكل
واهتمامه بالرزق غاية الضعف والقصور فإن اشتهاره سبب ظاهر جلب الرزق إليه
أقوى من دخول الأمصار في حق الخامل مع الاكتساب والاهتمام بالرزق قبيح
بذوي الدين وهو بالعلماء أقبح لأن شرطهم القناعة والعالم القانع يأتيه رزقه
ورزق جماعة كثيرة إن كانوا معه إلا إذا أراد أن لا يأخذ من أيدي الناس ويأكل من
كسبه فذلك له وجه لائق بالعالم العامل الذي سلوكه بظاهر العلم والعمل ولم يكن
له سير بالباطن فإن الكسب يمنع من السير بالفكر الباطن فاشتغاله بالسلوك مع

شرط التوكل في البوادي

مع الآخذ منه ممن يتقرب الى الله تعالى بما يعطيه اولى لانه تفرغ لله واعانة للمعطي
على نيل الثواب ومن نظر الى مجاري سنة الله علم ان الرزق ليس على قدر الاسباب
ولذلك سأل بعض الاكاسرة حكيما عن الاحمق المرزوق
والعاقل المحروم فقال اراد الصانع ان يدل على نفسه اذ لو رزق كل عاقل وحرم
كل احمق لظن ان العقل رزق صاحبه فلما راوا خلافه علموا ان الرزاق غيرهم ولا
ثقة بالاسباب الظاهرة لهم

بيان احوال المتوكلين

في التعلق بالاسباب بضرب مثال

اعلم ان مثال الخلق مع الله تعالى مثال طايفة
من السوال وقفوا في ميدان على باب قصر الملك وهم محتاجون الى الطعام فاخرج
اليهم غلمانا كثيرة ومعهم ارغفة من الخبز وامرهم ان يعطوا بعضهم رغيفين رغيفين
وبعضهم رغيفا رغيفا ويجتهدوا في ان لا يغفلوا عن واحد منهم وامر مناديا
حتى نادى ان اسكنوا ولا تتعلقوا بغلماني اذا خرجوا اليكم بل ينبغي ان يطمين كل
واحد في موضعه فان الغلمان مسخرون وهم مامورون بان يوصلوا اليكم طعامكم
فمن تعلق بالغلمان واذاهم واخذ رغيفين فاذا فتح باب الميدان وخرج اتبعته
بغلام يكون موكلا به الى ان اتقدم بعقوبته في ميقات معلوم عندي ولكن اخفيه
ومن لم يوذ الغلمان وقنع برغيف واحد اتاه من يد الغلام وهو ساكن فاني
اخصه بخلعة سنية في الميعاد المذكور لعقوبة الاخر ومن ثبت في مكانه ولكنه
اخذ رغيفين فلا عقوبة عليه ولا خلعة له ومن اخطاه غلماني ولم يوصلوا اليه
شيا فبات الليلة غير متسخط على الغلمان ولا قايل ليته اوصل الي رغيفين فاني
غدا استوزره وافوض ملكي اليه فانقسم السوال الى اربعة اقسام قسم غلبت
عليهم بطونهم فلم يلتفتوا الى العقوبة الموعودة وقالوا من اليوم الى غد فرج ونحن
الان جياع فبادروا الى الغلمان فاذوهم واخذوا الرغيفين فسبقت العقوبة اليهم في الميعاد
فندموا ولم ينفعهم الندم • وقسم تركوا التعلق بالغلمان خوف العقوبة ولكن اخذوا
رغيفين لغلبة الجوع فسلموا من العقوبة ولم يفوزوا بالخلعة • وقسم قالوا ان

بيان احوال المتوكلين

مثال المتوكل

مثل عجايب

بجلس بمرأى من الغلمان حتى يتخطونا ولا نأخذ إذا أعطونا إلا رغيفا واحدا ونقنع
به لعلنا نفوز بالخلعة ففازوا وقسم رابع اختفوا في زوايا الميدان وانحرفوا عن
مرأى الغلمان وقالوا إن تبعونا وأعطونا قنعنا برغيف واحد فإن تخطونا فاسبنا
شدة الجوع الليلة فلعلنا نقوى على ترك التسخط فننال رتبة الوزارة ودرجة القرب
عند الملك فما نفعهم ذلك إذ تبعهم الغلمان في كل زاوية وأعطوا كل واحد رغيفا
واحدا وجرى مثل ذلك أياما حتى اتفق على الندور اختفى ثلاثة في زاوية ولم
يقع عليهم أبصار الغلمان وشغلهم شغل صارف عن طول التفتيش فباتوا في جوع
شديد فقال اثنان منهم ليتنا تعرضنا للغلمان وأخذنا طعامنا فلسنا نطيق الصبر وسكت
الثالث إلى الصباح فنال درجة القرب والوزارة فهذا مثال الخلق فالميدان هو
الحيوة الدنيا وباب الميدان الموت والميعاد المجهول القيامة والوعد بالوزارة هو
الوعد بالشهادة للمتوكل إذا مات جائعا راضيا من غير تأخيره لذا إلى ميعاد القيمة
لأن الشهداء أحياء عند ربهم يرزقون والمتعلق بالغلمان هو المتعب في الأسباب
والغلمان المسخرون هي الأسباب والجالس في ظاهر الميدان بمرأى الغلمان هم المقيمون
في الأمصار في الرباطات والمساجد على هيئة السكون والمختفون في الزوايا
هم السائحون في البوادي على هيئة التوكل والأسباب تتبعهم والرزق يأتيهم إلا
على سبيل الندور فإن مات واحد منهم جائعا راضيا فله الشهادة والقرب من الله
تعالى وقد انقسم الخلق إلى هذه الأقسام الأربعة فلعل من كل مائة متعلق بالأسباب تسعون
يسعون وأقام سبعة من العشرة الباقية في الأمصار متعرضين للأسباب بمجرد حضورهم
واشتهارهم وساح في البوادي ثلاثة فتسخط منهم اثنان وفاز بالقرب واحد ولعله
كذلك كان في الأعصار السالفة فأما الآن فالتارك للأسباب لا ينتهي إلى واحد
من عشرة آلاف **الفن الثاني في التعرض لأسباب الادخار**
فمن حصل له مال بإرث أو كسب أو سؤال أو سبب من الأسباب فله في ادخاره ثلاثة
أحوال • الأولى أن يأخذ قدر حاجته في الوقت فيأكل إن كان جائعا ويلبس إن كان
عاريا ويشتري مسكنا مختصرا إن كان محتاجا ويفرق الباقي في الحال ولا يأخذه
ولا يدخره إلا القدر الذي يترك به من يستحقه ويحتاج إليه فيدخره على هذه النية
فهذا هو الوفاء بموجب التوكل تحقيقا وهي الدرجة العليا **الحالة الثانية**
المقابلة لهذه المخرجة له عن حد التوكل أن يدخره لسنة فما فوقها فهذا ليس من

التصوف عجائب تحقق الدنيا والموت والقيامة والميعاد

الادخار

عاريا

من المتوكلين اصلا وقد قيل لا يدخر من الحيوانات الا ثلاث الفارة والنملة
وابن ادم **الثالثة** ان يدخر لاربعين يوما فما دونه فهذا هل يوجب حرمانه
عن المقام المحمود في الاخرة للمتوكلين ام لا اختلفوا فيه فذهب سهل الى انه يخرج عن
التوكل وذهب الخواص الى انه لا يخرج عن حدود التوكل بالزيادة على الاربعين
ايضا وهذا اختلاف لا معنى له بعد تجويز اصل الادخار نعم يجوز ان يظن ظان ان اصل
الادخار يناقض التوكل فاما التقدير بعد ذلك فلا مدرك له وكل ثواب موعود على رتبة
فانه يتوزع على تلك الرتبة وتلك الرتبة لها بداية ونهاية ويسمى صاحب النهايات السابقين
واصحاب البدايات اصحاب اليمين ثم اصحاب اليمين ايضا على درجات وكذلك السابقون
واعالي درجات اصحاب اليمين تلاصق اسافل درجات السابقين فلا معنى للتقدير في
مثل هذا والتحقيق ان التوكل بترك الادخار لا يتم الا بقصر الامل واما عدم امل البقا
فيبعد اشتراطه ولو في نفس فان ذلك كالممتنع وجوده اما الناس فيتفاوتون في
طول الامل وقصره واقل درجات الامل يوم وليلة فما دونه من الساعات واقصاه
ما يتصور ان يكون عمر الانسان وبينهما درجات لا حصر لها فمن لم يؤمل اكثر من شهر
فهو اقرب الى المقصود ممن يؤمل سنة وتعيينه باربعين لاجل ميعاد موسى بعيد
فان تلك الواقعة ما قصد بها بيان ما يرخص الامل فيه ولكن استحقاق موسى عليه
السلام لنيل الموعود كان لا يتم الا بعد اربعين يوما لسر جرت به وبامثاله سنة
الله تعالى في تدريج الامور كما قال عليه السلام خمر طينة ادم بيده
اربعين صباحا لان استحقاق تلك الطينة للتخمير كان موقوفا على مدة مبلغها ما ذكر
فاذا اما وراء السنة لا يدخر له الا بحكم ضعف القلب والركون الى ظاهر الاسباب
فهو خارج عن مقام التوكل بغير وثوق باحاطة التدبير من الوكيل الحق بخفايا الاسباب
واذ اسباب الداخل في الارتفاعات والزكوات تتكرر بتكرر السنين غالبا ومن
ادخر لاقل من سنة فله درجة بحسب قصر امله ومن كان امله شهرين لم تكن درجته دون
درجة من امل شهرا ولا درجة من امل ثلاثة اشهر بل هو بينهما في الرتبة ولا
يمنع من الادخار الا قصر الامل فالافضل ان لا يدخر اصلا فان ضعف قلبه فكلما قل
ادخاره كان فضله اكثر **وقد روي في الفقير** الذي امر رسول الله صلى
الله عليه وسلم عليا واسامة رضي الله عنهما فغسلاه وكفناه ببردته فلما دفنه قال
لاصحابه انه يبعث يوم القيامة ووجهه كالقمر ليلة البدر ولولا خصلة كانت فيه

الصائم وذكر الله

بعث ووجهه كالشمس الضاحية قيل وما هي يا رسول الله قال كان صواما قواما كثير الذكر لله
تعالى غير انه اذا جاء الشتاء ادخر حلة الصيف لصيفيه اخرى واذا جاء الصيف ادخر حلة الشتاء
لشتاء اخر ثم قال من اقل ما اوتيتم اليقين وعزيمة الصبر الحديث وليس الكوز والسفرة وما
يحتاج اليه على الدوام في معنى ذلك فادخاره لا ينقص الدرجة واما ثوب الشتاء فلا
يحتاج اليه في الصيف وهذا في حق من لا ينزعج قلبه بترك الادخار ولا يستشرف نفسه
الى ايدي الخلق بل لا يلتفت قلبه الا الى الوكيل الحق فان كان يستشعر في نفسه اضطرابا
يشغل قلبه عن العبادة والذكر والفكر فالادخار له اولى بل لو امسك ضيعة يكون
دخلها وافيا بقدر كفايته وكان لا يفرغ قلبه الا به فذلك له اولى لان المقصود اصلاح
القلوب ليتجرد لذكر الله ورب شخص يشغله وجود المال ورب شخص يشغله عدمه
والمحذور ما يشغل عن الله تعالى والا فالدنيا في عينها غير محذورة لا وجودها ولا عدمها
ولذلك بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم الى اصناف الخلق وفيهم التجار والمحترفون
واهل الحرف والصناعات فلم يامر التاجر بترك تجارته ولا المحترف بترك حرفته ولا امر التارك
لهما بالاشتغال بهما بل دعا الكل الى الله تعالى وارشدهم الى ان فوزهم ونجاتهم في

الادخار ادخار المنفرد

انصراف قلوبهم عن الدنيا الى الله تعالى وعمدة الاشتغال بالله القلب فصواب الضعيف
ادخار قدر حاجته كما ان صواب القوي ترك الادخار وهذا كله حكم المنفرد

ادخار ذي العيال

فاما المعيل فلا يخرج عن حد التوكل بادخار قوت سنة لعياله جبرا لضعفهم وتسكينا
لقلوبهم وادخار اكثر من ذلك مبطل للتوكل لان الاسباب تتكرر عند تكرر السنين
فادخاره ما يزيد على ذلك سببه ضعف قلبه وذلك يناقض قوة التوكل فالمتوكل عبارة
عن موحد قوي القلب مطمين النفس الى فضل الله واثق بتدبيره دون وجود الاسباب
الظاهرة وقد ادخر رسول الله صلى الله عليه وسلم لعياله قوت سنة ونهى ام ايمن
وغيرها ان تدخر شيا لغد ونهى بلالا عن الادخار في كسرة خبز ادخرها ليفطر عليها فقال
انفق بلال ولا تخش من ذي العرش اقلالا وقال اذا سيلت فلا تمنع واذا اعطيت

ادخار رسول الله عجايب

فلا تخبا والاقتدا بسيد المتوكلين صلوات الله عليه وقد كان قصر امله اذا بال يتيمم
مع قرب الماء ويقول ما يدريني لعلي لا ابلغه وكان صلى الله عليه وسلم لو ادخر لم
ينقضه ذلك من توكله اذا كان لا يثق بما ادخره ولكنه ترك ذلك تعليما للاقويا من امته
فان اقويا امته ضعفا بالاضافة الى قوته وادخر لعياله سنة لا لضعف قلب فيه
وفي عياله ولكن ليسن ذلك للضعفا من امته ثم اخبر ان الله تعالى يحب ان يوتى رخصه

رخصة لما يجب ان يوتي عزايمه تطييبا لقلوب الضعفا حتى لا ينتهي بهم الضعف
الي الياس والقنوط فيتركون الميسور من الخير عليهم لعجزهم عن منتهى الدرجات
فما ارسل صلى الله عليه وسلم الا رحمة للعالمين كلهم على اختلاف اصنافهم ودرجاتهم
واذا فهمت هذا علمت ان الادخار قد يضر بعض الناس وقد لا يضر ويدل عليه
ما روى ابو امامة الباهلي ان بعض اصحاب الصفة توفي فما وجد له كفن فقال صلى الله
عليه وسلم فتشوا ثوبه فوجد فيه دينارين في داخل ازاره فقال عليه السلام كيتان
وقد كان غيره من المسلمين يموت ويخلف اموالا فلا يقول ذلك في حقه وهذا يحتمل وجهين
لان حاله يحتمل حالين احدهما اراد كيتان من النار كما قال تعالى فتكوى بها
جباههم وجنوبهم وذلك اذا كان حاله اظهار الزهد والفقر والتوكل مع الافلاس عنه
فهو نوع تلبيس والثاني ان لا يكون ذلك عن تلبيس فان كل ما يخلفه الرجل فهو نقصان
عن درجته في الاخرة اذ لا يوتى احد من الدنيا شيا الا نقص بقدره من الاخرة
واما بيان ان الادخار مع فراغ القلب عن المدخر ليس من ضرورته بطلان التوكل
فيشهد له ما روي عن بشر رحمه الله قال الحسين المغازلي من اصحابه كنت عنده ضحوة
من النهار فدخل عليه كهل اسمر خفيف العارضين فقام اليه بشر قال وما رايته قام لاحد
غيره قال ودفع الي كفا من دراهم فقال اشتر لنا من اطيب ما تقدر عليه من الطعام
والطيب وما قال لي قط مثل ذلك قال فجئت بالطعام فوضعته فاكل معه وما رايته
اكل مع غيره قال فاكلنا حاجتنا وبقي من الطعام شي كثير فاخذه الرجل وجمعه في
ثوبه وحمله وانصرف فعجبت من ذلك وكرهته له فقال لي بشر لعلك انكرت فعله
قلت نعم اخذ بقية الطعام من غير اذن فقال ذاك اخونا فتح الموصلي زارنا اليوم
من الموصل وانما اراد ان يعلمنا ان التوكل اذا صح لم يضر معه الادخار **الفن الثالث**
في مباشرة الاسباب الدافعة للضرر المعرض للخوف اعلم ان الضرر قد يعرض
للخوف في نفس او مال وليس من شرط التوكل ترك الاسباب الدافعة راسا اما في النفس
فكالنوم في المسبعة او في مجرى السيل من الوادي او تحت الجدار المايل او
السقف المنكسر فكل ذلك منهي عنه وصاحبه قد عرض نفسه للهلاك من غير فايدة
نعم تنقسم هذه الاسباب الى مقطوع به والى مظنون والى موهوم فترك الموهوم
منها من شرط التوكل وهي التي نسبتها الى دفع الضرر نسبة الكي والرقية فان الكي
والرقية قد يتقدم بهما على المحذور دفعا لما يتوقع وقد يستعمل بعد نزول المحذور للازالة

ونعيم درجة الدنيا ناقصة لدرجة الاخرة

القاء النفس للتهلكة مثل النوم في مجرى السيل وتحت الحائط المائل

ورسول الله صلى الله عليه وسلم لم يصف المتوكلين إلا بترك الكي والرقية والطيرة ولم يصفهم
بأنهم إذا خرجوا إلى موضع بارد لم يلبسوا جبة والجبة تلبس دفعاً للبرد المتوقع وكذلك كل ما في
معناها من الأسباب نعم الاستظهار بأكل الثوم مثلاً عند الخروج سفراً في الشتاء تهييجاً لقوة
الحرارة من الباطن ربما يكون من قبيل التعمق في الأسباب والتعويل عليها فيكاد يقرب
من الكي بخلاف الجبة وترك الأسباب الدافعة وإن كانت مقطوعة وجه إذا نال الضرر من
إنسان فإنه إذا أمكنه الصبر وأمكنه الدفع والتشفي فشرط التوكل الاحتمال والصبر قال
الله تعالى فاتخذه وكيلاً واصبر على ما يقولون وقال تعالى ولنصبرن على ما آذيتمونا
وعلى الله فليتوكل المتوكلون وقال الله تعالى ودع أذاهم وتوكل على الله وقال تعالى
فاصبر كما صبر أولوا العزم من الرسل وقال تعالى نعم أجر العاملين الذين صبروا وعلى
ربهم يتوكلون وهذا في أذى الناس فأما في أذى الحيات والسباع والعقارب فترك
دفعها ليس من التوكل في شيء إذ لا فائدة فيه ولا يراد السعي ولا يترك السعي لعينه بل لإعانته
على الدين وترتيب الأسباب ههنا كترتيبها في الكسب وجلب النافع فلا نطول بالإعادة
وكذا في الأسباب الدافعة في المال فلا ينقص التوكل بإغلاق باب البيت عند الخروج ولا
بأن يعقل البعير لأن هذه أسباب عرفت بسنة الله تعالى إما قطعاً وإما ظناً ولذلك قال
صلى الله عليه وسلم للأعرابي لما أن أهمل البعير وقال توكلت على الله وقال عليه السلام
اعقلها وتوكل وقال تعالى خذوا حذركم وقال تعالى في كيفية صلاة الخوف
وليأخذوا أسلحتهم وقال تعالى وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل
وقال تعالى لموسى عليه السلام فأسر بعبادي ليلاً والتحصن بالليل اختفاء عن أعين
العدو ونوع تسبب واختفى صلى الله عليه وسلم في الغار عن أعين الأعداء للضرر وأخذ
السلاح في الصلاة ليس دافعاً قطعاً كقتل الحية والعقرب فإنه دافع قطعاً ولكن أخذ السلاح
سبب مظنون وقد بينا أن المظنون كالمقطوع وإنما الموهوم هو الذي يقتضي التوكل تركه
فإن قلت فقد حكي عن جماعة أن الأسد وضع يده على كتفه ولم يتحرك فأقول
وقد حكي عن جماعة أنهم ركبوا الأسد وسخروه فلا ينبغي أن يغرك ذلك فإنه وإن كان
صحيحاً في نفسه فلا يصلح للاقتداء بطريق التعلم من الغير بل ذلك مقام رفيع في الكرامات
وليس ذلك شرطاً في التوكل وفيه أسرار لا يقف عليها من لم ينته إليه فإن قلت
وما من علامة أعلم بها أني قد وصلت إليه فأقول الواصل لا يحتاج إلى طلب العلامات
ولكن من العلامات السابقة على ذلك المقام أن يسخر لك كلب هو معك في إهابك يسمى الغضب

(margin notes:) التوكل على الحر والبرد وغيرهما — التوكل على أذى الحيات والسباع والعقارب — وإغلاق باب البيت وغيرها — مطلب

الغضب لا يزال يعضك ويعض غيرك فان سخر لك هذا الكلب الخبيث اذا هيج واشلي لم يكن
يسكن الا باشارتك وكان مسخرا لك فربما ترتفع درجتك الي ان يسخر لك الاسد
الذي هو ملك السباع وكلب دارك اولي بان يكون مسخرا لك من كلب البوادي فكلب اهابك
اولي بان يتسخر من كلب دارك فاذا لم يتسخر لك الكلب الباطن فلا تطمع في استسخار الكلب
الظاهر فان قلت فاذا اخذ المتوكل سلاحه حذرا من العدو واغلق بابه حذرا من اللص
وعقل بعيره حذرا من الشرود فباي اعتبار يكون متوكلا فاقول يكون متوكلا بالعلم والحال
اما العلم فهو ان يعلم ان اللص ان اندفع لم يندفع بكفايته في اغلاق الباب بل بدفع
الله تعالي اياه فكم من باب يغلق ولا ينفع وكم من بعير يعقل ويموت او ينفلت وكم من اخذ
سلاحه يقتل او يغلب فلا يتكل في هذه الاسباب اصلا بل علي مسبب الاسباب
كما ضربنا المثل للموكل بالخصومة فانه ان حضر واحضر السجل فلا يتكل في نفسه
وعلي سجله بل علي كفاية الوكيل وقوته واما الحال فهو ان يكون راضيا بما يقضي الله تعالي
به في نفسه وبيته ويقول اللهم سلطت علي ما في البيت من ياخذه فهو في سبيلك
وانا راض بحكمك فاني لا ادري ما اعطيتني هبة فلا تسترجعها او عارية او وديعة
فتستردها ولا ادري اهو رزقي او سبقت مشيئتك في الازل بانه رزق غيري وكيف
قضيت فانا راض به وما اغلقت الباب تحصنا من قضائك وتسخطا له بل جريا علي
مقتضي سنتك في ترتيب الاسباب فلا ثقة الا بك يا مسبب الاسباب فاذا كان
هذا حاله وذاك الذي ذكرناه علمه لم يخرج عن حدود التوكل بعقل البعير واخذ
السلاح واغلاق الباب ثم اذا عاد فوجد متاعه فينبغي ان يكون ذلك عنده نعمة
جديدة من الله تعالي وان لم يجده بل وجده مسروقا نظر الي قلبه فان وجده راضيا
او فرحا بذلك عالما بانه ما اخذ الله تعالي ذلك منه الا ليزيد رزقه في الاخرة فقد
صح مقامه في التوكل وظهر له صدقه وان تالم قلبه ووجد قوة الصبر فقد بان له
انه ما كان صادقا في دعوي التوكل لان التوكل مقام بعد الزهد ولا يصح الزهد
الا ممن لا ياسف علي ما فات من الدنيا ولا يفرح بما ياتي بل قد يكون علي العكس من
ذلك فكيف يصح له التوكل نعم قد صح له مقام الصبر ان اخفاه ولم يظهر شكواه ولم يكثر
سعيه في الطلب والتجسس وان لم يقدر علي ذلك حتي تاذي بقلبه واظهر الشكوي
بلسانه واستقصي الطلب ببدنه فقد كانت السرقة مزيدا له في دينه من حيث ظهر
له قصوره عن جميع المقامات وكذبه في جميع الدعاوي فبعد هذا ينبغي ان يجتهد حتي لا

ف

كلب باطن والظاهر
كلب دارك

غلق الباب حذرا من اللص
وعقل بعيره حذرا من الشرود

الرضاء

مسبب الاسباب

التوكل

تصدق نفسه في دعاويها ولا يتدلى بحبل غرورها فانها خداعة امارة بالسوء مدعية للخير
فان قلت فكيف يتصور للمتوكل مال حتى يؤخذ فاقول المتوكل لا يخلو بيته عن متاع
قصعة يأكل فيها وكوز يشرب فيه واناء يتوضأ فيه وجراب يحفظ به زاده وعصا يدفع بها
عدوه وغير ذلك من ضرورات المعيشة من اثاث البيت وقد يدخل في يده مال فيمسكه
ليجد محتاجا فيصرفه اليه ولا يكون ادخاره على هذه النية مبطلا لتوكله وليس من شرط
التوكل اخراج الكوز الذي يشرب منه والجراب الذي فيه زاده وانما ذلك في المأكول
وفي كل مال زائد على قدر الضرورة لان سنة الله جارية بوصول الخبز الى الفقراء المتوكلين
في زوايا المساجد وما جرت السنة بتفرقة الكيزان والامتعة في كل يوم ولا في كل
اسبوع والخروج عن سنة الله تعالى ليس شرطا في التوكل ولذلك كان الخواص يأخذ
في السفر الحبل والركوة والمقراض والابرة دون الزاد لان سنة الله تعالى جارية بالفرق
بين الامرين فان قلت فكيف يتصور ان لا يحزن اذا اخذ متاعه الذي هو محتاج اليه
ولا يأسف عليه فان كان لا يشتهيه ولا يريده فلم امسكه واغلق الباب عليه وان
امسكه فانه يشتهيه لحاجته اليه فكيف لا يتأذى ولا يحزن وقد حيل بينه وبين ما يشتهيه
فاقول انما كان يحفظه ليستعين به على دينه اذ كان يظن ان الخيرة له في امساكه
ذلك المتاع ولولا ان الخيرة فيه لما رزقه الله ولما اعطاه فاستدل على ذلك بتيسير الله
وحسن الظن بالله تعالى مع ظنه ان ذلك معين له على اسباب دينه ولم يكن عنده مقطوعا
به اذ يحتمل ان تكون خيرته في ان يتعب بفقد ذلك حتى يتعب في تحصيل عوضه ويكون
ثوابه في التعب والنصب اكثر فلما اخذه الله تعالى منه بتسليط اللص تغير ظنه لانه
في جميع الاحوال واثق بالله حسن الظن به فيقول لولا ان الله علم ان الخيرة كانت
في وجوده الى الآن والخيرة الآن له في عدمه لما اخذها مني فبمثل هذا الظن يتصور
ان يندفع عنه الحزن اذ به يخرج عن ان يكون فرحا بالاسباب من حيث انها اسباب بل من حيث
ان ميسرها مسبب الاسباب عناية به وتلطفا وهو كالمريض بين يدي الطبيب الشفيق يرضى
بما يفعله فان قدم اليه الغذاء فرح وقال لولا انه عرف ان الغذاء ينفعني وقد قويت على احتماله
لما قدمه الي وان اخر عنه الغذاء بعد ذلك فرح ايضا وقال لولا ان الغذاء يضرني ويسوقني
الى الموت لما حال بيني وبينه وكل من لا يعتقد في لطف الله تعالى ما يعتقده المريض في
الوالد المشفق الحاذق بعلم الطب فلا يصح منه التوكل اصلا ومن عرف الله تعالى وعرف اسباب
افعال الله وعرف سننه في اصلاح عباده ولم يكن فرحه بالاسباب فانه لا يدري اي الا

القصعة والكوز وغيرها والآلات الحرب من ضرورات المعيشة من اثاث البيت

مثال التوكل

خيرله

خيرله كما قال عمر رضي الله عنه لا ابالي اصبحت غنيا او فقيرا فاني لا ادري ايهما خير لي فكذلك ينبغي ان لا يبالي المتوكل بسرقة متاعه او ببقائه فانه لا يدري ايهما خير له لا في الدنيا ولا في الاخرة فكم من متاع في الدنيا يكون سببا لهلاك الانسان وكم من غني يبتلى بواقعة لاجل غناه فيقول ليتني كنت فقيرا

بيان آداب المتوكلين

اذا سرق متاعهم

للمتوكل آداب في متاع بيته اذا خرج عنه الاول ان يغلق الباب ولا يستقصي في اسباب الحفظ كالتماسه من الجيران الحفظ مع الغلق وكجمعه اغلاقا كثيرة فقد كان مالك ابن دينار لا يغلق بابه وكان يشده بشريط ويقول لولا الكلاب ما شددته ايضا الثاني ان لا يترك في البيت متاعا يحرص عليه السراق فيكون هو سبب معصيتهم او يكون امساكه سبب هيجان رغبتهم ولذلك لما اهدي المغيرة الى مالك ابن دينار ركوة قال له خذها لا حاجة لي اليها قال لم قال يوسوس الي العدو ان اللص قد اخذها فكانه احترز من ان يعصي السارق ومن شغل قلبه بوسواس الشيطان بسرقتها ولذلك قال ابو سليمان هذا من ضعف قلوب الصوفية وهو قد زهد في الدنيا فما عليه من اخذها الثالث اذا ما يضطر الى تركه في البيت ينبغي ان ينوي عند خروجه الرضا بما يقضي الله تعالى فيه من تسليط سارق عليه ويقول ما يأخذه السارق فهو منه في حل او في سبيل الله وان كان فقيرا فهو عليه صدقة وان لم يشترط الفقر فهو اولى ويكون له نيتان لو اخذه غني احدهما ان يكون ماله مانعا له من المعصية فانه ربما يستغني به فيتوانى عن السرقة بعده وقد زال عصيانه باكل الحرام لما ان جعله في حل والثانية ان لا يظلم مسلما آخر فيكون ماله فدا لمال مسلم ومهما نوى حراسة مال غيره بمال نفسه او نوى دفع المعصية عن السارق او تخفيفها عليه فقد نصح للمسلمين وامتثل قوله صلى الله عليه وسلم انصر اخاك ظالما او مظلوما ونصرة الظالم منعه من الظلم وعفوه عنه اعدام الظلم ومنع له وليتحقق ان هذه النية لا تضره بوجه من الوجوه اذ ليس فيها ما يسلط السارق ويغير القضاء الازلي ولكنه يتحقق بالزهد بنيته فان اخذه ماله كان له بكل درهم سبعمائة درهم لانه نواه وقصده وان لم يؤخذ حصل له الاجر ايضا كما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم

السارق في البيت

تسليط السارق

الظالم

فيمن ترك العزل وأقر النطفة قرارها أن له أجر غلام ولد له من ذلك الجماع وعاش فقتل
في سبيل الله وإن كان لم يولد له لأنه ليس إليه من أمر الولد إلا الوقاع وأما الخلق والحياة
والرزق والبقاء فليس إليه فلو خلق لكان ثوابه على فعله وفعله لم يعدم فكذلك أمر السرقة

الرابع إذا وجد المال قد سرق فينبغي أن لا يحزن بل يفرح إن أمكنه ويقول لولا أن الخيرة
كانت في ذلك لما سلبه الله تعالى ثم إن لم يكن قد جعله في سبيل الله فلا يبالغ في طلبه
وفي إساءة الظن بالمسلمين وإن كان قد جعله في سبيل الله فيترك طلبه فإنه قد قدمه
ذخيرة لنفسه إلى الآخرة فإن أعيد عليه فالأولى أن لا يقبله بعد أن قد جعله في سبيل
الله وإن قبله فهو في ملكه في ظاهر العلم لأن الملك لا يزول بمجرد تلك النية ولكنه غير محبوب
عند المتوكلين وقد روي أن ابن عمر رضي الله عنه سرقت ناقته فطلبها حتى أعيى ثم قال
في سبيل الله فدخل المسجد فصلى ركعتين فجاءه رجل فقال يا أبا عبد الرحمن إن ناقتك
في مكان كذا فلبس نعله وقام ثم قال أستغفر الله وجلس فقيل له ألا تذهب فتأخذها
فقال إني كنت قلت في سبيل الله وقال بعض الشيوخ رأيت بعض إخواني في النوم بعد موته
فقلت ما فعل الله بك فقال غفر لي وأدخلني الجنة وعرض علي منازلي فيها فرأيتها
قال وهو مع ذلك كئيب حزين فقلت قد دخلت الجنة وغفر لك وأنت حزين فتنفس الصعداء
ثم قال إني لا أزال حزينا إلى يوم القيامة قلت ولم ذاك قال إني لما رأيت منازلي من الجنة
رفعت لي مقامات في عليين ما رأيت مثلها فيما رأيت ففرحت بها فلما هممت بدخولها نادى
مناد من فوقها أن اصرفوه عنها فليست هذه له إنما هي لمن أمضى السبيل فقلت
وما أمضى السبيل فقيل قد كنت تقول للشيء في سبيل الله ثم ترجع فلو كنت أمضيت السبيل
لأمضيناه لك وحكي عن بعض العباد بمكة أنه كان نائما إلى جنب رجل معه
هميان فانتبه الرجل وفقد هميانه فاتهمه به فقال كم كان فذكر له فحمله إلى البيت ووزن له
من عنده ثم بعد ذلك أعلمه أصحابه أنهم كانوا أخذوا الهميان مزاحا معه فجاء هو وأصحابه
وردوا الذهب فأبى عليهم وقال خذوه حلالا فما كنت لأعود في مال أخرجته في
سبيل الله ولم يقبله فألحوا عليه فدعا ابنا له وجعل يصرها صررا ويبعث بها
إلى الفقراء حتى لم يبق منه شيء فهكذا كانت أخلاق السلف رضي الله عنهم وكذلك
من أخذ رغيفا مثلا ليعطيه فقيرا فغاب عنه كره أن يرده إلى البيت بعد إخراجه
فيعطيه فقيرا آخر وكذلك يفعل في الدراهم وسائر الصدقات

الخامس وهو أعلى الدرجات أن لا يدعو على السارق الذي ظلمه بالأخذ فإن فعل بطل توكله

إذا سرق المال يفرح صاحبه

صدقة في سبيل الله

الحكاية في التصدق في سبيل الله

سارق

توكله وذلك على كراهيته وتأسفه على ما فات وبطل زهده وإن بالغ في الدعاء
بطل أيضاً أجره فيما أصيب به ففي الخبر من دعا على ظالمه فقد انتصر وحكي
أن الربيع بن خثيم سرق فرس له وكان ثمنه عشرين ألفاً وكان قائماً يصلي فلم يقطع
صلاته ولم ينزعج لطلبه فجاءه قوم يعزونه فقال أما إني قد كنت رأيته وهو يحله
قيل فما منعك أن تزجره فقال قد كنت فيما هو أحب إلي من ذلك يعني الصلاة قال فجعلوا
يدعون على السارق فقال لا تفعلوا وقولوا خيراً فإني قد جعلتها صدقة عليه • وقيل
لبعضهم في شيء قد كان سرق له ألا تدعو على ظالمك قال ما أحب أن أكون عوناً للشيطان
عليه قيل أفرأيت لو ردت عليك قال لا آخذها ولا أنظر إليها لأني كنت قد أحللتها
له • وقيل لآخر ادع الله على من ظلمك فقال ما ظلمني أحد إنما ظلم نفسه ألا يكفيه
المسكين ظلمه نفسه حتى أزيده شراً • وأكثر بعضهم شتم الحجاج عند بعض السلف في
ظلمه فقال لا تغرق في شتمه فإن الله تعالى ينتصف للحجاج ممن ينتهك عرضه كما ينتصف
منه لمن أخذ ماله • وفي الخبر إن العبد ليظلم المظلمة فلا يزال يشتم ظالمه ويسبه
حتى يكون بمقدار ما ظلمه ثم يبقى للظالم عليه مطالبة بما زاد عليه يقتص له من المظلوم
السادس أن يغتم لأجل السارق وعصيانه وتعرضه لعقاب الله تعالى ويشكر الله
عز وجل إذ جعله مظلوماً ولم يجعله ظالماً وجعل ذلك نقصاً في دنياه لا في دينه
فقد شكى بعض الناس إلى عالم أنه قطع عليه الطريق وأخذ ماله فقال إن لم يكن غمك
أنه قد صار في المسلمين من يستحل هذا أكثر من غمك بمالك فما نصحت للمسلمين •
وسرق من علي بن فضيل دنانير وهو يطوف بالبيت فرآه أبوه وهو يبكي ويحزن فقال
أعلى الدنانير تبكي فقال لا والله ولكن على المسكين أنه يسأل يوم القيامة ولا يكون له
حجة • وقيل لبعضهم ادع الله على من ظلمك فقال إني مشغول بالحزن عليه عن الدعاء

الفن الرابع السعي في إزالة الضرر كمداواة المرض وأمثاله اعلم أن الأسباب
المزيلة للضرر أيضاً تنقسم إلى مقطوع به كالماء المزيل لضرر العطش والخبز المزيل
لضرر الجوع وإلى مظنون كالفصد والحجامة وشرب المسهل وسائر أبواب الطب أعني
معالجة البرودة بالحرارة ومعالجة الحرارة بالبرودة وهي الأسباب الظاهرة في
الطب وإلى موهوم كالكي والرقية • أما المقطوع فليس من التوكل تركه بل تركه حرام
عند خوف الموت • وأما الموهوم فشرط التوكل تركه إذ به وصف رسول الله صلى الله
عليه وسلم المتوكلين • وأقواها الكي ويليه الرقية • والطيرة آخر درجاتها والاعتماد

الدعاء على السارق

الصفوح

بأن لا يشتم الظالم

العفو

الدواء للمريض

الأسباب

عنه والاتكال اليه غاية التعمق في ملاحظة الاسباب واما الدرجة المتوسطة وهي
المظنونة كالمداواة بالاسباب الظاهرة عند الاطباء ففعله ليس مناقضا للتوكل بخلاف
الموهوم وتركه ليس محظورا بخلاف المقطوع بل قد يكون افضل من فعله في بعض الاحوال
وفي بعض الاشخاص فهي على درجة بين الدرجتين ويدل على ان التداوي غير مناقض
للتوكل فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم وقوله وامره اما قوله فقد قال صلى الله
عليه وسلم ما من داء الا وله دواء عرفه من عرفه وجهله من جهله الا السام يعني الموت
وقال عليه السلام • وقال عليه السلام تداووا عباد الله • وسئل عن الدواء
والرقى هل ترد من قدر الله تعالى فقال هي من قدر الله تعالى • وفي الخبر المشهور ما مررت
بملاء من الملائكة الا قالوا امر امتك بالحجامة وفي الحديث انه امر بها وقال احتجموا
لسبع عشرة وتسع عشرة واحدى وعشرين لا يتبيغ بكم الدم فيقتلكم فذكر ان تبيغ الدم
سبب الموت وانه قاتل باذن الله وبين ان اخراج الدم خلاص منه اذ لا فرق بين اخراج
الدم المهلك من الاهاب وبين اخراج العقرب من تحت الثياب واخراج الحية من البيت
وليس من شرط التوكل ترك ذلك بل هو كصب الماء على النار لاطفائها ودفع ضررها
عند وقوعها في البيت وليس من التوكل الخروج عن سنة الوكيل اصلا • وفي خبر منقطع من
احتجم يوم الثلاثاء لسبع عشرة من الشهر كان له دواء من داء سنة • واما امره فقد
امر رسول الله صلى الله عليه وسلم غير واحد من الصحابة بالتداوي والحمية • وقطع لسعد
ابن معاذ عرقا اي فصده وكوى اسعد ابن زرارة • وقال لعلي كرم الله وجهه وكان رمد
العين لا تاكل من هذا يعني الرطب وكل من هذا فانه اوفق لك يعني سلقا قد طبخ بدقيق او
شعير • وقال لصهيب وقد رآه ياكل التمر وهو وجع العين اتاكل تمرا وانت رمد
فقال انما اكل بالجانب الآخر فتبسم صلى الله عليه وسلم واما فعله فقد روي من طريق اهل
البيت انه كان يكتحل كل ليلة ويحتجم كل شهر ويشرب الدواء كل سنة وتداوى رسول
الله صلى الله عليه وسلم غير مرة من العقرب وغيرها وروي انه كان اذا نزل عليه الوحي
صدع راسه فكان يغلفه بالحناء • وفي خبر انه كان اذا خرجت به قرحة جعل عليها
حناء وقد جعل على قرحة خرجت به ترابا • وما روي في تداويه وامره به خارج عن الحصر
وقد صنف في ذلك كتاب وسمي طب النبي صلى الله عليه وسلم وذكر بعض العلماء
في الاسرائيليات ان موسى عليه السلام اعتل علة فدخل عليه بنو اسرائيل
فعرفوا علته فقالوا لو تداويت بكذا لبرئت فقال لا اتداوى حتى يعافيني هو من غير

الحجامة في الوتر

الشرب في كل سنة

مطلب التداوي بالحناء والتراب لعلة القرحة

الدواء

دوا، فطالت علته فقالوا له ان دوا هذه العلة معروف مجرب وانا نتداوى به فنبرا
فقال لا اتداوى فدامت علته فاوحى الله تعالى اليه وعزتي لا ابراتك حتى تتداوى
بما ذكروه لك فقال لهم داووني بما ذكرتم فداووه فبرا فاوجس في نفسه من ذلك
فاوحى الله تعالى اليه اردت ان تبطل حكمتي بتوكلك علي من اودع العقاقير منافع الا
غيري **وروي في خبر اخر ان نبيا من الانبيا شكى علة يجدها**
فاوحى الله اليه كل البيض وشكى نبي اخر الضعف فاوحى الله اليه كل اللحم باللبن فان فيهما
القوة قيل هو الضعف عن الجماع • وقد روي ان قوما شكوا الى نبيهم قبح اولادهم
فاوحى الله تعالى اليه مرهم ان يطعموا نساهم الحبالى السفرجل فانه يحسن الولد ويفعل ذلك
في الشهر الثالث والرابع اذ فيه يصور الله تعالى الولد وقد كانوا يطعمون الحبلى السفرجل
والنفسا الرطب فبهذا تبين ان مسبب الاسباب اجرى سنته بربط المسببات بالاسباب
اظهارا للحكمة والادوية اسباب مسخرة بحكم الله تعالى كساير الاسباب فكما ان الخبز دوا الجوع
والما دوا العطش والسكنجبين دوا الصفرا والسقمونيا دوا الاسهال لا يفارقه
الا في امرين احدهما ان معالجة الجوع والعطش بالما والخبز جلي واضح يدركه
كافة الناس ومعالجة الصفرا بالسكنجبين يدركه بعض الخواص فمن ادركه بالتجربة
التحق في حقه بالاول والثاني ان الدوا يسهل والسكنجبين يسكن الصفرا بشروط
اخر في الباطن واسباب في المزاج ربما يتعذر الوقوف على جميع شروطها وربما
يفوت بعض الشروط فيمتنع عند الدوا عن الاسهال فاما زوال العطش فلا يستدعي
سوى الما شروطا كثيرة وقد يتفق من العوارض ما يوجب دوام العطش مع كثرة شرب
الما ولكنه نادر واختلاف الاسباب ابدا يحصر في هذين الفنين والا فالمسبب يتلوا
السبب لا محالة مهما تم شروط السبب وكل ذلك بتدبير مسبب الاسباب وتسخيره
وترتيبه بحكم حكمته وكمال قدرته فلا يضر المتوكل استعماله مع النظر الى مسبب الاسباب
دون الطبيب والدوا، وقد روي عن موسى عليه السلام انه قال يا رب ممن الدا والشفا
فقال تعالى مني معنى التوكل مع التداوي التوكل بالعلم والحال كما سبق في فنون
الاعمال الدافعة للضرر الجالبة للنفع فترك التداوي قد يكون افضل في بعض الاحوال ... اذ الاسباب الظاهرة مثل
الفصد والحجامة وشرب الدوا المسهل وسقي المبردات للمحرور واما التي فلو كان منها
في الظهور لما خلت البلاد الكبيرة منه وقلما تجتنبها الا في اكثر البلاد وانما ذلك عادة
بعض الاتراك والاعراب فهو من الاسباب الموهومة كالرقية الا انه يتميز عنها بامر

وهو أنه احراق في الحال مع الاستغناء عنه فانه ما من وجع يعالج بالكي الا وله دواء يغني
عنه ليس فيه احراق فالاحراق بالنار جرح مخرب للبنية محذور السراية مع الاستغناء عنه
بخلاف الفصد والحجامة فان سرايتهما بعيدة ولا يسد مسدهما غيرهما ولذلك نهى النبي صلى
الله عليه وسلم عن الكي دون الرقى فكل واحد منهما بعيد عن التوكل وروي ان عمران بن الحصين
اعتل فاشاروا عليه بالكي فامتنع فلم يزالوا به وعزم عليه الامير حتى اكتوى وكان يقول
كنت ارى نورا واسمع صوتا وتسلم علي الملائكة فلما اكتويت انقطع ذلك عني وكان يقول اكتوينا
كيات فوالله ما افلحن ولا انجحن ثم تاب من ذلك واناب الى الله تعالى فرد الله عليه ما كان
يجد من امر الملائكة وقال لمطرف بن عبد الله الم تر الى الكرامة التي كان اكرمني الله
تعالى بها فقد ردها علي بعد ان كان قد اخبره بفقدها فاذا الكي ما يجري مجراه هو الذي لا يليق
بالتوكل لانه يحتاج في استنباطه الى تدبير ثم هو مذموم فيدل ذلك على شدة ملاحظة
الاسباب وعلى التعمق فيها

بيان ان ترك التداوي قد يحمد

في بعض الاحوال ويدل على قوة التوكل وان ذلك
لا يناقض فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم اعلم ان الذين
تداووا من السلف لا ينحصرون ولكن قد ترك التداوي ايضا جماعة من الاكابر فربما يظن ان ذلك
نقصان لانه لو كان كمالا لتركه رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ لا يكون حال غيره
في التوكل اكمل من حاله وقد روي عن ابي بكر الصديق رضي الله عنه انه قيل له لو دعونا
لك طبيبا فقال قد رآني الطبيب وقال اني فعال لما اريد وقيل لابي الدرداء رضي الله عنه
في مرضه ما تشتكي قال ذنوبي قيل فما تشتهي قال رحمة ربي قالوا الا ندعو لك طبيبا
قال الطبيب امرضني وقيل لابي ذر وقد رمدت عيناه لو داويتهما فقال اني عنهما مشغول
فقيل لو سألت الله ان يعافيك فقال اسأله فيما هو اهم علي منهما وكان قد اصاب
الربيع بن خثيم فالج فقيل له لو تداويت فقال قد هممت ثم ذكرت عادا وثمود واصحاب الرس وقرونا
بين ذلك كثيرا وكان فيهم الاطباء فهلك المداوي والمداوى ولم تغن الرقى شيئا
وكان احمد بن حنبل رحمه الله يقول احب لمن اعتقد التوكل
وسلك هذا الطريق ان يترك التداوي من شرب الدواء وغيره وكان به علل لا يخبر بها

ترك التداوي

يقا المتطبب ايضا اذا سأله وقيل لسهل متى يصح للعبد التوكل قال اذا دخل عليه
الضرر في جسمه والنقص في ماله فلم يلتفت اليه شغلاً بحاله وينظر الى قيام الله تعالى
عليه فاذاً من ترك التداوي وراه فيهم كثرة ولا يتضح وجه الجمع بين فعل رسول الله صلى الله
عليه وسلم وافعالهم الا بحصر الصوارف عن التداوي فنقول لترك التداوي اسباب الاول
ان يكون المريض من المكاشفين وقد كوشف بانه انتهى اجله وان التداوي لا ينفعه
ويكون ذلك معلوماً عنده تارة برؤيا صادقة وتارة بحدس وظن وتارة بكشف محقق ويشبه
بان يكون ترك الصديق رضي الله عنه التداوي من هذا السبب فانه كان من المكاشفين فانه
قال لعايشة رضي الله عنها في امر الميراث انما هما اختاك ولم يكن لها الا اخت واحدة ولكن
كانت امراته حاملاً فولدت انثى فعلم انه كان قد كوشف بانها حامل بانثى فلا يبعد ان يكون
قد كوشف ايضا بانتهاء اجله والا فلا نظن به انكار التداوي وقد شاهد رسول الله صلى
الله عليه وسلم تداوى وامر به **السبب الثاني** ان يكون المريض مشغولاً بحاله وبخوف
عاقبته واطلاع الله تعالى فينسيه ذلك الم المرض فلا يتفرغ قلبه للتداوي شغلاً بحاله
وعليه يدل كلام ابي ذر اذ قال اني عنهما مشغول وكلام ابي الدردا اذ قال انما اشتكي
ذنوبي فكان تالم قلبه خوفاً من ذنوبه اكثر من تالم بدنه بالمرض ويكون هذا كالمصاب
بموت عزيز من اعزته او كالخايف الذي يحمل الى ملك من الملوك ليقتل اذا قيل له الا تاكل
وانت جايع فيقول انا مشغول عن الم الجوع فلا يكون ذلك انكاراً لكون الخبز نافعاً من
الجوع ولا طعناً فيمن اكل ويقرب من هذا اشتغال سهل رحمه الله حيث قيل له
ما القوت فقال الحي القيوم فقيل له انما سالناك عن القوام فقال القوام هو العلم
قيل سالناك عن الغذا قال الغذا هو الذكر قيل سالناك عن طعمة الجسد قال ما لك
وللجسد دع من تولاه اولاً يتولاه اخراً اذا دخل عليه علة فرده الى صانعه اما
رايت الصنعة اذا عابت ردت الى صانعها حتى يصلحها **السبب الثالث**
ان تكون العلة مزمنة والدوا الذي يومر به بالاضافة الى علته موهوم النفع جار
مجرى الكي والرقية فيتركه المتوكل واليه يشير قول الربيع بن خثيم اذ قال ذكرت
عاداً وثموداً وفيهم الاطبا فهلك المداوي والمداوى اي ان الدوا غير موثوق به
وهذا قد يكون كذلك في نفسه وقد يكون عند المريض كذلك لقلة ممارسته للطب
وقلة تجربته له ولا يغلب على ظنه كونه نافعاً ولا شك في ان الطبيب المجرب اشد
اعتقاداً في الادوية من غيره فيكون الثقة والظن بحسب الاعتقاد وبحسب

بالتجربة وأكثر من ترك التداوي من العباد والزهاد هذا مستندهم لانه بقي الدوا عندهم
شيا موهوما لا اصل له وذلك صحيح في بعض الادوية عند من عرف صناعة الطب غير صحيح
في البعض ولكن غير الطبيب قد ينظر الي الكل نظرا واحدا فيرى التداوي تعمقا في الاسباب
كالكي والرقا فيتركه توكلا **السبب الرابع** ان يقصد العبد بترك التداوي استبقا
المرض لينال ثواب المرض بحسن الصبر على بلا الله تعالى وليجرب نفسه في القدرة على الصبر
فقد ورد في ثواب المرض ما يكثر ذكره فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
نحن معاشر الانبيا اشد الناس بلا ثم الامثل فالامثل يبتلى العبد على قدر ايمانه فان
كان صلب الايمان شدد عليه البلا وان كان في ايمانه ضعف خفف عنه البلا وفي
الخبر ان الله تعالى ليجرب عبده بالبلا كما يجرب احدكم ذهبه بالنار فمنهم
من يخرج كالذهب الابريز ومنهم دون ذلك ومنهم من يخرج اسود محترقا وفي حديث من
طريق اهل البيت ان الله تعالى اذا احب عبدا ابتلاه فان صبر اجتباه وان رضي اصطفاه
وقال صلى الله عليه وسلم تحبون ان تكونوا كالحمر الضالة لا تمرضون ولا تسقمون وقال
ابن مسعود رضي الله عنه تجد المومن اصح شي قلبا وامرضه جسما وتجد المنافق اصح شي جسما
وامرضه قلبا فلما عظم الثنا على المرض والبلا احب قوم المرض واغتنموه لينالوا ثواب
الصبر عليه وكان فيهم من له علة يخفيها ولا يذكرها للطبيب ويقاسي العلة ويرضى بحكم
الله تعالى ويعلم ان الحق اغلب على قلبه من ان يشغله المرض عنه وانما يمنع المرض جوارحه
وعلموا ان صلاتهم من قعود مثلا مع الصبر على قضا الله افضل من الصلاة قائما مع العافية
والصحة **ففي الخبر ان الله تعالى يقول لملايكته** اكتبوا لعبدي صالح ما كان
يعمل فانه في وثاقي ان اطلقته ابدلته لحما خيرا من لحمه ودما خيرا من دمه وان توفيته توفيته
الي رحمتي وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم افضل الاعمال ما اكرهت
عليه النفوس فقيل معناه ما دخل عليها من الامراض والمصايب واليه الاشارة
بقوله تعالى وعسى ان تكرهوا شيا وهو خير لكم وكان سهل يقول ترك التداوي
وان ضعف عن الطاعات وقصر عن الفرايض افضل من التداوي لاجل الطاعات وكانت به
علة عظيمة فلم يكن يتداوى منها وكان يداوي الناس منها وكان اذا راي العبد يصلي من
قعود ولا يستطيع اعمال البر من الامراض فيتداوى للقيام في الصلاة والنهوض
الي الطاعة تعجب من ذلك ويقول صلاته من قعود مع الرضا بحاله افضل من التداوي
للقوة والصلاة قايما وسيل عن شرب الدوا فقال كل من دخل في شي من الدوا

الانبياء اشد الناس بلاء

البلاء على قدر ايمانه

البلاء من المرض

الدواء ولو كان هو الماء البارد فيسأل عنه لم اخذت ذلك ومن لم يأخذ فلا سؤال عليه
وكان مذهبه ومذهب البصريين تضعيف النفس بالجوع وكسر الشهوات لعلمهم بان
ذرة من اعمال القلوب مثل الصبر والرضى والتوكل افضل من امثال الجبال من اعمال الجوارح
والمرض لا يمنع من اعمال القلوب الا اذا كان المه غالبا مدهشا وقال سهل رحمه الله
علل الاجسام رحمة وعلل القلوب عقوبة **السبب الخامس** ان يكون العبد
قد سبق له ذنوب وهو خايف منها عاجز عن تكفيرها فيرى المرض اذا طال تكفيرا فيترك
التداوي خوفا من ان يسرع زوال المرض فقد قال صلى الله عليه وسلم لا تزال الحمى والمليلة
بالعبد حتى يمشي على الارض كالبردة ما عليه خطيئة • وفي الخبر حمى يوم كفارة سنة
فقيل لانها تهدم قوة سنة • وقد قيل للانسان ثلاث ماية وستون مفصلا فتدخل الحمى
في جميعها ويجد من كل واحد الما فيكون كل الم كفارة يوم • ولما ذكر رسول الله صلى الله عليه
وسلم كفارة الذنوب بالحمى سال زيد ابن ثابت ربه ان لا يزال محموما فلم تكن الحمى تفارقه
حتى مات رضي الله عنه وقد سال ذلك طايفة من الانصار فكانت الحمى لا تزايلهم
ولما قال صلى الله عليه وسلم من اذهب الله تعالى كريمتيه لم يرض له ثوابا دون الجنة
قال فلقد كان في الانصار من يتمنى العمى • وقال عليه السلام لا يكون عالما من لم يفرح
بدخول المصايب والامراض على جسده وماله لما يرجو في ذلك من كفارة خطاياه •
وروي ان موسى عليه السلام نظر الى عبد عظيم البلاء فقال يا رب ارحمه فقال كيف ارحمه مما
اكفر ذنوبه وازيد في درجاته **السبب السادس** ان يستشعر العبد من
نفسه مبادي البطر والطغيان بطول مدة الصحة فيترك التداوي خوفا من ان يعاجله
زوال المرض فتعاوده الغفلة والبطر والطغيان او طول الامل والتسويف
في تدارك الفايت وتاخير الخيرات فان الصحة عبارة عن قوة الصفات وبها ينبعث
الهوى وتتحرك الشهوات وتدعو الى المعاصي واقلها ان تدعو الى التنعم في المباحات
وهو تضييع الاوقات واهمال الربح العظيم في مخالفة النفس وملازمة الطاعات •
فاذا اراد الله بعبد خيرا لم يخله عن التنبه بالامراض والمصايب ولذلك قيل لا يخلو
المومن من علة او قلة او ذلة • وقد روي ان الله تعالى يقول الفقر سجني والمرض قيدي
احبس به من احب من خلقي فاذا كان في المرض حبس عن الطغيان وركوب المعاصي ف
اي خير يزيد عليه ولم ينبغي ان يشتغل بعلاجه من يخاف ذلك على نفسه والعافية
في ترك المعاصي فقد • قال بعض العارفين لانسان كيف كنت بعدي قال في عافية

المرض والحمى وثوابهما

العمى

الفرح ببدنه وماله

المؤمن لا يخلو من علة او قلة او ذلة

الفقر

وقال ان كنت لم تعص الله تعالى فانت في عافية وان كنت قد عصيته فاي دا ادوى من المعصية
ما عوفي من عصى • وقال علي كرم الله وجهه لما راى زينة النبط بالعراق في يوم
عيدهم ما هذا الذي اظهروه قالوا يا امير المومنين هذا يوم عيد لهم فقال كل يوم لا يعصى
الله تعالى فيه فهو لنا عيد وقال تعالى من بعد ما اراكم ما تحبون قيل العوافي •
والانسان ليطغى ان راه استغنى فكذلك اذا استغنى بالعافية وقال بعضهم انما قال فرعون
انا ربكم الاعلى لطول العافية لانه لبث اربع مايه سنة لا يصدع له راس ولم يحم له جسم ولم
يضرب عليه عرق فادعى الربوبية ولو اخذته الشقيقة كل يوم لشغلته عن الفضول فضلا
عن دعوى الربوبية وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اكثروا من ذكر هادم اللذات
وقد قيل الحمى بريد الموت فهو مذكر به ودافع للتسويف وقال تعالى اولا يرون انهم يفتنون
في كل عام مرة او مرتين ثم لا يتوبون ولا هم يذكرون قيل يفتنون بالامراض يختبرون بها
ويقال ان العبد اذا مرض مرضتين ثم لم يتب قال ملك الموت يا غافل جاءك مني رسول
بعد رسول فلم تجب وقد كان بعض السلف يستوحشون لذلك اذا خرج عام لم يصابوا
فيه بنقص في نفس او مال وقالوا لا يخلو المومن من كل اربعين يوما ان يروع روعة او
يصاب بنكبة • حتى روي ان عمار ابن ياسر تزوج امراة فلم تكن تمرض فطلقها • وان
النبي صلى الله عليه وسلم عرض عليه امراة فذكر من صفتها حتى هم ان يتزوجها فقيل
وانها ما مرضت قط قال لا حاجة لي فيها • وذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم الامراض
والاوجاع كالصداع وغيره فقال رجل وما الصداع ما اعرفه فقال النبي صلى الله عليه وسلم
اليك عني من اراد ان ينظر الى رجل من اهل النار فلينظر الى هذا • وهذا لانه ورد في الخبر
ان الحمى حظ كل مومن من النار • وفي حديث انس وعايشة رضي الله عنهما • قيل يا رسول
الله هل يكون مع الشهدا غيرهم يوم القيامة قال نعم من ذكر الموت في كل يوم عشرين مرة
وفي لفظ اخر الذي يذكر ذنوبه فتحزنه ولا شك في ان ذكر الموت على المريض اغلب فلما
ان كثرت فوايد المرض راى جماعة ترك الحيلة في زوال الامراض اذ راوا لانفسهم مزيدا
فيها لا من حيث راوا التداوي نقصانا وكيف يكون نقصانا وقد فعله رسول الله صلى
الله عليه وسلم •

بيان الرد

على من قال ان ترك التداوي افضل بكل حال •

سبب الفرعونية (?)
صحة البدن من الكافر (?)
المرض
الضرر في اربعين يوما
ذكر الموت

بكل حال فان قلت فانما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك ليسن لغيره
والا فهذا حال الضعفا ودرجة الاقويا يوجب التوكل بترك الدوا. فيقال له
فينبغي ان يكون من شرط التوكل ترك الحجامة والفصد عند تبيغ الدم وان قيل ذلك
ايضا شرط فليكن من شرطه ان يلدغه العقرب والحية ولا ينحيها عن نفسه اذ الدم
يلدغ الباطن والعقرب تلدغ الظاهر فاي فرق بينهما فان قال وذلك ايضا شرط
التوكل فيقال فينبغي ان لا يزيل لدغ العطش بالماء ولدغ الجوع بالخبز ولدغ
البرد بالجبة وهذا لا قايل به ولا فرق بين هذه الدرجات فان جميع ذلك اسباب رتبها
مسبب الاسباب واجرى بها سنته ويدل على ان ذلك ليس من شرط التوكل ما روي عن
عمر رضي الله عنه وعن الصحابة في قصة الطاعون فانهم لما قصدوا الشام وانتهوا
الى الجابية بلغهم الخبر ان به موتا ذريعا ووبا عظيما فافترق الناس فرقتين فقال
بعضهم لا ندخل على الوبا ونلقي بايدينا الى التهلكة وقالت الطايفة الاخرى بل ندخل ونتوكل
ولا نهرب من قدر الله ولا نفر من الموت فنكون كمن قال الله تعالى الم تر الى الذين خرجوا
من ديارهم وهم الوف حذر الموت فرجعوا الى عمر رضي الله عنه فسالوه عن رايه
فقال نرجع ولا ندخل على الوبا فقال له المخالفون على رايه انفر من قدر الله فقال عمر
رضي الله عنه نعم نفر من قدر الله الى قدر الله ثم ضرب لهم مثلا فقال ارايتم لو كان
لاحدكم غنم وله شعبتان احداهما مخصبة والاخرى مجدبة اليس ان رعى المخصبة
رعاها بقدر الله تعالى وان رعى المجدبة رعاها بقدر الله تعالى قالوا نعم ثم طلب
عبد الرحمن بن عوف ليساله عن رايه فكان غايبا فلما اصبحوا جا عبد الرحمن بن عوف
فساله عمر عن ذلك فقال عندي فيه يا امير المومنين شي سمعته من رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقال عمر الله اكبر فقال عبد الرحمن بن عوف سمعت من رسول الله
صلى الله عليه وسلم يقول اذا سمعتم الوبا في ارض فلا تقدموا عليه واذا وقع
في ارض وانتم بها فلا تخرجوا فرارا منه ففرح عمر رضي الله عنه بذلك وحمد الله تعالى
اذ وافق رايه ورجع الناس من الجابية فاذن كيف اتفق الصحابة كلهم على ترك التوكل
وهو من اعلا المقامات ان كان امثال هذا من شروط التوكل فان قلت فلم نهي
عن الخروج من البلد الذي فيه الوبا وسبب الوبا في الطب الهوا. واظهر طرق التداوي
الفرار من المضر والهوي هو المضر فلم لم يرخص فيه فاعلم انه لا خلاف في ان الفرار من
المضر غير منهي عنه اذ الحجامة فرار من المضر فترك التوكل في امثال هذا مباح فهذا لا

ترك الدواء

الفرار من الطاعون

مثل الفرار من الطاعون

سبب الطاعون

يدل على ان المقصود ولكن الذي ينقدح فيه والعلم عند الله تعالى ان الهوا لا يضر من حيث
يلاقي ظاهر البدن بل من حيث دوام الاستنشاق له فانه اذا كان فيه عفونة ووصل
الى الرية والقلب وباطن الاحشا اثر فيها بطول الاستنشاق فلا يظهر الوبا على الظاهر
الا بعد طول التاثير في الباطن فالخروج من البلد لا يخلص غالبا من الاثر الذي استحكم من
قبل ولكن يتوهم الخلاص فيصير هذا من جنس الموهومات كالرقى والطيرة وغيرهما ولو
تجرد هذا المعنى لكان مناقضا للتوكل ولم يكن منهيا عنه ولكن صار منهيا عنه لانه انضاف
اليه امر اخر وهو انه لو رخص للاصحا في الخروج لما بقي في البلد الا المرضى الذين اقعدهم
الطاعون وانكسرت قلوبهم وفقدوا المتعهدين ولم يبق في البلد من يسقيهم الما
ويطعمهم الطعام وهم يعجزون عن مباشرتهما بانفسهم فيكون ذلك سعيا في اهلاكهم
تحقيقا وخلاصهم منتظر كما ان خلاص الاصحا منتظر ولو اقاموا لم تكن الاقامة قاطعة
بالموت ولو خرجوا لم يكن الخروج قاطعا بالخلاص وهو قاطع في اهلاك الباقين
والمسلمون كالبنيان يشد بعضه بعضا والمومنون كالجسد الواحد اذا اشتكى منه
عضو تداعى الى سائر اعضائه فهذا هو الذي ينقدح عندنا في تعليل النهي وينعكس هذا
فيمن لم يقدم بعد الى البلد فانه لم يوثر الهوا في باطنهم ولا باهل البلد حاجة اليهم
نعم لو لم يبق في البلد الا مطعونون وافتقروا الى المتعهدين وقدم عليهم قوم فربما
كان ينقدح استحباب الدخول ههنا لاجل الاعانة ولا ينهى عن الدخول لانه تعرض
لسبب موهوم على رجا دفع ضرر عن بقية المسلمين ولهذا شبه الفرار من الطاعون
في بعض الاخبار بالفرار من الزحف لان فيه كسر القلوب بقية المسلمين وسعيا في اهلاكهم
فهذه امور دقيقة فمن لا يلاحظها وينظر الى ظواهر الاخبار والاثار يتناقض عنده اكثر
ما يسمعه وبهذا غلط الزهاد والعباد في مثل هذا كثيرا وانما شرف العلم وفضيلته
لاجل ذلك فان قلت ففي ترك التداوي فضل كما ذكرتم فلم لم يترك رسول الله صلى الله
عليه وسلم التداوي لينال الفضل فنقول ـــــ فيه تفصيل بالاضافة الى من كثرت
ذنوبه ليكفرها او خاف على نفسه طغيان العافية وغلبة الشهوات او يحتاج الى ما
يذكره الموت لغلبة الغفلة او احتاج الى نيل ثواب الصابرين لقصوره عن مقامات
الراضين والمتوكلين او قويت بصيرته في الاطلاع على ما اودع الله تعالى الادوية
من لطايف المنافع حتى صار في حقه موهوما كالرقية او كان يشغله بحاله فيمنعه عن
عن التداوي او كان التداوي يشغله عن حاله لضعفه عن الجمع فالى هذه المعاني

ترك التداوي

المعاني وجب الصواب في ترك التداوي وكل ذلك كمال بالاضافة الي بعض
الخلق ونقصان بالاضافة الي درجة رسول الله صلى الله عليه وسلم بل كان
مقامه اعلى من هذه المقامات كلها اذ كان حاله يقتضي ان يكون مشاهدته على
وتيرة واحدة عند وجود الاسباب وفقدها فانه لم يكن له نظر في الاحوال
الي مسبب الاسباب ومن كان هذا مقامه لم تضره الاسباب كما ذكرنا ان الزهد
في المال نقص والرغبة عن المال لكراهته فان كان كمالا فهو ايضا نقص بالاضافة
الي من يستوي عنده وجود المال وعدمه فاستوى الحجر والذهب اكمل من الهرب
عن الذهب دون الحجر وكان حاله صلى الله عليه وسلم استواء المدر والذهب عنده
وكان لا يمسكه لتعليم الخلق مقام الزهد فانه منتهى قوتهم لا لخوفه على نفسه من
امساكه فانه كان اعلى رتبة من ان تغره الدنيا وقد عرضت عليه خزاين الارض فلم
يقبلها فكذلك يستوي عنده مباشرة الاسباب وتركها لمثل هذه
المشاهدة وانما ترك استعمال الدوا جريا على سنة الله تعالى وترخيصا لامته
فيما تمس اليه حاجتهم مع انه لا ضرر فيه بخلاف ادخار الاموال فان ذلك يعظم ضرره
نعم التداوي لا يضر الا من حيث رؤية الدوا نافعا دون خالق الدوا وهذا قد نهي
عنه ومن حيث انه قد يقصد به الصحة ليستعان بها على المعاصي وذلك منهي عنه
والمومن في غالب الامر لا يقصد ذلك وواحد من المومنين لا يرى الدوا نافعا
بنفسه بل من حيث انه جعله الله سببا للنفع كما لا يرى الماء مرويا ولا الخبز
مشبعا فحكم التداوي في مقصوده حكم الكسب فانه ان اكتسب للاستعانة على الطاعة
او على المعصية كان له حكمها فان اكتسب للتنعم المباح فله حكمه فقد ظهر بالمعاني
التي اوردناها ان ترك التداوي قد يكون افضل في بعض الاحوال وان التداوي
قد يكون افضل في بعض وان ذلك يختلف باختلاف الاحوال والاشخاص والنيات
وان واحدا من الفعل والترك ليس شرطا في التوكل الا ترك الموهوم كالكي
والرقى فان ذلك تعمق في التدبيرات لا يليق بالمتوكلين

حال رسولنا في الدين والدنيا وغيرهما

الدوا سبب

بيان حكم التوكل

في اظهار المرض وكتمانه

إخفاء المرض والفقر والبلاء

الفزع عند المرض

اعلم ان كتمان المرض واخفا الفقر وانواع البلا من كنوز البر وهو من اعلى
المقامات لان الرضا بحكم الله والصبر على بلايه معاملة بين العبد وبين الله تعالى
فكتمانه اسلم عن الآفات ومع هذا فالاظهار فلا باس به اذا صحت النية فيه والقصد
ومقاصد الاظهار ثلثة الاول ان يكون غرضه التداوي فيحتاج الى ذكره للطبيب
فيذكره لا في معرض الشكاية بل في معرض الحكاية لما ظهر عليه من قدرة الله تعالى فقد
كان بشر رحمه الله يصف لعبد الرحمن المتطبب اوجاعه وكان احمد رحمه الله يخبر بامراض ويقول
انما اصف قدرة الله تعالى في **والثاني** ان يصف لغير الطبيب وكان ممن يقتدى به
وكان مكينا في المعرفة فاراد من ذكره ان يتعلم منه حسن الصبر في المرض بل حسن الشكر
بان يظهر انه يرى المرض نعمة يشكر عليها فيتحدث به كما يتحدث بالنعم وقد قال
الحسن البصري رحمه الله اذا حمد المريض الله تعالى وشكره ثم ذكر اوجاعه لم يكن ذلك شكوى
الثالث ان يظهر بذلك عجزه وافتقاره الى الله تعالى وذلك يحسن ممن يليق
به القوة والشجاعة ويستبعد منه العجز كما روي انه قيل لعلي كرم الله وجهه
في مرضه كيف انت فقال بشر فنظر بعضهم الى بعض كانهم كرهوا ذلك وظنوا انه شكاية
فقال اتجلد على الله فاحب ان يظهر عجزه وافتقاره مع ما علم فيه من القوة والصرامة
وتادب فيه بتاديب النبي صلى الله عليه وسلم اياه حيث مرض علي رضي الله عنه فسمعه
رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يقول اللهم صبرني على البلا فقال لقد سالت
الله تعالى البلا فاسال الله العافية فهذه النيات ترخص في ذكر المرض وانما يشترط
ذلك لان ذكره شكاية والشكوى من الله تعالى حرام كما ذكرناه في تحريم السوال
عن الفقير الا بضرورة ويصير الاظهار شكاية بقرينة السخط واظهار الكراهة لفعل
الله تعالى فان خلا عن قرينة السخط وعن النيات التي ذكرناها فلا يوصف بالتحريم
ولكن يحكم فيه بان الاولى تركه لانه ربما يوهم الشكاية ولانه ربما يكون فيه تصنع
وتزيد في الوصف على الموجود من العلة ومن يترك التداوي توكلا فلا وجه في حقه
للاظهار لان الاستراحة الى الدوا احسن من الاستراحة الى الافشا وقد قال
بعضهم من بث فلم يصبر وقيل في معنى قوله تعالى فصبر جميل لا شكوى فيه
وقيل ليعقوب عليه السلام ما الذي اذهب بصرك قال مر الزمان وطول الاحزان
فاوحى الله اليه تفرغت لشكواي الى عبادي فقال يا رب اتوب اليك وروي عن طاوس
ومجاهد انهما قالا يكتب على المريض انينه في مرضه وكانوا يكرهون انين المريض

٢٠٠
١٩٠
١٩١

المرض

المريض لانه اظهار معنى يقتضي الشكوى حتى قيل انما اصاب ابليس من ايوب عليه السلام
الا بانينه في مرضه فجعل الانين حظه منه وفي الخبر اذا مرض العبد اوحى الله تعالى الى
الملكين انظرا ما يقول لعواده فان حمد الله واثنى بخير دعوا له وان شكى وذكر شرا قالا كذلك
يكون وانما كره بعض العباد العيادة خشية الشكاية وخوف الزيادة في الكلام وكان بعضهم
اذا مرض اغلق بابه فلم يدخل عليه احد حتى يبرا فيخرج اليهم منهم الفضيل بن عياض
ووهيب ابن الورد وبشر ابن الحارث وكان فضيل يقول اشتهي ان امرض بلا عواد وقال ايضا
لا اكره العلة الا لاجل العواد

آخر كتاب التوكل

ويتلوه كتاب المحبة والشوق
الحمد لله رب
العالمين وصلى الله على سيدنا
محمد وآله وصحبه
وسلم
تم

كتاب المحبة والشوق

والأنس والرضا وهو الكتاب السادس من ربع المنجيات

من جملة كتاب احيا علوم الدين

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين ونكتفي

الحمد لله الذي نزه قلوب اوليايه عن الالتفات الى متاع الدنيا وخضرتها وصفى
اسرارهم عن ملاحظة غير حضرته ثم استخلصها للعكوف على بساط عزته
ثم تجلى لها باسمايه وصفاته حتى اشرقت بانوار معرفته ثم كشف لها عن سبحات
وجهه حتى احترقت بنار محبته ثم احتجب عنها بكنه جلاله حتى تاهت في بيدا
كبريايه وعظمته فكلما اهتزت لملاحظة كنه الجلال غشيها من الدهش ما اغبر في وجه
العقل وبصيرته وكلما همت بالانصراف ايسة نوديت من سرادقات الجمال صبرا ايها
الايس عن نيل الحق بجهلك وعجلته فبقيت بين الرد والقبول والصد والوصول
غرقى في بحر معرفته محترقة بنار محبته والصلاة على محمد خاتم
الانبيا بكمال نبوته وعلى اله واصحابه سادة الخلق وايمته وقادة
الحق وازمته وسلم كثيرا اما بعد فان المحبة لله هي الغاية القصوى
من المقامات والذروة العليا من الدرجات فما بعد ادراك المحبة مقام الا وهو ثمرة من ثمارها
وتابع من توابعها كالشوق والانس والرضى واخواتها ولا قبل المحبة مقام الا وهو
مقدمة من مقدماتها كالتوبة والصبر والزهد وغيرها وساير المقامات وان عز
وجودها فلم تخل القلوب عن الايمان بامكانها واما محبة الله تعالى فقد عز الايمان بها
حتى انكر بعض العلما امكانها وقال لا معنى لها الا المواظبة على طاعة الله تعالى واما حقيقة
المحبة فمحال الا مع الجنس والمثل ولما انكروا المحبة انكروا الانس والشوق ولذة المناجاة
وساير لوازم الحب وتوابعه ولا بد من كشف الغطا عن هذا الامر ونحن نذكر في هذا الكتاب
بيان شواهد الشرع في المحبة ثم بيان حقيقتها واسبابها ثم بيان ان لا مستحق للمحبة
الا الله تعالى ثم بيان ان اعظم اللذات لذة النظر الى وجه الله تعالى ثم بيان سبب

سبب زيادة النظر في الآخرة على المعرفة في الدنيا ثم بيان الأسباب المقوية لحب الله
تعالى • ثم بيان السبب في تفاوت الناس في الحب • ثم بيان السبب في قصور الأفهام عن
معرفة الله تعالى ثم بيان معنى الشوق • ثم بيان معنى محبة الله تعالى للعبد • ثم
القول في علامات محبة العبد لله تعالى • ثم بيان معنى الأنس بالله تعالى ثم بيان معنى
الانبساط في الأنس • ثم القول في معنى الرضى وبيان فضيلته • ثم بيان حقيقته
ثم بيان أن الدعاء وكراهة المعاصي لا يناقضه • وكذا الفرار من المعاصي • ثم بيان
حكايات وكلمات للمحبين •

بيان شواهد الشرع

في حب العبد لله تعالى

فرض

اعلم أن الأمة مجمعة على أن الحب لله تعالى ولرسوله
وكيف يفترض ما لا وجود له وكيف يفسر الحب بالطاعة والطاعة تبع الحب وثمرته
فلا بد وأن يتقدم الحب ثم بعد ذلك يطيع من أحب ويدل على إثبات الحب لله تعالى قوله
عز وجل يحبهم ويحبونه وقوله تعالى والذين آمنوا أشد حبا لله وهو دليل على إثبات
الحب وإثبات التفاوت فيه وقد جعل رسول الله صلى الله عليه وسلم الحب لله من شرط
الإيمان في أخبار كثيرة إذ قال أبو رزين العقيلي يا رسول الله ما الإيمان
قال أن يكون الله ورسوله أحب إليك مما سواهما • وفي حديث آخر لا يؤمن أحدكم حتى
يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما • وفي حديث آخر لا يؤمن العبد حتى أكون أحب
إليه من أهله وماله والناس أجمعين • وفي رواية ومن نفسه كيف وقد قال تعالى
قل إن كان آباؤكم وأبناؤكم وإخوانكم الآية وإنما أجرى ذلك في معرض التهديد والإنكار
وقد أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمحبة فقال أحبوا الله لما يغذوكم به من نعمه
وأحبوني لحب الله إياي • وروي أن رجلا قال يا رسول الله إني أحبك فقال صلى الله عليه
وسلم استعد للفقر فقال إني أحب الله تعالى فقال استعد للبلاء • وعن عمر
رضي الله عنه قال نظر النبي صلى الله عليه وسلم إلى مصعب بن عمير مقبلا عليه
إهاب كبش قد تنطق به فقال النبي صلى الله عليه وسلم انظروا إلى هذا الرجل
الذي قد نور الله تعالى قلبه لقد رأيته بين أبويه يغذوانه بأطيب الطعام والشراب
فدعاه حب الله ورسوله إلى ما ترون • وفي الخبر المشهور أن إبراهيم عليه السلام

حب الله ورسوله

الموت

المحبة لله

قال لملك الموت إذ جاءه لقبض روحه هل رأيت خليلاً يميت خليله فأوحى الله تعالى إليه هل
رأيت محباً يكره لقاء حبيبه فقال يا ملك الموت الآن فاقبض وهذا لا يجده إلا عبد يحب الله بكل
قلبه فإذا علم أن الموت سبب اللقاء انزعج قلبه إليه ولم يكن له محبوب غيره حتى يلتفت إليه
وقد قال نبينا صلى الله عليه وسلم اللهم ارزقني حبك وحب من أحبك وحب من يقربني إلى
حبك واجعل حبك أحب إلي من الماء البارد • وجاء أعرابي إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال
يا رسول الله متى الساعة فقال ما أعددت لها فقال ما أعددت لها كثير صلاة ولا صيام
إلا أني أحب الله ورسوله فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم المرء مع من أحب
فقال أنس فما رأيت المسلمين فرحوا بشيء بعد الإسلام فرحهم بذلك • وقال
أبو بكر الصديق رضي الله عنه من ذاق من خالص محبة الله شغله ذلك عن طلب الدنيا وأوحشه
عن جميع البشر وقال الحسن من عرف ربه أحبه ومن عرف الدنيا زهد فيها والمؤمن
لا يلهو حتى يغفل فإذا تفكر حزن • وقال أبو سليمان الداراني إن من خلق
الله خلقاً ما يشغلهم الجنان وما فيها من النعيم عنه فكيف يشتغلون عنه بالدنيا •
ويروى أن عيسى عليه السلام مر بثلاثة نفر قد نحلت أبدانهم
وتغيرت ألوانهم فقال لهم ما الذي بلغ بكم ما أرى فقالوا الخوف من النار فقال حق
على الله أن يؤمن الخائف ثم جاوزهم إلى ثلاثة آخرين فإذا هم أشد نحولاً وتغيراً
فقال ما الذي بلغ بكم ما أرى قالوا الشوق إلى الجنة فقال حق على الله أن يعطيكم ما ترجون
ثم جاوزهم إلى ثلاثة آخرين فإذا هم أشد نحولاً وتغيراً كأن على وجوههم المرايا من النور
فقال ما الذي بلغ بكم ما أرى قالوا حب الله عز وجل فقال أنتم المقربون أنتم المقربون
وقال عبد الواحد بن زيد مررت برجل نائم في الثلج فقلت ما تجد البرد فقال من شغله
حب الله لم يجد البرد • وعن سري السقطي قال يدعى الأمم يوم القيامة بأنبيائها
عليهم السلام فيقال يا أمة موسى ويا أمة عيسى ويا أمة محمد غير المحبين لله تعالى فإنهم
ينادون يا أولياء الله تعالى هلموا إلى الله سبحانه فتكاد قلوبهم تنخلع فرحاً • وقال هرم
ابن حيان المؤمن إذا عرف ربه عز وجل أحبه وإذا أحبه أقبل إليه وإذا وجد حلاوة
الإقبال إليه لم ينظر إلى الدنيا بعين الشهوة ولم ينظر إلى الآخرة بعين الفترة وهو
بجسده في الدنيا وبروحه في الآخرة • وقال يحيى بن معاذ عفوه يستغرق الذنوب
فكيف رضوانه يستغرق الآمال فكيف حبه وحبه يدهش العقول فكيف وده ووده
ينسي ما دونه فكيف لطفه • وفي بعض الكتب عبدي أنا وحقك لك محب فبحقي

يحقق عليك لن يبالي بجفا. وقال يحيى بن معاذ مثقال خردلة من الحب أحب إلي من عبادة
سبعين سنة بلا حب. وقال يحيى بن معاذ الهي إني مقيم بفنائك مشغول بثنائك
صغيرا أخذتني إليك وسربلتني بمعرفتك وأمكنتني من لطفك ونقلتني في الأحوال
وقلبتني في الأعمال سترا وتوبة وزهدا وشوقا ورضا وحبا تسقيني من حياضك
وتهملني في رياضك ملازما لأمرك ومشغوفا بقولك ولما طر شاربي ولاح طائري
فكيف انصرف اليوم عنك كبيرا وقد اعتدت هذا منك صغيرا فلي ما بقيت حولك دندنة
وبالضراعة إليك همهمة لأني أحبك وكل محب بحبيبه مشغوف. وعن غير حبيبه مصروف.
وقد ورد في حب الله تعالى من الأخبار والآثار ما لا يدخل في حصر حاصر وذلك
ظاهر وإنما الغموض في تحقيق معناه فلنشتغل به.

بيان حقيقة المحبة

وأسبابها وتحقيق معنى محبة العبد لله تعالى.

اعلم أن المطلب من هذا الفصل لا ينكشف إلا بمعرفة حقيقة المحبة
في نفسها ثم معرفة شروطها وأسبابها ثم النظر بعد ذلك في تحقيق معناها في حق الله
تعالى فأول ما ينبغي أن يتحقق أنه لا يتصور محبة الله تعالى إلا بعد معرفة وإدراك
إذ لا يحب الإنسان ما لا يعرفه ولذلك لم يتصور أن يتصف بالحب جماد بل هو من خاصية
الحي المدرك ثم المدركات في انقسامها تنقسم إلى ما يوافق طبع المدرك ويلائمه ويلذه وإلى ما
ينافيه وينافره ويؤلمه وإلى ما لا يؤثر فيه بإيلام وإلذاذ فكل ما في إدراكه لذة وراحة
فهو محبوب عند المدرك وما في إدراكه ألم فهو مبغوض عند المدرك وما يخلو عن استعقاب
ألم ولذة فلا يوصف بكونه محبوبا ولا مكروها فإذا كل لذيذ محبوب عند الملتذ به
ومعنى كونه محبوبا أن في الطبع ميلا إليه ومعنى كونه مبغوضا أن في الطبع نفرة عنه
فالحب عبارة عن ميل الطبع إلى الشيء الملذ فإن تأكد ذلك الميل وقوي سمي عشقا والبغض
عن نفرة الطبع عن المؤلم المتعب فإذا قوي سمي مقتا فهذا أصل في حقيقة معنى الحب
لا بد من معرفته. الأصل الثاني أن الحب لما كان تابعا للإدراك والمعرفة انقسم
لا محالة بحسب انقسام المدركات والحواس فلكل حاسة إدراك نوع من المدركات
ولكل واحد منها لذة في بعض المدركات وللطبع بسبب تلك اللذة ميل إليها فكانت

محبوبات عند الطبع السليم فلذة العين في الابصار وادراك المبصرات الجميلة والصور
المليحة الحسنة المستلذة ولذة الاذن في النغمات الطيبة الموزونة ولذة الشم
في الروايح الطيبة ولذة الذوق في الطعوم ولذة اللمس في اللين والنعومة ولما كانت هذه
المدركات بالحواس ملذة كانت محبوبة اي كان للطبع السليم ميل اليها حتى قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم حبب الي من دنياكم ثلاث الطيب والنسا وجعلت قرة عيني في الصلاة
فسمى الطيب محبوبا ومعلوم انه لا حظ للعين والسمع فيه بل للشم فقط وسمى النسا محبوبات
ولا حظ فيهن الا للبصر واللمس دون الشم والذوق والسمع وسمى الصلاة قرة عين وجعلها
ابلغ المحبوبات ومعلوم انه ليس يحظى بها الحواس الخمس بل حس سادس مظنته القلب لا يدركه
الا من كان له قلب ولذات الحواس شاركه فيها البهايم الانسان فان كان الحب مقصورا على مدركات
الحواس الخمس حتى يقال ان الله تعالى لا يدرك بالحواس ولا يتمثل في الخيال فلا يحب
فاذا قد بطلت خاصية الانسان وما يتميز به من الحس السادس الذي يعبر عنه اما بالعقل او
بالنور او بالقلب او بما شئت من العبارات ولا مشاحة فيها وهيهات فالبصيرة الباطنة
اقوى من البصر الظاهر والقلب اشد ادراكا من العين وجمال المعاني المدركة بالعقل
اعظم من جمال الصور الظاهرة للابصار فتكون لا محالة لذة القلوب بما تدركه من الامور
الشريفة الالهية التي تجل عن ان تدركها الحواس اتم وابلغ فيكون ميل الطبع السليم
والعقل الصحيح اليه اقوى ولا معنى للحب الا الميل الى ما في ادراكه لذة كما سياتي تفصيله
ولا ينكر اذن حب الله تعالى الا من قعد به القصور في درجة البهايم فلم يجاوز ادراكه الحواس
اصلا **الاصل الثالث** ان الانسان لا يخفى انه يحب نفسه ولا يخفى انه
قد يحب غيره لاجل نفسه وهل يتصور ان يحب غيره لذاته لا لاجل نفسه هذا مما قد يشكل على
الضعفا حتى يظنون انه لا يتصور ان يحب الانسان غيره لذاته ما لم يرجع منه حظ الى المحب
سوى ادراك ذاته والحق ان ذلك متصور موجود فلنبين اقسام المحبة واسبابها
وبيانه ان المحبوب الاول عند كل حي نفسه وذاته ومعنى حبه لنفسه ان في طبعه ميلا الى
دوام وجوده ونفرة عن عدمه وهلاكه لان المحبوب بالطبع هو الملايم للمحب واي شي
اتم ملايمة من نفسه ودوام وجوده واي شي اعظم مضادة ومنافرة له من عدمه
وهلاكه فلذلك يحب الانسان دوام الوجود ويكره الموت والقتل لا لمجرد ما يخافه
بعد الموت ولا لمجرد الحذر من سكرات الموت بل لو اختطف نفسه من غير الم وامتيت من
غير ثواب ولا عقاب لم يرض به وكان كارها لذلك ولا يحب الموت والعدم المحض الا لمقاساة

فقاساة الموت في الحيوة ومهما كان مثلا وميلا لمحبوبه زوال البلاء فان احب العدم لم يحبه لانه
عدم بل لان فيه زوال البلاء والهلاك والعدم ممقوت ودوام الموجود محبوب وكما ان دوام
الموجود محبوب فكمال الوجود ايضا محبوب لان الناقص فاقد للكمال والنقص عدم بالاضافة
الى القدر المفقود وهو هلاك بالنسبة اليه والهلاك والعدم ممقوت في الصفات
وكمال الوجود كما انه ممقوت في اصل الذات ووجود صفات الكمال محبوب كما ان دوام
اصل الوجود محبوب وهذه غريزة في الطباع بحكم سنة الله تعالى ولن تجد لسنة الله تبديلا
فاذن المحبوب الاول للانسان ذاته ثم سلامة اعضائه ثم ماله وعشيرته وولده واصدقاؤه
فالاعضاء محبوبة وسلامتها مطلوبة لان كمال الوجود ودوام الوجود موقوف عليها
والمال محبوب لانه ايضا آلة في دوام الوجود وكماله وكذا سائر الاسباب فالانسان
يحب هذه الاشياء لا لاعيانها بل لارتباط حظه في دوام الوجود وكماله بها حتى انه
ليحب ولده وان كان لا ينال منه حظ بل يتحمل المشاق لاجله لانه يخلفه في الوجود بعد
عدمه فيكون في بقاء نسله نوع بقاء له فلفرط حبه لبقاء نفسه يحب بقاء من هو قائم
مقامه وكانه جزء منه لما عجز عن الطمع في بقاء نفسه ابدا نعم لو خير بين قتله وقتل
ولده وكان طبعه باقيا على اعتداله آثر بقاء نفسه على بقاء ولده لان بقاء ولده يشبه
بقاءه من وجه وليس هو بقاءه المحقق وكذلك حبه لاقاربه وعشيرته يرجع الى حبه
لكمال نفسه فانه يرى نفسه كثيرا بهم قويا بسببهم متجملا بكمالهم فان العشيرة والمال
والاسباب الخارجة كالجناح المكمل للانسان وكمال الوجود ودوامه محبوب بالطبع
لا محالة فاذن المحبوب الاول عند كل حي ذاته وكمال ذاته ودوام ذلك كله والمكروه
عنده ضد ذلك فهذا هو اول الاسباب **السبب الثاني** الاحسان
فان الانسان عبد الاحسان وقد جبلت القلوب على حب من احسن اليها وبغض من
اساء اليها وقال صلى الله عليه وسلم اللهم لا تجعل لفاجر علي يدا فيحبه قلبي
اشار الى ان حب القلب للمحسن اضطرار لا يستطاع دفعه وهو جبلة وفطرة لا سبيل
الى تغييرها وبهذا السبب قد يحب الانسان الاجنبي الذي لا قرابة بينه وبينه ولا
علاقة وهذا اذا حقق رجع الى السبب الاول فان المحسن من امد بالمال والمعرفة
وسائر الاسباب الموصلة الى دوام الوجود وكمال الوجود وحصول الحظوظ التي بها
يتهيأ الوجود الا ان الفرق بينهما ان اعضاء الانسان محبوبة لان بها كمال وجوده وهي عين
الكمال المطلوب واما المحسن فليس هو عين الكمال المطلوب ولكن قد يكون سببا له

كالطبيب الذي يكون سبباً في دوام الصحة اذ الصحة مطلوبة لذاتها والطبيب محبوب لا لذاته
بل لانه سبب للصحة وكذلك العلم محبوب والاستاذ محبوب بكونه سبب العلم المحبوب
وكذلك الطعام والشراب محبوب والدنانير محبوبة لكن الطعام محبوب لذاته والدنانير
محبوبة لانها وسيلة الى الطعام فاذن يرجع الفرق الى تفاوت الرتبة والا فكل واحد
يرجع الى محبة الانسان نفسه فكذا من احب المحسن لاحسانه فما احب ذاته تحقيقاً
بل احب احسانه وهو فعل من افعاله لو زال زال الحب مع بقا ذاته ولو نقص نقص الحب
ولو زاد زاد ويتطرق اليه الزيادة والنقصان بحسب زيادة الاحسان ونقصانه

السبب الثالث ان يحب الشي لذاته لا لحظ ينال منه
وراء ذاته بل يكون ذاته عين حظه وهذا هو الحب الحقيقي البالغ الذي يوثق بدوامه
وذلك كحب الجمال والحسن فان كل جمال فهو محبوب عند مدرك الجمال وذلك لعين الجمال لان
ادراك الجمال فيه عين اللذة واللذة محبوبة لذاتها لا لغيرها ولا تظنن ان حب الصور الجميلة
لا يتصور الا لاجل قضا الشهوة فان قضا الشهوة لذة اخرى قد تحب الصور الجميلة لاجلها
وادراك نفس الجمال ايضاً لذيذ فيجوز ان يكون محبوباً لذاته وكيف ينكر ذلك والخضرة والما
الجاري محبوب لا ليشرب الما وتوكل الخضرة او ينال منها حظ سوى نفس الرؤية وقد كان
رسول الله صلى الله عليه وسلم يعجبه الخضرة والما الجاري والطباع السليمة
قاضية باستلذاذ النظر الى الانوار والازهار والاطيار المليحة الالوان الحسنة
النقش المتناسبة الشكل حتى ان الانسان لينفرج عنه الغموم بالنظر اليها لا لطلب حظ
ورا النظر فهذه الاسباب ملذة وكل لذيذ محبوب وكل حسن وجمال فلا يخلو ادراكه
عن لذة ولا احد ينكر كون الجمال محبوباً بالطبع فان ثبت ان الله جميل يحب الجمال
كان لا محالة محبوباً عند من انكشف له جماله وجلاله كما قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم ان الله جميل يحب الجمال

الاصل الرابع في بيان معنى الحسن والجمال

اعلم ان المحبوس في مضيق الخيالات والمحسوسات ربما يظن
ان لا معنى للحسن والجمال الا تناسب الخلقة والشكل وحسن اللون وكون البياض مشرباً بالحمرة
وامتداد القامة الى غير ذلك مما يوصف من جمال شخص الانسان فان الحسن الاغلب على الخلق
حسن الابصار واكثر التفاتهم الى صور الاشخاص فيظن ان ما ليس مبصراً ولا متخيلاً
ولا متشكلاً ولا متلوناً متقدراً فلا يتصور حسنه واذا لم يتصور حسنه لم يكن في ادراكه
لذة فلم يكن محبوباً وهذا خطأ ظاهر فان الحسن ليس مقصوراً على مدركات البصر ولا على

في تناسب الخلقة وامتزاج البياض بالحمرة فإنا نقول هذا خط حسن وهذا صوت حسن
وهذا فرس حسن بل نقول هذا ثوب حسن وهذا إناء حسن فأي معنى لحسن الصوت
والخط وسائر الأشياء إن لم يكن الحسن إلا في الصورة ومعلوم أن العين تستلذ النظر
إلى الخط الحسن والأذن تستلذ النغمات الحسنة الطيبة وما من شيء من المدركات
إلا وهي منقسمة إلى حسن وقبيح فما معنى الحسن الذي يشترك فيه هذه الأشياء فلا بد
من البحث عنه وهذا بحث يطول ولا يليق بعلم المعاملة الإطناب فيه فنصرح بالحق
ونقول كل شيء فجماله وحسنه في أن يحضر كماله اللائق به الممكن له فإذا كان جميع كمالاته
الممكنة حاضرة فهو في غاية الجمال وإن كان الحاضر بعضها فله من الحسن والجمال
بقدر ما حضر والفرس الحسن هو الذي جمع كل ما يليق بالفرس من هيئة وشكل ولون وحسن
عدو وتيسر كر وفر والخط الحسن كل ما جمع ما يليق بالخط من تناسب الحروف وتوازيها
واستقامة ترتيبها وحسن انتظامها ولكل شيء كمال يليق به وقد يليق بغيره ضده
فحسن كل شيء في كماله الذي يليق به فلا يحسن الإنسان بما يحسن به الفرس ولا يحسن الخط
بما يحسن به الصوت ولا تحسن الأواني بما تحسن به الثياب وكذلك سائر الأشياء
فإن قلت فهذه الأشياء وإن لم تدرك جميعها بحس البصر مثل إدراك
الأصوات والطعوم فإنها لا تنفك عن إدراك الحواس لها فهي محسوسات وليس ينكر
الحسن والجمال للمحسوسات ولا ينكر حصول اللذة بإدراك حسنها وإنما ينكر ذلك في
غير المدرك بالحواس فاعلم أن الحسن والجمال موجود في غير المحسوسات إذ يقال
هذا خلق حسن وهذه سيرة حسنة وهذه أخلاق جميلة وإنما الأخلاق
الجميلة يراد بها العلم والعقل والعفة والشجاعة والتقوى والكرم والمروءة
وسائر خلال الخير وشيء من هذه الصفات لا تدرك بالحواس الخمس بل تدرك بنور
البصيرة الباطنة وكل هذه الخلال الجميلة محبوبة والموصوف بها محبوب بالطبع عند
من عرف صفاته وآية ذلك أن الأمر كذلك أن الطباع مجبولة على حب الأنبياء
صلوات الله وسلامه عليهم وعلى حب الصحابة رضي الله عنهم مع أنهم لم يشاهدوا
بل على حب أرباب المذاهب مثل الشافعي وأبي حنيفة ومالك وأحمد بن حنبل حتى
إن الرجل قد يجاوز به حبه لصاحب مذهبه حد العشق فيحمله ذلك على أن ينفق جميع
أمواله في نصرة مذهبه والذب عنه ويخاطر بروحه في قتال من يطعن في إمامه
ومتبوعه فكم من دم أريق في نصرة أرباب المذاهب وليت شعري من يحب الشافعي فلم

يحبه ولم يشاهد قط صورته ولو شاهده ربما لم يستحسن صورته فاستحسانه الذي
حمله على افراط الحب هو لصورته الباطنة لا لصورته الظاهرة فان صورته الظاهرة
قد انقلبت ترابا مع التراب وانما يحبه لصفاته الباطنة من الدين والتقوى وغزارة العلم
والاحاطة بمدارك الدين وانتهاضه لافاضة علم الشرع ونشره هذه الخيرات في العالم
وهذه امور جميلة لا يدرك جمالها الا بنور البصيرة فاما الحواس فقاصرة عنها وكذلك
من يحب ابا بكر رضي الله عنه ويفضله على غيره او يحب عليا رضي الله عنه ويفضله ويتعصب
له فلا يحبهم الا لاستحسان صورهم الباطنة من العلم والدين والتقوى والشجاعة
والكرم وغيره فمعلوم ان من يحب الصديق رضي الله عنه مثلا ليس يحب لحمه وجلده واطرافه وشكله
اذ كل ذلك زال وتبدل وانعدم ولكن بقي ما كان الصديق به صديقا وهي الصفات المحمودة
التي هي مصادر السير الجميلة فكان الحب باقيا ببقاء تلك الصفات مع زوال تلك الصورة
وتلك الصفات ترجع الى الجملة والقدرة اذ علم حقائق الامور وقدر على حمل نفسه عليها
بقهر شهواته فجميع خلال الخير يتشعب عن هذين الوصفين وهما غير مدركين بالحس
ومحلهما من جملة البدن جزء لا يتجزى فهو المحبوب بالحقيقة وليس للجزء الذي لا يتجزى
صورة وشكل ولون يظهر للبصر حتى يكون محبوبا لاجله فاذن الجمال موجود في السير
ولو صدرت الصور الجميلة من غير علم وبصيرة لم يوجب ذلك حبا فالمحبة مصدر السيرة
الجميلة وهي الاخلاق الحميدة والفضائل الشريفة ويرجع جملتها الى كمال العلم
والقدرة وهو محبوب بالطبع وغير مدرك بالحواس حتى ان الصبي المخلى وطبعه اذا اردنا
ان نحبب اليه غائبا او حاضرا حيا او ميتا لم يكن لنا سبيل الا بالاطناب في وصفه
بالشجاعة والكرم والعلم وسائر الخصال الحميدة فمهما اعتقد ذلك لا يتمالك في نفسه
ولا يقدر ان لا يحبه فهل غلب حب الصحابة رضي الله عنهم وبغض ابي جهل وبغض ابليس
لعنه الله الا بالاطناب في وصف المحاسن والمقابح التي لا تدرك بالحواس بل لما وصف
الناس حاتما بالسخاء ووصفوا خالدا بالشجاعة احبتهم القلوب حبا ضروريا
وليس ذلك عن نظر الى صورة محسوسة ولا حظ يناله المحب منهم بل اذا حكي من سيرة
بعض الملوك في بعض اقطار الارض العدل والاحسان وافاضة الخير غلب حبه على
القلوب مع الياس من انتشار احسانه الى المحبين لبعد المزار وتنائي الديار فاذا
ليس حب الانسان مقصورا من احسن اليه بل المحسن في نفسه محبوب وان كان لا ينتهي
قط احسانه الى المحب لان كل جمال وحسن فهو محبوب والصور ظاهرة وباطنة والحسن

والحسن والجمال يشملهما ويدرك الصور الظاهرة بالبصر الظاهر والصور الباطنة بالبصيرة الباطنة فمن حرم البصيرة الباطنة لا يدركها ولا يلتذ بها ولا يحبها ولا يميل إليها ومن كانت البصيرة أغلب عليه من الحواس الظاهرة كان حبه للمعاني الباطنة أكثر من حبه للمعاني الظاهرة فشتان بين من حب نقشاً مصوراً على الحائط لجمال صورته الظاهرة وبين من حب نبياً من الأنبياء لجمال صورته الباطنة

السبب الخامس المناسبة الخفية بين المحب والمحبوب إذ رب شخصين تتأكد المحبة بينهما لا بسبب جمال أو حظ ولكن بمجرد تناسب الأرواح كما قال صلى الله عليه وسلم الأرواح جنود مجندة فما تعارف منها ائتلف • وقد حققنا ذلك في كتاب آداب الصحبة عند ذكر الحب في الله تعالى فليطلب هناك لأنه أيضاً من عجائب أسباب الحب فإذن رجع أقسام الحب إلى خمسة أسباب وهو حب الإنسان وجود نفسه وكماله وبقاءه وحبه من أحسن إليه فيما يرجع إلى دوام وجوده ويعين على بقائه ودفع المهلكات عنه وحبه من كان محسناً في نفسه إلى الناس وإن لم يكن محسناً إليه وحبه لكل ما هو جميل في ذاته سواء كان من الصورة الظاهرة أو الباطنة وحبه لمن بينه وبينه مناسبة خفية في الباطن فلو اجتمعت هذه الأسباب في شخص واحد تضاعف الحب لا محالة كما لو كان للإنسان ولد جميل الصورة حسن الخلق كامل العلم حسن التدبير محسن إلى الخلق ومحسن إلى الوالد كان محبوباً لا محالة غاية الحب ويكون قوة الحب بعد اجتماع هذه الخصال بحسب قوة هذه الخلال في نفسها فإن كانت هذه الصفات في أقصى درجات الكمال كان الحب لا محالة في أعلى الدرجات فلنبين الآن أن هذه الأسباب كلها لا يتصور كمالها واجتماعها إلا في حق الله تعالى فلا يستحق المحبة بالحقيقة إلا الله تعالى

بيان أن المستحق للمحبة هو الله تعالى وحده

إن من أحب غير الله تعالى لا من حيث نسبته إلى الله فذلك لجهله وقصوره في معرفة الله تعالى وإن حب الرسول محمود لأنه عين حب الله وكذا حب العلماء والأتقياء لأن محبوب المحبوب محبوب ومحب المحبوب محبوب وكل ذلك يرجع إلى حب الأصل ولا يجاوزه إلى

غيره فلا محبوب بالحقيقة عند ذوي البصائر الا الله تعالى ولا مستحق للمحبة سواه وايضاحه
بان نرجع الى الاسباب الخمسة التي ذكرناها ونبين انها مجتمعة في حق الله تعالى بجملتها
ولا يوجد في غيره الا احادها وانها حقيقة في الله تعالى ووجودها في حق غيره وهم وتخيل
وهو مجاز محض لا حقيقة له ومهما ثبت ذلك انكشف لكل ذي بصيرة ضد ما تخيله
ضعفاء العقول من استحالة حب الله تحقيقا وبان ان التحقيق يقتضي ان لا نحب احدا غير الله

فاما السبب الاول وهو حب الانسان نفسه

وبقاءه وكماله ودوام وجوده وبغضه الهلاك وعدمه ونقصانه وقواطع كماله فهذه جبلة
كل حي ولا يتصور ان ينفك عنها وهذا يقتضي غاية المحبة لله تعالى فان من عرف نفسه
وعرف ربه عرف قطعا انه لا وجود له من ذاته وانما وجود ذاته ودوام وجوده وكمال وجوده
من الله تعالى وبالله والى الله فهو المخترع الموجد له وهو المبقي له وهو المكمل لوجوده بخلق
صفات الكمال وخلق الاسباب الموصلة اليه وخلق الهداية الى استعمال الاسباب والا
فالعبد من حيث ذاته لا وجود له من ذاته بل هو محو محض وعدم صرف ولولا فضل الله تعالى
عليه بالايجاد وهو هالك عقيب وجوده لولا فضل الله عليه بالابقاء وهو ناقص بعد
الوجود لولا فضل الله عليه بالتكميل لخلقته وبالجملة فليس في الوجود شيء له بنفسه
قوام الا الحي القيوم الذي هو قائم بذاته وكل ما سواه قائم به فان احب العارف ذاته
ووجود ذاته مستفاد من غيره فبالضرورة يحب المفيد لوجوده والمديم له ان عرفه خالقا
موجدا ومخترعا مبقيا وقيوما بنفسه ومقوما لغيره فان كان لا يحبه فهو لجهله بنفسه
وبربه والمحبة ثمرة المعرفة تنعدم بانعدامها وتضعف بضعفها وتقوى بقوتها
ولذلك **قال الحسن البصري رحمه الله من عرف ربه احبه**
ومن عرف الدنيا زهد فيها وكيف يتصور ان يحب الانسان نفسه ولا يحب ربه الذي به
قوام نفسه ومعلوم ان المبتلى بحر الشمس لما كان يحب الظل فيحب بالضرورة الاشجار التي
بها قوام الظل وكل ما في الوجود بالاضافة الى قدرة الله تعالى فهو كالظل بالاضافة الى الشجرة
والنور بالاضافة الى الشمس فان الكل من اثار قدرته ووجود الكل تابع لوجوده
كما ان وجود النور تابع للشمس ووجود الظل تابع للشجر بل هذا المثال صحيح بالاضافة
الى اوهام العوام اذ تخيلوا ان النور اثر الشمس وفائض منها وموجود بها وهو خطأ
محض اذ انكشف لارباب القلوب انكشافا اظهر من مشاهدة الابصار ان النور حاصل
من قدرة الله تعالى اختراعا عند وقوع المقابلة بين الشمس وبين الاجسام الكثيفة

مطلب

مطلب حب الله

الكيفية كما ان نور الشمس وعينها وشكلها وصورتها ايضا حاصل من قدرة الله تعالى
ويحن العرض من الامثلة التفهيم فلا تطلب فيه الحقائق فاذا ان كان حب الانسان نفسه
ضروريا فحبه لمن به قوامه اولا ودوامه ثانيا في اصله وصفاته وظاهره وباطنه
وجواهره واعراضه ايضا ضروري ان عرف ذلك كذلك ومن خلا عن هذا الحب فلانه
اشتغل بنفسه وشهواته وذهل عن ربه وخالقه فلم يعرفه حق معرفته واقتصر نظره
على شهواته ومحسوساته وهو عالم الشهادة الذي يشارك البهائم في التنعم والاتساع
فيه دون عالم الملكوت الذي لا يطأ ارضه الا من يقرب الى شبه من الملائكة فينظر
فيه بقدر قربه في الصفات من الملائكة ويقصر عنه بقدر انحطاطه الى حضيض عالم
البهائم واما السبب الثاني وهو حبه من احسن اليه فواساه بماله ولاطفه بكلامه
وامده بمعونته وانتدب لنصرته وقمع اعدائه وقام بدفع الاشرار عنه وانتهض
وسيلة الى جميع حظوظه واغراضه في نفسه واولاده واقاربه فانه محبوب لا محالة
وهذا بعينه يقتضي ان لا يحب الا الله تعالى فانه لو عرف حق المعرفة لعلم ان المحسن
اليه هو الله فقط واما انواع احسانه الى كل عبيده فلست اعدها وليس يحيط بها حصر
حاصر كما قال تعالى وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها وقد اشرنا الى طرف منه
في كتاب الشكر ولكنا نقتصر الآن على بيان ان الاحسان من الناس غير متصور الا بالمجاز
وانما المحسن هو الله تعالى ولنفرض ذلك فيمن انعم عليك بجميع خزائنه ومكنك منها
لتتصرف كيف تشاء فانك تظن ان هذا الاحسان منه وهو غلط فانه انما تم احسانه به
وبماله وبقدرته وبداعيته الباعثة له على صرف المال اليك فمن الذي انعم بخلقه
وخلق ماله وخلق قدرته وخلق ارادته وداعيته ومن الذي حببك اليه وصرف
وجهه اليك والقى في نفسه ان صلاح دينه ودنياه في الاحسان اليك ولولا
كل ذلك لما اعطاك حبة من ماله ومهما سلط الله تعالى عليه الدواعي وقرر في نفسه
او دنياه في ان يسلم اليك ماله كان مقهورا مضطرا في التسليم لا يستطيع مخالفته
فالمحسن هو الذي اضطره وسخره لك وسلط عليه الدواعي الباعثة له المرهقة الى
الفعل واما يده فواسطة يصل بها احسان الله اليك وصاحب اليد مضطر في ذلك
اضطرار مجرى الماء في جريان الماء فيه فان اعتقدته محسنا او شكرته من حيث هو بنفسه
محسن لا من حيث هو واسطة كنت جاهلا بحقيقة الامور فانه لا يتصور الاحسان من
الانسان الا الى نفسه اما الاحسان الى غيره فمحال من المخلوقين لانه لا يبذل ماله

عالم الملكوت

الاحسان والاعانة لغرض

الا لغرض له في البذل اما آجل وهو الثواب واما عاجل وهو المنة والاستسخار او الثنا
والصيت والاشتهار بالسخا والكرم او جذب قلوب الخلق الى الطاعة والمحبة وكما ان الانسان
لا يلقي ماله في البحر اذ لا غرض له فيه فلا يلقيه في يد انسان الا لغرض له فيه وذلك الغرض
مطلوبه ومقصده واما انت فلست مقصودا بل يدك آلة له في القبض حتى يحصل غرضه
من الذكر والثنا والشكر بسبب قبضك المال فقد استسخرك في القبض للتوصل الى غرض
نفسه فهو اذا محسن الى نفسه ومعتاض عما بذله من ماله عوضا وهو ارجح عنده من
ماله ولولا رجحان ذلك الحظ عنده لما نزل عن ماله لاجلك اصلا البتة فاذا هو غير
مستحق للشكر والحب من وجهين احدهما انه مضطر بتسليط الله الدواعي عليه ولا
قدرة له على المخالفة فهو جار مجرى خازن الامير فانه لا يرى محسنا بتسليم خلعة الامير
الى من خلع عليه لانه من جهة الامير مضطر الى الطاعة والامتثال لما يرسمه ولا يقدر على
مخالفته ولو خلاه الامير ونفسه لما سلم ذلك فكذلك كل محسن لو خلاه الله ونفسه لم
يبذل حبة من ماله حتى سلط الله تعالى الدواعي عليه والقى في نفسه ان حظه دينا ودنيا
في بذله فبذله لذلك • والثاني انه معتاض عما بذله حظا هو اوفى عنده مما بذله فكما
لا يعد البائع محسنا لانه بذل بعوض هو احب عنده مما بذله فكذلك الواهب اعتاض الثواب
او الحمد او الثنا او عوضا آخر وليس من شرط العوض ان يكون عينا متمولا بل الحظوظ
كلها اعراض تستحقر الاموال والاعيان بالاضافة اليها فالاحسان في الجود والجود
هو بذل المال من غير عوض وحظ يرجع الى الباذل وذلك محال من غير الله تعالى فهو الذي
انعم على العالمين احسانا اليهم ولاجلهم لا لحظ وغرض يرجع اليه فانه يتعالى عن
الاغراض فلفظ الجود والاحسان في حق غيره كذب او مجاز ومعناه في حق غيره محال
وممتنع امتناع الجمع بين السواد والبياض فهو المنفرد بالجود والاحسان والطول
والامتنان فان كان في الطبع حب المحسن فينبغي ان لا يحب العارف الا الله تعالى اذ الاحسان
من غيره محال فهو المستحق لهذه المحبة وحده واما غيره فيستحق المحبة على الاحسان
بشرط الجهل بمعنى الاحسان وحقيقته **واما السبب الثالث وهو
حبك المحسن في نفسه** وان لم يصل اليك احسانه وهو ايضا موجود في الطباع
فانه اذا بلغك خبر ملك عالم عابد عادل رفيق بالناس متلطف بهم متواضع لهم وهو في قطر
من الاقطار بعيد عنك وبلغك خبر ملك آخر ظالم متكبر فاسق متهتك شرير وهو
ايضا بعيد عنك فانك تجد في قلبك تفرقة بينهما اذ تجد في القلب ميلا الى الاول وهو

بذل المال من غير عوض

الجود والاحسان

الحب

للحب ونفرة عن الثاني وهو البغض مع انه ليس من خير الاول وآمن من شر الثاني لانقطاع
طمعه عن التوصل الى درهما فهذا حب المحسن من حيث انه محسن فقط لا من حيث انه محسن
اليك وهذا ايضا يقتضي حب الله عز وجل بل يقتضي ان لا يحب غيره اصلا الا من حيث يتعلق
منه بسبب فان الله تعالى هو المحسن الى الكافة المتفضل على جميع اصناف الخلايق اولا
بايجادهم وثانيا بتكميلهم بالاعضاء والاسباب التي هي من ضروراتهم وثالثا
بترفيههم وتنعيمهم بخلق الاسباب التي هي في مظان حاجاتهم وان لم تكن في مظان الضرورة
ورابعا بتجميلهم بالمزايا والزوايد التي هي في مظنة زينتهم وهي خارجة عن ضروراتهم
وحاجاتهم ومثال الضروري من الاعضاء الراس والقلب والكبد ومثال المحتاج اليه
العين واليد والرجل ومثال الزينة استقواس الحاجبين وحمرة الشفتين وتلون
العينين الى غير ذلك مما لو فات لم تنخرم به حاجة ولا ضرورة ومثال الضرورة
من النعم الخارجة عن بدن الانسان الماء والغذاء ومثال الحاجة الدواء واللحم والفواكه
ومثال المزايا والزوايد خضرة الاشجار وحسن اشكال الانوار والازهار ولذائذ
الفواكه والاطعمة التي لا تنخرم بعدمها حاجة ولا ضرورة وهذه الاقسام الثلاثة
موجودة لكل حيوان بل لكل نبات بل لكل صنف من اصناف الخلق من ذروة العرش الى منتهى
الثرى فاذن هو المحسن وكيف يكون غيره محسنا وذلك المحسن حسنة من حسنات
قدرته فانه خالق الحسن وخالق المحسن وخالق الاحسان وخالق اسباب الاحسان
فالحب لهذه العلة ايضا لغيره جهل محض ومن عرف ذلك لم يحب لهذه العلة الا الله
تعالى واما السبب الرابع وهو حب كل جميل لذات الجمال لا لحظ ينال منه وراء ادراك
الجمال فقد بينا ان ذلك مجبول في الطباع وان الجمال ينقسم الى جمال الصورة الظاهرة
المدركة بعين الراس والى جمال الصورة الباطنة المدركة بعين القلب ونور البصيرة
والاول يدركه الصبيان والبهايم والثاني يختص بدركه ارباب القلوب ولا يشاركهم
فيه من لا يعلم الا ظاهرا من الحيوة الدنيا فكل جمال فهو محبوب عند مدرك الجمال
فان كان مدركا بالقلب فهو محبوب بالقلب ومثال هذا في المشاهدة حب الانبياء والعلماء
وذوي المكارم السنية والاخلاق الرضية فان ذلك متصور مع تشويش صورة
الوجه وساير الاعضاء وهو المراد بحسن الصورة الباطنة والحس لا يدركه نعم
يدرك بالحس اثاره الصادرة منه الدالة عليه حتى اذا دل عليه مال القلب اليه فاحبه
فمن يحب رسول الله صلى الله عليه وسلم او الصديق رضي الله عنه او الشافعي رحمه الله

مطلب احسان الله

صورة الظاهرة وصورة الباطنة

فلا يحبهم الا لحسن ما ظهر له منهم وليس ذلك لحسن صورهم ولا لحسن افعالهم بل دل حسن
افعالهم على حسن الصفات التي هي مصدر الافعال اذ الافعال آثار صدرت عنها ودالة
عليها فمن راى حسن تصنيف المصنف وحسن شعر الشاعر بل حسن نقش النقاش
وبنا البنا انكشف له من هذه الافعال صفاتهم الجميلة الباطنة التي يرجع حاصلها
عند البحث الى العلم والقدرة ثم كلما كان المعلوم اشرف واتم جمالا وعظمة كان العلم
اشرف واجمل وكذا المقدور وكلما كان اعظم رتبة ومنزلة كانت هذه القدرة عليه
اجل رتبة واشرف قدرا واجل المعلومات هو الله تعالى فلا جرم احسن العلوم واشرفها
معرفة الله تعالى وكذلك ما يقاربه ويختص به فشرفه على قدر تعلقه به فاذن جمال
صفات الصديقين الذين تحبهم القلوب طبعا يرجع الى ثلثة امور احدها علمهم
بالله وملائكته وكتبه ورسله وشرايع انبيائه والثاني قدرتهم على اصلاح
انفسهم واصلاح عباد الله بالارشاد والسياسة والثالث تنزههم عن الرذايل
والخبايث والشهوات الغالبة الصارفة عن سنن الخير الجاذبة الى طريق الشر وبمثل
هذا يحب الانبيا والخلفا والعلما والملوك الذين هم اهل العدل والكرم فانسب هذه
الصفات الى صفات الله تعالى اما العلم فاين علم الاولين والآخرين من علم الله الذي
يحيط بالكل احاطة خارجة عن النهاية حتى لا يعزب عنه مثقال ذرة في السموات ولا
في الارض وقد خاطب الخلق كلهم فقال وما اوتيتم من العلم الا قليلا بل لو
اجتمع اهل الارض والسما على ان يحيطوا بعلمه وحكمته في تفصيل خلق نملة او بعوضة
لم يطلعوا على عشر عشير ذلك ولا يحيطون بشي من علمه الا بما شا والقدر اليسير الذي
علمه الخلايق كلهم فبتعليمه علموه كما قال تعالى خلق الانسان علمه البيان فان كان جمال
العلم وشرفه امرا محبوبا وكان هو في نفسه زينة وكمالا للموصوف به فلا ينبغي
ان يحب بهذا السبب الا الله تعالى فعلوم العلما جهل بالاضافة الى علمه بل من عرف
اعلم اهل زمانه واجهل اهل زمانه استحال ان يحب بسبب العلم الاجهل ويترك الاعلم وان
كان الاجهل لا يخلو من علم ما تتقاضاه معيشته والتفاوت بين علم الله وبين علم الخلايق اكثر من التفاوت
بين علم اعلم الخلق واجهلهم لان الاعلم لا يفضل الاجهل الا بعلوم معدودة متناهية يتصور
في الامكان ان ينالها الاجهل بالكسب والاجتهاد وفضل علم الله تعالى على علوم الخلايق كلهم
خارج عن النهاية اذ معلوماته لا نهاية لها ومعلومات الخلق متناهية واما صفة القدرة
فهي ايضا كمال والعجز نقص فكل كمال وبها وعظمة ومجد واستيلا فانه محبوب وادراكه لذيذ

علم الله وحكمته

والعلما لا يدركه في حكمة خلق نملة او بعوضة

قدرة الله

لذيذ حتى ان الانسان ليسمع في الحكايات شجاعة علي وخالد رضي الله عنهما وغيرهما من الشجعان وقدرتهما واستيلائهما على الاقران فيصادف في قلبه اهتزازا وفرحا وارتياحا ضروريا بمجرد لذة السماع فضلا عن المشاهدة ويورث ذلك حبا في القلب ضروريا للمتصف به فانه نوع كمال فانسب الان قدرة الخلق كلهم الى قدرة الله فاعظم الاشخاص قوة واوسعهم ملكا واقواهم بطشا واقهرهم للشهوات واقمعهم لخبائث النفس واجمعهم على سياسة نفسه وسياسة غيره ما منتهى قدرته وانما غايته ان يقدر على بعض صفات نفسه وعلى بعض اشخاص الانس في بعض الامور وهو مع ذلك لا يملك لنفسه موتا ولا حيوة ولا نشورا ولا نفعا ولا ضرا بل لا يقدر على حفظ عينه من العمى ولسانه من الخرس واذنه من الصمم وبدنه من المرض ولا يحتاج الى عد ما يعجز عنه في نفسه وغيره مما هو على الجملة متعلق قدرته فضلا عما لا يتعلق به قدرته من ملكوت السموات وافلاكها وكواكبها والارض وجبالها وبحارها ورياحها وصواعقها ومعادنها ونباتها وحيواناتها وجميع اجزائها فلا قدرة له على ذرة منها وما هو قادر عليه من نفسه وغيره فليست قدرته من نفسه وبنفسه بل الله خالقه وخالق قدرته وخالق اسبابه والممكن له من ذلك ولو سلط بعوضا على اعظم ملك واقوى شخص من الحيوانات لاهلكه فليس للعبد قدرة الا بتمكين مولاه كما قال في اعظم ملوك الارض ذي القرنين اذ قال انا مكنا له في الارض فلم يكن جميع ملكه وسلطنته الا بتمكين الله تعالى اياه في جزء من الارض والارض كلها مدرة بالاضافة الى اجسام العالم وجميع الولايات التي يحظى بها الناس من الارض غبرة من تلك المدرة ثم تلك الغبرة ايضا من فضل الله وتمكينه فيستحيل ان يحب عبدا من عباد الله لقدرته وسياسته وتمكينه واستيلائه وكمال قوته ولا يحب الله لذلك ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم فهو القاهر الجبار العليم القادر والسموات مطويات بيمينه والارض وملكها وما عليها في قبضته وناصية جميع المخلوقات في قبضة قدرته ان اهلكهم من عند اخرهم لم ينقص من سلطانه وملكه ذرة وان خلق امثالهم الف مرة لم يعي بخلقه ولا يمسه لغوب ولا فتور في اختراعه فلا قدرة ولا قادر الا وهو اثر من اثار قدرته فله الجمال والبهاء وله العظمة والكبريا والقهر والاستيلاء فان كان يتصور ان يحب قادر لكمال قدرته ولا يستحق الحب بكمال القدرة سواه اصلا وأما صفة التنزه عن العيوب والنقائص والتقدس عن الرذائل والخبائث فهو احد موجبات الحب ومقتضيات الحسن والجمال في الصور الباطنة والانبياء والصديقون وان كانوا منزهين عن العيوب والخبائث فلا يتصور كمال التقديس والتنزيه الا لـ

العاجز الانس الضعيف

أوصاف الله

الله منزه عن العيوب

للواحد الحق الملك القدوس ذي الجلال والإكرام وأما كل مخلوق فلا يخلو عن نقص وعن نقائص
بل كونه عاجزاً مخلوقاً مسخراً مضطراً هو عين العيب والنقص فالكمال لله وحده وليس لغيره
كمال إلا بقدر ما أعطاه وليس في المقدور أن ينعم بمنتهى الكمال على غيره فإن منتهى الكمال أقل
درجاته أن لا يكون عبداً مسخراً لغيره وقائماً بغيره وذلك محال في حق غيره فهو المنفرد بالكمال
المنزه عن النقص المقدس عن العيوب وشرح وجوه التقديس والتنزيه في حقه
عن النقائص يطول وهو من أسرار علوم المكاشفات فلا نطول بذكره فهذا الوصف أيضاً
إن كان كمالاً وجمالاً محبوباً فلا يتم حقيقته إلا له وكمال غيره وتنزهه لا يكون مطلقاً
بل بالإضافة إلى ما هو أشد نقصاً منه كما أن للفرس كمالاً بالإضافة إلى الحمار وللإنسان
كمال بالإضافة إلى الفرس وأصل النقص شامل للكل وإنما يتفاوتون في درجات النقصان
فإذن الجميل محبوب والجميل المطلق هو الواحد الذي لا ند له الفرد الذي لا ضد له الصمد
الذي لا منازع له الغني الذي لا حاجة له القادر الذي يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد
لا راد لحكمه ولا معقب لقضائه العالم الذي لا يعزب عن علمه مثقال ذرة في السموات
والأرض القاهر الذي لا يخرج عن قبضة قدرته أعناق الجبابرة ولا ينفلت من سطوته
وبطشه رقاب القياصرة الأزلي الذي لا أول لوجوده الأبدي الذي لا آخر لبقائه
الضروري الوجود الذي لا يحوم إمكان العدم حول حضرته القيوم الذي يقوم بنفسه
ويقوم كل موجود به جبار السموات والأرض خالق الجماد والحيوان والنبات المنفرد
بالعزة والجبروت المتوحد بالملك والملكوت ذو الفضل والجلال والبهاء والجمال الذي تتحير
في معرفة جلاله العقول وتخرس في وصفه الألسنة الذي كمال معرفة العارفين الاعتراف
بالعجز عن معرفته ومنتهى نبوة الأنبياء عليهم السلام بالإقرار بالقصور عن وصفه كما قال
سيد الأنبياء صلوات الله وسلامه عليه وعليهم أجمعين لا أحصي ثناء عليك أنت كما
أثنيت على نفسك وقال سيد الصديقين رضي الله عنه
العجز عن درك الإدراك إدراك سبحان من لم يجعل للخلق طريقاً إلى
معرفته إلا بالعجز عن معرفته فليت شعري من ينكر إمكان حب الله تعالى
تحقيقاً ويجعله مجازاً أينكر أن هذه الأوصاف من أوصاف الجمال والمحامد والمحاسن أو ينكر
كون الله تعالى موصوفاً بها أو ينكر كون الجمال والكمال والبهاء والعظمة محبوباً بالطبع عند من أدركه
فسبحان من احتجب عن أبصار العميان غيرة على جماله وجلاله أن يطلع عليه إلا من
سبقت له منه الحسنى الذين هم عن نار الحجاب مبعدون وترك الخاسرين في ظلمات العمى

علوم المكاشفة

يتيهون

يتنعمون وفي مسارح المحسوسات وشهوات البهائم يترددون يعلمون ظاهرا من الحياة
الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون الحمد لله بل أكثرهم لا يعلمون والحب بهذا
السبب أقوى من الحب بالإحسان لأنه يزيد وينقص ولذلك أوحى الله تعالى
إلى داود عليه السلام إن أود الأوداء إلي من عبدني بغير نوال ولكن ليعطي الربوبية
حقها وفي الزبور ومن أظلم ممن عبدني لجنة أو نار لو لم أخلق جنة ولا نارا ألم أكن أهلا أن أطاع
ومر عيسى عليه السلام على طائفة من العباد قد نحلوا وقالوا نخاف النار ونرجو الجنة فقال لهم
مخلوقا خفتم ومخلوقا رجوتم ومر بقوم آخرين كذلك فقالوا نعبده حبا له وتعظيما
لجلاله فقال أنتم أولياء الله حقا معكم أمرت أن أقيم وقال أبو حازم إني لأستحي
أن أعبده للثواب والعقاب فأكون كالعبد السوء إن لم يخف لم يعمل وكالأجير السوء إن لم يعط
لم يعمل وفي الخبر لا يكونن أحدكم كالأجير السوء إن لم يعط لم يعمل ولا كالعبد السوء إن لم
يخف لم يعمل **وأما السبب الخامس للحب** فهو المناسبة والمشاكلة لأن شبه
الشيء منجذب إليه والشكل إلى الشكل أميل ولذلك ترى الصبي يألف الصبي والكبير يألف الكبير
ويألف الطير نوعه وينفر من غير نوعه وأنس العالم بالعالم أكثر منه بالمحترف وأنس النجار
بالنجار أكثر من أنسه بالفلاح وهذا أمر تشهد به التجربة وتشهد له الأخبار والآثار
كما استقصيناه في باب الأخوة في الله تعالى في كتاب آداب الصحبة فيطلب منه وإذا
كانت المناسبة سبب المحبة فإن المناسبة قد تكون في معنى ظاهر كمناسبة الصبي للصبي
في معنى الصبى وقد يكون خفيا لا يطلع عليه كما ترى من الاتحاد الذي يتفق بين شخصين من غير
ملاحظة جمال أو طمع في مال أو غيره كما أشار إليه النبي صلى الله عليه وسلم إذ قال
الأرواح جنود مجندة فما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف والتعارف هو
التناسب والتناكر هو التباين وهذا السبب أيضا يقتضي حب الله تعالى لمناسبة
باطنة لا ترجع إلى المشابهة في الصورة والأشكال بل إلى معان باطنة يجوز أن يذكر
بعضها في الكتب وبعضها لا يجوز أن يسطر بل يترك تحت غطاء الغيرة حتى يعثر عليه السالكون
للطريق إذا استكملوا شرط السلوك والذي يذكر هو قرب العبد من الله تعالى
في الصفات التي أمر فيها بالاقتداء والتخلق بأخلاق الربوبية حتى قيل تخلقوا
بأخلاق الله تعالى وذلك في اكتساب محامد الصفات التي هي من صفات الإلهية
من العلم والبر والإحسان واللطف وإفاضة الخير والرحمة على الخلق والنصيحة
لهم وإرشادهم إلى الحق ومنعهم من الباطل إلى غير ذلك من مكارم الأخلاق الشريعة

هذا الحديث مذكور في [illegible]

حديث الارواح جنود مجندة

التخلق باخلاق الله

فكذلك يتقرب إلى الله سبحانه لا بمعنى طلب القرب بالمكان بل بالصفات وأما ما لا يجوز
أن يسطر في الكتب من المناسبة الخاصة التي اختص بها الآدمي فهي التي يومي إليها قوله تعالى
ويسئلونك عن الروح قل الروح من أمر ربي إذ بين أنه أمر رباني خارج عن حد عقول
الخلق وأوضح من ذلك قوله تعالى فإذا سويته ونفخت فيه من روحي ولذلك أسجد له ملائكته
وأشار ذلك النفخ والتسوية ولم يسجدوا ويشير إليه قوله تعالى إنا جعلناك خليفة في الأرض
إذ لم يستحق داود خلافة الله تعالى إلا بتلك المناسبة وإليه يرمز قوله صلى الله عليه وسلم
إن الله خلق آدم على صورته حتى ظن القاصرون أن لا صورة إلا الصورة الظاهرة المدركة
بالحواس فشبهوا وجسموا وصوروا تعالى الله رب العالمين عما يقول الجاهلون علوا كبيرا وإليه
الإشارة بقوله تعالى لموسى عليه السلام مرضت فلم تعدني فقال يا رب وكيف ذلك قال
مرض عبدي فلان فلو عدته لوجدتني عنده وهذه المناسبة لا تظهر إلا بالمواظبة على
النوافل بعد إحكام الفرائض كما قال تعالى لا يزال يتقرب إلي العبد بالنوافل حتى أحبه فإذا
أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ولسانه الذي ينطق به وهذا
موضع يجب قبض عنان القلم فيه فقد تحزب الناس فيه إلى قاصرين مالوا إلى التشبيه الظاهر
وإلى غالين مسرفين تجاوزوا حد المناسبة إلى الاتحاد وقالوا بالحلول حتى قال بعضهم
أنا الحق وضل النصارى في عيسى عليه السلام فقالوا هو الإله وقال آخرون تدرع الناسوت
باللاهوت وقال آخرون اتحد به وأما الذين انكشف لهم استحالة التشبيه والتمثيل
واستحالة الاتحاد والحلول واتضح لهم مع ذلك حقيقة السر فهم الأقلون ولعل
أبا الحسن النوري عن هذا المقام كان ينظر إذ غلبه الوجد

حديث أن الله خلق آدم على صورته

أن رجلا يضرب رجلا على وجهه فنهاه عم عن الضرب على وجهه وقال إن الله تعالى خلق آدم على صورته أي صورة المضروب فحينئذ يكون الهاء راجعة إلى المضروب لا إلى الله [illegible]

في قول القائل

لا زلت أنزل في ودادك منزلا . تتحير الألباب دون نزوله

فلم يزل يعدو وافى وجده على أجمة قصب قد قطعت رؤوسها وبقي أصولها حتى
تشقق قدماه وتورمتا ومات من ذلك وهذا هو أعظم أسباب الحب وأقواها وهو أعزها
وأبعدها وأقلها وجودا فهذا هو المعلوم من أسباب الحب وجملة ذلك متظاهرة في حق
الله تعالى تحقيقا لا مجازا وفي أعلى الدرجات لا في أدناها فكان المعقول المقبول عند ذوي
البصائر حب الله تعالى فقط كما أن المعقول الممكن عند العميان حب غير الله تعالى فقط ثم كل من
يحب الخلق بسبب من هذه الأسباب يتصور أن يحب غيره لمشاركته إياه في السبب والشركة
نقصان في الحب وغض من كماله ولا ينفرد أحد بوصف محبوب إلا وقد يوجد له شريك فيه

فيه فإن لم يوجد فيمكن أن يوجد إلا الله تعالى فإنه موصوف بجميع الأوصاف التي هي نهاية الجلال والكمال ولا شريك له في ذلك وجوداً ولا يتصور أن يكون إمكاناً فلا جرم لا يكون في حبه شريك فلا يتطرق النقصان إليه كما لا يتطرق الشركة إليه في صفاته فهو المستحق إذن لأصل المحبة ولكمال المحبة استحقاقاً لا يساهم فيه أصلاً.

بيان أن أجل اللذات وأعلاها معرفة الله تعالى

والنظر إلى وجهه الكريم

وأنه لا يتصور أن يؤثر عليها لذة أخرى إلا من حرم هذه اللذة.

اعلم أن اللذات تابعة للإدراكات والإنسان جامع لجملة من القوى والغرائز ولكل قوة وغريزة لذة ولذتها في نيلها لمقتضى طبعها التي خلقت له فإن هذه الغرائز ما ركبت في الإنسان عبثاً بل ركبت كل قوة وغريزة لأمر من الأمور هو مقتضاها بالطبع فغريزة الغضب خلقت للتشفي والانتقام فلا جرم لذتها في الغلبة والانتقام الذي هو مقتضى طبعها وكذلك لذة السمع والبصر والشم والإبصار والاستماع فلا تخلو غريزة من هذه الغرائز عن ألم ولذة بالإضافة إلى مدركاتها فكذلك في القلب غريزة تسمى النور الإلهي لقوله تعالى أفمن شرح الله صدره للإسلام فهو على نور من ربه وقد يسمى العقل وقد يسمى البصيرة الباطنة وقد يسمى نور الإيمان واليقين ولا معنى للاشتغال بالأسامي فإن الاصطلاحات مختلفة والضعيف يظن أن الاختلاف واقع في المعاني لأن الضعيف يطلب المعاني من الألفاظ وهو عكس الواجب فالقلب مفارق لسائر أجزاء البدن بصفة بها يدرك المعاني التي ليست متخيلة ولا محسوسة كإدراكه خلق العالم وافتقاره إلى خالق قديم مدبر حكيم موصوف بصفات إلهية ولنسم تلك الغريزة عقلاً بشرط أن لا يفهم من لفظ العقل ما يدرك به طرق المجادلة والمناظرة فقد اشتهر اسم العقل بهذا ولهذا ذمه بعض الصوفية وإلا فالصفة التي فارق الإنسان بها البهائم وبها يدرك معرفة الله تعالى أعز الصفات ولا ينبغي أن تذم وهذه الغريزة خلقت ليعلم بها حقائق الأمور كلها فمقتضى طبعها المعرفة

النظر الى الله

لامر

نور القلب

والعلم وهي لذيذة كما أن مقتضى سائر الغرائز هو لذيذ لها وليس يخفى أن العلم والمعرفة
لذة حتى أن الذي ينسب إلى العلم والمعرفة ولو في شيء خسيس يفرح به والذي ينسب
إلى الجهل ولو في شيء حقير يغتم به وحتى أن الإنسان لا يكاد يصبر عن التحدي بالعلم والتمدح
به في الأشياء الحقيرة فالعالم باللعب بالشطرنج على خسته لا يطيق السكوت فيه عن
التعليم وينطلق لسانه بذكر ما يعلمه وكل ذلك لفرط لذة العلم وما يستشعره من
كمال ذاته فإن العلم من أخص صفات الربوبية وهو منتهى الكمال ولذلك يرتاح القلب
إذا أثني عليه بالذكاء وغزارة العلم لأنه يستشعر عند سماع الثناء كمال ذاته وكمال
علمه فيعجب بنفسه ويلتذ به ثم ليس لذة العلم بالحراثة والخياطة كلذة العلم بسياسة
الملك وتدبير أمر الخلق ولا لذة العلم بالنحو والشعر كلذة العلم بالله تعالى وصفاته
وملائكته وملكوت السموات والأرض بل لذة العلم بقدر شرف العلم وشرف العلم بقدر
شرف المعلوم حتى أن الذي يعرف بواطن أحوال الرئيس رئيس البلد وأسرار تدبيره في
رياسته كان ذلك ألذ عنده من علمه بباطن حال فلاح أو حائك فإن اطلع على أسرار الوزير
وتدبيره وما هو عازم عليه من أمر الوزارة فهو أشهى عنده وألذ من علمه بأسرار الرئيس
فإن كان خبيراً بباطن أحوال الملك والسلطان الذي هو مستولي على الوزير كان ذلك أطيب
عنده وألذ من علمه بباطن أمر الوزير وكان تمدحه بذلك وحرصه على البحث عنه أشد وحبه
له أكثر لأن لذته فيه أعظم فبهذا استبان أن ألذ المعارف أشرفها وشرفها بحسب
شرف العلوم فإن كان في المعلومات ما هو الأجل والأكمل والأشرف والأعظم فالعلم
به ألذ العلوم لا محالة وأشرفها وأطيبها وليت شعري هل في الوجود
شيء أجل وأعلى وأشرف وأكمل وأعظم من خالق الأشياء كلها
ومكملها ومزينها ومبدئها ومعيدها ومدبرها ومرتبها وهل يتصور أن يكون حضرة في الملك
والكمال والجمال والبهاء والجلال أعظم من الحضرة الربانية التي لا يحيط بمبادي جلالها
وعجائب أحوالها وصف الواصفين فإن كنت لا تشك في ذلك فلا ينبغي أن تشك في أن الاطلاع
على أسرار الربوبية والعلم بترتيب الأمور الإلهية المحيطة بكل الموجودات هو أعلى
أنواع المعارف والاطلاعات وألذها وأطيبها وأشهاها وأحرى ما تستشعر النفوس
عند الاتصاف به كمالها وجمالها وأجدر ما يعظم به الفرح والارتياح والاستبشار
وبهذا يتبين أن العلم لذيذ وأن ألذ العلوم العلم بالله تعالى وصفاته وأفعاله
وتدبيره في مملكته من منتهى عرشه إلى تخوم الأرضين فينبغي أن تعلم أن لذة المعرفة

لذة العلم مطلقا

معرفة الله

ألذ العلوم

المعرفة أقوى من سائر اللذات اعني لذة الشهوة والغضب ولذة سائر الحواس فإن اللذات
مختلفة بالنوع اولاً كمخالفة لذة الوقاع للذة السماع ولذة المعرفة للذة الرياسة
وهي مختلفة بالضعف والقوة كمخالفة لذة الشبق المغتلم من الجماع للذة الفاتر الشهوة
وكمخالفة لذة النظر الى الوجه الجميل الفائق الجمال للذة النظر بالاضافة الى ما دونه
في الجمال وانما يعرف اقوى اللذات بان تكون مؤثرة على غيرها فان المخير بين النظر الى صورة
جميلة والتمتع بمشاهدتها وبين استنشاق روائح طيبة اذا اختار النظر الى الصورة الجميلة
علم انها عنده الذ من الروائح الطيبة وكذلك اذا حضر الطعام وقت الطعام واستمر اللاعب
بالشطرنج على اللعب وترك الاكل فيعلم به ان لذة الغلبة في الشطرنج اقوى عنده من لذة الاكل
فهذا معيار صادق في الكشف عن ترجيح اللذات فنعود ونقول اللذات تنقسم الى ظاهرة
كلذات الحواس الخمس والى باطنة كلذة الرياسة والغلبة والكرامة والعلم وغيره اذ
ليست هذه اللذة للعين ولا للانف ولا للاذن ولا للمس ولا للذوق والمعاني الباطنة
اغلب على ذوي الكمال من اللذات الظاهرة فلو خير الرجل بين لذة الدجاج المسمن واللوزينج
وبين لذة الرياسة وقهر الاعداء وبين درجة الاستيلاء فان كان المخير خسيس الهمة
ميت القلب شديد البهيمية اختار اللحم والحلاوة وان كان علي الهمة كامل العقل اختار
الرياسة وهان عليه الجوع والصبر عن ضرورة القوت اياماً كثيرة فاختياره للرياسة تدل
على انها الذ عنده من المطعومات الطيبة نعم الناقص الذي لم تكمل معانيه الباطنة بعد
كالصبي او كالذي ماتت قواه الباطنة كالمعتوه لا يبعد ان يؤثر لذة المطعومات على لذة الرياسة
وكما ان لذة الرياسة والكرامة اغلب اللذات على من جاوز نقصان الصبي والعته فلذة
معرفة الله تعالى ومطالعة جمال لذة الربوبية والنظر الى اسرار الامور الالهية الذ من
الرياسة التي هي اعلى اللذات الغالبة على الخلق وغاية العبارة عنه ان يقال فلا تعلم
نفس ما اخفي لهم من قرة اعين وانه اعد لهم ما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على
قلب بشر وهذا الآن لا يعرفه الا من ذاق اللذتين جميعاً فانه لا محالة يؤثر التبتل
والتفرد والفكر والذكر وينغمس في بحار المعرفة ويترك الرياسة ويستحقر الخلق
الذين يرؤسهم لعلمه بفناء رياسته وكونه مشوباً بالكدورات التي لا يتصور الخلو عنها
وكونه مقطوعاً بالموت الذي لا بد من اتيانه مهما اخذت الارض زخرفها وازينت وظن اهلها
انهم قادرون عليها فيستعظم بالاضافة اليه لذة معرفة الله تعالى ومطالعة صفاته
وافعاله ونظام مملكته من اعلى عليين الى اسفل السافلين فانها خالية عن المزاحمات

لذة الظاهرة والباطنة

العاقل والغافل

شرّ لذة الـ[illegible]

والمعمورات متسعة للواردين عليها لا يضيق عنهم كثرتها فلا نهاية لعرضها فلا يزال العارف بمطالعتها
في جنة عرضها السموات والارض يرتع في رياضها ويقطف من ثمارها ويكرع في حياضها وهو امن من انقطاعها
اذ ثمار هذه الجنة غير مقطوعة ولا ممنوعة ثم هي ابدية سرمدية لا يقطعها الموت اذ الموت
لا يهدم محل معرفة الله تعالى ومحلها الروح الذي هو امر رباني سماوي وانما الموت يغير
احوالها ويقطع شواغلها وعوائقها ويخليها من حبسها فاما ان يعدمها فلا ولا تحسبن الذين قتلوا
في سبيل الله امواتا بل احيا عند ربهم يرزقون فرحين بما اتاهم الله من فضله ويستبشرون
بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم الاية ولا تظنن ان هذا مخصوص بالمقتول في المعركة فان
للعارف بكل نفس درجة الف شهيد وفي الخبر ان الشهيد يتمنى في الاخرة ان يرد الى الدنيا
ليقتل مرة اخرى لعظم ما يراه من ثواب الشهادة وان الشهدا يتمنون لو كانوا علما لما يرون
من علو درجة العلما فاذن جميع اقطار ملكوت السموات والارض ميدان العارف يتبوا منه
حيث يشا من غير حاجة الى ان يتحرك اليها بجسمه وشخصه فهو من مطالعة جمال الملكوت في
جنة عرضها السموات والارض وكل عارف فله مثلها من غير ان يضيق بعضهم على بعض اصلا
الا انهم يتفاوتون في سعة متنزهاتهم بقدر تفاوتهم في اتساع نظرهم وسعة معارفهم
وهم درجات عند الله لا يدخل في الحصر تفاوت درجاتهم فقد ظهر ان لذة الرياسة وهي باطنة
اقوى في ذوي الكمال من لذات الحواس كلها وان هذه اللذة لا تكون للبهيمة ولا للصبي ولا للمعتوه
وان لذة المحسوسات والشهوات تكون لذوي الكمال مع لذة الرياسة ولكن يوثرون
الرياسة فاما كون معرفة الله وصفاته وافعاله وملكوت سمواته واسرار ملكه
اعظم لذة من الرياسة فهذا يختص بمعرفته من نال رتبة المعرفة وذاقها ولا يمكن اثبات
رجحان لذة الوقاع على لذة اللعب بالصولجان عند الصبيان ولا رجحانه على لذة شم
البنفسج عند العنين لانه فقد الصفة التي بها يدرك هذه اللذة ولكن من سلم من افة العنة
وسلم حاسة شمه ادرك التفاوت بين اللذتين وعند هذا لا يبقى الا ان يقال من ذاق عرف
ولعمري طلاب العلوم وان لم يشتغلوا بمعرفة الامور الالهية فقد استنشقوا رايحة
هذه اللذة عند انكشاف المشكلات وانحلال الشبهات التي قوي حرصهم على طلبها فانها
ايضا معارف وعلوم وان كانت معلوماتها غير شريفة بشرف المعلومات الالهية فاما
من طال نظره في طلب معرفة الله سبحانه وقد انكشف له من اسرار ملك الله تعالى ولو كان
الشي اليسير فانه يصادف في قلبه عند حصول الكشف من الفرح ما يكاد يطير به ويتعجب
من نفسه في ثباته واحتماله لقوة فرحه وسروره وهذا مما لا يدرك الا بالذوق

العارف بكل نفس مثل الشهداء لا يموت بل احياء ومرزوق عند الله

العلما والعارفين

الذوق والحكاية فيه فضيلة الحدوي فيقصد العدد بينهما على أن معرفة الله سبحانه ألذ
الأشيا. وانه لا لذة فوقها ولهذا قال ابو سليمان الداراني ان لله تعالى عبادا ليس يشغلهم
عن الله تعالى خوف ولا رجا الجنة فكيف تشغلهم الدنيا عن الله تعالى ولذلك قال بعض اخوان
معروف له اخبرني له اخبرني يا ابا محفوظ اي شي اهاجك الى العبادة والانقطاع عن
الخلق فسكت فقال ذكر الموت فقال واي شي الموت فقال ذكر القبر والبرزخ فقال واي
شي القبر فقال خوف النار ورجا الجنة فقال واي شي هذا ان ملكا هذا كله بيده ان
احببته انساك جميع ذلك وان كانت بينك وبينه معرفة كفاك جميع ذلك • وفي اخبار
عيسى عليه السلام اذا رايت الفتى مشغوفا بطلب الرب تعالى فقد الهاه ذلك عما
سواه • ورأى بعض الشيوخ بشر ابن الحارث في النوم فقال ما فعل ابو نصر التمار
وعبد الوهاب فقال تركتهما الساعة بين يدي الله تعالى يأكلان ويشربان قلت فانت
قال علم الله قلة رغبتي في الاكل والشرب فاعطاني النظر اليه • وعن علي ابن الموفق قال
رأيت في النوم كأني ادخلت الجنة فرأيت رجلا قاعدا على مائدة وملكان عن يمينه وشماله
يلقمانه من جميع الطيبات وهو يأكل ورأيت رجلا قائما على باب الجنة يتصفح وجوه الناس
فيدخل بعضا ويرد بعضا قال ثم جاوزتهما الى حظيرة القدس فرأيت في سرادق العرش
رجلا قد شخص ببصره الى الله تعالى لا يطرف فقلت لرضوان من هذا فقال معروف الكرخي عبد الله
لا خوفا من ناره ولا شوقا الى جنته بل حبا له فاباحه النظر اليه الى يوم القيمة •
وذكر الآخرين بشر ابن الحارث واحمد بن حنبل رضي الله عنهم ولذلك قال ابو سليمان
من كان اليوم مشغولا بنفسه فهو غدا مشغول بنفسه ومن كان اليوم مشغول بربه
فهو غدا مشغول بربه وقال الثوري لرابعة ما حقيقة ايمانك
فقالت ما عبدته خوفا من ناره ولا رجا لجنته فاكون كالاجير السو. بل عبدته حبا له وشوقا
اليه وقالت في معنى المحبة نظما

• احبك حبين حب الهوى • وحبا لانك اهلا لذاكا •
• فاما الذي هو حب الهوى • فشغل بذكرك عمن سواكا •
• واما الذي انت اهل له • فكشفك للحجب حتى اراكا •
• فلا الحمد في ذا ولا ذاك لي • ولكن لك الحمد في ذا وذاكا •

ولعلها ارادت بحب الهوى حب الله سبحانه لاحسانه اليها وانعامه عليها بالحظوظ العاجلة
وبحبه لما هو اهل له الحب لجماله وجلاله الذي انكشف لها وهو اعلى الحبين واقواهما ولذة

قلة الاكل ١٩ الشرب بسبب لرؤية الله
رؤية الله
الحب لله

مطالعة جمال الربوبية التي عبر عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث قال حاكيا
عن ربه تعالى أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على
قلب بشر وقد تتعجل بعض هذه اللذات في الدنيا لمن انتهى صفاء قلبه إلى الغاية ٥
ولذلك قال بعضهم إني أقول يا رب يا الله فأجد ذلك أثقل على قلبي من الجبال لأن النداء
يكون من وراء حجاب وهل رأيت جليسا ينادي جليسه وقال إذا بلغ الرجل في هذا
العلم الغاية رماه الخلق بالحجارة أي يخرج كلامه عن حد عقولهم فيرون ما يقوله
جنونا أو كفرا فمقصد العارفين كلهم وصاله ولقاؤه فقط فهي قرة العين التي لا تعلم
نفس ما أخفي لها منها وإذا حصلت انمحقت الهموم والشهوات كلها وصار القلب مستغرقا
بنعيمها فلو ألقي في النار لم يحس بها لاستغراقه ولو عرض عليه نعيم الجنة لم يلتفت إليه
لكمال نعيمه وبلوغه الغاية التي ليس فوقها غاية وليت شعري من لا يفهم إلا حب المحسوسات
كيف يؤمن بلذة النظر إلى وجه الله تعالى وما له صورة ولا شكل وأي معنى لوعد الله
تعالى به عباده وذكره أنه أعظم النعم بل من عرف الله عرف أن اللذات المفرقة للشهوات
المختلفة كلها تنطوي تحت هذه اللذة كما قال بعضهم ٥

كانت لقلبي أهواء مفرقة ... فاستجمعت مذ رأتك العين أهوائي
فصار يحسدني من كنت أحسده ... وصرت مولى الورى مذ صرت مولائي
تركت للناس دنياهم ودينهم ... شغلا بذكرك يا ديني ودنيائي

ولذلك قال بعضهم

وهجره أعظم من ناره ... ووصله أطيب من جنته

وما أرادوا بهذا إلا إيثار لذة القلب في معرفة الله تعالى على لذة الأكل والشرب
والنكاح فإن الجنة معدن تمتع الحواس فأما القلب فلذته في لقاء الله تعالى فقط
ومثال أطوار الخلق في لذاتهم ما نذكره وهو أن الصبي في أول حركته وتمييزه يظهر فيه غريزة
بها يستلذ اللعب واللهو حتى يكون ذلك عنده ألذ من سائر الأشياء ثم يظهر بعده
لذة الزينة ولبس الثياب وركوب الدواب فيستحقر معها اللعب ثم يظهر بعده لذة الوقاع
وشهوة النساء فيترك بها جميع ما قبلها في الوصول ثم يظهر لذة الرياسة والعلو والتكاثر
وهي آخر لذات الدنيا وأعلاها وأقواها كما قال تعالى إنما الحيوة الدنيا لعب ولهو
وزينة وتفاخر الآية ثم بعد هذا يظهر غريزة أخرى يدرك بها معرفة الله تعالى
ومعرفة أفعاله فيستحقر معها جميع ما قبلها وكل متأخر فهو أقوى وهذا هو الأخير إذ يظهر

مقام الاولياء في الدنيا

اذا القي الى النار لم يحس لمحبة الله

مثال لذة الخلق

يظهر حب اللعب في سن التمييز وحب النساء في سن البلوغ وحب الرياسة بعد العشرين
وحب العلوم بقرب الاربعين وهي الغاية العلوية وكما ان الصبي يضحك على من يترك اللعب
ويشتغل بملاعبة النساء وطلب الرياسة فكذلك الرؤساء يضحكون على من يترك الرياسة
ويشتغل بمعرفة الله تعالى والعارفون يقولون ان تسخروا منا فانا نسخر منكم كما تسخرون
فسوف تعلمون

بيان السبب في لذة النظر

في الآخرة على المعرفة في الدنيا

اعلم ان المدركات تنقسم الى ما يدخل في الخيال كالصور المتخيلة والاجسام المتلونة
المتشكلة من اشخاص الحيوان والنبات والى ما لا يدخل في الخيال كذات الله تعالى وكل
ما ليس بجسم كالعلم والقدرة والارادة وغيرها ومن رأى انسانا ثم غض بصره وجد صورته
حاضرة في خياله كانه ينظر اليه ولكن اذا فتح العين وابصره ادرك تفرقة بينهما ولا ترجع
التفرقة الى اختلاف بين الصورتين لان الصورة المرئية تكون موافقة للمتخيلة
وانما الافتراق بمزيد الوضوح والكشف فان صورة المرئي صارت بالرؤية اتم انكشافا
ووضوحا وهو كشخص يرى في وقت الاسفار قبل انتشار ضوء النهار ثم يرى عند تمام الضوء
فانه لا يفارق احدى الحالتين للاخرى الا في مزيد الانكشاف فاذا الخيال اول الادراك
والرؤية وهو استكمال لادراك الخيال وهو غاية الكشف وسمي ذلك رؤية لانه غاية
الكشف لا لانه في العين بل لو خلق الله هذا الادراك الكامل المكشوف في الجبهة او
الصدر مثلا استحق ان يسمى رؤية واذا فهمت هذا في المتخيلات فاعلم ان المعلومات التي
لا تتشكل في الخيال ايضا لمعرفتها وادراكها درجتان احداهما اولى والثانية
استكمال لها وبين الثانية والاولى من التفاوت في مزيد الكشف والايضاح ما بين المتخيل
والمرئي فيسمى الثاني ايضا بالاضافة الى الاول مشاهدة ولقاء ورؤية وهذه التسمية
حق لان الرؤية سميت رؤية لانها غاية الكشف وكما ان سنة الله تعالى جارية بان تطبق
الاجفان يمنع من تمام الكشف بالرؤية ويكون حجابا بين البصر والمرئي فلا بد من
ارتفاع الحجب لحصول الرؤية وما لم يرتفع كان الادراك الحاصل مجرد التخيل فكذلك
مقتضى سنة الله تعالى ان النفس ما دامت محجوبة بعوارض البدن ومقتضى الشهوات
وما غلب عليها من الصفات البشرية فانها لا تنتهي الى المشاهدة واللقاء في المعلومات

در خيال

النفس محجوبة بعوارض البدن

الخارجة من الخيال بل بعد الحياة محجوب عنه بالضرورة كحجاب الاجفان عن رؤية الابصار
والقول في سبب كونه حجابا يطول ولا يليق بهذا العلم ولذلك قال الله تعالى لموسى عليه
السلام لن تراني وقال تعالى لا تدركه الابصار في الدنيا والصحيح ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم ما رأى الله تعالى ليلة المعراج فاذا ارتفع الحجاب بالموت بقيت النفس ملوثة
بكدورات الدنيا غير منفكة عنها بالكلية وان كانت متفاوتة فمنها ما تراكم عليه الخبث
والصدا فصار كالمرآة التي فسد بطول تراكم الخبث جوهرها فلا تقبل الاصلاح والتصقيل
وهؤلاء هم المحجوبون عن ربهم ابدا الآباد نعوذ بالله من ذلك ومنها ما لم تنته الى حد الرين
والطبع ولم تخرج من قبول التزكية والتصقيل فتعرض على النار عرضا يقمع منه الخبث الذي هو
متدنس به ويكون العرض على النار بقدر الحاجة الى التزكية واقلها لحظة خفيفة واقصاها
في حق المؤمنين كما وردت به الاخبار سبعة آلاف سنة ولن ترتحل نفس عن هذا العالم الا وتصحبها
غبرة وكدورة ما وان قلت ولذلك قال الله تعالى وان منكم الا واردها كان على ربك حتما
مقضيا ثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا فكل نفس مستيقنة للورود على النار
وغير مستيقنة للصدر عنها فاذا اكمل الله تطهيرها وتزكيتها وبلغ الكتاب اجله ووقع الفراغ
عن جملة ما وعد به الشرع من العرض والحساب وغيره ووفا استحقاق الجنة وذلك وقت
مبهم لم يطلع الله عليه احدا من خلقه فانه واقع بعد القيمة ووقت القيمة مجهول فعند
ذلك تشتغل بصفائه ونقائه عن الكدورات حتى لا يرهق وجهه غبرة ولا قترة لان
يتجلى فيه الحق سبحانه وتعالى فيتجلى له تجليا يكون انكشاف تجليه بالاضافة الى علمه
كانكشاف تجلي المرئيات بالاضافة الى التخيل وهذه المشاهدة والتجلي هي التي تسمى
رؤية فاذن الرؤية حق بشرط ان لا يفهم من الرؤية استكمال الخيال في متخيل متصور مخصوص
بجهة مخصوصة ومكان فان ذلك مما يتعالى عنه رب الارباب علوا كبيرا بل كما عرفته
في الدنيا معرفة حقيقية تامة من غير تخيل وتصور وتقدير وشكل وصورة فتراه
في الآخرة كذلك بل اقول المعرفة الحاصلة في الدنيا بعينها هي التي تستكمل فتبلغ كمال

رؤية الله تعالى في الآخرة

الكشف والوضوح وتنقلب مشاهدة ولا يكون بين المشاهدة في الآخرة والمعلوم في
الدنيا اختلاف الا من حيث زيادة الكشف والوضوح كما ضربناه من المثال في استكمال الخيال
بالرؤية فاذا لم يكن في معرفة الله تعالى اثبات صورة وجهة فلا يكون في استكمال تلك
المعرفة بعينها وترقيها في الوضوح الى غاية الكشف ايضا جهة وصورة لانها هي بعينها
لا في زيادة الكشف كما ان الصورة المرئية هي المتخيلة بعينها الا في زيادة الكشف

الكشف كما أن الصورة المرئية هي المتخيلة بعينها إلا في زيادة الكشف وإليه الإشارة بقوله تعالى
يسعى نورهم بين أيديهم وبأيمانهم يقولون ربنا أتمم لنا نورنا إذ تمام النور لا يؤثر إلا في زيادة
الكشف ولهذا لا يفوز بدرجة النظر والرؤية إلا العارفون في الدنيا لأن المعرفة هي البذر
الذي ينقلب في الآخرة مشاهدة كما تنقلب النواة شجرة والحب زرعا ومن لا نواة في أرضه
فكيف يحصل له نخل ومن لم يزرع الحب فكيف يحصد الزرع فكذلك من لم يعرف الله تعالى
في الدنيا فكيف يراه في الآخرة ولما كانت المعرفة على درجات متفاوتة كان التجلي
أيضا على درجات متفاوتة فاختلاف التجلي بالإضافة إلى اختلاف المعارف كاختلاف
النبات بالإضافة إلى اختلاف البذور إذ تختلف لا محالة بكثرتها وقلتها وحسنها وقوتها
وضعفها ولذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم إن الله يتجلى للناس عامة
ولأبي بكر خاصة فلا ينبغي أن تظن أن غير أبي بكر ممن هو دونه يجد من لذة النظر والمشاهدة
ما يجده أبو بكر بل لا يجد إلا عشر عشيره إن كانت معرفته في الدنيا عشر عشيره ولما فضل الناس
بسر وقر في صدره فضل لا محالة بتجل انفرد به وكما أنك ترى في الدنيا من يؤثر لذة
الرياسة على المطعوم والمنكوح وترى من يؤثر لذة العلم واكتسابه وانكشاف مشكلاته
من ملكوت السموات والأرض وسائر الأمور الإلهية على الرياسة وعلى المطعوم والمشروب
جميعا فكذلك يكون في الآخرة قوم يؤثرون لذة النظر إلى وجه الله تعالى على نعيم الجنة
إذ يرجع نعيمها إلى المطعوم والمنكوح وهؤلاء بعينهم هم الذين حالهم في الدنيا ما
وصفناه من إيثار لذة العلم والمعرفة والاطلاع على أسرار الربوبية على لذة المطعوم
والمشروب والمنكوح وسائر الخلق مشغولون به ولذلك لما قيل لرابعة ما تقولين
في الجنة فقالت الجار ثم الدار فبينت أنه ليس في قلبها التفات إلى الجنة بل إلى رب
الجنة وكل من لم يعرف الله تعالى في الدنيا فلا يراه في الآخرة وكل من لم يجد لذة المعرفة
في الدنيا فلا يجد لذة النظر في الآخرة إذ ليس يستأنف لأحد في الآخرة ما لم
يصحبه من الدنيا ولا يحصد أحد إلا ما زرع ولا يحشر المرء إلا على ما مات عليه ولا
يموت إلا على ما عاش عليه فما صحبه من المعرفة هو الذي يتنعم به بعينه فقط إلا أنه
ينقلب مشاهدة بكشف الغطاء فيتضاعف اللذة به كما تتضاعف لذة العاشق إذا استبدل
الخيال برؤية صورة المعشوق فإن ذلك منتهى لذته وإنما طيبة الجنة إذ لكل واحد
فيها ما يشتهي فمن لا يشتهي إلا لقاء الله تعالى فلا لذة له في غيره بل ربما يتأذى به
فإذن نعيم الجنة بقدر حب الله وحب الله بقدر معرفته فأصل السعادات هي المعرفة

نور المؤمنين

مثال معرفة الله

مثال رؤية الله في الآخرة

الموت والحشر كما عاش وكما مات

حب الله

التي عبر الشرع فيها بالايمان فان قلت فلذة الرؤية ان كان لها نسبة الى لذة المعرفة
فهي قليلة وان كان اضعافها لان لذة المعرفة في الدنيا ضعيفة فتضعيفها الى حد
قريب لا ينتهي في القوة الى ان يستحقر سائر لذات الجنة فيها فاعلم ان هذا الاستحقار
للذة المعرفة صدر من الخلو عن المعرفة فمن خلا عن المعرفة كيف يدرك لذتها وان انطوى على معرفة
ضعيفة وقلبه مشحون بعلائق الدنيا فكيف يدرك لذتها فللعارفين في معرفتهم وفكرتهم
ومناجاتهم لله تعالى لذات لو عرضت عليهم الجنة في الدنيا بدلا عنها لم يستبدلوا بها لذة
الجنة ثم هذه اللذة مع كمالها لا نسبة لها اصلا الى لذة اللقاء والمشاهدة كما لا
نسبة للذة خيال المعشوق الى رؤيته ولا للذة استنشاق روائح الاطعمة الشهية
الى ذوقها ولا للذة اللمس باليد الى لذة الوقاع واظهار عظم التفاوت بينهما الا بضرب
مثال فنقول لذة النظر الى وجه المعشوق في الدنيا تتفاوت باسباب احدها كمال جمال
المعشوق ونقصانه فان اللذة في النظر الى الاجمل اكمل لا محالة والثاني كمال قوة الحب
والشهوة والعشق فليس التذاذ من اشتد عشقه كالتذاذ من ضعفت شهوته وحبه
والثالث كمال الادراك فليس التذاذ برؤية المعشوق في ظلمة او من وراء ستر رقيق او
من بعد كالتذاذه بادراكه على قرب من غير ستر وعند كمال الضوء ولا ادراك لذة المضاجعة
مع ثوب حائل كادراكها مع التجرد والرابع اندفاع العوائق المشوشة والآلام الشاغلة
للقلب فليس التذاذ الصحيح الفارغ المتجرد للنظر الى المعشوق كالتذاذ الخائف المذعور
او المريض المتألم او المشغول قلبه بمهم من المهمات فقدر عاشقا ضعيف العشق ينظر
الى وجه معشوقه من وراء ستر رقيق على بعد بحيث يمنع انكشاف حسن صورته في حالة
اجتمع عليه عقارب وزنابير تؤذيه وتلدغه وتشغل قلبه فهو في هذه الحالة لا يخلو
عن لذة ما من مشاهدة معشوقه فلو طرأت على الفجاة حالة انهتك بها الستر
واشرق بها الضوء واندفع عنه المؤذيات وبقي سليما فارغا وهجمت عليه الشهوة
القوية والعشق المفرط حتى بلغ اقصى الغايات فانظر كيف تتضاعف اللذة حتى لا
يبقى للاولى اليها نسبة يعتد بها وكذلك فافهم نسبة لذة النظر الى لذة المعرفة
فالستر الرقيق مثال للبدن والاشتغال به والعقارب والزنابير مثال الشهوات
المتسلطة على الانسان من الجوع والعطش والغضب والغم والحزن وضعف الشهوة
والحب مثال لقصور النفس في الدنيا ونقصانها عن الشوق الى الملأ الاعلى
والتفاتها الى اسفل السافلين وهو مثل قصور الصبي عن ملاحظة لذة الرياسة والتفاته

مثال لذة النظر الى الله ولذة المعرفة

ف في النظر والمعرفة

والتفاته إلى اللعب بالعصفور فالعارف وإن قويت في الدنيا معرفته فلا يخلو عن هذه
المشوشات ولا يتصور أن يخلو عنها البتة نعم قد تضعف هذه العوائق في بعض الأحوال ولا
يدوم فلا جرم يلوح من جمال المعرفة ما يبهت العقل وتعظم لذته بحيث يكاد القلب يتفطر
لعظمته ولكن يكون ذلك كالبرق الخاطف وقلما يدوم بل يعرض عن الشواغل والأفكار والخوا
ما يشوشه وينغصه وهذه ضرورة دائمة في هذه الحياة الفانية فلا تزال هذه اللذة
منغصة إلى الموت وإنما الحياة الدائمة الطيبة بعد الموت وإنما العيش عيش الآخرة
وإن الدار الآخرة لهي الحيوان لو كانوا يعلمون وكل من انتهى إلى هذه الرتبة فإنه يحب لقاء الله
تعالى فيحب الموت ولا يكرهه إلا من حيث ينتظر زيادة استكمال في المعرفة فإن المعرفة كالبذر
وبحر المعرفة لا ساحل له فالإحاطة بكنه جلال الله محال وكلما كثرت المعرفة بالله وبصفاته
وأفعاله وبأسرار مملكته وقويت كثر النعيم في الآخرة وعظم كما أنه كلما كثر البذر وحسن
كثر الزرع وحسن ولا يمكن تحصيل هذا البذر إلا في الدنيا ولا يزرع إلا في صعيد القلب
ولا حصاد إلا في الآخرة ولهذا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أفضل السعادات
طول العمر في طاعة الله لأن المعرفة إنما تكمل وتكثر وتتسع في العمر الطويل بمداومة
الفكر والمواظبة على المجاهدة والانقطاع عن علائق الدنيا والتجرد للطلب ويستدعي
ذلك زمانا لا محالة فمن أحب الموت أحبه لأنه رأى نفسه واقفا في المعرفة بالغا إلى
منتهى ما تيسر له ومن كره الموت كرهه لأنه كان يؤمل مزيد معرفة التي تحصل له بطول
العمر ورأى نفسه مقصرا عما يحتمله قوته لو عمر فهذا سبب كراهة الموت وحبه
عند أهل المعرفة وأما سائر الخلق فنظرهم مقصور على شهوات الدنيا إن اتسعت أحبوا
البقاء وإن ضاقت تمنوا الموت وكل ذلك حرمان وخسران مصدره الجهل والغفلة
فالجهل والغفلة مغرس كل شقاوة والعلم والمعرفة أساس كل سعادة فقد عرفت بما
ذكرناه معنى المحبة ومعنى العشق فإن المحبة المفرطة ومعنى لذة المعرفة ومعنى الرؤية
ومعنى لذة الرؤية ومعنى كونها ألذ من سائر اللذات عند ذوي العقل والكمال وإن
لم يكن كذلك عند ذوي النقصان كما لم تكن الرياسة ألذ من المطعومات عند الصبيان
فإن قلت فهذه الرؤية محلها القلب أو العين في الآخرة فاعلم أن الناس قد
اختلفوا في ذلك وأرباب البصائر لا يلتفتون إلى هذا الخلاف ولا ينظرون فيه
بل العاقل يأكل البقل ولا يسأل عن المبقلة ومن يشتهي رؤية معشوقه يشغله
عشقه عن أن يلتفت إلى رؤيته تخلق في عينه أو في جبهته بل يقصد الرؤية ولذتها

حب الموت وكراهته

مثال المعرفة

سبب كراهة الموت

سواء كان ذلك بالعين أو بغيرها فإن العين محل وظرف لا نظر إليه ولا حكم له والحق فيه أن
القدرة الأزلية واسعة فلا يجوز أن نحكم عليها بالقصور عن أحد الأمرين هذا في حكم
الجواز فأما الواقع في الآخرة من الجائزين فلا يدرك إلا بالسمع والحق ما ظهر لأهل السنة
والجماعة من شواهد الشرع أن ذلك يخلق في العين ليكون لفظ الرؤية والنظر وسائر الألفاظ
الواردة في الشرع مجرى على ظاهره إذ لا يجوز إزالة الظواهر إلا بضرورة ۞

بيان الأسباب المقوية لحب الله ۞

اعلم أن أسعد الخلق حالا في الآخرة أقواهم حبا لله تعالى
فإن الآخرة معناها القدوم على الله ودرك سعادة لقائه وما أعظم نعيم المحب إذا قدم
على محبوبه بعد طول شوقه وتمكن من دوام مشاهدته أبد الآباد من غير منغص ومكدر ومن
غير رقيب ومزاحم ومن غير خوف انقطاع إلا أن هذا النعيم على قدر قوة الحب فكلما
ازداد الحب ازدادت المحبة واللذة وإنما يكتسب العبد حب الله تعالى في الدنيا وأصل الحب لا ينفك
عنه مؤمن لأنه لا ينفك عن أصل المعرفة وأما قوة الحب واستيلاؤه حتى ينتهي إلى الاستهتار الذي
يسمى عشقا فذلك ينفك عنه الأكثرون وإنما يحصل ذلك بسببين أحدهما قطع علائق الدنيا
وإخراج غير حب الله تعالى من القلب فإن القلب مثل الإناء الذي لا يتسع للخل مثلا ما لم يخرج
منه الماء. وما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه وكمال الحب في أن يحب الله عز وجل بكل قلبه
وما دام يلتفت إلى غيره فزاوية من قلبه مشغولة بغيره فبقدر ما يشتغل بغير الله ينقص
منه حب الله وبقدر ما يبقى من الماء في الإناء ينقص من الخل المصبوب فيه وإلى هذا التفريد
والتجريد الإشارة بقوله تعالى قل الله ثم ذرهم وبقوله تعالى إن الذين قالوا ربنا الله
ثم استقاموا بل هو معنى قولك لا إله إلا الله أي لا معبود ولا محبوب سواه وكل محبوب
فإنه معبود فإن العبد هو المقيد والمعبود هو المقيد به وكل محب فهو مقيد بما يحبه
ولذلك قال تعالى أفرأيت من اتخذ إلهه هواه وقال عليه السلام أبغض إله عبد في الأرض
الهوى ولذلك قال صلى الله عليه وسلم من قال لا إله إلا الله مخلصا دخل
الجنة ومعنى الإخلاص أن يخلص قلبه لله تعالى فلا يبقى فيه شرك لغير الله تعالى فيكون الله
تعالى محبوب قلبه ومعبود قلبه ومقصود قلبه فقط ومن هذا حاله فالدنيا سجنه
لأنها مانعة له عن مشاهدة محبوبه وموته خلاص من السجن وقدوم على المحبوب فما

بيان الأسباب المقوية لحب الله تعالى

سبب حب الله

مثال القلب في حب الله

كلمة الشهادة

فما حال من ليس له الا محبوب واحد فقد طال اليه شوقه وتمادى عنه حبسه
فخلي من السجن ومكن من المحبوب وروح بالامن ابدا الاباد فاحد اسباب ضعف حب الله
تعالى في القلوب قوة حب الدنيا ومنه حب المال والاهل والولد والاقارب والعقار
والدواب والبساتين والمتنزهات حتى ان المتفرج بطيب اصوات الطيور وروح نسيم
الاسحار ملتفت الى نعيم الدنيا ومتعرض لنقصان حب الله تعالى بسببه فبقدر ما
انس بالدنيا ينقص انسه بالله تعالى ولا يؤتى احد شيئا من الدنيا الا وينقص بقدره من
الاخرة بالضرورة كما انه لا يقرب الانسان من المشرق الا ويبعد من المغرب بقدره ولا
يطيب قلب امراته الا ويضيق به قلب ضرتها فالدنيا والاخرة ضرتان وهما كالمشرق والمغرب
وقد انكشف ذلك لذوي القلوب انكشافا اوضح من الابصار بالعين وسبيل قلع حب الدنيا
من القلب سلوك طريق الزهد وملازمة الصبر والتوبة والانقياد اليها بزمام الخوف
والرجا فما ذكرناه من المقامات كالتوبة والصبر والزهد والخوف والرجا هي مقدمات
ليكتسب بها احد ركني المحبة وهو تخلية القلب عن غير ذكر الله تعالى واوله الايمان
بالله واليوم الاخر والجنة والنار ثم يتشعب منه الخوف والرجا ويتشعب منهما التوبة
والصبر عليها ثم يجر ذلك الى الزهد في الدنيا وفي المال والجاه وكل حظوظ الدنيا حتى
يحصل بجميعه طهارة القلب عن غير الله فقط حتى يتسع بعده لنزول معرفة الله وحبه فيه
فكل ذلك مقدمات تطهير القلب وهو احد ركني المحبة واليه الاشارة بقوله عليه السلم
الطهور شطر الايمان كما ذكرناه في اول كتاب الطهارة **السبب الثاني**
لقوة المحبة وهو قوة معرفة الله تعالى واتساعها واستيلاؤها على القلب من جميع
شواغل الدنيا وعلايقها وجرى مجرى وضع البذر في الارض بعد تنقيتها من الحشيش وهو
الشطر الثاني ثم يتولد من هذا البذر شجر المحبة والمعرفة هي الكلمة الطيبة التي ضرب الله
تعالى بها مثلا حيث قال ضرب الله مثلا كلمة طيبة كشجرة طيبة اصلها ثابت وفرعها
في السماء واليها الاشارة بقوله تعالى اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه
فالعمل الصالح كالحمال لهذه المعرفة وكالخادم وانما العمل الصالح كله في تطهير القلب اولا
من الدنيا ثم في ادامة طهارته فلا يراد العمل الا لهذه المعرفة واما العلم بكيفية
العمل يراد للعمل والعلم هو الاول وهو الاخر وانما الاول علم المعاملة وغرضه العمل
وغرض المعاملة صفا القلب وطهارته ليتضح فيه جلية الحق ويتزين بعلم المعرفة وهو
علم المكاشفة ومهما حصلت هذه المعرفة تبعتها المحبة بالضرورة كما ان من كان معتدل

ضعف حب الله
حب الدنيا وما فيها

نعيم الدنيا نقص للاخرة

مثال الدنيا والاخرة

ركن المحبة

قوة حب الله ومثالها

في كلمة الشهادة

العمل وصفاء القلب

المكاشفة

المزاج اذا ابصر الجميل وادركه بالعين الظاهرة احبه ومال اليه ومهما احبه حصلت
اللذة فاللذة تبع المحبة بالضرورة والمحبة تتبع المعرفة بالضرورة ولا سبيل الى هذه
المعرفة بعد انقطاع شواغل الدنيا من القلب الا بالفكر الصافي والذكر الدايم والجد
البالغ والطلب والنظر المستمر في الله تعالى وفي صفاته وملكوت سمواته وساير مخلوقاته
والواصلون الى هذه الرتبة ينقسمون الى الاقويا ويكون اول معرفتهم لله تعالى ثم به يعرفون
غيره والى الضعفا ويكون اول معرفتهم بالافعال ثم يترقون منها الى الفاعل والى الاول
الاشارة بقوله تعالى اولم يكف بربك انه على كل شي شهيد وبقوله شهد الله انه لا اله الا هو
ومنه نظر بعضهم حيث قيل له بم عرفت ربك فقال عرفت ربي بربي ولولا ربي لما عرفت ربي
والى الثاني الاشارة بقوله تعالى سنريهم اياتنا في الافاق وفي انفسهم الاية وبقوله
تعالى اولم ينظروا في ملكوت السموات والارض وبقوله تعالى قل انظروا ماذا في السموات
والارض وبقوله الذي خلق سبع سموات طباقا ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت فارجع
البصر هل ترى من فطور ثم ارجع البصر كرتين وهذا الطريق هو الاسهل على الاكثرين
وهو الاوسع على السالكين واليه اكثر دعوة القران عند الامر بالتدبر والتفكر والاعتبار
والنظر في ايات خارجة عن الحصر فان قلت كلا الطريقين مشكل فاوضح لنا منهما ما يستعان
به على تحصيل المعرفة والتوصل به الى المحبة فاعلم ان الطريق الاعلى هو الاستشهاد
بالحق سبحانه على ساير الخلق فهو غامض والكلام فيه خارج عن حد فهم اكثر الخلق فلا فايدة
في ايراده في الكتب واما الطريق الاسهل الادنى فاكثره غير خارج عن حد الافهام وانما
قصرت الافهام عنه لاعراضها عن التدبر واشتغالها بشهوات الدنيا وحظوظ النفس والمانع
من ذكر هذا اتساعه وكثرته وانشعاب ابوابه الخارجة عن الحصر والنهاية اذ ما من ذرة
من اعلى السموات الى تخوم الارضين الا وفيها عجايب ايات تدل على كمال قدرة الله تعالى وكمال
حكمته ومنتهى جلاله وعظمته وذلك مما لا يتناهى قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربي
لنفد البحر قبل ان تنفد كلمات ربي فالخوض فيه انغماس في بحار علوم المكاشفة وهو لا يمكن
ان نتطفل به على علوم المعاملة ولكن يمكن الرمز الى مثال واحد على الايجاز ليقع التنبه
لجنسه فنقول اسهل الطريقين النظر الى الافعال فلنتكلم فيها ولنترك الاعلى ثم الافعال
الالهية كثيرة فلنطلب اقلها واحقرها واصغرها ولننظر في عجايبها واقل المخلوقات
هو الارض وما عليها اعني بالاضافة الى الملايكة وملكوت السموات والارض فانك
ان نظرت فيها من حيث الجسم والعظم في الشخص فالشمس على ما ترى من صغر حجمها هي مثل الارض

مثال علم المكاشفة والمحبة

مراتب الاوليا

عرفت ربي بربي

النظر في السموات والارض وما فيها والحكمة فيها

علوم المكاشفة

الشمس والقمر وفلكها والكرسي والعرش وصغرها وكبرها

الارض ماية ونيفا وستين مرة فانظر الي صغر الارض بالاضافة اليها ثم انظر الي صغر
الشمس بالاضافة الي فلكها التي هي مركوزة فيه فانه لا نسبة لها اليه وهي في السماء
الرابعة وهي صغيرة بالاضافة الي ما فوقها من السموات ثم السموات السبع في الكرسي
كحلقة في فلاة والكرسي في العرش كذلك فهذا نظر الي ظاهر الاشخاص من حيث المقادير
وما احقر الارض كلها بالاضافة اليها بل ما اصغر الارض بالاضافة الي البحار فقد قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم الارض في البحر كالاصطبل في الارض ومصداق هذا عرف
بالمشاهدة والتجربة وعلم ان المكشوف من الارض عن الماء كجزيرة صغيرة بالاضافة الي
كل الارض ثم انظر الي الآدمي المخلوق من التراب الذي هو جزء من الارض والي سائر الحيوانات
والي صغره بالاضافة الي الارض ودع عنك جميع ذلك فاصغر ما نعرفه من الحيوانات البعوض
والنمل وما يجري مجراه فانظر الي البعوض علي صغر قدره وتامله بعقل حاضر وفكر صاف
فانظر كيف خلقه الله تعالي علي شكل الفيل الذي هو اعظم الحيوانات اذ خلق له خرطوما
مثل خرطومه وخلق له علي شكله الصغير سائر الاعضاء كما خلقه للفيل بزيادة جناحين
وانظر كيف قسم اعضاءه الظاهرة فانبت جناحه واخرج يده ورجله وشق سمعه وبصره
ودبر في باطنه من اعضاء الغذاء والاته ما دبره في سائر الحيوانات وركب فيها من القوي الغاذية
والجاذبة والدافعة والماسكة والهاضمة ما ركب من سائر الحيوانات هذا في شكله وصفاته
ثم انظر الي هدايته كيف هداه الله الي غذائه وعرفه ان غذاءه دم الانسان ثم كيف انبت
الله له آلة الطيران الي الانسان وكيف خلق له الخرطوم الطويل وهو محدد الراس
وكيف هداه الي مسام بشرة الانسان حتي يضع خرطومه في واحد منها ثم كيف قواه
حتي غرز فيه الخرطوم وكيف علمه المص والتجرع للدم وكيف خلق الخرطوم مع دقته
مجوفا حتي يجري فيه الدم الرقيق وينتهي الي باطنه وينتشر في سائر اجزائه ويغذيه
ثم كيف عرفه ان الانسان يقصده بيده فعلمه حيلة الهرب واستعداد آلته وخلق له
السمع الذي يسمع به خفيف حركة اليد وهي بعد بعيدة منه فيترك المص ويهرب
ثم اذا سكنت اليد يعود ثم انظر كيف خلق له حدقتين حتي يبصر موضع غذائه فيقصده
مع صغر حجم وجهه وانظر الي حدقة كل حيوان صغير لما لم يحتمل حدقته الاجفان لصغره
وكانت الاجفان مصقلة لمراة الحدقة عن القذا والغبار خلق للبعوض والذباب يدين
فينظر الي الذباب فتراه يمسح حدقته بيديه فاما الانسان والحيوان الكبير خلق لحدقته الاجفان
حتي ينطبق احدهما علي الاخري واطرافها حادة فيجمع الغبار الذي يلحق الحدقة ويرميه

ثم الارض والبحر في الصغر والكبر

مخلوق الله والنظر فيه للعبرة

عجايب

عجايب صنع الله

في اطراف الاهداب وخلق الاهداب السود لتجمع ضوء العين ويعين على الابصار وتحسن
صورة العين وتشبكها عند الغبار فينظر من وراء شباك الاهداب فاشتباكها يمنع دخول
الغبار ولا يمنع الابصار واما البعوض فخلق له حدقتين مصقلتين من غير اجفان وعلمها
كيفية التصقيل باليدين ولاجل ضعف ابصارها تراها تتهافت على السراج لان بصرها ضعيف
فهي تطلب ضوء النهار فاذا رات المسكينة ضوء السراج بالليل ظنت انها في بيت مظلم وان السراج
كوة من البيت المظلم الى الموضع المضيء فلا تزال تطلب الضوء وترمي بنفسها اليه فاذا جاوزته
ورات الظلام ظنت انها لم تصب الكوة ولم تقصدها على السداد فتعود اليه مرة اخرى
الى ان تحترق ولعلك تظن ان هذا لنقصانها وجهلها فاعلم ان جهل الانسان اعظم
من جهلها بل صورة الادمي في الاكباب على شهوات الدنيا صورة الفراش في التهافت على
النار اذ يلوح للادمي انوار الشهوات من حيث ظاهر صورتها ولا يدري ان تحتها السم الناقع
القاتل فلا يزال يرمي نفسه عليها الى ان ينغمس فيها ويتقيد بها ويهلك هلاكا مؤبدا
فليت كان جهل الادمي كجهل الفراش فانها باغترارها بظاهر الضوء ان احترقت تخلصت في الحال
والادمي يبقى في النار ابد الاباد او مدة مديدة ولذلك كان ينادي رسول الله صلى
الله عليه وسلم ويقول ـــــ اني ممسك بحجزكم عن النار وانتم تتهافتون فيها تهافت
الفراش فهذه لمعة من عجائب ـــــ صنع الله تعالى في اصغر
الحيوانات وفيها من العجائب ما لو اجتمع الاولون والاخرون على الاحاطة بكنهه عجزوا
عن حقيقته ولم يطلعوا على امور جلية من ظاهر صورته فاما خفايا معاني ذلك
فلا يطلع عليه الا الله تعالى وفي كل حيوان ونبات اعجوبة واعاجيب تخصه لا يشاركه
فيه غيره فانظر الى النحل وعجائبها وكيف اوحى الله تعالى اليها حتى اتخذت من الجبال بيوتا
ومن الشجر ومما يعرشون وكيف استخرج من لعابها الشمع والعسل وجعل احدهما ضياء
والاخر شفاء ثم لو تاملت عجائب امرها في تناولها الازهار واحترازها عن النجاسات
والاقذار وطاعتها لواحد من جملتها هو اكبرها شخصا وهو اميرها ثم ما سخر الله تعالى له
اميرها من العدل والانصاف بينها حتى انه ليقتل على باب المنفذ كل ما وقع منها على نجاسة
لقضيت منها اخر العجب ان كنت بصيرا في نفسك وفارغا من هم بطنك وفرجك وشهوات
نفسك في معاداة اقرانك وموالاة اخوانك ثم دع عنك جميع ذلك وانظر الى بنائها
بيوتها من الشمع واختيارها من جملة الاشكال الشكل المسدس فلا تبني بيتا مستديرا
ولا مربعا ولا مخمسا بل مسدسا لخاصية في شكل المسدس يقصر فهم المهندس عن دركها

الجهل ومثاله

العجائب في النحل

دعو

وهو أن أوسع الأشكال وأحواها المستديرة وما يقرب منها فإن المربع يخرج منه
زوايا ضايعة وشكل النحل مستدير مستطيل فترك المربع حتى لا تضيع الزوايا
فتبقى فارغة ثم لو بناها مستديرة لبقيت خارج البيوت فرج ضايعة فإن الأشكال
المستديرة إذا جمعت لم تجتمع متراصة ولا شكل في الأشكال ذوات الزوايا الأقرب
في الاحتواء من المستدير ثم تراص الجملة منه بحيث لا يبقى بعد اجتماعها فرجة إلا
المسدس وهذه خاصية هذا الشكل وخاصيته فانظر كيف ألهم الله تعالى النحل على
صغر جرمه لطفاً به وعناية بوجوده وما هو محتاج إليه ليتهنأ عيشه فسبحانه
ما أعظم شأنه وأوسع لطفه وامتنانه فاعتبر بهذه اللمعة اليسيرة من محقرات
الحيوانات ودع عنك عجائب ملكوت الأرض والسموات فإن القدر الذي بلغه فهمنا
القاصر منه تنقضي الأعمار دون إيضاحه ولا نسبة لما أحاط به علمنا إلى ما أحاط به [أهل]
الأنبياء ولا نسبة لما أحاط به علم الخلائق كلهم إلى ما استأثر الله تعالى بعلمه بل كل ما
عرفه الخلق لا يستحق أن يسمى علماً في جنب علم الله تعالى فبالنظر في هذا وأمثاله تزداد
المعرفة الحاصلة بأسهل الطريقين وبزيادة المعرفة الحاصلة تزداد المحبة فإن كنت
طالباً سعادة لقاء الله تعالى فانبذ الدنيا وراء ظهرك واستغرق العمر في الذكر الدائم
والفكر اللازم فعساك تحظى منها بقدر يسير ولذلك تنال بذلك اليسير ملكاً عظيماً
لا آخر له

بيان السبب

في تفاوت الناس في الحب

اعلم أن المؤمنين مشتركون في أصل الحب لاشتراكهم في أصل المحبة
ولكنهم يتفاوتون لتفاوتهم في المعرفة وفي حب الدنيا إذ الأشياء إنما تتفاوت
بتفاوت أسبابها وأكثر الناس ليس لهم من الله تعالى إلا الصفات والأسماء
التي قرعت سمعهم فلقفوها وحفظوها وربما تخيلوا لها معاني يتعالى عنها رب الأرباب
وربما لم يطلعوا على حقيقتها ولا تخيلوا لها معنى فاسداً بل آمنوا بها إيمان تصديق
وتسليم واشتغلوا بالعمل وتركوا البحث وهؤلاء هم أهل السلامة من أصحاب اليمين
والمتخيلون هم الضالون والعارفون بالحقائق هم المقربون وذكر الله تعالى

حا الاصناف الثلاثة في قوله فاما ان كان من المقربين فروح وريحان وجنة نعيم الآية
واذا كنت لا تفهم الامور الا بالامثلة فلنطرح لتفاوت الحب مثالا فنقول اصحاب الشا
مثلا يشتركون في حب الشافعي رحمه الله تعالى الفقها منهم والعوام لانهم يشتركون في
معرفة فضله ودينه وحسن سيرته ومحامد خصاله ولكن العامي يعرف علمه مجملا
والفقيه يعرفه مفصلا فيكون معرفة الفقيه اتم واعجابه به وحبه له اشد فان من
راى تصنيف المصنف فاستحسنه وعرف به فضله احبه لا محالة ومال اليه قلبه
فان راى تصنيفا اخر احسن منه واعجب تضاعف لا محالة حبه لانه تضاعف معرفته بعلمه
وكذلك يعتقد الرجل في الشاعر انه حسن الشعر فيحبه فاذا سمع من غرايب شعره ما
فيه حذقه وصنعته ازداد له حبا وكذا ساير الصناعات والفضايل فالعامي قد يسمع
ان فلانا مصنف وانه حسن التصنيف ولكن لا يدري ما في التصنيف فيكون له
معرفة مجملة ويكون له بحسبه ميل مجمل والبصير اذا فتش عن التصانيف واطلع
على ما فيها من العجايب تضاعف حبه لا محالة لان عجايب الصنعة والشعر والتصنيف
تدل على كمال صفات الفاعل والمصنف والعالم عالم بجملته صنع الله وتصنيفه
والعامي يعلم ذلك ويعتقده واما البصير فانه يطالع تفصيل صنع الله فيه
حتى يرى في البعوض مثلا من عجايب صنعه ما ينبهر به عقله ويتحير فيه لبه ويزدا
بسببه لا محالة عظمة الله وجلاله وكمال صفاته في قلبه فيزداد له حبا وكلما ازدا
على عجايب صنع الله تعالى اطلاعا استدل بذلك على عظمة الصانع وجلاله وازداد
به معرفة وله حبا وبحر هذه المعرفة اعني معرفة عجايب صنع الله تعالى لا ساحل له فلا جرم
تفاوت اهل المعرفة في الحب لا حصر له ومما يتفاوت بسببه الحب اختلاف الاسبا
الخمسة التي ذكرناها للحب فان من يحب الله مثلا لكونه محسنا اليه منعما عليه ولم يحبه
لذاته ضعفت محبته اذ تتغير بتغير الاحسان فلا يكون حبه في حالة البلا كحبه في حالة
الرضا والنعما واما من يحبه لذاته ولانه مستحق للحب بسبب كماله وجماله ومجده وعظمته
فانه لا يتفاوت الاحسان اليه فهذا وامثاله هو سبب تفاوت الناس في المحبة
والتفاوت في المحبة هو سبب التفاوت في سعادة الاخرة ولذلك
قال الله تعالى وللاخرة اكبر
درجات واكبر تفضيلا

مثال في تفاوت الحب

معرفة عجايب صنع الله دليل له

بيان السبب

في قصور افهام الخلق عن معرفة الله سبحانه وتعالى

اعلم ان اظهر الموجودات واجلاها هو الله تعالى وكان هذا يقتضي
ان تكون معرفته اول المعارف واسبقها الى الافهام واسهلها على العقول ونرى
الامر بالضد من ذلك ولا بد من بيان السبب فيه وانما قلنا انه اظهر الموجودات و
اجلاها لمعنى لا تفهمه الا بمثال وهو انا اذا راينا انسانا يكتب او يخيط مثلا
كونه حيا عندنا من اظهر الموجودات فحياته وعلمه وقدرته وارادته للخياطة
اجلى عندنا من سائر صفاته الظاهرة والباطنة اذ صفاته الباطنة كشهوته
وغضبه وخلقه وصحته ومرضه وكل ذلك لا نعرفه وصفاته الظاهرة لا نعرف
بعضها وبعضها نشك فيه كمقدار طوله واختلاف لون بشرته وغير ذلك من صفاته
اما حياته وقدرته وارادته وعلمه وكونه حيوانا فانه جلي عندنا من غير ان يتعلق
حس البصر بحياته وقدرته وارادته فان هذه الصفات لا تحس بشيء من الحواس الخمس
ثم لا يمكن ان نعرف حياته وقدرته وارادته الا بخياطته وحركته فلو نظرنا
الى كل ما في العالم سواه لم نعرف به صفته فما عليه الا دليل واحد وهو
مع ذلك جلي واضح ووجود الله تعالى وقدرته وعلمه وسائر صفاته يشهد
له بالضرورة كل ما نشاهده وندركه بالحواس الظاهرة والباطنة من حجر ومدر
ونبات وشجر وحيوان وسماء وارض وكوكب وبر وبحر ونار وهواء وجوهر
وعرض بل اول شاهد عليه انفسنا واجسامنا واوصافنا وتقلب احوالنا
وتغير قلوبنا وجميع اطوارنا في حركاتنا وسكناتنا واظهر الاشياء في علمنا
انفسنا ثم محسوساتنا بالحواس الخمس ثم مدركاتنا بالعقل والبصيرة وكل
واحد من هذه المدركات له مدرك واحد وشاهد واحد ودليل واحد
وجميع ما في العالم شواهد ناطقة بوجود خالقها ومدبرها ومصرفها ومحركها
ودالة على علمه وقدرته ولطفه وحكمته والموجودات المدركة لا حصر لها
فان كانت حياة الكاتب ظاهرة عندنا وليس يشهد له الا شاهد واحد وهو ما

أحسسنا به من حركة يده وهذا لا يظهر عندنا ما لا يتصور في الوجود شي داخل نفوسنا
وخارجها الا وهو شاهد عليه وعلى عظمته وجلاله اذ كل ذرة فانها تنادي بلسان
حالها انه ليس وجودها بنفسها ولا حركتها بذاتها وانها تحتاج الى موجد ومحرك لها تشهد
بذلك اولا تركيب اعضائنا وائتلاف عظامنا ولحومنا واعصابنا ومنابت شعورنا
وتشكل اطرافنا وساير اجزائنا الظاهرة والباطنة فانا نعلم انها لم تأتلف بانفسها
كما نعلم ان يد الكاتب لم تتحرك بنفسها ولكن لما لم يبق في الوجود مدرك ومحسوس ومعقول
وحاضر وغايب الا وهو شاهد ومعرف عظم ظهوره فانبهرت العقول ودهشت عن ادراكه
فان ما تقصر عن فهمه عقولنا فله سببان احدهما خفاؤه في نفسه وغموضه وذلك لا
يخفى مثاله والاخر ما يتناهى وضوحه وهذا كما ان الخفاش يبصر بالليل ولا يبصر بالنهار
لا لخفاء النهار واستتاره لكن لشدة ظهوره فان بصر الخفاش ضعيف يبهره ضوء
الشمس اذا اشرقت فيكون قوة ظهوره مع ضعف بصره سببا لامتناع ابصاره فلا يرى
شيا الا اذا امتزج الضوء بالظلام وضعف ظهوره فكذلك عقولنا ضعيفة وجمال
الحضرة الالهية في نهاية الاشراق والاستنارة وفي غاية الاستغراق والشمول
حتى لم يشذ عن ظهوره ذرة من ملكوت السموات والارض فصار ظهوره سبب خفائه

فسبحان من احتجب باشراق نوره واختفى عن البصائر

والابصار بظهوره

ولا يتعجب من اختفاء ذلك بسبب الظهور فان الاشيا تستبان باضدادها
وما عم وجوده حتى انه لا ضد له عسر ادراكه فلو اختلفت الاشيا فدل بعضها دون
بعض ادركت التفرقة على قرب ولما اشتركت في الدلالة على نسق واحد اشكل الامر
ومثاله نور الشمس المشرق على الارض فانا نعلم انه عرض من الاعراض يحدث في الارض ويزول عند
غيبة الشمس فلو كانت الشمس دائمة الاشراق ولا غروب لها لكنا نظن ان لا هيئة في الاجسام
الا الوانها وهي السواد والبياض وغيرهما فانا لا نشاهد في الاسود الا السواد وفي
الابيض الا البياض واما الضوء فلا ندركه وحده ولكن لما غابت الشمس واظلمت
المواضع ادركنا تفرقة بين الحالين فعلمنا ان الاجسام كانت قد استضاءت بضوء
واتصفت بصفة فارقتها عند الغروب فعرفنا وجود النور بعدمه وما كنا نطلع عليه
لولا عدمه الا بعسر شديد وذلك لمشاهدتنا الاجسام متشابهة غير مختلفة في الظلام

قصور معرفة خلق الله بالنظر

الظلام والنور فهذا مع ان النور اظهر المحسوسات اذ به تدرك ساير المحسوسات
فما هو ظاهر في نفسه وهو مظهر لغيره انظر كيف تصور استبهام امره بسبب ظهوره لولا
طريان ضده فالله تعالى هو اظهر الامور وبه ظهرت الاشيا كلها ولو كان له عدم او
غيبة او تغير لانهدت السموات والارض وبطل الملك والملكوت ولادرك بذلك التفرقة
بين الحالتين ولو كان بعض الاشيا موجودا به وبعضها موجودا بغيره لادركت التفرقة
بين الشيئين في الدلالة ولكن دلالته عامة في الاشيا على نسق واحد ووجوده دايم
في الاحوال يستحيل خلافه فلا جرم اورثت شدة الظهور خفا فهذا هو السبب
في قصور الافهام واما من قويت بصيرته ولم تضعف منته فانه في حال اعتدال امره
لا يرى الا الله تعالى ولا يعرف غيره ويعلم انه ليس في الوجود الا الله وافعاله وافعاله
اثر من اثار قدرته فهو تابعة له فلا وجود لها بالحقيقة دونه وانما الوجود للواحد
الحق الذي به وجود الافعال كلها ومن هذا حاله فلا ينظر الى شي من الافعال الا
ويرى فيها الفاعل ويذهل عن الفعل من حيث انه سما وارض وحيوان وشجر بل ينظر فيه
من حيث انه صنع الله فلا يكون نظره مجاوزا له الى غيره كمن نظر في شعر انسان
او خطه او تصنيفه وراى فيها الشاعر والمصنف وراى اثاره من حيث انه اثره
لا من حيث انه حبر وعفص وزاج مرقوم على بياض فلا يكون نظر الى غير المصنف وكل

النظر الى مخلوق الله

العالم تصنيف الله تعالى فمن نظر اليه من حيث انه فعل الله وعرفه من حيث انه فعل
الله واحبه من حيث انه فعل الله لم يكن ناظرا الا في الله ولا عارفا الا بالله ولا محبا
الا لله وكان هو الموحد الحق الذي لا يرى الا الله بل لا ينظر الى نفسه من حيث نفسه

الفنى في التوحيد

بل من حيث انه عبد الله فهذا هو الذي يقال فيه انه فني في التوحيد وانه فني عن نفسه
واليه الاشارة بقول من قال كنا بنا فغبنا عنا فبقينا بلا نحن فهذه امور
معلومة عند ذوي الابصار اشكلت لضعف الافهام عن دركها وقصور قدرة العلما
عن ايضاحها وبيانها بعبارة مفهمة موصلة الغرض الى الافهام او باشتغالهم
بانفسهم واعتقادهم ان بيان ذلك لغيرهم مما لا يعنيهم فهذا هو السبب في قصور
الافهام عن معرفة الله تعالى وانضم اليه ان المدركات كلها التي هي شاهدة على الله انما
يدركها الانسان في الصبي عند فقد العقل ثم تبدو فيه غريزة العقل قليلا قليلا
وهو مستغرق الهم بشهواته فقد انس بمدركاته ومحسوساته والفها فسقط
وقعها عن قلبه بطول الانس ولذلك اذا راى على سبيل الفجاة حيوانا غريبا او نباتا

غريبا او فعلا من افعال الله تعالى خارقا للعادة وعجيبا انطلق لسانه بالمعرفة طبعا فقال سبحان
الله وهو يرى طول النهار نفسه واعضاءه وساير الحيوانات والمالوفات وكلها شواهد قاطعة
ولا يحس بشهادتها لطول الانس بها ولو فرض اكمه بلغ عاقلا ثم انقشعت غشاوة عينه فامتد
بصره الى السماء والارض والاشجار والنبات والحيوان دفعة واحدة على سبيل الفجاة لخيف
على عقله ان ينبهر لعظم تعجبه من شهادة هذه العجايب لخالقها وامثاله من الاسباب مع
الانهماك في الشهوات هو الذي سد على الخلق سبيل الاستضاءة بانوار المعرفة والسباحة
في بحارها الواسعة فالناس في طلبهم معرفة الله كالمدهوش الذي يضرب به المثل
اذ كان راكبا لحماره وهو يطلب حماره والجليات اذا صارت مطلوبة صارت معتاصة فهذا
سر هذا الامر فليحقق ولذلك قال بعض الفضلاء

لقد ظهرت فلا تخفى على احد . الا على اكمه لا يعرف القمرا .
لكن بطنت بما اظهرت محتجبا . فكيف يعرف من بالعرف استترا .

عينه

بيان معرفة الشوق الى

بيان معرفة الشوق الى الله عز وجل

اعلم ان من انكر حقيقة المحبة لله تعالى فلا بد وان ينكر
حقيقة الشوق اذ لا يتصور الشوق الا الى المحبوب ونحن نثبت وجود الشوق الى الله تعالى
وكون العارف مضطرا اليه بطريق الاعتبار والنظر بانوار البصاير وبطريق الاخبار والاثار
اما الاعتبار فيكفي من اثباته ما سبق في اثبات الحب فكل محبوب يشتاق اليه في
غيبته لا محالة واما الحاصل الحاضر فلا يشتاق اليه فان الشوق طلب وتشوف الى امر
غايب والموجود لا يطلب ولكن بيانه ان الشوق لا يتصور الا الى شي ادرك من وجه ولم يدرك من
وجه فاما ما لا يدرك اصلا فلا يشتاق اليه فان من لم ير شخصا ولم يسمع وصفه لا يتصور
ان يشتاق اليه وما ادرك بكماله ولا يشتاق اليه وكمال الادراك بالروية فمن كان في
مشاهدة محبوبه مداوما للنظر اليه لا يتصور ان يكون له شوق ولكن الشوق انما يتعلق
بما ادرك من وجه ولم يدرك من وجه وهو من وجهين ولا ينكشف الا بمثال من المشاهدات
فنقول مثلا من غاب عنه معشوقه وبقي في قلبه خياله فيشتاق الى استكمال خياله
بالروية فلو انمحى عن قلبه ذكره وخياله ومعرفته حتى نسيه لم يتصور ان يشتاق اليه

رائيه ولو رآه لم يتصور أن يشتاق إلى وقت الرؤية بمعنى شوقه تشوق نفسه إلى استكمال
خياله وكذلك قد يراه في ظلمة بحيث لا ينكشف له حقيقة صورته فيشتاق إلى
استكمال رؤيته وتمام الانكشاف في صورته بإشراق الضوء عليه والثاني أن يرى وجه
محبوبه ولا يرى شعره مثلا ولا سائر محاسنه فيشتاق إلى رؤيته ولم يرها قط ولم
يثبت في نفسه خيال صادق عن الرؤية ولكنه يعلم أن له عضوا وأعضاء جميلة
ولم يدرك تفصيل جمالها بالرؤية فيشتاق إلى أن ينكشف له ما لم يره قط والوجهان
جميعا متصوران في حق الله تعالى بل هما لازمان بالضرورة لكل العارفين فإن ما اتضح
للعارفين من الأمور الإلهية وإن كانت في غاية الوضوح فكأنه من وراء ستر رقيق
فلا يكون متضحا غاية الاتضاح بل يكون مشوبا بشوائب التخيلات فإن الخيالات
لا تفتر في هذا العالم عن التمثيل والمحاكاة لجميع المعلومات وهي مكدرات للمعارف
ومنغصات وكذلك ينضاف إليها شواغل الدنيا وإنما كمال الوضوح بالمشاهدة
وتمام إشراق التجلي لا يكون إلا في الآخرة وذلك بالضرورة يوجب الشوق فإنه منتهى
محبوب العارفين فهذا أحد نوعي الشوق وهو استكمال الوضوح فيما اتضح إيضاحا ما

الثاني أن الأمور الإلهية لا نهاية لها غامضة

وإنما ينكشف لكل عبد من العباد بعضها وتبقى أمور لا نهاية لها غامضة والعارف يعلم
وجودها وكونها معلومة لله تعالى ويعلم أن ما غاب عن علمه من المعلومات أكثر
مما حضر فلا يزال متشوقا إلى أن يحصل له أصل المعرفة فيما لم يحصل مما بقي
من المعلومات التي لم يعرفها أصلا لا معرفة واضحة ولا معرفة غامضة
والشوق الأول ينتهي في الدار الآخرة بالمعنى الذي يسمى رؤية ولقاء ومشاهدة
ولا يتصور أن يسكن في الدنيا وقد كان إبراهيم بن أدهم من المشتاقين
فقال قلت ذات يوم يا رب إن أعطيت أحدا من المحبين لك ما يسكن به قلبه قبل
لقائك فأعطني ذلك فقد أضر بي القلق قال فرأيت في النوم أنه أوقفني بين يديه
وقال يا إبراهيم أما استحييت مني أن تسألني أن أعطيك ما يسكن به قلبك قبل لقائي
وهل يسكن قلب المشتاق قبل لقاء حبيبه فقلت يا رب تهت في حبك فلم أدر ما أقول
فاغفر لي وعلمني ما أقول فقال قل اللهم رضني بقضائك وصبرني على
بلائك وأوزعني شكر نعمائك فإذن هذا الشوق يسكن في الآخرة إذ نهايته أن ينكشف
للعبد في الآخرة عن جلال الله تعالى وصفاته وحكمته وأفعاله ما هو معلوم لله تعالى

وهو محال لان ذلك لا نهاية له ولا يزال العبد عالماً بانه بقي من الجمال والجلال ما لم
يتضح له فلا يسكن قط شوقه لا سيما من يرى فوق درجته درجات كثيرة الا انه تشوق
في استكمال الوصال مع حصول اصل الوصال فهو يجد لذلك شوقاً لذيذاً لا يظهر فيه الم
ولا يبعد ان تكون الطاف الكشف والنظر متوالية الى غير نهاية فلا يزال النعيم واللذة متزايداً
ابد الاباد ويكون لذة ما يتجدد من لطايف النعيم شاغلاً عن الاحساس بالشوق الى ما لم يحصل
وهذا بشرط ان يمكن حصول الكشف فيما لم يحصل فيه كشف في الدنيا اصلاً فان كان ذلك
غير مبذول فيكون النعيم واقفاً على حد لا يتضاعف ولكن يكون مستمراً على الدوام
وقوله سبحانه وتعالى نورهم يسعى بين ايديهم وبايمانهم يقولون ربنا اتمم لنا نورنا
يحتمل لهذا المعنى ويكون ان ينعم عليه باتمام النور مهما تزود من الدنيا اصل النور ويحتمل
ان يكون المراد به اتمام النور في غير ما استنار في الدنيا استنارة محتاجة الى مزيد الاستكمال
والاشراق فيكون هو المراد بتمامه وقوله تعالى انظرونا نقتبس من نوركم قيل ارجعوا
وراءكم فالتمسوا نوراً يدل على ان الانوار لابد وان يتزود اصلها في الدنيا ثم يزداد
في الاخرة اشراقاً فاما ان يتجدد نور فلا والحكم في هذا برجم الظنون مخطر ولم ينكشف
لنا فيه بعد ما يوثق به فنسأل الله تعالى ان يزيدنا علماً ورشداً ويرينا الحق حقاً فهذا القدر
من انوار البصاير كاشف لحقايق الشوق ومعانيه واما شواهد الاخبار والاثار فاكثر
من ان تحصى فمما اشتهر من دعاء رسول الله صلى الله عليه وسلم انه كان يقول اللهم اني اسالك
الرضى بعد القضا وبرد العيش بعد الموت ولذة النظر الى وجهك الكريم وشوقاً الى لقائك
وقال ابو الدردا لكعب اخبرني عن اخص اية في التوراة قال يقول الله عز وجل طال شوق الابرار
الى لقائي واني الى لقائهم اشد شوقاً قال ومكتوب الى جانبها من طلبني وجدني ومن
طلب غيري لم يجدني فقال ابو الدردا اشهد لسمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول
هذا وفي اخبار داود عليه السلام ان الله تعالى قال يا داود ابلغ اهل ارضي اني حبيب
لمن احبني وجليس من جالسني ومونس لمن انس بذكري وصاحب لمن صاحبني ومختار لمن اختارني
ومطيع لمن اطاعني ما احبني عبد اعلم ذلك يقيناً من قلبه الا قبلته لنفسي واحببته حباً
لا يتقدمه احد من خلقي من طلبني بالحق وجدني ومن طلب غيري لم يجدني فارفضوا يا اهل
الارض ما انتم عليه من غرورها وهلموا الى كرامتي ومصاحبتي ومجالستي وانسوني او انسكم
واسارع الى محبتكم فاني خلقت طينة احبائي من طينة ابراهيم خليلي وموسى نجيي
ومحمد صفيي اني خلقت قلوب المشتاقين من نوري ونعمتها بجلالي وروي عن

نور المؤمن

مطلب

عن بعض السلف ان الله تعالى اوحى الى بعض الصديقين

ان لي عبادا من عبادي يحبوني واحبهم ويشتاقون الي واشتاق اليهم ويذكروني
واذكرهم وينظرون الي وانظر اليهم فان حذوت طريقهم احببتك وان عدلت
عنهم مقتك قال يا رب وما علامتهم قال يراعون الظلال بالنهار كما يراعي الراعي الشفيق
غنمه ويحنون الى غروب الشمس كما يحن الطير الى اوكارها عند الغروب فاذا جنهم
الليل واختلط الظلام وفرشت الفرش ونصبت الاسرة وخلا كل حبيب بحبيبه
نصبوا الي اقدامهم وافترشوا الي وجوههم وناجوني بكلامي وتملقوا الي بانعامي
فبين صارخ وباك وبين متاوه وشاك وبين قايم وقاعد وبين راكع وساجد بعيني ما
يتحملون من اجلي وبسمعي ما يشتكون من حبي اول ما اعطيهم ثلاث اقذف من نوري
في قلوبهم فيخبرون عني كما اخبر عنهم والثانية لو كانت السموات والارض وما فيهما
في موازينهم لاستقللتها لهم والثالثة اقبل بوجهي اليهم فترى من اقبلت عليه بوجهي
ما يعلم احد ما اريد ان اعطيه

وفي اخبار داود عليه السلام

ان الله تعالى اوحى اليه يا داود الى كم تذكر الجنة ولا تسالني الشوق الي قال يا رب من المشتاقون
اليك قال ان المشتاقين الي الذين صفيتهم من الكدر ونبهتهم بالحذر وخرقت من
قلوبهم الي خرقا ينظرون الي واني لاحمل قلوبهم بيدي واضعها على سمايي ثم ادعو نجبا
ملايكتي فاذا اجتمعوا سجدوا لي فاقول اني لم ادعكم لتسجدوا لي ولكني دعوتكم لاعرض
عليكم قلوب المشتاقين الي واباهي بكم اهل الشوق الي فان قلوبهم لتضي في سمايي
لملايكتي كما تضي الشمس لاهل الارض يا داود اني خلقت قلوب المشتاقين من رضواني
ونعمتها بنور وجهي واتخذتهم لنفسي محدثي وجعلت ابدانهم موضع نظري الى الارض
وقطعت من قلوبهم طريقا ينظرون به الي يزدادون كل يوم شوقا قال داود يا رب
ارني اهل محبتك فقال يا داود ايت جبل لبنان فان فيه اربعة عشر نفسا في
فيهم شبان وفيهم كهول وفيهم مشايخ فاذا اتيتهم فاقراهم مني السلام وقل لهم
ان ربكم يقريكم السلام ويقول لكم الا تسالوني حاجة فانكم احبابي واصفيايي
واوليايي افرح لفرحكم واسارع الى محبتكم فاتاهم داود فوجدهم عند عين من
العيون يتفكرون في عظمة الله عز وجل فلما نظروا الى داود نهضوا ليتفرقوا
عنه فقال داود عليه السلام اني رسول الله اليكم جيتكم لابلغكم رسالة
ربكم فاقبلوا نحوه والقوا اسماعهم نحو قوله والقوا ابصارهم الى الارض فقال

محبوب الله

عبادة الله

قلب المشتاقين

حبيب الله اولياءه

داوود اني رسول الله اليكم يقرئكم السلام ويقول لكم الا تسالوني حاجة الا تنادون
أسمع صوتكم وكلامكم فانكم أحبابي وأصفيائي وأوليائي أفرح بفرحكم وأسارع
الى محبتكم فانظر اليكم في كل ساعة نظر الوالدة الشفيقة الرفيقة فلما جرت
الدموع على خدودهم فقال شيخهم سبحانك سبحانك نحن عبيدك وبنوا عبيدك فاغفر
لنا ما قطع قلوبنا عن ذكرك فيما مضى من أعمارنا وقال الآخر سبحانك سبحانك نحن عبيدك
وبنوا عبيدك فامنن بحسن النظر فيما بيننا وبينك وقال الآخر سبحانك سبحانك
نحن عبيدك وبنوا عبيدك أفنجترئ على الدعاء وقد علمت أن لا حاجة لنا في
شيء من أمورنا فأدم لنا لزوم الطريق اليك وأتمم بذلك المنة علينا وقال الآخر
نحن مقصرون في طلب رضاك فأعنا عليه بجودك وقال الآخر من نطفة خلقتنا
ومننت علينا بالتفكر في عظمتك فيجترئ على الكلام من هو مشتغل بعظمتك
متفكر في جلالك وطلبنا الدنو من نورك وقال الآخر كلت ألسنتنا عن دعائك
لعظم شأنك وقربك من أوليائك وكثرة منتك على أهل محبتك وقال الآخر أنت
هديت قلوبنا لذكرك وفرغتنا للاشتغال بذكرك فاغفر لنا تقصيرنا في شكرك
وقال الآخر قد عرفت حاجتنا انما هي النظر الى وجهك وقال الآخر كيف
يجترئ العبد على سيده اذ أمرتنا بالدعاء بجودك فهب لنا نورا نهتدي به في الظلمات
بين أطباق السموات وقال الآخر ندعوك ان تقبل علينا وتديمه علينا
وقال الآخر لا حاجة لنا في شيء من خلقك فامنن علينا بالنظر الى جمال وجهك
وقال الآخر أسألك من بينهم أن تعمي عيني عن النظر الى الدنيا وأهلها وقلبي عن
الاشتغال بالآخرة وقال الآخر نسألك تمام نعمتك فيما وهبت لنا وتفضلت به
علينا وقال الآخر قد عرفت تباركت وتعاليت انك تحب أولياءك فامنن علينا
باشتغال القلب بك عن كل شيء فأوحى الله تبارك وتعالى الى داود عليه السلام
قل لهم سمعت كلامكم وأجبتكم الى ما أحببتم فليفارق كل واحد منكم صاحبه
وليتخذ لنفسه سربا فاني كاشف الحجاب فيما بيني وبينكم حتى تنظروا الى نوري
وجلالي فقال داود عليه السلام يا رب بما نالوا هذا منك قال لحسن الظن
والكف عن الدنيا وأهلها والخلوات ومناجاتهم لي فان هذا منزل لا يناله الا من
رفض الدنيا وأهلها ولم يشتغل بشيء من ذكرها وفرغ قلبه لي واختارني على
جميع خلقي فعند ذلك أعطف عليه وأفرغ نفسه وأكشف الحجاب فيما بيني وبينه

غرايب حكاية في حب الله

حسن الظن والكف عن الدنيا

وبحبه حتى ينظر إلي نظر الناظر بعينه إلى الشيء وأريه ذاتي في كل ساعة أقرب من
نور وجهي إذ مرض مرضته كما تمرض الوالدة الشفيقة ولدها فإن عطش أرويته وإن جاع
أطعمته ذكري فإذا فعلت ذلك به يا داود عميت نفسه عن الدنيا وأهلها ولم أحببها إليه
لا يفتر من الاشتغال بي يستعجلني القدوم وأنا أكره أن أميته لأنه موضع نظري من
خلقي لا يرى غيري ولا أرى غيره فلو رأيته يا داود وقد ذابت نفسه ونحل جسمه
وتمشمشت أعضاؤه وانخلع قلبه إذا سمع بذكري أباهي به ملائكتي وأهل سماواتي
ويزداد خوفا وعبادة وعزتي وجلالي يا داود لأقعدنه في الفردوس
ولأشفين صدره من النظر إلي حتى يرضى وفوق الرضى **وفي أخبار داود
عليه السلام** قل لعبادي المتوجهين إلى محبتي ما ضركم إذا احتجبت عن خلقي
ورفعت الحجاب فيما بيني وبينكم حتى تنظروا إلي بعين قلوبكم وما ضركم ما زويت عنكم
الدنيا إذا بسطت دينكم وما ضركم مسخطة الخلق إذا التمستم رضاي ۵ وفي أخبار
داود عليه السلام أيضا أن الله تعالى أوحى إليه تزعم أنك تحبني فإن كنت تحبني فأخرج
حب الدنيا من قلبك فإن حبي وحبها لا يجتمعان في قلب يا داود خالص حبيبي مخالصة
وخالط أهل الدنيا مخالطة ودينك فقلدنيه ولا تقلده دينك الرجال وأما ما استبان
لك مما وافق محبتي فتمسك به وأما ما أشكل عليك فقلدنيه حقا علي أن سياستك
وتقويمك وأكون قائدك ودليلك أعطيك من غير أن تسألني وأعينك على الشدائد
وإني حلفت على نفسي أني لا أثيب عبدا إلا عبدا قد عرفت من طلبته وإرادته إلقاء كنفه بين
يدي وأنه لا غنى به عني فإذا كنت كذلك نزعت الذلة والوحشة عنك وأسكنت الغنى
قلبك فإني قد حلفت على نفسي أنه لا يطمئن عبد إلى نفسه ينظر إلى فعالها إلا وكلته إليها
أضيفوا الأشياء إلي ولا تنظر إلى عملك ولا تضاد عملك فتكون متعنيا ولا ينتفع بك من تصحبه
ولم تجد لمعرفتي حدا وليس لها غاية ومتى طلبت مني الزيادة أعطك ولا تجد لزيادتي
حدا ثم أعلم بني إسرائيل أنه ليس بيني وبين أحد من خلقي نسب فلتعظم رغبتهم
وإرادتهم عندي أبح لهم ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ضعني
بين عينيك وانظر إلي ببصر قلبك ولا تنظر بعينيك التي في رأسك إلى الذين حجبت قلوبهم
عني فأمرجوها ومحق بانقطاع ثوابي عنهم وإني حلفت بعزتي وجلالي لا أفتح ثوابي
لعبد دخل في طاعتي للتجربة والتسويف تواضع لمن تعلمه ولا تطاول على المريدين ۵
فلو علم أهل محبتي منزلة المريدين لكانوا لهم أرضا يمشون عليها يا داود لا تخرج

حكاية وهب الله

مريد من شكره بموتي يستفيده فاكتبه عندي حميدا ومن كتبته حميدا لا يكون عليه
وحشة ولا فاقة إلى المخلوقين يا داود تمسك بكلامي وخذ من نفسك لنفسك ولا تؤتين
منها فأحجب عنك محبتي ولا تؤيس عبادي من رحمتي اقطع شهوتك لي فإنما أبحت الشهوات
لضعفة خلقي ما بال الأقوياء أن ينالوا الشهوات فإنها تنقص حلاوة مناجاتي وإنما
عقوبة الأقوياء عندي في موضع التناول أدنى ما يصل إليهم أن أحجب عقولهم عني فإني لم أرض
الدنيا لحبيبي ونزهته عنها يا داود لا تجعل بيني وبينك عالما فيصدك بسكره عن محبتي
أولئك قطاع الطريق على عبادي المريدين استعن على ترك الشهوات
بإدمان الصوم وإياك والتجربة في الإفطار فإن محبتي الصوم إدمانه يا داود تحبب
إلي بمعاداة نفسك امنعها الشهوات أنظر إليك وترى الحجب بيني وبينك مرفوعة إنما أداريك
مداراة لتقوى على ثوابي إذا مننت به عليك وإني أحبسه عنك وأنت متمسك بطاعتي

وأوحى الله تعالى إلى داود عليه السلام يا داود لو يعلم
المدبرون عني كيف انتظاري لهم ورفقي بهم وشوقي إلى ترك معاصيهم لماتوا شوقا إلي
وتقطعت أوصالهم من محبتي يا داود هذه إرادتي في المدبرين عني فكيف إرادتي في المقبلين
علي يا داود أحوج ما يكون العبد إلي إذا استغنى عني وأرحم ما أكون بعبدي إذا أدبر
عني وأجل ما يكون عبدي إذا رجع إلي فهذه الأخبار ونظائرها مما لا يحصى يدل على إثبات
المحبة والشوق والأنس وأما تحقيق معناها فينكشف بما سبق

بيان محبة الله تعالى للعبد ومعناها

اعلم أن شواهد القرآن متظاهرة على أن الله تعالى يحب عبده
فلا بد من معرفة معنى ذلك ولنقدم الشواهد على محبته فقد قال الله
تعالى يحبهم ويحبونه وقد قال تعالى إن الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفا
وقال تعالى إن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين ولذلك رد سبحانه وتعالى على من ادعى
أنه حبيب الله فقال قل فلم يعذبكم بذنوبكم وقد روى أنس رضي الله عنه عن النبي صلى

بيان محبة الله تعالى للعبد

مطلب اذا احب الله عبدا لم يضره الذنب

الله عليه وسلم انه قال اذا احب الله تعالى عبدا لم تضره ذنب والتايب من الذنب كمن
لا ذنب له ثم تلى ان الله يحب التوابين ومعناه انه اذا احبه تاب عليه قبل الموت فلم
تضره الذنوب الماضية وان كثرت كما لا يضره الكفر الماضي بعد الاسلام وقد
اشترط الله تعالى للمحبة غفران الذنوب فقال قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني
يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله
تعالى يعطي الدنيا من يحب ومن لا يحب ولا يعطي الايمان الا من يحب وقال صلى الله عليه وسلم
من تواضع لله رفعه الله ومن تكبر وضعه الله ومن اكثر ذكر الله احبه الله تعالى وقال
صلى الله عليه وسلم قال الله عز وجل لا يزال العبد
يتقرب الي بالنوافل حتى احبه فاذا احببته كنت سمعه الذي يسمع به
وبصره الذي يبصر به الحديث وقال زيد بن اسلم ان الله تعالى ليحب العبد حتى يبلغ
من حبه له ان يقول اعمل ما شئت فقد غفرت لك ومما ورد من الفاظ المحبة
خارج عن الحصر وقد ذكرنا ان محبة العبد لله تعالى حقيقة وليس بمجاز

الفرق بين المحبة والعشق

اذ المحبة في وضع اللسان عبارة عن ميل النفس الى الشي الموافق والعشق عبارة عن الميل
الغالب المفرط وقد بينا ان الاحسان موافق للنفس وان الجمال والاحسان تارة يدرك
بالبصر وتارة بالبصيرة والحب يتبع كل واحد منهما فلا يختص بالبصر اما حب الله تعالى
للعبد فلا يمكن ان يكون بهذا المعنى اصلا بل الاسامي كلها اذا اطلقت على الله تعالى وعلى
غير الله تعالى لم ينطلق عليهما بمعنى واحد اصلا حتى ان اسم الموجود الذي هو اعم
الاسماء اشتراكا لا يشمل الخالق والخلق على وجه واحد بل كل ما سوى الله تعالى فوجوده
مستفاد من وجود الله تعالى والوجود التابع لا يكون مساويا للوجود المتبوع وانما
الاستواء في اطلاق الاسم نظيره اشتراك الفرس والشجر في اسم الجسمية اذ معنى الجسمية
وحقيقتها متشابه فيهما من غير استحقاق احدهما لان يكون فيه اصلا فليست الجسمية
لاحدهما مستفادا من الاخر وليس كذلك اسم الوجود لله تعالى ولخلقه وهذا
التباعد في سائر الاسامي اظهر كالعلم والارادة والقدرة وغيرها فكل ذلك لا يشبه

استعمال العلم والقدرة والارادة في الله تعالى مجاز

فيه الخالق المخلوق وواضع اللغة انما وضع هذه الاسامي اولا للخلق فان الخلق
اسبق الى العقول والافهام من الخالق فكان استعمالها في حق الخالق بطريق الاستعارة
والتجوز والنقل والمحبة في وضع اللسان عبارة عن ميل النفس الى ملايم موافق وهذا
انما يتصور في نفس ناقصة فاتها ما يوافقها وتستفيد بنيله كمالا فتستلذ بنيله

وهذا محال على الله تعالى فان كل كمال وجمال وبهاء وجلال ممكن في الالهية فهو
حاضر وحاصل واجب الحصول ابدا وازلا ولا يتصور تجدده ولا زواله فلا يكون له الى غيره
نظر من حيث انه غيره بل نظره الى ذاته والى افعاله فقط وليس في الوجود الا ذاته
وافعاله ولذلك قال الشيخ ابو سعيد الميهني رحمه الله لما قرئ عليه يحبهم ويحبونه
قال بحق يحبهم فانه ليس يحب الا نفسه وافعال نفسه على معنى ان الكل وان ليس في الوجود غيره
فمن لا يحب الا نفسه وافعال نفسه وتصانيف نفسه فلا يجاوز حبه ذاته وتوابع ذاته
من حيث هو متعلق بذاته فهو اذا لا يحب الا نفسه **وما ورد من الالفاظ في**
حبه لعباده فهو مؤول او يرجع معناه الى كشف الحجاب
عن قلبه حتى يراه بقلبه وعلى تمكينه من القرب والى ارادته ذلك به في
الازل فحبه لمن احبه ازلي مهما اضيف الى الارادة الازلية التي اقتضت تمكين هذا العبد
من سلوك طرق القرب واذا اضيف الى فعله الذي يكشف الحجاب عن قلب عبده فهو حادث يحدث
بحدوث السبب المقتضي له كما قال تعالى ولا يزال يتقرب الي بالنوافل حتى احبه فيكون
تقربه بالنوافل سببا لصفا باطنه وارتفاع الحجاب عن قلبه وحصوله في درجة القرب من ربه
عز وجل وكل ذلك فعل الله تعالى ولطفه به فهو معنى حبه ولا يفهم هذا الا بمثال وهو ان
الملك قد يقرب عبده من نفسه ويأذن له في كل وقت في حضور بساطه لميل الملك اليه
اما لينصره بقوته او ليستريح بمشاهدته او ليستشيره في رايه او ليهيئ اسباب طعامه
وشرابه فيقال ان الملك يحبه ويكون معناه ميله اليه لما فيه من المعنى الموافق الملائم
له وقد يقرب عبدا ولا يمنعه من الدخول عليه لا للانتفاع به والاستنجاد ولكن لكون
العبد في نفسه موصوفا من الاخلاق الرضية والخصال الحميدة بما يليق به ان يكون
قريبا من حضرة الملك وافر الحظ من قربه مع ان الملك لا غرض له فيه اصلا فاذا رفع الملك
بينه وبينه الحجاب يقال قد احبه واذا اكتسب من الخصال الحميدة ما اقتضى رفع الحجاب
يقال قد توصل وحبب نفسه الى الملك فحب الله تعالى للعبد انما يكون بالمعنى الثاني لا بالمعنى
الاول وانما يصح تمثيله بالمعنى الثاني بشرط ان لا يسبق الى فهمك دخول تغير عليه عند
تجدد القرب فان الحبيب هو القريب من الله تعالى والقرب من الله تعالى هو البعد
من صفات البهائم والسباع والشياطين والتخلق بمكارم الاخلاق التي هي الاخلاق
الالهية فهو قرب بالصفة لا بالمكان ومن لم يكن قريبا فصار قريبا فقد تغير فربما يظن
بهذا ان القرب لما تجدد فقد تغير وصف العبد والرب جميعا اذ صار قريبا بعد ان لم يكن

يتأول الحب من الله

مثال الحب من الله

معنى القرب والبعد الى الله

مثال القرب ... (margin)

يكن وهو محال في حق الله تعالى إذ التغير عليه محال بل لا يزال في نعوت الكمال والجلال
على ما كان عليه في أزل الآزال ولا ينكشف هذا إلا بمثال القرب بين الأشخاص
فإن الشخصين قد يتقاربان بتحركهما جميعا وقد يكون أحدهما ثابتا فيتحرك الآخر فيحصل
القرب بتغير في أحدهما من غير تغير في الآخر بل القرب في الصفات أيضا كذلك
فإن التلميذ يطلب القرب من درجة أستاذه في كمال العلم وجماله والأستاذ واقف
في كمال علمه غير متحرك بالنزول إلى درجة تلميذه والتلميذ متحرك مترق من حضيض الجهل
إلى يفاع العلم فلا يزال دائبا في التغير والترقي إلى أن يقرب من أستاذه والأستاذ
ثابت غير متغير فلذلك ينبغي أن يفهم ترقي العبد في درجات القرب فكلما صار أكمل صفة
وأتم علما وإحاطة بحقائق الأمور وأثبت قوة في قهر الشيطان وقمع الشهوات
وأظهر نزاهة عن الرذائل صار أقرب من درجة الكمال ومنتهى الكمال لله تعالى وقرب كل
واحد من الله بقدر كماله نعم قد يقدر التلميذ على القرب من الأستاذ وعلى مساواته
وعلى مجاوزته وذلك في حق الله تعالى محال ولأنه لا نهاية لكماله وسلوك العبد في درجات
الكمال متناه ولا ينتهي إلا إلى حد محدود فلا مطمع له في المساواة ثم درجات القرب
تتفاوت تفاوتا لا نهاية له أيضا لأجل انتفاء النهاية عن ذلك الكمال فإذا محبة الله
تعالى للعبد تقريبه من نفسه بدفع الشواغل والمعاصي عنه وتطهير باطنه من كدورات
الدنيا ورفع الحجاب عن قلبه حتى يشاهده كأنه يراه بقلبه وأما محبة العبد لله تعالى
فهو ميله إلى درك هذا الكمال الذي هو مفلس عنه فاقد فلا جرم يشتاق إلى ما فاته
وإذا أدرك منه شيئا يلتذ به والشوق والمحبة بهذا المعنى محال على الله تعالى **فإن
قلت** محبة الله للعبد أمر ملتبس فبم يعرف العبد أنه حبيب الله **فأقول**
يستدل عليه بعلامة وقد قال ـــــ صلى الله عليه وسلم إذا أحب الله عبدا ابتلاه
فإن أحبه الحب البالغ اقتناه قيل وما اقتناه قال لم يترك له أهلا ولا مالا فعلامة محبة
الله تعالى للعبد أن يوحشه من غيره ويحول بينه وبين غيره وفي الحديث إذا أحب الله
عبدا عله وقيل في التفسير حسن ذكره **قيل لعيسى عليه السلام**
لم لا تشتري حمارا فتركبه فقال أنا أعز على الله من أن يشغلني عن نفسه بحمار
وفي الخبر إذا أحب الله عبدا ابتلاه فإن صبر اجتباه وإن رضي اصطفاه وقال
بعض العلماء إذا رأيت تحبه ورأيته يبتليك فاعلم أنه يريد أن يصافيك وقال بعض
المريدين لأستاذه قد طولعت بشيء من المحبة فقال يا بني هل ابتلاك بمحبوب سواه فآثرت

علامة محبة الله للعبد (margin)

عليه اياه قال لا قال فلا تطمع في المحبة فانه لا يعطيها عبداً حتى يبلوه وقد قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم اذا احب الله عبداً جعل له واعظاً من نفسه وزاجراً من قلبه يامره وينهاه
وقد قال اذا اراد الله بعبد خيراً بصره بعيوب نفسه فاخص علاماته حبه لله تعالى فان ذلك يدل
على حب الله عز وجل واما الفعل الدال على كونه محبوباً فهو ان الله يتولى امره ظاهره وباطنه سره
وجهره فيكون هو المشير عليه والمدبر لامره والمزين لاخلاقه والمستعمل لجوارحه والمسدد
لظاهره وباطنه والجاعل همومه هماً واحداً والمبغض للدنيا في قلبه والموحش له من غيره
والمونس له بلذة المناجاة في خلواته والكاشف له عن الحجب بينه وبين معرفته فهذا وامثاله
هو علامة حب الله تعالى للعبد

القول في علامات محبة العبد لله تعالى

اعلم ان المحبة يدعيها كل احد وما اسهل الدعوى وما اعز المعنى فلا ينبغي ان
يغتر الانسان بتلبيس الشيطان وخداع النفس مهما ادعت محبة الله تعالى ما لم يمتحنها
بالعلامات ولم يطالبها بالبراهين والادلة والمحبة شجرة طيبة اصلها ثابت وفرعها في السماء
وثمارها تظهر في القلب واللسان والجوارح وتدل تلك الاثار الفائضة منها على القلب
والجوارح على المحبة دلالة الدخان على النار ودلالة الثمار على الاشجار وهي كثيرة
فمنها حب لقاء الله بطريق الكشف والمشاهدة في دار السلام فلا يتصور ان يحب القلب محبوباً
الا ويحب مشاهدته ولقاءه واذا علم انه لا وصول الا بالارتحال من الدنيا ومفارقتها بالموت
فينبغي ان يكون محباً للموت غير فار منه فان المحب لا يثقل عليه السفر عن وطنه الى مستقر محبوبه
ليتنعم بمشاهدته والموت مفتاح اللقاء وباب الدخول الى المشاهدة قال صلى الله
عليه وسلم من احب لقاء الله احب الله لقاءه وقال حذيفة رضي
الله عنه عند الموت حبيب جاء على فاقة لا افلح من ندم وقال بعض السلف ما من خصلة احب
الى الله تعالى ان تكون في العبد بعد حب لقاء الله من كثرة السجود فقدم حب لقاء الله على السجود
وقد شرط الله سبحانه لحقيقة الصدق في الحب القتل في سبيل الله لو انا نحب الله فجعل
القتل في سبيل الله وطلب الشهادة فان الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفاً وقال يقاتلون
في سبيل الله فيقتلون ويقتلون وفي وصية ابي بكر لعمر رضي الله عنهما
الحق ثقيل وهو مع ثقله مري والباطل خفيف وهو مع خفته وبي فان حفظت وصيتي

علامة محبة العبد لله

في المحبة

حب الموت

وصديقي ان لم يكن غايب احب اليّ من الموت وهو مدركك وان ضيعت وصديقي لم يكن غايب
ابغض اليه من الموت ولا يعجزه ويروى ان اسحق ابن سعيد ابن ابي وقاص قال حدثني
ابي ان عبد الله ابن جحش قال له يوم احد الا ندعو الله تعالى فخلوا في ناحية فدعا
عبد الله ابن جحش فقال يا رب اني اقسم عليك اذا لقيت العدو غدا فلقني رجلا شديدا
باسه شديدا حرده اقاتله فيقاتلني ثم ياخذني ويجدع انفي واذني ويبقر بطني
فاذا لقيتك غدا قلت يا عبد الله من جدع انفك واذنك فاقول فيك وفي رسولك
فتقول صدقت قال سعد فلقد رايته اخر النهار وان انفه واذنه لمعلقات في خيط
قال سعيد ابن المسيب ارجو ان الله يبر قسمه كما بر اوله وقد كان الثوري وبشر الحافي
يقولان لا يكره الموت الا مريب لان الحبيب على كل حال لا يكره لقاء حبيبه وقال
البويطي لبعض الزهاد اتحب الموت وكانه توقف فقال لو كنت صادقا لاحببته
وتلى قوله تعالى فتمنوا الموت ان كنتم صادقين فقال الرجل فقد قال النبي
صلى الله عليه وسلم لا يتمنين احدكم الموت فقال انما قاله لضر نزل به لان الرضى
بقضاء الله تعالى افضل من طلب الفرار منه فان قلت فمن لا يحب الموت
فهل يتصور ان يكون محبا لله عز وجل فاقول كراهة الموت
قد تكون لحب الدنيا والتاسف على فراق الاهل والمال والولد وهذا ينافي كمال
حب الله تعالى لان الحب الكامل هو الذي يستغرق كل القلب ولكن لا يبعد ان يكون
له مع حب الاهل والولد شايبة من حب الله تعالى ضعيفة فان الناس متفاوتون
في الحب ويدل على التفاوت ما روي ان ابا حذيفة ابن عتبة ابن ربيعة بن عبد شمس
لما زوج اخته فاطمة من سالم مولاه عاتبته قريش في ذلك وقالوا انكحت عقيلة
من عقايل قريش لمولى فقال والله اياها واني لاعلم انه خير منها فكان قوله اشد عليهم
من فعله فقالوا وكيف وهي اختك وهو مولاك فقال سمعت رسول الله صلى الله عليه
وسلم يقول من اراد ان ينظر الى رجل يحب الله بكل قلبه فلينظر الى سالم فهذا يدل
على ان من الناس من لا يحب الله بكل قلبه فيحبه ويحب غيره فلا جرم يكون نعيمه بلقاء الله
عند القدوم عليه على قدر حبه وعذابه بفراق الدنيا عند الموت على قدر حبه
لها واما السبب الثاني للكراهة فهو ان يكون العبد في ابتداء
مقام المحبة وليس يكره الموت وانما يكره عجلته قبل ان يستعد للقاء فذلك لا يدل
على ضعف الحب وهو كالمحب الذي وصله الخبر بقدوم حبيبه عليه واحب ان يتاخر

كراهة الموت

فدومه ساعة ليبقى له لذاذه ويعد له اسبابه فيلقاه كما يهواه فارغ القلب
عن السوا على خفيف الظهر عن العوايق والكراهية فهذا السبب لا ينافي كمال الحب اصلا
وعلامته الدوب على العمل واستغراق الجهد في الاستعداد ومنها ان يكون موثرا
ما احبه الله تعالى على ما يحبه في ظاهره وباطنه فيلتزم مشاق العمل ويجتنب اتباع
الهوا ويعرض عن دعة الكسل ولا يزال مواظبا على طاعة الله تعالى ومتقربا اليه بالنوافل
وطالبا عنده مزايا الدرجات كما يطلب المحب مزيد القرب في قلب محبوبه وقد وصف الله
تعالى المحبين بالايثار فقال يحبون من هاجر اليهم ولا يجدون في صدورهم حاجة مما اوتوا
ويوثرون على انفسهم ومن بقي مستمرا على متابعة الهوى فمحبوبه ما يهواه بل يترك
المحب هوا نفسه لهوى محبوبه **كما قيل**

اريد وصاله ويريد هجري ... فاترك ما اريد لما يريد

بل الحب اذا غلب قمع الهوا فلم يبق تنعم بغير المحبوب كما روي ان زليخا لما امنت وتزوج
بها يوسف عليه السلام انفردت عنه وتخلت للعبادة وانقطعت الى الله تعالى فكان
يدعوها الى فراشه نهارا فتدافعه الى الليل فاذا دعاها ليلا سوفت به الى النهار
وقالت يا يوسف انما كنت احبك قبل ان اعرفه واما اذا عرفته فما ابقت محبته محبة
سواه وما اريد به بدلا حتى قال لها ان الله جل ذكره امرني بذلك واخبرني اني
مخرج منك ولدين وجاعلهما نبيين فقالت اما اذا كان الله تعالى امرك بذلك وجعلني
طريقا اليه فطاعة لامر الله تعالى فعندها سكنت اليه فاذا من حب الله تعالى لا
يعصيه **ولذلك قال ابن المبارك فيه**

الحكاية بين يوسف وزليخا

تعصي الاله وانت تظهر حبه ... هذا لعمري في الفعال بديع
لو كان حبك صادقا لاطعته ... ان المحب لمن يحب مطيع

وقيل في هذا المعنى ايضا

واترك ما اهوى لما قد هويته ... وارضى بما ترضى وان سخطت نفسي

وقال سهل علامة الحب ايثاره على نفسك وليس كل من عمل بطاعة الله تعالى
صار حبيبا وانما الحبيب من اجتنب المناهي وهو كما قال لان محبته لله تعالى سبب
محبة الله له كما قال تعالى يحبهم ويحبونه واذا احبه الله تعالى تولاه ونصره على اعدايه
وانما عدوه نفسه وشهواته فلا يخذله الله ولا يوكله الى هواه وشهواته ولذلك قال
تعالى والله اعلم باعدايكم وكفى بالله وليا وكفى بالله نصيرا **فان قلت**

علامة المحب

قلت فالعصيان هل يضاد اصل المحبة فأقول انه يضاد كمالها ولا يضاد
اصلها فكم من انسان يحب نفسه وهو مريض ويحب الصحة وهو ياكل ما يضره مع العلم
بانه يضره ولا يدل ذلك على عدم حبه لنفسه ولكن المعرفة قد تضعف والشهوة
قد تغلب فيعجز عن القيام بحق المحبوب ويدل عليه ما روي ان نعيمان كان يؤتى
به رسول الله صلى الله عليه وسلم في كل قليل فيحده في معصية يرتكبها الى ان
أتي به يوما فحده فلعنه رجل وقال ما اكثر ما يؤتى به رسول الله صلى الله عليه
وسلم فقال صلى الله عليه وسلم لا تلعنه فانه يحب الله ورسوله

وقال بعض العارفين اذا كان الايمان في ظاهر القلب احب الله حبا متوسطا
فاذا دخل سويداء القلب احبه الحب البالغ وترك المعاصي وبالجملة في دعوى المحبة
خطر ولذلك قال الفضيل اذا قيل لك اتحب الله فاسكت فانك ان قلت لا كفرت وان
قلت نعم فليس وصفك وصف المحبين فاحذر المقت ولقد قال بعض العلماء ليس في الجنة
نعيم اعلى من نعيم اهل المعرفة والمحبة ولا في جهنم عذاب اشد من عذاب من ادعى
المعرفة والمحبة

محبة الله

ومنها ان يكون مستهترا بذكر الله تعالى لا يفتر عنه لسانه ولا يخلو
عنه قلبه فمن احب شيئا اكثر من ذكره وذكر ما يتعلق به فعلامة حب الله تعالى حب ذكره
وحب القرآن الذي هو كلامه وحب رسول الله صلى الله عليه وسلم وحب كل ما ينسب اليه

علامة حب الله والرسول

فان من يحب انسانا يحب كلب محلته فالمحبة اذا قويت تعدت من المحبوب الى كل ما يكتنف
بالمحبوب ويحيط به ويتعلق باسبابه وذلك ليس شركة في الحب فان من احب رسول
المحبوب لانه رسوله وكلامه لانه كلامه لم يجاوز حبه الى غيره بل هو دليل كمال حبه
ومن غلب حب الله تعالى على قلبه احب جميع ما خلق الله لانهم خلقه فكيف لا يحب القرآن
والرسول وعباده الصالحين وقد ذكرنا تحقيق هذا في كتاب الاخوة والصحبة
ولذلك قال الله تعالى قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم
الله وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم احبوا الله لما يغذوكم به من نعمه
واحبوني لله تعالى وقال سفيان من احب من احب الله تعالى فانما احب الله
ومن اكرم من يكرم الله تعالى فانما يكرم الله عز وجل وحكي عن بعض
المريدين قال كنت قد وجدت حلاوة المناجاة في سن الارادة فادمنت قراءة
القرآن ليلا ونهارا ثم لحقتني فترة فانقطعت عن التلاوة قال
فسمعت قائلا يقول في المنام

علامة حب الله ورسوله وبغض الدنيا

علامة الحب

لذة المناجاة

إن كنت تزعم حبي . فلم جفوت كتابي .
اما تدبرت ما فيه . من لطيف عتابي .

قال فانتبهت وقد اشرب قلبي محبة القران فعاد ودق الي حالي وقال ابن مسعود لا ينبغي
ان يسال احدكم عن نفسه غير القران فان كان يحب القران فهو يحب الله عز وجل وقال
سهل رحمه الله علامة حب الله حب القران وعلامة حب الله وحب
القران حب النبي صلى الله عليه وسلم وعلامة حب النبي صلى الله عليه وسلم حب السنة وعلامة
حب السنة حب الاخرة وعلامة حب الاخرة بغض الدنيا وعلامة بغض الدنيا ان لا ياخذ
منها الا زادا وبلغة الي الاخرة ومنها ان يكون انسه بالخلوة ومناجاة الله تعالى وتلاوة
كتابه فيواظب علي التهجد ويغتنم هدو الليل وصفا الوقت بانقطاع العوايق واقل
درجات الحب التلذذ بالخلوة بالحبيب والتنعم بمناجاته فمن كان النوم والاشتغال
بالحديث الذ عنده واطيب من مناجاة الله تعالى فكيف تصح محبته قيل لابراهيم
ابن ادهم وقد نزل من الجبل من اين اقبلت فقال من الانس بالله تعالى وفي
اخبار داود عليه السلام لا تستانس الى احد من خلقي فاني انما اقطع عني رجلين رجل
استبطا ثوابي فانقطع ورجل نسيني فرضي بحاله وعلامة ان اكله الي نفسه وان
ادعه في الدنيا حيران ومهما انس بغير الله تعالى كان بقدر انسه بغير الله تعالى مستوحشا
من الله تعالى ساقطا عن درجة محبته وفي قصة برخ وهو العبد الاسود
استسقى به موسى عليه السلام ان الله تعالى قال لموسى عليه السلام ان برخا نعم العبد
هو لي الا ان فيه عيبا قال يا رب وما عيبه قال يعجبه نسيم الاسحار فيسكن اليه ومن احبني
لم يسكن الى شي وروي ان عابدا عبد الله تعالى في غيضة دهرا فنظر الى طاير وقد عشش
في شجرة ياوي اليها ويصفر عندها فقال لو حولت مسجدي الي تلك الشجرة فكنت انس
بصوت هذا الطاير قال ففعل فاوحى الله تعالى الى نبي ذلك الزمان عليه السلام قل
لفلان العابد استانست بمخلوق لاحطنك الي درجة لا تنالها بشي من عملك ابدا
فاذن علامة المحبة كمال الانس بمناجاة المحبوب وكمال التنعم بالخلوة وكمال
الاستيحاش من كل ما ينغص عليه الخلوة ويعوق عن لذة المناجاة وعلامة الانس
مصير الفهم والعقل كله مستغرقا بلذة المناجاة كالذي يخاطب معشوقه ويناجيه
وقد انتهت هذه اللذة ببعضهم حتى كان في صلاة ووقع الحريق في داره
فلم يشعر به وقطعت رجل بعضهم بسبب علة اصابته وهو في الصلاة فلم

فلم يشعر به ولما غلب الحب والأنس صارت الخلوة والمناجاة قرة عين تدفع جميع الهموم
بل يستغرق الأنس والحب قلبه حتى لا يفهم أمور الدنيا ما لم يتكرر على سمعه مرارا
مثل العاشق الولهان فإنه يكلم الناس بلسانه وأنسه في الباطن بذكر حبيبه
فالمحب من لا يطمئن إلا بمحبوبه وقال قتادة في قول الله تعالى الذين آمنوا وتطمئن
قلوبهم بذكر الله ألا بذكر الله تطمئن القلوب قال هشت إليه واستأنست به وقال
الصديق رضي الله عنه من ذاق خالص محبة الله تعالى شغله ذلك عن طلب الدنيا
وأوحشه من جميع البشر وقال مطرف بن أبي بكر المحب لا يسأم من حديث حبيبه
وأوحى الله تعالى إلى داود عليه السلام يا داود قد كذب من ادعى محبتي وإذا جنه
الليل نام عني أليس كل محب يحب لقاء حبيبه فها أنا ذا موجود لمن طلبني وقال موسى عليه السلام
يا رب أين أنت فأقصدك فقال إذا قصدت فقد وصلت وقال يحيى بن معاذ
من أحب الله أبغض نفسه وقال أيضا من لم يكن فيه ثلاث خصال فليس بمحب يؤثر كلام
الله على كلام الخلق ولقاء الله على لقاء الخلق والعبادة على خدمة الخلق ومنها أن لا يتأسف

مطلب

على ما يفوته مما سوى الله عز وجل ويعظم تأسفه على فوت كل ساعة خلت عن ذكر الله
تعالى وطاعته فيكثر رجوعه عند الغفلات بالاستعطاف والاستعتاب والتوبة
وقال بعض العارفين إن لله تعالى عبادا أحبوه فاطمأنوا إليه فذهب عنهم التأسف
على الفائت فلم يتشاغلوا بحظ أنفسهم إذ كان ملك مليكهم تاما وما شاء كان
فما كان لهم فهو واصل إليهم وما فاتهم فبحسن تدبيره لهم وحق المحب إذا رجع من غفلته
في لحظته أن يقبل على محبوبه ويشتغل بالعتاب ويسأله ويقول رب بأي ذنب
قطعت برك عني وأبعدتني عن حضرتك وشغلتني بنفسي ومتابعة الشيطان
فيستخرج ذلك منه صفاء ذكر ورقة قلب يكفر عنه ما سبق من الغفلة وتكون
هفوته سببا لتجدد ذكره وصفاء قلبه ومن لم ير المحب إلا المحبوب ولم ير شيئا إلا منه لم
يتأسف ولم يشك واستقبل الكل بالرضى وعلم أن المحب لم يقدر له إلا ما فيه الخيرة
ويتذكر قوله تعالى وعسى أن تكرهوا شيئا وهو خير لكم ومنها أن يتنعم بالطاعة ولا
يستثقلها ويسقط عنه تعبها كما قال بعضهم كابدت الليل عشرين سنة
ثم تنعمت به عشرين سنة وقال الجنيد علامة المحب دوام النشاط
والدؤوب بشهوة يفتر بدنه ولا يفتر قلبه وقال بعضهم العمل على المحبة
لا يدخله الفتور وقال بعض العلماء والله ما اشتفى محب لله من طاعته

مثال المحب والعاشق

ولو حالت العظيم الوسايل وكل هذا مثاله موجود في المشاهدات فان العاشق لا يستثقل
السعي في هوى معشوقه ويستلذ خدمته بقلبه وان كان شاقا على بدنه ومهما عجز
بدنه كان احب الاشيا اليه ان تعاوده القدرة وان يفارقه العجز حتى يشتغل به فهكذا
يكون حب الله تعالى فان كل حب صار غالبا فهو لا محالة مستغرق ما هو دونه فمن كان
محبوبه احب اليه من الكسل ترك الكسل في خدمته وان كان احب اليه من المال ترك
المال في حبه وقيل لبعض المحبين وقد كان بذل نفسه وماله حتى لم يبق له شي
ما كان سبب حالك هذه في المحبة فقال سمعت يوما محبا وقد خلا بمحبوبه وهو يقول
انا والله احبك بقلبي كله وانت معرض عني بوجهك كله فقال له المحبوب ان كنت
تحبني فاي شي تنفق علي فقال يا سيدي املكك ما املك ثم انفق عليك روحي حتى تهلك
فقلت هذا خلق لخلق وعبد لعبد فكيف بعبد لمعبود وكان هذا سببه ومنها ان

المشفق على جميع عباد الله

يكون مشفقا على جميع عباد الله رحيما بهم شديدا على اعدا الله وعلى كل من يقارف
شيا مما يكرهه كما قال تعالى اشدا على الكفار رحما بينهم ولا تاخذه لومة لايم ولا يصرفه
عن الغضب لله صارف وبه وصف الله اوليا اذ قال الذين يكلفون بحبي كما يكلف الصبي
بالشي ويأوون الى ذكري كما ياوي النسر الى وكره ويغضبون لمحارمي كما يغضب النمر اذا
حرد فانه لا يبالي قل الناس او كثروا فانظر الى هذا المثال فان الصبي اذا كلف بالشي لم

المثال

يفارقه اصلا وان اخذ منه لم يكن له شغل الا البكا والصياح حتى يرد عليه
فان نام اخذه معه في ثيابه فاذا انتبه عاد وتمسك به ومهما فارقه بكى
ومهما وجده ضحك ومن نازعه فيه ابغضه ومن اعطاه احبه واما النمر فانه لا
يملك نفسه عند الغضب حتى يبلغ من غضبه انه يهلك نفسه فهذه علامة المحبة

علامة الحب

فمن تمت فيه العلامات فقد تمت محبته وخلص حبه فصفي في الاخرة شرابه وعذب مشربه
ومن امتزج بحبه حب غير الله تنعم في الاخرة بقدر حبه اذ يمزج شرابه بقدر من شراب
المقربين كما قال تعالى في الابرار ان الابرار لفي نعيم ثم قال يسقون من رحيق مختوم ختامه
مسك وفي ذلك فليتنافس المتنافسون ومزاجه من تسنيم عينا يشرب بها المقربون
فانما طاب شراب الابرار لشوب الشراب الصرف الذي هو للمقربين والشراب عبارة عن
جملة نعيم الجنان كما ان الكتاب عبر به عن جميع الاعمال فقال ان كتاب الابرار لفي عليين
ثم قال يشهده المقربون فكان امارة علو كتابهم انه ارتفع الى حيث يشهده المقربون
كما كان الابرار يجدون المزيد في حالهم ومعرفتهم بقربهم من المقربين ومشاهدتهم

ومشاهدتهم فكذلك يكون حالهم في الآخرة ما خلقكم ولا بعثكم إلا كنفس واحدة
كما بدأنا أول خلق نعيده وكما قال تعالى جزاء وفاقا أي وافق الجزاء أعمالهم
فقوبل الخالص بالصرف من الشراب وقوبل المشوب بالمشوب وشوب كل شراب على قدر ما
سبق من الشوب في حبه وأعماله فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا
يره وإن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم وإن الله لا يظلم مثقال
ذرة وإن تك حسنة يضاعفها وإن كان مثقال حبة من خردل أتينا بها وكفى بنا
حاسبين فمن كان حبه في الدنيا ورجاؤه لنعيم الجنة والحور العين والقصور مكن من
الجنة يتبوأ منها حيث يشاء فيلعب مع الولدان ويتمتع بالنسوان ومن كان مقصده
رب الدار ومالك الملك لم يغلب عليه الا حبه بالإخلاص والصدق انزل في مقعد
صدق عند مليك مقتدر فالأبرار يرتعون في البساتين ويتنعمون في الجنان مع الحور
والولدان والمقربون ملازمون للحضرة عاكفون بطرفهم عليها يستحقرون نعيم الجنان
بالإضافة إلى ذرة منها فهم قضوا شهوة البطن والفرج مشغولون وللمجالسة أقوام آخرون
ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أكثر أهل الجنة البله
وعليون لذوي الألباب ولما قصرت الأفهام عن درك معنى عليين
عظم الله أمره فقال وما أدراك ما عليون كما قال تعالى القارعة ما القارعة وما
أدراك ما القارعة ومنها أن يكون حبه متضمنا لأجل الهيبة والتعظيم وقد يظن
أن الخوف يضاد الحب وليس كذلك بل إدراك العظمة يوجب الهيبة كما أن إدراك الجمال
يوجب الحب ولخصوص المحبين مخاوف في مقام المحبة ليست لغيرهم وبعض مخاوفهم أشد
من بعض فأولها خوف الإعراض وأشد منه خوف الحجاب وأشد منه خوف الإبعاد وهذا
المعنى من سورة هود هو الذي شيب سيد المحبين إذ سمع قوله تعالى ألا بعدا لمدين
كما بعدت ثمود وإنما البعد وخوفه في قلب من ألف القرب وذاقه وتنعم به فحديث
البعد في حق المبعدين يشيب سماعه أهل القرب في القرب ولا يحن إلى القرب من ألف
البعد ولا يبكي خوف البعد من لم يكن من بساط القرب ثم خوف الوقوف وسلب المزيد
فإنا قدمنا أن درجات القرب لا نهاية لها وحق العبد أن يجتهد في كل نفس حتى يزداد
فيه قربا ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من استوى
يوماه فهو مغبون ومن كان يومه شرا من أمسه فهو ملعون ولذلك قال
صلى الله عليه وسلم إنه ليغان على قلبي في اليوم والليلة حتى أستغفر الله سبعين

مرة وأما استغفاره من القدم الأول فإنه كان بعداً بالإضافة إلى القدم الثاني ويجوز أن
عقوبة لقصوره على الفتور في الطريق والالتفات إلى غير المحبوب كما روي أن الله تعالى
يقول أن أدنى ما أصنع بالعالم إذا آثر شهوات الدنيا على طاعتي أن أسلبه لذيذ
مناجاتي فسلب المزيد بسبب الشهوات عقوبة العموم وأما الخصوص فحجبهم عن المزيد بمجرد الدعوى
والعجب والركون إلى ما ظهر من مبادي اللطف وذلك هو المكر الخفي الذي لا يقدر على الاحتراز
منه إلا ذوو الأقدام الراسخة ثم خوف فوت ما لا يدرك وتجدد فوته

سمع إبراهيم بن أدهم قائلاً يقول وهو في سياحته وكان على جبل

كل شيء منك مغفور ۰ سوى الإعراض عنا
قد وهبنا لك ما فات ۰ بقي ما فات منا

فاضطرب وغشي عليه فلم يفق يوماً وليلة وطرأت عليه أحوال ثم قال سمعت النداء من الجبل
يا إبراهيم كن عبداً فكنت عبداً ثم خوف السلو عنه فإن المحب يلازمه الشوق والطلب الحثيث
ولا يفتر عن طلب المزيد ولا يتسلى إلا بلطف جديد فإن تسلى عن ذلك كان سبب وقوفه
أو سبب رجعته والسلو يدخل من حيث لا يشعر كما قد يدخل عليه الحب من حيث لا يشعر فإن
هذه التقلبات في القلب لها أسباب خفية سماوية ليس في قوة البشر الاطلاع عليها
وإذا أراد الله المكر به واستدراجه أخفى عنه ما ورد عليه من السلو فيقف مع الرجا
ويغتر بحسن الظن أو تغلبه الغفلة والهوى والنسيان وكل ذلك من جنود الشيطان
التي تغلب جنود الملائكة من العقل والعلم والذكر والبيان وكما أن من أوصاف الله تعالى
ما يظهر فيقتضي هيجان الحب وهو أوصاف اللطف والحكمة والرحمة فمن أوصافه ما يلوح
فيورث السلو وهي أوصاف الجبرية والعزة والاستغناء وذلك من مقدمات المكر
والشقاء والحرمان ثم خوف الاستبدال به بانتقال القلب من حبه إلى حب غيره وذلك
هو المقت والسلو عنه مقدمة هذا المقام والإعراض والحجاب مقدمة السلو وضيق
الصدر بالبر وانقباضه عن دوام الذكر وملاله لوظائف الأوراد أسباب هذه المعاني
ومقدماتها فظهور هذه الأسباب دليل على النقل عن مقام الحب إلى مقام المقت نعوذ
بالله منه وملازمة الخوف لهذه الأمور وشدة الحذر منها بصفاء المراقبة دليل على صدق
المحبة فإن من أحب شيئاً خاف لا محالة فقده فلا يخلو المحب عن خوف إذا كان المحبوب مما يمكن فواته
وقال بعض العارفين من عبد الله بمحض المحبة من غير خوف هلك بالبسط والإدلال

جنود الشيطان

العارفين
الجنيد

والاذلال ومن عرفه من طريق الخوف من غير محبة انقطع عنه بالبعد والاستيحاش
ومن عبده من طريق المحبة والخوف احبه الله تعالى فقربه ومكنه وعلمه فالمحب لا يخلو
من خوف والخايف لا يخلو من محبة ولكن الذي غلب عليه المحبة حتى اتسع فيها ولم يكن له من الخوف
الا يسير يقال هو في مقام المحبة ويعد من المحبين وكان شوب الخوف يسكن قليلا من سكر
الحب فلو غلب الحب واستولت المعرفة لم يثبت لذلك طاقة البشر فانما الخوف يعدله
ويخفف وقعه على القلب فقد روي في الاخبار ان بعض الصديقين ساله بعض الابدال
ان يسال الله تعالى ان يرزقه ذرة من معرفته ففعل ذلك فهام في الجبال وحار عقله
ووله قلبه وبقي شاخصا سبعة ايام لا ينتفع بشي فسال له الصديق ربه تعالى فقال
يا رب انقصه من الذرة بعضها فاوحى الله تعالى اليه انما اعطيناه جزءا من مائة الف جزء
من ذرة من المعرفة وذلك ان مائة الف عبد سالوني شيا من المحبة في الوقت الذي سالني
هذا واخرت اجابتهم الى ان شفعت انت لهذا فلما اجبتك فيما سالت اعطيتهم
كما اعطيته فقسمت ذرة من المعرفة بين مائة الف عبد فهذا ما اصابه من ذلك فقال
سبحانك يا احكم الحاكمين انقصه مما اعطيته فاذهب الله عنه جملة الجزء وبقي معه
عشر معشاره وهو جزء من عشرة الف الف جزء من ذرة فاعتدل خوفه وحبه ورجاوه
وسكن وصار كسائر العارفين **وقد قيل في وصف العارف**

قريب الوجد ذو مرمى بعيد • على الاحرار منهم والعبيد •
غريب الوصف ذو علم غريب • كان فؤاده زبر الحديد •
لقد عزت معانيه فغابت • عن الابصار الا للشهيد •
يرى الاعياد في الاوقات تجري • له في كل يوم الف عيد •
وللاحباب افراح بعيد • ولا يجد السرور له بعيد •

قال وكان الجنيد رحمه الله ينشد ابياتا يشير بها الى الاسرار واحوال
العارفين وان ذلك لا يجوز اظهاره **وهي هذه الابيات**

سرت باناس في الغيوب قلوبهم • فحلوا بقرب الماجد المتفضل •
عراصا بقرب الله في ظل قدسه • تجول بها ارواحهم وتنقل •
موارده فيها على العز والبها • ومصدرهم عنها لما هو اكمل •
تروح بعز مفرد عن صفاته • وفي حلل التوحيد تمشي وترفل •

• ومن بعد هذا ما تدق صفاته • وما كتمه اولى لديه واعدل •
• سأكتم من علمي به ما يصونه • وابذل منه ما ارى الحق يبذل •
• واعطي عباد الله منه حقوقهم • وامنع منه ما ارى المنع افضل •
• على ان للرحمن سرا يصونه • الى اهله في السر والصون اجمل •

وامثال هذه المعارف التي اليها الاشارة لا يجوز ان يشترك الناس فيها ولا يجوز له ان يظهرها من انكشف له شيء منها لمن لم ينكشف بل لو اشترك الناس فيها لخربت الدنيا فالحكمة تقتضي شمول الغفلة لعمارة الدنيا بل لو اكل الناس كلهم الحلال اربعين يوما لخربت الدنيا لزهدهم فيها وبطلت الاسواق والمعايش بل لو اكل العلماء الحلال لاشتغلوا بانفسهم ولوقفت الالسنة والاقلام عن كثير مما انتشر من العلوم ولكن الله تعالى فيما هو شر في الظاهر اسرار وحكم كما ان له في الخير اسرارا وحكما ولا منتهى لحكمته كما لا غاية لقدرته ومنها كتمان الحب واجتناب الدعوى والتوقي في مواطن الوجد والمحبة تعظيما للمحبوب واجلالا له وهيبة منه وغيرة على سره فان الحب سر من اسرار الحبيب ولانه قد يدخل في الدعوى ما يتجاوز حد المعنى ويزيد عليه فيكون ذلك من الافتراء وتعظم العقوبة عليه في العقبى وتعجل عليه البلوى في الدنيا نعم قد يكون للمحب سكرة في حبه حتى يدهش فيه وتضطرب احواله فيظهر عليه حبه فان وقع ذلك من غير تمحل واكتساب فهو معذور لانه مقهور وربما يشتعل من الحب نيرانه فلا يطاق سلطانه وقد يفيض القلب به فلا يندفع فيضانه

والقادر على الكتمان يقول

• وقالوا قريب قلت ما انا صانع • بقرب شعاع الشمس لو كان في حجري •
• فما لي منه غير ذكر بخاطري • يهيج نار الحب والشوق في صدري •

والعاجز يقول

• يخفي فيبدي الدمع اسراره • ويظهر الوجد عليه النفس •

ويقول ايضا

• ومن قلبه مع غيره كيف حاله • ومن سره في جفنه كيف يكتم •

وقد قال بعض العارفين ان اكثر الناس اسر من الله عز وجل بعدا اكثرهم اشارة به كانه اراد من يكثر التعريض به في كل شيء ويظهر التصنع بذكره عند كل احد فهو ممقوت عند المحبين والعلماء بالله عز وجل ودخل ذو النون المصري على بعض اخوانه ممن كان يذكر المحبة فراه مبتلى ببلاء فقال لا يحبه من وجد الم ضربه فقال

العارف

اكل الحلال

فقال الرجل ليحيى اقول لا احبه من لم يتنعم بصبره به فقال ذو النون ولكن اقول لا تحبه
من شهد نفسه تحبه فقال الرجل استغفر الله واتوب اليه فان قلت المحبة
منتهى المقامات واظهارها اظهار للخير فلماذا يستنكر فاعلم ان المحبة محمودة وظهورها
ايضا محمود وانما المذموم التظاهر بها لما يدخل فيها من الدعوى والاستكبار وحق
المحب ان تنم على حبه الخفي افعاله واحواله دون اقواله وافعاله وينبغي ان يظهر حبه من
غير قصد منه الى اظهار الحب ولا الى اظهار الفعل الدال على الحب بل ينبغي ان يكون قصد المحب
اطلاع الحبيب فقط فاما ارادته اطلاع غيره فشرك في الحب وقادح فيه كما ورد في
الانجيل اذا تصدقت فتصدق بحيث شمالك ما صنعت يمينك فالذي يرى الخفيات
يجزيك به علانية واذا صمت فاغسل وجهك وادهن راسك لئلا يعلم بذلك غير ربك
فاظهار القول والفعل كله مذموم الا اذا غلب سكر الحب فانطلق اللسان واضطربت
الاعضاء فلا يلام فيه صاحبه وحكي ان بعض الناس راى من
بعض المجانين ما استجهله فيه فاخبر بذلك معروفا الكرخي رحمه الله فتبسم
فقال يا اخي له محبون صغار وكبار وعقلاء ومجانين فهذا الذي رايته من مجانينهم
ومما يكره التظاهر بالحب بسببه ان المحب ان كان عارفا وعرف احوال الملائكة في حبهم
الدائم وشوقهم اللازم الذين يسبحون الليل والنهار لا يفترون ولا يعصون الله ما
امرهم ويفعلون ما يؤمرون لاستنكف من نفسه ومن اظهار حبه وعلم قطعا انه من اخس
المحبين في مملكته وان حبه انقص من حب كل محب لله تعالى قال بعض المكاشفين
من المحبين عبدت الله تعالى ثلاثين سنة باعمال القلوب والجوارح على بذل المجهود واستفراغ
الطاقة حتى ظننت ان لي عند الله شيئا فذكر اشياء من مكاشفات السموات في قصة
طويلة قال في آخرها فبلغت صفا من الملائكة بعدد جميع ما خلق الله من شيء فقلت
من انتم فقالوا نحن المحبون لله عز وجل نعبده ههنا منذ ثلاثمائة الف سنة ما خطر
على قلوبنا قط سواه ولا ذكرنا غيره فاستحييت من اعمالي ووهبتها لمن حق عليه الوعيد
تخفيفا عنهم في جهنم واذن من عرف نفسه وعرف ربه واستحيى
منه حق الحياء خرس لسانه عن التظاهر بالدعوى نعم يشهد على حبه حركاته
وسكناته واقدامه واحجامه وتردداته كما حكي عن الجنيد انه قال
مرض استاذنا السري رحمه الله فلم نعرف لعلته دواء ولا عرفنا لها سببا فوصف لنا
طبيب حاذق فاخذنا قارورة مائه فنظر اليه الطبيب وجعل ينظر مليا ثم قال اراه

يقول عاشق قال الجنيد فضعفت وغشي علي ووقعت القارورة من يدي ثم رجعت إلى السري فأخبرته فتبسم ثم قال فإنه الله ما أبصره قلت يا أستاذ وتتبين المحبة في البدن قال نعم وقد قال السري مرة لو شئت أقول ما أيبس جلدي على عظمي ولا نحل جسمي إلا حبه ثم غشي عليه وتدل الغشية على أنه أفصح في غلبة الوجد ومقدمات الغشية فهذه مجامع علامات الحب وثمراته ومنها الأنس والرضا كما سيأتي وبالجملة جميع محاسن الدين ومكارم الأخلاق ثمرة الحب وما لا يثمره الحب فهو اتباع للهوى وهو من رذائل الأخلاق نعم قد يحب الله لإحسانه إليه وقد يحبه لجلاله وجماله وإن لم يحسن إليه والمحبون لا يخرجون عن القسمين ولذلك قال الجنيد الناس في محبة الله تعالى عام وخاص فالعامة نالوا ذلك بمعرفتهم في دوام إحسانه وكثرة نعمه فلم يتمالكوا أن أرضوه إلا أنهم تقل محبتهم وتكثر على قدر النعم والإحسان فأما الخاصة فنالوا المحبة بعظم القدر والقدرة والعلم والحكمة والتفرد بالملك فلما عرفوا صفاته الكاملة وأسماءه الحسنى لم يمتنعوا أن أحبوه إذ استحق عندهم المحبة بذلك لأنه أهل له ولو أزال عنهم جميع النعم نعم من الناس من يحب هواه وعدو الله إبليس وهو مع ذلك يلبس على نفسه بحكم الغرور والجهل فيظن أنه محب لله وهو الذي فقدت فيه هذه العلامات أو تلبس بها رياء ونفاقا وسمعة وغرضه عاجل حظ الدنيا وهو يظهر من نفسه خلاف ذلك كالعلماء السوء والقراء السوء أولئك بغضاء الله في أرضه وكان سهل قال يا دوست أي يا حبيب فقيل له قد لا يكون حبيبا فكيف تقول هذا فقال في أذن القائل سرا لا يخلو أن يكون مؤمنا أو منافقا فإن كان مؤمنا فهو حبيب الله عز وجل وإن كان منافقا فهو حبيب إبليس.

وقال أبو تراب النخشبي في علامة الحب أبياتا

وهي هذه

لا تخدعن فللحبيب دلائل • ولديه من تحف الحبيب وسائل •
منها تنعمه بمر بلائه • وسروره في كل ما هو فاعل •
فالمنع منه عطية مقبولة • والفقر إكرام وبر عاجل •
ومن الدلائل أن يرى من عزمه • طوع الحبيب وإن ألح العاذل •
ومن الدلائل أن يرى متبسما • والقلب فيه من الحبيب بلابل •
ومن الدلائل أن يرى متفهما • لكلام من يحظى لديه السائل •

مستقشفا

ومن الدلائل أن يرى متقشفاً * متحفظاً من كل ما هو قائل

وقال يحيى بن معاذ

ومن الدلائل أن تراه مشمراً * في خرقتين على شطوط الساحل
ومن الدلائل حزنه ونحيبه * جوف الظلام فما له من عاذل
ومن الدلائل أن تراه مسافراً * نحو الجهاد وكل فعل فاضل
ومن الدلائل زهده فيما يرى * من دار ذل والنعيم الزائل
ومن الدلائل أن تراه باكياً * أن قد رآه على قبيح فعائل
ومن الدلائل أن تراه مسلماً * كل الأمور إلى المليك العادل
ومن الدلائل أن تراه راضياً * بمليكه في كل حكم نازل
ومن الدلائل ضحكه بين الورى * والقلب محزون كقلب الثاكل

بيان معنى الأنس بالله عز وجل

قد ذكرنا أن الأنس والخوف والشوق من آثار المحبة إلا أن هذه آثار مختلفة تختلف على المحب بحسب نظره وما يغلب عليه في وقته فإذا غلب عليه التطلع من وراء حجب الغيب إلى منتهى الجمال واستشعر قصوره عن الاطلاع على كنه الجلال انبعث القلب إلى الطلب وانزعج له وهاج إليه وتسمى هذه الحالة في الانزعاج شوقاً وهو بالإضافة إلى أمر غائب وإذا غلب عليه الفرح بالقرب ومشاهدة الحضور بما هو حاصل من الكشف وكان نظره مقصوراً على مطالعة الجمال الحاضر المكشوف غير ملتفت إلى ما لم يدركه بعد استبشر القلب بما يلاحظه فيسمى استبشاره أنساً وإن كان نظره إلى صفات العز والاستغناء وعدم المبالاة وخطر إمكان الزوال والبعد تألم القلب بهذا الاستشعار فيسمى تألمه خوفاً وهذه الأحوال تابعة لهذه الملاحظات والملاحظات تابعة لأسباب تقتضيها لا يمكن حصرها فالأنس معناه استبشار القلب وفرحه بمطالعة الجمال حتى إنه إذا غلب وتجرد عن ملاحظة ما غاب عنه وما يتطرق إليه من خطر الزوال عظم نعيمه ولذته ومن هنا نظر بعضهم حيث قيل له أنت مشتاق فقال لا إنما الشوق إلى غائب فإذا كان الغائب

حاضراً فالى من تشتاق وهذا كلام مستغرق بالفرح بما له غير ملتفت الى ما بقي في
الامكان من مزايا الالطاف ومن غلب عليه حال الانس لم تكن شهوته الا في
الانفراد والخلوة كما حكي ان ابراهيم ابن ادهم نزل من الجبل فقيل
له من اين اقبلت فقال من الانس بالله وذلك لان الانس بالله يلازمه التوحش من
غير الله بل كل ما يعوق عن الخلوة فيكون من اثقل الاشيا على القلب كما روي ان موسى عليه
السلام لما كلمه ربه مكث دهرا طويلا لا يسمع كلام احد من الناس الا اخذه الغشيان
لان الحب يوجب عذوبة كلام المحبوب وعذوبة ذكره فيخرج من القلب عذوبة ما سواه
ولذلك قال بعض الحكما في دعائه يا من آنسني بذكره واوحشني من خلقه وقال
الله تعالى لداود عليه السلام كن بي مستانسا ومن سواي مستوحشا وقيل
لرابعة بم نلت هذه المنزلة قالت بتركي ما لا يعنيني وانسي بمن لم يزل
وقال عبد الواحد ابن زيد مررت براهب فقلت يا راهب لقد اعجبتك الوحدة
فقال يا هذا لو ذقت حلاوة الوحدة لاستوحشت اليها من نفسك الوحدة راس العبادة
فقلت يا راهب ما اقل ما تجده في الوحدة قال الراحة من مداراة الناس والسلامة
من شرهم فقلت يا راهب متى يذوق العبد حلاوة الانس بالله تعالى قال اذا صفى
الود وخلصت المعاملة قلت متى يصفو الود قال اذا اجتمع الهم فصار هما واحدا
هما واحدا في الطاعة وقال بعض الحكما عجبا للخلايق كيف ارادوا
بك بدلا عجبا للقلوب كيف استانست بسواك عنك فان قلت فما علامة
الانس فاعلم ان علامته الخاصة ضيق الصدر من معاشرة الخلق والبرم بهم
واستهتاره بعذوبة الذكر فان خالط فهو كمنفرد في جماعة ومجتمع في خلوة وغريب
في حضر وحاضر في سفر وشاهد في غيبة وغايب في حضور يخالط بالبدن منفرد
بالقلب المستغرق بعذوبة الذكر كما قال علي كرم الله وجهه
في وصفهم قوم هجم بهم العلم على حقيقة الامر فباشروا ارواح اليقين واستلانوا
ما استوعر المترفون وانسوا بما استوحش منه الجاهلون صحبوا الدنيا بابدان ارواحها
معلقة بالمحل الاعلى اولئك خلفا الله في ارضه والدعاة الى دينه فهذا معنى الانس
بالله وهذه علامته وهذه شواهده وقد ذهب بعض المتكلمين الى انكار الانس والشوق
والحب لظنه ان ذلك يدل على التشبيه وجهله بان جمال المدركات بالبصاير اكمل من
جمال المبصرات ولذة معرفتها اغلب على ذوي القلوب ومنهم احمد بن غالب يعرف بغلام

علامة الانس بالله

ف
عجايب

غلام الخليل أنكر على الجنيد وعلى أبي الحسن النوري والجماعة حديث الحب والعشق والشوق حتى أنكر بعضهم مقام الرضى وقال ليس إلا الصبر فأما الرضى فغير متصور وهذا كله كلام ناقص قاصر لم يطلع من مقامات الدين إلا على القشور فظن أنه لا وجود إلا للقشر فإن المحسوسات وكل ما يدخل في الخيال في طريق العين قشر مجرد ووراءه اللب المطلوب فمن لم يصل من الجوز إلا إلى قشره يظن أن الجوز خشب كله ويستحيل عنده خروج الدهن منه لا محالة وهو معذور ولكن عذره غير مقبول

وقد قيل

الأنس بالله لا يحويه بطال ۝ وليس يدركه بالحول محتال ۝
والآنسون رجال كلهم نجب ۝ وكلهم صفوة لله عمال ۝

بيان معنى الانبساط

والإدلال الذي يثمره غلبة الأنس

اعلم أن الأنس إذا دام وغلب واستحكم ولم يشوشه الشوق ولم ينغصه خوف التغير والحجاب فإنه يثمر نوعاً من الانبساط في الأقوال والأفعال والمناجاة مع الله تعالى وقد يكون منكر الصورة لما فيه من الجراءة وقلة الهيبة ولكنه محتمل ممن أقيم في مقام الأنس ومن لم يقم في ذلك المقام ويتشبه بهم في الفعل والكلام هلك به وأشرف على الكفر ومثاله مناجاة برخ الأسود الذي أمر الله تعالى كليمه موسى عليه السلام أن يسأله ليستسقي لبني إسرائيل بعد أن قحطوا سبع سنين وخرج موسى ليستسقي لهم في سبعين ألفاً فأوحى الله تعالى إليه كيف أستجيب لهم وقد أظلمت عليهم ذنوبهم سرائرهم خبيثة يدعونني على غير يقين ويأمنون مكري ارجع إلى عبد من عبادي يقال له برخ فقل له يخرج حتى أستجيب له فسأل عنه موسى عليه السلام فلم يعرف فبينما موسى عليه السلام ذات يوم يمشي في طريق إذا بعبد أسود قد استقبله بين عينيه تراب من أثر السجود في شملة قد عقدها على عنقه فعرفه موسى بنور الله عز وجل فسلم عليه وقال ما اسمك قال اسمي برخ قال فأنت طلبتنا منذ

القحط والدعا

حين خرج فاستنشق لما تخرج فقال في كلامه ما هذا من فعالك ولا هذا من حلمك
وما الذي بدا لك انقصت عليك غيوثك ام عاندت الرياح عن طاعتك ام نفد
ما عندك ام اشتد غضبك على المذنبين الست كنت غفارا قبل خلق الخطائين
خلقت الرحمة وامرت بالعطف ام ترينا انك ممتنع ام تخشى الفوت فتعجل بالعقوبة
قال فما برح حتى اخضلت بنو اسرائيل بالقطر وانبت الله تعالى العشب في
نصف يوم حتى بلغ الركب قال فرجع برخ فاستقبله موسى عليه السلام فقال كيف
رايت حين خاصمت ربي كيف انصفني فهم موسى عليه السلام به فاوحى الله تعالى
اليه ان برخا يضحكني كل يوم ثلاث مرات وعن الحسن قال احترقت اخصاص في
البصرة فبقي في وسطها خص لم يحترق وابو موسى يومئذ امير البصرة فاخبر بذلك فبعث
الى صاحب الخص فاتي بشيخ فقال يا شيخ ما بال خصك لم يحترق قال اني اقسمت على ربي ان
لا يحرقه فقال ابو موسى اني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يكون في
امتي قوم شعثة رؤسهم دنسة ثيابهم لو اقسموا على الله لابرهم قال ووقع حريق
بالبصرة فجاء ابو عبيدة الخواص فجعل يتخطى النار فقال له امير البصرة انظر لا تحترق بالنار
فقال اني اقسمت على ربي ان لا يحرقني بالنار قال فاعزم عليها ان تطفى قال فعزم عليها
فطفيت وكان ابو حفص يمشي ذات يوم فاستقبله رستاقي مدهوش فقال له ابو حفص
ما اصابك قال ضل حماري ولا املك غيره قال فوقف ابو حفص وقال وعزتك لا اخطو خطوة
ما لم ترد حماره قال فظهر حماره في الوقت ومر ابو حفص رحمه الله فهذا وامثاله يجري
لذوي الانس وليس لغيرهم ان يتشبه بهم قال الجنيد اهل الانس يقولون
يقولون في كلامهم ومناجاتهم في خلواتهم اشياء هي كفر عند العامة وقال مرة لو سمعها
العموم لكفروهم وهم يجدون المزيد في احوالهم بذلك وذلك يحتمل منهم ويليق بهم

واليه اشارة القائل

قوم تخالجهم زهو بسيدهم ... والعبد يزهو على مقدار مولاه
تاهوا برؤيته عما سواه له ... يا حسن رؤيتهم في عز ما تاهوا

فلا تستبعد رضاه عن العبد بما يغضب به على غيره
مهما اختلف مقامهما ففي القران تنبيهات على هذه المعاني لو فطنت وفهمت
فجميع قصص القران تنبيهات لاولي البصائر والابصار حتى ينظروا اليها بعين الاعتبار
وانما هي عند ذوي الاغترار من الاسمار واول القصص قصة ادم وابليس اما تراهما

الدعا والتضرع

قصص القران تنبيه لاولي الابصار

تراهما كيف اشتركا في اسم المعصية والمخالفة ثم تباينا في الاجتباء والمعصية اما ابليس
فأيس من رحمته وقيل انه من المبعدين واما آدم فقيل فيه وعصى آدم ربه فغوى ثم اجتباه
ربه فتاب عليه وهدى وقد عاتب الله نبيه صلى الله عليه وسلم في الاعراض عن عبد
الله واقبال على غيره وهما في العبودية سيان ولكن في الحال مختلفان فقال واما من جاءك
يسعى وهو يخشى فانت عنه تلهى وقال في الآخر واما من استغنى فانت له تصدى
وكذلك امره بالقعود مع طائفة فقال واذا جاءك الذين يؤمنون
بآياتنا فقل سلام عليكم فامره بالاعراض عن غيرهم فقال واذا رأيت الذين
يخوضون في آياتنا فاعرض عنهم حتى يخوضوا في حديث غيره حتى قال ولا
تقعد بعد الذكرى مع القوم الظالمين وقال تعالى واصبر نفسك مع الذين
يدعون ربهم بالغداة والعشي فكذا الانبساط والادلال يحتمل من بعض العباد
دون بعض فمن انبساط الانس قول موسى عليه السلام ان هي الا فتنتك
تضل بها من تشاء وتهدي من تشاء وقوله في التعلل والاعتذار لما قيل له
اذهب الى فرعون فقال ولهم علي ذنب وقوله اني اخاف ان يكذبون ويضيق صدري
وقوله انا نخاف ان يفرط علينا او ان يطغى وهذا من غير موسى عليه السلام
من سوء الادب لان الذي اقيم مقام الانس يلاطف ويحتمل ولم يحتمل ليونس عليه
السلام ما دون هذا لما ان اقيم مقام القبض والهيبة فعوقب في بطن الحوت
بالسجن في ظلمات ثلاث ونودي عليه الى يوم القيامة لولا ان تداركه نعمة من ربه
لنبذ بالعراء وهو مذموم قال الحسن العراء القيامة ونهي نبينا صلى الله
عليه وسلم ان يقتدي به وقيل له فاصبر لحكم ربك ولا تكن كصاحب الحوت اذ نادى
وهو مكظوم وهذه الاختلافات بعضها لاختلاف الاحوال والمقامات وبعضها
لما سبق في الازل من التفاضل والتفاوت في القسمة بين العباد ولقد قال الله
تعالى ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض وقال منهم من كلم الله ورفع
بعضهم درجات وكان عيسى من المفضلين ولادلاله سلم على نفسه فقال والسلام
علي يوم ولدت ويوم اموت ويوم ابعث حيا وهذا انبساط منه لما شاهد من
اللطف في مقام الانس واما يحيى بن زكريا عليهما السلام اقيم مقام الهيبة
والحيا فلم ينطق حتى اثنى عليه خالقه فقال وسلام عليه وانظر كيف احتمل
لاخوة يوسف ما فعلوه بيوسف عليه السلام وقد قال بعض العلماء قد عددت

فضل بعض الانبياء على بعض

من اول قوله تعالى اذ قالوا ليوسف واخوه احب الى ابينا منا الى راس العشرين من اخباره
تعالى عن ذنوبهم فيه نيفا واربعين خطيئة بعضها اكبر من بعض وقد اجتمع في الكلمة
الواحدة الثلاث والاربع فغفر لهم وعفا عنهم ولم يحتمل العزير مسالة واحدة
سالها في القدر حتى قيل محي من ديوان النبوة وكذلك كان بلعام بن باعورا من اكابر
العلما فاكل الدنيا بالدين فلم يحتمل له ذلك وكان آصف من المسرفين وكانت معصيته
في الجوارح فعفا عنه **فقد روي ان الله تعالى اوحى الى سليمان**
عليه السلام يا راس العابدين ويا ابن محجة الزاهدين الى كم يعصيني ابن خالتك
آصف وانا احلم عليه مرة بعد مرة فوعزتي وجلالي لئن اخذته عصفة من عصفاتي
عليه لاتركنه مثلة لمن معه ونكالا لمن بعده فلما دخل آصف على سليمان اخبره بما
اوحى الله تعالى اليه فخرج حتى علا كثيبا من رمل ثم رفع راسه ويديه نحو السماء وقال
الهي وسيدي انت انت وانا انا فكيف اتوب ان لم تتب علي وكيف استعصم ان لم تعصمني
لاعودن فاوحى الله تعالى صدقت يا آصف صدقت انت انت وانا انا استقبل التوبة
فقد تبت عليك وانا التواب الرحيم وهذا كلام مدل به عليه وهارب منه اليه *قبول التوبة*
وناظر به اليه **وفي الخبر ان الله تعالى اوحى الى عبد تداركه**
بعد ان اشفى على الهلكة كم ذنب واجهتني به غفرته لك قد اهلكت في دونه امة
من الامم فهذه سنة الله تعالى في عباده بالتفضيل والتقديم والتاخير على ما سبقت
به المشية الازلية وهذه القصص اوردت في القران ليعرف بها سنة الله في عباده
الذين خلوا من قبل فما في القران شيء الا وهو هدى ونور وتعرف من الله تعالى الى
خلقه فتارة يتعرف اليهم بالتقديس فيقول قل هو الله احد الله الصمد لم يلد
ولم يولد ولم يكن له كفوا احد وتارة يتعرف اليهم بصفات جلاله فيقول
الملك القدوس السلام المومن المهيمن العزيز الجبار المتكبر وتارة يتعرف اليهم في
افعاله المخوفة والمرجوة فيتلو عليهم سنته في انبيائه وفي اعدائه فيقول الم
تر كيف فعل ربك بعاد ارم ذات العماد الم تر كيف فعل ربك باصحاب الفيل ولا تعدو
القران هذه الاقسام الثلاثة وهي الارشاد الى معرفة ذات الله وتقديسه او معرفة
صفاته واسمائه او معرفة افعاله وسنته مع عباده ولما اشتملت سورة الاخلاص
على احد هذه الاقسام الثلاثة وهي التقديس وازنها رسول الله صلى الله عليه وسلم
بثلث القران فقال من قرا سورة الاخلاص فقد قرا ثلث القران لان منتهى

منتهى التقديس في ان يكون واحدًا في ثلاثة امور لا يكون حاصلًا منه من هو
من نوعه وشبهه ودل عليه قوله لم يلد ولا يكون هو حاصلًا ممن هو نظيره
وشبهه ودل عليه قوله ولم يولد ولا يكون في درجته وان لم يكن اصلًا له
ولا فرعًا من هو مثله دل عليه قوله ولم يكن له كفوًا احد ويجمع جميع ذلك
قوله تعالى قل هو الله احد وجملته تفصيل قولك لا اله الا الله فهذه
اسرار القرآن ولا تتناهى امثال هذه الاسرار في القرآن ولا رطب ولا يابس الا في
كتاب مبين ولذلك قال ابن مسعود رضي الله عنه ثوّروا القرآن والتمسوا غرائبه
ففيه علم الاولين والآخرين ولذلك قال ابن مسعود رضي الله عنه وهو كما قال
ولا يعرفه الا من طال في آحاد كلماته فكره وصفا له فهمه حتى تشهد له كل كلمة منه
بانه كلام جبار قاهر مليك قادر وانه خارج عن حد استطاعة البشر واكثر
اسرار القرآن معبأة في طي القصص والاخبار فكن حريصًا على استنباطها
لينكشف لك فيه من العجائب ما تستحقر فيه العلوم المزخرفة الخارجة عنه فهذا
ما اردنا ذكره من معنى الانس والانبساط الذي هو ثمرته وبيان تفاوت عباد الله
فيه

القول في معنى الرضى بقضاء الله تعالى

وحقيقته وما ورد في فضيلته

اعلم ان الرضى ثمرة من ثمار المحبة وهو من اعلى مقامات المقربين
وحقيقته غامضة على الاكثرين وما يدخل عليه من التشابه والايهام
غير منكشف الا لمن علمه الله تعالى التاويل وفقهه في الدين فقد انكر منكرون
تصور الرضى بما يخالف الهوى ثم قالوا ان امكن الرضا بكل شيء لانه فعل الله تعالى
فينبغي ان يرضى بالكفر والمعاصي وانخدع بذلك قوم فرأوا الرضا بالفجور والفسق
وترك الاعتراض والانكار من باب التسليم لقضاء الله تعالى ولو انكشفت هذه
الاسرار لمن اقتصر على سماع ظواهر الشرع لما دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم
لابن عباس رضي الله عنه حيث قال اللهم فقهه في الدين وعلمه التاويل فلنبدأ
ببيان فضيلة الرضا ثم بحكايات احوال الراضين ثم نذكر حقيقة
الرضا وكيفية تصوره فيما يخالف الهوى ثم نذكر ما يظن انه من تمام الرضى وليس

مطلب

وليس منه ترك الدعا والسكوت عن المعاصي

بيان فضيلة الرضا

اما من الايات فقوله تعالى رضي الله عنهم ورضوا عنه وقد قال تعالى هل جزا
الاحسان الا الاحسان ومنتهى الاحسان رضي الله عن عبده وهو ثواب رضي العبد عنه
وقال تعالى ومساكن طيبة في جنات عدن ورضوان من الله اكبر فقد رفع الله تعالى
الرضا فوق جنات عدن كما رفع ذكره فوق الصلاة حيث قال ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر
ولذكر الله اكبر فكما ان مشاهدة المذكور في الصلاة اكبر من الصلاة فرضوان رب الجنة
اعلا من الجنة بل هو غاية مطالب سكان الجنان وفي الحديث ان الله تعالى يتجلى
للمومنين فيقول سلوني فيقولون رضاك فسوالهم الرضا
بعد النظر نهاية التفضيل واما رضي العبد فسنذكر حقيقته واما رضوان الله تعالى
عن العبد فهو بمعنى آخر يقرب مما ذكرناه في حب الله تعالى للعبد ولا يجوز ان
يكشف عن حقيقته اذ تقصر افهام الخلق عن دركه ومن يقوى عليه فيستقل بادراكه
من نفسه وعلى الجملة فلا رتبة فوق النظر اليه فانما سالوا الرضا لانه سبب دوام النظر
فكانهم راوا غاية الغايات واقصى الاماني لما ظفروا بنعيم النظر فلما امروا بالسوال لم
يسالوا الا دوامه وعلموا ان الرضا هو سبب دوام رفع الحجاب وقال تعالى ولدينا
مزيد قال بعض المفسرين فيه ياتي اهل الجنة في وقت المزيد ثلث تحف من عند رب العالمين
احدها هدية من عند الله تعالى ليس عندهم في الجنان مثلها فذلك قوله تعالى فلا
تعلم نفس ما اخفي لهم من قرة اعين والثانية السلام عليهم من ربهم فيزيد ذلك
على الهدية وهو قوله تعالى سلام قولا من رب رحيم والثالثة يقول الله
تعالى اني عنكم راض فيكون ذلك افضل من الهدية والتسليم فذلك قوله تعالى
ورضوان من الله اكبر اي من النعيم الذي هم فيه فهذا فضل رضا الله تعالى
وهو ثمرة رضى العبد واما الاخبار فقد روي ان النبي صلى الله
عليه وسلم سال طائفة من اصحابه ما انتم فقالوا مومنون فقال ما علامة ايمانكم
فقالوا نصبر على البلا ونشكر عند الرخا ونرضى بمواقع القضا فقال مومنون ورب الكعبة
وفي خبر آخر انه قال حكما علما كادوا من فقههم ان يكونوا انبيا

مال اهل الجنة

علامة الايمان

وفي الخبر طوبى لمن هدي للاسلام وكان رزقه كفافا ورضي وقال صلى الله
عليه وسلم من رضي من الله تعالى بالقليل من الرزق رضي الله تعالى منه بالقليل
من العمل وقال ايضا اذا احب الله تعالى عبدا ابتلاه فان صبر اجتباه وان رضي
اصطفاه وقال ايضا اذا كان يوم القيمة انبت الله تعالى لطائفة من
امتي اجنحة فيطيرون من قبورهم الى الجنان يسرحون فيها ويتنعمون فيها كيف شاؤا
فتقول لهم الملائكة هل رأيتم الحساب فيقولون ما رأينا حسابا فيقولون هل
جزتم الصراط فيقولون ما رأينا صراطا فيقولون هل رأيتم جهنم فيقولون ما
رأينا شيئا فيقولون الملائكة من امة من انتم فيقولون من امة محمد صلى الله عليه
وسلم فيقولون نشدناكم الله حدثونا ما كانت اعمالكم في الدنيا فيقولون خصلتان
كانتا فينا فبلغنا الله تعالى هذه المنزلة بفضل رحمته فيقولون ما هما فيقولون
كنا اذا خلونا نستحي ان نعصيه ونرضى باليسير مما قسم لنا فتقول الملائكة
حق لكم هذا وقال صلى الله عليه وسلم يا معشر الفقراء اعطوا الله تعالى
الرضا من قلوبكم تظفروا بثواب فقركم والا فلا **وفي اخبار موسى
عليه السلام** ان بني اسرائيل قالوا له سل لنا ربك امرا اذا نحن فعلناه يرضى به
عنا فقال موسى عليه السلام الهي قد سمعت ما قالوا فقال يا موسى قل لهم يرضون
عني حتى ارضى عنهم ويشهد لهذا ما روي عن نبينا صلى الله عليه وسلم انه قال
من احب ان يعلم ما له عند الله فلينظر ما لله عز وجل عنده فان الله عز وجل ينزل
العبد منه حيث انزله العبد من نفسه **وفي اخبار داود عليه السلام**
ما لاوليائي والهم بالدنيا ان الهم يذهب حلاوة مناجاتي من قلوبهم يا داود
ان محبتي من اوليائي ان يكونوا روحانيين لا يغتمون وروي ان موسى عليه السلام
قال يا رب دلني على امر فيه رضاك حتى اعمله فاوحى الله تعالى اليه ان رضاي
في كرهك وانت لا تصبر على ما تكره قال يا رب دلني عليه قال فان رضاي في رضاك
بقضائي **وفي مناجاة موسى عليه السلام**
يا رب اي خلقك احب اليك قال من اذا اخذت منه المحبوب سالمني قال فاي خلقك
انت عليه ساخط قال من يستخيرني في الامر فاذا قضيت له سخط قضائي
وقد روي ما اشد من ذلك وهو ان الله تعالى قال انا الله لا اله الا انا من لم
يصبر على بلائي ولم يشكر لنعمائي ولم يرض بقضائي فليتخذ ربا سوائي ومثله

فضيلة الصبر والرضا

تطاير هذه الامة في القيمة

ان لا يفعل المعصية في السر

فقراء يوم الحساب بلا[illegible]

قوله وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فان الجنة هي المأوى

الشكاية لـ الله

في البشرة وقوله تعالى فيما أخبر عنه نبينا صلى الله عليه وسلم أنه قال تعالى قدرت
المقادير ودبرت التدبير وأحكمت الصنع فمن رضي فله الرضى مني حتى يلقاني
ومن سخط فله السخط مني حتى يلقاني **وفي الخبر** المشهور يقول الله تعالى
خلقت الخير والشر فطوبى لمن خلقته للخير وأجريت الخير على يديه وويل لمن خلقته للشر
وأجريت الشر على يديه وويل ثم ويل لمن قال لم وكيف **وفي الأخبار السالفة**
أن نبيا من الأنبياء شكى الجوع والفقر والقمل عشر سنين فما أجيب إلى ما أراد
ثم أوحى الله تعالى إليه كم تشكو هكذا كان بدؤك عندي في أم الكتاب قبل أن أخلق
السموات والأرض هكذا قضيت عليك قبل أن أخلق الدنيا أفتريد أن أعيد خلق الدنيا
من أجلك أم تريد أن أبدل ما قدرت عليك فيكون ما تحب فوق ما أحب فيكون ما
تريد فوق ما أريد وعزتي وجلالي لئن تلجلج في صدرك هذا مرة أخرى لأمحونك
من ديوان النبوة **ويروى أن آدم عليه السلام** كان بعض أولاده
الصغار يصعدون على بدنه وينزلون ويجعل أحدهم رجله على أضلاعه كهيئة
الدرج فيصعد على رأسه ثم ينزل على أضلاعه كذلك وهو مطرق إلى الأرض لا ينطق
ولا يرفع رأسه فقال له بعض ولده يا أبت أما ترى ما يصنع هذا بك لو نهيته عن هذا
قال يا بني إني رأيت ما لم تروا وعلمت ما لم تعلموا إني تحركت حركة واحدة فأهبطت من
دار الكرامة إلى دار الهوان ومن دار النعيم إلى دار الشقاء فأخاف أن أتحرك أخرى
فيصيبني ما لا أعلم **وقال أنس بن مالك رضي الله عنه** خدمت
رسول الله صلى الله عليه وسلم عشر سنين فما قال لي لشيء فعلته لم فعلته ولا لشيء
لم أفعله ألا فعلته ولا قال في شيء كان ليته لم يكن ولا لشيء لم يكن ليته كان وكان إذا خاصمني
مخاصم من أهله يقول دعوه لو قضي شيء لكان ويروى أن الله تعالى أوحى إلى داود
عليه السلام يا داود تريد وأريد وإنما يكون ما أريد فإن سلمت لما أريد كفيتك ما تريد
وإن لم تسلم لما أريد أتعبتك فيما تريد ثم لا يكون إلا ما أريد **وأما الآثار**
فقد قال ابن عباس رضي الله عنه أول من يدعى إلى الجنة يوم القيامة الذين يحمدون
الله تعالى على كل حال وقال عمر بن عبد العزيز ما بقي لي سرور إلا في مواقع
القدر وقيل له ما تشتهي فقال ما يقضي الله تعالى وقال ميمون بن مهران
من لم يرض بالقضاء فليس لحمقه دواء وقال الفضيل إن لم تصبر على تقدير الله تعالى لم
تصبر على تقدير نفسك وقال عبد العزيز بن أبي رواد ليس الشأن في أكل

الشكاية إلى الله

الحمد لله

الرضى والشكر بالبلاء

اكل خبز الشعير والخل ولا في لبس الصوف والشعود ولكن الشان في الرضى عن الله عز
وجل وقال عبد الله ابن مسعود لان الحس جمرة احرقت ما احرقت وابقت ما
ابقت احب الي من ان اقول لشي كان ليته لم يكن او لشي لم يكن ليته كان ونظر رجل الى
قرحة في رجل محمد ابن واسع فقال اني لارحمك من هذه القرحة فقال اني لاشكرها منذ خرجت
اذ لم تخرج في عيني وروي في الاسرائيليات ان عبدا لله تعالى دهرا طويلا ف
فاري في المنام فلانة الراعية رفيقتك في الجنة فسال عنها الى ان وجدها فاستضافها
ثلاثا لينظر الى عملها فكان يبيت قايما وتبيت نايمة ويظل صايما وتظل مفطرة
فقال اما لك من عمل غير ما رايت فقالت ما هو الا ما رايت لا اعرف غيره فلم يزل له
يقول تذكري حتى قالت خصلة واحدة هي في ان كنت في شدة لم اتمن رخا وان
كنت في مرض لم اتمن ان اكون في صحة وان كنت في الشمس لم اتمن ان اكون في الظل
فوضع العابد يده على راسه وقال اهذه خصيلة هذه والله خصلة عظيمة
يعجز عنها العباد وعن بعض السلف ان الله تعالى اذا قضى
من السماء قضاء احب من اهل الارض ان يرضوا بقضايه وقال ابو الدردا
رضي الله عنه ذروة الايمان الصبر للحكم والرضا بالقدر وقال
عمر رضي الله عنه ما ابالي على اي حال اصبحت وامسيت من شدة او رخا
وقال الثوري يوما عند رابعة اللهم ارض عنا فقالت اما تستحي من الله ان تساله
الرضى وانت عنه غير راض فقال استغفر الله فقال جعفر ابن سليمان الضبعي
فمتى يكون العبد راضيا عن الله تعالى قالت اذا كان سروره بالمصيبة مثل سروره
بالنعمة وكان الفضيل يقول اذا استوى عنده المنع والعطا فقد رضي عن
الله تعالى وقال احمد بن ابي الحواري قال ابو سليمان الداراني ان الله
عز وجل من كرمه قد رضي عن عبيده بما رضي العبيد من مواليهم قلت وكيف ذلك
قال اليس مراد العبد من الخلق ان يرضى عنه مولاه قلت نعم قال فان محبة الله
من عبيده ان يرضوا عنه وقال سهل حظ العبيد من اليقين على قدر حظهم
من الرضا على قدر عيشهم من الله عز وجل وقد قال النبي صلى الله
عليه وسلم ان الله عز وجل بحكمه وجلاله جعل الروح والفرح في الرضا واليقين
وجعل الغم والحزن في الشك والسخط بيان حقيقة الرضا وتصوره فيما
يخالف الهوى اعلم ان من قال ليس فيما يخالف الهوا وانواع البلا الا الصبر

متى يكون العبد راضيا

فاما الرضا فلا يتصور فانما اتى من ناحية انكار المحبة فاذا ثبت تصور الحب لله
تعالى واستغراق الهم به فلا يخفى ان الحب يورث الرضا بافعال الحبيب ويكون
ذلك من وجهين احدهما ان يبطل الاحساس بالالم حتى يجري عليه المولم ولا يحس
وتصيبه جراحة وهو لا يحس بها حتى اذا راى الدم استدل به على الجراحة بل الذي
يغدو في شغل قريب قد تصيبه شوكة في قدمه ولا يحس بالم ذلك لشغل قلبه
بل الذي يحجم او يحلق راسه بحديدة كالة يتالم به فان كان مشغول القلب بمهم من
مهماته فرغ المزين والحجام وهو لا يشعر به وكل ذلك لان القلب اذا صار مستغرقا
بامر من الامور مستوفى به لم يدرك ما عداه فكذلك العاشق المستغرق الهم
بمعشوقه ومشاهدته او بحبه قد يصيبه ما كان يتالم به او يغتم له لولا عشقه ثم
لا يدرك غمه والمه لفرط استيلاء الحب على قلبه هذا اذا اصابه من غير حبيبه
فكيف اذا اصابه من حبيبه وشغل القلب بالحب والعشق من اعظم الشواغل واذا
تصور هذا في الم يسير بسبب حب خفيف تصور في الالم العظيم بالحب العظيم
فان الحب ايضا يتصور تضاعفه في القوة كما يتصور تضاعف الالم وكما يقوى
حب الصور الجميلة المدركة بحاسة البصر فكذا يقوى حب الصور الجميلة الباطنة
المدركة بنور البصيرة وجمال حضرة الربوبية وجلالها لا يقاس به جمال ولا جلال
فمن ينكشف له شيء منه فقد يبهره بحيث يدهش ويغشى عليه ولا يحس بما يجري عليه
فقد روي ان امراة فتح الموصلي عثرت فانقطع ظفرها فضحكت
فقيل لها اما تجدين الوجع فقالت ان لذة ثوابه ازال عن قلبي مرارة وجعه وكان
سهل رحمه الله به علة يعالج غيره منها ولا يعالج نفسه فقيل له في ذلك فقال
يا دوست ضرب الحبيب لا يوجع **واما الوجه الثاني** فهو ان يحس به ويدرك
الالم ولكن يكون راضيا به بل راغبا فيه مريدا له اعني بعقله وان كان كارها بطبعه
كالذي يلتمس من الفصاد الفصد والحجامة فانه يدرك الم ذلك الا انه راض به
وراغب فيه ومتقلد من الفصاد به منة بفعله فهذا حال الراضي بما يجري عليه
من الالم وكذلك كل من يسافر في طلب الربح يدرك مشقة السفر ولكن حبه لثمرة
سفره طيب عنده مشقة السفر وجعله راضيا بها ومهما اصابه بلية من الله
تعالى كان له يقين بان ثوابه الذي ادخر له فوق ما فاته رضي به ورغب فيه
واحبه وشكر الله تعالى عليه هذا اذ كان يلاحظ الثواب والاحسان الذي يجازى

مثال اهل المحبة

المثال

الكبر

تجاذبه عليه ويجوز ان يغلب الحب بحيث يكون حظ المحب في مراد حبيبه ورضاه لا لمعنى آخر وراءه فيكون مراد حبيبه ورضاه محبوبا عنده ومطلوبا وكل ذلك موجود في المشاهدات في حب الخلق وقد تواصفها المتواصفون في نظمهم ونثرهم ولا معنى له الا ملاحظة جمال الصورة الظاهرة بالبصر فان نظر الجمال فيما هو الا جلد على لحم ودم مشحون بالاقذار والاخباث بدايته من نطفة مذرة ونهايته جيفة قذرة وهو فيما بين ذلك يحمل العذرة وان نظر الى المدرك للجمال فهي العين الخسيسة التي تغلط فيما ترى كثيرا فترى الصغير كبيرا والكبير صغيرا والبعيد قريبا والقبيح جميلا فاذا تصور استيلاء هذا الحب فمن اين يستحيل ذلك في حب الجمال الازلي الابدي الذي لا منتهى لجماله المدرك بعين البصيرة التي لا يعتريها الغلط ولا يدور بها الموت بل يبقى بعد الموت حيا عند الله فرحا برزق الله مستفيدا بالموت مزيد تنبيه وانكشاف فهذا امر واضح من حيث النظر بعين الاعتبار ويشهد لذلك الوجود وحكايات احوال المحبين واقوالهم فقد قال شقيق من رأى ثواب الشدة لا يشتهي الخروج منها وقال الجنيد سألت سريا السقطي هل يجد المحب الم البلاء قال لا قلت وان ضرب بالسيف قال نعم وان ضرب بالسيف سبعين ضربة ضربة على ضربة وقال بعضهم احببت كل شيء حتى لو احب النار احببت دخول النار وقال بشر ابن الحارث مررت برجل وقد ضرب الف سوط في شرقية بغداد ولم يتكلم ثم حمل الى الحبس فتبعته فقلت له لم ضربت قال لاني عاشق فقلت ولم سكت قال لان معشوقي كان بحذائي ينظر الي فقلت ولو نظرت الى المعشوق الاكبر قال فزعق زعقة خر ميتا وقال يحيى ابن معاذ الرازي رحمه الله اذا نظر اهل الجنة الى الله تعالى ذهبت عيونهم في قلوبهم من لذة النظر الى الله تعالى ثمانية سنة ولا ترجع اليهم فما ظنك بقلوب وقعت بين جماله وجلاله اذا لاحظت جلاله هابت واذا لاحظت جماله تاهت وقال بشر رحمه الله قصدت عبادان في بدايتي فاذا انا برجل اعمى مجنون مجذوم قد صرع والنمل تأكل لحمه فرفعت رأسه فوضعته في حجري وانا اردد الكلام فلما افاق قال من هذا الفضولي الذي يدخل بيني وبين ربي لو قطعني اربا اربا ما ازددت له الا حبا فما رأيت بعد ذلك بين عبد وبين ربه نقمة فانكرتها وقال ابو عمرو محمد بن الاشعث ان اهل مصر مكثوا اربعة اشهر لم يكن لهم غذاء الا النظر الى وجه يوسف

عدم وجدان ألم البلاء والضرب المشقة

رؤية الله

نظر اهل مصر الى يوسف عم

الصديق عليه السلام كانوا اذا جاعوا نظروا الى وجهه فشغلهم جماله عن
الاحساس بالم الجوع بل في القرآن ما هو ابلغ من ذلك وهو قطع النسوة ايديهن
لاستغراقهن بملاحظة جماله حتى ما احسسن بذلك وقال سعيد بن احمد ۞
رأيت بالبصرة في خان عطا بن مسلم شابا وفي يده مدية وهو ينادي باعلا صوته والناس
حوله وهو يقول ۞ ۞ ۞

• يوم الفراق من القيامة اطول • والموت من الم الفراق اجمل •
• قالوا الرحيل غدا فلست براحل • لكن مهجتي التي تترحل •

ثم بجر بالمدية بطنه وخر ميتا فسألت عنه وعن امره فقيل انه يهوى فتى للملوك
حجب عنه يوما واحدا ويروى ان يونس قال لجبريل عليهما السلام
دلني على اعبد اهل الارض فدله على رجل قد قطع الجذام يديه ورجليه وذهب
بصره فسمعته وهو يقول الهي متعتني بهما ما شئت انت وسلبتني ما شئت انت
وابقيت لي فيك الامل يا بار يا وصول ۞ ويروى عن عبد الله رضي الله عنه انه اشتكى
له ابن فاشتد وجده عليه حتى قال بعض القوم لقد خشينا على الشيخ ان حدث بهذا
الغلام حدث فمات الغلام فخرج ابن عمر وما رجل ابدا سرورا منه فقيل له في
ذلك فقال ابن عمر انما كان حزني رحمة له فلما وقع امر الله رضينا به وقال
مسروق كان رجل بالبادية له كلب وحمار وديك فالديك يوقظهم للصلاة والحمار
ينقلون عليه الماء ويحمل لهم خباهم والكلب يحرسهم فجاء الثعلب فاخذ الديك
فحزنوا له وكان الرجل صالحا فقال عسى ان يكون خيرا ثم جاء ذيب فخرق بطن الحمار
فقتله فحزنوا عليه ثم قال الرجل عسى ان يكون خيرا ثم اصيب الكلب بعد ذلك
فقال عسى ان يكون خيرا ثم اصبحوا ذات يوم فنظروا واذا قد سبي من حولهم
وبقوا هم قال وانما اخذوا اولئك لما كان عندهم من اصوات الكلاب والحمير والديكة
وكانت الخيرة لهؤلاء في هلاك هذه الحيوانات كما قدره الله تعالى فاذا من عرف خفي
لطف الله تعالى رضي بفعله على كل حال ويروى ان عيسى عليه السلام مر برجل اعمى
ابرص مقعد مضروب الجنبين بفالج قد تناثر لحمه من الجذام وهو يقول الحمد لله
الذي مما ابتلى به كثيرا من خلقه فقال له عيسى يا هذا اي شيء من البلاء مصروفا
عنك فقال يا روح الله انا خير ممن لم يجعل الله في قلبه ما جعل في قلبي من معرفته
فقال له صدقت هات يدك فناوله يده فاذا هو احسن الناس وجها وافضلهم هيئة

الرضاء بالقضاء والبلا

هيئة قد اذهب الله عنه ما كان فصحب عيسى النبي عليه السلام وتعبد معه
وقطع عروة ابن الزبير رجله من ركبته من اكلة خرجت بها قال الحمد لله
الذي اخذ مني واحدة وايمك لئن كنت اخذت لقد ابقيت ولئن كنت ابتليت
لقد عافيت ثم لم يدع ورده تلك الليلة وكان ابن مسعود رضي الله عنه يقول
الفقر والغنى مطيتان ما ابالي ايهما ركبت ان كان الفقر فان فيه الصبر وان كان
الغنى فان فيه البذل وقال ابو سليمان الداراني قد نلت من كل مقام
حالا الا الرضى فما لي منه الا مشام الريح وعلى ذلك لو ادخل الخلائق كلهم الجنة
وادخلني النار كنت بذلك راضيا وقيل لعارف اخر هل نلت غاية الرضى عنه
فقال اما فلا ولكن مقام من الرضى نلته لو جعلني جسرا على جهنم تعبر الخلائق علي
الى الجنة ثم ملأ بي جهنم تحلة لقسمه وبدلا من خليقته لاحببت ذلك من حكمه
ورضيت به من قسمه وهذا كلام من علم ان الحب قد استغرق همه حتى منعه
الاحساس بالم النار فان بقي احساس فيغمره ما يحصل من لذته في استشعاره
حصول رضى محبوبه بالقائه اياه في النار واستيلاء هذه الحالة غير محال في نفسه
وان كان بعيدا من احوالنا الضعيفة ولكن لا ينبغي ان يستنكر الضعيف المحروم
احوال الاقوياء ويظن ان ما هو عاجز عنه يعجز عنه الاولياء وقال الروذباري قلت
لابي عبد الله الجلا الدمشقي قول فلان وددت ان جسدي قرض بالمقاريض
وان الخلق اطاعوه ما معناه فقال يا هذا ان كان هذا من طريق الاشفاق
والنصح للخلائق فاعرف وان كان من طريق التعظيم والاجلال فلا اعرف قال
ثم غشي عليه وقد كان عمران ابن الحصين قد استسقى بطنه فبقي ملقى على ظهره
ثلثين سنة لا يقوم ولا يقعد وقد نقب له في سرير من جريد كان عليه موضع
لقضاء حاجته فدخل عليه مطرف واخوه العلاء فجعل يبكي لما يرى من حاله فقال
لم تبكي قال لاني اراك على هذه الحالة العظيمة قال لا تبك فان احبه الى الله احبه
الي ثم قال احدثك شيئا لعل الله ان ينفعك به واكتم علي حتى اموت ان الملائكة
تزورني فآنس بها وتسلم علي فاسمع تسليمها فاعلم بذلك ان هذا البلاء ليس بعقوبة
اذ هو سبب هذه النعمة الجسيمة فمن يشاهد هذا في بلائه كيف لا يكون راضيا
قال ودخلنا على سويد ابن متعبة نعوده فرأينا ثوبا ملقى فما ظننا ان تحته
شيئا حتى كشف فقالت له امرأته اهلي فداؤك ما نطعمك وما نسقيك فقال طالت

الفقر والغنى

الرضاء بالنار وجسر جهنم

الابتلاء بالبلاء والرضاء به

الصحيحة ودبرت الخرائف واصبحت نضواً لا اطعم طعماً ولا اسيغ شراباً منذ كذا
كذا اياما وما ايسر في اني نقصت من هذا قلامة ظفر ولما قدم سعد
ابن ابي وقاص بلا مكة وكان قد كف بصره جاءه الناس يهرعون اليه كل واحد
يسأله ان يدعو له فيدعو لهذا ولهذا وكان مجاب الدعوة قال عبد الله بن السائب
فأتيته وانا غلام فتعرفت اليه فعرفني وقال انت قاري اهل مكة قلت نعم
فذكر قصة قال في اخرها فقلت يا عم انت تدعو للناس فلو دعوت لنفسك فرد الله
عليك بصرك فتبسم وقال يا بني قضاء الله عندي احسن من بصري • وضاع
لبعض الصوفية ولد صغير ثلاثة ايام فلم يعرف له خبر فقيل له لو سألت الله تعالى
ان يرده عليك فقال اعتراضي عليه فيما قضى اشد علي من ذهاب بصري وولدي
وعن بعض العباد انه قال اذنبت ذنباً عظيماً فانا ابكي عليه منذ ستين سنة وكان
قد اجتهد في العبادة لاجل التوبة من ذلك الذنب فقيل له وما هو قال قلت مرة
لشيء كان ليته لم يكن وقال بعض السلف لو قرض جسمي بالمقاريض لكان احب الي ان
اقول لشيء قضاه الله ليته لم يقضه • وقيل لعبد الواحد بن زيد ها هنا رجل
قد تعبد خمسين سنة فقصده فقال له حبيبي خبرني عنك هل قنعت به قال لا
فقال هل انست به قال لا قال فهل رضيت عنه قال لا قال فانما مزيدك منه
الصوم والصلاة قال نعم قال لولا اني استحيي منك لاخبرتك بان معاملتك خمسين
سنة مدخولة ومعناه انك لم يفتح لك القلب فتترقى في درجات القرب باعمال
القلوب وانما انت تعد في طبقة اصحاب اليمين لان مزيدك منه في اعمال الجوارح
التي هي مزيد اهل العموم • ودخل جماعة من الناس على الشبلي رحمه الله في
مارستان قد حبس فيه وقد جمع بين يديه حجارة فقال من انتم فقالوا محبوك
فاقبل عليهم يرميهم بالحجارة فتهاربوا فقال ما بالكم ادعيتم محبتي ان صدقتم
فاصبروا على بلائي وللشبلي رحمه الله

• ان المحبة للرحمن اسكرني • وهل رأيت محباً غير سكران •

وقال بعض اهل الشام كلكم يلقى الله عز وجل مصدقاً ولعله قد كذبه وذلك ان
احدكم لو كان له اصبع من ذهب ظل يشير بها ولو كان بها شلل ظل يواريها
يعني بذلك ان الذهب مذموم عند الله والناس يتباهون به والبلاء زينة
اهل الاخرة وهم يستنكفون منه • وقيل انه وقع الحريق في السوق

الرضاء بالقضاء

العار بالبلاء

البلا

السوق فقيل للسري احترق السوق وما احترق دكانك فقال الحمد لله ثم
قال كيف قلت الحمد لله على سلامتي دون المسلمين فتاب من التجارة وترك الحانوت
بقية عمره توبة واستغفارا من قوله الحمد لله فإذا تأملت هذه الحكايات ٥
عرفت قطعا ان الرضى بما يخالف الهوى ليس هو مستحيلا بل مقام عظيم من مقامات
أهل الدين ومهما كان ذلك ممكنا في حب الخلق وحظوظهم كان ممكنا في حق الله ٥
وحظوظ الآخرة قطعا وامكانه من وجهين أحدهما الرضى بالالم لما يتوقع من
الثواب الموعود كالرضا بالفصد والحجامة وشرب الدواء انتظارا للشفاء
والثاني الرضا به لا لحظ وراءه بل لكونه مراد المحبوب ورضى له فقد يغلب الحب
بحيث ينغمر مراد المحب في مراد المحبوب فيكون ألذ الأشياء عنده سرور قلب
محبه ورضاه ونفوذ ارادته ولو في هلاك روحه كما قيل ٥

• وما لجرح اذا ارضاكم ألم ٥

وهذا ممكن مع الاحساس بالالم وقد يستولي الحب بحيث يدهش عن ادراك الالم
فالقياس والتجربة والمشاهدة دالة على وجوده ولا ينبغي ان ينكره من فقده من
نفسه لانه انما فقده لفقد سببه وهو فرط حبه ومن لم يذق طعم الحب لم
يعرف عجائبه فللمحبين عجائب أعظم مما وصفناه وقد روي عن عمر ابن الحارث
الرافقي قال كنت بمجلس بالرقة عند صديق لي وكان معنا فتى يتعشق جارية ٥
مغنية وكانت معنا في المجلس فضربت بالقضيب وغنت •

• علامة ذل الهوى على العاشقين البكا •
• ولا سيما عاشق اذا لم يجد مشتكى •

فقال الفتى احسنت والله يا سيدتي أفتأذنين لي ان اموت فقالت مت
راشدا قال فوضع راسه في الوسادة واطبق فمه وغمض عينيه فحركناه
فإذا هو ميت وقال الجنيد رأيت رجلا متعلقا بكم صبي وهو يتضرع
إليه ويظهر له المحبة فالتفت اليه الصبي وقال له الى متى ذا النفاق ٥
الذي تظهر فقال قد علم الله اني صادق فيما أورده حتى لو قلت لي مت
لمت فقال ان كنت صادقا فمت قال فتنحى الرجل وغمض عينيه فوجد ميتا
وقال سمنون المحب كان في جيراننا رجل وله جارية يحبها غاية الحب
فاعتلت الجارية فجلس الرجل ليصلح حيسا فبينا هو يحرك الحيس اذ قالت الجارية

حكاية في الرضا

مثال الرضى بالألم والبلاء

العاشق للموت

العشق الى الولد

آه قال فدهش الرجل وسقطت المعلقة من يده وجعل يحرك ما في القدر بيده حتى سقطت أصابعه فقالت الجارية ما هذا قال هذا موضع قولك آه

وحكي عن محمد بن عبد الله البغدادي قال رأيت بالبصرة شابا على سطح مرتفع وقد أشرف على الناس وهو يقول

من مات عشقا فليمت هكذا ۞ لا خير في عشق بلا موت

ثم رمى بنفسه إلى الأرض فحملوه ميتا فهذا وأمثاله قد يصدق به في حب المخلوق فالتصديق به في حب الخالق أولى لأن البصيرة الباطنة أصدق من البصر الظاهر وجمال الحضرة الربانية أوفى من كل جمال بل كل جمال في العالم فهو حسنة من حسنات ذلك الجمال نعم الذي فقد البصر ينكر جمال الصور والذي فقد السمع ينكر لذة الألحان والنغمات الموزونة فالذي فقد القلب لا بد وأن ينكر أيضا هذه اللذات التي لا مظنة لها سوى القلب

بيان الدعاء

غير مناقض للرضا

ولا يخرج صاحبه عن مقام الرضا وكذلك كراهة المعاصي ومقت أهلها ومقت أسبابها والسعي في إزالتها بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لا يناقضه أيضا وقد غلط في ذلك بعض البطالين والمغترين وزعم أن المعاصي والكفر والفجور من قضاء الله تعالى وقدره فيجب الرضا به وهذا جهل بالتأويل وغفلة عن أسرار الشرع فأما الدعاء فقد تعبدنا به وكثرة دعوات رسول الله صلى الله عليه وسلم في أعلى المقامات من الرضى ولقد أثنى الله تعالى عن بعض عباده بدعون ندعوننا رغبا ورهبا وأما إنكار المعاصي وكراهتها وعدم الرضا بها فقد تعبد الله تعالى به عباده وذمهم على الرضا به فقال ورضوا بالحياة الدنيا واطمأنوا بها وقال تعالى رضوا بأن يكونوا مع الخوالف وطبع الله على قلوبهم وفي الخبر المشهور من شهد منكرا ورضي به فكأنه قد فعله وفي الحديث الدال على الخير كفاعله وفي حديث الدال وعن ابن مسعود رضي الله عنه إن العبد ليغيب عن المنكر ويكون عليه مثل وزر صاحبه قيل وكيف ذلك قال يبلغه فيرضى به

الموت للعشق

الرضا بالمنكر عند غيبته

فيرضى به وفي الخبر لو ان عبدا قتل بالمشرق ورضي بقتله آخر بالمغرب فقد كان
شريكا في قتله وقد امر الله تعالى بالحسد والمنافسة في الخيرات وتوقي الشرور
فقال تعالى وفي ذلك فليتنافس المتنافسون وقال النبي صلى الله عليه
وسلم لا حسد الا في اثنين رجل آتاه الله حكمة فهو يبثها في الناس ويعلمها
ورجل آتاه الله مالا فسلطه الله على هلكته في الحق وفي لفظ آخر
ورجل آتاه الله القرآن فهو يقوم به آناء الليل والنهار فيقول الرجل لو آتاني
الله مثل ما اوتي هذا لفعلت مثل ما يفعل واما بغض الكفار والفجار والانكار
عليهم ومقتهم فما ورد فيه من شواهد القرآن والاخبار لا يحصى مثل قوله تعالى
لا يتخذ المؤمنون الكافرين اولياء وقال تعالى وكذلك نولي بعض الظالمين
بعضا وفي الخبر ان الله تعالى اخذ الميثاق على كل مؤمن ان يبغض كل منافق وعلى
كل منافق ان يبغض كل مؤمن وقال عليه السلام المرء مع من احب وقال من احب
قوما ووالاهم حشر معهم يوم القيمة وقال صلى الله عليه وسلم اوثق عرى
الايمان الحب في الله والبغض لله وشواهد هذا ذكرناها في بيان الحب والبغض في
الله من كتاب آداب الصحبة وفي كتاب الامر بالمعروف فلا نعيده فان قلت فقد وردت
الايات والاخبار بالرضى بقضاء الله تعالى فان كانت المعاصي بغير قضاء الله فهو محال
وهو قادح في التوحيد وان كانت بقضاء الله تعالى فكراهتها ومقتها كراهة
لقضاء الله تعالى فكيف السبيل الى الجمع وهو متناقض على هذا الجمع وكيف الجمع
بين الرضا والكراهة في شيء واحد فاعلم ان هذا مما يلتبس على الضعفاء القاصرين
عن الوقوف على اسرار العلوم وقد التبس على قوم حتى راوا السكوت عن
المنكر مقاما من مقامات الرضا وسموه حسن خلق وهو جهل محض بل نقول
الرضى والكراهة يتضادان اذا تواردا على شيء واحد من جهة واحدة على
وجه واحد وليس من التضاد في شيء واحد ان يكره من وجه ويرضى من وجه
اذ قد يموت عدوك الذي هو ايضا عدو بعض اعدائك وساع في اهلاكه
فيكره موته من حيث انه مات عدو عدوك ويرضاه من حيث انه مات عدوك
وكذلك المعصية لها وجهان وجه الى الله تعالى من حيث انه فعله واختياره
وارادته فيرضى به من هذا الوجه تسليما للملك الى مالك الملك ورضى بما يفعله
فيه ووجه الى العبد من حيث انه كسبه ووصفه وعلامة كونه ممقوتا عند الله

الحسد

المؤمن يحشر مع من احب

مطلب

السكوت عن المنكر

يرضى [illegible]
او المقت او المقت

علامة كونه ممقوتا عند الله ومثالها

وبغيضاً عنده من حيث سلط عليه أسباب البعد والمقت فهو من هذا الوجه منكر
ومذموم ولا ينكشف هذا لك الا بمثال فلنفرض محبوباً من الخلق قال بين يدي
محبيه انما اريد ان اميز بين من يحبني ويبغضني وانصب فيه معياراً صادقاً وميزاناً
ناطقاً وهو اني اقصد الى فلان فاؤذيه واضربه ضرباً يضطره ذلك الى الشتم
لي حتى اذا شتمني ابغضته واتخذته عدواً لي فكل من احبه فاعلم انه ايضاً عدو
لي وكل من ابغضه فاعلم انه صديقي ومحبي ثم فعل ذلك وحصل مراده من الشتم
الذي هو سبب البغض وحصل البغض الذي هو سبب العداوة فحق على كل من هو صادق
في محبته وعالم بشروط المحبة ان يقول اما تدبيرك في ايذاء هذا الشخص وضربه
وابعاده وتعرضك اياه للبغض والعداوة فانا محب له وراض به فانه رأيك
وتدبيرك وفعلك وارادتك واما شتمه اياك فانه عدوان من جهته اذ كان حقه
ان يصبر ولا يشتم ولكنه كان مرادك منه فانك قصدت بضربه استنطاقه
بالشتم الموجب للمقت فهو من حيث انه حصل على وفق مرادك وتدبيرك الذي دبرته
فانا راض به ولو لم يحصل لكان ذلك نقصاناً في تدبيرك وتعويقاً في مرادك
وانا كاره لفوات مرادك ولكنه من حيث انه وصف لهذا الشخص وكسب له
وعدوان وتهجم منه عليك على خلاف ما يقتضيه جمالك اذ كان ذلك يقتضي
ان يحتمل منك الضرب ولا يقابل بالشتم فانا كاره له من حيث نسبته اليه ومن
حيث هو وصف له لا من حيث هو مرادك ومقتضى تدبيرك واما بغضك له
بسبب شتمك فانا راض به ومحب له لانه مرادك وانا على موافقتك ايضاً مبغض
له لان شرط المحب ان يكون لحبيب المحبوب حبيباً ولعدوه عدواً واما بغضه
لك فاني ارضاه من حيث انك اردت ان يبغضك اذ ابعدته عن نفسك وسلطت
عليه دواعي البغض ولكني ابغضه من حيث انه وصف ذلك المبغوض وكسبه
وفعله وامقته لذلك لذلك فهو ممقوت عندي لمقته اياك وبغضه ومقته
لك ايضاً مكروه عندي من حيث انه مرادك مرضي ومن حيث انه مراد لك مكروه
فاما اذا كان مكروهاً لا من حيث انه فعله ومراده بل من حيث انه وصف غيره
وكسبه فهذا لا تناقض فيه ويشهد لذلك ما يكره من وجه ويرضى به من وجه
ونظائر ذلك لا تحصى فاذن تسليط الله تعالى دواعي الشهوة والمعصية عليه
حتى يجره ذلك الى حب المعصية ويجره الحب الى حب المعصية ويجره الحب

الحب اي فعل المعصية يضاهي ضرب المحبوب للشخص الذي ضربنا مثلاً بجره
الضرب الي الغضب والغضب اي الشتم ومقت الله تعالي لمن عصاه وان كانت
معصيته بتدبيره يشبه بغض المشتوم لمن شتمه وان كان شتمه انما حصل
بتدبيره واختياره وفعل الله تعالي ذلك بكل عبد من عبيده اعني تسلط دواعي
المعصية عليه يدل علي انه سبقت مشيته بابعاده ومقته فواجب علي كل عبد
محب لله تعالي ان يبغض من ابغضه الله ويمقت من مقته الله ويعادي من
ابعده الله عن حضرته وان اضطره بقهره وقدرته الي معاداته ومخالفته
فانه بعيد مطرود ملعون عن الحضرة وان كان بعيداً بابعاده قهراً ومطروداً
بطرده اضطراراً والمبعد عن درجات القرب ينبغي ان يكون ممقوتاً بغيضاً
الي جميع المحبين موافقة للمحبوب باظهار الغضب علي من اظهر المحبوب الغضب
عليه بابعاده وبهذا تتقرر جميع ما وردت به الاخبار من البغض في الله تعالي
والتشديد علي الكفار والتغليظ عليهم والمبالغة في مقتهم مع الرضي بقضاء
الله تعالي من حيث انه قضاء الله عز وجل وهذا كله يستمد من سر القدر الذي
لا رخصة في افشائه وهو ان الخير والشر كلاهما داخلان في المشية والارادة
ولكن الشر مراد مكروه والخير مراد مرضي فمن قال ليس الشر من الله فهو
جاهل وكذا من قال انهما جميعاً منه من غير افتراق في الرضي والكراهة
فهو ايضاً مقصر وكشف الغطاء عنه غير ماذون فيه فالاولي السكوت والتادب
بادب الشرع فقد قال صلي الله عليه وسلم القدر سر الله تعالي
فلا تفشوه وذلك متعلق بعلم المكاشفة وغرضنا الان بيان الامكان فيما
تعبد به الخلق من الجمع بين الرضا بقضاء الله تعالي ومقت المعاصي مع انها
من قضاء الله تعالي وقد ظهر الغرض من غير حاجة الي كشف السر فيه
وبهذا يعرف ايضاً ان الدعاء بالمغفرة والعصمة من المعصية وساير الاسباب المعينة
علي الدين غير مناقض للرضا بقضاء الله فان الله تعالي تعبد العباد بالدعاء
ليستخرج الدعاء منهم صفاء الذكر وخشوع القلب ورقة الطبع والتضرع
ويكون ذلك جلاء للقلب ومفتاحاً للكشف وسبباً لتواتر مزايا اللطف كما ان
حمل الكوز وشرب الماء ليس مناقضاً للرضا بقضاء الله تعالي في العطش وشرب
الماء طلب لازالة العطش ومباشرة سبب رتبه مسبب الاسباب فكذلك

فكذلك الدعا سبب رتبه الله تعالى وأمر به وقد ذكرنا ان التمسك بالاسباب ۞ جريا على سنة الله تعالى لا يناقض التوكل واستقصيناه في كتاب التوكل فهو ايضا لا يناقض الرضا لان الرضا مقام ملاصق للتوكل ويتصل به نعم اظهار البلا في معرض الشكوى وانكاره بالقلب على الله تعالى مناقض للرضا ۞ واظهار البلا على سبيل الشكر والكشف عن قدرة الله تعالى لا يناقض ۞ وقال بعض السلف من حسن الرضا بقضاء الله تعالى ان لا يقول هذا يوم حار اي في معرض الشكوى وذلك في الصيف فاما في الشتا فهو شكر والشكوى مناقض للرضا بكل حال وذم الاطعمة وعيبها يناقض الرضا بقضا الله لان مذمة الصنعة مذمة للصانع والكل من صنع الله وقول القايل الفقر بلا ومحنة والعيال تعب وهم والاحتراف كد ومشقة كل ذلك قادح في الرضا بل ينبغي ان يسلم التدبير لمدبره والمملكة لمالكها ويقول ما قال عمر رضي الله عنه لا ابالي اصبحت غنيا او فقيرا فاني لا ادري ايهما خير لي ۞

بيان الفرار من البلاد التي هي مظان المعاصي ومذمتها لا يقدح في الرضا ۞

اعلم ان الضعيف قد يظن ان نهي رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الخروج من بلد ظهر فيه الطاعون يدل على النهي عن الخروج من بلد ظهرت فيه المعاصي لان كل واحد منهما فرار من قضاء الله تعالى وذلك محال بل العلة في النهي عن مفارقة البلد انه لو فتح الباب لارتحل عنه الاصحا وبقي فيه المرضى مهملين لا متعهد لهم فيهلكون هزلا وضرا ولذلك شبهه رسول الله صلى الله عليه وسلم في بعض الاخبار بالفرار من الزحف ولو كان ذلك الفرار من القضا لما اذن لمن قارب البلد في الانصراف وقد ذكرنا حكم ذلك في كتاب التوكل واذا عرف المعنى ظهر ان الفرار من البلاد التي هي مظان المعاصي ليس فرارا من القضا بل من القضا الفرار مما لا بد من الفرار منه وكذلك مذمة المواضع التي تدعو الى المعاصي والاسباب التي تدعو اليها لاجل التنفير عن المعصية ليس مذموما فما زال السلف الصالحون يعتادون ذلك حتى اتفق جماعة على ذم بغداد

الرضاء بالقضاء

الفرار

بغداد واظهار ذمه لها وطلب الفرار منها فقال ابن المبارك قد طفت الشرق والغرب
فما رأيت شرا من بغداد قيل وكيف قال هو بلد تزدرى فيه نعمة الله ويستصغر
فيه معصية الله ولما قدم خراسان قيل له كيف رأيت بغداد قال ما رأيت بها
الا شرطيا غضبان او تاجرا لهفان او قاريا حيران ولا ينبغي ان يظن ذلك
من الغيبة لانه لم يتعرض لشخص بعينه حتى يستضر ذلك الشخص به وانما قصد
بذلك تحذير الناس وكان يخرج الى مكة وكان مقامه ببغداد ريثما تستعد
القافلة ستة عشر يوما فكان يتصدق بستة عشر دينارا لكل يوم دينار كفارة
لمقامه وقد ذم العراق جماعة عمر بن عبد العزيز وكعب الاحبار وقال
ابن عمر رضي الله عنه لمولى له اين تسكن فقال العراق قال فما تصنع به بلغني انه
ما من احد يسكن العراق الا قيض الله له قرينا من البلاء وذكر كعب الاحبار يوما
العراق فقال فيه تسعة اعشار الشر وفيه الداء العضال وقد قيل قسم الخير عشرة اجزاء
فتسعة اعشاره بالشام وعشره بالعراق وقسم الشر عشرة اجزاء على العكس من ذلك
وقال بعض اصحاب الحديث كنا يوما عند الفضيل ابن عياض فجاءه صوفي متدرع بعباءة
فاجلسه الى جانبه واقبل عليه ثم قال اين تسكن قال بغداد فاعرض
عنه وقال يأتينا احدهم في زي الرهبان فاذا سألناه اين تسكن قال في عش الظلمة
وكان بشر ابن الحارث يقول مثال المتعبد ببغداد مثال المتعبد في الحش وكان يقول لا
تقتدوا بي في المقام بها من اراد ان يخرج فليخرج وكان احمد بن حنبل يقول لولا
تعلق هؤلاء الصبيان بنا كان الخروج من هذا البلد اثر في نفسي قيل واين تختار
السكنى قال بالثغور وقال بعضهم وقد سئل عن اهل بغداد فقال
زاهدهم زاهد وشريرهم شرير فهذا يدل على ان من بلي ببلدة تكثر فيها
المعاصي ويقل فيها الخير ولا عذر له في المقام بها بل ينبغي ان يهاجر قال الله تعالى
الم تكن ارض الله واسعة فتهاجروا فيها فان منعه عن ذلك عيال او علاقة
فينبغي ان لا يكون راضيا بحاله مطمئن النفس اليه بل ينبغي ان يكون منزعج
القلب منها قائلا على الدوام ربنا اخرجنا من هذه القرية الظالم اهلها وذلك
لان الظلم اذا عم نزل البلاء ودمر على الجميع وشمل المطيعين والعاصين قال الله
تعالى واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة فاذن ليس في شيء من
اسباب نقصان الدين البتة رضا مطلقا الا من حيث اضافتها الى فعل الله تعالى ك

الهجرة من البلد

الظلم سبب لنزول البلاء

فأما هي في نفسها فلا وجه للرضى بها بحال وقد اختلف العلماء في الأفضل من أهل
مقامات ثلاثة رجل يحب الموت شوقا إلى الله تعالى ورجل يحب البقاء لخدمة المولى
ورجل قال لا أختار شيئا بل أرضى بما اختاره الله تعالى لي ورفعت هذه
المسألة إلى بعض العارفين فقال صاحب الرضا أفضلهم لأنه أقلهم فضولا
واجتمع ذات يوم وهيب ابن الورد وسفيان الثوري ويوسف ابن اسباط فقال
الثوري كنت أكره موت الفجاءة قبل اليوم واليوم وددت أني ميت فقال له يوسف
لم قال لما أتخوف من الفتنة فقال يوسف لكني لا أكره طول البقاء فقال سفيان
لم قال لعلي أصادف يوما أتوب فيه فقيل لوهيب ايش تقول أنت فقال أنا لا
أختار شيئا أحب ذلك إلي أحبه إلى الله تعالى فقبل الثوري بين عينيه وقال
روحانية ورب الكعبة

بيان جملة من حكايات المحبين

وأقوالهم ومكاشفاتهم

قيل لبعض العارفين إنك محب فقال لست محبا إنما أنا محبوب والمحب متعوب
وقيل له أيضا الناس يقولون إنك واحد من السبعة فقال أنا كل السبعة
وكان يقول إذا رأيتموني فقد رأيتم أربعين بدلا قيل وكيف وأنت شخص واحد
قال لأني رأيت أربعين بدلا وأخذت عن كل بدل خلقا من أخلاقه وقيل له بلغنا
أنك ترى الخضر فتبسم وقال ليس العجب ممن يرى الخضر إنما العجب ممن يريد الخضر
أن يراه فيحتجب عنه وحكي عن الخضر عليه السلام قال ما حدثت نفسي يوما
قط أنه لم يبق ولي لله تعالى إلا عرفته إلا ورأيت في ذلك اليوم وليا لم أعرفه
وقيل لأبي يزيد البسطامي مرة حدثنا عن مشاهدتك من فصاح الله
تعالى فقال ويلكم لا يصلح لكم أن تعلموا ذلك قيل فحدثنا بأشد مجاهدتك لنفسك
في الله تعالى فقال وهذا أيضا لا يجوز أن أطلعكم عليه قيل فحدثنا عن رياضة نفسك
في بدايتك فقال نعم دعوت نفسي إلى الله تعالى فجمحت فعزمت علي أن لا أشرب الماء
سنة ولا أذوق النوم سنة فوفت لي بذلك وحكي عن يحيى بن معاذ

العبادة

معاذ انه رأى ابا يزيد في بعض مشاهداته من بعد صلاة العشا الى طلوع الفجر
مستوفزا على صدور قدميه رافعا اخمصيه مع عقبيه عن الارض ضاربا بذقنه
على صدره شاخصا بعينيه لا يطرف قال ثم سجد عند السحر فاطال ثم قعد
فقال اللهم ان قوما طلبوك فاعطيتهم المشي على الماء والمشي في الهوا فرضوا بذلك
واني اعوذ بك من ذلك وان قوما طلبوك فاعطيتهم طي الارض فرضوا بذلك
واني اعوذ بك من ذلك حتى عد نيفا وعشرين مقاما من كرامات الاوليا قال
ثم التفت فرآني فقال يحيى فقلت نعم يا سيدي فقال مذ متى انت ههنا
قلت منذ حين فسكت فقلت يا سيدي حدثني بشي فقال احدثك بما يصلح لك
ادخلني في الفلك الاسفل فدورني في الملكوت السفلي واراني الارضين
وما تحتها الى الثرى ثم ادخلني في الملكوت العلوي فطوف بي في السموات واراني
ما فيها من الجنان الى العرش ثم وقفني بين يديه فقال سلني اي شي رأيت حتى
اهبه لك فقلت يا سيدي ما رأيت شيا استحسنته فاسلك اياه فقال انت
عبدي حقا تعبدني لاجلي صدقا لافعلن بك ولافعلن وذكر شيا قال يحيى فهالني
ذلك وامتلأت به وعجبت منه فقلت يا سيدي لم لا سالته المعرفة به
وقد قال لك ملك الملوك سلني ما شئت قال فصاح بي صيحة وقال اسكت
ويلك غرت عليه مني لا احب ان يعرفه سواه وحكي ان ابا تراب النخشبي
كان معجبا ببعض المريدين وكان يدنيه ويقوم بمصالحه والمريد مشغول بعبادته
ومواجيده فقال له ابو تراب يوما لو رأيت ابا يزيد فقال المريد اني عنه
مشغول فلما اكثر ابو تراب عليه من قوله لو رأيت ابا يزيد هاج وجد المريد
فقال ويحك ما اصنع بابي يزيد فقد رأيت الله تعالى فاغناني عن ابي يزيد
قال ابو تراب فهاج طبعي ولم املك نفسي فقلت ويلك تغتر بالله عز وجل
لو رأيت ابا يزيد مرة واحدة كان انفع لك من ان ترى الله سبعين مرة فبهت
الفتى من قوله وانكره فقال وكيف ذلك قال ويلك انما ترى الله عندك فيظهر
لك على مقدارك وترى ابا يزيد عند الله قد ظهر له على مقداره فعرف ما قلت
فقال احملني اليه فذكر قصة فقال في آخرها فوقفنا على تل ننتظره ليخرج
الينا من الغيضة وكان ياوي الى غيضة فيها سباع قال فمر بنا وقد قلب فروة
على ظهره فقلت للفتى هذا ابو يزيد فانظر اليه فنظر اليه الفتى فصعق فحركناه

مطلب

المكاشفات

فضل ابو يزيد بسطامي

رؤية الله

فاذا هو ميت فتعاونا على دفنه فقلت لابي يزيد يا سيدي نظرة اليه قتلته
قال لا ولكن كان صاحبكم صادقا واستكن في قلبه سر لم ينكشف له بوصفه
فلما رآنا انكشف له سر قلبه فضاق عن حمله لانه في مقام الضعفاء المريدين
فقتله ذلك ولما دخل الزنج البصرة فقتلوا الانفس ونهبوا الاموال
اجتمع الى سهل اخوانه فقالوا لو سألت الله تعالى دفعهم فسكت ثم قال ان لله عبادا
في هذه البلدة لو دعوا على الظالمين لم يصبح على وجه الارض ظالم الا مات في ليلة
واحدة ولكن لا يفعلون قيل لم قال لانهم لا يحبون ما لا يحب ثم ذكر من اجابة الله
تعالى اشياء لا يستطاع ذكرها حتى قال ولو سألوه ان لا يقيم الساعة لم يقمها وهذه امور
ممكنة في انفسها فمن لم يحظ بشيء منها فلا ينبغي ان يخلو عن التصديق والايمان بامكانها
فان القدرة واسعة والفضل عظيم وعجائب الملك والملكوت كثيرة ومقدورات الله
تعالى لا نهاية لها وفضله على عباده الذين اصطفى لا غاية له ولذلك كان ابو يزيد
يقول ان اعطاك مناجاة موسى وروحانية عيسى وخلة ابراهيم فاطلب ما وراء ذلك
فان عنده فوق ذلك اضعافا مضاعفة فان سكنت الى ذلك حجبك به وهذا بلاء
مثلهم ومن هو في مثل حالهم لانهم الامثل فالامثل وقد قال بعض العارفين
كوشفت باربعين حوراء رأيتهن يتساعين في الهواء عليهن ثياب من ذهب وفضة وجوهر
يتخشخش ويتثنى معهن فنظرت اليهن نظرة فعوقبت اربعين يوما ثم كوشفت
بعد ذلك بثمانين حوراء فوقهن في الحسن والجمال وقيل لي انظر اليهن قال فسجدت
وغمضت عيني في سجودي لئلا انظر اليهن وقلت اعوذ بك مما سواك لا حاجة لي
بهذا فلم ازل اتضرع حتى صرفهن عني فامثال هذه المكاشفات لا ينبغي
ان ينكرها المومن لافلاسه عن مثلها فلو لم يؤمن كل واحد الا بما يشاهده من نفسه
المظلمة وقلبه القاسي لضاق مجال الايمان عليه بل هذه احوال تظهر بعد مجاوزة
عقبات ونيل مقامات كثيرة ادناها الاخلاص واخراج حظوظ النفس
وملاحظة الخلق عن جميع الاعمال ظاهرا وباطنا ثم مكاتمة ذلك عن الخلق بستر الحال
حتى يبقى متحصنا بحصن الخمول فهذه اوائل سلوكهم واقل مقاماتهم وهي اعز
موجود في الاتقياء من الناس وبعد تصفية القلب عن كدورة الالتفات الى الخلق
يفيض عليه نور اليقين وينكشف له مبادي الحق وانكار ذلك دون التجربة وسلوك
الطريق يجري مجرى انكار من انكر انكشاف الصورة في الحديدة اذا شكلت ونقيت

المكاشفات

كرامة الاولياء

وَنُقِيَت وَصُقِلَتْ صُورَة بِصُورَة المرآة فنظر المنكر إلى ما في يده من زبرة حديد
مظلم قد استولى عليه الصدا والخبث وهو لا يحكي صورة من الصور فانكر انحكاء
المرائي فيها عند ظهور جوهرها وانكار ذلك غاية الجهل والضلال فهذا حكم
كل من انكر كرامات الاولياء اذ لا مستند له الا قصوره عن ذلك وقصور من راه
وبئس المستند ذلك في انكار قدرة الله تعالى بل انما يستروح روائح المكاشفة
من سلك شيئا ولو من مبادي الطريق كما قيل لبشر باي شيء بلغت هذه المنزلة
فقال كنت اكاتم الله تعالى حالي معناه اسأله ان يكتم علي ويخفي امري ٥

رؤية الخضر

وروي انه راى الخضر عليه السلام فقال له ادع الله تعالى لي فقال يسر الله عليك
طاعته فقلت زدني فقال وسترها عليك فقيل معناه وسترها عن الخلق
وقيل معناه سترها عنك حتى لا تلتفت انت اليها وعن بعضهم انه قال
اقلقني الشوق الى الخضر فسألت الله تعالى مرة ان يريني اياه ليعلمني شيئا كان
اهم الاشياء علي قال فرايته فما غلب على همي ولا همتي الا ان قلت له يا ابا
العباس علمني شيئا اذا قلته حجبت عن قلوب الخليقة فلم يكن لي فيها قدر
ولم يعرفني احد بصلاح ولا ديانة فقال قل اللهم اسبل علي كثيف سترك
وحط علي سرادقات حجبك واجعلني في مكنون غيبك واحجبني في قلوب
خلقك قال ثم غاب فلم اره ولم اشتق اليه بعد ذلك فما تركت اذا اقول هذه
الكلمات في كل يوم وحكي انه ما زال يستذل ويمتهن حتى كان اهل الذمة
يسخرون به ويستسخرونه في الطريق بحمل الاشيا لهم لسقوطه عندهم
وكان الصبيان يلعبون به فكانت راحته وجود قلبه واستقامة حاله في ذله
وخموله فهذا حال اولياء الله تعالى ففي امثالهم ينبغي ان يطلبوا والمغرورون
انما يطلبونهم تحت المرقعات والطيالسة وفي المشهورين من الخلق بالعلم
والورع والرياسة وغيرة الله على اوليائه تابى الا اخفاهم كما قال
تعالى اوليائي تحت قبابي لا يعرفهم غيري وقال صلى الله عليه وسلم
رب اشعث اغبر ذي طمرين لا يوبه له لو اقسم على الله لابره وبالجملة
فابعد القلوب عن هذه المعاني القلوب المتكبرة المعجبة بانفسها المستبشرة
بعلمها وعملها واقرب القلوب اليها القلوب المنكسرة والمستشعرة ذل
انفسها استشعارا اذا ذل واهتضم لم يحس بالذل كما لا يحس العبد بالذل

القلوب

التواضع

مهما رفع عليه مولاه فاذا لم يحس بالذل ولم يشعر ايضا بعدم التفاته الى الذل
بل كان عند نفسه اخس منزلة من ان يرى جميع انواع الذل ذلا في حقه بل يرى
نفسه دون ذلك حتى صار التواضع بالطبع صفة له فمثل هذا القلب يرجى له
ان يستنشق مبادي هذه الروايح فان فقدنا مثل هذا القلب وحرمنا مثل هذا
الروح فلا ينبغي ان يطرح الايمان بامكان ذلك لاهله فمن لا يقدر ان يكون من
اولياء الله تعالى فليكن محبا لاولياء الله تعالى مؤمنا بهم فعسى ان يحشر معهم
ويشهد له ما روي ان عيسى عليه السلام قال لبني اسرائيل اين ينبت الزرع
قالوا في التراب قال فبحق اقول لكم لا تنبت الحكمة الا في مثل التراب ولهذا
انتهى المريدون لولاية الله تعالى في طلب شروطها باذلال النفس الى منتهى الضعة
والخسة حتى روي ان ابن الكرنبي وهو استاذ الجنيد دعاه رجل ثلاث مرات
الى طعامه ثم كان يرده ثم يستدعيه فيرجع بعد ذلك حتى ادخله في المرة
الرابعة فسأله عن ذلك فقال قد رضيت نفسي على الذل عشرين سنة حتى

الدعوة

صارت بمنزلة الكلب يطرد فينطرد ثم يدعا فيرمى له عظم فيعود ولو رددتني
خمسين مرة ثم دعوتني بعد ذلك لاجبت وعنه ايضا انه قال نزلت في محلة فعرفت
فيها بالصلاح فتشتت قلبي فدخلت الحمام وعينت على ثياب فاخرة فسرقتها
ولبستها ثم لبست مرقعتي فوقها وخرجت وجعلت امشي قليلا فلحقوني
فنزعوا مرقعتي واخذوا الثياب ونزعوها وصفعوني واوجعوني ضربا
فصرت بعد ذلك اعرف بلص الحمام فسكنت نفسي فهكذا كانوا يروضون انفسهم

النظر الى النفس

حتى يخلصهم الله تعالى من النظر الى الخلق ثم من النظر الى النفس فان الملتفت
الى نفسه محجوب عن الله تعالى وشغله بنفسه حجاب له فليس بين القلب
وبين الله تعالى حجاب بعد وتخلل حايل وانما بعد القلوب شغلها بغيره او بنفسها
واعظم الحجب شغل النفس ولذلك حكي ان شاهدا عظيم القدر
من اعيان اهل بسطام كان لا يفارق مجلس ابي يزيد فقال له يوما يا ابا يزيد
انا منذ ثلاثين سنة اصوم الدهر لا افطر واقوم الليل لا انام ولا اجد
في قلبي من هذا العلم الذي تذكره شيئا وانا اصدق به واحبه فقال ابو
يزيد لو صمت ثلثمائة سنة وقمت لياليها ما وجدت ذرة قال ولم قال لانك
محجوب بنفسك قال فهذا دواء قال نعم قال قل لي حتى اعمله قال لا تقبله

تقبله قال فاذكره لي حتى اعمله قال اذهب الساعة الى المزين واحلق راسك
ولحيتك وانزع هذا اللباس واتزر بعباءة وعلق في عنقك مخلاة مملوءة جوزا
واجمع الصبيان حولك وقل من صفعني صفعة اعطيته جوزة وادخل السوق
وطف الاسواق كلها عند الشهود وعند من يعرفك وانت على ذلك فقال
الرجل سبحان الله تقول لي مثل هذا فقال ابو يزيد قولك سبحان الله شرك
قال فكيف قال لانك عظمت نفسك فسبحتها وما سبحت ربك فقال هذا لا افعله
ولكن دلني على غيره فقال ابتدئ بهذا قبل كل شيء فقال لا اطيقه فقال
قد قلت لك انك لا تفلح فهذا الذي ذكره ابو يزيد دوا من اعتل بنظره
الى نفسه ومرض بنظر الناس اليه ولا ينجي من هذا المرض دوا سوى هذا
وامثاله فمن لا يطيق الدوا فلا ينبغي ان ينكر امكان الشفا في حق من داوى
نفسه بعد المرض او لم يمرض بمثل هذا المرض اصلا فاقل درجات الصحة
الايمان بامكانها فويل لمن حرم هذا القدر القليل ايضا وهذه امور جلية
في الشرع واضحة وهي مع ذلك مستبعدة عند من يعد نفسه من علما الشرع
فقد قال النبي صلى الله عليه وسلم لا يستكمل العبد الايمان حتى يكون
قلة الشي احب اليه من كثرته وحتى يكون ان لا يعرف احب اليه من ان يعرف
وقال عليه السلام ثلاث من كن فيه استكمل ايمانه لا يخاف في الله لومة لائم
ولا يرائي بشي من عمله واذا عرض له امران احدهما للدنيا والاخر للاخرة
اثر امر الاخرة على امر الدنيا وقال عليه السلام لا يكمل ايمان العبد حتى
يكون فيه ثلاث خصال اذا غضب لم يخرجه غضبه عن الحق واذا رضي لم يدخله
رضاه في الباطل واذا قدر لم يتناول ما ليس له وفي حديث اخر ثلث
من اوتيهن فقد اوتي مثل ما اوتي ال داود العدل في الرضا والغضب
والقصد في الغنى والفقر وخشية الله في السر والعلانية فهذه شروط
ذكرها صلى الله عليه وسلم لاهل الايمان فالعجب ممن يدعي علم الدين ولا
يصادف في نفسه ذرة من هذه الشروط ثم يكون نصيبه من علمه وعقله
ان يجحد ما لا يكون الا بعد مجاوزة مقامات علية عظيمة ورا الايمان
وفي الاخبار ان الله تعالى اوحى الى بعض انبيائه انما اتخذ لخلتي
من لا يفتر عن ذكري ولا يكون له هم غيري ولا يؤثر علي شيا من

مطلب

الدواء

خلقي ولو حرق بالنار وجعا وان قطع بالمناشير لم يجد لمس الحديد المًا فمن لم يبلغ
الى ان يغلبه الحب الى هذا الحد فمن اين يعرف ما وراء الحب من الكرامات والمكاشفة
وكل ذلك وراء الحب والحب وراء كمال الايمان ومقامات الايمان وتفاوته في الزيادة
والنقصان لا حصر له ولذلك قال صلى الله عليه وسلم للصديق رضي الله عنه
ان الله قد اعطاك مثل ايمان كل من آمن من امتي واعطاني مثل ايمان كل من آمن به
من ولد آدم ومن حديث اخر ان لله تعالى ثلثماية خلق من لقيه بخلق منها مع التوحيد
دخل الجنة فقال ابو بكر يا رسول الله هل في خلق منها فقال كلها فيك يا ابا بكر
واحبها الى الله تعالى السخا وقال صلى الله عليه وسلم رايت ميزانا دلي
من السما فوضعت في كفة ووضعت امتي في كفة فرجحت بهم ووضع ابو بكر في
كفة وجي بامتي فوضعت في كفة فرجح بهم ومع هذا كله فقد كان استغراق رسول
الله صلى الله عليه وسلم بالله تعالى بحيث لم يتسع قلبه لخلة مع غيره فقال لو
كنت متخذا من الناس خليلا لاتخذت ابا بكر خليلا ولكن صاحبكم خليل الله يعني
نفسه

فضل ابو بكر الصديق

خاتمة الكتاب

كلمات متفرقة تتعلق بالمحبة ينتفع بها قال سفيان المحبة اتباع الرسول
صلى الله عليه وسلم وقال غيره دوام الذكر وقال غيره ايثار المحبوب
وقال بعضهم كراهية البقا في الدنيا وهذا كله اشارة الى ثمرات المحبة
فاما نفس المحبة فلم يتعرضوا لها وقال بعضهم المحبة معنى من المحبوب
قاهر للقلوب يعجز عن ادراكه وتمتنع الالسن عن عبارته وقال الجنيد
حرم الله المحبة على صاحب العلاقة وقال كل محبة تكون بعوض فاذا زال العوض
زالت المحبة وقال ذو النون قل لمن اظهر حب الله احذر ان تذل لغير الله
وقيل للشبلي رحمه الله صف لنا العارف والمحبة فقال العارف ان تكلم
هلك والمحب ان تكلم هلك

وقال الشبلي رحمه الله

يا ايها السيد الكريم • حبك بين الحشا مقيم •
يا رافع النوم عن جفوني • انت بما مر بي عليم •

ولعبرة

عجبت

عجبت لمن يقول ذكرت ربي • وهل انسى فاذكر ما نسيت •
اموت اذا ذكرتك ثم احيى • ولولا حسن ظني ما حييت •
فاحيى بالمنى واموت شوقا • فكم احيى عليك وكم اموت •
شربت الحب كاسا بعد كاس • فما نفد الشراب ولا رويت •
فليت خياله نصب لعيني • فان قصرت في نظري عميت •

وقالت رابعة العدوية يوما من يدلنا على حبيبنا فقالت خادمة لها حبيبنا معنا ولكن الدنيا قطعتنا عنه وقال ابن الجلاء رحمه الله اوحى الله تعالى الى عيسى عليه السلام اني اذا اطلعت على سر عبد فلم اجد فيه حب الدنيا والاخرة ملاته من حبي وتوليته بحفظي وقيل تكلم سمنون يوما في المحبة فاذا بطاير قد نزل بين يديه فلم يزل ينقر بمنقاره الارض حتى سال منه الدم فمات وقال ابراهيم ابن ادهم الهي انت تعلم ان الجنة لا تزن عندي جناح بعوضة في جنب ما اكرمتني من محبتك وانستني بذكرك وفرغتني للتفكر في عظمتك وقال السري من احب الله عاش ومن مال الى الدنيا طاش والاحمق يغدو ويروح في لاش وقيل لرابعة كيف حبك للرسول اني والله لاحبه حبا شديدا ولكن حب الخالق شغلني عن حب المخلوقين وسيل عيسى عليه السلام عن افضل الاعمال فقال الرضا عن الحق والحب لله وقال ابو يزيد المحب لا يحب الدنيا ولا الاخرة انما يحب من مولاه مولاه وقال الشبلي الحب دهش في لذة وحيرة في تعظيم وقيل المحبة ان تمحو اثرك عنك حتى لا يبقى فيك شي راجع منك اليك وقيل المحبة قرب القلب من المحبوب بالاستبشار والفرح وقال الخواص المحبة محو الارادات واحتراق جميع الصفات والحاجات وسيل سهل عن المحبة فقال عطف الله تعالى بقلب عبده لمشاهدته بعد الفهم للمراد منه وقيل معاملة المحب على اربع منازل على المحبة والهيبة في الحيا والتعظيم وافضلها التعظيم والمحبة لان هاتين المنزلتين تبقيان مع اهل الجنة في الجنة ويرفع عنهم غيرهما وقال هرم ابن حيان المومن اذا عرف ربه احبه واذا اقبل اليه احبه واذا وجد حلاوة الاقبال اليه لم ينظر الى الدنيا بعين الشهوة ولم ينظر الى الاخرة بعين الفترة وهي تحسره في الدنيا

محبة الله

وسروحه في الآخرة. وقال عبد الله بن محمد سمعت امرأة من المتعبدات
تقول وهي باكية والدموع على خدها جارية ولقد سئمت من الحياة حتى
لو وجدت الموت يباع لاشتريته شوقا إلى الله تعالى وحبا للقائه قال
فقلت لها فعلى ثقة انت من عملك قالت لا ولكن لحبي اياه وحسن ظني به أفتراه
يعذبني وانا احبه وأوحى الله تعالى إلى داود عليه السلام لو يعلم المدبرون
عني كيف انتظاري لهم ورفقي بهم وشوقي إلى ترك معاصيهم لماتوا شوقا
إلي وتقطعت أوصالهم من محبتي يا داود هذه ارادتي في المدبرين عني فكيف
ارادتي في المقبلين علي يا داود أحوج ما يكون العبد إلي إذا استغنى عني
وأرحم ما أكون بعبدي إذا أدبر عني وأجل ما يكون عندي إذا رجع إلي
وقال أبو خالد الصفار لقي نبي من الأنبياء عابدا فقال له
انكم معاشر العباد تعملون على أمر لسنا معاشر الأنبياء نعمل عليه انتم
تعملون على الخوف والرجاء ونحن نعمل على الشوق والمحبة وقال الشبلي
أوحى الله تعالى إلى داود عليه السلام يا داود ذكري للذاكرين
وجنتي للمطيعين وزيارتي للمشتاقين وأنا خاصة للمحبين وأوحى الله تعالى إلى
آدم من أحب حبيبا صدق قوله ومن انس بحبيب رضي فعله ومن اشتاق اليه
جد في مسيره وكان الخواص يضرب على صدره ويقول واشوقاه إلى من يراني
ولا أراه وقال الجنيد بكى يونس حتى عمي وقام حتى انحنى وصلى حتى
أقعد وقال وعزتك وجلالك لو كان بيني وبينك بحر من نار لخضته اليك شوقا
مني اليك وعن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال سألت رسول الله صلى الله
عليه وسلم عن سنته فقال المعرفة رأس مالي والعقل أصل ديني والحب
أساسي والشوق مركبي وذكر الله تعالى انيسي والثقة كنزي والحزن رفيقي
والعلم سلاحي والصبر ردائي والرضا غنيمتي والعجز فخري والزهد
حرفتي واليقين قوتي والصدق شفيعي والطاعة حسبي والجهاد خلقي
وقرة عيني في الصلاة. وقال ذو النون سبحان من جعل الأرواح جنود
مجندة فأرواح العارفين جلالية قدسية فلذلك اشتاقوا إلى الله تعالى
وأرواح المؤمنين روحانية فلذلك حنوا إلى الجنة وأرواح الغافلين هوائية
فلذلك مالوا إلى الدنيا قال بعض المشايخ رأيت في جبل اللكام رجلا اسمه

ترك المعاصي

مطلب

أصفر اللون ضعيف البدن وهو يقفز من حجر إلى حجر ويقول

الشوق والهوى صيراني كما ترى

ويقال الشوق نار الله أشعلها في قلوب أوليائه حتى يحرق بها ما في قلوبهم من الخواطر والإرادات والعوارض والحاجات فهذا القدر كاف في شرح المحبة والأنس والشوق والرضا فلنقتصر عليه والله الموفق للصواب

هذا آخر كتاب الشوق والمحبة

يتلوه إن شاء الله تعالى كتاب النية والإخلاص
والصدق إن شاء الله الحمد لله رب العالمين
حمدا كثيرا وصلى الله على
سيدنا محمد
وآله
وصحبه
وسلم

كتاب النية والاخلاص والصدق

وهو الكتاب السابع من ربع المنجيات من جملة كتب احيا علوم الدين للشيخ الامام العالم العلامة ابي حامد محمد بن محمد بن محمد الغزالي رحمه الله تعالى

بسم الله الرحمن الرحيم ۞ **الحمد لله حمد الشاكرين** ۞ ونؤمن به ايمان الموقنين ۞ ونقر بوحدانيته اقرار الصادقين ۞ ونشهد ان لا اله الا هو رب العالمين ۞ وخالق السموات والارضين ومكلف الجن والانس والملايكة المقربين ۞ ان يعبدوه عبادة المخلصين فقد قال تعالى وما امروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين ۞ فما لله الا الدين الخالص المتين ۞ فانه اغنى الاغنيا عن شركة المشاركين ۞ والصلاة على نبيه محمد سيد المرسلين ۞ وعلى جميع النبيين ۞ وعلى اله واصحابه الطيبين الطاهرين

اما بعد فقد انكشف لارباب القلوب ببصيرة الايمان وانوار القرآن ۞ ان لا وصول الى السعادة الا بالعلم والعبادة ۞ فالناس كلهم هلكى الا العالمون ۞ والعالمون كلهم هلكى الا العاملون ۞ والعاملون كلهم هلكى الا المخلصون ۞ والمخلصون على خطر عظيم ۞ فالعمل بغير نية عنا والنية بغير اخلاص ريا وهو للنفاق كفا ۞ ومع العصيان سوا ۞ والاخلاص من غير صدق وتحقيق هبا ۞ وقد قال تعالى في كل عمل كان بارادة الله مشوبا مغمورا وقدمنا الى ما عملوا من عمل فجعلناه هبا منثورا ۞ وليت شعري كيف يصحح نيته من لا يعرف حقيقة النية او كيف يخلص من صحح النية ۞ اذا لم يعرف حقيقة الاخلاص او كيف يطالب المخلص نفسه بالصدق اذا لم يتحقق معناه فالوظيفة الاولى على كل عبد اراد طاعة الله تعالى ۞ ان يتعلم النية اولا لتحصل المعرفة ثم يصححها بالعمل بعد فهم حقيقة الصدق والاخلاص اللذين هما وسيلتا العبد الى النجوة والاخلاص ۞ ونحن نذكر معاني الصدق والاخلاص في ثلاثة ابواب

غير

كتاب النية والاخلاص والصدق

ابواب الباب الاول في حقيقة النية ومعناها
الباب الثاني في الاخلاص وحقايقه الباب الثالث
في الصدق وحقيقته الباب الاول في النية وفيه بيان فضيلة النية
وبيان حقيقة النية وبيان كون النية خيرا من العمل وبيان تفصيل الاعمال المتعلقة
بالنية وبيان خروج النية عن الاختيار

بيان فضيلة النية

جمله

قال الله تعالى ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه
والمراد بتلك الارادة هي النية وقال النبي صلى الله عليه وسلم ولكل امرئ
ما نوى فمن كانت هجرته الى الله ورسوله فهجرته الى الله ورسوله ومن كانت هجرته الى
دنيا يصيبها او الى امرأة يتزوجها فهجرته الى ما هاجر اليه وقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم اكثر شهداء امتي اصحاب الفرش ورب قتيل بين الصفين الله
اعلم بنيته وقال الله تعالى ان يريدا اصلاحا يوفق الله بينهما فجعل النية
سبب التوفيق وقال صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى لا ينظر الى صوركم
واموالكم وانما ينظر الى قلوبكم واعمالكم وانما نظر الى القلوب لانها مظنة النية
وقال صلى الله عليه وسلم ان العبد ليعمل اعمالا حسنة فتصعد بها الملائكة
في صحف مختمة بين يدي الله تعالى فيقول القوا هذه الصحيفة فانه لم يرد فيها وجهي
ثم ينادي الملائكة اكتبوا له كذا وكذا فيقولون يا ربنا انه لم يعمل شيئا من
ذلك فيقول الله تعالى انه نواه وقال صلى الله عليه وسلم الناس
اربعة رجل آتاه الله عز وجل علما ومالا فهو يعمل بعلمه في ماله فيقول
رجل لو آتاني الله تعالى ما آتاه لعملت كما يعمل فهما في الاجر سواء ورجل آتاه
الله تعالى مالا ولم يؤته علما فهو يخبط بجهله في ماله فيقول رجل لو
آتاني الله مثل ما آتاه لعملت كما يعمل فهما في الوزر سواء الا ترى كيف اشركه
بالنية في محاسن عمله ومساويه وكذلك في حديث انس بن مالك
رضي الله عنه لما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك قال ان

شهداء

بيان فضيلة النية

بالمدينة أقواما ما قطعنا واديا ولا وطئنا موطئا يغيظ الكفار ولا أنفقنا نفقة
ولا أصابتنا مخمصة إلا شركونا في ذلك وهم بالمدينة قالوا وكيف ذلك يا رسول الله
وليسوا معنا قال حبسهم العذر فشركوا بحسن النية • وفي حديث ابن مسعود
رضي الله عنه من هاجر يبتغي شيئا فهو له فهاجر رجل فتزوج امرأة منا
فكان يسمى مهاجر أم قيس • ولذلك جاء في الخبر أن رجلا قتل في سبيل الله
فكان يدعى قتيل الحمار لأنه قاتل رجلا ليأخذ حماره وسلبه فقتل على ذلك فأضيف
إلى نيته • وفي حديث عبادة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم من غزا
وهو لا ينوي إلا عقالا فله ما نوى وقال أبي استعنت رجلا يغزو معي فقال
لا حتى تجعل لي جعلا فجعلت له فذكرت ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فقال
ليس له من دنياه وآخرته إلا ما جعلت له • وفي الإسرائيليات أن رجلا
مر بكثبان من رمل في مجاعة فقال في نفسه لو كان هذا الرمل طعاما لقسمته
بين الناس • فأوحى الله تعالى إلى نبيهم أن قل له إن الله تعالى قبل صدقتك وقد شكر
حسن نيتك وأعطاك ثواب ما لو كان طعاما فتصدقت به • وقد ورد في أخبار
كثيرة من هم بحسنة فلم يعملها كتبت له حسنة • وفي حديث عبد الله ابن
عمر رضي الله عنه من كانت الدنيا نيته جعل الله فقره بين عينيه وفارقها
أرغب ما يكون فيها ومن تكن الآخرة نيته جعل الله غناه في قلبه وجمع له ضيعته
وفارقها أزهد ما يكون فيها • وفي حديث أم سلمة رضي الله عنها أن رسول الله
صلى الله عليه وسلم ذكر جيشا يخسف بهم بالبيداء فقلت يا رسول الله يكون
فيهم المكره والأجير فقال يحشرون على نياتهم • وقال عمر رضي الله عنه
سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول إنما يقتتلون على النيات
وقال صلى الله عليه وسلم إذا التقى الصفان نزلت الملائكة تكتب الخلق
على مراتبهم فلان يقاتل للدنيا فلان يقاتل حمية فلان يقاتل عصبية ألا فلا
تقولوا قتل فلان في سبيل الله فمن قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو
في سبيل الله • وعن جابر رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه
قال يبعث كل عبد على ما مات عليه • وفي حديث الأحنف عن أبي بكرة إذا التقى
المسلمان بسيفيهما فالقاتل والمقتول في النار قيل يا رسول الله هذا القاتل فما
بال المقتول قال لأنه أراد قتل صاحبه • وفي حديث أبي هريرة رضي الله عنه

الغزاة

التزويج والآثار

عنه من تزوج امرأة على صداق وهو لا ينوي اداءه فهو زان ومن ادان دينا
وهو لا ينوي قضاءه فهو سارق. وقال صلى الله عليه وسلم من تطيب لله
جاء يوم القيامة وريحه أطيب من المسك ومن تطيب لغير الله جاء يوم القيامة وريحه
انتن من الجيفة **وأما الآثار.** فقد قال عمر ابن الخطاب رضي الله عنه
افضل الاعمال اداء ما افترض الله تعالى والورع عما حرم الله تعالى. وصدق النية
فيما عند الله تعالى. وكتب سالم ابن عبد الله الى عمر ابن عبد العزيز اعلم ان عون
الله تعالى للعبد على قدر النية فمن تمت نيته تم عون الله تعالى وان نقصت
نقصت بقدره. وقال بعض السلف رب عمل صغير تعظمه النية ورب عمل
كبير تصغره النية. وقال داود الطائي من كان اكبر همته التقوى
فلو تعلقت جميع جوارحه بالدنيا لردته نيته يوما الى نية صالحة وكذلك
الجاهل بعكس ذلك. وقال الثوري رحمه الله كانوا يتعلمون النية للعمل
وقال بعض العلماء اطلب النية للعمل قبل العمل وما دمت تنوي الخير فانت بخير
وكان بعض المريدين يطوف على العلماء ويقول من يدلني على عمل لا ازال فيه عاملا
لله تعالى فاني لا احب ان يأتي علي ساعة من ليل او نهار الا وانا عامل لله فقيل
له قد وجدت حاجتك فاعمل الخير ما استطعت فاذا فترت او تركته فهم بعمله
فان الهام بعمله كعامله. وكذلك قال بعض السلف ان نعمة الله تعالى عليكم
اكثر من ان تحصوها فان ذنوبكم اخفى من ان تعلموها ولكن اصبحوا توابين وامسوا
توابين يغفر لكم ما بين ذلك. وقال عيسى ابن مريم عليه السلام
طوبى لعين نامت ولا تهم بمعصية وانتبهت الى غير اثم وقال ابو هريرة
رضي الله عنه يبعثون يوم القيامة على قدر نياتهم وكان الفضيل ابن عياض اذا
قرأ ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين ونبلو اخباركم
يبكي ويرددها ويقول انك ان بلوتنا فضحتنا وهتكت استارنا. وقال
الحسن انما خلد اهل الجنة في الجنة واهل النار في النار بالنيات وقال
ابو هريرة مكتوب في التوراة ما اريد به وجهي فقليله كثير وما اريد به
غيري فكثيره قليل وقال بلال ابن سعد ان العبد ليقول قول مؤمن فلا
يدعه الله عز وجل حتى ينظر في عمله فاذا عمل لم يدعه حتى ينظر في ورعه
فان تورع لم يدعه حتى ينظر ماذا نوى فان صلحت نيته فبالحري ان يصلح ما دون

مطلب

ذلك فإن عماد الأعمال النيات فالعمل مفتقر إلى النية ليصير بها خيراً والنية في نفسها خير وإن تعذر العمل بعائق

بيان حقيقة النية

اعلم أن النية والإرادة والقصد عبارات متواردة على معنى واحد وهو حالة وصفة للقلب يكتنفها أمران علم وعمل العلم يقدمه لأنه أصله وشرطه والعمل يتبعه لأنه ثمرته وفرعه وذلك لأن كل عمل أعني كل حركة وسكون اختياري فلا يتم إلا بثلاثة أمور علم وإرادة وقدرة لأنه لا يريد الإنسان ما لا يعلمه فلابد وأن يعلم ولا يعمل ما لم يرد فلابد من إرادة ومعنى الإرادة انبعاث القلب إلى ما يراه موافقاً للغرض إما في الحال أو في المآل فقد خلق الإنسان بحيث يوافقه بعض الأمور ويلائم غرضه ويخالفه بعض الأمور فاحتاج إلى جلب الملائم الموافق إلى نفسه ودفع الضار المنافي عن نفسه فافتقر بالضرورة إلى معرفة وإدراك للشيء المضر والنافع حتى يجلب هذا ويهرب من هذا فإن من لا يبصر الغذاء ولا يعرفه لا يمكنه أن يتناول ومن لا يبصر النار لا يمكنه الهرب منها فخلق الهداية والمعرفة وجعل لها أسباباً وهي الحواس الظاهرة والباطنة وليس ذلك من غرضنا ثم لو أبصر الغذاء وعرف أنه موافق له فلا يكفيه ذلك للتناول ما لم يكن فيه ميل إليه ورغبة فيه وشهوة له باعثة عليه إذ المريض يرى الغذاء ويعلم أنه موافق ولا يمكنه التناول لعدم الرغبة والميل إليه ولفقد الداعية المحركة له فخلق الله تعالى له الميل والرغبة والإرادة وأعني به نزوعاً في نفسه إليه وتوجهاً في قلبه إليه ثم ذلك لا يكفيه فكم من مشاهد طعاماً راغب فيه مريد تناوله عاجز عنه لكونه زمناً فخلقت له القدرة والأعضاء المحركة حتى يتم به التناول والعضو لا يتحرك إلا بالقدرة والقدرة تنتظر الداعية الباعثة والداعية تنتظر العلم والمعرفة أو الظن والاعتقاد وهو أن يقوى في نفسه كون الشيء موافقاً له فإذا جزمت المعرفة بأن الشيء موافق ولابد أن يفعل وسلمت عن معارضة باعث آخر صارف عنه انبعثت

مطلب

انبعثت الارادة وتحرك الميل فاذا انبعثت الارادة انتهضت القدرة
لتحريك الاعضا فالقدرة خادمة للارادة والارادة تابعة لحكم الاعتقاد
والمعرفة فالنية عبارة عن الصفة المتوسطة وهي الارادة وانبعاث
النفس بحكم الرغبة والميل الي ما هو موافق للغرض اما في الحال واما في المآل فالمحرك
الاول هو الغرض المطلوب وهو الباعث والغرض الباعث هو المقصد المنوي والانبعاث
هو القصد والنية وانتهاض القدرة لخدمة الارادة بتحريك الاعضا هو العمل
الا ان انتهاض القدرة للعمل قد يكون بباعث واحد حينئذ او انفرد كان مليا بانهاض
القدرة وقد يكون كل واحد قاصرا عنه الا بالاجتماع وقد يكون احدهما كافيا
لولا الاخر لكن الاخر انتهض عاضدا له ومعاونا له فيخرج من هذا التقسيم اربعة
اقسام فلنذكر لكل واحد مثالا واسما اما الاول فهو ان ينفرد الباعث

مثال الارادة والقدرة والنية

الواحد ويتجرد كما اذا هجم على الانسان سبع فكما راه قام من موضعه فلا
مزعج له الا غرض الهرب من السبع فانه راى السبع وعرفه ضارا فانبعثت
نفسه الي الهرب ورغبت فانتهضت القدرة عاملة لمقتضى الانبعاث
فيقال نيته الفرار من السبع لا نية له في القيام غيره وهذه النية
تسمى خالصة ويسمى العمل بموجبها اخلاصا بالاضافة الي الغرض الباعث
ومعناه انه خلص عن مشاركة غيره وممازجته وأما الثاني فهو ان
يجتمع باعثان كل واحد مستقل بالانهاض لو انفرد وامثاله من المحسوس
ان يتعاون رجلان على حمل شي بمقدار من القوة كانت كافية في الحمل
لو انفردت ومثاله في غرضنا ان يسأله قريبه الفقير حاجة فيقضيها
لفقره ولقرابته وعلم انه لولا فقره لكان يقضيها بمجرد القرابة
وانه لولا قرابته لكان يقضيها بمجرد الفقر وعلم ذلك من نفسه
بان يحضره قريب غني فيرغب في قضاء حاجته وفقير اجنبي فيرغب ايضا
فيه وكذلك من امره الطبيب بترك الطعام ودخل عليه يوم عرفة فصام

مطلب

وهو يعلم انه لو لم يكن يوم عرفة لكان يترك الطعام حمية ولولا الحمية
لكان يتركه لاجل انه يوم عرفة وقد اجتمعا جميعا فاقدم على الفعل
وكان الباعث الثاني رفيق الاول فلنسم هذا موافقة البواعث الثالث
ان لا يستقل كل واحد لو انفرد ولكن قوي مجموعهما على انهاض القدرة

ومثاله من المحسوس أن يتعاون ضعيفان على حمل لا ينفرد أحدهما به
ومثاله من غرضنا أن يقصده قريبه الغني فيطلب درهماً فلا يعطيه
ويقصده الأجنبي الفقير فيطلب درهماً فلا يعطيه ثم يقصده الفقير القريب
فيعطيه فيكون انبعاث داعيته بمجموع الباعثين وهو القرابة والفقر
وكذلك الرجل يتصدق بين يدي الناس لغرض الثواب ولغرض الثناء. ويكون
بحيث لو كان منفرداً لكان لا يبعثه مجرد قصد الثواب على العطا ولو كان الطالب
فاسقاً لا ثواب في التصدق عليه لكان لا يبعثه مجرد الرياء على العطا ولما اجتمعا
أورثا بمجموعهما تحريك القلب ولنسم هذا الجنس مشاركة والرابع
أن يكون أحد الباعثين مستقلاً لو انفرد بنفسه والثاني لا يستقل ولكن لما انضاف
إليه لم ينفك عن تأثير بالإعانة والتسهيل ومثاله في المحسوس أن يعاون
الضعيف الرجل القوي على الحمل ولو انفرد القوي لاستقل ولو انفرد الضعيف
لم يستقل فإن ذلك بالجملة يسهل العمل ويؤثر في تخفيفه ومثاله في غرضنا
أن يكون للإنسان ورد في الصلوات وعادة في الصدقات فاتفق أن حضر في
وقتها جماعة من الناس فصار الفعل أخف عليه بسبب مشاهدتهم وعلم من نفسه
أنه لو كان منفرداً خالياً لم يفتر عن عمله وعلم أن عمله لو لم يكن طاعة لم يكن مجرد
الرياء يحمله عليه فهو شوب تطرق إلى النية ولنسم هذا الجنس المعاونة فالباعث
الثاني إما أن يكون رفيقاً أو شريكاً أو معيناً وسنذكر حكمها في باب الإخلاص
والغرض الآن بيان أقسام النيات فإن العمل تابع للباعث عليه فيكتسب الحكم
منه ولذلك قيل إنما الأعمال بالنيات لأنها تابعة لا حكم لها في نفسها
وإنما الحكم للمتبوع بيان سر قوله صلى الله عليه وسلم نية المؤمن خير من عمله
اعلم أنه قد يظن أن سبب هذا الترجيح أن النية سر لا يطلع عليه إلا الله تعالى
والعمل ظاهر ولعمل السر فضل وهذا صحيح ولكن ليس هو المراد لأنه لو نوى أن
يذكر الله بقلبه أو يتفكر في مصالح المسلمين فيقتضي عموم الحديث أن يكون
نية التفكر خيراً من التفكر وقد يظن أن سبب الترجيح أن النية تدوم
إلى آخر العمل والأعمال لا تدوم وهو ضعيف لأن ذلك يرجع معناه إلى أن العمل
الكثير خير من القليل بل ليس كذلك فإن نية أعمال الصلاة قد لا تدوم إلا في
لحظات معدودة والأعمال تدوم والعموم يقتضي أن يكون نيته خيراً من عمله

ن
الصلوات
مطلب

من عمله وقد قيل معناه أن النية بمجردها خير من العمل بمجرده دون النية
وهو كذلك ولكنه بعيد أن يكون هو المراد إذ العمل بلا نية أو على الغفلة
لا خير فيه أصلاً والنية بمجردها خير وظاهر الترجيح للمشتركين في أصل
الخير بل المعني به أن كل طاعة تنتظم بنية وعمل كانت النية من جملة الخيرات
وكان العمل من جملة الخيرات ولكن النية من جملة الطاعة خير من العمل أي
لكل واحد منهما أثر في المقصود وأثر النية أكثر من أثر العمل فمعناه
نية المؤمن من جملة طاعته والغرض أن للعبد اختياراً في النية وفي
العمل فهما عملان والنية من الجملة خيرهما فهذا معناه وأما سبب
كونها خيراً ومترجحة على العمل فلا يفهمه إلا من فهم مقصد الدين وطريقه
ومبلغ أثر الطريق في الإيصال إلى المقصد وقاس بعض الآثار بالبعض
حتى يظهر له بعد ذلك الأرجح بالإضافة إلى المقصود فمن قال الخبز
خير من الفاكهة فإنما يعني به أنه خير بالإضافة إلى مقصود القوت
والاغتذاء ولا يفهم ذلك إلا من فهم أن للغذاء مقصداً وهو الصحة والبقاء
وأن الأغذية مختلفة الآثار فيها وفهم أثر كل واحد وقاس بعضها بالبعض
فالطاعات غذاء القلوب والمقصود شفاؤها وبقاؤها وسلامتها في الآخرة
وسعادتها وتنعمها بلقاء الله تعالى والمقصود لذة السعادة بلقاء الله تعالى
فقط ولن يتنعم بلقاء الله تعالى إلا من مات محباً لله عارفاً بالله ولن يحبه
إلا من عرفه ولن يأنس بربه إلا من طال ذكره له فالأنس يحصل بدوام الذكر والمعرفة
بدوام الفكر والمحبة تتبع المعرفة بالضرورة ولن يتفرغ القلب لدوام
الذكر إلا إذا فرغ من شواغل الدنيا ولن يتفرغ من شواغلها إلا إذا
انقطع عن شهواتها حتى يصير مائلاً إلى الخير مريداً له نافراً عن الشر مبغضاً
له وإنما يميل إلى الخيرات والطاعات إذا علم أن سعادته في الآخرة
منوطة بها كما يميل العاقل إلى الفصد والحجامة لعلمه بأن سلامته فيهما
وإذا حصل أصل الميل بالمعرفة فإنما يقوى بالعمل بمقتضى الميل والمواظبة
في مقتضى صفات القلب وإرادتها بالعمل تجري مجرى الغذاء والقوت
لتلك الصفة حتى تترشح الصفة وتقوى بسببها فالمائل إلى طلب العلم أو
طلب الرياسة لا يكون ميله في الابتداء إلا ضعيفاً فإن اتبع مقتضى الميل

غذاء القلوب

الميل إلى الخيرات والطاعات

واشتغل بالعلم او بتدبير الرياسة والاعمال المطلوبة بذلك تأكد ميله ورسخ
وعسر عليه النزوع وان خالف مقتضى ميله ضعف ميله وانكسر وربما زال
وانمحق بل الذي ينظر الى وجه حسن مثلا فيميل طبعه اليه ميلا ضعيفا لو
اتبعه وعمل بمقتضاه فداوم على النظر والمجالسة والمخالطة والمحاورة تأكد
ميله حتى يخرج امره عن اختياره فلا يقدر على النزوع عنه ولو فطم نفسه
ابتداء وخالف مقتضى ميله لكان ذلك كقطع القوت والغذاء عن صفة الميل ويكون
ذلك زجرا ودفعا في وجهه حتى يضعف وينكسر بسببه او ينقمع وينمحي
وهكذا جميع الصفات والخيرات والطاعات كلها هي التي يراد بها الآخرة
والشرور كلها هي التي يراد بها الدنيا لا الآخرة وميل النفس الى الخيرات الاخروية
وانصرافها عن الدنيوية هو الذي يفرغها للذكر والفكر ولن يتأكد
ذلك الا بالمواظبة على اعمال الطاعات وترك المعاصي بالجوارح لان بين الجوارح
وبين القلب علاقة حتى يتأثر كل واحد منهما بالآخر فترى العضو اذا
اصابته جراحة تألم بها القلب وترى القلب اذا تألم بعلمه بموت عزيز
من اعزته او بهجوم امر مخوف تأثرت به الاعضاء وارتعدت الفرائص
وتغير اللون الا ان القلب هو الاصل المتبوع وكأنه الامير والراعي والجوارح
كالخدم والرعايا والاتباع فالجوارح خادمة للقلب بتأكيد صفاتها فيه فالقلب
هو المقصود والاعضاء آلات موصلة الى المقصود ولذلك قال النبي
صلى الله عليه وسلم ان في الجسد مضغة اذا صلحت صلح سائر الجسد وقال
النبي صلى الله عليه وسلم اللهم اصلح الراعي والرعية واراد بالراعي القلب
وقال الله تعالى لن ينال الله لحومها ولا دماؤها ولكن يناله التقوى منكم
وهو صفة القلب فمن هذا الوجه يجب لا محالة ان يكون اعمال القلب
في الجملة افضل من حركات الجوارح ثم يجب ان تكون النية من جملتها افضل
لانها عبارة عن ميل القلب الى الخير وارادته له وغرضنا من الاعمال بالجوارح
ان نعود القلب ارادة الخير ونؤكد فيه الميل اليه ليتفرغ من شهوات
الدنيا ويكب على الذكر والفكر فبالضرورة يكون خيرا بالاضافة الى
الغرض لانه متمكن من نفس المقصود وهذا كما ان المعدة اذا تألمت
فقد تداوى بان يوضع الطلاء على الصدر وتداوى بالشرب والدواء

تصوف

جميع الصفات والطاعات

القلب امير ورعاياه

والدوا الواصل الى المعدة بالشرب خير من طلا الصدر لان طلا الصدر
ايضا انما اريد به ان يسري منه الاثر الى المعدة فما يلاقي عين المعدة
فهو خير وانفع فهكذا ينبغي ان يفهم تاثير الطاعات كلها اذ المطلوب منها
تغيير القلوب وتبديل صفاتها فقط دون الجوارح فلا تظنن ان في وضع الجبهة
على الارض غرضا من حيث انه جمع بين الجبهة والارض بل من حيث انه
بحكم العادة يوكد صفة التواضع في القلب فان من يجد في نفسه تواضعا
فاذا استعان باعضائه وصورها بصورة التواضع تاكد تواضعه ومن
ومن وجد في قلبه رقة على يتيم فاذا مسح راسه وقبله تاكدت الرقة
في قلبه ولهذا لم يكن العمل بغير نية مفيدا اصلا لان من يمسح راس اليتيم
وهو غافل بقلبه او ظان انه يمسح ثوبا لم ينتشر من اعضائه الى قلبه لتاكد
الرقة وكذلك من يسجد غافلا وهو مشغول الهم باعراض الدنيا لم ينتشر
من جبهته ووضعها على الارض اثر الى قلبه يتاكد به التواضع فكان وجود
ذلك كعدمه وما ساوى وجوده عدمه بالاضافة الى الغرض المطلوب
منه يسمى باطلا فيقال العبادة بغير نية باطل وهذا معناه وهذا
اذا فعل عن غفلة فان قصد به ريا او تعظيم شخص اخر لم يكن وجوده كعدمه
بل زاده شرا فانه لم يوكد الصفة المطلوب تاكيدها حتى اكد الصفة
المطلوب محقها وهي صفة الريا التي هي من الميل الى الدنيا فهذا وجه كون
النية خيرا من العمل وبهذا ايضا يعرف معنى قوله صلى الله عليه وسلم
من هم بحسنة ولم يعملها كتبت له حسنة لان هم القلب هو ميله
الى الخير وانصرافه عن الهوى وحب الدنيا وهي غاية الحسنات وانما الاتمام
بالعمل يزيدها تاكيدا فليس المقصود من اراقة دم القربان الدم واللحم
بل ميل القلب عن حب الدنيا وبذلها ايثارا لوجه الله تعالى وهذه الصفة
قد حصلت عند جزم النية والهمة وان عاق عن العمل عايق فلن ينال الله لحومها
ولا دماوها ولكن يناله التقوى منكم والتقوى ههنا اعني القلب ولذلك
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان قوما بالمدينة قد شركونا
في جهادنا كما تقدم ذكره لان قلوبهم والنفس والرغبة في طلب الشهادة
واعلا كلمة الله تعالى كقلوب الخارجين في الجهاد وفي صدق ارادة

مثال تاثير الطاعة

مسح راس اليتيم

مثال من سجد غافلا

القربان

الخير ويدل ذلك على صدق قصده وانما فاقوهم بالاتحاد لان العوائق تختص
بالاسباب الخارجة عن القلب وذلك غير المطلوب الا لانك تهذيب الصفات
وبهذه المعاني يفهم جميع هذه الاحاديث التي اوردناها في تفضيل النية
فاعرضها عليه لينكشف لك اسرارها فلا نطول بالاعادة

بيان تفصيل الاعمال

المتعلقة بالنية

اعلم ان الاعمال وان انقسمت اقساما كثيرة من فعل وقول
وحركة وسكون وجلب ودفع وذكر وفكر وغيره لك مما لا يتصور احصاؤه
واستقصاؤه فهي ثلاثة اقسام طاعات ومعاصي ومباحات القسم الاول
المعاصي وهي لا تتغير عن موضوعها بالنية فلا ينبغي ان يفهم الجاهل ذلك
من عموم قوله عليه السلام انما الاعمال بالنيات فيظن ان المعصية تنقلب طاعة
بالنية كالذي يغتاب انسانا مراعاة لقلب غيره او يطعم فقيرا من مال غيره
او يبني مدرسة او مسجدا او رباطا بمال حرام وقصده الخير فهذا كله جهل
والنية لا تؤثر في اخراجه عن كونه ظلما وعدوانا ومعصية بل قصده الخير
بالشر على خلاف مقتضى الشرع شر آخر فان عرفه فهو معاند للشرع وان
جهله فهو عاص بجهله اذ طلب العلم فريضة على كل مسلم والخيرات انما تعرف
كونها خيرات بالشرع فكيف يمكن ان الشر خيرا هيهات بل المروج لذلك على القلب
خفي الشهوة وباطن الهوى فان القلب اذا كان مائلا الى طلب الجاه واستمالة
قلوب الناس وسائر حظوظ النفوس توسل الشيطان به الى التلبيس
على الجاهل ولذلك قال سهل رحمه الله ما عصي الله بمعصية اعظم
من الجهل قيل يا ابا محمد هل تعرف شيئا اشد من الجهل قال نعم الجهل بالجهل
وهو كما قال لان الجهل بالجهل يسد بالكلية باب التعلم فمن ظن بنفسه انه
عالم فكيف يتعلم وكذلك افضل ما اطيع الله تعالى به العلم ورأس العلم
بالعلم كما ان رأس الجهل الجهل بالجهل فان من لا يعلم العلم النافع من العلم

بيان تفصيل الاعمال

الخيرات بمال حرام

الجهل

فساد العالم

من العلم الضار اشتغال بما أحب الناس تعلمه من العلوم المزخرفة التي هي
من وسائل الوصول إلى الدنيا وذلك هو مادة الجهل ومنبع فساد العالم
والمقصود أن من قصد الخير بمعصية عن جهل فهو غير معذور إلا إذا
كان قريب العهد بالإسلام ولم يجد بعد مهلة التعلم وقد قال الله
تعالى فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون وقال النبي صلى الله تعالى
عليه وسلم لا يعذر الجاهل على الجهل ولا يحل للجاهل أن يسكت على جهله
ولا للعالم أن يسكت عن علمه ويتعجب من تقرب إلى السلاطين ببناء المدارس
والمساجد بالمال الحرام تقرب العلماء السوء بتعليم العلم للسفهاء الأشرار
والمشغولين بالفسق والفجور القاصدين بتحصيله مماراة العلماء ومباراة
السفهاء واستمالة وجوه الناس وجمع حطام الدنيا وأخذ أموال السلاطين
واليتامى والمساكين فإن هؤلاء إذا تعلموا كانوا قطاع طريق الله تعالى ينتصب
كل واحد منهم في بلدته نائبا عن الدجال يتكالب على الدنيا ويتبع
الهوى ويتباعد عن التقوى ويستجرئ الناس بسبب مشاهدته على
معاصي الله عز وجل ثم قد ينتشر ذلك العلم إلى مثله وأمثاله ويتخذونه
آلة ووسيلة في الشر واتباع الهوى ويتسلسل ذلك ووبال جميعه
يرجع إلى المعلم الذي علمه العلم مع علمه بفساد نيته وقصده ومشاهدته
وقصده ومشاهدته أنواع المعاصي من أقواله وأفعاله وفي مطعمه
وملبسه ومسكنه فيموت هذا العالم وتبقى آثار شره منتشرة
في العالم ألف سنة مثلا وألفي سنة وطوبى لمن إذا مات ماتت معه ذنوبه
ثم العجب من جهله حيث يقول إنما الأعمال بالنيات وقد قصدت بذلك
نشر علم الدين فإن استعمله هو في الفساد فالمعصية منه لا مني وما قصدت
به إلا أن يستعين به على الخير وإنما حب الرياسة والاستتباع والتفاخر
بعلو العلم حسن ذلك في قلبه والشيطان بواسطة حب الرياسة يلبس
عليه وليت شعري ما جوابه عمن وهب سيفا من قاطع طريق وأعد
له خيلا وأسبابا يستعين بها على مقصوده ويقول إنما أردت البذل
والسخاء والتخلق بالأخلاق الجميلة وقصدت به أن يغزو بهذا السيف
والفرس في سبيل الله فإن إعداد الخيل والقوة والغزاة من أفضل القربات

تعليم العلم للسفهاء

حب الرياسة

اعطاء الآلات لقاطع الطريق

فإن هو صرفه إلى قطع الطريق فهو العاصي وقد أجمع الفقهاء على أن ذلك
حرام مع أن السخا موجب للأخلاق وإلى الله تعالى قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم إن لله تعالى ثلثمائة خلق من تقرب إليه بواحد منها دخل الجنة
وأحبها إليه السخا فليت شعري لم حرم هذا السخا ولم وجب عليه ولم
يجب عليه أن يبطله وفي بينة الحال من هذا الظالم فإذا لاح من عادته أنه يستعين
بالسلاح على الشر فينبغي أن يسعى في سلب سلاحه لا في أن يمده بغيره والعلم
سلاح يقاتل به الشيطان وأعدا الله وقد يعاون به أعدا الله وهو الهوى
فمن لا يزال مؤثرا الدنيا على دينه ولهواه على آخرته وهو عاجز عنها
لقلة فضله فكيف يجوز إمداده بنوع علم يتمكن به من الوصول إلى
شهواته بل لم يزل علما السلف رحمهم الله يتفقدون أحوال من يتردد إليهم
فلو رأوا منه تقصيرا في نفل من النوافل أنكروه وتركوا إكرامه وإذا رأوا
منه فجورا واستحلالا لحرام هجروه ونفوه عن مجالسهم وتركوا تكليمه
فضلا عن تعليمه لعلمهم بأن من تعلم مسألة ولم يعمل بها وجاوزها إلى غيرها
فليس يطلب إلا آلة الشر وقد تعوذ جميع السلف بالله من الفاجر العليم
بالسنة وما تعوذوا من الفاجر الجاهل حكي عن بعض أصحاب
أحمد بن حنبل رحمه الله أنه كان يتردد إليه سنين ثم اتفق أن أعرض عنه
أحمد وهجره وصار لا يكلمه فلم يزل يسأله عن تغيره وهو لا يذكره
حتى قال بلغني أنك طينت حائط دارك من جانب الشارع فقد أخذت
قدر سمك الطين وهو أنملة من شارع المسلمين فلا تصلح لنقل العلم
فهكذا كانت مراقبة السلف لأحوال طلاب العلم وهذا وأمثاله مما
يلتبس على الأغبياء وأتباع الشيطان وإن كانوا أرباب الطيالسة والأكمام
الواسعة وأصحاب الألسنة الطويلة والفضل الكثير أعني الفضل من
العلوم التي لا تشتمل على التحذير من الدنيا والزجر عنها والترغيب في
الآخرة والدعا إليها بل العلوم التي تتعلق بالخلق ويتوصل بها إلى
جمع الحطام واستتباع الناس والتقدم على الأقران فإذن قوله عليه السلام
الأعمال بالنيات يختص بالأقسام الثلاثة بالطاعات والمباحات دون المعاصي
إذ الطاعة تنقلب معصية بالقصد وتكون طاعة بالقصد والمباح ينقلب

مثال تعليم العلم للسفهاء

تصوف

احوال طلاب العلم

ينقلب معصية وطاعة بالقصد فاما المعصية فلا تنقلب طاعة بالقصد اصلا
نعم للنية دخل فيها وهو انه اذا انضاف اليها قصود خبيثة تضاعف
وزرها وعظم وبالها كما ذكرناه في كتاب التوبة القسم الثالث في
الطاعات وهي مرتبطة بالنيات في اصل صحتها وفي تضاعف فضلها
اما الاصل فهو ان ينوي بها عبادة الله تعالى لا غير فان نوى الرياء صارت
معصية واما تضاعف الفضل فبكثرة النيات الحسنة فان الطاعة الواحدة
يمكن ان ينوي بها خيرات كثيرة فيكون له بكل نية ثواب اذ كل واحد منها حسنة
ثم تضاعف كل حسنة عشر امثالها كما ورد به الخبر ومثاله القعود في المسجد
فانه طاعة ويمكن ان ينوي فيه نيات كثيرة حتى يصير من فضائل اعمال المتقين
ويبلغ به درجات المقربين اولها ان يعتقد انه بيت الله وان داخله زائر
الله تعالى فيقصد به زيارة مولاه رجاء لما وعده به رسول الله صلى الله عليه
وسلم حيث قال من قعد في المسجد فقد زار الله تعالى وحق على المزور اكرام
زائره وثانيها ان ينتظر الصلاة بعد الصلاة فيكون في جملة انتظاره في
الصلاة وهو معنى قوله تعالى ورابطوا وثالثها الترهب بكف السمع والبصر
والاعضاء عن الحركات والترددات فان الاعتكاف كف وهو معنى الصوم
وهو نوع ترهب ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم رهبانية
امتي القعود في المساجد ورابعها عكوف الهم على الله تعالى ولزوم
السر للفكر في الآخرة ودفع الشواغل الصارفة عنه بالاعتزال الى المسجد
وخامسها التجرد لذكر الله تعالى او لاستماع ذكره او للتذكر به كما روي في
الخبر من غدا الى المسجد ليذكر الله تعالى او يذكر به كان كالمجاهد في سبيل الله
تعالى وسادسها ان يقصد افادة العلم بامر بمعروف ونهي عن منكر
اذ المسجد لا يخلو عمن يسيء صلاته او يتعاطى ما لا يحل له فيامره بالمعروف
ويرشده الى الدين فيكون شريكا معه في خيره الذي يتعلم منه
فتتضاعف خيراته وسابعها ان يستفيد اخا في الله فان ذلك غنيمة
وذخيرة للدار الآخرة والمسجد معشش اهل الدين المحبين لله وفي الله
وثامنها ان يترك الذنوب حياء من الله تعالى وحذرا من ان يتعاطى في بيت
الله تعالى ما يقتضي هتك الحرمة وقد قال الحسن بن علي رضي الله عنهما

الطاعات
قعود في المسجد
زيارة الله
مطلب

من ادمن الاختلاف الى المسجد رزقه الله احدى سبع خصال اخا مستفادا
في الله تعالى ورحمة منتظرة له او علما مستطرفا او كلمة تدله على هدى
او تصرفه عن ردى او يترك الذنوب خشية او حياء فهذا طريق تكثير النيات
وقس به سائر الطاعات والمباحات اذ ما من طاعة الا وتحتمل نيات كثيرة وانما
تحضر في قلب العبد بقدر جده في طلب الخير وتشمره له وتفكره فيه فبهذا
تزكو الاعمال وتتضاعف الحسنات **القسم الثالث** المباحات وما من
شيء من المباحات الا ويحتمل نية او نيات يصير بها من محاسن القربات
وينال بها معالي الدرجات فما اعظم خسران من يغفل عنها ويتعاطاها تعاطي
البهائم المهملة عن سهو وغفلة ولا ينبغي ان يستحقر العبد الخطرات
والخطوات واللحظات فكل ذلك يسأل عنه في القيامة انه لم فعله وما الذي
قصد به هذا في مباح محض لا يشوبه كراهة ولذلك قال صلى الله
عليه وسلم حلالها حساب وحرامها عذاب وفي حديث معاذ ابن جبل ان النبي صلى
الله عليه وسلم قال ان العبد ليسأل يوم القيامة عن كل شيء حتى عن كحل
عينيه وعن فتات الطين باصبعيه وعن لمسه ثوب اخيه وفي خبر آخر من
تطيب لله تعالى جاء يوم القيامة وريحه اطيب من المسك ومن تطيب لغير الله
جاء يوم القيامة وريحه انتن من الجيفة فاستعمال الطيب مباح ولكن لا بد
فيه من نية **فإن قلت** فما الذي يمكن ان ينوي بالطيب وهو حظ من حظوظ
النفس وكيف يتطيب لله فاعلم ان من يتطيب مثلا يوم الجمعة وفي سائر
الاوقات يتصور ان يقصد التنعم بلذات الدنيا او يقصد به اظهار التفاخر
بكثرة المال ليحسده الاقران او يقصد به رياء الخلق ليقوم له الجاه في قلوبهم
ويذكر بطيب الرائحة او ليتودد به الى قلوب النساء الاجنبيات اذا كان
مستحلا للنظر اليهن ولامور اخر لا تحصى وكل هذا يجعل التطيب معصية
فبذلك يكون انتن من الجيفة في القيامة الا ان القصد الاول وهو التلذذ
والتنعم فان ذلك ليس بمعصية الا انه يسأل عنه ومن نوقش الحساب
عذب ومن اوتي شيئا من مباح الدنيا لم يعذب عليه في الآخرة لكن
ينقص من نعيم الآخرة بقدره وناهيك خسرانا بان يستعجل ما يفنى
ويخسر زيادة نعيم لا يفنى واما النيات الحسنة فان ينوي به اتباع

استحقار الخطرات

السؤال عن كل شيء

النية بتطيب الرايحة

الخسران بنعيم الدنيا عن الآخرة

طيب الرايحة

اتباع سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الجمعة وينوي بذلك ايضا
تعظيم المسجد واحترام بيت الله تعالى فلا يرى ان يدخله زائرا بيت الله تعالى
الا طيب الرائحة وان يقصد به ترويح جيرانه ليستريحوا في المسجد عند مجاورته
بروائحه وان يقصد به دفع الروائح الكريهة عن نفسه التي تؤدي الى ايذاء
مخالطيه وان يقصد حسم باب الغيبة عن المغتابين اذا اغتابوه بالروائح
الكريهة فيعصون الله بسببه فمن تعرض للغيبة وهو قادر على الاحتراز
منها فهو شريك في تلك المعصية كما قيل

مهما رحلت عن قوم وقد قدروا . ان لا تفارقهم فالراحلون هم

وقال تعالى ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله عدوا بغير علم
اشار به الى ان التسبب الى الشر شر وان يقصد به معالجة دماغه لتزيد فطنته وذكاؤه
ويسهل عليه درك مهمات دينه بالفكر وقد قال الشافعي رضي الله عنه
من طاب ريحه زاد عقله فهذا وامثاله من النيات لا يعجز الفقيه عنها اذا كان
تجارة الاخرة وطلب الخير غالبا على قلبه واذا لم يغلب على قلبه الا نعيم الدنيا
لم تحضره هذه النيات وان ذكرت له لم ينبعث لها قلبه فلا يكون معه الا حديث
النفس وليس ذلك من النية في شيء والمباحات كثيرة ولا يمكن احصاء النيات
فيها فقس بهذا الواحد ما عداه ولهذا قال بعض العارفين من السلف
اني لاستحب ان يكون لي في كل شيء نية حتى في اكلي وشربي ونومي ودخولي
الخلاء وكل ذلك مما يمكن ان يقصد به التقرب الى الله تعالى لان كل ما هو سبب لبقاء
البدن وفراغ القلب من مهمات البدن فهو معين على الدين فمن قصده
من الاكل التقوي على العبادة ومن الوقاع تحصين دينه وتطييب قلب
اهله والتوصل به الى ولد يعبد الله تعالى بعده فيكثر به امة محمد صلى الله
عليه وسلم كان مطيعا باكله ونكاحه واغلب حظوظ النفس الاكل
والوقاع وقصد الخير بهما غير ممتنع لمن غلب على قلبه هم الآخرة وكذلك
ينبغي ان يحسن نيته مهما ضاع له مال ويقول هو في سبيل الله واذا بلغه
اغتياب غيره له فليطيب قلبه بانه سيحمل سيئاته وسينقل الى ديوانه حسناته
ولينو ذلك بسكوته عن الجواب ففي الخبر ان العبد ليحاسب فيبطل اعماله
لدخول الآفة فيها حتى يستوجب النار ثم ينشر له الاعمال الحسنة ما يستوجب به الجنة

النية في الافعال كلها

النية بكثرة الاعمال

فيقول يا رب هذه اعمال ما عملتها فيقال هذه اعمال الذين اغتابوك واذوك وظلموك
وفي الخبر ان العبد ليؤتى في القيامة بحسنات امثال الجبال لو خلصت له لدخل الجنة
ويأتي قد ظلم هذا وشتم هذا وضرب هذا فيقتص لهذا من حسناته ولهذا من
سيئاته حتى لا يبقى له حسنة فتقول الملائكة قد فنيت حسناته وبقي مطالبون
فيقول الله تعالى القوا عليه من سيئاتهم ثم صكوا له صكا الى النار وبالجملة فاياك
ان تستحقر شيئا من حركاتك ولا تحترز من غرورها وشرورها ولا تعد جوابها يوم
السؤال والحساب فان الله تعالى مطلع عليك وشهيد وما يلفظ من قول الا لديه
رقيب عتيد وقد قال بعض الصالحين كتبت كتابا واردت ان
اتربه من حائط جار لي فتحرجت ثم قلت تراب وما تراب فاتربته فهتف بي
هاتف سيعلم من استخف بتراب ما يلقى غدا من سوء الحساب وصلى رجل مع الثوري
فرآه مقلوب الثوب فعرفه فمد يده ليصلحه ثم قبض يده ولم يسوه فسأله
عن ذلك فقال اني لبسته لله تعالى ولا اريد ان اسويه لغير الله تعالى وقد قال
الحسن ان الرجل ليتعلق بالرجل يوم القيامة فيقول بيني وبينك الله فيقول
والله ما اعرفك فيقول بلى انت اخذت لبنة من حائطي واخذت مرة في خيطا
فهذا وامثاله من الاخبار قطع قلوب الخائفين فان كنت من اولي الحزم والنهى
ولم تكن من المغترين فانظر لنفسك الآن ودقق الحساب على نفسك قبل ان يدقق
عليك وراقب احوالك ولا تسكن ولا تتحرك ما لم تتأمل اولا انك لم تتحرك وماذا
تقصد وما الذي تنال به من الدنيا وما الذي يفوتك به من الآخرة فاذا علمت
انه لا باعث الا الدين فامض عزمك وما خطر ببالك والا فامسك ثم راقب ايضا
قلبك في امساكك وامتناعك فان ترك الفعل فعل ولا بد له من نية صحيحة
فلا ينبغي ان يكون لداعي هوى خفي ولا يطلع عليه ولا تغرنك ظواهر الامور
ومشهورات الخيرات وافطن للاغوار والاسرار تخرج من حيز اهل الاغترار
فقد روي عن زكريا عليه السلام انه كان يعمل في حائط بالطين وكان اجيرا
لقوم فقدموا له رغيفه اذ كان لا يأكل الا من كسبه فدخل عليه قوم
فلم يدعهم الى الطعام حتى فرغ فتعجبوا منه لما علموا من سخائه وزهده
وظنوا ان الخير في طلب المساعدة في الطعام فقال اني اعمل للقوم بالاجرة
وقدموا الي الرغيفين لاتقوى بهما على عملهم فلو اكلتم معي لم يكفكم ولم

استحقار الاشياء

يازيه اكلمك براقدنه سؤال اولنور وامثاله

مطلب

ولم يكفني وضعفت عن عملهم فليبصره هكذا ينظر الى البواطن بنور الله عز وجل فان ضعفه عن العمل نقص في فرض وتركه الدعوة الى الطعام نقص في فضل ولا حكم للفضائل مع الفرايض وقال بعضهم دخلت على سفيان وهو ياكل فما كلمني لعق اصابعه وقال لولا اني اخذته بدين لاحببت ان تاكل منه وقال سفيان من دعا رجلا الى طعامه وليس له رغبة في ان ياكل فان اجابه فاكل فعليه وزران وان لم ياكل فعليه وزر واراد باحد الوزرين النفاق والثاني تعريضه اخاه لما يكره لو علمه فهكذا ينبغي ان يتفقد العبد نيته في ساير الاعمال فلا يقدم ولا يحجم الا بنية وان لم تحضره النية توقف فان النية لا تدخل تحت الاختيار

بيان ان النية غير داخلة

بيان ان النية غير داخلة تحت الاختيار

اعلم ان الجاهل يسمع ما ذكرناه من الوصية بتحسين النية وتكثيرها مع قوله صلى الله عليه وسلم انما الاعمال بالنيات فيقول في نفسه عند تدريسه او تجارته او اكله نويت ان ادرس لله او اتجر لله او اكل لله ويظن ان ذلك نية وهيهات فذلك حديث نفس او حديث لسان او فكر او انتقال من خاطر الى خاطر والنية بمعزل عن جميع ذلك وانما النية انبعاث النفس وتوجهها وميلها الى ما ظهر لها ان فيه غرضها اما عاجلا واما آجلا والميل اذا لم يكن لا يمكن اختراعه واكتسابه بمجرد الارادة بل ذلك كقول الشبعان نويت ان اشتهي الطعام واميل اليه او قول الفارغ نويت ان اعشق فلانا واحبه واعظمه بقلبي فذلك محال بل لا طريق الى اكتساب صرف القلب الى الشيء وميله اليه وتوجهه نحوه الا باكتساب اسبابه وذلك مما قد يقدر عليه ولا يقدر عليه وانما تنبعث النفس الى الفعل اجابة للغرض الباعث الموافق للنفس الملايم لها وما لم يعتقد الانسان ان غرضه منوط بفعل من الافعال فلا يتوجه نحوه قصده وذلك مما لا يقدر على اعتقاده في كل حين واذا اعتقد فانما يتوجه القلب اذا كان فارغا غير مصروف

مثال النية

عنده بعرض شاغل أقوى منه وذلك لا يمكن في كل وقت والدواعي والصوارف
لها أسباب كثيرة بها تجتمع وتختلف ذلك بالأشخاص وبالأعمال فإذا غلبت شهوة
النكاح مثلاً ولم يعتقد غرضاً صحيحاً في الولد ديناً ودنيا لا يمكنه أن يواقع
على نية الولد بل لا يمكن إلا بنية قضاء الشهوة إذ النية هي إجابة الباعث ولا باعث
إلا الشهوة فكيف ينوي الولد وإذا لم يغلب على قلبه أن إقامة سنة النكاح اتباعاً
لرسول الله صلى الله عليه وسلم يعظم فضله لا يمكن أن ينوي بالنكاح اتباع السنة
إلا أن يقول ذلك بلسانه وقلبه وهو حديث محض وليس بنية نعم طريقه أن يكتسب
هذه النية مثلاً أن يقوي أولاً إيمانه بالشرع ويقوي إيمانه بعظم ثواب من سعى
في تكثير أمة محمد صلى الله عليه وسلم ويدفع عن نفسه جميع المنفرات عن الولد من
ثقل المؤنة وطول التعب وغيره فإذا فعل ذلك ربما انبعث من قلبه رغبة إلى
تحصيل الولد للثواب فتحركه تلك الرغبة وتحرك أعضاءه لمباشرة العقد فإذا انتهضت
الحركة للسان بقبول العقد طاعة لهذا الباعث الغالب على القلب كان ناوياً فإن لم يكن
كذلك فما يقدره في نفسه ويردده في قلبه من قصد الولد وسواس وهذيان
ولهذا امتنع جماعة من السلف من جملة من الطاعات لم تحضرهم النية وكانوا يقولون
ليس تحضرنا فيه نية حتى إن ابن سيرين لم يصل على جنازة الحسن وقال ليس تحضرني
نية ونادى بعضهم امرأته وكان يسرح شعره أن هاتي المدرى فقالت أجيء
بالمرآة فسكت ساعة ثم قال نعم فقيل له في ذلك فقال كان لي في المدرى نية
ولم تحضرني في المرآة نية فتوقفت حتى هيأها الله ومات حماد بن سليمان
وكان أحد علماء أهل الكوفة فقيل للثوري ألا تشهد جنازته فقال لو كان لي نية لفعلت
وكان أحدهم إذا سئل عملاً من أعمال البر قال إن رزقني الله نية فعلت وكان
طاوس لا يحدث إلا بنية فكان يسأل أن يحدث فلا يحدث ولا يسأل فيبتدئ فقيل
له في ذلك فقال أفتحبون أن أحدث بغير نية إذا حضرت لي نية فعلت وحكي
أن داود بن المحبر لما صنف كتاب العقل جاءه أحمد بن حنبل فطلبه منه فنظر فيه
أحمد صفحاً ورده فقال ما لك فقال ما فيه أسانيد ضعاف فقال له داود أنا لم أخرجه
على الأسانيد فانظر فيه بعين الخبر إنما نظرت فيه بعين العمل فانتفعت قال أحمد فرده
علي حتى أنظر فيه بالعين التي نظرت فأخذه ومكث عنده طويلاً ثم قال جزاك
الله خيراً فقد انتفعت به وقيل لطاوس ادع لنا فقال حتى أجد له نية وقال

النية بالنكاح

قال تعالى أنا أغنى الشركاء عن الشرك. وبالجملة كل حظ من حظوظ الدنيا
تستريح إليه النفس ويميل إليه القلب قل أم كثر إذا تطرق إلى العمل تكدر
به صفوه وزال به إخلاصه والإنسان مرتبط في حظوظه منغمس في شهواته
قلما ينفك فعل من أفعاله وعبادة من عباداته عن حظوظ وأغراض عاجلة
من هذه الأجناس ولذلك قيل من سلم له في عمره لحظة واحدة خالصة
لوجه الله تعالى نجا وذلك لعزة الإخلاص وعسر تنقية القلب عن هذه الشوائب
بل الخالص هو الذي لا باعث عليه إلا طلب القرب من الله تعالى وهذه
الحظوظ إن كانت هي الباعثة وحدها فلا يخفى شدة الأمر على صاحبه فيها
وإنما نظرنا فيما إذا كان القصد الأصلي هو التقرب وانضافت إليه هذه
الأمور ثم هذه الشوائب إما أن تكون في رتبة الموافقة أو في رتبة المشاركة
أو في رتبة المعاونة كما سبق في النية وبالجملة فإما أن يكون الباعث
النفسي مثل الباعث الديني أو أقوى منه أو أضعف ولكل واحد حكم آخر
سنذكره وإنما الإخلاص تخليص العمل عن هذه الشوائب كلها قليلها وكثيرها
حتى يتجرد فيه قصد التقرب فلا يكون فيه باعث سواه وهذا لا يتصور إلا
من محب لله مستهتر به مستغرق الهم بالآخرة بحيث لم يبق لحب الدنيا في قلبه
قرار حتى لا يحب الأكل والشرب أيضاً بل تكون رغبته فيه كرغبته في قضاء
الحاجة من حيث إنه ضرورة الجبلة فلا يشتهي الطعام لأنه طعام بل لأنه
يقويه على عبادة الله تعالى ويتمنى أن لو كفي شر الجوع حتى لا يحتاج إلى الأكل
ولا يبقى في قلبه حظ من الفضول الزائدة على الضرورة ويكون قدر الضرورة
مطلوباً عنده لأنه ضرورة دينه فلا يكون له هم إلا الله تعالى فمثل هذا
الشخص لو أكل أو شرب أو قضى حاجة كان خالص العمل صحيح النية في
جميع حركاته وسكناته فلو نام مثلاً ليريح نفسه فيتقوى على العبادة
بعده كان نومه عبادة وكان له درجة المخلصين فيه ومن ليس كذلك
فباب الإخلاص فيه في الأعمال كالمسدود عليه إلا على الندور وكما أن
من غلب عليه حب الله تعالى وحب الآخرة فاكتسبت حركاته الاعتيادية
صفة همه وصارت إخلاصاً والذي يغلب على نفسه الدنيا والعلو والرياسة
وبالجملة غير الله فقد اكتسبت جميع حركاته تلك الصفة فلا تسلم له عباداته

للخلوص في العمل

الحركات والسكنات عبادة بالنية

من صوم وصلاة وغير ذلك الا نادرا فاذا علاج الاخلاص كسر حظوظ النفس
وقطع الطمع عن الدنيا والتجرد للآخرة بحيث يغلب ذلك على القلب فاذا ذلك تيسر
الاخلاص وكم من اعمال يتعب الانسان فيها ويظن انها خالصة لوجه الله تعالى ويكون
فيها مغرورا لانه لا يرى وجه الآفة فيها كما حكي عن بعضهم انه قال قضيت
صلاة ثلاثين سنة كنت صليتها في المسجد في الصف الاول لاني تأخرت يوما
لعذر فصليت في الصف الثاني فعرفت ان نظر الناس الي في الصف الاول كان
مسرتي وسبب استراحة قلبي من حيث لا اشعر وهذا دقيق غامض وقلما تسلم
الاعمال عن امثاله وقل من يتنبه له الا من وفقه الله تعالى والغافلون عنه
يرون حسناتهم في الآخرة كلها سيئات وهم المرادون بقوله تعالى وبدا لهم من
الله ما لم يكونوا يحتسبون وبدا لهم سيئات ما عملوا وبقوله تعالى قل هل ننبئكم
بالاخسرين اعمالا الذين ضل سعيهم في الحيوة الدنيا وهم يحسبون انهم
يحسنون صنعا واشد الخلق تعرضا لهذه الفتنة العلما فان الباعث للاكثرين
على نشر العلم لذة الاستيلا والفرح بالاستتباع والاستبشار بالحمد
والثنا والشيطان يلبس عليهم ذلك فيقول غرضكم نشر دين الله والنضال عن
الشرع الذي شرعه رسول الله صلى الله عليه وسلم وترى الواعظ يمن على الله بنصيحة
الخلق ووعظه للسلاطين ويفرح بقبول الناس قوله واقبالهم عليه وهو يدعي
انه يفرح بما يسر له من نصرة الدين ولو ظهر من اقرانه من هو احسن منه
وعظا وانصرف الناس عنه واقبلوا عليه ساءه ذلك وغمه ولو كان باعثه الدين
لشكر الله تعالى اذ كفاه هذا المهم بغيره ثم الشيطان مع ذلك لا يخليه ويقول انما
غمك لانقطاع الثواب عنك لا لانصراف وجوه الناس اليه عنك اذ لو اتعظوا بقولك
لكنت انت المثاب واغتمامك لفوت الثواب محمود ولا يدري المسكين ان
انقياده للحق وتسليمه للامر افضل واجزل ثوابا واعود عليه في الآخرة
من انفراده وليت شعري لو اغتم عمر رضي الله عنه بتصدي ابي بكر
رضي الله عنه للامامة كان غمه محمودا او مذموما ولا يستريب ذو دين ان لو كان
ذلك لكان مذموما لان انقياده للحق وتسليمه للامر الى من هو اصلح اعود
عليه في الدين من تكفله بمصالح الخلق مع ما فيه من الثواب الجزيل بل فرح عمر
رضي الله عنه باستقلال من هو اولى منه بالامر فما بال العلما لا يفرحون بمثل

الغافلون

احوال الواعظ

وقال

وقال بعضهم انا في طلب نية لعيادة رجل منذ شهر فما صحت لي بعد
وقال عيسى ابن كثير مشيت مع ميمون ابن مهران فلما انتهى الى باب داره
انصرفت فقال ابنه الا تعرض عليه العشا قال ليس من نيتي وهذا لان
النية تتبع النظر فاذا تغير النظر تغيرت النية وكانوا لا يرون ان يعملوا عملا الا
بالنية لعلمهم بان النية روح العمل وان العمل بغير نية صادقة ريا وتكلف
وهو سبب مقت لا سبب قرب وعلموا ان النية ليس هي قول القائل بقلبه نويت
بل هو انبعاث للقلب تجري مجرى الفتوح من الله تعالى فقد تتيسر في بعض الاوقات
وقد تتعذر في بعضها نعم من كان الغالب على قلبه امر الدين تتيسر عليه في اكثر
الاحوال احضار النية للخيرات فان قلبه مايل بالجملة الى اصل الخير فتنبعث الى
التفاصيل غالبا ومن مال قلبه الى الدنيا وغلبت عليه لم يتيسر له ذلك
بل لا يتيسر له في الفرايض الا بجهد وغايته ان يتذكر النار ويحذر نفسه
عقابها او نعيم الجنة ويرغب نفسه فيها فربما تنبعث له داعية ضعيفة فيكون
ثوابه بقدر رغبته ونيته وأما الطاعة على نية اجلال الله تعالى
لاستحقاقه الطاعة والعبودية فلا تتيسر للراغب في الدنيا وهذه اعز النيات
واعلاها ويعز من يفهمها فضلا عمن يتعاطاها ونيات الناس في الطاعات اقسام
اذ منهم من يكون عمله اجابة لباعث الخوف فانه يتقي النار ومنهم من يعمل اجابة
لباعث الرجا وهو الرغبة في الجنة وهذا وان كان نازلا بالاضافة الى قصد
طاعة الله وتعظيمه لذاته ولجلاله لا لامر سواه فهو من جملة النيات الصحيحة
لانه ميل الى الموعود في الاخرة وان كان من جنس المالوفات في الدنيا
واغلب البواعث باعث الفرج والبطن وموضع قضا وطرهما الجنة فالعامل
لاجل الجنة عامل لبطنه وفرجه كالاجير السو ودرجته درجة البله وانه
لينالها بعمله اذ اكثر اهل الجنة البله واما عبادة ذوي الالباب فلا تجاوز ذكر الله
تعالى والفكر فيه حبا لجلاله وجلاله وسائر الاعمال تكون موكدات وروادف
وهولا ارفع درجة من الالتفات الى المنكوح والمطعوم في الجنة فانهم لم
يقصدوها بل هم الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه
فقط وثواب الناس بقدر نياتهم فلا جرم يتنعمون بالنظر الى وجهه
الكريم ويسخرون ممن يلتفت الى وجه الحور العين كما يسخر المتنعم بالنظر الى الحور

العين ممن ينعم بالنظر إلى وجه الصور المصورة المصنوعة من الطين بل
أشد فإن التفاوت بين جمال الحضرة الربوبية وجمال الحور العين والصور
أشد وأعظم كثيراً من التفاوت بين جمال الحور العين ومن الصور المصنوعة من الطين
بل استعظام النفوس البهيمية الشهوانية لقضاء الوطر من مخالطة الحسان وإعراضها
عن جمال وجه الله الكريم يضاهي استعظام الخنفسا لصاحبها والفها لها وإعرا[صح]
عن النظر إلى وجوه النسا فإنه لا يشعر به أصلاً ولا يلتفت إليه ولو كان لها
عقل وذكره لاستحقت عقل من يلتفت إليهن ولا يزالون مختلفين كل حزب بما لد[يهم]
فرحون ولذلك خلقهم حكي أن أحمد بن خضرويه رأى ربه في المنام ٥

رؤية الله في المنام

فقال له كل الناس يطلبون مني إلا أبو يزيد فإنه يطلبني ورأى أبو يزيد ربه
في المنام فقال يا رب كيف الطريق إليك فقال اترك نفسك وتعال ورؤي
الشبلي بعد موته في المنام فقيل له ما فعل الله بك فقال لم يطالبني على الدعو[ى]
بالبرهان إلا على قول واحد قلت يوماً أي خسارة أعظم من خسران الجنة
فقال أي خسارة أعظم من خسران لقائي والغرض أن هذه النيات متفاو[تة]
الدرجات ومن غلب على قلبه واحد منها لم يتيسر له العدول إلى غيره ومعر[فة]
هذه الحقائق تورث أعمالاً وأفعالاً لا يستنكرها الظاهريون من الفقهاء فإنا
نقول من حضرت له نية في نكاح ولم تحضر في فضيلة فالمباح أولى وانتقلت
الفضيلة إليه وصارت الفضيلة في حقه نقيصة لأن الأعمال بالنيات ٥
وذلك مثل العفو فإنه أفضل من الانتصار في الظلم وربما تحضره نية في
الانتصار دون العفو فيكون ذلك أفضل ومثل أن يكون له نية في الأكل
والشرب والنوم ليريح نفسه ويتقوى على العبادة في المستقبل وليس
تنبعث نيته في الحال للصوم والصلاة فالأكل والنوم هو الأفضل بل لو مل
العبادة لمواظبته عليها وسكن نشاطه وضعفت رغبته وعلم أنه لو ترفه
ساعة بلهو وحديث عاد نشاطه فاللهو أفضل له من الصلاة قال
أبو الدردا إني لأستجم نفسي بشيء من اللهو فيكون ذلك عوناً لي على الحق ٥
وقال علي كرم الله وجهه روحوا القلوب فإذا أكرهت عميت
وهذه دقايق لا يدركها إلا سماسرة العلما دون الحشوية منهم بل الحاذق
بالطب قد يعالج المحرور باللحم مع حرارته ويستبعده القاصر بالطب

بالطب وانما ينبغي به ان تعبد اولا تو نه لحتمل المعاجلة والمعالجة بالضد فالحاذق في لعب الشطرنج مثلا قد ينزل عن الرخ والفرس مجانا ليتوصل بذلك الى الغلبة والضعيف البصيرة قد يضحك به ويتعجب منه وكذلك الخبير بالقتال قد يفر بين يدي قرنه ويوليه دبره حيلة منه ليستجره الى مضيق فيكر عليه فيقهره فكذلك سلوك طريق الله تعالى كله قتال مع الشيطان ومعالجة القلب والبصير الموفق يقف فيها على لطايف من الحيل تستبعدها الضعفا فلا ينبغي للمريد ان يضمر انكارا على ما يراه من شيخه ولا للمتعلم ان يعترض على استاذه بل ينبغي ان يقف على حد بصيرته وما لا يفهمه من احوالهما لهما الى ان ينكشف له اسرار ذلك بان يبلغ رتبتهما وينال درجتهما

مثال سلوك طريق الله وقتال مع الشيطان

الباب الثاني في الاخلاص

وفضيلته وحقيقته ودرجاته

بيان فضيلة الاخلاص

قال الله تعالى وما امروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين وقال الا لله الدين الخالص وقال تعالى الا الذين تابوا واصلحوا واعتصموا بالله واخلصوا دينهم لله وقال تعالى فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه احدا نزلت فيمن يعمل ويحب ان يحمد عليه وقال النبي صلى الله عليه وسلم ثلاث لا يغل عليهن قلب رجل مسلم اخلاص العمل لله وعن مصعب ابن سعد عن ابيه قال ظن ابي ان له فضلا على من دونه من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال النبي صلى الله عليه وسلم انما نصر الله عز وجل هذه الامة بضعفائها ودعوتهم واخلاصهم وصلاتهم وعن الحسن قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم

ان فضيلة الاخلاص

مطلب

يقول الله تعالى الاخلاص سر من سري استودعته قلب من احببته من عبادي
وقال علي ابن ابي طالب كرم الله وجهه لا تهتموا لقلة العمل واهتموا للقبول
فان النبي صلى الله عليه وسلم قال لمعاذ ابن جبل اخلص العمل يجزك منه القليل
وقال عليه السلام ما من عبد يخلص لله العمل اربعين يوما الا ظهرت ينابيع الحكمة
من قلبه على لسانه وقال عليه السلام اول من يسأل يوم القيامة
ثلاثة رجل اتاه الله تعالى العلم فيقول الله تعالى ماذا صنعت فيما علمت فيقول يا رب
كنت اقوم اناء الليل واطراف النهار فيقول الله تعالى كذبت وتقول الملائكة كذبت
بل اردت ان يقال فلان عالم الا فقد قيل ذلك ورجل اتاه الله مالا فيقول
الله تعالى لقد انعمت عليك فماذا صنعت فيقول يا رب كنت اتصدق الليل والنهار
فيقول الله كذبت وتقول الملائكة كذبت بل اردت ان يقال فلان شجاع الا فقد
قيل ذلك وقال ابو هريرة ثم خط رسول الله صلى الله عليه وسلم على فخذي
وقال يا ابا هريرة اولئك اول خلق تسعر بهم نار جهنم يوم القيامة فدخل
راوي هذا الحديث على معاوية رضي الله عنه وروى له ذلك فبكى حتى كادت
نفسه تزهق ثم قال صدق الله اذ قال من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها
الاية **وفي الاسرائيليات** ان عابدا كان يعبد الله تعالى دهرا طويلا
فجاءه قوم فقالوا ان هاهنا قوما يعبدون شجرة من دون الله عز وجل فغضب
لذلك واخذ فاسه على عاتقه واخذ الشجرة ليقطعها فاستقبله ابليس في
صورة شيخ فقال اين تريد رحمك الله قال اريد ان اقطع هذه الشجرة قال وما
انت وذلك تركت عبادتك واشتغالك بنفسك وتفرغت لغير ذلك فقال
ان هذا من عبادتي قال فاني لا اتركك ان تقطعها فقاتله فاخذه العابد فطرحه
الى الارض وقعد على صدره فقال له ابليس اطلقني حتى اكلمك فقام عنه
فقال له ابليس يا هذا ان الله تعالى اسقط عنك هذا ولم يفرضه عليك وما
تعبدها انت وما عليك من غيرك ولله تعالى انبياء في الارض ولو شاء لبعثهم
الى اهلها وامرهم بقطعها قال العابد لابد لي من قطعها فنابذه القتال فغلبه
العابد وصرعه وقعد على صدره فعجز ابليس فقال هل لك في امر فصل
بيني وبينك وهو خير لك وانفع قال وما هو قال اطلقني حتى اقول لك فاطلقه
فقال له ابليس انت رجل فقير لا شيء لك انما انت كل على الناس يعولونك

العلماء

الغني

زينة الدنيا

الحكاية في الاخلاص

يحولونك ولعلك تحب أن تتفضل على إخوانك وتواسي جيرانك وتشبع
وتستغني عن الناس قال نعم قال فارجع عن هذا الأمر ولك علي أن
أجعل عند رأسك في كل ليلة دينارين إذا أصبحت أخذتهما فأنفقت على نفسك
وعيالك وتصدقت على إخوانك فيكون أنفع لك وللمسلمين من قطع هذه
الشجرة التي تغرس مكانها ولا يضرهم قطعها شيئاً ولا ينفع إخوانك المؤمنين
إياها فتفكر العابد فيما قال ثم قال صدق الشيخ لست بنبي فيلزمني
قطع هذه الشجرة ولا أمرني الله أن أقطعها فأكون عاصياً بتركها وما ذكره
أكثر منفعة فعاهده على الوفاء بذلك وحلف له فرجع العابد إلى متعبده
فبات فلما أصبح رأى دينارين عند رأسه فأخذهما وكذلك الغد ثم أصبح اليوم
الثالث وما بعده فلم ير شيئاً فغضب وأخذ فأسه على عاتقه فاستقبله
في صورة شيخ فقال له إلى أين فقال لأقطع تلك الشجرة فقال كذبت والله
ما أنت بقادر على ذلك ولا سبيل لك إليها قال فتناوله العابد ليفعل به كما
فعل أول مرة فقال هيهات فأخذه إبليس وصرعه فإذا هو كالعصفور
بين يديه وقعد إبليس على صدره وقال لتنتهين عن هذا الأمر أو لأ
ذبحنك فنظر العابد فإذا لا طاقة له به قال يا هذا غلبتني فخل عني
وأخبرني كيف غلبتك أولاً وغلبتني الآن فقال لأنك غضبت أول مرة
لله وكانت نيتك الآخرة فسخرني الله لك وهذه المرة غضبت لنفسك
وللدنيا فصرعتك وهذه الحكاية تصديق قول الله تعالى إلا عبادك منهم
المخلصين إذ لا يتخلص العبد من الشيطان إلا بالإخلاص ولذلك كان
معروف الكرخي رحمه الله يضرب نفسه ويقول يا نفس أخلصي
تتخلصي قال يعقوب المكفوف المخلص من يكتم حسناته كما يكتم سيئاته
وقال أبو سليمان طوبى لمن صحت له خطوة واحدة لا يريد بها إلا الله تعالى
وكتب عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلى أبي موسى الأشعري رضي الله عنه من
خلصت نيته كفاه الله ما بينه وبين الناس وقال أيوب السختياني
تخليص النيات على العمال أشد عليهم من جميع الأعمال وكان مطرف يقول من
صفى صُفي له ومن خلط خلط عليه ورئي بعضهم في المنام فقيل له كيف وجدت
أعمالك فقال كل شيء عملته لله وجدته حتى حبة رمان لقطتها من طريق

العمل لله لا للدنيا وللنفس

كتم الحسنات والسيئات

مطلب رؤية الاشياء في الميزان بالنية

وحتى هرة لنا ماتت رأيتها في كفة الميزان للحسنات وكان في قلنسوتي خيط
من حرير فرأيته في كفة السيئات وكان قد نفق لي حمار قيمته مائة دينار فما
رأيت له ثوابا فقلت موت سنور في الحسنات وموت حمار ليس فيه فقيل
انه قد وجه حيث بعثت به فانه لما قيل لك قد مات قلت في لعنة الله فبطل
أجرك ولو قلت في سبيل الله لوجدته في حسناتك وفي رواية لو كنت
تصدقت بصدقة بين الناس فاعجبني نظرهم الي لو جدت ذلك لا علي ولا لي
قال سفيان لما سمع هذا ما احسن حاله اذ لم يكن عليه فاحسن اليه
وقال يحيى بن معاذ الاخلاص تمييز العمل من العيوب كتمييز اللبن من الفرث
والدم وقيل كان رجل يخرج في زي النساء ويحضر كل موضع يجتمع فيه النساء
من عرس او مأتم فاتفق ان حضر يوما موضعا فيه مجمع النساء فسرقت درة
فصاحوا أن أغلقوا الباب حتى نفتش فكانوا يفتشون واحدة واحدة حتى
بلغت النوبة الى الرجل والى امرأة معه فدعا الله تعالى بالاخلاص وقال ان
نجوت من هذه الفضيحة لا أعود الى مثل هذا فوجدت الدرة مع تلك المرأة
فصاحوا ان اطلقوا الحرة فقد وجدنا الدرة وقال بعض الصوفية كنت
قائما مع ابي عبيد البسري وهو يحرث ارضه بعد العصر من يوم عرفة فمر به
بعض اخوانه من الابدال فساره بشيء فقال ابو عبيد لا فمر كالسحاب يمسح الارض
حتى غاب عن عيني فقلت لابي عبيد ما قال لك قال سألني ان احج معه فقلت لا
قلت فهلا فعلت قال ليس لي في الحج نية وقد نويت ان اتمم هذه الارض العشية
فاخاف ان حججت معه لاجله اتعرض لمقت الله تعالى لاني ادخل في عمل الله
تعالى شيئا غيره فيكون ما انا فيه اعظم عند الله تعالى من سبعين حجة ويروى
عن بعضهم انه قال غزوت في البحر فعرض بعضنا مخلاة فقلت اشتريها
فانتفع بها في غزوتي فاذا دخلت مدينة كذا بعتها فربحت فيها فاشتريتها
فرأيت تلك الليلة في النوم كأن شخصين نزلا من السماء فقال احدهما لصاحبه
اكتب الغزاة فاملى عليه اكتب فلان خرج متنزها وفلان مرائيا وفلان
تاجرا وفلان في سبيل الله ثم نظر الي وقال اكتب فلان تاجرا فقلت الله
الله في امري ما خرجت اتجر وما معي تجارة اتجر فيها ما خرجت الا للغزو
فقال لي يا شيخ قد اشتريت بالامس مخلاة تريد ان تربح فيها فبكيت وقلت لا

الاخلاص

الغزاة

وقلت لا تكتبوني تاجراً فنظر إلى صاحبه وقال ما ترى فقال اكتب خرج
فلان غازياً إلا أنه اشترى في طريقه مخلاة ليربح فيها حتى يحكم الله عز
وجل فيه ما يرى. وقال سري السقطي لأن تصلي ركعتين في خلوة
تخلصهما خير لك من أن تكتب سبعين حديثاً أو سبعمائة بعلو. وقال
بعضهم في إخلاص ساعة نجاة الأبد ولكن الإخلاص عزيز. ويقال العلم
بذر والعمل زرع وماؤه الإخلاص. وقال بعضهم إذا أبغض الله
عبداً أعطاه ثلاثاً ومنعه ثلاثاً أعطاه صحبة الصالحين ومنعه القبول منهم
وأعطاه الأعمال الصالحة ومنعه الإخلاص فيها وأعطاه الحكمة ومنعه الصدق
فيها. وقال السوسي مراد الله من عمل الخلق الإخلاص فقط. وقال الجنيد
إن لله تعالى عباداً عقلوا فلما عقلوا عملوا فلما عملوا أخلصوا فاستدعاهم الإخلاص
إلى أبواب البر أجمع. وقال محمد بن سعد المروزي الأمر كله يرجع إلى
أصلين فعل منه بك وفعل منك له فترضى ما فعل وتخلص فيما تعمل فإذا أنت
قد سعدت بهذين وفزت في الدارين إن شاء الله تعالى

بيان حقيقة الإخلاص

اعلم أن كل شيء يتصور أن يشوبه غيره فإذا صفا عن شوبه
وخلص عنه سمي خالصاً ويسمى الفعل المصفى المخلص إخلاصاً قال الله
تعالى من بين فرث ودم لبناً خالصاً سائغاً للشاربين فإنما خلوص اللبن
أن لا يكون فيه شوب من الدم والفرث ومن كل ما يمتزج به والإخلاص
يضاده الإشراك فمن ليس مخلصاً فهو مشرك إلا أن للشرك درجات
فالإخلاص في التوحيد يضاده التشريك في الإلهية والشرك منه
خفي ومنه جلي وكذا الإخلاص والإخلاص وضده يتواردان على
القلب فمحله القلب وإنما يكون ذلك في القصود والنيات وقد ذكرنا
حقيقة النية وأنها ترجع إلى إجابة البواعث فمهما كان الباعث واحداً على
التجرد سمي الفعل الصادر عنه إخلاصاً بالإضافة إلى المنوي فمن تصدق

وغرضه محض الرياء فهو مخلص ومن كان غرضه محض التقرب الى الله تعالى عن
جميع الشوائب فان الالحاد عبارة عن الميل وبين خصيصة العبادة بالميل عن
الحق ومن كان باعثه مجرد الرياء فهو معرض للهلاك ولسنا نتكلم فيه اذ ذكرنا
ما يتعلق به في كتاب الرياء من ربع المهلكات واقل امور ما ورد في الخبر من ان
المرائي يدعى في القيامة باربعة اسامي يا مرائي يا مخادع يا مشرك يا كافر
وانما نتكلم الان فيمن انبعث لقصد التقرب ولكن امتزج بهذا الباعث باعث
آخر اما من الرياء او من غيره من حظوظ النفس ومثال ذلك ان يصوم
لينتفع بالحمية الحاصلة بالصوم مع قصد التقرب او يعتق عبدا ليتخلص
من مؤنته وسوء خلقه او يحج ليصح مزاجه بحركة السفر او ليتخلص من شر يعرض
له في بلده او ليهرب من عدو له في منزله او تبرم باهله وولده او لشغل
هو فيه فاراد ان يستريح عنه اياما او يغزو ليمارس الحرب ويتعلم
اسبابه ويقدر على تهيئة العساكر وجرها او يصلي بالليل وله غرض
في دفع النعاس عن نفسه ليراقب رحله واهله او يتعلم العلم ليسهل
عليه طلب ما يكفيه من المال او ليكون عزيزا بين العشيرة او ليكون عقاره
وماله محروسا بعز العلم عن الاطماع او اشتغل بالدرس والوعظ ليتخلص
عن كرب الصمت ويتفرج بلذة الحديث او تكفل بخدمة العلماء او الصوفية لتكون
حرمته وافرة عندهم وعند الناس او لينال به رفقا في الدنيا او
كتب مصحفا ليجود بالمواظبة على الكتبة خطه او حج ماشيا ليخفف عن نفسه
الكرا او توضا ليتنظف ويتبرد او اغتسل لتطيب رائحته او روى الحديث
ليعرف بعلو الاسناد او اعتكف في المسجد ليخف عليه كرا المسكن او صام
ليخفف عن نفسه التردد في طبخ الطعام او ليتفرغ لاشغاله فلا يشغله
الاكل عنها او تصدق على السائل ليقطع ابرامه في السؤال عن نفسه او يعود مريضا
ليعاد اذا مرض او يشيع جنازة ليشيع جنائز اهله او يفعل شيئا من
ذلك ليعرف بالخير ويذكر به وينظر اليه بعين الصلاح والوقار فمهما كان باعثه
هو التقرب الى الله تعالى ولكن انضاف اليه خطرة من هذه الخطرات
حتى صار العمل اخف عليه بسبب هذه الامور فقد خرج عمله عن حد الاخلاص
وخرج عن ان يكون خالصا لوجه الله تعالى وتطرق الشرك اليه وقد قال

الرياء

الاخلاص والخروج عنه

والآفات المكدرة

بيان درجات الشوائب

والآفات المكدرة للإخلاص

اعلم أن الآفات المشوبة للإخلاص بعضها جلي وبعضها خفي وبعضها ضعيف مع الجلاء وبعضها قوي مع الخفاء ولا يفهم اختلاف درجاتها في الخفاء والجلاء إلا بمثال وأظهر مشوشات الإخلاص الرياء فلنذكر منه مثالاً فنقول الشيطان يدخل الآفة على المصلي مهما كان مخلصاً في صلاته ثم نظر إليه جماعة أو دخل عليه داخل فيقول له حسن صلاتك حتى ينظر إليك هذا الحاضر بعين الوقار والصلاح ولا يزدريك ولا يغتابك فتخشع جوارحه وتسكن أطرافه وتحسن صلاته وهذا هو الرياء الظاهر ولا يخفى ذلك على المبتدئين من المريدين **الدرجة الثانية** أن يكون المريد قد فهم هذه الآفة وأخذ منها حذره فصار لا يطيع الشيطان فيها ولا يلتفت إليه ويستمر في صلاته كما كان فيأتيه في معرض الخير ويقول أنت متبوع ومقتدى بك ومنظور إليك وما تفعله يؤثر عنك ويأتم بك غيرك فيكون لك ثواب أعمالهم إن أحسنت وعليك الوزر إن أسأت فأحسن عملك بين يديه فعساه يقتدي بك في الخشوع وتحسين العبادة وهذا أغمض من الأول وقد ينخدع به من لا ينخدع بالأول وهو أيضاً عين الرياء ومبطل للإخلاص فإنه إن كان يرى الخشوع وحسن العبادة خيراً لا يرضى لغيره تركه فلم لم يرتض لنفسه ذلك في الخلوة ولا يمكن أن تكون نفس غيره أعز عليه من نفسه فهذا محض التلبيس بل المقتدى به هو الذي استقام في نفسه واستنار قلبه فانتشر نوره إلى غيره فيكون له ثواب عليه فأما هذا فمحض النفاق والتلبيس فمن اقتدى به أثيب عليه وأما هو فيطالب بتلبيسه ويعاقب على إظهاره من نفسه ما ليس متصفاً به **الدرجة الثالثة** وهي أدق مما قبلها أن يجرب العبد نفسه في ذلك ويتنبه لكيد الشيطان ويعلم أن مخالفته بين الخلوة والمشاهدة للغير محض الرياء ويعلم أن الإخلاص

الرياء

وسواس الشيطان

الرياء

فأن يكون صلاته في الخلوة مثل صلاته في الملأ، ويستحيي من ربه ومن نفسه
ان يتخشع لمشاهدة خلقه تخشعا زائدا على عادته فيقبل على نفسه في الخلوة
ويحسن صلاته على الوجه الذي يرتضيه في الملا ويصلي في الملا ايضا كذلك
فهذا ايضا من الرياء الغامض لانه حسن صلاته في الخلوة ليحسن في الملا
فلا يكون قد فرق بينهما فالتفاته في الخلوة والملا الى الخلق بل الاخلاص ان
يكون مشاهدة البهائم لصلاته ومشاهدة الخلق على وتيرة واحدة فكان نفس
هذا ليست تسمح باساءة الصلاة بين اظهر الناس ثم يستحيي من نفسه ان يكون
في صورة المرائين ويظن ان ذلك يزول بان يستوي صلاته في الخلا والملا جميعا
وهذا شخص مشغول الهم بالخلق في الملا والخلا جميعا وهذا من المكايد الخفية

مكايد الشيطان

للشيطان **الدرجة الرابعة** وهي ادق واخفى ان ينظر اليه الناس
وهو في صلاته فيعجز الشيطان عن ان يقول له اخشع لاجلهم فانه قد عرف
انه تفطن لذلك فيقول له الشيطان تفكر في عظمة الله وجلاله ومن انت واقف
بين يديه واستحي ان ينظر الله عز وجل الى قلبك وهو غافل عنه فيحضر بذلك
قلبه وتخشع جوارحه وتظن ان ذلك عين الاخلاص وهو عين المكر والخداع
فان خشوعه لو كان لنظره الى جلاله لكانت هذه الخطرة تلازمه في الخلوة
ولكان لا يختص حضورها بحالة حضور غيره وعلامة الامن من هذه الآفة ان
يكون هذا الخاطر مما يألفه في الخلوة كما يألفه في الملا، ولا يكون حضور الغير
هو السبب في حضور الخاطر كما لا يكون حضور البهيمة سببا فما دام يفرق
في احواله بين مشاهدة انسان ومشاهدة بهيمة فهو بعد خارج عن صفو
الاخلاص مدنس الباطن بالشرك الخفي من الرياء، وهذا الشرك اخفى في قلب
ابن آدم من دبيب النملة السوداء في الليلة الظلماء على الصخرة الصماء كما ورد
به الخبر ولا يسلم من الشيطان الا من دق نظره وسعد بعصمة الله تعالى
وتوفيقه وهدايته والا فالشيطان ملازم للمتشمرين لعبادة الله تعالى
لا يغفل عنهم لحظة حتى يحملهم على الرياء في كل حركة من الحركات حتى
في كحل العين وقص الشارب وطيب يوم الجمعة ولبس الثياب فان هذه سنن
في اوقات مخصوصة وللنفس فيها حظ خفي لارتباط نظر الخلق بها
واستئناس الطبع بها فيدعوه الشيطان الى فعل ذلك ويقول هذه سنة

وسواس الشيطان
[illegible]

سنة لا ينبغي ان يتركها ويكون انبعاث القلب باطنا لها لاجل تلذذ الشهوات
خفية او مشوبة بشوب يخرج عن حد الاخلاص بسببه وما لا يسلم عن هذه
الآفات كلها فليس بخالص بل من يعتكف في مسجد معمور نظيف حسن العمارة
يانس الطبع به فالشيطان يرغبه فيه ويكثر عليه من فضايل الاعتكاف وقد يكون
المحرك الخفي في سره هو الانس بحسن صورة المسجد واستراحة الطبع اليه
ويتبين ذلك في ميله الى احد المسجدين او احد الموضعين اذا كان احسن من الآخر
وكل ذلك امتزاج بشوايب الطبع وكدورات النفس ومبطل حقيقة الاخلاص
لعمري الغش الذي يمتزج بخالص الذهب له درجات متفاوتة فمنها ما يغلب
ومنها ما يقل ولكن يسهل دركه ومنها ما يدق فيخفى لا يدركه الا الناقد البصير
وغش القلب ودغل الشيطان وخبث النفس اغمض من ذلك وادق كثيرا لا
يدركه الا الناقد البصير وغش القلب اغلب من ذلك وادق كثيرا ولهذا
قيل ركعتان من عالم افضل من عبادة سنة من جاهل واريد به العالم البصير
بدقايق آفات الاعمال حتى يخلص عنها فان الجاهل نظره الى ظاهر العبادة
واغتراره بها كنظر السوادي الى حمرة الدينار المموه واستدارته وهو
مغشوش زايف في نفسه وقيراط من الخالص الذي يرتضيه الناقد البصير خير
من دينار يرتضيه الغر الغبي فهكذا يتفاوت امر العبادات بل اشد واعظم
ومداخل الآفات المتطرقة الى فنون الاعمال لا يمكن حصرها واحصاؤها
فلينتفع بما ذكرناه مثالا والفطن يغنيه القليل عن الكثير والبليد لا يغنيه
التطويل ايضا فلا فايدة في التفصيل

بيان حكم العمل المشوب

واستحقاق الثواب به

اعلم ان العمل اذا لم يكن خالصا لله تعالى
بل امتزج به شوب من الريا او حظوظ النفس فقد اختلف في ان ذلك
هل يقتضي ثوابا ام يقتضي عقابا ام لا يقتضي شيئا اصلا فلا يكون

الرياء

له ولا عليه اما الذي لم يرد به الا الريا فهو عليه قطعا وهو سبب المقت
والعقاب واما الخالص لوجه الله تعالى فهو سبب الثواب وانما النظر في المشوب
وظاهر الاخبار تدل على انه لا ثواب له وليس تخلو الاخبار من تعارض فيه
والذي ينقدح لنا فيه والعلم عند الله ان ينظر الى قدر قوة البواعث فان
كان الباعث الديني مساويا للباعث النفسي تقاوما وتساقطا وصار العمل لا له
ولا عليه وان كان باعث الريا اغلب واقوى فهو ليس بنافع بل هو مع ذلك
مضر ومقتض للعقاب نعم العقاب الذي فيه اخف من عقاب العمل الذي تجرد
للريا ولم يمتزج به شايبة التقرب وان كان قصد التقرب اغلب بالاضافة
الى الباعث الآخر فله ثواب بقدر ما فضل من قوة الباعث الديني وهو لقوله
تعالى فمن يعمل مثقال ذرة فلا ينبغي ان يضيع قصد الخير بل ان كان غالبا على قصد
الريا حبط منه القدر الذي يساويه وبقيت زيادة وان كان مغلوبا سقط
بسببه شي من عقوبة القصد الفاسد وكشف الغطا عن هذا ان الاعمال تاثيرها
في القلوب بتاكيد صفاتها فداعية الريا من المهلكات وانما غذا هذا المهلك
وقوته العمل على وفقه وداعية الخير من المنجيات وانما قوتها بالعمل على وفقها واذا
اجتمعت الصفتان في القلب فهما متضادتان واذا عمل على وفق مقتضى الريا
فقد قوى تلك الصفة واذا كان ذلك العمل على وفق مقتضى التقرب فقد قوى
ايضا تلك الصفة ايضا واحدهما مهلك والآخر منجي فان كان تقوية هذا بقدر
تقوية الآخر فقد تقاوما فكان كالمستضر بالحرارة اذا تناول ما تضره
ثم تناول من المبردات ما يقاوم قدر قوته فيكون بعد تناولهما كانه لم يتناولهما
وان كان احدهما غالبا لم يخل الغالب عن اثر فكما لا يضيع مثقال ذرة من الطعام
والشراب والادوية ولا ينفك عن اثر في الجسد بحكم سنة الله تعالى فكذلك لا يضيع
مثقال ذرة من الخير والشر ولا ينفك عن تاثير في انارة القلب او تسويده
وفي تقريبه من الله تعالى او ابعاده فاذا جا بما يقربه شبرا مع ما يبعده
شبرا فقد عاد الى ما كان فلم يكن لا له ولا عليه وان كان الفعل مما يقربه
شبرين والآخر يبعده شبرا واحدا فضل له لا محالة شي وقد قال النبي
صلى الله عليه وسلم اتبع السيئة الحسنة تمحها فاذا كان الريا المحض يمحوه الاخلاص
المحض عقيبه فاذا اجتمعا جميعا فلا بد وان يتدافعا بالضرورة ويشهد لهذا

التجارة في الحج

لهذا اجماع الامة على ان من خرج حاجا ومعه تجارة صح حجه واثيب عليه
وقد امتزج به حظ من حظوظ النفس نعم يمكن ان يقال انما يثاب على اعمال
الحج عند انتهائه الى مكة وتجارته غير موقوفة عليه فهو خالص وانما المشترك
طول المسافة ولا ثواب فيه مهما قصد التجارة ولكن الصواب ان يقال مهما كان
الحج هو المحرك الاصلي وكان غرض التجارة كالمعين والتابع فلا ينفك نفس السفر
عن ثواب وما عندي ان الغزاة لا يدركون في انفسهم تفرقة بين غزو الكفار
في جهة تكثر فيها الغنايم وبين جهة لا غنيمة فيها ويبعد ان يقال ادراك
هذه التفرقة تحبط بالكلية ثواب جهادهم بل العدل ان يقال اذا كان
الباعث الاصلي والمزعج القوي هو اعلاء كلمة الله وانما الرغبة في الغنيمة
على سبيل التبعية فلا يحبط به الثواب نعم لا يساوي ثوابه ثواب من لا
يلتفت قلبه الى الغنيمة اصلا فان هذا الالتفات نقصان لا محالة

ادراك

الغزاة

فان قلت فالآيات والاخبار تدل على ان شوب الريا محبط للثواب
في معناه شوب طلب الغنيمة والتجارة وسائر الحظوظ فقد روى طاوس
وغيره من التابعين ان رجلا سأل النبي صلى الله عليه وسلم عمن يصطنع المعروف
او قال يتصدق فيحب ان يحمد ويوجر فلم يدر ما يقول له حتى نزلت
فمن كان يرجوا لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه احدا
وروى معاذ عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ادنى الريا
شرك وقال ابو هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم يقال لمن اشرك في عمله خذ اجرك ممن عملت له **وعن
عبادة ان الله عز وجل** قال انا اغنى الاغنيا عن الشرك من عمل عملا
فاشرك معي غيري ودعت نصيبي لشريكي وروى ابو موسى ان اعرابيا
اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله الرجل يقاتل حمية
والرجل يقاتل شجاعة والرجل يقاتل ليرى مكانه في سبيل الله فقال صلى
الله عليه وسلم من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله
وقال عمر رضي الله عنه تقولون فلان شهيد ولعله قد ملأ
دفتي راحلته ورقا وقال ابن مسعود قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم من هاجر يبتغي شيئا من الدنيا فهو له فنقول هذه الاحاديث

لا تناقض ما ذكرناه بل المراد بها من لم يرد بذلك الا الدنيا كقوله من هاجر
يبتغي شيئا من الدنيا او كان ذلك هو الاغلب على همه وقد ذكرنا ان ذلك
عصيان وعدوان لا لان طلب الدنيا حرام ولكن طلبها باعمال الدين حرام
لما فيه من الرياء وتغيير العبادة عن وضعها واما لفظ الشركة حيث ورد
فمطلق للتساوي وقد بينا انه اذا تساوى القصدان تقاوما ولم يكن له ولا عليه
فلا ينبغي ان يرجى عليه ثواب ثم ان الانسان عند الشركة ابدا في خطر فانه
لا يدري اي الامرين اغلب على قصده فربما يكون عليه وبالا ولذلك
قال تعالى فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة
ربه احدا اي لا يرجو اللقاء مع الشركة التي احسن احوالها التساقط ويجوز
ان يقال ايضا منصب الشهادة لا ينال الا بالاخلاص في الغزو وبعيد ان يقال
من كانت داعيته الدينية تحثه الى مجرد الغزو وان لم يكن غنيمة
ويقدر على غزو طائفتين من الكفار احداهما غنية والاخرى فقيرة فمال الى
جهة الاغنياء لاعلاء كلمة الله وللغنيمة انه لا ثواب له على غزوه البتة
ونعوذ بالله ان يكون الامر كذلك فان هذا حرج في الدين ومدخل لليأس على
المسلمين لان امثال هذه الشوائب التابعة قط لا ينفك الانسان عنها
الا على الندور فيكون تأثيرها في نقصان الثواب واما ان يكون في احباطه
فلا نعم الانسان فيه على خطر عظيم لانه ربما يظن ان الباعث الاقوى
هو قصد التقرب ويكون الاغلب على سره الحظ النفسي وذلك مما يخفى
غاية الخفاء فلا يحصل الامن الا بالاخلاص والاخلاص قلما يستيقن
العبد من نفسه وان بالغ في الاحتياط ولذلك ينبغي ان يكون ابدا بعد
كمال الاجتهاد مترددا بين الرد والقبول خائفا ان يكون في عبادته
آفة ان يكون وبالها اكثر من ثوابها وهكذا كان الخائفون من اولي
البصائر وهكذا ينبغي ان يكون كل ذي بصيرة ولذلك قال سفيان رحمه الله
لا اعتد بما ظهر من عملي وقال عبد العزيز بن ابي رواد جاورت هذا البيت
ستين سنة وحججت ستين حجة فما دخلت في شيء من اعمال الله تعالى الا وحاسبت
نفسي فوجدت نصيب الشيطان اوفى من نصيب الله ليته لا لي ولا علي ومع هذا
فلا ينبغي ان يترك العمل عند خوف الآفة والرياء فان ذلك منتهى بغية الشيطان ٥

الشيطان اذ المقصود ان لا يزول الاخلاص ومهما ترك العمل فقد ضيع العمل والاخلاص جميعا وقد حكي عن بعض الفقرا انه كان يخدم ابا سعيد الخراز ويخف في اعماله فتكلم ابو سعيد يوما في اخلاص الحركات فاخذ الفقير يتفقد قلبه عند كل حركة ويطالبه بالاخلاص فتعذر عليه قضا الحوائج واستضر الشيخ بذلك فسأله عن امره فاخبره بمطالبته نفسه بحقيقة الاخلاص وانه يعجز عنها في اكثر اعماله فيتركها فقال ابو سعيد لا تفعل اذ الاخلاص لا يقطع العمل فواظب على العمل واجتهد في تحصيل الاخلاص فما قلت لك اترك العمل وانما قلت لك اخلص العمل وقد قال الفضيل ترك العمل بسبب الخلق ريا وفعله لاجل الخلق شرك

الرياء

الباب الثالث في الصدق وفضيلته وحقيقته

بيان فضيلة الصدق

قال الله تعالى رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه وقال النبي صلى الله عليه وسلم ان الصدق يهدي الى البر والبر يهدي الى الجنة وان الرجل ليصدق حتى يكتب عند الله صديقا وان الكذب يهدي الى الفجور والفجور يهدي الى النار وان الرجل ليكذب حتى يكتب عند الله كذابا ويكفي في فضيلة الصدق ان الصديق مشتق منه والله تعالى وصف الانبيا به في معرض المدح والثنا فقال واذكر في الكتاب ابراهيم انه كان صديقا نبيا وقال واذكر في الكتاب ادريس انه كان صديقا نبيا وقال ابن عباس اربع من كن فيه فقد ربح الصدق والحيا وحسن الخلق والشكر وقال بشر بن الحارث من عامل الله بالصدق استوحش من الناس وقال ابو عبد الله الرملي رايت منصور الدينوري في المنام فقلت له ما فعل الله بك قال غفر لي ورحمني واعطاني ما لم اؤمل فقلت له احسن ما توجه العبد به الى الله ماذا قال الصدق واقبح ما توجه به الكذب وقال ابو سليمان

اجعل الصدق مطيتك والحق سيفك فان الله تعالى غاية طلبتك وقال رجل حكيم ما رأيت صادقا فقال لو كنت صادقا لعرفت الصادقين وعن محمد بن علي الكتاني قال وجدنا الله تعالى مبنيا على ثلاثة اركان على الحق والصدق فالحق على الجوارح والعدل على القلوب والصدق على العقود وقال الثوري في قوله تعالى يوم القيمة ترى الذين كذبوا على الله وجوههم مسودة قال هم الذين ادعوا محبة الله تعالى ولم يكونوا صادقين واوحى الله تعالى الى داود عليه السلام يا داود من صدقني في سريرته صدقته عند المخلوقين في علانيته وصاح رجل في مجلس الشبلي ورمى نفسه في دجلة فقال الشبلي ان كان صادقا فالله ينجيه كما نجى موسى عليه السلام وان كان كاذبا فالله يغرقه كما اغرق فرعون وقال بعضهم اجمع العلماء والفقهاء على ثلاث خصال انها اذا صحت ففيها النجاة ولا يتم بعضها الا ببعض الاسلام الخالص عن البدعة والهوى والصدق لله تعالى في الاعمال وطيب المطعم وقال وهب بن منبه وجدت على حاشية التوراة اثنين وعشرين حرفا كان صلحاء بني اسرائيل يجتمعون فيقرؤونها ويتدارسونها لا كنز انفع من العلم ولا مال اربح من الحلم ولا حسب اوضع من الغضب ولا قرين ازين من العمل ولا رفيق اشين من الجهل ولا شرف اعز من التقوى ولا كرم اوفى من ترك الهوى ولا عمل افضل من الفكر ولا حسنة اعلى من الصبر ولا سيئة اخزى من الكبر ولا دواء الين من الرفق ولا داء اوجع من الخرق ولا رسول اعدل من الحق ولا دليل انصح من الصدق ولا فقر اذل من الطمع ولا غنى اشقى من الجمع ولا حيوة اطيب من الصحة ولا معيشة اهنى من العفة ولا عبادة احسن من الخشوع ولا زهد خير من القنوع ولا حافظ احرس من الصدق ولا غايب اقرب من الموت وقال محمد بن سعيد المروزي اذا طلبت الله بالصدق افادك الله مرآة بيدك حتى تبصر كل شي من عجايب الدنيا والاخرة وقال ابو بكر الوراق احفظ الصدق فيما بينك وبين الله والرفق فيما بينك وبين الخلق وقيل لذي النون هل للعبد الى صلاح اموره سبيل فقال

صدق تصوف

والعدل

الاعمال الصالحة

والافعال السيئة

بمثل

بمشاهدة ذلك وقد يتخدع بعض أهل العلم بغرور الشيطان فيحدث نفسه
بأنه لو ظهر من هو أولى منه بالأمر لفرح به واختبار ذلك على نفسه
قبل التجربة والامتحان محض الجهل والغرور فإن النفس سهلة القياد
بالوعد قبل نزول الأمر ثم إذا دهاه الأمر تغير ورجع ولم يف بالوعد
وذلك لا يعرفه إلا من عرف مكايد الشيطان والنفس وطال اشتغاله
بامتحانها فمعرفة حقيقة الإخلاص والعمل به بحر عميق يغرق فيه الجميع
إلا الشاذ النادر والفرد وهو المستثنى في قوله تعالى إلا عبادك منهم
المخلصين فليكن العبد شديد التفقد والمراقبة لهذه الدقائق وإلا التحق
بأتباع الشياطين وهو لا يشعر

بيان أقاويل الشيوخ في الإخلاص

قال السوسي الإخلاص فقد رؤية الإخلاص
فإن من شاهد في إخلاصه الإخلاص فقد احتاج في إخلاصه إلى إخلاص
وما ذكره إشارة إلى تصفية العمل عن العجب بالفعل فإن الالتفات إلى الإخلاص
والنظر إليه عجب وهو من جملة الآفات والخالص ما صفي عن جميع الآفات
فهذا تعرض لآفة واحدة وقال سهل رحمه الله الإخلاص أن يكون
سكون العبد وحركاته لله تعالى خاصة وهذه كلمة جامعة محيطة بالغرض
وفي معناه قول إبراهيم بن أدهم الإخلاص صدق
النية مع الله تعالى وقيل لسهل أي شيء أشد على النفس فقال الإخلاص
إذ ليس لها فيه نصيب وقال رويم الإخلاص في العمل هو أن لا يريد صاحبه
عليه عوضا في الدارين وهذا إشارة إلى أن حظوظ النفس آفة آجلا وعاجلا
والعابد لأجل تنعم النفس بالشهوات في الجنة معلول بل الحقيقة أن لا يراد
بالعمل إلا وجه الله تعالى وهو إشارة إلى إخلاص الصديقين وهو الإخلاص
المطلق فأما من يعمل لرجاء الجنة وخوف النار فهو مخلص بالإضافة إلى الحظوظ
العاجلة وإلا فهو في طلب حظ البطن والفرج وإنما المطلوب الحق لذوي الألباب

وجه الله تعالى فقط وقول القائل لا يحرك الانسان الا الحظ والبراءة من الحظوظ
صفة الالهية ومن ادعى ذلك فهو كافر وقد قضى القاضي ابو بكر الباقلاني
بتكفير من يدعي البراءة من الحظوظ وقال هذا من صفات الالهية وما ذكره
حق ولكن القوم انما ارادوا به البراءة عما يسميه الناس حظوظا وهي الشهوات
الموصوفة في الجنة فقط فاما التلذذ بمجرد المعرفة والمناجاة والنظر الى
وجه الله تعالى فهذا حظ هؤلاء وهذا لا تعده الناس حظا بل يتعجبون منه
وهؤلاء لو عوضوا عما هم فيه من لذة الطاعة والمناجاة وملازمة الشهود
للحضرة الالهية سرا وجهرا لا ستحقروا جميع نعيم الجنة ولم يلتفتوا اليه
فحركتهم لحظ ولكن حظهم معبودهم فقط دون غيره وقال

الاخلاص

ابو عثمان الاخلاص نسيان رؤية الخلق بدوام النظر الى الخالق وهذا
اشارة الى آفة الرياء فقط وكذلك قول بعضهم الاخلاص في العمل لا يطلع
عليه شيطان فيفسده ولا ملك فيكتبه فانه اشارة الى مجرد الاخفاء وقد قيل
الاخلاص ما استتر عن الخلائق وصفي عن العلائق وهذا اجمع المقاصد وقال
المحاسبي الاخلاص هو اخراج الخلق من معاملة الرب وهذا اشارة
الى مجرد نفي الرياء وكذلك قال الخواص من شرب من كاس الرياسة
فقد خرج عن اخلاص العبودية وقال الحواريون لعيسى بن مريم
عليه السلام ما الخالص من الاعمال فقال الذي يعمل لله تعالى لا يحب ان يحمده
عليه احد وهذا ايضا تعرض لترك الرياء وانما خصه بالذكر لانه اقوى الاسباب
المشوشة للاخلاص وقال الجنيد الاخلاص تصفية الاعمال من الكدورات
وقال الفضيل ترك العمل من اجل الناس رياء والعمل من اجل الناس شرك
والاخلاص ان يعافيك الله منهما وقيل الاخلاص دوام المراقبة ونسيان الحظوظ
كلها وهذا هو البيان الكامل والاقاويل في هذا كثيرة ولا فائدة في تكثير
النقل بعد انكشاف الحقيقة **وانما البيان الشافي**
بيان سيد الاولين والاخرين صلى الله عليه وسلم اذ سئل
عن الاخلاص فقال ان تقول ربي الله ثم تستقيم كما امرت
اي لا تعبد هواك ونفسك ولا تعبد الا ربك وتستقيم في عبادته كما امرت
وهذا اشارة الى قطع كل ما سوى الله عن مجرى النظر وهو الاخلاص حقا

فقال

فقال

قد بقينا مذبذبين حيارى . نطلب الصدق وما إليه سبيل .
فدعاوي الهوى تخف علينا . وخلاف الهوى علينا ثقيل .

وقيل لسهل رحمه الله تعالى ما أصل هذا الأمر الذي نحن عليه فقال الصدق والسخاء والشجاعة فقيل زدنا فقال التقى والحياء وطيب الغذاء وعن ابن عباس أن النبي صلى الله عليه وسلم سئل عن الكمال فقال قول الحق والعمل بالصدق وعن الجنيد في قوله تعالى ليسأل الصادقين عن صدقهم فقال يسأل الصادقين عند أنفسهم عن صدقهم عند ربهم وهذا أمر على خطر

بيان حقيقة الصدق

ومعناه ومراتبه

اعلم أن لفظ الصدق يستعمل في ستة معان صدق في القول وصدق في النية وصدق في العزم وصدق في الوفاء بالعزم وصدق في الإرادة وصدق في العمل وصدق في تحقيق مقامات الدين كلها فمن اتصف بالصدق في جميع ذلك فهو صديق لأنه مبالغة من الصدق ثم هم أيضا على درجات ومن كان له حظ من الصدق في شيء من الجملة فهو صادق بالإضافة إلى ما فيه صدق

الصدق الأول

صدق اللسان وذلك لا يكون إلا في الأخبار أو ما يتضمن الأخبار وينبه عليه والخبر إما أن يتعلق بالماضي أو بالمستقبل وفيه يدخل الوفاء بالوعد والخلف فيه وحق على كل عبد أن يحفظ ألفاظه فلا يتكلم إلا بالصدق وهذا هو أشهر أنواع الصدق وأظهرها فمن حفظ لسانه عن الإخبار عن الأشياء على خلاف ما هي عليه فهو صادق ولكن لهذا الصدق كمالان أحدهما الاحتراز عن المعاريض فقد قيل في المعاريض مندوحة عن الكذب وذلك لأنها تقوم مقام الكذب إذ المحذور من الكذب تفهيم الشيء على خلاف ما هو عليه في نفسه

صدق اللسان في الخبر

الصادق في اقواله

الا ان ذلك مما تمس الحاجة اليه ويقتضيه المصلحة في بعض الاحوال وفي
تاديب الصبيان والنسوان ومن يجري مجراهم وفي الحذر عن الظلمة وفي
قتال الاعداء والاحتراز عن اطلاعهم على اسرار الملك فمن اضطر الى شي من ذلك
فصدقه فيه ان يكون نطقه فيه لله فيما يامره الحق به ويقتضيه الدين
فاذا نطق به فهو صادق وان كان كلامه مفهما غير ما هو عليه لان الصدق
ما اريد لذاته بل للدلالة على الحق والدعا اليه فلا ينظر الى صورته بل الى معناه
نعم في مثل هذا الموضع ينبغي ان يعدل الى المعاريض ما وجد اليه سبيلا
كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا توجه الى سفر
ورى بغيره وذلك كي لا ينتهي الخبر الى الاعدا فيقصد وليس هذا من
الكذب في شي قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس بكاذب من اصلح
بين اثنين فقال خيرا او نمى خيرا ورخص في النطق على وفق المصلحة في ثلثة
مواضع من اصلح بين اثنين ومن كانت له زوجتان ومن كان في مصالح الحرب

جواز الكذب في ثلثة

والصدق ههنا يتحول الى النية فلا يراعى فيه الا صدق النية وارادة الخير
فمهما صح قصده وصدقت نيته وتجرد للخير ارادته صار صادقا كيف ما كان لفظه
ثم التعريض اولى وطريقه ما حكي عن بعضهم انه كان
يطلبه بعض الظلمة وهو في داره فقال لزوجته خطي باصبعك
دائرة وضعي الاصبع على الدائرة وقولي ليس هو ههنا فاحترز بذلك عن الكذب
في دفع الظالم عن نفسه وكان قوله صدقا وافهم الظالم انه ليس في الدار
فالكمال الاول في اللفظ ان يحترز عن صريح اللفظ وعن المعاريض ايضا الا عند
الضرورة والكمال الثاني ان يراعي معنى الصدق في الفاظه التي يناجي بها ربه
كقوله وجهت وجهي للذي فطر السموات والارض فان قلبه كان منصرفا عن الله
عز وجل مشغولا باماني الدنيا وشهواتها فهو كاذب وكقوله اياك نعبد
وقوله انا عبد الله فانه اذا لم يتصف بحقيقة العبودية وكان له مطلب سوى الله
تعالى لم يكن كلامه صدقا ولو طولب يوم القيمة بالصدق في قوله
انا عبد الله لعجز عن تحقيقه فانه ان كان عبدا لنفسه او عبدا للدنيا او عبدا
لشهواته لم يكن صادقا في قوله وكلما تقيد العبد به فهو عبد له كما قال
عيسى عليه السلام يا عبيد الدنيا وقال نبينا صلى الله عليه وسلم

وسلم تعس عبد الدينار تعس عبد الدرهم وعبد الحلة وعبد الخميصة سمّى
كل من تقيد قلبه بشيء عبدا له وانما العبد الحق لله من اعتق اولا من غير الله فصار حرا
مطلقا فاذا تقدمت هذه الحرية صار القلب فارغا فحلت فيه العبودية
فتشغله بالله ومحبته وتقيد باطنه وظاهره بطاعته فلا يكون له مراد الا الله
تعالى ثم تجاوز هذا الى مقام آخر اسنى منه يسمى الحرية وهو ان يعتق ايضا
عن ارادته لله تعالى من حيث هو بل يقنع بما يريد الله له من تقريب او ابعاد
فيفنى ارادته في ارادة الله تعالى وهذا عبد عتق عن غير الله تعالى فصار حرا
ثم عاد وعتق عن نفسه فصار حرا وصار مفقودا لنفسه موجودا لسيده
ومولاه ان حركه تحرك وان سكنه سكن وان ابتلاه رضي لم يبق فيه متسع
لطلب والتماس واعتراض بل هو بين يدي الله كالميت بين يدي الغاسل وهذا
منتهى الصدق في العبودية فالعبد الحق هو الذي وجوده لمولاه لا لنفسه وهذه
درجات الصديقين واما الحرية من غير الله تعالى فدرجات الصادقين وبعدها
يتحقق العبودية لله تعالى وما قبل ذلك فلا يستحق صاحبه ان يسمى صادقا
ولا صديقا فهذا هو معنى الصدق في القول

الصدق الثاني في النية والارادة

ويرجع ذلك الى الاخلاص وهو ان لا يكون له باعث في الحركات والسكنات
الا الله تعالى فان مازجه شوب من حظوظ النفس بطل صدق النية وصاحبه
يجوز ان يسمى كاذبا كما رويناه في فضيلة الاخلاص من حديث الثلاثة حين
يسال العالم فما ذا عملت فيما علمت فقال فعلت كذا وكذا فقال الله كذبت بل
اردت ان يقال فلان عالم فانه لم يكذبه ولم يقل له لم تعمل ولكن كذبه في ارادته
ونيته وقد قال ______ بعضهم الصدق التوجه في القصد وكذلك قول
الله تعالى والله يشهد ان المنافقين لكاذبون وقد قالوا انك لرسول الله وهذا
صدق ولكن كذبهم لا من حيث نطق اللسان بل من حيث ضمير القلب وكان التكذيب
يتطرق الى الخبر وهذا القول يتضمن اخبارا بقرينة الحال اذ صاحبه يظهر من
نفسه انه يعتقد ما يقول فكذب في دلالته بقرينة الحال على ما في نفسه
وقلبه فانه كذب وان لم يكذب فيما يلفظ به فيرجع الى احد معاني الصدق الى خلوص

النية وهو الاخلاص فكل صادق فلا بد وان يكون مخلصا ٥

الصدق الثالث

صدق العزم فان الانسان قد يقدم العزم على العمل فيقول في نفسه ان رزقني الله مالا تصدقت بجميعه او بشطره او ان لقيت عدوا في سبيل الله قاتلت ولم ابال وان قتلت وان اعطاني الله ولاية عدلت فيها ولم اعص الله عز وجل بظلم وميل الى خلق فهذه العزيمة قد يصادفها من نفسه وهي عزيمة جازمة صادقة وقد تكون في عزمه نوع ميل وتردد وضعف يضاد الصدق في العزيمة وكان الصدق ههنا عبارة عن التمام والقوة كما يقال لفلان شهوة صادقة ويقال هذا المريض شهوته كاذبة مهما لم تكن شهوته عن سبب ثابت قوي او كانت ضعيفة فقد يطلق الصدق ويراد به هذا المعنى والصديق هو الذي يصادف عزيمته في الخيرات كلها قوية تامة ليس فيها ميل ولا ضعف ولا تردد بل تسخو نفسه ابدا بالعزم المصمم الجازم على الخيرات وهو كما قال عمر رضي الله عنه لان اقدم فيضرب عنقي احب الي من ان اتامر على قوم فيهم ابو بكر فانه قد وجد في نفسه العزم الجازم والمحبة الصادقة لانه لا يتامر على قوم فيهم ابو بكر فانه قد وجد في نفسه العزم الجازم والمحبة لانه لا يتامر مع وجود ابي بكر رضي الله عنه ٥ واكد ذلك بما ذكره من القتل ومراتب الصديقين في العزايم تختلف فقد يصادف العزم ولا ينتهي به الى ان يرضى بالقتل فيه ولكن اذا خلي ورايه لم يقدم ولو ذكر له حديث القتل لم ينقض عزمه بل في الصادقين والمومنين من لو خير بين ان يقتل هو او ابو بكر كانت حياة ابو بكر احب اليه من حياته ٥

صادق صح

الصدق الرابع

في الوفا بالعزم فان النفس قد تسخو بالعزم في الحال اذ لا مشقة في الوعد والعزم والمونة فيه خفيفة فاذا حققت الحقايق وحصل التمكن وهاجت الشهوات انحلت العزيمة وغلبت الشهوات ولم يتفق الوفا بالعزم وهذا ايضا يضاد الصدق فيه ولذلك قال الله تعالى رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فقد روي عن انس ان عمه انس ابن النضر لم يشهد بدرا مع رسول الله صلى الله

الغزاة والشهداء

صلى الله عليه وسلم فشق ذلك على قلبه فقال أول مشهد شهده رسول
الله صلى الله عليه وسلم غبت عنه أما والله لئن أراني الله مشهداً مع رسول
الله صلى الله عليه وسلم ليرين الله ما أصنع قال فشهد أحداً من العام
القابل فاستقبله سعد بن معاذ فقال يا عمرو واهاً لريح الجنة إني أجدها
دون أحد فقاتل حتى قتل فوجد في جسده بضع وثمانون من بين رمية
وضربة وطعنة فقالت أخته بنت النضر ما عرفت أخي إلا بثيابه ونزلت
هذه الآية رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه ووقف رسول الله صلى
الله عليه وسلم على مصعب بن عمير وقد سقط على وجهه يوم أحد شهيداً
وكان صاحب لواء رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال صلى الله عليه
وسلم صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر
وقال فضالة ابن عبيد سمعت عمر ابن الخطاب رضي الله عنه
يقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الشهداء أربعة رجل مؤمن
جيد الإيمان لقي العدو فصدق الله حتى قتل فذلك الذي ترفع الناس إليه أعينهم
يوم القيامة هكذا ورفع رأسه حتى وقعت قلنسوته قال الراوي
فلا أدري قلنسوة عمر أو قلنسوة رسول الله صلى الله عليه وسلم ورجل
جيد الإيمان إذا لقي العدو فكأنما يضرب وجهه بشوك الطلح أتاه سهم عائر
فقتله فهو في الدرجة الثانية ورجل مؤمن خلط عملاً صالحاً وآخر سيئاً
لقي العدو فصدق الله حتى قتل فذلك في الدرجة الثالثة وقال مجاهد
رجلان خرجا على ملأ من الناس قعود فقالا إن رزقنا الله لنتصدقن فبخلوا
به فنزلت ومنهم من عاهد الله لئن آتانا من فضله لنصدقن ولنكونن من
الصالحين وقال بعضهم إنما هو شيء نووه في أنفسهم لم يتكلموا به فقال
ومنهم من عاهد الله لئن آتانا من فضله لنصدقن ولنكونن من الصالحين
فلما آتاهم من فضله بخلوا به وتولوا وهم معرضون فأعقبهم نفاقاً في
قلوبهم إلى يوم يلقونه بما أخلفوا الله ما وعدوه وبما كانوا يكذبون
فجعل العزم عهداً وجعل الخلف فيه كذباً والوفاء به صدقاً وهذا الصدق
أشد من الصدق الثالث فإن النفس قد تسخو بالعزم ثم تكيع عند الوفاء لشدته عليها
والهيجان للشهوات عند التمكن وحصول الأسباب ولذلك استثنى عمر رضي

الله عنه فقال لان اقدم فتضرب عنقي احب الي من ان اتامر علي قوم فيهم ابو بكر رضي الله عنه اللهم الا ان تسول لي نفسي عند القتل شيا لا اجده الان لاني لا امن ان يثقل عليها ذلك فتتغير عن عزمها اشار في ذلك الي شدة الوفا بالعزم وقال ابو سعيد الخراز رايت في المنام كان ملكين نزلا من السما فقالا لي ما الصدق قلت الوفا بالعهد فقالا لي صدقت وعرجا الي السما

الصدق الخامس

موافقة الظاهر للباطنة ومخالفته

في الاعمال وهو ان يجتهد حتي لا تدل اعماله الظاهرة علي امر في باطنه حتي لا يتصف هو به بان لا يترك الاعمال ولكن بان يستجر الباطن الي تصديق الظاهر وهذا خلاف ما ذكرنا من ترك الريا لان المرائي هو الذي يقصد ذلك ورب واقف علي هية الخشوع في صلاته ليس يقصد به مشاهدة غيره ولكن قلبه غافل عن الصلاة فمن ينظر اليه يراه قائما بين يدي الله تعالي وهو بالباطن قائم في السوق بين يدي شهوة من شهواته فهذه اعمال تعرب بلسان الحال اعرابا عما هو فيه كاذب وهو مطالب بالصدق في الاعمال وكذلك قد يمشي الرجل علي هية السكون والوقار وليس باطنه موصوفا بذلك الوقار فهذا غير صادق في عمله وان لم يكن ملتفتا الي الخلق ولا مرائيا اياهم ولا ينجو عن هذا الا باستواء السريرة والعلانية بان يكون باطنه مثل ظاهره او خيرا من ظاهره ومن خيفة ذلك اختار بعضهم تشويش الظاهر ولبس ثياب الاشرار كي لا يظن به الخير بسبب ظاهره فيكون كاذبا في دلالة الظاهر علي الباطن فاذن مخالفة الظاهر للباطن ان كان عن قصد سمي ريا ويفوت به الاخلاص وان كان من غير قصد فيفوت به الصدق ولذلك قال رسول الله صلي الله عليه وسلم اللهم اجعل سريرتي خيرا من علانيتي واجعل علانيتي صالحة وقال يزيد بن الحارث اذا استوت سريرة العبد وعلانيته فذلك النصف وان كانت سريرته افضل من علانيته فذلك الفضل وان كانت علانيته افضل من سريرته فذلك الجور

وانشدوا

اذا السر والاعلان في المومن استوي • فقد عز في الدارين واستوجب الثنا •

فان قالت

فإن خالف الإعلان سراً فما له • على سعيه فضل سوى الكد والعنا •
كما خالص الدينار في السوق نافق • ومغشوشه المردود لا يقتضي المنا •

وقال عطية ابن عبد الغافر إذا وافقت سريرة المؤمن علانيته باهى الله به الملائكة يقول هذا عبدي حقاً وقال معاوية ابن قرة من يدلني على بكّاء بالليل بسّام بالنهار وقال عبد الوهاب كان الحسن إذا أمر بشيء كان من أعمل الناس به وإذا نهى عن شيء كان من أترك الناس له ولم أر قط أشبه سريرة بعلانية منه وقال أبو عبد الرحمن الزاهد إلهي عاملت الناس فيما بيني وبينهم بالأمانة وعاملتك فيما بيني وبينك بالخيانة ويبكي وقال أبو يعقوب النهرجوري الصدق موافقة الحق في السر والعلانية فإذاً مساواة السريرة للعلانية أحد أنواع الصدق

الصدق السادس

وهو أعلى الدرجات وأعزها الصدق في مقامات الدين كالصدق في الخوف والرجاء والتعظيم والزهد والرضا والحب والتوكل وسائر هذه الأمور فإن هذه الأمور لها مبادي ينطلق الاسم بظهورها ثم لها غايات وحقائق والصادق المحقق من نال حقيقتها وإذا غلب الشيء وتمت حقيقته سمي صاحبه صادقاً فيه كما يقال فلان صدق القتال ويقال هذا هو الخوف الصادق وهذه هي الشهوة الصادقة وقال تعالى إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا إلى قوله أولئك هم الصادقون وقال تعالى ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر إلى قوله أولئك الذين صدقوا وسئل أبو ذر عن الإيمان فقرأ هذه الآية فقيل له سألناك عن الإيمان فقال سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الإيمان فقرأ هذه الآية فلنضرب للخوف مثلاً فما من عبد يؤمن بالله إلا وهو خائف من الله خوفاً ينطلق عليه الاسم ولكنه خوف غير صادق أي غير بالغ درجة الحقيقة أما تراه إذا خاف سلطاناً أو قاطع طريق في سفره كيف يصفر لونه وترتعد فرائصه ويتنغص عليه عيشه ويتعذر عليه أكله ونومه وينقسم عليه فكره حتى لا ينتفع به أهله وولده وقد ينزعج عن الوطن

فيستبدل بالانس الوحشة وبالراحة التعب والمشقة وبالتعرض للاخطار
كل ذلك خوفاً من درك المحذور ثم انه يخاف النار ولا يظهر عليه شيء من ذلك
عند جريان معصية عليه ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم لم أر مثل النار نام هاربها ولا مثل الجنة نام طالبها فالتحقيق في هذه
الامور عزيز جداً ولا غاية لهذه المقامات حتى ينال تمامها ولكن لكل عبد
منه حظ بحسب حاله اما ضعيف واما قوي فاذا قوي سمي صادقاً فيه فمعرفة
الله وتعظيمه والخوف منه لا نهاية له ولذلك قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم لجبريل عليه السلام احب ان اراك في صورتك التي هي صورتك
فقال لا تطيق ذلك قال بل ارني قال فواعده بالبقيع في ليلة مقمرة
فاتاه فنظر النبي صلى الله عليه وسلم فاذا هو به قد سد الافق يعني
جوانب السماء فوقع النبي صلى الله عليه وسلم مغشياً عليه فافاق وقد عاد
جبريل لصورته الاولى فقال النبي صلى الله عليه وسلم ما ظننت ان احداً
من خلق الله تعالى هكذا قال فكيف لو رأيت اسرافيل ان العرش لعلى كاهله
وان رجليه قد مرقتا تخوم الارضين السفلى وانه ليتصاغر من عظمة الله
تعالى حتى يصير كالوصع يعني كالعصفور الصغير فانظر ما الذي يغشاه
من العظمة والهيبة حتى يرجع الى ذلك الحد وسائر الملائكة ليسوا كذلك
لتفاوتهم في المعرفة فهذا هو الصدق في التعظيم وقال جابر قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم مررت ليلة اسري بي وجبريل بالملأ الاعلى
كالحلس البالي من خشية الله يعني الكساء الذي يلقى على ظهر البعير وكذلك
الصحابة كانوا خائفين وما كانوا بلغوا خوف رسول الله صلى الله عليه وسلم
ولذلك قال ابن عمر رضي الله عنه لن تبلغ حقيقة الايمان حتى تنظر الى الناس
كلهم حمقى في دين الله وقال مطرف ما من الناس احد الا وهو احمق
فيما بينه وبين ربه الا ان بعضاً اهون من بعض وقال النبي صلى الله عليه
وسلم لا يبلغ عبد حقيقة الايمان حتى ينظر الى الناس كالاباعر في جنب الله ثم
يرجع الى نفسه فيجدها احقر حقير والصادق اذاً في جميع هذه المقامات
عزيز ثم درجات الصدق لا نهاية لها وقد يكون للعبد صدق في بعض الامور دون
بعض فان كان صادقاً في الجميع فهو الصديق حقاً وقال سعد بن معاذ ثلاثة

صورة جبرائيل واسرافيل

الله عنه ثلاثة انا فيهن قوي وفيما سواهن ضعيف ما صليت صلاة منذ
اسلمت فحدثتني نفسي حتى افرغ منها ولا شيعت جنازة فحدثت نفسي بغير
ما هي قايلة وما هو مقول لها حتى تفرغ من دفنها وما سمعت رسول الله
صلى الله عليه وسلم يقول قولا الا علمت انه حق فقال ابن المسيب
ما ظننت ان هذه الخصال تجتمع الا في النبي صلى الله عليه وسلم فهذا صدق
في هذه الامور وكم من جلة الصحابة قد ادوا الصلاة وتبعوا الجنايز
ولم يبلغوا هذا المبلغ فهذه هي درجات الصدق ومعانيه والكلمات
المأثورة عن المشايخ في حقيقة الصدق في الاغلب لا تتعرض الا لاحاد هذه المعا
نعم قد قال ابو بكر الوراق الصدق ثلاثة صدق التوحيد وصدق
الطاعة وصدق المعرفة فصدق التوحيد لعامة المومنين قال الله تعالى
الذين امنوا بالله ورسله اولئك هم الصادقون وصدق الطاعة لاهل العلم
والورع وصدق المعرفة لاهل الولاية الذين هم اوتاد الارض وكل هذا
يدور على ما ذكرناه في الصدق في السادس ولكنه ذكر اقسام ما فيه الصدق
وهو ايضا غير محيط بجميع الاقسام وقال جعفر الصادق الصدق هو المجاهدة
وان لا تختار على الله غير الله كما لم يختر عليك غيرك فقال تعالى هو اجتباكم

وقيل اوحى الله تعالى الى موسى عليه السلام

اني اذا احببت عبدا ابتليته ببلايا لا تقوم لها الجبال لانظر كيف صدقه

فان وجدته صابرا اتخذته وليا وحبيبا وان وجدته

جزوعا يشكوني الى خلقي خذلته ولا ابالي

فاذا من علامات الصدق كتمان

الصدق والمصايب

والطاعات جميعا

وكراهة

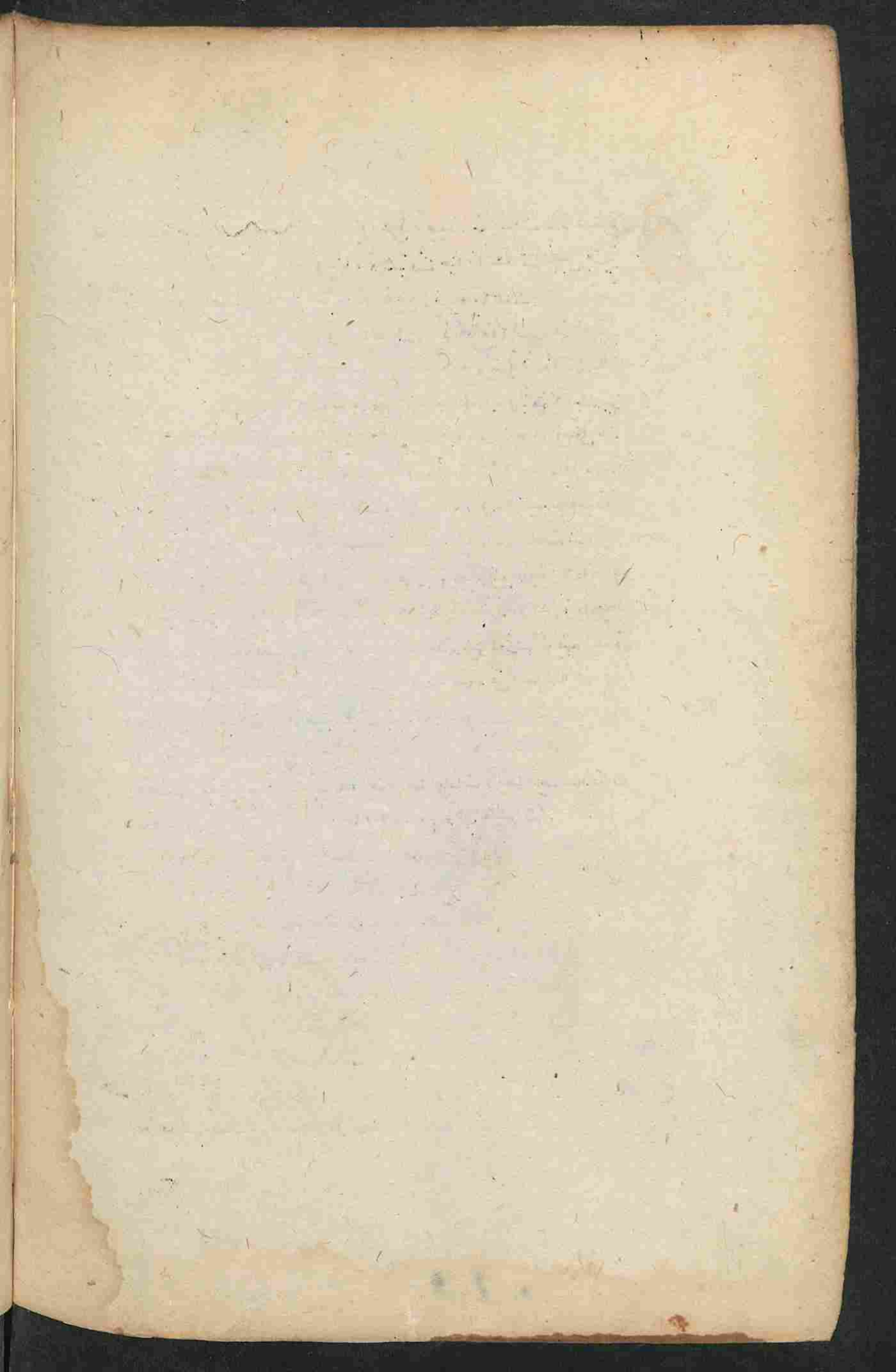
اطلاع الخلق

عليها

البلايا

آخر كتاب النية يتلوه كتاب المحاسبة والمراقبة ان شاء الله تعالى

الحمد لله رب العالمين والصلاة على سيدنا محمد واله وصحبه وسلم



كتاب المحاسبة

والمراقبة

وهو الكتاب الثامن من ربع المنجيات

من جملة كتاب احياء علوم الدين

للشيخ الامام العلامة

شرف الائمة

ابي حامد

محمد بن

محمد

بن

محمد

الغزالي

رحمه

الله

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله القايم على كل نفس بما كسبت • الرقيب على كل جارحة
بما اجترحت • المطلع على ضماير القلوب بما هجست • الحسيب على خواطر عباده اذا
اختلجت • الذي لا يعزب عن علمه مثقال ذرة في السموات والارض تحركت او
سكنت • المحاسب على النقير والقطمير • والقليل والكثير من الاعمال وان خفيت
المتفضل بقبول طاعات العباد وان صغرت • المتطول بالعفو عن معاصيهم وان
كثرت • وانما يحاسبهم لتعلم كل نفس ما احضرت • وتنظر فيما قدمت واخرت
فتعلم انه لولا لزومها للمراقبة والمحاسبة في الدنيا لشقيت في صعيد القيامة
وهلكت • وبعد المجاهدة والمراقبة والمحاسبة لولا فضل الله بقبول بضاعتها
المزجاة لخابت وخسرت • فسبحان من عمت نعمته كافة العباد وشملت واستغرقت
رحمته الخلايق في الدنيا والاخرة وغمرت • فبنفحات فضله اتسعت القلوب
للايمان وانشرحت • وبيمن توفيقه تقيدت الجوارح بالعبادات وتادبت •
وبحسن هدايته انجلت عن القلوب ظلمات الجهل وانقشعت • وبتاييده
ونصرته انقطعت مكايد الشيطان واندفعت • وبلطف عنايته ترجح كفة
الميزان اذا ثقلت • وبتيسيره تيسرت من الطاعات ما تيسرت • فمنه
العطا والجزا والابعاد والادنا • والاسعاد والاشقا • والصلاة
على محمد سيد الانبيا وعلى آله السادة الاصفيا وعلى اصحابه قادة
الاتقيا • اما بعد فقد قال الله تعالى ونضع الموازين القسط
ليوم القيمة فلا تظلم نفس شيئا وان كان مثقال حبة من خردل اتينا بها وكفى
بنا حاسبين • وقال تعالى ووضع الكتاب فترى المجرمين مشفقين
مما فيه ويقولون يا ويلتنا ما لهذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة الا
احصاها ووجدوا ما عملوا حاضرا ولا يظلم ربك احدا • وقال تعالى
يوم يبعثهم الله جميعا فينبيهم الله بما عملوا احصاه الله ونسوه والله على كل
شي شهيد • وقال تعالى يومئذ يصدر الناس اشتاتا ليروا اعمالهم
فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره • وقال
تعالى يوم توفى كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون • وقال تعالى يوم
تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا وما عملت من سوء تود لو ان بينها وبينه

المحاسبة والميزان

امداً بعيداً ويحذركم الله نفسه. وقال تعالى واعلموا ان الله يعلم ما في انفسكم فاحذروه. فعرف ارباب البصائر من جملة العباد ان الله لهم بالمرصاد وانهم سيناقشون في الحساب ويطالبون بمثاقيل الذر من الخطرات واللحظات وتحققوا انهم لا ينجيهم من هذه الاخطار الا لزوم المحاسبة وصدق المراقبة ومطالبة النفس في الانفاس والحركات ومحاسبتها في الخطرات واللحظات فمن حاسب نفسه قبل ان يحاسب خف في القيامة حسابه وحضر عند السؤال جوابه وحسن منقلبه ومآبه ومن لم يحاسب نفسه دامت حسراته وطالت في عرصات القيمة وقفاته وقادته الى الخزي والمقت سيئاته. فلما انكشف لهم ذلك علموا انه لا ينجيهم منه الا طاعة الله وقد امرهم بالصبر والمرابطة فقال يا ايها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا فرابطوا انفسهم اولاً بالمشارطة ثم بالمراقبة ثم بالمحاسبة ثم بالمعاقبة ثم بالمجاهدة ثم بالمعاتبة فكانت لهم في المرابطة ستة مقامات ولا بد من شرحها وبيان حقيقتها وفضيلتها وتفصيل الاعمال فيها واصل ذلك المحاسبة ولكن كل حساب فبعد مشارطة ومراقبة ويتبعه عند الخسران المعاتبة والمعاقبة فلنذكر شرح هذه المقامات

الإثم

المقام الاول من المرابطة

المشارطة اعلم ان مطلب المتعاملين في التجارات المشتركين في البضائع عند المحاسبة سلامة الربح وكما ان التاجر يستعين بشريكه فيسلم اليه المال حتى يتجر ثم يحاسبه وكذلك العقل هو التاجر في طريق الآخرة وانما مطلبه وربحه تزكية النفس لان بذلك فلاحها قال الله تعالى قد افلح من زكاها وقد خاب من دساها وانما فلاحها بالاعمال الصالحة والعقل يستعين بالنفس في هذه التجارة اذ يستعملها ويستسخرها فيما يزكيها كما يستعين التاجر بشريكه وغلامه الذي يتجر في ماله وكما ان الشريك يصير خصماً منازعاً يجاذبه في الربح فيحتاج الى ان يشارطه اولاً ويراقبه ثانياً ويحاسبه ثالثاً ويعاقبه او يعاتبه رابعاً فكذلك العقل يحتاج الى مشارطة النفس اولاً فيوظف عليها الوظائف ويشترط عليها الشروط ويرشدها الى طريق الفلاح ويجزم عليها الامر بسلوك تلك الطريق ثم لا

تصوف

العقل هو التاجر

مثال المحاسبة

يغفل عن مراقبتها لحظة فانه لو اهملها لم ير منها الا الخيانة وتضييع رأس المال
كالعبد الخائن اذا خلا له الجو وانفرد بالمال ثم بعد الفراغ ينبغي ان يحاسبها
ويطالبها بالوفاء بما شرط عليها فان هذه تجارة ربحها الفردوس الاعلى وبلوغ
سدرة المنتهى مع الانبياء والشهداء فتدقيق الحساب في هذا مع النفس اهم كثيرا
من تدقيقه في ارباح الدنيا مع انها محتقرة بالاضافة الى نعيم العقبى ثم كيف ما
كانت فمصيرها الى التصرم والانقضاء ولا خير في خير لا يدوم بل شر لا يدوم
خير من خير لا يدوم لان الشر الذي لا يدوم اذا انقطع بقي الفرح بانقطاعه
دائما وقد انقضى الشر والخير الذي لا يدوم يبقى الاسف على انقطاعه دائما
وقد انقضى الخير ولذلك قيل

اشد الغم عندي في سرور * تيقن عنه صاحبه انتقالا

فحتم على كل ذي حزم امن بالله واليوم الآخر ان لا يغفل عن محاسبة نفسه
والتضييق عليها في حركاتها وخطراتها فان كل نفس من انفاس العمر جوهرة نفيسة
لا عوض لها يمكن ان يشترى بها كنز من الكنوز الذي لا يتناهى نعيمه ابد الآباد
فانقضاء هذه الانفاس ضائعة او مصروفة الى ما يجلب الهلاك خسران عظيم
هائل لا تسمح به نفس عاقل فاذا اصبح العبد وفرغ من فريضة الصبح ينبغي ان يفرغ
قلبه ساعة لمشارطة النفس كما ان التاجر عند تسليم البضاعة الى الشريك العامل
يفرغ المجلس لمشارطته فيقول للنفس ما لي بضاعة الا العمر ومهما فني فقد فني
رأس المال ووقع الياس عن التجارة وطلب الربح وهذا اليوم الجديد قد امهلني الله تعالى
فيه وانساني اجلي وانعم علي فيه ولو توفاني لكنت اتمنى ان يرجعني الى الدنيا
يوما واحدا حتى اعمل فيه صالحا فاحسبي انك قد توفيت ثم رددت فاياك ان
تضيعي هذا اليوم فان كل نفس من الانفاس جوهرة لا قيمة لها واعلمي يا نفس
ان اليوم والليلة اربع وعشرون ساعة وقد ورد في الخبر انه ينشر للعبد بكل يوم
وليلة اربع وعشرون خزانة مصفوفة فيفتح منها خزانة فيراها مملوءة نورا
من حسناته التي عملها في تلك الساعة فيناله من الفرح والسرور والاستبشار
بمشاهدة تلك الانوار التي هي وسيلته عند الملك الجبار ما لو وزع على
اهل النار لادهشهم ذلك الفرح عن الاحساس بألم النار ويفتح له خزانة
اخرى سوداء مظلمة يفوح نتنها ويغشاه ظلامها وهي الساعة التي عصى الله فيها

مثال المحاسبة

فريضة صح

مثال المحاسبة

فيها فيناله من الهول والفزع ما لو قسم على أهل الجنة لتنغص عليهم نعيمها
ويفتح له خزانة أخرى فارغة ليس فيها ما يسره ولا ما يسوؤه وهي الساعة
التي نام فيها أو غفل أو اشتغل في شيء من مباحات الدنيا فيتحسر على خلوها
وينا له من غبن ذلك ما ينال القادر على الربح الكثير والملك الكبير إذا أهمله
وتساهل فيه حتى فاته وناهيك به حسرة وغبنا وهكذا تعرض عليه خزائن
أوقاته طول دهره فيقول لنفسه اجتهدي اليوم في أن تعمري خزانتك
ولا تدعيها فارغة عن كنوزك التي هي أسباب ملكك ولا تميلي إلى الكسل والدعة
والاستراحة فيفوتك من درجات عليين ما يدركه غيرك وتبقى عندك حسرة
لا تفارقك فإن دخلت الجنة فألم الغبن وحسرته لا تطاق وإن كان دون ألم
النار وقد قال بعضهم هب أن المسيء قد عفي عنه أليس قد فاته ثواب
المحسنين أشار به إلى الغبن والحسرة وقد قال تعالى يوم يجمعكم ليوم الجمع
ذلك يوم التغابن فهذه وصيته لنفسه في أوقاته ثم ليستأنف لها وصية
في أعضائه السبعة وهي العين والأذن واللسان والبطن والفرج واليد
والرجل ويسلمها إليها فإنها رعايا خادمة لنفسه في هذه التجارة وبها تتم أعمال
هذه التجارة وإن لجهنم سبعة أبواب لكل باب منهم جزء مقسوم وإنما تتعين
تلك الأبواب لمن عصى الله تعالى بهذه الأعضاء فيوصيها بحفظها عن معاصيها أما العين
فيحفظها عن النظر إلى وجه من ليس له بمحرم أو إلى عورة مسلم أو النظر إلى مسلم
بعين الاحتقار بل عن كل فضول مستغنى عنه فإن الله تعالى يسأل عبده عن فضول النظر
كما يسأله عن فضول الكلام ثم إذا صرفها عن هذا لم يقنع به حتى يشغلها بما
فيه تجارتها وربحها وهو ما خلقت له من النظر إلى عجائب صنع الله بعين الاعتبار
والنظر إلى عمل الخير للاقتداء والنظر في كتاب الله وسنة رسوله ومطالعة
كتب الحكمة للاتعاظ والاستفادة وهكذا ينبغي أن يفصل الأمر عليها في عضو
عضو لا سيما اللسان والبطن

أما اللسان

فلأنه منطلق بالطبع ولا مؤنة عليه في الحركة وجنايته عظيمة بالغيبة والكذب
والنميمة وتزكية النفس ومذمة الخلق والأطعمة واللعن والدعاء على
الأعداء والمماراة في الكلام وغير ذلك مما ذكرناه في آفات اللسان فهو بصدد

اعضاء جوارح
تصوف
اللسان

ذلك كله مع انه خلق للذكر والتذكير وتكرار العلم والتعليم وارشاد عباد الله
الي طريق الله واصلاح ذات البين وساير خيراته فليشترط علي نفسه ان لا يحرك
اللسان طول نهاره الا في الذكر فنطق المومن ذكر ولسانه عبرة وصمته فكرة ك
وما يلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد

وأما البطن

فيكلفه ترك الشره وتقليل الاكل من الحلال واجتناب الشبهات ويمنعه
من الشهوات ويقتصر علي قدر الضرورة ويشرط علي نفسه ان خالف شيا
من ذلك عاقبها بالمنع عن شهوات البطن ليفوتها اكثر مما نالته بشهوتها وهكذا
يشترط عليها في جميع الاعضا واستقصا ذلك يطول ولا يخفي معاصي الاعضا
وطاعتها ثم يستانف وصيتها في وظائف الطاعات التي تتكرر عليه في اليوم والليلة
ثم في النوافل التي يقدر عليها ويقدر علي الاستكثار منه ويرتب لها ن
تفصيلها وكيفيتها وكيفية الاستعداد لها باسبابها وهذه شروط
يفتقر اليها كل يوم ولكن اذا تعود الانسان شرط ذلك علي نفسه اياما وطاوعته
نفسه في الوفا بجميعها استغني عن المشارطة فيها وان اطاع في بعضها بقيت
الحاجة الي تجديد المشارطة فيما بقي ولكن لا يخلو كل يوم من مهم جديد ولله
تعالي عليه في ذلك حق ويكثر هذا علي من يشتغل بشي من اعمال الدنيا من ولاية
او تجارة او تدريس اذ قلما يخلو عن واقعة جديدة يحتاج الي ان يقضي حق الله
تعالي فيها فعليه ان يشترط علي نفسه الاستقامة فيها والانقياد للحق ن
في مجاريها ويحذرها مغبة الاهمال ويوعظها كما يوعظ العبد الابق المتمرد
فان النفس بالطبع متمردة عن الطاعات مستعصية عن العبودية ولكن الوعظ
والتاديب يوثر فيها وذكر فان الذكري تنفع المومنين فهذا وما جري مجراه
هو اول مقام المرابطة مع النفس وهي محاسبة قبل العمل والمحاسبة تارة تكون
بعد العمل وتارة تكون قبله للتحذير قال الله تعالي والله يعلم ما في انفسكم
فاحذروه وهذا للمستقبل وكل من نظر في كثرة ومقدار لمعرفة زيادة ونقصان
فانه يسمي محاسبة فالنظر فيما بين يدي العبد في نهاره ليعرف زيادته من نقصانه
من المحاسبة وقد قال الله تعالي يا ايها الذين امنوا اذا ضربتم في سبيل

المحاسبة قبل العمل

سبيل الله فتبينوا وقال الله تعالى يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم
فاسق بنبإ فتبينوا وقال تعالى ولقد خلقنا الإنسان ونعلم ما
توسوس به نفسه وذكر ذلك تحذيرا وتنبيها للاحتراز منه في المستقبل وروى
عبادة ابن الصامت أنه قال عليه السلام لرجل سأله أن يوصيه
ويعظه إذا أردت أمرا فتدبر عاقبته فإن كان رشدا فامضه وإن كان غيا
فانته عنه وقال بعض الحكماء إذا أردت أن يكون العقل غالبا للهوى
فلا تعمل بقضاء الشهوة حتى تنظر العاقبة فإن مكث الندامة في القلب أكثر من
مكث خفة الشهوة وقال لقمان إن المؤمن أبصر للعاقبة من الندامة
وروى شداد ابن أوس عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال الكيس من دان
نفسه وعمل لما بعد الموت والأحمق من اتبع نفسه هواها وتمنى على الله
ودان نفسه أي حاسب نفسه ويوم الدين هو يوم الحساب وقوله تعالى
إنا لمدينون أي لمحاسبون وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه حاسبوا
أنفسكم قبل أن تحاسبوا وزنوها قبل أن توزنوا وتهيئوا للعرض الأكبر
وكتب إلى أبي موسى الأشعري حاسب نفسك في الرخاء قبل حساب الشدة
وقال لكعب كيف تجدها في كتاب الله قال ويل لديان الأرض من ديان السماء
فعلاه بالدرة وقال إلا من حاسب نفسه فقال كعب والله يا أمير المؤمنين
إنها لجنبها في التوراة ما بينهما حرف وهذا كله إلى الاشادة إشارة
المحاسبة للمستقبل إذ قال دان نفسه فعمل لما بعد الموت ومعناه وزن
الأمور أولا وقدرها ونظر فيها وتدبرها ثم أقدم عليها فباشرها

المرابطة الثانية المراقبة

إذا أوصى الإنسان نفسه وشرط عليها ما ذكرناه فلا يبقى إلا المراقبة لها
عند الخوض في الأعمال وملاحظتها بالعين الكالئة فإنها إن تركت طغت
وفسدت ولنذكر فضيلة المراقبة ثم درجاتها أما الفضيلة فقد
سأل جبريل عليه السلام عن الإحسان فقال أن تعبد الله كأنك تراه
وقال عليه السلام اعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك وقد قال
تعالى أفمن هو قائم على كل نفس بما كسبت وقال تعالى ألم يعلم بأن الله يرى

الرقيب والنظر لا فعل الا نح

وقال تعالى ان الله كان عليكم رقيبا وقال تعالى والذين هم لاماناتهم
وعهدهم راعون والذين هم بشهاداتهم قائمون قال ابن المبارك لرجل
راقب الله تعالى فسأله عن تفسيره فقال كن ابدا كانك ترى الله عز وجل
وقال عبد الواحد بن زيد اذا كان سيدي رقيبا علي فما ابالي بغيره
قال ابو عثمان المغربي افضل ما يلزم الانسان نفسه في هذه الطريقة
المحاسبة والمراقبة وسياسة عمله بالعلم وقال ابن عطا افضل الطاعة
مراقبة الحق على دوام الاوقات وقال الجريري امرنا هذا مبني على
اصلين ان تلزم نفسك المراقبة لله عز وجل ويكون العلم على ظاهرك قائما
وقال ابو عثمن قال ابو حفص اذا جلست للناس فكن واعظا لنفسك وقلبك
ولا يغرنك اجتماعهم عليك فانهم يراقبون ظاهرك والله رقيب على باطنك
وحكي انه كان لبعض المشايخ من هذه الطوايف تلميذ شاب وكان يكرمه
ويقدمه فقال له بعض اصحابه كيف تكرم هذا وهو شاب ونحن شيوخ فدعا بعده
طيور وناول كل واحد منهم طايرا وسكينا وقال ليذبح كل واحد منكم طايره في
موضع لا يراه احد ودفع الى الشاب مثل ذلك وقال له كما قال لهم فرجع كل واحد
بطايره مذبوحا ورجع الشاب والطاير حي في يده فقال له ما لك لم تذبح
كما ذبح اصحابك فقال لم اجد موضعا لا يراني فيه احد اذ الله مطلع علي في كل مكان
فاستحسنوا منه هذه المراقبة وقالوا حق لك ان تكرم وحكي
ان زليخا لما خلت بيوسف عليه السلام قامت فغطت وجه صنم كان لها فقال
يوسف ما لك انستحيين من مراقبة جماد ولا استحيي من مراقبة الملك الجبار
وحكي عن بعض الاحداث انه راود جارية عن نفسها فقالت له الا تستحيي
فقال وممن استحيي وما يرانا الا الكواكب فقالت واين مكوكبها وقال
رجل للجنيد بم استعين على غض البصر فقال بعلمك ان نظر الناظر اليك اسبق
من نظرك الى المنظور اليه وقال الجنيد انما يتحقق بالمراقبة من يخاف
على فوت حظه من ربه عز وجل وقال مالك بن دينار جنات عدن من
جنات الفردوس وفيها جوار خلقن من ورد الجنة قيل ومن يسكنها قال
يقول الله عز وجل انما يسكن جنات عدن الذين اذا هموا بالمعاصي ذكروا عظمتي
فراقبوني والذين انثنت اصلابهم من خشيتي وعزتي وجلالي اني

القلب

اني لاهم بعذاب اهل الارض فاذا نظرت الى اهل الجوع والعطش من مخافتي صرفته
عنهم العذاب • وسئل المحاسبي عن المراقبة فقال اولها علم بقرب الرب عز وجل •
وقال المرتعش المراقبة مراعاة السر لملاحظة الغيب مع كل لحظة ولفظة
ويروى ان الله تعالى قال للملائكة انتم موكلون بالظواهر وانا رقيب على البواطن
وقال محمد بن علي الترمذي اجعل مراقبتك لمن لا تغيب عن نظره اليك واجعل شكرك
لمن لا تنقطع نعمه عنك واجعل طاعتك لمن لا تستغني عنه واجعل خضوعك لمن لا
تخرج عن ملكه وسلطانه • وقال سهل لم يتزين القلب بشي افضل ولا اشرف
من علم العبد بان الله شاهده حيث كان وسئل بعضهم عن قوله تعالى رضي الله
عنهم ورضوا عنه ذلك لمن خشي ربه قال ذلك لمن راقب ربه وحاسب نفسه
وتزود لمعاده • وسئل ذا النون بم ينال العبد الجنة فقال بخمس • استقامة
ليس فيها روغان • واجتهاد ليس معه سهو • ومراقبة الله تعالى في السر والعلانية
وانتظار الموت بالتاهب • ومحاسبة نفسك قبل ان تحاسب

وقد قيل

• اذا ما خلوت الدهر يوما فلا تقل • خلوت ولكن قل علي رقيب •
• ولا تحسبن الله يغفل ساعة • ولا ان ما يخفى عليه يغيب •
• الم تر ان اليوم اسرع ذاهب • وان غدا للناظرين قريب •

وقال حميد الطويل لسليمن ابن علي عظني فقال لين كنت اذا عصيت
الله خاليا ظننت انه يراك لقد اجترات على امر عظيم ولين كنت تظن انه لا يراك
فلقد كفرت وقال سفين الثوري عليك بالمراقبة ممن لا يخفى عليه خافية
وعليك بالرجا لمن يملك الوفا وعليك بالحذر ممن يملك العقوبة وقال فرقد السبخي
ان المنافق ينظر فاذا لم ير احدا دخل مدخل السو وانما يراقب الناس ولا يراقب
الله تعالى وقال عبد الواحد بن زيد خرجت مع عبد الله بن عمر بن الخطاب
رضي الله عنهما الى مكة فعرسنا في بعض الطريق فانحدر عليه راع من الجبل
فقال له يا راعي بعني شاة من هذه الغنم فقال اني مملوك فقال قل لسيدك اكلها
الذيب قال فاين الله قال فبكي عبد الله بن عمر رضي الله عنهما ثم غدا الى المملوك
فاشتراه من مولاه واعتقه وقال اعتقتك في الدنيا هذه الكلمة وارجو ان
يعتقك في الاخرة ٥

الناظر هو الله

بيان المراقبة ٥

ودرجاتها ٥

اعلم ان حقيقة المراقبة هي ملاحظة الرقيب وانصراف الهم اليه فمن احترز في امر من الامور بسبب غيره يقال انه يراقب فلانا ويراعي جانبه ٥ ونعني بهذه المراقبة حالة للقلب يثمرها نوع من المعرفة ويثمر تلك الحالة اعمالا في الجوارح وفي القلب اما الحالة فهي مراعاة القلب للرقيب واشتغاله به والتفاته اليه وملاحظته اياه وانصرافه اليه واما المعرفة التي تثمر هذه الحالة فهو العلم بان الله تعالى مطلع على الضماير عالم بالسراير رقيب على اعمال العباد قايم على كل نفس بما كسبت وان سر القلب في حقه مكشوف كما ان ظاهر البشرة للخلق مكشوف بل اشد من ذلك فهذه المعرفة اذا صارت يقينا اعني انها خلت عن الشك ثم استولت بعد ذلك على القلب قهرته فرب علم لا شك فيه لا يغلب على القلب كالعلم بالموت فاذا استولت على القلب استجرت القلب الى مراعاة جانب الرقيب وصرفت همه اليه والموقنون بهذه المعرفة هم المقربون وهم ينقسمون الى الصديقين والى اصحاب اليمين فمراقبتهم على درجتين الدرجة الاولى مراقبة المقربين من الصديقين وهي مراقبة التعظيم والاجلال وهو ان يصير القلب مستغرقا بملاحظة ذلك الجلال ومنكسرا تحت الهيبة فلا يبقى فيه متسع للالتفات الى الغير اصلا وهذه مراقبة لا نطول النظر في تفصيل اعمالها فانها مقصورة على القلب اما الجوارح فانها تتعطل عن التلفت الى المباحات فضلا عن المحظورات واذا تحركت بالطاعات كانت ٥ كالمستعملة بها فلا تحتاج الى تدبير وتثبت في حفظها على سنن السداد بل يسدد الرعية من ملك كلية الراعي والقلب هو الراعي فاذا صار مستغرقا بالمعبود صارت الجوارح مستعملة جارية على السداد والاستقامة من غير تكلف وهذا هو الذي صار همه هما واحدا فكفاه الله ساير الهموم ومن نال هذه الدرجة فقد يغفل عن الخلق حتى لا يبصر من يحضر عنده وهو فاتح عينيه ولا يسمع ما يقال له مع انه لا صمم به ٥

الله مطلع على الضماير

المقرب لا يعرف الانسان بسبب شغله الى العبادة

صحبته وقد مر على ابنه مثلا فلا يكلمه حتى كان بعضهم يجري عليه ذلك فقال
ابن عيينة اذا مررت بي فحركني ولا تستبعد هذا فانك تجد نظير هذا في القلوب
المعظمة لملوك الارض حتى ان خدم الملك قد لا يحسون بما يجري عليهم في مجالسة
الملوك لشدة استغراقهم بهم بل قد يشتغل القلب بمهم حقير من مهمات
الدنيا فيغوص الرجل في الفكر فيه ويمشي فربما يجاوز الموضع الذي قصده وينسى الشغل
الذي قصد له وقد قيل لعبد الواحد ابن زيد هل تعرف في زمانك هذا رجلا
قد اشتغل بحاله عن الخلق فقال ما اعرفه الا رجل سيدخل عليكم الساعة فـ
ما كان الا سريعا حتى دخل عتبة الغلام فقال له عبد الواحد ابن زيد من اين
جئت يا عتبة قال من موضع كذا وكان طريقه على السوق فقال من لقيت
في الطريق قال ما لقيت احدا **وروي عن يحيى ابن زكريا عليهما السلام**
انه مر بامراة فدفعها فسقطت على وجهها فقيل له لم فعلت فقال ما ظننتها
الا جدارا وحكي عن بعضهم انه قال مررت بجماعة يترامون وواحد جالس بعيدا
منهم فتقدمت اليه فاردت ان اكلمه فقال ذكر الله تعالى اشهى فقلت انت وحدك
فقال معي ربي وملكاي فقلت من سبق منهم فقال من غفر الله له فقلت اين
الطريق فاشار الى نحو السماء وقام ومشى وقال اكثر خلقك شاغل عنك فهذا
كلام مستغرق بمشاهدة الله تعالى لا يتكلم الا منه ولا يسمع الا فيه فهذا لا يحتاج
الى مراقبة لسانه وجوارحه فانها لا تتحرك الا بما هو به **ودخل الشبلي**
على ابي الحسن النوري وهو معتكف فوجده ساكنا حسن الاجتماع لا يتحرك
من ظاهره شيء فقال له من اين اخذت هذه المراقبة والسكون فقال من سنور
كانت لنا فكانت اذا ارادت الصيد رابطت راس الجحر لا تتحرك شعرة وقال ابو
عبد الله ابن خفيف خرجت من مصر اريد الرملة للقاء ابي علي الروذباري فقال
لي عيسى ابن يونس المصري المعروف بالزاهد ان في صور شابا وكهلا قد اجتمعا
على حال المراقبة فلو نظرت اليهما نظرة لعلك تستفيد منهما فدخلت صور وانا
جائع عطشان وفي وسطي خرقة وليس على كتفي شيء فدخلت المسجد فاذا شخصين
قاعدين مستقبلي القبلة فسلمت عليهما فما اجاباني فسلمت ثانية وثالثة
فلم اسمع الجواب فقلت نشدتكما الله الا رددتما علي السلام فرفع الشاب
راسه من مرقعته فنظر الي وقال يا ابن خفيف الدنيا قليل وما بقي من القليل

احوال اولياء الله

إلا الثقيل فخذ من الثقيل بكثير يا ابن خفيف ما أقل شغلك حتى تتفرغ إلى لقائنا
قال فأخذ كلي ثم طأطأ رأسه في المكان فبقيت عندهما حتى صليت الظهر والعصر
فذهب جوعي وعطشي وعنائي فلما كان وقت العصر قلت عظني فرفع رأسه إلي
وقال يا ابن خفيف نحن أصحاب المصائب ليس لنا لسان العظة فبقيت عندهما ثلاثة
لا آكل ولا أشرب ولا أنام ولا رأيتهما أكلا ولا شربا ولا ناما فلما كان في اليوم
الثالث قلت في سري أحلفهما أن يعظاني لعلي أنتفع بعظتهما فرفع الشاب
رأسه وقال يا ابن خفيف عليك بصحبة من يذكرك الله رؤيته وتقع هيبته على قلبك
يعظك بلسان فعله ولا يعظك بلسان قوله والسلام قم عنا فهذه درجة المراقبين
الذين غلب على قلوبهم الإجلال والتعظيم فلم يبق فيهم متسع لغير ذلك

الصحبة مع الصلحاء

الواعظ بالفعل
لا باللسان

الدرجة الثانية مراقبة الورعين من أصحاب اليمين

وهم قوم غلب اطلاع الله على ظاهرهم وباطنهم على قلوبهم ولكن لم تدهشهم
ملاحظة الجلال بل بقيت قلوبهم على حد الاعتدال متسعة للتلفت إلى الأحوال
والأعمال إلا أنها مع ممارسة الأعمال لا تخلو عن المراقبة نعم غلب عليهم الحياء
من الله تعالى فلا يقدمون ولا يحجمون إلا بعد التثبت فيه ويمتنعون عن كل ما
يفتضحون به في القيامة فإنهم يرون الله تعالى في الدنيا مطلعا عليهم فلا يحتاجون
إلى انتظار القيامة وتعرف اختلاف الدرجتين بالمشاهدات فإنك في
خلواتك قد تتعاطى أعمالا فيحضرك صبي أو امرأة فتعلم أنه مطلع عليك فتستحيي
منه فتحسن جلوسك وتراعي أحوالك لا عن إجلال وتعظيم بل عن حياء
فإن مشاهدته وإن كانت لا تدهشك ولا تستغرقك فإنها تهيج الحياء منك
وقد يدخل عليك ملك من الملوك أو كبير من الأكابر فيستغرقك التعظيم
حتى تترك كل ما أنت فيه شغلا به لا حياء منه فهكذا تختلف مراتب العباد في
مراقبة الله تعالى ومن كان في هذه الدرجة فيحتاج إلى أن يراقب جميع حركاته
وسكناته وخطراته ولحظاته وبالجملة جميع اختياراته وله فيها نظران نظر قبل
العمل فلينظر إلى ما ظهر له وتحرك بفعله خاطره أهو لله خاصة أو هو
في هوى النفس ومتابعة الشيطان فيتوقف فيه ويتثبت حتى ينكشف له ذلك
بنور الحق فإن كان لله تعالى أمضاه وإن كان لغير الله استحيا من الله وانكف
عنه ثم لام نفسه على رغبته فيه وهمه به وميله إليه وعرفها سوء فعله

وتحايلها وسعيها في فضيحتها وانها عدوة نفسها ان لم ينبها الله بعصمته وهذا
التوقف في بداية الامور الي حد البيان واجب محتوم لا محيص لاحد عنه وفي الخبر
انه ينشر للعبد في كل حركة من حركاته وان صغرت ثلاثة دواوين الديوان
الاول لم والثاني كيف والثالث لمن ومعني لم اي لم فعلت هذا اكان عليك ان
تفعله لمولاك او ملت اليه بشهوتك وهواك فان سلم عنه بان كان عليه ان يعمل
ذلك لمولاه سيل عن الديوان الثاني فقيل كيف فعلت هذا فان لله تعالي في كل
عمل شرطا وحكما لا يدرك قدره ووقته وصفته الا بعلم فيقال له كيف
فعلته ابعلم محقق ام بجهل وظن فان سلم من هذا انشر له الديوان الثالث
وهو المطالبة بالاخلاص فيقال لمن عملت لوجه الله تعالي خالصا وفي بقولك
لا اله الا الله فيكون اجرك علي الله او لمراياة خلق مثلك فخذ اجرك منه
ام عملته لتنال عاجل دنياك فقد وفيناك نصيبك من الدنيا ام عملته بسهو
وغفلة فقد سقط اجرك وحبط عملك وخاب سعيك وان عملته لغيري
فقد استوجبت مقتي وعقابي اذ كنت عبدي تاكل رزقي وتترفه بنعمتي
ثم تعمل لغيري اما سمعتني اقول ان الذين تدعون من دون الله عباد
امثالكم ان الذين تدعون من دون الله لا يملكون لكم رزقا فابتغوا عند الله
الرزق واعبدوه واشكروا ويحك اما سمعتني اقول الا لله الدين الخالص
فاذا عرف العبد انه بسبب هذه المطالبات والتوبيخات طالب نفسه قبل ان
يطالب واعد للسؤال جوابا وليكن الجواب صوابا فلا يبدي ولا يعيد الا بعد التثبت
ولا يحرك جفنا ولا انملة الا بعد التامل فقد قال النبي صلي الله
عليه وسلم لمعاذ ان الرجل ليسال يوم القيامة عن كحل عينيه وعن فتات الطين
باصبعيه وعن لمسه ثوب اخيه وقال الحسن كان احدهم اذا اراد
ان يتصدق بصدقة نظر وتثبت فان كان لله امضاه وقال الحسن رحم الله
عبدا وقف عند همه فان كان لله مضي وان كان لغيره تاخر وقال في
حديث سعد حين اوصاه سلمان اتق الله عند همك اذا هممت وقال محمد
بن علي ان المؤمن وقاف متاني يقف عند همه ليس كحاطب ليل هذا هو النظر
الاول في هذه المراقبة ولا يخلص من هذا الا العلم المتين والمعرفة الحقيقية
باسرار الاعمال واغوار النفس ومكايد الشيطان فمتي لم يعرف نفسه وربه

السؤال عن العمل

الرياء

مطالبة النفس ان يطالب

السؤال يوم القيمة عن الكحل ثوب اخيك

وعدوه ابليس ولم يعرف ما يوافق هواه ولم يميز بينه وبين ما يحب الله ويرضاه
في نيته وهمته وفكرته وسكونه وحركته فلا يسلم في هذه المراقبة بل الاكثرون
يرتكبون بالجهل فيما يكرهه الله تعالى وهم يحسبون انهم يحسنون صنعا
ولا يظنن ان الجاهل بما يعذر في التعلم فيه بعذر هيهات بل طلب العلم فريضة
على كل مسلم ولهذا كانت ركعتان من مسلم عالم افضل من الف ركعة من غير عالم
لانه يعلم آفات النفوس ومكايد الشيطان ومواقع الغرور فيتقي ذلك والجاهل
لا يعرفه فكيف يحترز منه فلا يزال الجاهل في تعب والشيطان منه في فرح وشماتة
فنعوذ بالله من الجهل والغفلة فهو راس كل شقاوة واساس كل خسران فحكم
الله تعالى على كل عبد ان يراقب نفسه عند همه بالغفلة وسعيه بالجارحة
فيتوقف الهم عن السعي حتى ينكشف له بنور العلم انه لله تعالى فيمضيه او هو لهوى
النفس فيتقيه ويزجر القلب عن الفكر فيه وعن الهم به فان الخطرة الاولى
في الباطل اذا لم تدفع اورثت الرغبة والرغبة تورث الهم والهم يورث
جزم القصد والقصد يورث الفعل والفعل يورث البوار والمقت فينبغي ان
يحسم مادة الشر من منبعه الاول وهو الخاطر فان جميع ما وراءه يتبعه ومهما اشكل
على العبد ذلك واظلمت الواقعة فلم ينكشف له فيتفكر في ذلك بنور العلم
ويستعيذ بالله من مكر الشيطان بواسطة الهوى فان عجز عن الاجتهاد والفكر
بنفسه فيستضيء بنور علماء الدين وليفر من العلماء المضلين المقبلين على الدنيا
فراره من الشيطان بل اشد فقد اوحى الله تعالى الى داود عليه السلام
لا تسأل عني عالما اسكره حب الدنيا فيقطعك عن محبتي اولئك قطاع
الطريق على عبادي فالقلوب المظلمة بحب الدنيا وشدة الشره والتكالب
عليها محجوبة عن نور الله تعالى فان مستضيء انوار القلوب حضرة الربوبية
فكيف يستضيء بها من استدبرها واقبل على عدوها وعشق بغيضها ومقيتها
وهي شهوات الدنيا فليكن همة المريد اولا في احكام العلم او في طلب عالم
معرض عن الدنيا او ضعيف الرغبة فيها ان لم يجد من هو عديم الرغبة فيها وقد
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى يحب البصر الناقد
عند ورود الشبهات والعقل الكامل عند هجوم الشهوات جمع بين الامرين
وهما متلازمان فمن ليس له عقل وازع عن الشهوات فليس له بصر ناقد

الجاهل والعالم

التحذير من العلماء المضلين

تائه في الشبهات ولذلك قال عليه السلام من قارف ذنبا فارقه
عقل لا يعود إليه أبدا فذلك العقل الضعيف الذي يبعد الآدمي
به حتى يعمد إلى محوه وتحته بمفارقة الذنوب ومعرفة آفات الأعمال
قد اندرست في هذه الأعصار فإن الناس كلهم قد هجروا هذه العلوم
واشتغلوا بالتوسط بين الخلق في الخصومات الثائرة من اتباع الشهوات
وقالوا هذا هو الفقه واخرجوا هذا العلم الذي هو فقه الدين عن جملة
العلوم وتجردوا الفقه الدنيا الذي ما قصد به إلا دفع الشواغل عن القلوب
ليتفرغ لفقه الدين فكان فقه الدنيا من الدين بواسطة هذا الفقه
وفي الخبر أنتم اليوم في زمان خيركم فيه المسارع وسيأتي عليكم زمان خيركم
فيه المتثبت ولهذا توقف طائفة من الصحابة في القتال مع أهل العراق
وأهل الشام لما أشكل عليهم الأمر كسعد بن أبي وقاص وعبد الله بن عمر
وأسامة بن زيد ومحمد بن مسلمة وغيرهم فمن لم يتوقف عند الاشتباه
كان متبعا لهواه معجبا برأيه وكان ممن وصفه رسول الله صلى الله عليه وسلم
إذ قال فإذا رأيت شحا مطاعا وهوى متبعا وإعجاب كل ذي رأي برأيه
فعليك بخاصة نفسك وكل من خاض في شبهة بغير تحقيق فقد خالف قوله
تعالى ولا تقف ما ليس لك به علم وقوله عليه السلام إياكم والظن
فإن الظن أكذب الحديث وأراد به ظنا بغير دليل كما يستفتي بعض العوام
قلبه فيما أشكل عليه ويتبع ظنه ولصعوبة هذا الأمر وعظمه كان دعاء
الصديق رضي الله عنه اللهم أرني الحق وأرني اتباعه وأرني الباطل باطلا
وارزقني اجتنابه ولا تجعله متشابها علي فأتبع الهوى وقال عيسى عليه
السلام الأمور ثلاثة أمر استبان رشده فاتبعه وأمر استبان غيه
فاجتنبه وأمر أشكل عليك فكله إلى عالمه وقد كان من دعاء النبي صلى الله
عليه وسلم اللهم إني أعوذ بك أن أقول في الدين بغير علم فأعظم نعمة
الله تعالى على عبده هو العلم وكشف الحق والإيمان عبارة عن نوع كشف
وعلم وكذلك قال الله تعالى امتنانا على عبده وكان فضل الله
عليك عظيما وأراد به العلم وقال تعالى فاسألوا أهل الذكر إن كنتم
لا تعلمون وقال تعالى إن علينا للهدى وقال ثم إن علينا بيانه

العلماء

ثم قال وعلى الله قصد السبيل وقال علي كرم الله وجهه الهوى شريك العمى
ومن التوفيق التوقف عند الحيرة ونعم طارد الهم اليقين وعاقبة الكذب
الندم وفي الصدق السلامة رب بعيد أقرب من قريب وغريب من لم يكن له حبيب
والصديق من صدق غيبه ولا يعدمك من حبيب سوء ظن نعم الخلق التكرم والحياء
سبب إلى كل جميل وأوثق العرى التقوى وأوثق سبب أخذت به سبب بينك وبين الله
تعالى إنما لك من دنياك ما أصلحت به مثواك والرزق رزقان رزق تطلبه ورزق
يطلبك فإن لم تأته أتاك وإن كنت جازعا على ما أصيب من يدك فلا تجزع على
ما لم يصل إليك واستدل على ما لم يكن بما كان فإنما الأمور أشباه والمرء
يسره درك ما لم يكن ليفوته ويسوءه فوت ما لم يكن ليدركه فما نالك من دنياك
فلا تكثرن به فرحا وما فاتك منها فلا تتبعه نفسك أسفا وليكن سرورك بما قدمت
وأسفك على ما خلفت وشغلك لآخرتك وهمك فيما بعد الموت وغرضنا من
نقل هذه الكلمات قوله ومن التوفيق التوقف عند الحيرة فإذا النظر
الأول للمراقبة نظره في الهم والحركة أهي لله أم للهوى وقد قال
النبي صلى الله عليه وسلم ثلاث من كن فيه استكمل إيمانه لا يخاف في الله لومة
لائم ولا يرائي بشيء من عمله وإذا عرض له أمران أحدهما للدنيا والآخر للآخرة
آثر الآخرة على الدنيا وأظهر ما ينكشف له في حركاته وأن يكون مباحا
ولكن لا يعنيه فيتركه لقوله صلى الله عليه وسلم من حسن
إسلام المرء تركه ما لا يعنيه

النظر الثاني

للمراقبة عند الشروع في العمل وذلك بتفقد كيفية العمل ليقضي حق الله فيه
وتحسين النية في إتمامه وتكميل صورته وتعاطيه على أكمل ما يمكنه وهذا ملازم
له في جميع أحواله فإنه لا يخلو في جميع أحواله عن حركة وسكون فإذا راقب
في جميع ذلك قدر على عبادة الله تعالى فيها بالنية وحسن الفعل ومراعاة الأدب
وإن كان قاعدا مثلا فينبغي أن يقعد مستقبل القبلة لقوله صلى الله عليه
وسلم خير المجالس ما استقبل به القبلة ولا يجلس متربعا إذ لا يجالس الملوك كذلك
وملك الملوك مطلع عليه وقال إبراهيم بن أدهم جلست مرة متربعا

استقبال القبلة حين العبادة

التجاوز عن حدود الله

متربعا فسمعت هاتفا يقول ما هكذا تجالس الملوك فلم اجلس بعد ذلك
متربعا وان كان ينام فينام على اليد اليمنى مستقبل القبلة مع ساير الآداب
التي ذكرناها في مواضعها فكل ذلك داخل في المراقبة بل لو كان في قضا الحاجة
فمراعاته لآدابها وفاء بالمراقبة فاذا لا يخلو العبد اما ان يكون في طاعة او
معصية او مباح فمراقبته في الطاعة بالتوبة والندم والاخلاص ومراعاة
الادب وحراستها عن الآفات وان كان في معصية فمراقبته بالتوبة والندم
والاقلاع والحيا والاشتغال بالتفكير وان كان في مباح فمراقبته بمراعاة
الادب ثم بشهود المنعم في النعمة وبالشكر عليها ولا يخلو العبد في جملة احواله
من بلية لا بد من الصبر عليها ونعمة لا بد له من الشكر عليها وكل ذلك من المراقبة
بل لا ينفك العبد في كل حال من فرض الله عليه اما فعل يلزمه مباشرته او
محظور يلزمه تركه او ندب حث عليه ليسارع به الى مغفرة الله تعالى ويسابق
به عباد الله او مباح فيه صلاح جسمه وقلبه وفيه عون له على طاعته ولكل
واحد من ذلك حدود ولا بد من مراعاتها بدوام المراقبة ومن يتعد حدود
الله فقد ظلم نفسه فينبغي ان يتفقد العبد نفسه في جميع اوقاته في هذه
الاقسام الثلاثة فاذا كان فارغا من الفرايض وقدر على الفضايل فينبغي
ان يلتمس افضل الاعمال ليشتغل بها فان من فاته مزيد ربح وهو قادر على
دركه فهو مغبون والارباح تنال بمزايا الفضايل فبذلك ياخذ العبد من
دنياه لآخرته كما قال تعالى ولا تنس نصيبك من الدنيا وكل ذلك انما
يمكن بصبر ساعة واحدة فان الساعات ثلاث ساعة مضت لا تعب للعبد فيها
كيف ما انقضت في مشقة او في رفاهية وساعة مستقبلة لم تات بعد
لا يدري العبد ايعيش اليها ام لا ولا يدري ما يقضي الله فيها وساعة راهنة
ينبغي ان يجاهد فيها نفسه ويراقب فيها ربه فان لم تأته الساعة الثانية
لم يتحسر على فوات هذه الساعة وان اتته الساعة وان اتته الساعة
الثانية استوفى حقه منها كما استوفى من الاولى ولا يطول امله خمسين سنة
فيطول عليه العزم على المراقبة فيها بل يكون ابن وقته كانه في آخر انفاسه
فلعله وهو لا يدري واذا امكن ان يكون آخر انفاسه فينبغي ان يكون
على وجه لا يكره ان يدركه الموت وهو على تلك الحال ويكون جميع احواله

الساعات للعبادة

مقصودة على ما رواه أبو ذر رضي الله عنه من قوله عليه السلام لا يكون المؤمن
ظاعنا إلا في ثلاث تزود لمعاد أو مرمة لمعاش أو لذة في غير محرم
وما روي عنه أيضا في معناه وعلى العاقل أن يكون له أربع ساعات ساعة يناجي
فيها ربه وساعة يحاسب فيها نفسه وساعة يتفكر في صنع الله تعالى إليه وساعة
يخلو فيها للمطعم والمشرب فإن في هذه الساعات عونا له على بقية الساعات
ثم هذه الساعات التي هو فيها يشغل الجوارح بالمطعم والمشرب لا ينبغي أن يخلو
عن عمل هو أفضل الأعمال وهو الذكر والفكر فإن الطعام الذي يتناوله مثلا
فيه من العجائب ما لو تفكر فيه وفطن له كان ذلك أفضل من كثير من الأعمال
التي بالجوارح والناس فيه أقسام قسم ينظرون بعين التبصرة والاعتبار
فينظرون في عجائب صنعته وكيفية ارتباط قوام الحيوانات به وكيفية تقدير
الله لأسبابه وخلق الشهوة الباعثة عليه وخلق الآلات المسخرة للشهوة
فيه كما فصلنا بعضه في كتاب الشكر وهذا مقام ذوي الألباب وقسم
ينظرون إليه بعين المقت والكراهة ويلاحظون وجه الاضطرار إليه
ويودون لو استغنوا عنه ولكن يرون أنفسهم مقهورين فيه مسخرين لشهواته
وهذا مقام الزاهدين وقوم يرون في الصنعة الصانع ويترقون منها إلى صفات
الخالق فيكون مشاهدة ذلك سببا لتذكرهم بابا من الفكر ينفتح عليهم
بسببه وهو أعلى المقامات وهو من مقامات العارفين وعلامات المحبين
إن المحب إذا رأى صنعة حبيبه وكتابه وتصنيفه نسي الصنعة واشتغل
قلبه بالصانع وكل ما يتردد العبد فيه صنع الله تعالى فله النظر منه إلى
الصانع مجال رحب إن فتحت له أبواب الملكوت وذلك عزيز جدا وقسم

مطلب

ينظرون إليه بعين الرغبة والحرص فيأسفون على ما فاتهم منه ويفرحون
بما حضرهم من جملته ويذمون منه ما لا يوافق هواهم ويعيبونه ويذمون
فاعله فيذمون الطبيخ والطباخ ولا يعلمون أن الفاعل للطبيخ والطباخ
ولقدرته ولعلمه هو الله تعالى وأن من ذم شيئا من خلق الله تعالى بغير إذن
الله فقد ذم الله تعالى فلذلك قال صلى الله عليه وسلم لا تسبوا
الدهر فإن الله هو الدهر فهذه هي المرابطة الثالثة بمراقبة الأعمال
على الدوام والاتصال وشرح ذلك يطول وفيما ذكرناه تنبيه على المنهج

المنهاج لمن احب الاصول

المرابطة الثالثة

محاسبة النفس بعد العمل ولنذكر فضيلة المحاسبة ثم حقيقتها اما الفضيلة
فقد قال الله تعالى يا ايها الذين امنوا اتقوا الله ولتنظر نفس ما قدمت لغد
وهذه اشارة الى المحاسبة على ما مضى من الاعمال ولذلك قال عمر رضي الله
عنه حاسبوا انفسكم قبل ان تحاسبوا وزنوها قبل ان توزنوا وفي الخبر انه
عليه السلام جاءه رجل فقال يا رسول الله اوصني فقال استوصيت
قال نعم قال اذا هممت بامر فتدبر عاقبته فان كان رشدا فامضه وان كان
غيا فانته عنه وفي الخبر وينبغي ان يكون للعاقل اربع ساعات ساعة
يحاسب فيها نفسه الى اخره وقال تعالى وتوبوا الى الله جميعا ايها
المؤمنون والتوبة نظر في الفعل بعد الفراغ منه بالندم عليه وقال صلى
الله عليه وسلم اني لاستغفر الله تعالى واتوب اليه في اليوم مائة مرة
وقال تعالى ان الذين اتقوا اذا مسهم طيف من الشيطان تذكروا
فاذا هم مبصرون وعن عمر رضي الله عنه انه كان يضرب قدميه
بالدرة اذا جنه الليل ويقول لنفسه ماذا عملت اليوم وعن ميمون بن مهران
انه قال لا يكون العبد من المتقين حتى يحاسب نفسه اشد من محاسبة شريكه
والشريكان يتحاسبان بعد العمل وروي عن عائشة رضي الله عنها ان ابا بكر
رضي الله عنه قال لها عند الموت ما احد من الناس احب الي من عمر ثم قال لها
كيف قلت فاعادت عليه ما قال فقال لا احد اعز علي من عمر فانظر كيف نظر
بعد الفراغ من الكلمة فتدبرها وابدلها بكلمة غيرها وحديث ابي طلحة
حين شغله الطائر في صلاته فتدبر ذلك فجعل حائطه صدقة لله ندما ورجاء
للعوض مما فاته وفي حديث ابن سلام انه حمل حزمة من حطب فقيل له يا ابا
يوسف قد كان في بنيك وعبيدك ما يكفونك هذا فقال اردت ان اجرب
نفسي هل تنكره وقال الحسن المؤمن قوام على نفسه يحاسبها لله
وانما خف الحساب على قوم حاسبوا انفسهم في الدنيا وانما شق الحساب
يوم القيامة على قوم اخذوا هذا الامر من غير محاسبة ثم فسر المحاسبة

محاسبة

فقال إن المؤمن يفجأه الشيء يعجبه فيقول والله إنك لتعجبني وإنك لمن حاجتي
ولكن هيهات حيل بيني وبينك وهذا حساب قبل العمل ثم قال ويفرط منه
الشيء فيرجع إلى نفسه فيقول ما أردت بهذا والله لا أعذر بهذا والله لا أعود
لهذا أبدا إن شاء الله وقال أنس بن مالك رضي الله عنه سمعت عمر بن الخطاب
رضي الله عنه يوما وقد خرج وخرجت معه حتى دخل حائطا فسمعته يقول
بيني وبينه جدار وهو في الحائط عمر بن الخطاب أمير المؤمنين بخ بخ والله لتتقين الله
أو ليعذبنك وقال الحسن في قوله تعالى ولا أقسم بالنفس اللوامة قال لا
يلقى المؤمن إلا يعاتب نفسه ماذا أردت بكلمتي ماذا أردت بأكلتي ماذا
أردت بشربتي والفاجر يمضي قدما لا يعاتب نفسه وقال مالك بن دينار
رحم الله عبدا قال لنفسه ألست صاحبة كذا ثم ذمها وخطمها ثم ألزمها كتاب
الله تعالى فكان له قائدا وهذا من معاتبة النفس كما سيأتي في موضعه
وقال ميمون بن مهران التقي أشد محاسبة لنفسه من محاسبة سلطان غاشم
وشريك شحيح وقال إبراهيم التيمي مثلت نفسي في الجنة آكل من ثمارها
وأعانق أبكارها ثم مثلت نفسي في النار آكل من زقومها وأشرب من صديدها
وأعالج سلاسلها وأغلالها فقلت لنفسي يا نفس أي شيء تريدين فقالت أريد
أن أرد إلى الدنيا فأعمل صالحا قلت فأنت في الأمنية فاعملي وقال مالك بن دينار
سمعت الحجاج يخطب وهو يقول رحم الله امرأ حاسب نفسه قبل أن يصير الحساب
إلى غيره رحم الله امرأ أخذ بعنان عمله فنظر ماذا يريد به رحم الله امرأ
نظر في مكياله ونظر في ميزانه فما زال يقول امرأ امرأ حتى أبكاني وحكي
صاحب الأحنف بن قيس قال كنت أصحبه فكان عامة صلاته بالليل
الدعاء وكان يجيء إلى المصباح فيضع إصبعه فيه حتى يحس بالنار ثم يقول لنفسه
يا حنيف ما حملك على ما صنعت يوم كذا ما حملك على ما صنعت يوم كذا

مطلب

بيان حقيقة المحاسبة بعد العمل

اعلم أن العبد كما يكون له وقت في أول النهار يشارط فيه نفسه على سبيل

التوصية

التوصية بالحق فينبغي ان يكون له في آخر النهار ساعة يطالب فيها النفس ويحاسبها
على جميع حركاتها وسكناتها كما يفعل التجار في الدنيا مع الشركاء في آخر كل
سنة او شهر او يوم حرصاً منهم على الدنيا وخوفاً من ان يفوتهم من الدنيا
ما لو فاتهم لكانت الخيرة لهم في فواته ولو حصل ذلك لهم فلا يبقى الا اياما قلائل
فكيف لا يحاسب نفسه فيما يتعلق به خطر الشقاوة والسعادة ابد الآباد
ما هذه المساهلة الا عن الغفلة والخذلان وقلة ومعنى المحاسبة مع الشريك
ان ينظر في راس المال والربح والخسران ليتبين له الزيادة من النقصان
فان كان من فضل حاصل استوفاه وشكره وان كان من خسران طالبه بضمانه

مثال المحاسبة

وكلفه ضمانه في المستقبل فكذلك راس مال العبد في دينه الفرائض وربحه
النوافل والفضائل وخسرانه المعاصي وموسم هذه التجارة جملة النهار
ومعاملة نفسه الامارة بالسوء فليحاسبها على الفرائض اولا فان اداها على
وجهها شكر الله تعالى عليه ورغبها في مثلها وان فوتها من اصلها طالبها بالقضاء
وان اداها ناقصة كلفها الجبران بالنوافل وان ارتكب معصية اشتغل بعقابها
ومعاتبتها ليستوفي منها ما يتدارك به ما فرط كما يصنع التاجر بشريكه
وكما انه يفتش في حساب الدنيا عن الحبة والقيراط فيحفظ مداخل الزيادة
والنقصان حتى لا يغبن في شيء منها فينبغي ان يتقي غبينة النفس ومكرها
فانها خداعة ملبسة مكارة فليطالبها اولا بتصحيح الجواب عن جميع ما تكلم به
طول نهاره وليتكفل بنفسه من الحساب ما سيتولاه غيره في صعيد القيامة
وهكذا عن نظره بل عن خواطره وافكاره وقيامه وقعوده واكله وشربه ونومه
حتى سكوته انه لم سكت وسكونه لم سكن فاذا عرف مجموع الواجب على النفس
وصح عنده قدر ادى الواجب فيه كان ذلك القدر محسوبا له فيظهر له الباقي على
نفسه فليثبته عليها وليكتبه على صحيفة قلبه كما يكتب الباقي الذي على شريكه
وفي جريدة حسابه ثم النفس غريم يمكن ان يستوفي منه الديون اما بعضها
فبالغرامة والضمان وبعضها برد عينه وبعضها بالعقوبة لها على ذلك ولا يمكن
شيء من ذلك الا بعد تحقيق الحساب وتمييز الباقي من الحق الواجب عليه فاذا
حصل ذلك اشتغل بعده بالمطالبة والاستيفاء ثم ينبغي ان يحاسب النفس
على جميع العمر يوما يوما وساعة ساعة في جميع الاعضاء الظاهرة والباطنة

الحكاية المحاسبة

كما نقل عن توبة ابن الصمة وكان بالرقة وكان محاسباً لنفسه فحسب يوماً فإذا هو
ابن ستين سنة فحسب أيامها فإذا هي أحد وعشرون ألف يوم وخمسمائة يوم
فصرخ وقال يا ويلتى ألقى الملك بأحد وعشرين ألف ذنب كيف وفي كل يوم عشرة
آلاف ذنب ثم خر مغشياً عليه فإذا هو ميت فسمعوا قائلاً يقول يا لك ركضة إلى الفردوس
الأعلى فهكذا ينبغي أن يحاسب نفسه على الأنفاس وعلى معصيته بالقلب
والجوارح في كل ساعة ولو رمى العبد بكل معصية حجراً في داره لامتلأت داره
في مدة يسيرة قريبة من عمره ولكنه يتساهل في حفظ المعاصي والملكان يحفظان عليه
ذلك أحصاه الله ونسوه

المرابطة الرابعة

في معاقبة النفس على تقصيرها

مهما حاسب نفسه فلم تسلم عن مقارفة معصية وارتكاب تقصير في حق الله تعالى
فلا ينبغي أن يهملها فإنه إن أهملها سهل عليه مقارفة المعاصي وأنست بها نفسه
وعسر عليه فطامها وكان ذلك سبب هلاكها بل ينبغي أن يعاقبها فإذا أكل لقمة شبهة بشهوة
نفس ينبغي أن يعاقب البطن بالجوع وإذا نظر إلى غير محرم فينبغي أن يعاقب العين بمنع
النظر وكذلك يعاقب كل طرف من أطراف بدنه بمنعه عن شهواته هكذا كانت عادة
سالكي طريق الآخرة فقد روي عن منصور ابن إبراهيم أن رجلاً من العباد
كلم امرأة فلم يزل حتى وضع يده على فخذها ثم ندم فوضع يده على النار حتى نشفت

المحاسبة لأعضاء الجوارح

الحكاية

وروي أنه كان في بني إسرائيل رجل يتعبد في صومعته فمكث بذلك زماناً طويلاً
فأشرف ذات يوم فإذا هو بامرأة فافتتن بها وهم بها فأخرج رجله لينزل إليها
فأدركه الله بسابقة فقال ما هذا الذي أريد أن أصنع فرجعت إليه نفسه
وعصمه الله فلما أراد أن يعيد رجله إلى الصومعة قال هيهات رجل خرجت
تريد أن تعصي الله تعالى تعود معي في صومعتي لا يكون والله ذلك أبداً
فتركها معلقة في الصومعة تصيبها الأمطار والرياح والثلج حتى تقطعت
وسقطت فشكر الله له ذلك وأنزل في بعض كتبه ذكره وحكي عن الجنيد
رحمه الله قال سمعت ابن الكريبي يقول أصابتني جنابة فاحتجت أن أغتسل
وكانت ليلة باردة فوجدت في نفسي تأخراً وتقصيراً فحدثتني نفسي بأن

بالتأخير حتى اصبح واسخن الماء وادخل الحمام ولا اعنف على نفسي فقلت واعجباه
انا اعمار الله في طول عمري فيجب علي حق فلا اجد في المسارعة واجد الونه
والتأخير الا اغتسل الا في مرقعتي هذه واليت ان لا انزعها ولا اعصرها
ولا اجففها في الشمس ٥ وحكي ان غزوان وابا موسى كانا في بعض مغازيهم
فتكشفت جارية فنظر اليها غزوان فرفع يده فلطم عينيه حتى نفرت وقال
انك لحاظة الى ما يضرك وننظر بعضهم نظرة واحدة الى امرأة فجعل على
نفسه ان لا يشرب الماء البارد طول حياته وكان يشرب الماء الحار لينغص على نفسه
العيش وحكي ان حسان ابن ابي سنان مر بغرفة فقال متى بنيت هذه
ثم اقبل على نفسه فقال تسالين عما لا يعنيك لاعاقبنك بصوم سنة وصامها
وقال مالك ابن ضيغم جاء رباح القيسي يسال عن ابي بعد العصر فقلنا انه
نائم فقال نوم هذه الساعة هذا وقت نوم ثم ولى منصرفا ثم اتبعناه رسولا
وقلنا الا نوقظه لك فجاء الرسول وقال هو اشغل من ان يفهم عني شيئا ادركته
وهو يدخل في المقابر وهو يعاتب نفسه ويقول وقلت وقت نوم هذه الساعة
افكان هذا عليك ينام الرجل متى شاء وما يدريك ان هذا ليس وقت نوم تتكلمين
بما ليس تعنين اما ان لله علي عهدا لا انقضه ابدا لا اوسدك الارض لنوم حولا
الا لمرض حائل او لعقل زائل سوءة لك اما تستحيين كم توبخين وعن غيك لا تنتهين
قال وجعل يبكي وهو لا يشعر بمكاني فلما رأيت ذلك انصرفت وتركته ٥
وحكي ان تميم الداري نام ليلة لم يقم يتهجد فقام سنة لم ينم
فيها عقوبة للذي صنع ٥ وعن طلحة رضي الله عنه قال انطلق رجل ذات يوم ٥
فنزع ثيابه وتمرغ في الرمضاء وكان يقول لنفسه ذوقي نار جهنم اشد
حرا اجيفة بالليل بطالة بالنهار قال فبينما هو كذلك اذ ابصر النبي صلى الله
عليه وسلم في ظل شجرة فاتاه فقال غلبتني نفسي فقال له النبي صلى الله عليه
وسلم الم يكن لك بد من الذي صنعت اما لقد فتحت لك ابواب السماء ولقد باهى الله
بك الملائكة ثم قال لاصحابه تزودوا من اخيكم فجعل الرجل يقول له يا فلان ادع
لي يا فلان ادع لي فقال النبي صلى الله عليه وسلم عمهم فقال اللهم
اجعل التقوى زادهم واجمع على الهدى امرهم فجعل النبي صلى الله
عليه وسلم يقول اللهم سدده فقال الرجل اللهم اجعل الجنة مآبهم ٥ وقال

بلغ

عدم شرب الماء البارد

التهجد

حر نفسه ابن قتادة لرجل كيف تصنع بنفسك في شهوتها فقال ما على وجه الارض
نفس ابغض الي منها فكيف اعطيها شهوتها ودخل ابن السماك على داود الطائي
حين مات وهو في بيته على التراب فقال يا داود سجنت نفسك قبل ان تسجن
وعذبت نفسك قبل ان تعذب فاليوم ترا ثواب ما كنت تعمل وعن وهب بن منبه
ان رجلا تعبد زمانا ثم بدت له الى الله تعالى حاجة فقام سبعين سبتا ياكل
في كل سبت احدى عشرة تمرة ثم سأل حاجته فلم يعطها فرجع الى نفسه فقال منك
اتيت لو كان فيك خيرا لاعطيت حاجتك فنزل اليه ملك وقال يا ابن ادم ساعتك
هذه خير من عبادتك التي مضت وقد قضى الله حاجتك وقال عبد الله بن
قيس كنا في غزوة لنا فحضر العدو فصيح في الناس فقاموا الى المصاف في يوم
شديد الريح واذا رجل امامي وهو يخاطب نفسه ويقول اي نفس الم اشهد
مشهد كذا وكذا فقلت لي اهلك وعيالك فاطعتك ورجعت والله لاعرضنك
اليوم على الله اخذك او تركك فقلت لارمقنه اليوم فرمقته فحمل الناس
على عدوهم فكان في اوائلهم ثم ان العدو حمل على الناس فانكشفوا فكان
في موضعه حتى انكشفوا مرات وهو ثابت يقاتل فوالله ما زال ذلك دابه
حتى رايته صريعا فعددت به وبدابته ستين او اكثر من سبعين طعنة وقد
ذكرنا حديث ابي طلحة لما اشتغل قلبه في الصلاة بطاير في حايطه فتصدق
بالحايط كفارة لذلك وان عمر كان يضرب قدميه بالدرة كل ليلة ويقول
ماذا عملت اليوم وعن مجمع انه رفع راسه الى السطح فوقع بصره على امراة فجعل
على نفسه ان لا يرفع راسه الى السما ما دام في الدنيا وكان الاحنف بن قيس
لا يفارقه المصباح بالليل فكان يضع اصبعه عليه ويقول لنفسه ما حملك
على ان صنعت كذا وكذا وكذا وانكر وهيب بن الورد شيا على نفسه فنتف
شعرات على صدره حتى عظم المه ثم جعل يقول لنفسه ويحك انما اريد
بك الخير وراى محمد بن بشر داود الطائي وهو ياكل عند افطاره خبزا
بغير ملح فقال له لو اكلته بملح فقال ان نفسي لتدعوني منذ سنة الى الملح ولا
ذاق داود ملحا ما دام في الدنيا فهكذا كانت عقوبة اولي الحزم لانفسهم
والعجب انك تعاقب عبدك وامتك واهلك وولدك على ما يصدر منهم
من سو خلق وتقصير في امر وتخاف انك لو تجاوزت عنهم لخرج امرهم

الحكايات

امرتهم عن الاستعداد وتعجبوا عليك ثم معك نفسك وهي اعظم عداوة لك
واشد طغيانا عليك وضررك من طغيانها اعظم من ضررك من طغيان اهلك
وان غايتهم ان يشوشوا عليك معيشة الدنيا ولو عقلت لعلمت ان العيش
عيش الآخرة وان فيه النعيم المقيم الذي لا آخر له ونفسك هي التي تنغص
عليك عيش الآخرة فهي بالمعاتبة اولى من غيرها

المرابطة الخامسة

وهو انه اذا حاسب نفسه فرآها قد قارفت معصية فينبغي ان يعاقبها بالعقوبات
فاذا رآها تتوانى بحكم الكسل في شيء من الفضائل او ورد من الاوراد فينبغي
ان يؤدبها بتثقيل الاوراد عليها ويلزمها فنونا من المواظبات جبرا لما فات
منه وتداركا لما فرط فهكذا كان يعمل عمال الله تعالى فقد عاقب عمر بن الخطاب
رضي الله عنه نفسه حين فاتته صلاة العصر في جماعة بان تصدق بارض
كانت قيمتها مائتي الف درهم وكان ابن عمر اذا فاتته صلاة في جماعة احيا
تلك الليلة واخر ليلة صلاة المغرب حتى طلع كوكبان فاعتق رقبتين
وفات ابن ابي ربيعة ركعتا الفجر فاعتق رقبة وكان بعضهم يجعل على نفسه صوم
سنة او الحج ماشيا والتصدق بجميع ماله كل ذلك مرابطة للنفس
ومؤاخذة لها بما فيه نجاتها **فان قلت** ان كانت نفسي لا تطاوعني على
المجاهدة والمواظبة على الاوراد فما سبيل معالجتها فاقول سبيلك
في ذلك ان تسمعها ما ورد في الاخبار من فضل المجتهدين ومن انفع اسباب
العلاج ان تطلب صحبة عبد من عباد الله مجتهد في العبادة فتلاحظ احواله
وتقتدي به وكان بعضهم يقول كنت اذا اعترتني فترة في العبادة نظرت
الى محمد بن واسع والى اجتهاده فعملت على ذلك اسبوعا الا ان هذا العلاج قد تعذر
اذ قد فقد في هذا الزمان من يجتهد في العبادة اجتهاد الاولين فينبغي
ان يعدل من المشاهدة الى السماع فلا شيء انفع من سماع احوالهم ومطالعة اخبارهم
وما كانوا فيه من الجهد الجهيد وقد انقضى تعبهم وبقي ثوابهم ونعيمهم ابد
الآباد لا ينقطع فما اعظم ملكهم وما اشد حسرة من لا يقتدي بهم فيمتع نفسه
اياما قلائل بشهوات مكدرة ثم يأتيه الموت ويحال بينه وبين كل ما يشتهيه

فضل الصلوة بالجماعة

محل العلاج على المجاهدة

المجتهد

سماع احوال الصالحين وحكاياتهم

ابدا الا به ونعوذ بالله من ذلك ونحن نورد من اوصاف المجتهدين وافضاليهم
ما يحرك رغبة المريد في الاجتهاد في الاقتدا بهم فقد قال صلى الله عليه
وسلم رحم الله اقواما يحسبهم الناس مرضى وما هم بمرضى قال الحسن اجهدتهم
العبادة وقال الله تعالى والذين يؤتون ما اتوا وقلوبهم وجلة قال
الحسن يعملون ما عملوا من اعمال البر ويخافون ان لا ينجيهم ذلك من عذاب الله
وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم طوبى لمن طال عمره وحسن عمله

المجتهد في العبادة

وروي ان الله تعالى يقول للملائكة ما بال عبادي مجتهدين
فيقولون الهنا خوفتهم شيئا فخافوه وشوقتهم الى شي فاشتاقوا اليه فيقول
الله تبارك وتعالى فكيف لو راوني عبادي لكانوا اشد اجتهادا وقال الحسن
ادركت اقواما وصحبت طوائف منهم ما كانوا يفرحون بشي من الدنيا اقبل
ولا يتاسفون على شي منها اذا ادبر ولهي كانت في اعينهم اهون من هذا التراب
الذي تطؤونه بارجلهم اذ كان احدهم ليعيش عمره ما طوى له ثوب ولا امر
اهله بصنعة طعام قط ولا جعل بينه وبين الارض شيئا قط وادركتهم

العبادة في الليل

عاملين بكتاب ربهم وسنة نبيهم اذا جنهم الليل فقيام على اطرافهم
يفترشون وجوههم تجري دموعهم على خدودهم يناجون ربهم في فكاك
رقابهم اذا عملوا الحسنة فرحوا بها ودابوا في شكرها وسالوا الله تعالى ان
يتقبلها واذا عملوا السيئة احزنتهم وسالوا الله ان يغفرها لهم والله
ما زالوا كذلك وعلى ذلك ووالله ما سلموا من الذنوب ولا نجوا الا بالمغفرة
ويحكى ان قوما دخلوا على عمر ابن عبد العزيز يعودونه في مرضه

مذموم الدنيا

واذا فيهم شاب ناحل الجسم فقال له عمر ما الذي بلغ بك ما ارى يا فتى
فقال يا امير المومنين اسقام وامراض فقال سالتك بالله الا اخبرتني
فقال يا امير المومنين ذقت حلاوة الدنيا فوجدتها مرة وصغر عندي
زهرتها وحلاوتها واستوى عندي ذهبها وحجرها وكاني انظر الى عرش
ربي والناس يساقون الى الجنة والنار فاظمات لذلك نهاري واسهرت
ليلي وقليل حقير كل ما انا فيه في جنب ثواب الله وعقابه وقال
ابو نعيم كان داود الطائي يشرب الفتيت ولا ياكل الخبز فقيل له في ذلك
فقال بين مضغ الخبز وشرب الفتيت قراءة خمسين اية ودخل رجل عليه يوما

يوما فقال ان في سقف بيتك جذعا مكسورا فقال يا ابن اخي ان في البيت
منذ عشرين سنة ما نظرت الى السقف وكانوا يكرهون فضول النظر كما يكرهون
فضول الكلام وقال محمد بن عبد العزيز جلسنا الى احمد بن رزين من غدوة
الى العصر فما التفت يمنة ولا يسرة فقيل له في ذلك فقال ان الله
عز وجل خلق العينين لينظر بهما العبد الى عظمة الله تعالى فكل من نظر
بغير اعتبار كتبت عليه خطيئة وقالت امرأة مسروق ما كان يوجد
مسروق الا وساقاه منتفختان من طول الصلاة وقالت والله ان كنت لاجلس
خلفه فابكي رحمة له وقال ابو الدرداء لولا ثلاث ما احببت العيش يوما واحدا
الظمأ لله في الهواجر والسجود في جوف الليل ومجالسة اقوام ينتقون اطايب الكلام
كما ينتقى اطايب الثمر وكان الاسود بن يزيد يجتهد في العبادة ويصوم في
الحر حتى يخضر جسده ويصفر فكان علقمة ابن قيس يقول له لم تعذب نفسك
فيقول كرامتها اريد وكان يصوم حتى يخضر جسده ويصلي حتى يسقط فدخل
عليه انس بن مالك والحسن فقالا له ان الله تعالى لم يامرك بكل هذا فيقول انما
انا عبد مملوك لا ادع من الاستكانة شيئا الا جئت به وكان بعض المجتهدين
يصلي كل يوم الف ركعة حتى اقعد من رجليه فكان يصلي جالسا الف ركعة
فاذا صلى العصر احتبى ثم قال عجبت للخليقة كيف ارادت بك بدلا منك
عجبت للخليقة كيف انست بسواك بل عجبت للخليقة كيف استنارت قلوبها
بذكر سواك وكان ثابت البناني قد حببت اليه الصلاة فقال اللهم ان كنت اذنت
لاحد ان يصلي لك في قبره فاذن لي ان اصلي في قبري وقال الجنيد ما رايت
اعبد من السري اتت عليه ثمان وتسعون سنة ما رئي مضطجعا الا في علة الموت
وقال الحرث بن سعد مر قوم براهب فراوا ما يصنع بنفسه من شدة
اجتهاده فكلموه في ذلك فقال وما هذا عند ما يراد بالخلق من ملاقاة الاهوال
وهم غافلون قد اعتكفوا على حظوظ انفسهم ونسوا حظهم الاكبر من
ربهم فبكى القوم عن اخرهم وعن ابي محمد المغازلي قال جاور ابو
محمد الحريري بمكة سنة فلم ينم ولم يتكلم ولم يستند الى عمود ولا الى حائط
ولم يمد رجليه فعبر عليه ابو بكر الكتاني فسلم عليه وقال له يا محمد قد قدرت على
اعتكافك هذا فقال علم صدق باطني فاعانني على ظاهري فاطرق الكتاني

عبادة العين

[illegible] النفس بالعبادة

الاجتهاد في العبادة

ومشى متفكرا ٥ وعن بعضهم قال دخلت على فتح الموصلي فرأيته قد
مد كفيه يبكي حتى رأيت الدموع تنحدر من بين أصابعه فدنوت منه فإذا دموعه
قد خالطها صفرة فقلت بالله يا فتح بكيت الدم فقال لولا أنك حلفتني ما أخبرتك
نعم بكيت دما فقلت له على ماذا بكيت الدموع فقال على تخلفي عن واجب حق الله
تعالى وبكيت الدم على الدموع لئلا تكون ما صحت لي الدموع قال فرأيته بعد موته
في المنام فقلت له ما صنع الله بك فقال غفر لي فقلت له فما صنع في دموعك
فقال قربني ربي عز وجل وقال لي يا فتح الدموع على ماذا فقلت يا رب على تخلفي
عن واجب حقك فقال والدم على ماذا قلت على دموعي أن لا تصح لي فقال يا فتح ما
ذا أردت بهذا كله وعزتي وجلالي لقد صعد حافظاك أربعين سنة بصحيفتك
ما فيها خطيئة ٥ وقيل إن قوما أرادوا سفرا فحادوا عن الطريق فانتهوا إلى
راهب منفرد عن الناس فنادوه فأشرف عليهم من صومعته فقالوا يا راهب
إنا قد أخطأنا الطريق فكيف الطريق فأومأ برأسه إلى السماء فعلم القوم ما أراد
فقالوا يا راهب إنا سائلوك فهل أنت مجيبنا فقال سلوا ولا تكثروا
فإن النهار لا يرجع والعمر لا يعود والطالب حثيث فعجب القوم من كلامه ٥
فقالوا يا راهب على ما الخلق غدا عند مليكهم فقال على نياتهم فقالوا أوصنا
فقال تزودوا على قدر سفركم فإن خير الزاد ما بلغ البغية ثم أرشدهم
إلى الطريق وأدخل رأسه في صومعته وقال عبد الواحد بن زيد مررت
بصومعة راهب من رهبان الصين فناديته يا راهب فلم يجبني فناديته الثانية
فلم يجبني فناديته الثالثة فأشرف علي وقال يا هذا ما أنا براهب ٥
إنما الراهب من رهب الله في سمائه وعظمه في كبريائه وصبر على بلائه ورضي
بقضائه وحمده على آلائه وشكره على نعمائه وتواضع لعظمته وذل
لعزته واستسلم لقدرته وخضع لمهابته وتفكر في حسابه وعقابه
فنهاره صائم وليله قائم قد أسهره ذكر النار ومسألة الجبار فذلك هو
الراهب وإنما أنا كلب عقور حبست نفسي في هذه الصومعة ٥
عن الناس لئلا أعقرهم فقلت يا راهب فما الذي قطع الخلق عن الله تعالى
بعد أن عرفوه فقال يا أخي لم يقطع الخلق عن الله تعالى إلا حب الدنيا
وزينتها لأنها محل المعاصي والذنوب والعاقل من رمى بها عن قلبه ٥

البكاء

الزاد

مجلس أنواع العبادات

التواضع والضعة

مذموم الدنيا

الاجتهاد في العبادة

قلبه وتاب الي الله من ذنبه واقبل علي ما يقربه من ربه وقيل لداود
الطائي لو سرحت لحيتك فقال اني اذن لفارغ وكان اويس القرني
يقول هذه ليلة الركوع فيحيي الليل كله في ركعة فاذا كانت الليلة الاتية
قال هذه ليلة السجود فيحيي الليل كله في سجدة وقيل لما تاب عتبة
الغلام كان لا يتهنا بالطعام والشراب فقالت له امه لو رفقت بنفسك
فقال الرفق اطلب دعيني اتعب قليلا واتنعم طويلا وقيل حج مسروق
فما نام قط الا ساجدا وقال سفين الثوري عند الصباح يحمد القوم
السري وعند الممات يحمد القوم التقوي وقال عبد الله ابن داود كان
احدهم اذا بلغ اربعين سنة طوى فراشه اي لا ينام طول الليل وكان كهمس
ابن الحسن يصلي كل يوم الف ركعة ثم يقول لنفسه قومي يا ماوي كل شر
فلما ضعف اقتصر علي خمسمايه ثم كان يبكي ويقول ذهب نصف عملي وكانت
ابنة الربيع ابن خثيم تقول يا ابة مالي اري الناس ينامون وانت لا تنام
فيقول يا بنتاه ان اباك يخاف البيات ولما رات ام الربيع ما يلقي الربيع من
البكا والسهر نادته يا بني لعلك قتلت قتيلا فقال نعم يا اماه قالت فمن
هو حتي نطلب الي اهله فيعفوا عنك فوالله لو يعلمون ما انت فيه لرحموك
وعفوا عنك فيقال يا اماه هي نفسي وعن عمر ابن اخت بشر بن الحارث
قال سمعت خالي بشر بن الحارث يقول لامي يا اختي جوفي وخواصري
تضرب علي فقالت له امي يا اخي تاذن لي ان اصلح لك قليل حسا بكف دقيق
عندي تحساه يرم جوفك فقال لها ويحك اخاف ان يقول لي من اين لك هذا
فلا ادري ايش اقول له فبكت امي وبكي معها وبكيت معهم قال
عمر ورات امي ما ببشر من شدة الجوع وجعل يتنفس نفسا ضعيفا
فقالت له امي يا اخي ليت امك لم تلدني فقد والله تقطع كبدي مما اري
بك فسمعته يقول لها وانا فليت امي لم تلدني واذ ولدتني فلم يدر ثديها
علي قال عمر وكانت امي تبكي عليه الليل والنهار وقال الربيع اتيت
اويسا فوجدته جالسا قد صلي الفجر ثم جلس فجلست ثم قلت لا اشغله
عن التسبيح فمكث مكانه حتي صلي الظهر ثم قام الي الصلاة حتي صلي
العصر ثم جلس موضعه حتي صلي المغرب ثم ثبت مكانه حتي صلي العشا

ترك النوم

ثم ثبت مكانه حتى صلى الصبح ثم جلس فغلبته عيناه فقال اللهم إني أعوذ
بك من عين نوامة ومن بطن لا يشبع فقلت حسبي منه ثم رجعت ان
ونظر رجال إلى أويس فقالت يا أبا عبد الله ما لي أراك كأنك مريض ان
فقال وما لأويس أن لا يكون مريضا يطعم المريض وأويس غير طاعم وينام
المريض وأويس غير نائم وقال أحمد بن حرب يا عجبا لمن يعرف أن الجنة
تزين فوقه وأن النار تسعر تحته كيف ينام بينهما وقال رجل من النساك
أتيت إبراهيم بن أدهم فوجدته قد صلى العشاء فقعدت أرقبه فلف نفسه
بعباءة ثم رمى بنفسه فلم ينقلب من جنب الليل كله حتى طلع الفجر وأذن المؤذن
فوثب إلى الصلاة ولم يحدث وضوءا فحاك ذلك في صدري فقلت له رحمك الله قد نمت
الليل كله مضطجعا ثم لم تجدد الوضوء فقال كنت الليل كله جائلا في رياض الجنة
أحيانا وفي أودية النار أحيانا فهل في ذلك نوم وقال ثابت البناني
أدركت رجالا كان أحدهم يصلي فيعجز عن أن يأتي فراشه إلا حبوا وقيل مكث
أبو بكر بن عياش أربعين سنة لا يضع جنبه على فراش ونزل الماء في إحدى عينيه
فمكث عشرين سنة لا يعلم به أهله وقيل كان ورد سمنون في كل يوم خمسمائة ركعة
وعن أبي بكر المطوعي قال كان وردي في شبيبتي كل يوم وليلة أقرأ فيه قل هو
الله أحد احد ونلثين ألف مرة أو أربعين ألف مرة شك الراوي وكان منصور
ابن المعتمر إذا رأيته قلت رجل أصيب بمصيبة منكسر الطرف منخفض الصوت
رطب العينين إن حركته جادت عيناه بالدمع ولقد قالت له أمه ما هذا
الذي تصنع بنفسك تبكي الليل كله لا تسكت لعلك يا بني أصبت نفسا
لعلك قتلت قتيلا فيقول يا أماه أنا أعلم بما صنعت بنفسي وقيل لعامر
ابن عبد الله كيف صبرك على سهر الليل وظمأ الهواجر فقال هل هو إلا أني صرفت
طعام النهار إلى الليل ونوم الليل إلى النهار وليس في ذلك خطر أمر وكان يقول
ما رأيت مثل الجنة نام طالبها ولا مثل النار نام هاربها وكان إذا جاء
الليل قال أذهب حر النار النوم فما ينام حتى يصبح وإذا جاء النهار قال أذهب
حر النار النوم فما ينام حتى يمسي فإذا جاء الليل قال من خاف أدلج وعند الصباح
يحمد القوم السرى وقال بعضهم صحبت عامر بن عبد القيس أربعة أشهر فما
رأيته نام بليل ولا نهار ويروى عن رجل من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم

وسلم وكان صاحب علي كرم الله وجهه انه قال صليت خلف علي رضي الله عنه
الفجر فلما سلم انفتل عن يمينه وعليه كآبة فمكث حتى طلعت الشمس ثم قلب
يده وقال والله لقد رأيت أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم
وما أرى اليوم شيئا يشبههم كانوا يصبحون شعثا غبرا صفرا قد باتوا
لله سجدا وقياما يتلون كتاب الله يراوحون بين أقدامهم وجباههم
وكانوا إذا ذكروا الله مادوا كما يميد الشجر في يوم الريح وهملت أعينهم
حتى تبل ثيابهم وكان القوم باتوا غافلين يعني من كان حوله ٥
وكان أبو مسلم الخولاني قد علق سوطا في مسجد بيته يخوف به نفسه
ويقول لنفسه قومي فوالله لأزحفن بك زحفا حتى يكون الكلل منك
ولا مني فإذا دخلته الفترة تناول سوطه وضرب به ساقه ويقول
أنت أولى بالضرب من دابتي وكان يقول أيظن أن أصحاب محمد صلى الله
عليه وسلم أن يستأثروا به دوننا كلا والله لنزاحمنهم عليه زحاما
حتى يعلموا أنهم قد خلفوا وراءهم رجالا • وكان صفوان بن سليم
يقول وقد تعقدت ساقاه من طول القيام وبلغ من الاجتهاد
ما لو قيل له القيامة غدا ما وجد مزيدا ٥ وكان إذا جاء الشتاء ٥
اضطجع على السطح ليضربه البرد وإذا كان الصيف اضطجع داخل البيت ٥
ليجد الحر والغم فلا ينام وإنه مات وهو ساجد وكان يقول اللهم
إني أحب لقاءك فأحب لقائي • وقال القاسم بن محمد وكنت غدوت
بدأت بعائشة رضي الله عنها أسلم عليها فغدوت يوما فإذا هي
تصلي صلاة الضحى وهي تقرأ فمن الله علينا ووقانا عذاب السموم
وتبكي وتدعو وتردد الآية فقمت حتى مللت وهي كما هي فلما رأيت ذلك
ذهبت إلى السوق فقلت أفرغ من حاجتي ثم أرجع فرجعت من حاجتي
ثم رجعت وهي كما هي تردد الآية وتدعو وتبكي • وقال محمد ابن إسحق
لما ورد علينا عبد الرحمن ابن الأسود حاجا اعتلت إحدى قدميه ٥
فقام يصلي على قدم واحد حتى صلى الصبح بوضوء العشاء • وقال بعضهم
ما أخاف من الموت إلا من حيث يحول بيني وبين قيام الليل • وقال
علي ابن أبي طالب كرم الله وجهه سيما الصالحين صفرة الألوان من السهر

مطلب

ازيد

عبادة عائشة وبكائها

سيماء الصالحين

عمش العيون من البكا وذبول الشفاه من الصوم عليهم غبرة الخاشعين
وقيل للحسن ما بال المتهجدين احسن الناس وجوها فقال لانهم خلوا بالرحمن
فالبسهم من نوره وكان عامر بن عبس يقول الهي خلقتني ولم تؤامرني

مناجاة الى الله

وتميتني ولم تعلمني وخلقت معي عدوا وجعلته يجري مني مجرى الدم
وجعلته يراني ولا اراه ثم قلت لي استمسك الهي كيف استمسك ان لم تمسكني
الهي في الدنيا الهموم والاحزان وفي الآخرة العقاب والحساب فاين

العبادة في الليل

الراحة والفرح وقال جعفر بن محمد كان عتبة الغلام يقطع الليل بثلاث
صيحات وكان اذا صلى العتمة وضع رأسه بين ركبتيه فتفكر فاذا مضى ثلث
الليل صاح صيحة ثم يضع رأسه بين ركبتيه يتفكر فاذا مضى ثلثا الليل صاح
صيحة ثم يضع رأسه بين ركبتيه فاذا كان السحر صاح صيحة قال جعفر بن محمد
فحدثت به بعض المصريين فقال لا تنظروا الى صياحه ولكن انظر الى ما كان فيه
بين الصيحتين حتى صاح • ومن العنبر ابن راشد الشيباني قال كان زمعة
نازلا عندنا بالمحصب وكان له اهل وبنات وكان يقوم فيصلي ليلا طويلا فاذا
كان السحر نادى باعلا صوته ايها الركب المعرسون اكل هذا الليل ترقدون فلا تقومون
فترحلون فيتواثبون فيسمع من ههنا باك ومن ههنا داع وقاري ومن ههنا متوضي
فاذا طلع الفجر نادى باعلا صوته عند الصباح يحمد القوم السرى وقال
بعض الحكماء ان لله تعالى عبادا انعم عليهم فعرفوه وشرح صدورهم فاطاعوه
وتوكلوا عليه فسلموا الخلق والامر اليه فصارت قلوبهم معادن لصفاء اليقين
وبيوتا للحكمة وتوابيت للعظمة وخزاين للقدرة فهم بين الخلايق مقبلون
ومدبرون وقلوبهم تجول في الملكوت وتلوذ بمحجوب الغيوب ثم ترجع ومعها
طرايف من لطيف الفوايد ما لا يمكن واصفا ان يصفه فهم في باطن امورهم
كالديباج حسنا وفي الظاهر مناديل مبذولة لمن ارادهم تواضعا وهذه
طريق لا يبلغ اليها بالتكلف وانما هو فضل الله يؤتيه من يشاء. وقال

الحكاية اللطيفة

بعض الصالحين بينما انا اسير في بعض جبال المقدس اذ هبطت الى واد
هنالك واذا انا بصوت قد علا واذا لتلك الجبال المجيبة له دوي عال
فاتبعت الصوت فاذا انا بروضة عليها شجر ملتف واذا انا برجل قايم فيها
يردد هذه الآية يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا وما عملت من سوء

سوء تود لو ان بينها وبينه امدا بعيدا ويحذركم الله نفسه قال
فجلست خلفه اسمع كلامه وهو يردد هذه الآية اذ صاح صيحة منه
خر مغشيا عليه فقلت واأسفاه هذا لشقائي ثم انتظرت افاقته
فافاق بعد ساعة فسمعته وهو يقول اعوذ بك من مقام الكذابين
اعوذ بك من اعمال البطالين اعوذ بك من اعراض الغافلين ثم قال لك
خشعت قلوب الخائفين واليك فزعت آمال المقصرين وبعظمتك ذلت
قلوب العارفين ثم نفض يديه قال ما لي وللدنيا وما لي عليك يا دنيا يا ابناء
جنسك والاف نعيمك الى محبيك فاذهبي واياهم فاخدعي ثم قال اين
القرون الماضية واهل الدهور السالفة في التراب يبلون وعلى الزمان
يفنون ناديته يا عبد الله انا منذ اليوم خلفك انتظر فراغك فقال
وكيف يفرغ من يبادر الاوقات وتبادره يخاف سبقها بالموت الى نفسه
ام كيف يفرغ من ذهبت ايامه وبقيت اثامه • فقال انت لها ولكل
شدة اتوقع نزولها ثم لهى عني ساعة وقرأ وبدا لهم من الله ما لم يكونوا
يحتسبون ثم صاح صيحة اخرى اشد من الاولى وخر مغشيا عليه فقلت قد
خرجت نفسه فدنوت منه فاذا هو يضطرب ثم افاق وهو يقول
من انا ما خطري هب لي اساءتي بفضلك • وجللني بسترك • واعف عني
بكرم وجهك اذا وقفت بين يديك فقلت له بالذي ترجوه لنفسك
وتثق به الا كلمتني فقال عليك بكلام من ينفعك كلامه ودع كلام من
اوبقته ذنوبه اني لفي هذا الموضع ما شاء الله اجاهد ابليس ويجاهدني
فلم يجد علي عونا ليخرجني مما انا فيه غيرك فاليك عني يا مخدوع فقد عطلت
علي ذكر لساني وملت الى حديثك شعبة من قلبي فانا اعوذ بالله من شرك
ثم ارجو ان يعيذني من سخطه ويتفضل علي برحمته قال فقلت يا هذا ولي لله
تعالى اخاف ان اشغله فاعاقب في موضعي هذا فانصرفت وتركته ٥ وقال
بعض الصالحين بينما انا اسير في مسيري اذ ملت الى شجرة لاستريح تحتها
فاذا بشيخ قد اشرف علي فقال لي يا هذا قم فان الموت لم يمت ثم هام
على وجهه فاتبعته فسمعته وهو يقول كل نفس ذائقة الموت
فقال من ايقن بما بعد الموت شمر مئزر الحذر ولم يكن له في الدنيا مستقر

ثم اتبعته

ثم قال يا من لو حجبته عني الوجود بيصر وجهي بالنظر اليك وامدد قلبي من المحبة لك واجرني من ذلة التوبيخ غدا عندك فقد آن لي الحيا منك وحان لي الرجوع عن الاعراض عنك ثم قال لولا حلمك لم يسعني اجلي ولولا عفوك لم يبسط فيما عندك املي ثم مضى وتركني

وقد انشدوا في المعنى

نحيل الجسم مكتئب الفؤاد • تراه بقلة او بطن وادي •
ينوح على معاصٍ فاضحات • يكدر ثقلها صفو الرقاد •
فان هاجت مخاوفه وزادت • فدعوته اغثني يا عمادي •
فانت بما الاقيه عليم • كثير الصفح عن زلل العباد •

وقيل

الذ من التلذذ بالغواني • اذا اقبلن في حلل حسان •
منيب فر من اهل ومال • يسيح الى مكان من مكان •
ليخمل ذكره ويعيش فردا • ويظفر في العبادة بالاماني •
تلذذه التلاوة اين ولى • وذكر بالفؤاد وباللسان •
وعند الموت يأتيه بشير • يبشر بالنجاة من الهوان •
فيدرك ما اراد وما تمنى • من الراحات في غرف الجنان •

وكان كرز بن وبرة يختم القران في كل يوم ثلث مرات وجاهد نفسه في العبادات غاية المجاهدة فقيل له قد اجهدت نفسك قال كم عمر الدنيا فقيل سبعة الف سنة فقال فكم مقدار يوم القيامة فقيل خمسون الف سنة فقال فلم يعجز احدكم ان يعمل سبع يوم حتى يامن ذلك اليوم يعني لو عشت عمر الدنيا واجتهدت سبعة الف سنة وتخلصت يوم واحد كان مقدار خمسين الف سنة لكان ربحي كثيرا وكنت بالرغبة فيه جديرا فكيف وعمرك قصير والاخرة لا نهاية لها فهكذا كانت سيرة السلف الصالحين في مرابطة النفس ومراقبتها فمهما تمردت نفسك عليك وامتنعت من المواظبة على العبادة فطالع احوال هؤلاء فانه قد عز الآن وجود مثلهم ولو قدرت على مشاهدة من اقتدى بهم فهو انجع في القلب وابعث على الاقتدا فليس الخبر كالمعاينة واذا عجزت عن هذا فلا تغفل

عمر الدنيا

تتغافل عن سماع أحوال نعوه فإن لم تكن إبلاً فتعزى وحرّ نفسك
بين الاقتدا بهم وبالكون في زمرتهم وغمار دهرهم فهم العقلا والحكما
وذوا البصاير في الدين وبين الاقتدا بالجهلة الغافلين من أهل عصرك
ولا ترضى لها أن تنخرط في سلك الحمقا وتقنع بالتشبه بالأغبيا وتؤثر
مخالفة العقلا فإن حدثتك نفسك بأن هؤلاء رجال أقويا لا يطاق الاقتدا
بهم وطالع أحوال النسا المجتهدات وقل لها يا نفس لا تستنكفي أن تكوني
أقل من امرأة فأخسس برجل يقصر عن امرأة في أمر دينها ودنياها

ولنذكر الان نبذة من احوال المجتهدات

فقد روي عن حبيبة العدوية أنها كانت إذا صلت العتمة قامت على
سطح لها وشدت عليها درعها وخمارها ثم قالت إلهي قد غارت النجوم ونامت
العيون وغلقت الملوك أبوابها وخلا كل حبيب بحبيبه وهذا مقامي بين يديك
ثم تقبل على صلاتها فإذا طلع الفجر قالت إلهي هذا الليل قد أدبر وهذا
النهار قد أسفر فليت شعري أقبلت مني ليلتي فأهنا أم رددتها فأعزى
وعزتك لهذا دابي ودابك ما أبقيتني وعزتك لو انتهرتني من بابك
ما برحت منه لما وقع في نفسي من جودك وكرمك. ويروى عن عجردة العمياء كانت
تحيي الليل كله وكانت مكفوفة البصر فإذا كان في السحر نادت بصوت لها
محزون إليك قطع العابدون دجى الليالي يستبقون إلى رحمتك وفضل
مغفرتك فبك يا إلهي أسألك لا بغيرك أن تجعلني في زمرة السابقين
وأن ترفعني لديك في عليين في درجة المقربين وأن تلحقني بعبادك الصالحين
فأنت أرحم الراحمين وأعظم العظما وأكرم الكرما يا كريم ثم تخر ساجدة
فتسمع لها وجبة ثم لا تزال تدعو وتبكي إلى الفجر. وقال يحيى
ابن بسطام كنت أشهد مجلس شعوانة فكنت أرى ما تصنع من النياحة والبكا
فقلت لصاحب لي لو أتيناها إذا خلت فأمرناها بالرفق بنفسها
فقال أنت وذاك فأتيناها فقلنا لها لو رفقت بنفسك وأقصرت عن البكا
شيئاً فكان ذلك أقوى على ما تريدين قال فبكت ثم قالت والله
لوددت أن أبكي حتى تنفد دموعي ثم أبكي دماً حتى لا تبقى قطرة من
من دم في جارحة من جوارحي وأنى لي بالبكا وأنى لي بالبكا فلم تزل

تزدد واني لي بالبكا حتى غشي عليها. وقال محمد ابن معاذ حدثتني
امراة من المتعبدات قالت رايت في منامي كاني دخلت الجنة فاذا اهل
الجنة قيام على ابوابهم فقلت ما شان اهل الجنة قيام فقال قايل خرجوا
ينظرون الى هذه المراة التي زخرفت الجنان لقدومها فقلت ومن هذه المراة
فقيل امة سودا من اهل الابلة يقال لها شعوانه قالت فقلت اختي والله
قالت فبينا انا كذلك اذ اقبل بها على نجيبة تطير بها في الهوا فلما رايتها
ناديت يا اختي اما ترين مكاني من مكانك فلو دعوت لي مولاك فالحقني
بك قالت فتبسمت الي وقالت لم يان لقدومك ولكن احفظي عني اثنتين
الزمي الحزن قلبك وقدمي محبة الله على هواك ولا يضرك متى مت.
وقال عبد الله ابن الحسين كانت لي جارية رومية وكنت بها معجبا
وكانت في بعض الليالي نايمة الى جنبي فانتبهت فلمستها فلم اجدها فقمت
اطلبها فاذا هي ساجدة وهي تقول بحبك لي الا ما غفرت لي ذنوبي
فقلت لها لا تقولي بحبك لي ولكن قولي بحبي لك فقالت يا مولاي بحبه لي
اخرجني من الشرك الى الاسلام وبحبه لي ايقظ عيني وكثير من خلقه نيام
وقال ابو هاشم القرشي قدمت علينا امراة من اهل اليمن
يقال لها سرية فنزلت في بعض ديارنا قال فكنت اسمع لها من الليل انينا
وشهيقا فقلت يوما لخادمي اشرف على هذه المراة فانظر ماذا تصنع
قال فاشرف عليها فما راها تصنع شيئا غير انها لا ترد طرفها عن السماء
وهي مستقبلة القبلة تقول خلقت سرية ثم غذيتها بنعمتك من
حال الى حال وكل احوالك لها حسنة وكل بلايك عندها جميل وهي مع ذلك
متعرضة لسخطك بالتوثب على معاصيك فلتة بعد فلتة اتراها تظن انك
لا ترى سو فعالها وانت عليم خبير وانت على كل شي قدير. وقال ذو النون
المصري خرجت ليلة من وادي كنعان فلما علوت الوادي اذا اسود مقبل
علي وهو يقول وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون وهو يبكي
فلما قرب مني السواد اذا هي امراة عليها جبة صوف وبيدها ركوة فقالت
لي من انت غير فازعة مني فقلت رجل غريب فقالت يا هذا وهل يوجد
مع الله غربة قال فبكيت لقولها فقالت ما الذي ابكاك فقلت وقع الدوا

امرأة صالحة

الحزن ومحبة الله

امرأة صالحة

علي داء

٢٧١

282

على داء قد قرح فاستوعب في نخاعه قالت فان كنت صادقا فلم بكيت قلت
يرحمك الله والصادق لا يبكي قالت لا قالت ولم ذلك قالت لان البكاء
راحة للقلب فسكت متعجبا من قولها • وقال احمد بن علي استاذنا
دخلنا على عفيرة فحجبتنا فلازمنا الباب فلما علمت ذلك قامت لتفتح الباب
لنا فسمعتها وهي تقول اللهم اني اعوذ بك ممن جاء يشغلني عن ذكرك
ثم فتحت الباب ودخلنا عليها فقلنا لها يا امة الله ادعي لنا فقالت جعل
الله قراكم في بيتي المغفرة • قال لنا مكث عطا السليمي اربعين
سنة لا ينظر الى السماء فحانت منه نظرة فخر مغشيا عليه فاصابه فتق في
بطنه فيا ليت عفيرة اذ رفعت راسها لم تعص الله ويا ليتها اذ عصت لم تعد
وقال بعض الصالحين خرجت يوما الى السوق ومعي جارية حبشية
فاحتبستها في موضع بناحية السوق وذهبت في بعض حوائجي وقلت لا
تبرحي حتى انصرف اليك قال فانصرفت فلم اجدها في الموضع فانصرفت
الى منزلي وانا شديد الغضب عليها فلما رأتني عرفت الغضب في وجهي
فقالت يا مولاي لا تعجل علي انك اجلستني في موضع لم ار فيه ذاكرا
لله تعالى فخفت ان يخسف بذلك الموضع فعجبت لقولها وقلت لها انت حرة
فقالت ساء ما فعلت كنت اخدمك فيكون لي اجران واما الان فقد ذهب
عني احدهما • وقال ابن العلاء السعدي كانت لي ابنة عم يقال لها
بريرة تعبدت وكانت تكثر القراءة في المصحف وكلما اتت على اية فيها ذكر
الله تعالى بكت فلم تزل تبكي حتى ذهبت عيناها فقال لنا بنو عمها انطلقوا
بنا الى هذه المراة حتى نعذلها في كثرة البكاء قال فدخلنا عليها فقلنا
لها يا بريرة كيف اصبحت فقالت اصبحنا اضيافا منيخين بارض غربة
ننتظر متى ندعى فنجيب فقلنا لها كم هذا البكاء قد ذهبت عيناك منه
فقالت ان يكن لعيني عند الله خير فما يضرهما ما ذهب منهما في الدنيا
وان كان لهما عند الله شر فسيزيدهما بكاء اطول من هذا واعرضت
قال فقام القوم وقالوا هي والله في شيء غير ما نحن فيه •
وكانت معاذة العدوية اذا جاءها النهار تقول هذا يومي الذي
اموت فيه فما تطعم فاذا جاء الليل تقول هذه الليلة التي اموت فيها

البكاء

جارية صالح

معاذة العدوية

امرأة صالحة

فتصلي حتى تصبح وقال أبو سليمان الداراني بت ليلة عند رابعة
فقامت إلى محراب لها وقمت إلى ناحية من البيت فلم تزل قائمة إلى
السحر فلما كان السحر قلت ما جزاء من قوانا على قيام هذه الليلة قالت
جزاؤه أن نصوم له غدا وكانت شعوانة تقول في دعائها إلهي
ما أشوقني إلى لقائك وأعظم رجائي لجزائك وأنت الكريم الذي لا يخيب
لديك أمل الآملين ولا يبطل عندك شوق المشتاقين إلهي إن كان قد دنا

مناجاة الله

أجلي ولم يقربني منك عملي فقد جعلت الاعتراف بالذنب وسائل عللي
فإن عفوت فمن أولى منك بذلك وإن عذبت فمن أعدل منك هنالك
إلهي قد جرت على نفسي في النظر لها وبقي حسن نظرك لها فالويل لها إن لم
تسعدها إلهي إنك لم تزل برا بي أيام حياتي فلا تقطع عني برك بعد مماتي
ولقد رجوت من تولاني في حياتي بإحسانه أن يسعفه عند مماتي بغفرانه
إلهي كيف أيأس من حسن نظرك بعد مماتي ولم تولني إلا الجميل في حياتي
إلهي إن كانت ذنوبي قد أخافتني فإن محبتي لك قد أجارتني فتول من
أمري ما أنت أهله وعد بفضلك على من غره جهله إلهي لو أردت
إهانتي ما هديتني ولو أردت فضيحتي لم تسترني فمتعني بما له
هديتني وأدم لي ما به سترتني إلهي ما أظنك تردني في حاجة
أفنيت فيها عمري إلهي لولا ما قارفت من الذنوب ما خفت عقابك

امرأة صالحة

ولولا ما عرفت من كرمك ما رجوت ثوابك وقال الخواص
دخلنا على رحلة العابدة وكانت قد صامت حتى اسودت وبكت حتى
عميت وصلت حتى أقعدت وكانت تصلي قاعدة فسلمنا عليها ثم ذكرنا لها
شيئا من العفو ليهون عليها الأمر قال فشهقت ثم قالت علمي بنفسي
قرح فؤادي وكلم كبدي والله لوددت أن الله لم يخلقني ولم أك شيئا
مذكورا ثم أقبلت على صلاتها وينبغي لك إن كنت من المرابطين
لنفسك أن تطالع أحوال الرجال والنساء المجتهدين لينبعث نشاطك
ويزيد حرصك وإياك أن تنظر إلى أهل عصرك فإنك إن تطع أكثر من

وحكايات المجتهدين

في الأرض يضلوك عن سبيل الله وحكايات المجتهدين غير محصورة
وفيما ذكرناه كفاية للمعتبر وإن أردت مزيدا فعليك بالمواظبة

بالمواظبة على مطالعة كتاب حلية الاوليا فهو مشتمل على شرح احوال الصالحين من الصحابة والتابعين ومن بعدهم وبالوقوف عليه يستبين لك بعدك وبعد اهل عصرك عن اهل الدين فان حدثتك نفسك بالنظر الى اهل زمانك وقالت انما تيسر الخير في ذلك الزمان لكثرة الاعوان والان فان خالفت اهل زمانك راوك مجنونا وسخروا بك فوافقهم فيما هم فيه فلا يجري عليك الا ما يجري عليهم والمصيبة اذا عمت طابت فاياك ان تنخدعي بحيل غرورها وتنخدع بتزويرها وقل لها ارايت ان هجم سيل جارف يغرق اهل البلد وثبتوا على مواضعهم ولم ياخذوا حذرهم لجهلهم بحقيقة الحال وقدرت انت على ان تفارقيهم وتركبي في سفينة وتخلصي من الغرق فهل تختلج في نفسك ان المصيبة اذا عمت طابت ام تتركي موافقتهم وتستجهليهم في صنيعهم وتاخذي حذرك مما دهاك فاذا كنت تتركي موافقتهم خوفا من الغرق وعذاب الغرق لا يتمادى الا ساعة فكيف لا تهربي من عذاب الابد وانت متعرضة له في كل حال ومن اين تطيب المصيبة اذا عمت ولاهل النار شغل شاغل عن الالتفات الى العموم والخصوص ولم يهلك الكفار الا بموافقة اهل زمانهم حيث قالوا انا وجدنا اباءنا على امة وانا على اثارهم مقتدون فعليك اذا اشتغلت بمعاقبة نفسك وحملها على الاجتهاد فاستعصت ان لا تترك معاتبتها وتوبيخها وتوبيخها وتقريعها وتعريفها سوء نظرها لنفسها فعساها تنزجر عن طغيانها

المرابطة السادسة

في توبيخ النفس ومعاتبتها

اعلم ان اعدى عدو لك نفسك التي بين جنبيك وقد خلقت امارة بالسوء ميالة الى الشر فرارة من الخير وامرت بتزكيتها وتقويمها وقودها بسلاسل القهر الى عبادة ربها وخالقها ومنعها عن

مجاهدة مع النفس

شهواتها وفطمها عن لذاتها فان اهملتها جمحت وشردت
ولم تظفر بها بعد ذلك وان لازمتها بالتوبيخ والمعاتبة والعذل
والملامة كانت نفسك هي النفس اللوامة التي اقسم الله تعالى بها
ورجوت ان تصير النفس المطمئنة المدعوة الى ان تدخل في جملة عباد
الله راضية مرضية فلا تغفلن ساعة عن تذكيرها ومعاتبتها ولا
تشتغلن بوعظ غيرك ما لم تشتغل اولا بوعظ نفسك اوحى الله تعالى
الى عيسى عليه السلام يا ابن مريم عظ نفسك فان اتعظت فعظ الناس
والا فاستحي مني وقال الله تعالى وذكر فان الذكرى تنفع
المؤمنين وسبيلك ان تقبل عليها فتقرر عندها جهلها وغباوتها
وانها ابدا تتعزز بفطنتها وهدايتها ويشتد انفها واستنكافها
اذا نسبت الى الحمق فتقول لها يا نفس ما اعظم جهلك تدعين
الحكمة والذكاء والفطنة وانت اشد الناس غباوة وحمقا اما تعرفين ما بين
يديك من الجنة والنار وانك صائرة الى احداهما على القرب فما لك تفرحين وتضحكين
وتشتغلين باللهو وانت مطلوبة لهذا الخطب الجسيم وعساك اليوم تختطفين
او غدا فاراك ترين الموت بعيدا ونراه قريبا اما تعلمين ان كل ما هو آت قريب
فان البعيد ما ليس بآت اما تعلمين ان الموت يأتي بغتة من غير تقديم رسول
ومن غير مواعدة ومواطاة وانه لا يأتي في شتاء دون صيف ولا في نهار دون
ليل ولا يأتي في الصبي دون الشباب ولا في الشباب دون الصبي بل كل نفس من
الانفاس يمكن ان يكون فجاءة فيه فيكون المرض فجاءة ثم يفضي الى الموت
فما لك لا تستعدين للموت وهو اقرب اليك من كل قريب اما تتدبرين قوله تعالى
اقترب للناس حسابهم وهم في غفلة معرضون ما يأتيهم من ذكر
من ربهم محدث الا استمعوه وهم يلعبون لاهية قلوبهم ويحك
يا نفس ان كانت جرأتك على معصية الله لاعتقادك ان الله لا يراك
فما اعظم كفرك وان كان مع علمك باطلاعه عليك فما اشد وقاحتك واقل
حياءك ويحك يا نفس لو واجهك عبد من عبيدك بل اخ من اخوانك بما تكرهينه
كيف كان غضبك عليه ومقتك له فبأي جسارة تتعرضين لمقت الله وغضبه
وشدة عقابه افتظنين انك تطيقين عذابه هيهات هيهات جربي نفسك

نفسك إن الحال البطر عن أليم عذابه فاحتبسي ساعة في الشمس أو في
بيت الحمام أو قربي إصبعك من النار ليتبين لك قدر طاقتك أم تغترين
بكرم الله تعالى وفضله واستغنائه عن طاعتك وعبادتك فما لك لا تعولين
على كرم الله تعالى في مهمات دنياك فإذا قصدك عدو فلم تستنبطين
الحيل في دفعه ولا تكلينه إلى كرم الله تعالى وإذا أرهقتك حاجة إلى
شهوة من شهوات الدنيا مما لا ينقضي إلا بالدينار والدرهم فما لك
تنزعين الروح في طلبها وتحصيلها من وجوه الحيل فلم لا تعولين على كرم
الله تعالى حتى يعثرك على كنز أو يسخر عبدا من عبيده فيحمل حاجتك إليك
من غير سعي منك ولا طلب أفتحسبين أن الله كريم في الآخرة دون الدنيا
وقد عرفت أن سنة الله لا تبديل لها وأن رب الدنيا والآخرة واحد وأن
ليس للإنسان إلا ما سعى ويحك يا نفس ما أعجب نفاقك ودعاويك الباطلة
تدعين الإيمان بلسانك وأثر النفاق ظاهر عليك ألم يقل لك سيدك ومولاك
وما من دابة في الأرض إلا على الله رزقها وقال في أمر الآخرة وأن ليس
للإنسان إلا ما سعى فقد تكفل لك بأمر الدنيا خاصة وصرفك عن السعي فيها
فكذبته بأفعالك وأصبحت تتكالبين على طلبها تكالب المدهوش المستهتر
ووكل أمر الآخرة إلى سعيك فأعرضت عنها إعراض المغرور المستحقر ما هذه
من علامات الإيمان لو كان الإيمان باللسان فلم كان المنافقون في
الدرك الأسفل من النار ويحك يا نفس كأنك لا تؤمنين بيوم الحساب
وتظنين أنك إذا مت انفلت وتخلصت وهيهات أتحسبين أن تتركي سدى
ألم تكوني نطفة من مني يمنى ثم كنت علقة فخلق فسوى أليس ذلك بقادر
على أن يحيي الموتى فإن كان هذا إضمارك فما أجهلك وما أكفرك أما تتفكرين
أنه مماذا خلقك من نطفة خلقك فقدرك ثم السبيل يسرك ثم أماتك
فأقبرك ثم تكذبينه في قوله ثم إذا شاء أنشرك فإن لم تكوني مكذبة فما لك
لا تأخذين حذرك ولو أن يهوديا أخبرك في ألذ أطعمتك بأنه يضرك
في مرضك لصبرت عنه وتركته وجاهدت نفسك فيه أفكان قول
الأنبياء المؤيدين بالمعجزات وقول الله تعالى في كتبه المنزلة أقل عندك
تأثيرا من قول يهودي يخبرك عن حدس وتخمين وظن مع نقصان

مطلب التوابيخ

مثال قول الانبيا عم والعلما

وَفضُو دعِلْم وَالعجب انه لو اخبرك طفل ان في ثوبك عقربٌ لرميت ثوبك
في الحال من غير مطالبة له بدليل وبرهان أفكان قول الانبيا والحكما وكافة
العلما اقل عندك من قول صبي من جملة الاغبيا أم صار حر جهنم وأغلالها
وأنكالها وزقومها ومقامعها وصديدها وسمومها وافاعيها وعقاربها
أحقر عندك من عقرب لا تحس بالمها الا يوما او اقل منه ما هذا افعال العقلا
بل لو انكشف للبهايم حالك لضحكوا منك وسخروا من عقلك فان كنت يا نفس
قد عرفت جميع ذلك وآمنت به فما لك تسوفين العمل والموت لك بالمرصاد
ولعله يختطفك من غير مهلة فبماذا امنت استنجاز الاجل وهب انك
وعدت بالامهال مائة سنة افتظنين ان من يطعم الدابة في حضيض العقبة
يفلح ويقدر على قطع العقبة بها ان ظننت ذلك فما اعظم جهلك ارايت لو سافر
رجل ليتفقه في الغربة فاقام سنين متعطلا بطالا يعد نفسه بالتفقه في السنة
الاخيرة عند رجوعه الى وطنه هل كنت تضحكين من عقله وظنه ان تفقيه
النفس مما يطمع فيه بمدة قريبة او حسابه ان مناصب الفقها تنال من غير تفقه
اعتمادا على كرم الله سبحانه ثم هب ان الجهد في اخر العمر نافع وانه
موصل الى الدرجات العلى فلعل اليوم اخر عمرك فلم لا تشتغلين فيه
بذلك فاذا اوحي اليك بالامهال فما المانع لك من المبادرة وما الباعث لك
على التسويف هل له سبب الا عجزك عن مخالفة شهوتك لما فيه من التعب
والمشقة أفتنتظرين يوما ياتيك لا يعسر فيه مخالفة الشهوات
لما فيه من التعب والمشقة افتنتظرين يوما ياتيك هذا يوم لم يخلقه الله
قط ولا يخلقه ولا تكون الجنة الا محفوفة بالمكاره ولا تكون المكاره قط
خفيفة على النفوس هذا محال وجوده أما تتأملين منذ كم تعدين
نفسك وتقولين غدا وغدا فقد جا الغد وصار يوما فكيف وجدته اما
علمت ان الغد الذي جا وصار يوما كان له حكم الامس لا بل ما تعجزين
عنه اليوم فانت غدا عنه اعجز واعجز لان الشهوة كالشجرة الراسخة
التي تعبد العبد بقلعها فاذا عجز العبد عن قلعها للضعف واخرها كان
كمن عجز عن قلع شجرة وهو شاب قوي فاخرها الى سنة اخرى مع العلم
بان طول المدة تزيد الشجرة قوة ورسوخا وتزيد القالع ضعفا ووهنا

مطلب

مثال الشهوه

وهذا مما يقدر عليه في الشباب فلا يقدر عليه قط في المشيب بل من الغنا والرياضة الهرم ومن التعذيب تهذيب الذئب والقضيب الرطب يقبل الانحنا فاذا جف وطال عليه الزمان لم يقبل ذلك فاذا كنت ايتها النفس لا تفهمين هذه الامور الجلية وتركنين الى التسويف فما لك تدعين الحكمة فاية حماقة تزيد على هذه الحماقة ولعلك تقولين ما يمنعني عن الاستقامة الا حرصي على لذة الشهوات وقلة صبري على الالام المشقات فما اشد غباوتك واقبح اعتذارك ان كنت صادقة في ذلك فاطلبي التنعم بالشهوات الصافية عن الكدورات الدائمة ابد الاباد ولا مطمع في ذلك الا في الجنة فان كنت ناظرة لشهوتك فالنظر لها في مخالفتها فرب اكلة تمنع اكلات وما قولك في عاقل اشار عليه الطبيب بترك الما البارد ثلاثة ايام ليصح ويتهنا بشربه طول عمره واخبره ان شرب ذلك مرض مرضا شديدا وامتنع عليه شربه طول العمر فما مقتضى العقل في قضا الشهوة اتصبر ثلاثة ايام لتتنعم طول العمر ام تقضي شهوتك في الحال خوفا من الم المخالفة ثلاثة ايام حتى يلزمه الم المخالفة ثلثماية يوم وثلاثة الف يوم وجميع عمرك بالاضافة الى الابد الذي هو مدة نعيم اهل الجنة وعذاب اهل النار اقل من ثلاثة ايام بالاضافة الى جميع العمر وان طالت مدته وليت شعري الم الصبر عن الشهوات اعظم شدة واطول مدة او الم النار في دركات جهنم فمن لا يطيق الصبر على الم المجاهدة كيف يطيق عذاب الله تعالى ما اراك تتوانين عن النظر لنفسك الا لكفر خفي او لحمق جلي اما الكفر الخفي فهو ضعف ايمانك بيوم الحساب وقلة معرفتك بقدر عظم الثواب والعقاب واما الحمق الجلي فاعتمادك على كرم الله وعفوه من غير التفات الى مكره واستدراجه واستغنائه عن عبادتك مع انك لا تعتمدين على كرمه في لقمة من الخبز او حبة من المال او كلمة واحدة تسمعينها من الخلق بل تتوصلين الى غرضك في ذلك بجميع الحيل وبهذا الجهل تستحقين لقب الحماقة من رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث قال الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت والاحمق من اتبع نفسه هواها وتمنى على الله ويحك يا نفس لا ينبغي ان تغرك الحيوة الدنيا ولا يغرنك بالله

حماقة

ترك الاكل والماء

حمق الخفي والجلي

الغرور فانظري لنفسك فما أمرك بمهم لغيرك ولا تضيعي أوقاتك
فالانفاس معدودة فاذا مضى منك نفس فقد ذهب بعضك فاغتنمي الصحة
قبل السقم والفراغ قبل الشغل والغنى قبل الفقر والشباب قبل الهرم
والحياة قبل الموت واستعدي للآخرة على قدر بقائك فيها يا نفس اما تستعدين
للشتاء بقدر طول مدته فتجمعين له القوت والكسوة والحطب وجميع
الاسباب ولا تتكلين في ذلك على فضل الله وكرمه حتى يدفع عنك البرد
من غير جبة ولبد وحطب وغير ذلك فانه قادر على ذلك افتظنين ايتها
النفس ان زمهرير جهنم اخف بردا واقصر مدة من زمهرير الشتا ام تظنين
ان العبد ينجوا منها بغير سعي هيهات كما لا يندفع برد الشتا الا بالجبة
والنار وسائر الاسباب فلا يندفع حر النار وبردها الا بحصن التوحيد
وخندق الطاعات وانما كرم الله تعالى في ان عرفك طريق التحصن ويسر لك
اسبابه لا في ان يندفع عنك العذاب دون حصنه كما ان كرم الله تعالى في دفع برد
الشتا ان خلق النار وهداك لطريق استخراجها من بين حديدة وحجر
حتى تدفع بها برد الشتا ان خلق النار وهداك الطريق استخراجها لطعا
وكما ان شرا الحطب والجبة مما يستغني عنه خالقك ومولاك وانما تشترينه لنفسك
اذ خلقه سببا لاستراحتك فطاعتك ومجاهداتك ايضا هو مستغنٍ عنها
وانما هو طريقك الى نجاتك فمن احسن فلنفسه ومن اسا فعليها والله غني
عن العالمين ويحك يا نفس انزعي عن جهلك وقيسي آخرتك بدنياك فما خلقكم
ولا بعثكم الا كنفس واحدة وكما بدأنا اول خلق نعيده وكما بدأكم تعودون وسنة
الله تعالى لن تجد لها تبديلا ولا تحويلا ويحك يا نفس ما اراك الا الفت الدنيا
وانست بها فيعسر عليك مفارقتها وانت مقبلة على مقاربتها وتؤكدين في
نفسك مودتها فاحسبي انك غافلة عن عقاب الله وثوابه وعن اهوال القيامة
واحوالها فما انت مؤمنة بالموت المفرق بينك وبين محابك افترين ان من يدخل دار
ملك ليخرج من الجانب الآخر فمد بصره الى وجه مليح يعلم انه يستغرق قلبه
ذلك ثم يضطر لا محالة الى مفارقته اهو معدود من العقلا او من الحمقا
اما تعلمين ان الدنيا دار ملك الملوك وما لك فيها الا مجاز وكل ما فيها لا يصحب
المجتازين بها بعد الموت ولذلك قال سيد البشر صلى الله عليه وسلم

فاغتنم خمسا قبل خمس

مثال الجهنم

وسلم ان روح القدس نفث في روعي احبب من احببت فانك مفارقه
واعمل ما شئت فانك مجزي به وعش ما شئت فانك ميت ويحك يا نفس
اما تعلمين ان كل من يلتفت الى ملاذ الدنيا ويأنس بها مع ان الموت من ورائه
فانما يستكثر من الحسرة عند المفارقة وانما يتزود من السم المهلك
وهو لا يدري اما تنظرين الى الذين مضوا كيف بنوا وعلوا ثم ذهبوا وخلوا
وكيف اورث الله ارضهم وديارهم اعداءهم اما تراهم كيف يجمعون ما لا ياكلون
ويبنون ما لا يسكنون ويؤملون ما لا يدركون يبني كل واحد قصرا مرفوعا
الى السماء ومقره قبره تحت الارض محفورة فهل في الدنيا حمق وانتكاس اعظم
من هذا يعمر الواحد دنياه وهو مرتحل عنها يقينا ويخرب آخرته وهو صائر
اليها قطعا اما تستحيين يا نفس من مساعدة هؤلاء على حماقتهم واحسب انك
لست ذات بصيرة تهتدين الى هذه الامور وانما تميلين بالطبع الى التشبه
والاقتداء فقيسي عقل الانبياء والعلماء والحكماء بعقل هؤلاء المكبين على الدنيا
واقتدي من الفريقين بمن هو اعقل عندك ان كنت تعتقدين في نفسك العقل
والذكاء يا نفس ما اعجب امرك واشد جهلك واظهر طغيانك عجبا لك كيف
تعمين عن هذه الامور الواضحة الجلية ولعلك يا نفس اسكرك حب الجاه
وادهشك عن فهمها او ما تتفكرين ان الجاه لا معنى له الا ميل القلوب من بعض
الناس اليك فاحسبي ان كل من على وجه الارض سجد لك واطاعك افما تعرفين
انه بعد خمسين سنة لا تبقين انت ولا احد ممن على وجه الارض ممن عبدك
وسجد لك وسياتي زمان لا يبقى ذكرك ولا ذكر من ذكرك كما اتى على الملوك
الذين كانوا قبلك فهل تحس منهم من احد او تسمع لهم ركزا فكيف
تبيعين يا نفس ما يبقى ابد الآباد بما لا يبقى اكثر من خمسين سنة ان بقي هذا
ان كنت ملكا من ملوك الارض سلم لك الشرق والغرب حتى اذعنت لك الرقاب
وانتظمت لك الاسباب كيف وتأخر ادبارك وشقاوتك ان يسلم امر محلتك
بل امر دارك فضلا عن محلتك فان كنت يا نفس لا تتركين الدنيا رغبة
في الآخرة لجهلك وعمى بصيرتك فما لك لا تتركينها ترفعا عن خسة شركائها
وتنزها عن كثرة عنائها وتوقيا من سرعة فنائها ام ما لك لا تزهدين في
قليلها بعد ان زهد فيك كثيرها وما لك تفرحين بدنيا ان ساعدتك

مطلب

مطلب

فلا تخلو بلدك عن جماعة من اليهود والمجوس يسبقونك بها ويزيدون عليك
في نعيمها وزينتها فاف لدنيا يسبقك بها هولاء الاخسا فما احمقك
واخس همتك واسقط رايك اذ رغبت عن ان تكوني في زمرة المقربين
من الصديقين والنبيين في جوار رب العالمين ابدا لاباد لتكوني في صف
النعال من جملة الحمقا الجاهلين اياما قلايل فيا حسرة عليك اذ خسرت الدنيا
والدين فبادري ويحك يا نفس فقد اشرفت علي الهلاك واقترب الموت
وورد النذير فمن ذا يصلي عنك بعد الموت ومن ذا يصوم عنك بعد الموت
ويحك يا نفس ما لك الا ايام معدودة هي بضاعتك ان اتجرت فيها وقد ضيعت
اكثرها فلو بكيت بقية عمرك علي ما ضيعت منها لكنت مقصرة في حق نفسك
وكيف اذا ضيعت البقية واصررت علي عادتك اما تعلمين يا نفس ان الموت
موعدك والقبر بيتك والتراب فراشك والدود انيسك والفزع الاكبر
بين يديك اما علمت يا نفس ان عسكر الموتي بباب البلد ينتظرونك وقد الوا
كلهم علي انفسهم بالايمان المغلظة انهم لا يبرحون من مكانهم ما لم
ياخذوك معهم اما تعلمين يا نفس انهم يتمنون الرجعة الي الدنيا يوما
ليشتغلوا بتدارك ما فرط منهم وانت في امنيتهم ويوم من عمرك لو بيع
منهم بالدنيا بحذافيرها لاشتروه لو قدروا عليه وانت تضيعين ايامك
في الغفلة والبطالة ويحك يا نفس اما تستحيين تزينين ظاهرك للخلق
وتبارزين في السر بالعظايم افتستحيين من الخلق ولا تستحيين من الخالق ويحك
اهو اهون الناظرين عليك اتامرين الناس بالخير وانت متلطخة بالرذايل
تدعين الي الله وانت عنه فارة وتذكرين بالله وانت له ناسية اما تعلمين
يا نفس ان المذنب انتن من العذرة وان العذرة لا تطهر غيرها فلم تطمعين
في تطييب غيرك وانت غير طيبة في نفسك ويحك يا نفس لو عرفت نفسك
حق المعرفة لظننت ان الناس لا يصيبهم بلا الا بشومك ويحك يا نفس
قد جعلت نفسك حمارا لابليس يقودك الي حيث يريد ويسخر بك ومع هذا
فتعجبين بعملك وفيه من الافات ما لو نجوت منها راسا براس لكان الربح في يديك
وكيف تعجبين بعملك مع كثرة خطاياك وزللك وقد لعن الله ابليس بخطيئة واحدة
بعد ان عبد الله تعالي الف سنة واخرج ادم عليه السلام من الجنة بخطيئة

٢٧٦م
287

مطلب

خطيئةٍ واحدةٍ مع كونه نبيَّه وصفيَّه • ويحك يا نفس ما أوقحك ويحك
يا نفس ما أجهلك وما أجرأك على المعاصي • ويحك كم تعقدين فتنقضين
ويحك كم تعاهدين فتغدرين • ويحك يا نفس أتشتغلين مع هذه الخطايا بعمارة
دنياك كأنك غير مرتحلة عنها أما تنظرين إلى أهل القبور كيف كانوا جمعوا
كثيرا وبنوا مشيدا وأمّلوا بعيدا فأصبح جمعهم بورا وبنيانهم قبورا
وأملهم غرورا • ويحك يا نفس أما لك بهم عبرة أتظنين أنهم دعوا
إلى الآخرة وأنت من المخلّدين هيهات هيهات ساء ما تتوهمين ما أنت إلا في
هدم عمرك منذ سقطت من بطن أمك فابني على وجه الأرض قصرك فإن بطنها
عن قليل يكون قبرك أما تخافين إذا بلغت منك النفس التراقي أن تبدو رسل ربك
منحدرة إليك بسواد الألوان وكلح الوجوه وبشرى العذاب فهل ينفعك حينئذ
الندم أو يقبل منك الحزن أو يرحم منك البكاء • والعجب كل العجب منك
يا نفس أنك مع هذا تدّعين البصيرة والفطنة ومن فطنتك أنك تفرحين
كل يوم بزيادة مالك ولا تحزنين بنقصان عمرك وما نفع مال يزيد وعمر ينقص
ويحك يا نفس تعرضين عن الآخرة وهي مقبلة عليك وتقبلين على الدنيا
وهي معرضة عنك فكم من مستقبل يوما لا يستكمله وكم من مؤمل لغد
لم يبلغه وأنت تشاهدين ذلك في إخوانك وأقاربك وجيرانك وترين
تحسّرهم عند الموت ثم لا ترجعين عن جهالتك فاحذري أيتها النفس
المسكينة يوما آلى الله فيه على نفسه أن لا يترك عبدا أمره في الدنيا
ونهاه أن يسأله عن عمله دقيقه وجليله وسره وعلانيته فانظري
يا نفس بأي بدن تقفين بين يديه وبأي لسان تجيبين وأعدّي للسؤال
جوابا وللجواب صوابا واعملي بقية عمرك في أيام قصار لأيام طوال
وفي دار زوال لدار مقامة وفي دار حزن ونصب لدار نعيم وخلود
واعملي قبل أن لا تعملي اخرجي من الدنيا اختيارا خروج الأحرار
قبل أن تخرجي منها على الاضطرار ولا تفرحي بما يساعدك من زهرات
الدنيا فربّ مسرور مغبون وربّ مغبون لا يشعر فويل لمن له الويل
ثم لا يشعر يضحك ويفرح ويلهو ويمزح ويأكل ويشرب وقد حق له في
كتاب الله أنه من وقود النار فليكن نظرك يا نفس إلى الدنيا اعتبارا

وسعيك لها اضطرارًا ورفضك لها اختيارًا وطلبك للآخرة ابتداءً
وتكوني ممن يعجز عن شكر ما أوتي ويبتغي الزيادة فيما بقي وينهى الناس
ولا ينتهي • واعلمي يا نفس انه ليس للدين عوض ولا للايمان بدل ولا
لجسد خلف ومن كانت مطيته الليل والنهار فانه يسار به وان لم
يسر به فاتعظي يا نفس لهذه الموعظة واقبلي هذه النصيحة فان من اعرض
عن الموعظة فقد رضي بالنار وما اراك بها راضية ولا لهذه المواعظ
واعية • فان كانت القساوة تمنعك عن قبول الموعظة فاستعيني عليها بدوام
التهجد والقيام • فان لم تزل فبالمواظبة على الصيام فان لم تزل فبقلة
المخالطة والكلام • فان لم تزل فبصلة الارحام واللطف بالايتام فان
لم تزل فاعلمي ان الله قد طبع على قلبك واقفل عليه وانه قد تراكمت ظلمات
الذنوب على ظاهره وباطنه فوطني نفسك على النار فقد خلق الله الجنة
وخلق لها اهلا وخلق النار وخلق لها اهلا فكل ميسر لما خلق له فان لم
يبق فيك مجال للوعظ فاقنطي من نفسك فالقنوط كبيرة من الكبائر نعوذ بالله من
ذلك • فلا سبيل لك الى القنوط ولا سبيل لك الى الرجا مع انسداد طرق الخير
عليك فان ذلك اغترار وليس برجا . فانظري الآن هل ياخذك حزن
على هذه المصيبة التي ابتليت بها وهل تسمح عينك بدمعة رحمة منك
على نفسك فان سمحت فمستقى الدمع من بحر الرحمة فقد بقي فيك موضع
للرجا فواظبي على النياحة والبكا واستغيثي بارحم الراحمين • واشتكي
الى اكرم الاكرمين وادمني الاستغاثة ولا تملي طول الشكاية لعله
ان يغيثك فان مصيبتك قد عظمت وبليتك قد تفاقمت وتماديك قد طال
وقد انقطعت منك الحيل وراحت عنك العلل فلا مذهب ولا مطلب ولا
مستغاث ولا مهرب ولا منجا ولا ملجا الا الى مولاك فافزعي اليه
بالتضرع واخشعي في تضرعك على قدر عظم جهلك وكثرة ذنوبك
لانه يرحم المتضرع الذليل ويغيث الطالب المتلهف ويجيب دعوة المضطر
وقد اصبحت اليه مضطرة والى رحمته محتاجة وقد ضاقت بك السبل
وانسدت عليك الطرق وانقطعت منك الحيل ولم ينجع فيك العظات
ولم يكسرك التوبيخ فالمطلوب منه كريم والمسؤل جواد والمستغاث به

مطلب

اعمال

مطلب

بر رؤوف والرحمة واسعة والكرم فايض والعفو شامل وقولي يا ارحم
الراحمين ٥ يا رحمن يا رحيم يا عظيم يا كريم انا المذنب المضطر انا المجرم
الذي لا اقلع انا المتمادي الذي لا يستحي هذا مقام المتضرع المسكين
والبايس الفقير والضعيف الحقير والهالك الغريق فعجل اغاثتي وفرج
عني واذقني برد رحمتك واذقني برد عفوك ومغفرتك وارزقني
قوة عصمتك يا ارحم الراحمين ٥ ابتدا بابيك ادم عليه السلام ٥
فقد قال وهب بن منبه لما اهبط الله ادم الى الارض ٥
مكث لا ترقا له دمعة فاطلع الله عز وجل عليه في اليوم السابع وهو
محزون كئيب كظيم منكس راسه فاوحى الله تعالى اليه يا ادم ما هذا الجهد
الذي ارى بك قال يا رب عظمت مصيبتي واحاطت بي خطيتي واخرجت من
ملكوت ربي فصرت في دار الهوان بعد الكرامة وفي دار الشقا بعد
السعادة وفي دار النصب بعد الراحة وفي دار البلا بعد العافية ٥
وفي دار الزوال بعد القرار وفي دار الموت والفنا بعد الخلود والبقا
فكيف لا ابكي على خطيتي فاوحى الله تعالى اليه يا ادم الم اصطفيك لنفسي
واحللتك داري وخصصتك بكرامتي وحذرتك سخطي الم اخلقك بيدي
ونفخت فيك من روحي واسجدت لك ملايكتي فعصيت امري ونسيت عهدي
وتعرضت لسخطي فوعزتي وجلالي لو ملات الارض رجالا كلهم مثلك ٥
يعبدوني ويسبحوني ثم عصوني لانزلتهم منازل العاصين فبكى ادم عند
ذلك ثلثماية عام • وكان عبد الله البجلي كثير البكا يقول في بكايه طول
ليله يا الهي انا الذي كلما طال عمري زادت ذنوبي انا الذي كلما هممت
بترك خطية عرضت لي شهوة اخرى واعبداه خطية لم تزل وصاحبها
في طلب اخرى واعبداه ان كانت النار مقيلا وماوى واعبداه اذ كانت
المقامع لراسك لقيا واعبداه قضيت حاجة الطالبين واهل حاجتي
لا تقضى ٥ وقال منصور ابن عمار سمعت بعض الليالي بالكوفة عابدا
يناجي ربه ويقول يا رب وعزتك ما اردت بمعصيتك مخالفتك
ولا عصيتك اذ عصيتك وانا بمكانك جاهل ولا لعقوبتك متعرض
ولا بنظرك مستخف ولكن سولت لي نفسي واعانني على ذلك شقوتي ٥

وغرني سترك المرخى علي فعصيتك بجهلي وخالفتك بفعلي فمن عذابك
الآن من يستنقذني او بحبل من اعتصم ان قطعت حبلك عني فوا سوأتاه
من الوقوف بين يديك غدا اذا قيل للمخفين جوزوا وللمثقلين حطوا
أمع المخفين أجوز أم مع المثقلين أحط • ويلي كلما كبرت سني كثرت ذنوبي
وويلي كلما طال عمري كثرت معاصي فإلى متى أتوب وإلى متى أعود
أما آن لي ان استحي من ربي فهذه طرق القوم في مناجاتهم مولاهم
وفي معاتبة نفوسهم وانما مطلبهم من المناجاة الاسترضاء
ومقصدهم من المعاتبة التنبيه والاسترعاء فمن أهمل المعاتبة والمناجاة
لم يكن لنفسه مراعيا ويوشك ان لا يكون الله
تعالى عنه راضيا هذا اخر
كتاب المحاسبة ويتلوه ان شاء الله كتاب التفكر وهو الكتاب
التاسع من ربع المنجيات

والحمد لله رب
العالمين

م

كتاب التفكر

وهو الكتاب السابع من ربع المنجيات من جملة كتاب
احيا علوم الدين للشيخ الامام
العالم العلامه شرف
الايمه ابي حامد
محمد بن محمد بن محمد
الغزالي
رحمه
الله
آ

م

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي لم يقدر لانتهاء عزته نحواً ولا قطراً • ولم يجعل لمرقى أوهام
الأقدام ومرمى سهام الأفهام إلى حمى عظمته مجرى • بل ترك قلوب الطالبين
في بيداء كبريائه والهة حيرى كلما اهتزت لنيل مطلوبها ردتها سبحات الجلال
قسراً • وإذا همت بالانصراف آيسة • نوديت من سرادقات الجمال صبراً صبراً
ثم قيل لها أجيلي في ذل العبودية منك فكراً لأنك لو تفكرت في جلال
الربوبية لم تقدري لها قدراً • وإن طلبت في وراء التفكر في صفاتك أمراً
فانظري في نعم الله تعالى وأياديه كيف توالت عليك تترى • وجددي لكل
نعمة منها ذكراً وشكراً • وتأملي في بحار المقادير كيف فاضت على العالمين
خيراً وشراً • ونفعاً وضراً وعسراً ويسراً وفوزاً وخسراً • وجبراً
وكسراً • وطياً ونشراً • وإيماناً وكفراً وعرفاناً ونكراً • وإن جاوزت
النظر في الأفعال إلى النظر في الذات فقد حاولت أمراً إمراً • وخاطرت
بنفسك مجاوزة حد طاقة البشرية ظلماً وجوراً • فقد انبهرت العقول
دون مبادي إشراقه وانتكصت على أعقابها اضطراراً وقهراً • والصلاة
على سيد ولد آدم • وإن كان لم يعد سيادته فخراً صلاة تبقى لنا
في عرصات القيامة عدة وذخراً • وعلى آله وأصحابه الذين أصبح كل واحد
منهم في سماء الدين بدراً • والطوائف المسلمين صدراً • وسلم كثيراً •

اما بعد فقد ورد في السنة • بأن تفكر ساعة خير من عبادة
سنة • وكثر الحث في كتاب الله تعالى على التدبر والاعتبار • والنظر
والافتكار • ولا يخفى أن الفكر هو مفتاح الأنوار • ومبدأ الاستبصار •
وهو شبكة العلوم • ومصيدة المعارف والفهوم • وأكثر الخلق
قد عرفوا فضله ورتبته • ولكن جهلوا حقيقته وثمرته • ومصدره
ومورده • ومجراه ومسرحه • وطريقه وكيفيته • ولم يعلم أنه كيف
يتفكر • وفيماذا يتفكر ولماذا يتفكر • وما الذي يطلب به أهو مراد
لعينه • أو لثمرة تستفاد منه • وإن كان لثمرة فما تلك الثمرة أهي من
العلوم أم من الأحوال أو منهما جميعاً • وكشف جميع ذلك مهم • ونحن نذكر
أولاً فضيلة التفكر • ثم حقيقة التفكر وثمرته ثم مجاري الفكر ومساره

ومسارحه إن شاء الله تعالى

بيان فضيلة التفكر

قد أمر الله تعالى بالتفكر والتدبر في كتابه العزيز
في مواضع لا تحصى وأثنى على المتفكرين فقال الذين يتفكرون في
خلق السموات والأرض ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانك وقد قال
ابن عباس إن قوما تفكروا في الله فقال النبي صلى الله عليه وسلم
تفكروا في خلق الله ولا تتفكروا في الله فإنكم لن تقدروا قدره وعن
النبي صلى الله عليه وسلم أنه خرج على قوم وهم يتفكرون فقال ما لكم
لا تتكلمون فقالوا نتفكر في خلق الله عز وجل فقال فكذلك فافعلوا
تفكروا في خلقه ولا تتفكروا فيه فإن بهذا المغرب أرضا بيضاء نورها
بياضها وبياضها نورها مسيرة الشمس أربعين يوما بها خلق من خلق الله
تعالى لم يعصوا الله عز وجل طرفة عين قالوا يا رسول الله فأين الشيطان عنهم
قال ما يدرون خلق الشيطان أم لا قالوا ومن ولد آدم هم قالوا لا
يدرون خلق آدم أم لا وعن عطاء قال انطلقت أنا وعبيد ابن عمير
إلى عائشة رضي الله عنها فكلمتنا وبيننا وبينها حجاب فقالت يا عبيد ما يمنعك
من زيارتنا قال قول النبي صلى الله عليه وسلم زر غبا تزدد حبا
قال ابن عمير فأخبرينا بأعجب ما رأيته من رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال فبكت ثم قالت كل أمره كان عجبا أتاني في ليلتي حتى مس
جلده جلدي ثم قال ذريني أتعبد لربي عز وجل فقام إلى
القربة فتوضأ منها ثم قام يصلي فبكى حتى بل لحيته ثم سجد حتى بل الأرض
ثم اضطجع على جنبه حتى أتى بلال يؤذنه بصلاة الصبح فقال يا رسول
الله ما يبكيك وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر فقال
ويحك يا بلال وما يمنعني أن أبكي وقد أنزل الله تعالى علي في هذه الليلة
إن في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولي الألباب
ثم قال ويل لمن قرأها ولم يتفكر فيها فقيل للأوزاعي ما غاية الفكر

أي هم الذين يتفكرون لذوي العقول

التفكر في خلق الله استدلالا واعتبارا وهو أفضل العبادات قاضي

زيارة

ودلالات للأوائل واضحة على وجود الصانع ووحدانيته وكمال علمه وقدرته لذوي العقول قاضي

فيهن قال يقرأهن ويعقلهن • وعن محمد ابن واسع ان رجلا من اهل البصرة
ركب الى ام ذر بعد موت ابي ذر فسألها عن عبادة ابي ذر فقالت كان
نهاره اجمع في ناحية البيت يتفكر • وعن الحسن قال تفكر ساعة خير
من قيام ليلة • وعن الفضيل قال الفكر مرآة تريك حسناتك وسيآتك
وقيل لابراهيم انك تطيل الفكر فقال الفكر مخ العقل وكان سفين
ابن عيينه كثيرا ما يتمثل ويقول

• إذا المرء كانت له فكرة • ففي كل شيء له عبرة •

وعن طاوس قال قال الحواريون لعيسى عليه السلام يا روح الله
هل على الارض اليوم مثلك فقال نعم من كان منطقه ذكرا وصمته فكرا
ونظره عبرة فانه مثلي • وقال الحسن من لم يكن كلامه حكمة
فهو لغو ومن لم يكن سكوته تفكرا فهو سهو ومن لم يكن نظره اعتبارا
فهو لهو • وفي قوله تعالى سأصرف عن اياتي الذين يتكبرون
في الارض بغير الحق قال امنع قلوبهم التفكر في امري • وعن ابي سعيد
الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اعطوا اعينكم حظها
من العبادة قالوا يا رسول الله وما حظها من العبادة قال النظر في المصحف
والتفكر فيه والاعتبار عند عجائبه وعن امرأة كانت تسكن البادية قريبا
من مكة انها قالت لو تطالعت قلوب المتقين بفكرها الى ما قد ذخر في حجب الغيوب
من خير الاخرة لم يصف لهم في الدنيا عيش ولم تقر لهم في الدنيا عين
وكان لقمان يطيل الجلوس وحده فكان يمر به مولاه فيقول يا لقمان
انك تديم الجلوس وحدك فلو جلست مع الناس كان آنس لك فيقول لقمان ان طول
الوحدة افهم للفكرة وطول الفكرة دليل على طريق الجنة • وقال وهب ابن
منبه ما طالت فكرة امرء الا عمل • وقال عمر ابن عبد العزيز الفكرة
في نعم الله عز وجل من افضل العبادات • وقال عبد الله ابن المبارك
يوما لسهل ابن علي ورآه ساكتا متفكرا اين بلغت قال الصراط • وقال
بشر لو تفكر الناس في عظمة الله عز وجل ما عصوا الله تعالى • وعن ابن عباس
ركعتان مقتصدتان في تفكر خير من قيام ليلة بلا قلب • وبينا ابو
شريح يمشي اذ جلس فتقنع بكسائه فجعل يبكي فقيل ما يبكيك قال تفكرت

ذر

فضل التفكر

عبادة العين

الصلوة بالتفكر

تفكرت في ذهاب عمري • وقلة عملي واقتراب أجلي • وقال أبو
سليمان عودوا أعينكم البكا وقلوبكم التفكر • وقال أبو سليمن
التفكر في الدنيا حجاب عن الآخرة • وعقوبة لأهل الولاية • والفكر في
الآخرة يورث الحكمة ويحيي القلب • وقال أبو حاتم من العبرة يزيد
العلم ومن الذكر يزيد الحب • ومن التفكر يزيد الخوف • وقال ابن عباس
رضي الله عنه التفكر في الخير يدعو الى العمل به • والندم على الشر يدعو
الى تركه • وروي ان الله تعالى قال في بعض كتبه •
اني لست أقبل كلام كل حكيم ولكن انظر الى همه وهواه فاذا كان همه
وهواه لي جعلت صمته تفكرا وكلامه حمدا وان لم يتكلم • وقال
الحسن ان اهل العقل لم يزالوا يعودون بالذكر على الفكر وبالفكر على
الذكر حتى استنطقوا قلوبهم فنطقت بالحكمة • وقال اسحق ابن
خلف كان داود الطائي رحمه الله على سطح في ليلة قمرا فتفكر في ملكوت
السموات والارض وهو ينظر الى السماء ويبكي حتى وقع في دار جار
له فوثب صاحب الدار من فراشه عريان وبيده سيف وظن انه لص فلما
نظر الى داود رجع ووضع السيف وقال من ذا الذي طرحك من
السطح فقال ما شعرت بذلك • وقال الجنيد اشرف
المجالس واعلاها الجلوس مع الفكرة في ميدان التوحيد • والتنسم
بنسيم المعرفة • والشرب بكاس المحبة من بحر الوداد • والنظر بحسن الظن
بالله عز وجل ثم قال يا لها من مجالس ما اجلها ومن شراب ما الذه
طوبى لمن رزقه • وقال الشافعي رضي الله عنه استعينوا على الكلام
بالصمت • وعلى الاستنباط بالفكر • وقال ايضا صحة النظر في الامور
نجاة من الغرور • والعزم في الراي سلامة من التفريط • والندم
والروية والفكر يكشفان عن الحزم • والفطنة • ومشاورة الحكما ثبات في
العقل وقوة في البصيرة • تفكر قبل ان تعزم • وتدبر قبل ان تهجم • وشاور قبل
ان تقدم • وقال الفضيل اربع احداها الحكمة وقوامها
الفكرة • والثانية العفة وقوامها الشهوة • والثالثة القوة وقوامها
في الغضب • والرابعة العدل • وقوامه في اعتدال قوى النفس فهذه اقاويل

حقوق الفكر

الخوف

احوال العقل

الفكر

المشاورة

العلما في الفكرة وما شرع احد منهم في ذكر حقيقتها

بيان حقيقة الفكر

وثمرته

اعلم ان معنى الفكر هو احضار معرفتين في القلب ليستثمر منهما
معرفة ثالثة ومثاله ان من مال الى العاجلة وآثر الحيوة الدنيا
واراد ان يعرف ان الاخرة اولى بالايثار من العاجلة فله طريقان احدهما
ان يسمع من غيره ان الاخرة اولى بالايثار فيقلده ويصدقه من غير بصيرة
بحقيقة الامر فيميل بعمله الى ايثار الاخرة اعتمادا على مجرد قوله وهذا يسمى
تقليدا ولا يسمى معرفة والطريق الثاني ان يعرف ان الابقى اولى بالايثار
ثم يعرف ان الاخرة ابقى فيحصل له من هاتين المعرفتين معرفة ثالثة وهو
ان الاخرة اولى بالايثار ولا يمكن تحقيق المعرفة بان الاخرة اولى بالايثار الا
بالمعرفتين السابقتين فاحضار المعرفتين السابقتين في القلب للتوصل به
الى المعرفة الثالثة يسمى تفكرا واعتبارا وتذكرا ونظرا وتاملا وتدبرا
اما التدبر والتامل والتفكر فعبارات مترادفة على معنى واحد ليس
تحتها معان مختلفة واما اسم التذكر والاعتبار والنظر فهي مختلفة المعاني
وان كان اصل المسمى واحدا كما ان اسم الصارم والمهند والسيف يتوارد على شي
واحد ولكن باعتبارات مختلفة فالصارم يدل على السيف من حيث نسبته الى
موضعه والسيف يدل دلالة مطلقة من غير اشعار بهذه الزوائد
فكذلك الاعتبار ينطلق على احضار المعرفتين من حيث انه يعبر منهما الى المعرفة
ثالثة فان لم يقع العبور ولم يمكن الا الوقوف على المعرفتين فينطلق عليه
اسم التذكر لا اسم الاعتبار واما النظر والتفكر فيقع عليه من حيث ان
فيه معرفة ثالثة فمن ليس يطلب المعرفة الثالثة لا يسمى ناظرا فكل متفكر
فهو متذكر وليس كل متذكر متفكرا وفائدة التذكار تكرار المعارف على
القلب لترسخ وتثبت ولا تنمحي عن القلب وفائدة التفكر تكثير العلم
واستجلاب معرفة ليست حاصلة فهذا هو الفرق بين التذكر والتفكر

بيان حقيقة الفكر

مثال الفكر

ايثار الاخرة

الفرق بين التذكر والتفكر وفائدتهما

ع

والتفكر والمعارف اذا اجتمعت في القلب وازدوجت على ترتيب مخصوص
اثمرت معرفة اخرى فالمعرفة نتاج المعرفة فاذا حصلت معرفة اخرى
وازدوجت معرفة اخرى حصل من ذلك نتاج اخر هكذا يتمادى النتاج
وتتمادى العلوم ويتمادى الفكر الى غير نهاية وانما تنسد طريق زيادة
المعارف بالموت او العوايق هذا لمن يقدر على استثمار العلوم ويهتدي الى
طريق التفكر واما اكثر الناس فانما منعوا الزيادة في العلوم لفقدهم
راس المال وهو المعارف التي بها تستثمر العلوم كالذي لا بضاعة له فانه
لا يقدر على الربح وقد يملك البضاعة ولا يحسن صناعة التجارة فلا يربح
شيا فكذلك قد يكون معه من المعارف ما هو راس مال العلوم ولكنه ليس
يحسن استعمالها وتاليفها وايقاع الازدواج والمفضي الى النتاج فيها
ومعرفة طريق الاستعمال والاستثمار تارة تكون بنور الهي في القلب
يحصل بالفطرة كما كان للانبيا صلوات الله عليهم وذلك عزيز جدا
وقد يكون بالتعلم والممارسة وهو الاكثر ثم المتفكر قد تحضره هذه
المعارف ويحصل له الثمرة وهو لا يشعر بكيفية حصولها ولا يقدر على التعبير
عنها لقلة ممارسته لصناعة التعبير في الايراد فكم من انسان يعلم
ان الاخرة اولى بالايثار علما حقيقيا ولو سيل عن سبب معرفته لم
يقدر على ايراده والتعبير عنه مع انه لم تحصل له معرفة الا عن
المعرفتين السابقتين وهو ان الابقى اولى بالايثار وان الاخرة ابقى
من الدنيا فيحصل له معرفة ثالثة وهو ان الاخرة اولى بالايثار فرجع
حاصل حقيقة الفكر الى احضار معرفتين للتوصل بهما الى معرفة ثالثة
واما ثمرة الفكر فهي العلوم والاحوال والاعمال ولكن ثمرته الخاصة
العلم لا غير نعم اذا حصل العلم في القلب تغير حال القلب واذا
تغير حال القلب تغيرت اعمال الجوارح والعمل تابع الحال والحال تابع العلم
والعلم تابع الفكر والفكر اذا هو المبدا والمفتاح للخيرات كلها وهذا
هو الذي يكشف لك عن فضيلة التفكر وانه خير من الذكر والتذكر
لان في الفكر ذكرا وزيادة وذكر القلب خير من عمل الجوارح بل شرف
العمل لما فيه من التذكر فاذا التفكر من جملة الاعمال ولذلك قيل

القلب والمعرفة

مثال المعرفة

ذكر القلب خير من عمل الجوارح

ساعة خير من عبادة سنة فقيل هو الذي ينقل من المكاره إلى المحاب ومن
الرغبة والحرص إلى الزهد والقناعة وقيل هو الذي يحدث مشاهدة
وتقوى ولذلك قال تعالى لعلهم يتقون أو يحدث لهم ذكرا
وإذا أردت أن تفهم تغير الحال بالفكر فمثاله ما ذكرناه من أمر الآخرة
فإن الفكر فيه يعرفنا أن الآخرة أولى بالإيثار فإذا رسخت هذه المعرفة
يقينا في قلوبنا تغيرت القلوب إلى الرغبة في الآخرة والزهد في الدنيا
وهذا ما عنيناه في الحال إذ كان حال القلب قبل هذه المعرفة حب العاجلة
والميل إليها والنفرة عن الآخرة وقلة الرغبة فيها وبهذه المعرفة
تغير حال القلب وتبدلت إرادته ورغبته ثم أثمر تغير الإرادة
أعمال الجوارح في اطراح الدنيا والإقبال على أعمال الآخرة فههنا خمس
درجات أولها التذكر وهو إحضار المعرفتين في القلب وثانيها التفكر
وهو طلب المعرفة المقصودة منهما والثالثة حصول المعرفة المطلوبة
واستنارة القلب بها والرابعة تغير حال القلب عما كان عليه بسبب
حصول نور المعرفة والخامسة خدمة الجوارح للقلب بحسب ما يتجدد له
من الحال فكما يضرب الحجر على الحديد فيخرج منه نار يستضيء بها الموضع
فتصير العين مبصرة بعد أن لم تكن مبصرة وتنتهض الأعضاء للعمل فكذلك
زناد نور المعرفة هو الفكر فيجمع بين المعرفتين كما يجمع بين الحجر والحديد
ويؤلف بينهما تأليفا مخصوصا كما يضرب الحجر على الحديد ضربا مخصوصا
فينبعث نور المعرفة كما تنبعث النار من الحديد ويتغير القلب بسبب
هذا النور حتى يميل إلى ما لم يكن يميل إليه كما يتغير البصر بنور النار
فيرى ما لم يكن يراه ثم تنتهض الأعضاء للعمل بمقتضى حال القلب كما أن
ينتهض العاجز عن العمل بسبب الظلمة للعمل عند إدراك البصر ما لم يكن يبصره
فإذا ثمرة الفكر العلوم والأحوال والعلوم لا نهاية لها والأحوال
التي يتصور أن تتقلب على القلب لا يمكن حصرها ولهذا لو أراد مريد أن
يحصر فنون الفكر ومجاريه وأنه فيماذا يتفكر لم يقدر عليه لأن مجاري
الفكر غير محصورة وثمراته غير متناهية نعم نحن نجتهد وضبط
نجتهد في ضبط مجاريه بالإضافة إلى مهمات العلوم الدينية وبالإضافة

سبب رغبة القلوب إلى الآخرة

مثال زيادة نور المعرفة

وبالاضافة الى الاحوال التي هي مقامات السالكين ويكون ذلك ضبطا جمليا فان تفصيل ذلك يستدعي شرح العلوم كلها وجملة الكتب كالشرح لبعضها فانها مشتملة على تلك العلوم لستفاد من افكار مخصوصة فلنشر الى ضبط المجامع فيها فيه تحصل الوقوف على مجاري الفكر

بيان مجاري التفكر

اعلم ان الفكر قد يجري في امر يتعلق بالدين وقد يجري فيما يتعلق بغير الدين فنترك القسم الاخر ونعني بالدين المعاملة التي بين العبد وبين الرب تعالى فجميع افكار العبد اما تتعلق بالعبد وصفاته واحواله واما تتعلق بالمعبود وصفاته وافعاله لا يمكن ان يخرج عن هذين القسمين وما يتعلق بالعبد اما ان يكون نظرا فيما هو محبوب عند الرب تعالى او فيما هو مكروه ولا حاجة الى الفكر في غير هذين القسمين وما يتعلق بالرب اما ان يكون نظرا في ذاته وصفاته واسمائه الحسنى واما ان يكون نظرا في افعاله وملكه وملكوته وجميع ما في السموات والارض وما بينهما وينكشف لك انحصار الفكر في هذه الاقسام بمثال وهو ان حال السائرين الى الله تعالى والمشتاقين الى لقائه يضاهي حال العشاق فلنتخذ العاشق المستهتر مثالا فنقول العاشق المستغرق الهم بعشقه لا يعدو فكره من ان يتعلق بمعشوقه او يتعلق بنفسه فان تفكر في معشوقه فاما ان يتفكر في جماله وحسن صورته في ذاته ليتنعم بالفكر فيه وبمشاهدته واما ان يتفكر في افعاله اللطيفة الحسنة الدالة على اخلاقه وصفاته ليكون ذلك مضعفا للذته ومقويا لمحبته وان تفكر في نفسه فيكون فكره في صفاته التي تسقطه من عين محبوبه حتى يتنزه عنها او في الصفات التي تقربه منه وتحببه اليه حتى يتصف بها فان تفكر في شيء خارج عن هذه الاقسام فذلك خارج عن حد العشق وهو نقصان فيه لان العشق

افكار العبد اما الى الله او الى نفسه

مثال التفكر لله

التام الكامل ما يستغرق ويستوفي القلب حتى لا يترك فيه متسعاً لغيره
فمحب الله تعالى ينبغي ان يكون كذلك فلا يعدو نظره وتفكره محبوبه
ومهما كان تفكره محصوراً في هذه الاقسام الاربعة لم يكن خارجاً
عن مقتضى المحبة اصلاً فلنبدأ بالقسم الاول وهو تفكره
في صفات نفسه وافعال نفسه ليميز المحبوب منها عن المكروه فان هذا
الفكر هو الذي يتعلق بعلم المعاملة الذي هو مقصود هذا الكتاب
واما القسم الاخر فيتعلق بعلم المكاشفة ثم كل واحد مما هو مكروه عند الله
او محبوب ينقسم الى ظاهر كالطاعات والمعاصي والى باطن كالصفات
المنجيات والمهلكات التي محلها القلب وذكرنا تفصيلها في ربع المنجيات
والمهلكات والطاعات والمعاصي تنقسم الى ما يتعلق بالاعضاء السبعة
والى ما ينسب الى جميع البدن كالفرار من الزحف وعقوق الوالدين
والسكون في المسكن الحرام ويجب في كل واحد من المكاره التفكر في ثلاثة امور
الاول التفكر في انه هل هو مكروه عند الله ام لا فرب شيء لا يظهر كونه
مكروهاً بل يدرك بدقيق النظر والثاني التفكر في انه اذا كان مكروهاً
فما طريق الاحتراز عنه والثالث ان هذا المكروه هل هو متصف
به في الحال فيتركه او هو متعرض له في الاستقبال فيحترز عنه او قارفه
فيما مضى من الاحوال فيحتاج الى تداركه وكذلك كل واحد من المحبوبات
تنقسم هذه الانقسامات فاذا جمعت هذه الاقسام زادت مجاري
الفكر في هذه الاقسام على مائة والعبد مدفوع الى التفكر اما في جميعها
او في اكثرها وشرح آحاد هذه الاقسام يطول ولكن انحصر هذا
القسم في اربعة انواع الطاعات والمعاصي والصفات المنجيات
والصفات المهلكات فلنذكر في كل نوع مثالاً ليقتبس منه المريد
سائرها وينفتح له باب الفكر ويتسع عليه طريقه **النوع الاول**
المعاصي ينبغي ان يفتش العبد صبيحة كل يوم جميع اعضائه السبعة
تفصيلاً ثم بدنه على الجملة هل هو في الحال ملابس لمعصية بها فيتركها
او لابسها بالامس فيتداركها بالترك والندم او هو متعرض لها في نهاره
فيستعد للاحتراز والتباعد عنها فينظر في اللسان ويقول انه متعرض

محب الله

اعضاء الجوارح

فكذلك كل المحبوبات

المعاصي

اعضاء

متعرض للغيبة والكذب وتزكية النفس والاستهزاء والمماراة
والممازحة والخوض فيما لا يعني إلى غير ذلك من المكاره فيقرر أولاً في
نفسه أنها مكروهة عند الله ويتفكر في شواهد القرآن والسنة
على شدة العذاب فيها ثم يتفكر في أحواله أنه كيف يتعرض لها من
حيث لا يشعر ثم يتفكر أنه كيف يحترز منها ويعلم أنه لا يتم له ذلك
إلا بالعزلة والانفراد وأن لا يجالس إلا صالحاً تقياً ينكر مهما تكلم
بما يكرهه الله فيضع حجراً في فيه إذا جالس غيره حتى يكون ذلك مذكراً
له فهكذا يكون الفكر في حيلة الاحتراز ويتفكر في سمعه أن يفضي به
إلى الغيبة والكذب وفضول الكلام وإلى اللهو والبدعة وأن ذلك إنما
يسمعه من زيد ومن عمرو وأنه كيف ينبغي أن يحترز منهم بالاعتزال أو
بالنهي عن المنكر مهما سمع ذلك ويتفكر في بطنه أنه إنما يعصي الله فيه
بالأكل والشرب إما بكثرة الأكل من الحلال فإن ذلك مكروه عند الله
ومقوي للشهوة التي هي سلاح الشيطان عدو الله وإما بأكل الحرام أو
الشبهة فينظر من أين مطعمه وملبسه ومسكنه وما مكسبه
ويتفكر في طرق الحلال ومداخله ثم يتفكر في وجوه الحيلة في الاكتساب
منه والاحتراز من الحرام ويقرر على نفسه أن العبادات كلها ضائعة
مع أكل الحرام وأن أكل الحلال هو أساس العبادات كلها وأن الله تعالى
لا يقبل صلاة عبد في ثمن ثوبه درهم حرام كما ورد به الخبر فهكذا
يتفكر في أعضائه ففي هذا القدر كفاية عن الاستقصاء فمهما حصل بالتفكر
حقيقة المعرفة بهذه الأحوال اشتغل بالمراقبة طول النهار حتى يحفظ
الأعضاء عنها وأما النوع الثاني الطاعات فينظر أولاً في الفرائض
المكتوبة عليه أنه كيف يؤديها وكيف يحرسها عن النقصان والتقصير
أو كيف يجبر نقصانها بكثرة النوافل ثم يرجع إلى عضو عضو فيتفكر
في الأفعال التي تتعلق بها مما يحبه الله فيقول مثلاً إن العين
خلقت للنظر في ملكوت السموات والأرض عبرة ولتستعمل في طاعة
الله وتنظر في كتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم وأنا
قادر على أن أشغل العين بمطالعة القرآن والسنة فلم لا أفعله

مصاحبة الصلحاء

اكل الكثير والحرام والشبهات والملبس

وجود الحيلة في الاكتساب

لا يقبل الله صلوة عبد في ثوب درهم حرام

والطاعات والفرائض

وانا قادر على ان انظر الى فلان المطيع بعين التعظيم فادخل السرور
على قلبه وانظر الى فلان الفاسق بعين الازدراء فازجره بذلك عن معصية
الله تعالى فلم لا افعله وكذلك يقول في سمعه انه قادر على استماع
كلام ملهوف واستماع حكمة واستماع قراءة وذكر فما لي اعطله وقد انعم
الله به علي واودعنيه لاشكره فكيف اكفر نعمة الله فيه بتضييعه وتعطيله
وكذلك يتفكر في اللسان ويقول اني قادر على ان اتقرب الى الله تعالى بالتعليم
والوعظ والتودد الى قلوب اهل الصلاح وبالسؤال عن احوال الفقراء
وادخال السرور على قلب زيد الصالح وعمر العالم بكلمة طيبة وكل كلمة
طيبة صدقة وكذلك يتفكر في ماله فيقول انا قادر على ان اتصدق بالمال
الفلاني فاني مستغن عنه ومهما احتجت اليه رزقني الله مثله وان كنت
الان محتاجا فانا الى ثواب الايثار احوج مني الى ذلك المال وهكذا يفتش
عن اعضائه وجملة بدنه وامواله بل عن دوابه وغلمانه واولاده
فان كل ذلك ادواته واسبابه ويقدر على ان يطيع الله تعالى بها ٥
فيستنبط بدقيق الفكر وجوه الطاعات الممكنة بها ويتفكر فيما يرغبه في
البدار الى تلك الطاعات ويطلب مظان الاستحقاق وفي اخلاص النية حتى
يزكو بها عمله وقس على هذا ساير الطاعات **واما النوع الثالث**
فهي الصفات المهلكة التي محلها القلب فيعرفها مما ذكرناه
في ربع المهلكات وهي استيلاء الشهوة والغضب والبخل والكبر والعجب
والرياء والحسد وسوء الظن والغفلة والغرور وغير ذلك ويتفقد
من قلبه هذه الصفات فان ظن ان قلبه منزه عنها فيتفكر في كيفية
امتحانه والاستشهاد بالعلامات عليه فان النفس ابدا تعد بالخير من نفسها
وتخلف فاذا ادعت التواضع والبراءة من الكبر فينبغي ان تجرب نفسه
بحمل حزمة حطب في السوق كما كان الاولون يجربون به انفسهم ٥
واذا ادعت الحلم تعرض لغضب يناله من غيره ثم يجربها في كظم الغيظ
وكذلك في ساير الصفات وهذا تفكر في انه هل هو موصوف بالصفة
المكروهة ام لا وكذلك علامات ذكرناها في ربع المهلكات فاذا دلت
العلامة على وجودها فكر في الاسباب التي تقبح تلك الصفات عنده ٥

اعضاء الجوارح

كلمة طيبة صدقة

صدقة المحتاجين

التفكر في عمله وعلمائه

صفة المهلكات

بحمل كنز حطب وغيرها

التواضع

عنده ويتبين ان منشاها من الجهل والغفلة وخبث الغفلة كما اذا رأى في
نفسه عجبا بالعمل فيتفكر ويقول انما علمي ببدني وجارحتي وبقدرتي
وارادتي وكل ذلك ليس مني ولا الي وانما هو من خلق الله وفضله
علي فهو الذي خلقني وخلق جارحتي وخلق قدرتي وارادتي
وهو الذي حرك اعضائي بقدرته وقدرتي وارادتي فكيف اعجب
بعملي او بنفسي ولا قوام لنفسي بنفسي واذا احس في نفسه بالكبر قرر
على نفسه ما فيه من الحماقة ويقول لها لم تري في نفسك اكبر
والكبير من هو كبير عند الله وذلك ينكشف بعد الموت وكم من كافر في الحال
يموت متقربا الى الله بنزوعه عن الكفر وكم من مسلم يموت شقيا
بتغير حاله عند الموت بسوء الخاتمة فاذا عرف ان الكبر مهلك وان اصله
الحماقة فيتفكر في علاج ازالة ذلك بان يتعاطى افعال المتواضعين
واذا وجد في نفسه شهوة الطعام وشرهه تفكر في ان هذه صفة
البهائم ولو كان في شهوة الطعام والوقاع كمال لكان ذلك من صفات الله
وصفات الملائكة كالعلم والقدرة ولما اتصف به البهائم ومهما كان الشره
عليه اغلب كان بالبهائم اشبه وعن الملائكة المقربين ابعد وكذلك
يتفكر على نفسه في الغضب ثم يتفكر في طريق العلاج وكل ذلك ذكرناه
في هذه الكتب **وأما النوع الرابع وهو المحاب**

الكبر

فهو التوبة والندم على الذنوب والصبر على البلاء والشكر على النعماء والخوف
والرجاء والزهد في الدنيا والاخلاص والصدق في الطاعات ومحبة الله
وتعظيمه والرضا بافعاله والشوق اليه والخشوع والتواضع له وكل ذلك
ذكرناه في هذا الربع وذكرنا اسبابه وعلاماته فليتفكر العبد كل يوم
في قلبه ما الذي يعوزه من هذه الصفات التي هي المقربة الى الله تعالى
فاذا افتقر الى شيء منها فليعلم انها احوال لا يثمرها الا العلوم
وان العلوم لا يثمرها الا افكار فاذا اراد ان يكتسب لنفسه حال
التوبة والندم فليفتش ذنوبه اولا وليتفكر فيها وليجمعها على نفسه
وليعظمها في قلبه ثم لينظر في الوعيد والتشديد الذي ورد في الشرع
فيها وليتحقق عند نفسه انه متعرض لمقت الله تعالى به حتى تنبعث له

اخلاق محمودة

حال الندم واذا اراد ان يستثير من قلبه حال الشكر فلينظر الى احسان
الله اليه واياديه عليه وفي ارساله جميع ستره عليه على ما شرحنا بعضه
في كتاب الشكر ليطالع ذلك واذا اراد حال المحبة والشوق فليتفكر في جلال
الله وجلاله وعظمته وكبريايه وذلك بالنظر في عجايب حكمته وبدايع صنعته
كما سنشير الى طرف منه في القسم الثاني من الفكر واذا اراد حال الخوف
فلينظر اولا في ذنوبه الظاهرة والباطنة ثم لينظر في الموت وسكراته ثم فيما
بعده من سوال منكر ونكير وعذاب القبر وحياته وعقاربه وديدانه ثم في
هول النداء عند نفخة الصور ثم في هول المحشر عند جمع الخلايق على صعيد
واحد ثم في المناقشة في الحساب والمضايقة في القبر وذلك النقير والقطمير
ثم في الصراط ودقته وحدته ثم في خطر الامر عنده انه يصرف الى الشمال
فيكون من اصحاب النار او يصرف الى اليمين فينزل دار القرار ثم ليحضر بعده
اهوال القيمة في قلبه صورة جهنم ودركاتها ومقامعها واهوالها
وسلاسلها واغلالها وزقومها وصديدها وانواع العذاب فيها وقبح صورة
الزبانية الموكلين بها وانه كلما نضجت جلودهم بدلوا جلودا غيرها
وانهم كلما ارادوا ان يخرجوا منها اعيدوا فيها وانهم اذا راوها من مكان
بعيد سمعوا لها تغيظا وزفيرا وهلم جرا الى جميع ما ورد في القران من
شرحها واذا اراد ان يستجلب حال الرجا فلينظر الى الجنة ونعيمها واشجارها
وانهارها وحورها وولدانها ونعيمها المقيم وملكها الدايم فهكذا
طريق الفكر الذي يطلب به العلوم التي تثمر اجتلاب احوال محبوبة او التنزه
عن صفات مذمومة وقد ذكرنا في كل واحد من هذه الاحوال كتابا
مفردا يستعان به على تفصيل الفكر اما بذكر مجامعه فلا يوجد فيه انفع
من قراة القران بالتفكر فانه جامع لجميع المقامات والاحوال وفيه شفا
للعالمين ففيه ما يورث الخوف والرجا والصبر والشكر والمحبة
والشوق وساير الاحوال وفيه ما يزجر عن ساير الصفات المذمومة فينبغي
ان يقراه العبد ويردد الاية التي هو محتاج الى التفكر فيها مرة بعد
اخرى ولو مائة فقراة اية بتفكر وفهم خير من ختمة بغير تدبر وفهم
وليتوقف في التامل فيها ولو ليلة واحدة فان تحت كلمة منها اسرارا

فكر عقبة الاخرة

التفكر في القران

٢٨٥
296

اسراراً لا تنحصر ولا يوقف عليها الا بدليل الفكر بصفاء القلب
بعد صدق المعاملة وكذلك مطالعة اخبار رسول الله صلى الله
عليه وسلم فانه قد اوتي جوامع الكلم وكل كلمة من كلامه بحر من بحور
الحكمة ولو تاملها العالم حق التامل لم ينقطع فيها نظره طول عمره
وشرح آحاد الآيات والاخبار يطول فانظر الى قوله صلى الله عليه
وسلم ان روح القدس نفث في روعي احبب من احببت فانك مفارقه
وعش ما شئت فانك ميت واعمل ما شئت فانك مجزي به فان هذه
الكلمات حكم الاولين والاخرين وهي كافية للمؤملين والمتاملين
بها طول العمر اذ لو وقفوا على معانيها وغلبت على قلوبهم غلبة يقين
لاستغرقتهم ولحال ذلك بينهم وبين التلفت الى الدنيا بالكلية ٥
فهذا هو طريق الفكر في علوم المعاملة وصفات العبد من حيث هي
محبوبة عند الله او مكروهة والمبتدي ينبغي ان يكون مستغرق
الوقت في هذه الافكار حتى يعمر قلبه بالاخلاق المحمودة والمقامات
الشريفة وينزه باطنه وظاهره عن المكاره وليعلم ان هذا مع انه
افضل من سائر العبادات فليس هو غاية المطلب بل المشغول به محجوب عن
مطلب الصديقين وهو التنعم في جلال الله تعالى وجماله بالفكر واستغراق
القلب بحيث يفنى عن نفسه اي ينسى نفسه واحواله ومقاماته ٥
وصفاته فيكون مستغرق الهم بالمحبوب كالعاشق المستهتر عند لقاء
الحبيب فانه لا يتفرغ للنظر في احوال نفسه واوصافها بل يبقى كالمبهوت
الغافل عن نفسه وهو منتهى لذة العشاق فاما ما ذكرناه فهو نظر في
عمارة الباطن ليصلح للقرب والوصال فاذا ضيع جميع عمره في اصلاح
نفسه فمتى يتنعم بالقرب ولذلك كان الخواص يدور في البوادي
فلقيه الحسين بن منصور وقال فيم انت قال ادور في البوادي اصحح حالي
في التوكل فقال افنيت عمرك في عمران باطنك فاين الفنا في التوحيد
فالفنا في الواحد الحق هو غاية مقصد الطالبين ومنتهى نعيم الصديقين ٥
واما التنزه عن الصفات المهلكات فيجري مجرى الخروج عن
العدة في النكاح واما الاتصاف بالصفات المنجيات وسائر الطاعات فيجري

مجري لعروس تجلي العدة بقية المرأة جهازها وتنظيفها وجهها ومشطها
شعرها لتصلح بذلك للقاء وجها فان استغرقت جميع عمرها في تزيين
وجهها وتزيين وجهها كان ذلك حجابا لها عن لقا المحبوب فهكذا ينبغي ان
تفهم طريق الدين ان كنت من اهل المجالسة وان كنت كالعبد السو لا يتحرك
الا خوفا من الضرب وطمعا في الاجرة فدونك واتعاب البدن بالاعمال الظاهرة
فان بينك وبين القلب حجابا كثيفا فاذا قضيت حق الاعمال كنت من اهل
الجنة ولكن للمجالسة اقوام اخرون واذا عرفت مجال الفكر في علوم المعاملة
بين العبد وبين ربه فينبغي ان تتخذ ذلك عادتك ودابك صباحا ومسا
فلا تغفل عن نفسك وعن صفاتك المبعدة عن الله تعالى واحوالك المقربة
اليه سبحانه وتعالى بل كل مريد فينبغي ان يكون له جريدة يثبت فيها
جملة الصفات المنجيات والمهلكات وجملة المعاصي والطاعات ويعرض نفسه
عليها كل يوم **ويكفيه من المهلكات** النظر في عشرة ٥ فانه ان
سلم منها سلم من غيرها **وهي** البخل • والكبر • والعجب • والريا •
والحسد • وشدة الغضب • وشره الطعام • وشره الوقاع •
وحب المال • وحب الجاه • **ومن المنجيات عشرة ٥**
الندم على الذنوب • والصبر على البلا • والرضا بالقضا • والشكر على
النعما • واعتدال الخوف والرجا • والزهد في الدنيا • والاخلاص
في الاعمال • وحسن الخلق مع الخلق • وحب الله تعالى • والخشوع له
فهذه عشرون خصلة عشر مذمومة • وعشر محمودة فمهما كفي من المذمومات
واحدة فيخط عليها في جريدته ويدع الفكر فيها ويشكر الله تعالى على كفايته
اياها وتنزيه قلبه عنها ويعلم ان ذلك لم يتم الا بتوفيق الله تعالى وعونه
ولو وكله الى نفسه لم يقدر على محو اقل الرذايل عن نفسه فيقبل على
العشرة الباقية وهكذا يفعل حتى يخط على الجميع وكذلك يطالب نفسه
بالاتصاف بالمنجيات فاذا اتصف بواحدة منها كالتوبة والندم خط عليها
واشتغل بالباقي وهذا يحتاج اليه المريد المتشمر واما اكثر الناس من
المعدودين من الصالحين فينبغي ان يثبتوا في جرايدهم المعاصي الظاهرة
كاكل الشبهة واطلاق اللسان بالغيبة والنميمة والمرا والثنا

مثال طريق الدين

اخلاق المذمومة وممدوحة

صلحاء اخر الزمان

والثناء على النفس والإفراط في معاداة الأعداء وموالاة الأولياء
والمداهنة مع الخلق في ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ف
فإن أكثر من تعبد نفسه من وجوه الصالحين ولا ينفك عن جملة من هذه
المعاصي في جوارحه ما لم تطهر الجوارح عن الآثام لا يمكن الاشتغال
بعمارة القلب وتطهيره بل كل فريق من الناس يغلب عليهم نوع من المعصية
فينبغي أن يكون تفقدهم لها وتفكرهم فيها لا في معاصٍ هم في معزل عنها
مثاله العالم الورع فإنه لا يخلو في غالب الأمر من إظهار نفسه
بالعلم وطلب الشهرة وانتشار الصيت إما بالتدريس أو بالوعظ ومن
فعل ذلك تصدى لفتنة عظيمة لا يتخلص منها إلا الصديقون فإنه إن
كان كلامه مقبولاً حسن الوقع في القلوب لم ينفك عن الإعجاب والخيلاء
والتزين والتصنع وذلك من المهلكات وإن رد كلامه لم يخل عن أنفة
وغيظ وحقد على من يرده هو أكثر من غيظه على من يرد كلام غيره
وقد يلبس الشيطان عليه ويقول إن غيظك من حيث إنه رد الحق وأنكره فإن
وجد تفرقة بين أن يرد عليه كلامه أو يرد على عالم آخر فهو مغرور
ضحكة الشيطان ثم مهما كان له ارتياح بالقبول وفرح بالثناء واستنكاف
من الرد والإعراض لم يخل عن تكلف وتصنع لتحسين اللفظ والإيراد
حرصاً على استجلاب الثناء والله لا يحب المتكلفين والشيطان قد
يلبس عليه ويقول إنما حرصك على تحسين الألفاظ والتكلف فيها لينتشر
الحق ويحسن موقعه في القلوب إعلاءً لدين الله فإن كان فرحه بحسن ألفاظه
وثناء الناس عليه أكثر من فرحه بثناء الناس على واحد من أقرانه فهو مخدوع
وإنما يدندن حول طلب الجاه وهو يظن أنه يطلب الدين ومهما اختلج
ضميره بهذه الصفات ظهر على ظاهره ذلك حتى يكون بتوقيره للمعتقد
لفضله أكثر احتراماً ويكون بلقائه أشد فرحاً واستبشاراً
ممن يغلو في موالاة غيره فإن كان ذلك الغير مستحقاً للموالاة وربما
ينتهي الأمر بأهل العلم إلى أن يتغايروا تغاير النساء فيشق على أحدهم
أن يختلف بعض تلامذته إلى غيره وإن كان يعلم أنه منتفع بغيره ومستفيد
منه في دينه وكل هذا رشح الصفات المهلكات في سر القلب الذي

طلب الشهرة بالتدريس والوعظ

علماء آخر الزمان

وكذا علماء آخر الزمان

فتنة العالم

شياطين الانس

حب العلو والرياسة

عالم المتقي ووظيفته

قد يظن العالم النجاة منها وهو مغرور فيها وانما ينكشف ذلك ببعض
العلامات ففتنة العالم عظيمة وهو اما مالك واما هالك ولا مطمع
له في سلامة العوام فمن احس في نفسه ببعض الصفات فالواجب عليه
الانفراد والعزلة وطلب الخمول والمدافعة للفتاوى مهما سئل
فقد كان المسجد يحوي في زمن الصحابة رضي الله عنهم جمعا من اصحاب
رسول الله صلى الله عليه وسلم كلهم مفتون وكانوا يتدافعون
الفتوى وكل من كان يفتي يود ان يكفيه غيره وعند هذا ينبغي ان
يخشى شياطين الانس اذ قالوا لا تفعل هذا فان هذا الباب لو انفتح
لاندرست العلوم من بين الخلق وليقل لهم ان دين الاسلام مستغن
عني فانه قد كان معمورا قبلي فكذلك يكون بعدي ولو مت لم ينهدم
اركان الاسلام فالدين مستغن عني واما انا فلست مستغنيا عن اصلاح
قلبي واما اداء ذلك الى اندراس العلم فخيال يدل على غاية الجهل فان الناس
لو حبسوا في السجن وقيدوا في القيود وتوعدوا بالنار على طلب العلم لكان
حب العلو والرياسة يحملهم على كسر القيود وهدم حيطان الحصون
والخروج والاشتغال بطلب العلم فالعلم لا يندرس ما دام الشيطان
يحبب الى الخلق الرياسة والشيطان لا يفتر عن عمله الى يوم القيامة بل
ينتهض لنشر العلم اقوام لا نصيب لهم في الاخرة كما قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم ان الله يؤيد هذا الدين باقوام لا خلاق لهم وان الله
يؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر فلا ينبغي ان يغتر العالم ببعض
التلبيسات فيشتغل بمخالطتهم حتى يتربى في قلبه حب الدنيا والجاه
والثناء والتعظيم فان ذلك بذر النفاق قال صلى الله عليه وسلم
ما ذئبان ضاريان ارسلا في زريبة غنم باكثر فسادا فيها باكثر فسادا
فيه من حب الجاه والمال في دين المرء المسلم ولا ينقلع حب الجاه من القلب
الا بالاعتزال عن الناس والهرب من مخالطتهم وترك ما يزيد جاهه
في قلوبهم فليكن فكر العالم في التفطن لخفايا هذه الصفات من قلبه
وفي استنباط طريق الاخلاص منه وهذه وظيفة العالم المتقي
فاما امثالنا فينبغي ان يكون تفكرنا فيما يقوي ايماننا بيوم الحساب

ليس عملنا الناس يؤمن بالجنة والنار

احوال العالم مع الجاهل

التصوف

الحساب فما اعمالنا اعمال من يؤمن بالجنة والنار فان من خاف شيا هرب
منه ومن رجا شيا طلبه وقد علمنا ان الهرب من النار بترك الشبهات
والحرام وبترك المعاصي ونحن منهمكون فيها وان طلب الجنة بتكثير
نوافل الطاعات ونحن مقصرون في الفرايض منها فلم يحصل لنا من ثمرة
العلم الا انه يقتدي بنا في الحرص على الدنيا والتكالب عليها
ويقال لو كان هذا مذموما لكان العلما اولى باجتنابه منا
فليتنا كنا كالعوام اذا متنا ماتت معنا ذنوبنا فما اعظم الفتنة التي
تعرضنا لها لو تفكرنا فنسال الله تعالى ان يصلحنا ويصلح بنا ويوفقنا
للتوبة قبل ان يتوفانا انه الكريم اللطيف بنا المنعم علينا فهذه مجاري
افكار العلما والصالحين في علم المعاملة فان فرغوا منها انقطع التفاتهم
عن انفسهم وارتقوا منها الى التفكر في جلال الله وعظمته والتنعم
بمشاهدته بعين القلب ولا يتم ذلك الا بالانفكاك عن جميع المهلكات
والاتصاف بجميع المنجيات وان ظهر شي منه قبل ذلك كان مدخولا
معلولا مكدرا مقطوعا وكان ضعيفا كالبرق الخاطف لا يثبت ولا يدوم
ويكون كالعاشق الذي خلا بمعشوقه ولكن تحت ثيابه عقارب تلدغه
مرة بعد اخرى فتنغص عليه لذة المشاهدة ولا طريق في كمال
التنعم الا باخراج العقارب من ثيابه وهذه الصفات المذمومة
عقارب وحيات وهي موذيات ومشوشات وفي القبر يزيد الم لدغها
على لدغ العقارب والحيات وهذا القدر كاف في التنبيه على مجاري
فكر العبد في صفات نفسه المحبوبة والمكروهة عند الله تعالى .

القسم الثاني

الفكر في جلال الله وعظمته وكبريايه وفيه مقامات . المقام
الاعلى الفكر في ذاته وصفاته ومعاني اسمايه وهذا مما منع منه
حيث قيل تفكروا في خلق الله ولا تفكروا في ذات الله وذلك
لان العقول تتحير فيه فلا يطيق مد البصر اليه الا الصديقون ثم لا يطيق
دوام النظر بل ساير الخلق احوال ابصارهم بالاضافة الى جلال الله

كحال بصر الخفاش بالاضافة الى نور الشمس فانه لا يطيقه البتة
بل يختفي نهارا وانما يتردد ليلا لينظر في بقية نور الشمس اذا وقع
على الارض واحوال الصديقين كحال الانسان في النظر الى الشمس فانه
يقدر على النظر اليها ولا يطيق دوامه ويخشى على بصره لو دام النظر
ونظره المختطف اليها يورث العمش ويفرق البصر وكذلك النظر الى
ذات الله تعالى يورث الحيرة والدهش واضطراب العقل فالصواب
اذن ان لا يتعرض لمجاري الفكر في ذات الله سبحانه وصفاته فان اكثر
العقول لا تحتمله بل القدر اليسير الذي صرح به بعض العلماء وهو
ان الله تعالى مقدس عن المكان ومنزه عن الاقطار والجهات وانه ليس
داخل العالم ولا خارجه ولا هو متصل بالعالم بل هو منفصل عنه
قد حير عقول اقوام حتى انكروه اذ لم يطيقوا سماعه ومعرفته
بل ضعفت طايفة عن احتمال اقل من هذا اذ قيل لهم انه يتعالى عن ان يكون
له راس ورجل ويد وعين وعضو وان يكون جسما مشخصا له مقدار وحجم
فانكروا هذا وظنوا ان ذلك قدح في عظمة الله تعالى وجلاله حتى قال
بعض الحمقى من العوام ان هذا وصف بطيخ هندي لا وصف الاله لظنه
المسكين ان الجلالة والعظمة في هذه الاعضاء وهذا لان الانسان لا يعرف
الا نفسه فلا يستعظم الا نفسه فكل ما لا يساويه في صفاته فلا يفهم
العظمة فيه نعم غايته ان يقدر نفسه جميل الصورة جالسا على سريره
وبين يديه غلمان يمتثلون امره فلا جرم غايته ان يقدر ذلك في
الله تعالى وتقدس حتى يفهم العظمة بل لو كان للذباب عقل وقيل له ليس
لخالقك جناحان ولا يد ولا رجل ولا له طيران لانكر ذلك وقال كيف يكون
خالقي انقص مني افيكون مقصوص الجناح او يكون زمنا لا يقدر على
الطيران او يكون لي آلة وقدرة لا يكون له مثلها وهو خالقي ومصوري
وعقول اكثر الخلق قريب من هذا العقل وان الانسان لظلوم جهول كفار
ولذلك اوحى الله تعالى الى بعض انبيائه لا تخبر عبادي بصفاتي
فينكروني ولكن اخبرهم عني بما يفهمون ولما كان النظر في ذات الله
وصفاته خطرا من هذا الوجه اقتضى ادب الشرع وصلاح الخلق ان لا يتعرض

احوال الخفاش

مثال النظر الى ذات الله تعالى

صفات الله

مثال عقول اكثر الناس في حق الله

التكلم في حق الله

يتعرض لمجاري الفكر فيه لكنا نعدل الي المقام الثاني وهو النظر الي افعاله
وعجايب صنعه وبدايع امره في خلقه فانها تدل علي جلاله وكبريايه وتقدسه
وتعاليه وتدل علي كمال علمه وحكمته وعلي نفاذ مشيته وقدرته
فننظر الي صفاته من اثار صفاته فانا لا نطيق النظر الي صفاته كما انا لا نطيق
النظر الي الارض مهما استنارت بنور الشمس ونستدل بذلك علي عظم
نور الشمس بالاضافة الي نور القمر وساير الكواكب لان نور الارض
من اثار نور الشمس والنظر في الاثر يدل علي المؤثر دلالة ما وان
كان لا يقوم مقام النظر في نفس المؤثر وجميع موجودات الدنيا
اثر من اثار قدرة الله تعالى ونور من انواره بل لا ظلمة اشد من العدم
ولا نور اظهر من الوجود ووجود الاشيا كلها نور من انوار ذاته
تعالى وتقدس اذ قوام نور الاجسام بنور الشمس المضية بنفسها
ومهما انكسف بعض الشمس فقد جرت العادة بان يوضع طشت ما حتى
يرى الشمس فيه ويمكن النظر اليها فيكون الما واسطة تغض قليلا من نور
الشمس حتى يطاق النظر اليها فكذلك الافعال واسطة نشاهد فيها صفات
الفاعل ولا نبهر بانوار الذات بعد ان تباعدنا عنها بواسطة الافعال
فهذا سر قوله صلى الله عليه وسلم تفكروا في خلق الله ولا تتفكروا
في ذات الله

بيان كيفية التفكر

في خلق الله تعالى

اعلم ان كل ما في الوجود مما سوى الله فهو فعل الله وخلقه
وكل ذرة من الذرات من جوهر وعرض وصفة وموصوف ففيها عجايب
وغرايب تظهر فيها حكمة الله تعالى وقدرته وجلاله وعظمته واحصا
ذلك غير ممكن لانه لو كان البحر مدادا لذلك لنفد البحر قبل ان تنفد
عشر عشيره ولكنا نشير الي جمل منه ليكون ذلك كالمثال لما عداه
فنقول الموجودات منقسمة الي ما لا يعرف اصلها فلا يمكننا

افعال الله وعجايب صنعه

التفكر فيها وكم من الموجودات التي لا نعلمها كما قال تعالى سبحان الذي
خلق الازواج كلها مما تنبت الارض ومن انفسهم ومما لا يعلمون والى ما
يعرف اصلها وجملتها ولا يعرف تفصيلها فيمكننا ان نتفكر في تفصيلها
وهي منقسمة الى ما ادركناه بحس البصر والى ما لا ندركه بالبصر اما الذي
لا ندركه بالبصر فكالملائكة والجن والشياطين والعرش والكرسي وغير
ذلك ومجال التفكر في هذه الاشياء مما يضيق ويغمض فلنعدل الى الاقرب
الى الافهام وهي المدركات بحس البصر وهو السموات السبع والارض وما بينهما فالسموات
مشاهدة بكواكبها وشمسها وقمرها وحركتها ودورانها في طلوعها وغروبها
والارض مشاهدة بما فيها من جبالها ومعادنها وانهارها وبحارها
وحيواناتها ونباتها وما بين السماء والارض من الجو مدرك بغيومها
وامطارها وثلوجها ورعدها وبرقها وصواعقها وشهبها وعواصف
رياحها فهذه هي الاجناس المشاهدة من السموات والارض وما بينهما
وكل جنس منها ينقسم الى انواع وكل نوع ينقسم الى اقسام ويتشعب
كل قسم الى اصناف ولا نهاية لانشعاب ذلك وانقسامه في اختلاف صفاته
وهيئاته ومعانيه الظاهرة والباطنة وجميع ذلك مجال الفكر فلا تتحرك
ذرة في السموات والارض من جماد ولا نبات ولا حيوان ولا فلك ولا
كوكب الا والله تعالى هو محركها وفي حركتها حكمة او حكمتان او عشرة
او الف حكمة كل ذلك شاهد لله تعالى بالوحدانية ودال على جلاله وكبريائه
وهي الايات الدالة عليه وقد ورد القران بالحث على التفكر
في هذه الايات كما قال تعالى ان في اختلاف الليل والنهار لايات وكما قال
تعالى ومن اياته ومن اياته من اول القران الى اخره فلنذكر كيفية
التفكر في بعض الايات

فمن اياته

الانسان المخلوق من النطفة واقرب الاشياء اليك نفسك وفيك من العجائب
الدالة على عظمة الله ما تنقضي الاعمار في الوقوف على عشر عشيره
وانت غافل عنه فيا من هو غافل عن نفسه وجاهل به كيف تطمع في معرفة
غيرك وقد امرك الله تعالى بالتدبر في نفسك في كتابه العزيز فقال
وفي انفسكم افلا تبصرون وذكر انك مخلوق من نطفة قذرة فقال

والارض

الدال على عظمة الله في نفس الانسان

خلق الانسان من نطفة عجايب

فالقادر على هذا قادر ان يبعث الانسان فيسئل ويحاسب

فقال قتل الانسان ما اكفره من اي شيء خلقه من نطفة خلقه فقدره
ثم السبيل يسره ثم اماته فاقبره ثم اذا شاء انشره وقال تعالى
ومن اياته ان خلقكم من تراب ثم اذا انتم بشر تنتشرون وقال
تعالى الم يك نطفة من مني يمنى ثم كان علقة فخلق فسوى وقال تعالى
الم نخلقكم من ماء مهين فجعلناه في قرار مكين الى قدر معلوم وقال
اولم ير الانسان انا خلقناه من نطفة فاذا هو خصيم مبين وقال
انا خلقنا الانسان من نطفة امشاج ثم ذكر كيف جعل النطفة علقة
والعلقة مضغة والمضغة عظاما فقال ولقد خلقنا الانسان من
سلالة من طين ثم جعلناه نطفة في قرار مكين ثم خلقنا النطفة علقة
الاية فتكرير ذكر النطفة في الكتاب العزيز ليس ليسمع لفظه ويترك
التفكر في معناه فانظر الان الى النطفة وهي قطرة من الما قذرة لو
تركت ساعة ليضربها الهوا فسدت وانتنت كيف اخرجها رب الارباب
من الصلب والترايب وكيف جمع بين الذكر والانثى والقى الالفة
والمحبة في قلوبهم وكيف قادهم بسلسلة المحبة الى الاجتماع وكيف
استخرج النطفة من الرجل بحركة الوقاع وكيف استجلب دم الحيض
من اعماق العروق وجمعه في الرحم ثم كيف خلق المولود من النطفة
وسقاه بماء الحيض وغذاه حتى نما وربا وكبر وكيف جعل النطفة وهي بيضا
مشرقة علقة حمرا ثم كيف جعلها مضغة ثم كيف قسم اجزا النطفة
وهي متشابهة متساوية الى العظام والاعصاب والعروق والاوتار
واللحم ثم كيف ركب من اللحوم والاعصاب والعروق والاعضا
الظاهرة فدور الراس وشق السمع والبصر والانف والفم وساير
المنافذ ثم مد اليد والرجل وقسم رووسهما بالاصابع وقسم الاصابع
بالانامل ثم كيف ركب الاعضا الباطنة من القلب والكبد والمعدة والطحال
والرية والرحم والمثانة والامعا كل واحد بشكل مخصوص ومقدار
مخصوص لعمل مخصوص ثم كيف قسم كل عضو من هذه الاعضا باقسام اخر
فركب العين من سبع طبقات لكل طبقة وصف مخصوص وهية مخصوصة
لو فقدت طبقة منها او زالت صفة من صفاتها تعطلت العين عن الابصار

فلو ذهبنا نصف ما في آحاد هذه الاعضا من العجايب والايات لانقضى
فيه الاعمار فانظر الان الى العظام وهي اجسام قوية صلبة كيف خلقها
من نطفة سخيفة رقيقة ثم جعلها قواما للبدن وعمادا له ثم قدرها
بمقادير مختلفة واشكال متفاوتة فمنه صغير وكبير وطويل ومستدير
ومجوف ومصمت وعريض ودقيق ولما كان الانسان محتاجا الى الحركة
بجملة بدنه وببعض اعضايه مفتقرا للتردد في حاجاته لم يجعل عظمه عظما
واحدا بل عظاما كثيرة بينها مفاصل حتى يتيسر بها الحركة وقدر شكل
كل واحد منها على وفق الحركة المطلوبة به ثم وصل مفاصلها وربط بعضها
بالبعض باوتار انبتها من احد طرفي العظم والصقه بالطرف الاخر
كالرباط ثم خلق في احد طرفي العظم زوايد خارجة منه وفي الاخر حفرا
غايصة فيه موافقة لشكل الزوايد لتدخل فيها وتنطبق عليها فصار
العبد ان اراد تحريك جزء من بدنه لم يمتنع عليه ولولا المفاصل لتعذر
عليه ذلك ثم انظر كيف خلق عظام الراس كيف جمعها وركبها وقد ركبها
من خمسة وخمسين عظما مختلفة الاشكال والصور والف بعضها الى بعض
بحيث استوى به كرة الراس كما تراه فمنها ستة تخص القحف واربعة عشر
للحي الاعلى واثنان للحي الاسفل والبقية هي الاسنان بعضها عريضة تصلح
للطحن وبعضها حادة تصلح للقطع وهي الانياب والاضراس والثنايا ثم
جعل الرقبة مركبا للراس وركبها من سبع خرزات مجوفات مستديرات
فيها تجويفات وزيادات ونقصانات لينطبق بعضها على بعض ويطول ذكر
وجه الحكمة فيها ثم ركب الرقبة على الظهر وركب الظهر من اسفل الرقبة
الى منتهى عظم العجز من اربع وعشرين خرزة وركب العجز من ثلاثة اجزا
مختلفة فيتصل به من اسفله عظم العصعص وهو ايضا مؤلف من ثلاثة
اجزا ثم وصل عظام الظهر بعظام الصدر وعظام الكتف وعظام اليدين
وعظام العانة وعظام العجز ثم عظام الفخذين والساقين واصابع الرجلين
فلا نطول بذكر عدد ذلك ومجموع عدد العظام في بدن الانسان مايتا
عظم وثمانية واربعين عظما سوى العظام الصغيرة التي حشي بها خلل
المفاصل فانظر كيف خلق ذلك من نطفة سخيفة رقيقة وليس المقصود

عدد العظم في الانسان غرايب

عدد العضلة ٥١٢ الانح عجايب

كل لحم مجتمعة في عقبة فهو عضلة صحاح ريكي

المقصود من ذكر اعداد العظام أن تعرف عددها فإن هذا علم قريب
يعرفه الاطبا المشرحون وانما العرض ان ننظر منها في مدبرها وخالقها
انه كيف قدرها ودبرها وخالف بين اشكالها واقدارها وخصصها
بهذا العدد المخصوص لانه لو زاد عليها واحدا لكان وبالا على الانسان
يحتاج الى قلعه ولو نقص منها واحدا لكان نقصانا يحتاج الى جبره
فالطبيب ينظر فيها ليعرف وجه العلاج في جبرها واهل البصاير ينظرون
فيها ليستدلون بها على جلالة خالقها ومصورها فشتان بين النظرين
ثم انظر كيف خلق الله تعالى الات لتحريك العظام وهي العضلات
فخلق في بدن الانسان ماية عضلة والعضلة هي مركبة من لحم وعصب
وربط واعصبة وهي مختلفة المقادير والاشكال بحسب اختلاف مواضعها
وقدر حاجاتها فاربع وعشرون عضلة منها هي لتحريك حدقة العين
واجفانها لو نقصت واحدة منها اختل امر العين وهكذا لكل عضو
عضلات بعدد مخصوص وقدر مخصوص وامر الاعصاب والعروق
والاوردة والشرايين وعددها ومنابتها وانشعاباتها اعجب من هذا
كله وشرحه يطول فللتفكر مجال في احاد هذه الاجزا ثم في احاد
الاعضا ثم في جملة البدن وكل ذلك نظر الى عجايب اجسام البدن
وعجايب المعاني والصفات التي لا تدرك بالحواس اعظم فانظر الان
الى ظاهر الانسان وباطنه والى بدنه وصفاته فترى فيه من الصنعة
ما يقضي به العجب وكل ذلك صنع الله تعالى في قطرة ما فما صنعه
في ملكوت السموات والارض وكواكبها وما حكمته في اوضاعها
واشكالها ومقاديرها واعدادها واجتماع بعضها واختلاف صورها
وتفاوت مشارقها ومغاربها فلا تظنن ان ذرة من ملكوت السموات
والارض تنفك عن حكمة وحكم بل هي احكم خلقا واتقن صنعا واجمع
للعجايب من بدن الانسان بل لا نسبة لجميع ما في الارض الى عجايب
السموات ولذلك قال تعالى أأنتم أشد خلقا أم السماء بناها
فارجع الان الى النطفة وتامل حالها اولا وما صارت اليه ثانيا
وتامل لو اجتمع الجن والانس على ان يخلقوا للنطفة سمعا وبصرا

اوعقلا او قدرة او علما او روحا او يخلقوا فيها عظما او عرقا او عصبا او
جلدا او شعرا هل يقدرون على ذلك بل لو ارادوا ان يعرفوا كنه حقيقته
وكيفية خلقته بعد ان خلق الله تعالى ذلك لعجزوا عن ذلك فالعجب منك لو
نظرت الى صورة انسان مصور على حائط تانق النقاش في تصويرها حتى
قرب ذلك من صورة الانسان وقال الناظر اليها كانه انسان عظم تعجبك
من صنعة النقاش وحذقه وخفة يده وتمام فطنته وعظم في قلبك
محله مع انك تعلم ان تلك الصورة انما تمت بالصبغ والقلم وبالحائط وباليد
وبالقدرة وبالعلم والارادة وشيء من ذلك ليس من فعل النقاش ولا خلقه
بل هو من خلق غيره وانما منتهى فعله الجمع بين الصبغ والحائط في ترتيب
مخصوص فيكثر تعجبك منه وتستعظمه وانت ترى النطفة القذرة كانت
معدومة فخلقها في الاصلاب والترائب ثم اخرجها خالقها منها وشكلها
فاحسن تشكيلها وقدرها فاحسن تقديرها وقسم اجزاءها المتساوية
المتشابهة الى اجزاء مختلفة فاحكم العظام في ارجائها وحسن اشكال
اعضائها وزين ظاهرها وباطنها ورتب عروقها واعصابها وجعلها
مجرى لغذائها ليكون ذلك سبب بقائها وجعلها سميعة بصيرة عالمة
ناطقة وخلق لها الظهر اساسا لبدنها والبطن حاويا لالات غذائها
والراس جامعا لحواسها ففتح العينين ورتب طبقاتها واحسن شكلها
ولونها وهيئتها ثم حماهما بالاجفان لتسترهما وتحفظها وتصقلها
وتدفع الاقذاء عنها ثم اظهر في مقدار عدسة منها صورة السموات
مع اتساع اكنافها وتباعد اقطارها فهو ينظر اليها ثم شق اذنيه
واودعهما ماء مرا ليحفظ سمعها ويدفع الهوام عنها وحوطها بصدفة
الاذان لتجمع الصوت فترده الى صماخها ولتحس بدبيب الهوام اليها
وجعل فيها تحريفات واعوجاجات لتكثر حركة ما يدب فيها ويطول
طريقه فيتنبه من النوم صاحبها اذا قصدها دابة في حال النوم
ثم رفع الانف من وسط الوجه واحسن شكله وفتح منخريه واودع حاسة
الشم فيه ليستدل باستنشاق الروائح على مطاعمه واغذيته وليستنشق
بمنفذ المنخرين روح الهواء غذاء لقلبه وترويحا لحرارة باطنه وفتح

صورة السماء في الانسان وغيرها من غرائب

اعضاء الانسان وغيرها

وفتح الفم واودعه اللسان ناطقا وترجمانا ومعربا عما في القلب
وزين الفم بالاسنان ولتكون آلة للطحن والكسر والقطع فاحكم
اصولها وحدد رؤوسها وبيض لونها ورتب صفوفها متساوية الرؤوس
متناسقة الترتيب كانها الدر المنظوم وخلق الشفتين وحسن لونها
وشكلها لتنطبق على الفم فتسد منفذه وليتم بها حروف الكلام
ثم خلق الحنجرة وهيأها لخروج الصوت وخلق للسان قدرة الحركات
والتقطيعات ليقطع الصوت في مخارج مختلفة تختلف بها الحروف
ليتسع النطق بكثرتها ثم خلق الحناجر مختلفة الاشكال في الضيق
والسعة والخشونة والملاسة وصلابة الجوهر ورخاوته والطول
والقصر حتى اختلف بسببها الاصوات فلا تتشابه صوتان بل يظهر
بين كل صوتين فرقان حتى يميز السامع بعض الناس عن بعض بمجرد الصوت
في الظلمة ثم زين الرأس بالشعور والاصداغ وزين الوجه باللحية والحاجبين
وزين الحاجب برقة الشعر واستقواس الشكل وزين العينين بالاهداب
ثم خلق الاعضاء الباطنة وسخر كل واحد لفعل مخصوص فسخر المعدة
لنضج الغذا والكبد لاحالة الغذا الى الدم والطحال والمرارة والكلية
لخدمة الكبد فالطحال يخدمها بجذب السودا عنها والمرارة تخدمها بجذب
الصفرا عنها والكلية تخدمها بجذب المائية والمثانة تخدم الكلية
بقبول الماء عنها ثم تخرجه في طريق الاحليل والعروق تخدم الكبد في
ايصال الدم الى ساير اطراف البدن ثم خلق اليدين وطولهما
لتمتد الى المقاصد وعرض الكف وقسم الاصابع الخمس وقسم كل
اصبع بثلاث انامل ووضع الاربعة في جانب والابهام في جانب لتدور
الابهام على الجميع ولو اجتمع الاولون والآخرون على ان يستنبطوا
بدقيق الفكر وجها آخر في وضع الاصابع سوى ما وضعت عليه من بعد
الابهام عن الاصابع وتفاوت الاربع في الطول وترتيب في صف واحد لم
يقدروا عليه اذ بهذا الترتيب صلحت اليد للقبض والاعطا فان بسطها
كانت له طبقا يضع عليها ما يريد وان جمعها كانت له آلة للضرب
وان ضمها ضما غير تام كانت مغرفة له وان بسطها وضم الاصابع كانت

مطلب عجايب

اعضاء باطنه

له تحرفه ثم خلق الاظفار على رؤسها زينة للانامل وعمادا لها
من ورائها حتى لا تنقطع ولتلتقط الاشيا الدقيقة التي لا يتناولها
الانامل وليحك بها بدنه عند الحاجة فالظفر هو اخس الاعضا لو عدمه
الانسان وظهر به حكة لكان اعجز الخلق واضعفهم ولم يقم احد مقامه
في حك بدنه ثم هدى اليد الى موضع الحك حتى تمتد اليه ولو في النوم
والغفلة من غير حاجة الى طلب ولو استعان بغيره لم يعثر على موضع الحك
الا بعد تعب طويل ثم خلق هذا كله من النطفة وهي في داخل الرحم في ظلمات
ثلاث ولو كشف الغطا والغشا وامتد البصر اليه لكان يرى التخطيط
والتصوير يظهر عليه شيئا فشيئا ولا يرى المصور ولا آلته فهل رايت
مصورا وفاعلا لا يمس آلته ومصنوعه ولا يلاقيه وهو يتصرف فسبحانه
ما اعظم شانه واظهر برهانه ثم انظر مع تمام قدرته
الى تمام رحمته فانه لما ضاق الرحم عن الصبي لما كبر كيف هداه السبيل
حتى تنكس وتحرك وخرج من ذلك المضيق وطلب المنفذ كانه عاقل بصير
بما يحتاج اليه ثم لما خرج واحتاج الى الغذا كيف هداه الى التقام الثدي
ثم لما كان بدنه سخيفا لا يحتمل الاغذية الكثيفة كيف دبر له في خلق اللبن
اللطيف واستخرجه من بين الفرث والدم سائغا خالصا وكيف خلق الثديين
وجمع فيهما اللبن وانبت منهما حلمتين على قدر ما ينطبق عليه فم الصبي
ثم فتح في حلمة الثدي ثقبا ضيقا جدا حتى لا يخرج اللبن منه الا بعد
المص تدريجا فان الطفل لا يطيق منه الا القليل ثم كيف هداه للامتصاص
حتى لا يخرج اللبن الكثير من ذلك المضيق عند شدة الجوع ثم انظر الى
عطفه ورافته كيف اخر خلق الاسنان الى تمام الحولين لانه في الحولين
لا يتغذى الا باللبن فيستغني عن السن واذا كبر لم يوافقه اللبن السخيف
ويحتاج الى طعام غليظ ويحتاج الطعام الى المضغ والطحن فانبت الاسنان
عند الحاجة لا قبلها ولا بعدها فسبحانه كيف اخرج تلك العظام الصلبة
من تلك اللثات اللينة ثم حنن قلوب الوالدين عليه للقيام بتدبيره
في الوقت الذي كان عاجزا عن تدبير نفسه ثم انظر كيف رزقه القدرة
والتمييز والعقل والهداية تدريجا حتى بلغ وتكامل فصار مراهقا

احوال الصبي في البطن وبعده غرايب

مراهقا ثم شابا ثم كهلا ثم شيخا اما شكورا واما كفورا مطيعا او
عاصيا مؤمنا او كافرا تصديقا لقوله تعالى هل اتى على الانسا
حين من الدهر لم يكن شيئا مذكورا انا خلقنا الانسان من نطفة
امشاج نبتليه فجعلناه سميعا بصيرا انا هديناه السبيل اما شاكرا
واما كفورا فانظر الى اللطف والكرم ثم الى القدرة والحكمة
تبهرك عجائب الحضرة الربانية والعجب كل العجب ممن يرا خطا حسنا او نقشا
حسنا على حائط فيستحسنه فينصرف جميع همه الى التفكر في النقاش والخطاط
وانه كيف نقشه وخطه وكيف اقتدر عليه ولا يزال يستعظمه ويقول
ما احذقه وما اكمل صنعته واحسن قدرته ثم ينظر الى هذه العجائب
في نفسه وغيره ثم يغفل عن صانعه ومصوره فلا تدهشه عظمته ولا يحيره
جلاله وحكمته فهذه نبذة من عجائب بدنك التي لا يمكن استقصاؤها
فهو اقرب مجال لفكرك واجلى شاهد على عظمة خالقك وانت غافل عن ذلك
مشغول ببطنك وفرجك لا تعرف من نفسك الا ان تجوع فتاكل وتشبع
فتنام وتشتهي فتجامع وتغضب فتقاتل والبهائم كلها تشاركك في
معرفة ذلك وانما خاصية الانسان التي حجبت البهائم عنها معرفة الله تعالى
بالنظر في ملكوت السموات والارض وعجائب الافاق والانفس اذ بها يدخل
العبد في زمرة الملائكة المقربين ويحشر في زمرة النبيين والصديقين
مقربا من حضرة رب العالمين وليست هذه المنزلة للبهائم
ولا لانسان رضي من الدنيا بشهوة البهائم فانه شر من البهائم بكثير
اذ لا قدرة للبهائم على ذلك واما هو فقد خلق له القدرة ثم عطلها
وكفر نعمة الله فيها فاولئك كالانعام بل هم اضل سبيلا واذا
عرفت طريق الفكر في نفسك فتفكر في الارض التي هي مقرك ثم في انهارها
وبحارها وجبالها ومعادنها ثم ارتفع منها الى ملكوت السماء

تشارك الانسان للحيوانات

أما الأرض

فمن اياته ان خلق الارض فراشا وسلك فيها فجاجا وجعلها ذلولا
لتمشوا في مناكبها وجعلها قارة لا تتحرك وارسى فيها الجبال اوتادا

لها تمنعها ان تميد ثم وسع اكنافها حتى عجز الادميون عن بلوغ جميع
جوانبها وان طالت اعمارهم وكثر تطوافهم • فقال تعالى والسماء
بنيناها بايد وانا لموسعون والارض فرشناها فنعم الماهدون
وقال تعالى هو الذي جعل لكم الارض ذلولا فامشوا في مناكبها
وقال تعالى الذي جعل لكم الارض فراشا وقد اكثر في كتابه العزيز
من ذكر الارض لتتفكروا في عجائبها فظهرها مقر الاحيا وبطنها مقر الاموات
قال الله تعالى الم نجعل الارض كفاتا احياء وامواتا فانظر الى الارض
وهي ميتة فاذا انزل الله عليها الما اهتزت وربت واخضرت وانبتت
عجايب النبات وخرجت منها اصناف الحيوانات ثم انظر كيف احكم جوانب الارض
بالجبال الراسيات الشوامخ الصم الصلاب وكيف اودع المياه تحتها
فتفجرت العيون واسال الانهار تجري على وجهها واخرج من الحجارة
اليابسة ومن التراب الكدر ماء رقيقا عذبا صافيا زلالا وجعل به كل
شي حيا فاخرج به فنون الاشجار والنبات من حب وعنب وقضب وزيتون
ونخل ورمان وفواكه كثيرة لا تحصى مختلفة الاشكال والالوان والطعوم
والصفات والارايح بعضها على بعض في الاكل تسقى بماء واحد وتخرج من
ارض واحدة **فان قلت** • اذا اختلافها لاختلاف بذورها واصولها
فمتى كان في النواة نخلة مطوقة بعناقيد الرطب ومتى كان في حبة واحدة
سبع سنابل في كل سنبلة ماية حبة ثم انظر الى اراضي البوادي
وفتش ظاهرها وباطنها فتراها ترابا متشابها فاذا انزل عليها الما
اهتزت وربت وانبتت من كل زوج بهيج الوانا مختلفة ونباتا
متشابها وغير متشابه لكل واحد طعم وريح ولون وشكل يخالف الاخر
وانظر الى كثرتها واختلاف اصنافها وكثرة اشكالها ثم اختلاف طبايع
النبات وكثرة منافعه وكيف اودع الله العقاقير المنافع الغريبة
فهذا النبات يغذي • وهذا يقوي • وهذا يحيي • وهذا يقتل • وهذا
يبرد وهذا يسخن • وهذا اذا حصل في المعدة قمع الصفرا من اعماق العروق
وهذا يستحيل الى الصفرا • وهذا يقطع البلغم والسودا • وهذا يستحيل
اليهما • وهذا يصفي الدم • وهذا يستحيل دما • وهذا يفرح • وهذا ينوم

الارض وما يخرج منها

يفضل

النباتات وانواعها ومنافعها

وهذا يبوم وهذا يقوي وهذا يضعف فلم تنبت من الارض ورقة ولا ثمرة الا وفيها منافع لا يقوى البشر على الوقوف على جميعها وكل واحد من هذا النبات يحتاج الى العلاج في تربيته الى علم مخصوص فالنخيل تؤبر والكرم يكسح والزرع ينقى عنه الحشيش والدغل وبعض ذلك يستنبت ببث البذر في الارض وبعضه بغرس الاغصان وبعضه يركب في الشجر ولو اردنا ان نذكر اختلاف اجناس النبات وانواعه ومنافعه واحواله وعجايبه لانقضت الايام في وصف ذلك فيكفيك من كل جنس نبذة يسيرة تدلك على طريق الفكرة فهذه عجايب النبات

ومن اياته

الجواهر المودعة تحت الجبال والمعادن الحاصلة من الارض ففي الارض قطع متجاورات مختلفة فانظر الى الجبال كيف يخرج منها الجواهر النفيسة من الذهب والفضة والفيروزج واللعل وغيرها منطبعة تحت المطارق كالذهب والنحاس والرصاص والحديد وبعضها لا ينطبع كالفيروزج واللعل وكيف هدى الله الناس الى استخراجها وتنقيتها واتخاذ الاواني والالات والنقود والحلي منها ثم انظر الى معادن الارض من النفط والكبريت والقير وغيرها واقلها الملح ولا يحتاج اليه الا لتطييب الطعام ولو خلت عنه بلدة لتسارع الهلاك اليها فانظر الى رحمة الله تعالى كيف بعض الارض خلقها سبخة بجوهرها بحيث يجتمع فيها الماء الصافي من المطر فيستحيل ملحا مالحا محرقا لا يمكن تناول مثقال منه ليكون ذلك تطييبا لطعامك اذا اكلته فيتهنا عيشك وما من جماد ولا حيوان ولا نبات الا وفيه حكمة وحكم من هذا الجنس ما خلق شيء منها عبثا ولا لعبا ولا هزلا بل خلق الكل بالحق وكما ينبغي وعلى الوجه الذي ينبغي وكما يليق بجلاله وكرمه ولطفه ولذلك قال الله تعالى وما خلقنا السماء والارض وما بينهما لاعبين ما خلقناهما الا بالحق

ومن اياته

ما يخرج من الارض عجايب

كيمياء سعادة

اصناف الحيوانات

أصناف الحيوانات وانقسامها الى ما يطير والى ما يمشي وانقسام المشي
ما يمشي على رجلين والى ما يمشي على اربع وعلى عشرة وعلى مائة كما
تشاهد في بعض الحشرات ثم انقسامها في المنافع والصور والاشكال
والاخلاق والطباع فانظر الى طيور الجو والى وحوش البر والى البهايم
الاهلية ترى فيها من العجايب ما لا تشك معه في عظمة خالقها وقدرة
مقدرها وحكمة مصورها وكيف يمكن ان نستقصي ذلك بل لو اردنا
ان نذكر عجايب البقة او النملة او النحلة او العنكبوت وهي من
صغار الحيوانات في بنايها بيتها وفي جمعها غذاءها وفي الفها لزوجها
وفي ادخارها لنفسها وفي حذقها في هندسة بيتها وفي هدايتها
لحاجاتها لم نقدر على ذلك فترى العنكبوت يبني بيته على طرف نهر
فيطلب اولا موضعين متقاربين بينهما فرجة بمقدار ذراع فما دونه
حتى يمكنه ان يصل بالخيط بين طرفيه ثم يبتدي فيلقي اللعاب الذي
هو خيطه على جانب ليلتصق به ثم يعدو الى الجانب الاخر فيحكم الطرف
الاخر من الخيط ثم كذلك يتردد ثانيا وثالثا ويجعل بعد ما بينهما متناسبا
تناسبا هندسيا حتى اذا احكم معاقد القمط ورتب الخيط كالسدى
اشتغل باللحمة فيضع اللحمة على السدى ويضيف بعضه الى بعض ويحكم
العقد على موضع التقاء اللحمة بالسدى ويراعي في جميع ذلك تناسب
الهندسة ويجعل ذلك شبكة يقع فيها البق والذباب ويقعد في زاوية
مترصدا لوقوع الصيد في الشبكة فاذا وقع الصيد بادر الى اخذه
واكله وان عجز عن الصيد كذلك طلب لنفسه زاوية من حائط
ووصل طرفي الزاوية بخيط ثم علق نفسه منه بخيط اخر وبقي منكسا
في الهوا ينتظر ذبابة تطير فاذا طارت ذبابة رمى بنفسه اليه فاخذه
ولف خيطه على رجليه واحكمه ثم اكله وما من حيوان صغير ولا
كبير الا وفيه من هذه العجايب ما لا يحصى افترى انه تعلم هذه الصنعة
من نفسه او تكون بنفسه او كونه آدمي او لا هادي له ولا معلم افيشك
ذو بصيرة في انه مسكين ضعيف عاجز بل الفيل العظيم شخصه الظاهرة
قوته عاجز عن امر نفسه فكيف هذا الحيوان الضعيف افلا يشهد

العجايب في العنكبوت وافعالها في هندسته وصيدها عجايب غرايب

يشهد هو بنفسه لشكله وصورته وحركته وهدايته وعجائب صنعته
لفاطره الحكيم وخالقه القادر العليم فالبصير يرى في هذا الحيوان
الصغير من عظمة الخالق المدبر وجلاله وجمال قدرته وحكمته ما تتحير فيه
الالباب والعقول فضلا عن سائر الحيوانات وهذا الباب ايضا لا حصر له
فان الحيوانات واشكالها واخلاقها وطباعها غير محصورة وانما سقط
تعجب القلوب لانسها بكثرة المشاهدة نعم اذا رأى حيوانا غريبا ولو
دودا تجدد تعجبه وقال سبحان الله ما اعجبه والانسان اعجب الحيوانات
وليس يتعجب من نفسه بل لو نظر الى الانعام التي الفها ونظر الى اشكالها
وصورها ثم الى منافعها وفوائدها من جلودها واصوافها واوبارها
واشعارها التي جعلها الله لباسا لخلقه واكنانا لهم في ظعنهم واقامتهم
وآنية لاشربتهم واوعية لاغذيتهم وصونا لاقدامهم وجعل البانها
ولحومها اغذية لهم ثم جعل بعضها زينة للركوب وبعضها حاملة
للاثقال قاطعة للبوادي والمفازات لاكثر الناظر التعجب من حكمة
خالقها ومصورها فانه ما خلقها الا بعلم محيط بجميع منافعها
سابق على خلقه اياها فسبحان من الامور مكشوفة في علمه من غير تفكر
ومن غير تأمل وتدبر ومن غير استعانة بوزير او مشير فهو الخبير
الحكيم القدير فلقد استخرج باقل القليل مما خلقه صدق الشهادة
من قلوب العارفين بتوحيده فما للخلق الا الاذعان لقهره وقدرته
والاعتراف بربوبيته والاقرار بالعجز عن معرفة جلاله وعظمته فمن الذي
يحصي ثناء عليه بل هو كما اثنى على نفسه وانما غاية معرفتنا الاعتراف
بالعجز عن معرفته فنسأل الله تعالى ان يكرمنا بهدايته ويمنه ورأفته

ومن آياته

البحار العميقة المكتنفة لاقطار الارض التي هي قطع من البحر الاعظم
المحيط بجميع الارض حتى ان جميع المكشوف من البوادي والجبال عن الماء
بالاضافة الى الماء جزيرة صغيرة في بحر عظيم وبقية الارض
مستورة بالماء قال النبي صلى الله عليه وسلم الارض في البحر كالاصطبل

مقدار الانهار عند الارض

في الارض وانسب اصطبلا الي جميع الارض واعلم ان الارض بالاضافة الي
البحر مثله وقد شاهدت عجايب الارض وما فيها فتأمل الان عجايب البحر
فان عجايب ما فيه من الحيوان والجواهر اضعاف عجايب ما تشاهده علي
وجه الارض كما ان سعته اضعاف سعة الارض ولعظم البحر كان فيه
من الحيوانات العظام ما ترى ظهورها في البحر فتظن انها جزيرة ٥
فينزل الركاب عليها فربما تحس بالنيران اذا اشتعلت فتتحرك فيعلم
انها حيوان وما من صنف من حيوان البر من فرس او طير او بقر او
انسان الا وفي البحر امثاله واضعافه وفيه اجناس لا يعهد لها نظير
في البر وقد ذكرت اوصافها في مجلدات وجمعها اقوام عنوا بركوب البحر
وجمع عجايبه ثم انظر كيف خلق اللولو ودوره في صدفه تحت الما
وانظر كيف انبت المرجان من صم الصخور تحت الما وانما هو نبات علي
هيئة شجر ينبت من الحجر ثم تامل ما عداه من العنبر واصناف النفايس
التي يقذفها البحر ويستخرج منه ثم انظر الي عجايب السفن كيف امسكها
الله علي وجه الما وسير فيها التجار وطلاب الاموال وسخر لهم الفلك
لتحمل اثقالهم ثم ارسل الرياح لتسوق السفن ثم عرف الملاحين موارد
الرياح ومهابها ومواقيتها ولا يستقصي علي الجملة عجايب صنع الله في
البحر في مجلدات واعجب من ذلك كله ما هو اظهر من كل ظاهر وهو كيفية
قطرة الما وهو جسم رقيق لطيف سيال مشف متصل الاجزا كانه شي
واحد لطيف التركيب سريع القبول للتقطيع كانه منفصل مسخر للتصرف قابل
الانفصال والاتصال به حياة كل ما علي وجه الارض من حيوان او نبات
فلو احتاج الي شربة ما ومنع منها لبذل جميع خزاين الدنيا في تحصيلها
لو ملك ذلك ثم اذا شربها لو منع اخراجها لبذل جميع خزاين الارض
وملك الدنيا في اخراجها فالعجب من الادمي كيف يستعظم الدينار
والدرهم ونفايس الجواهر ويغفل عن نعمة الله تعالي في شربة ما اذا
احتاج الي شربها او الاستفراغ عنها بذل جميع الدنيا فيها فتامل في عجايب
المياه والانهار والابار والبحار ففيها متسع للفكر ومجال وكل ذلك
شواهد متظاهرة وايات متناظرة ناطقة بلسان حالها مفصحة

عجايب البحار وجواهر

ما كان من الحيوانات في البر مثله في البحر بلا نقصان

اللولو والمرجان

العنبر

والسفينة

قطرة الماء

المياه والابار والبحار

مفصحة عن جلال باريها معربة عن كمال حكمته فيها منادية ارباب القلوب
بنغماتها الفانية لكل ذي لب اما تنظر الى تركيب صورتي وتركيبي ووصفي
ومنافعي واختلاف حالاتي وكثرة فوايدي أتظن اني تكونت بنفسي
او خلقني احد من جنسي او ما تستحي ان تنظر في كلمة مرقومة من ثلاثة
احرف فتقطع انه صنعة ادمي عالم قادر مريد متكلم ثم تنظر الى عجايب
الخطوط الالهية المرقومة على صفحات وجهي بالقلم الالهي الذي لا
يدرك الابصار ذاته ولا حركته ولا اتصاله بمحل الخط ثم ينفك قلبك
عن جلالة صانعه وتقول النطفة لارباب السمع والقلب لا للذين هم عن
السمع معزولون توهمني في ظلمة الاحشاء مغموسة في دم الحيض في الوقت
الذي يظهر التخطيط والتصوير على وجهي فينقش النقاش حدقتي
واجفاني وجبهتي وخدي وشفتي فترى النقوش تظهر شيا شيا على
التدريج ولا ترى داخل النطفة نقاشا ولا خارجها ولا داخل الرحم ولا
خارجه ولا خبر فيه للام والاب ولا للنطفة ولا للرحم افما هذا
النقاش باعجب ممن يشاهده ينقش بالقلم صورة عجيبة لو نظرت اليها
مرة او مرتين لتعلمته فهل تقدر على ان تتعلم هذا الجنس من
النقش والتصوير الذي يعم ظاهر النطفة وباطنها وجميع اجزايها
من غير ملامسة للنطفة ومن غير اتصال بها من داخل ولا من خارج فان
كنت لا تتعجب من هذه العجايب ولا تفهم به ان الذي صوره ونقش وقدر
لا نظير له ولا يساويه نقاش ومصور كما ان نقشه وصنعته لا يساويه
نقش وصنع فبين الفاعلين من المباينة والتباعد ما بين الفعلين فان
كنت لا تتعجب من هذا فتعجب من عدم تعجبك فانه اعجب من كل عجب فان الذي
اعمى بصيرتك مع هذا الوضوح ومنعك من التبين مع هذا البيان
جدير بان تتعجب منه فسبحان من هدى واضل واغوى وارشد واشقى
واسعد وفتح بصاير احبابه فشاهدوه في جميع ذرات العالم واجزايه
واعمى قلوب اعدايه واحتجب عنهم بعزه وعلايه فله الخلق
والامر والامتنان والفضل واللطف والقهر لا راد لحكمه ولا
معقب لقضايه

عجايب قول النطفة لارباب السمع

ومن آياته

الهواء اللطيف المحبوس بين مقعر السماء ومحدب الارض لا يدرك بحس اللمس
عند هبوب الرياح جسمه ولا يرى بالعين شخصه وجملته مثل البحر الواحد
والطيور محلقة في جو الهواء ومسفة سباحة فيه باجنحتها كما تسبح حيوانات
البحر في الماء وتضطرب جوانبه وامواجه عند هبوب الرياح كما تضطرب امواج
البحر فاذا حرك الله الهواء وجعله ريحا هابة فان شاء جعله نشرا بين يدي
رحمته كما قال سبحانه وارسلنا الرياح لواقح فيصل بحركته روح الهواء
الى الحيوانات والنبات فتستعد للنماء وان شاء جعله عذابا على العصاة
من خليقته كما قال تعالى انا ارسلنا عليهم ريحا صرصرا في يوم نحس
مستمر تنزع الناس كانهم اعجاز نخل منقعر • ثم انظر الى لطف الهواء
ثم شدته وقوته مع ما ضبط في الماء فالزق المنفوخ يتحامل عليه الرجل القوي
ليغمزه في الماء فيعجز عنه والحديد الصلب تضعه على الماء فيرسب فيه
فانظر كيف ينقبض الهواء من الماء بقوته مع لطافته وبهذه الحكمة امسك
الله تعالى السفن على وجه الماء وكذلك كل مجوف فيه هواء لا يغوص في الماء
لان الهواء ينقبض عن الغوص في الماء فلا ينفصل عن السطح الداخل من السفينة
فتبقى السفينة الثقيلة مع قوتها وصلابتها معلقة من الهواء
اللطيف كالذي يقع في بير فيتعلق بذيل رجل قوي ممتنع عن الهوي والسفينة
بمن فيها يتشبث باذيال الهواء القوي حتى يمتنع من الهوي والغوص في الماء
فسبحان من علق المركب الثقيل من هواء لطيف من غير علاقة تشاهد وعقدة
تشد • ثم انظر الى عجائب الجو وما يظهر فيه من الغيوم والرعود
والبروق والامطار والثلوج والشهب والصواعق فهي عجائب ما
بين السماء والارض وقد اشار القرآن الى جملة ذلك في قوله تعالى
وما خلقنا السماء والارض وما بينهما لاعبين وهذا هو الذي
بينهما واشار الى تفصيله في مواضع شتى حيث قال والسحاب
المسخر بين السماء والارض وحيث تعرض للرعد والبرق والسحاب والمطر
فاذا لم يكن لك حظ من هذه الجملة الا ان ترى المطر بعينك وتسمع الرعد باذنك
فالبهيمة تشاركك في هذه المعرفة فارتفع من حضيض عالم البهائم الى عالم

الهواء في السماء وموضعه

نفع الهواء

نماء الحيوانات والنباتات

السفينة معلقة بالهواء ويجري عليه غرايب وعجايب الله

مشاركة الانسان الحيوان

عالم بهايم وعالم الملائكة الاعلى

عالم الملا الاعلى فقد فتحت عينيك فادركت ظاهرها فغمض عينيك الظاهرة
وانظر ببصيرتك الباطنة لترى عجايب باطنها وغرايب اسرارها وهذا
ايضا تطول الفكر فيه فلا مطمع في استقصايه فاما السحاب الكثيف
المظلم فانظر كيف تراه تجتمع في جو صاف لا كدورة فيه وكيف يخلقه الله تعالى اذا
شا ومتى شا وهو مع رخاوته حامل للماء الثقيل وممسك له في جو السما
الى ان ياذن الله تعالى في ارسال الما وتقطيع القطرات كل قطرة بالقدر
التي اراده الله تعالى وعلى الشكل الذي شاه فترى السحاب يرش الما على الارض
ويرسله قطرات متفاصلة لا يدرك قطرة منها قطرة ولا تتصل واحدة
باخرى بل تنزل كل واحدة في الطريق الذي رسم لها لا تعدل عنه
فلا يتقدم المتاخر ولا يتاخر المتقدم حتى تصيب الارض قطرة قطرة فلو اجتمع
الاولون والاخرون على ان يخلقوا منها قطرة او يعرفوا عدد ما ينزل
منها في بلدة واحدة او قرية واحدة لعجز حساب الجن والانس عن ذلك
فلا يعلم عددها الا الذي اوجدها ثم كل قطرة منها عينت لكل جزء
من الارض ولكل حيوان فيها من طير ووحش وجميع الحشرات والدواب
مكتوب على تلك القطرة بخط الهي لا يدرك بالبصر الظاهر انها رزق
الدودة الفلانية التي في ناحية الجبل الفلاني هذا مع ما في انعقاد
البرد الصلب من الما اللطيف وفي تناثر الثلوج كالقطن المندوف
من العجايب التي لا تحصى كل ذلك فضل من الجبار القادر وقهر من الخلاق
القاهر ما لاحد من الخلق فيه شرك ولا مدخل بل ليس للمومنين من خلقه
الا الاستكانة والخضوع تحت جلاله وعظمته ولا للعميان الجاحدين
الا الجهل بكيفيته ورجم الظنون بذكر سببه وعلته فيقول
الجاهل المغرور انما ينزل الما لانه ثقيل بطبعه انما هذا سبب نزوله
ويظن ان هذه معرفة انكشفت له ويفرح ولو قيل له ما معنى
الطبع وما الذي خلقه ومن الذي خلق الما الذي طبعه الثقل
والما الذي رقي الما المصبوب في اسافل الاشجار الى اعالي الاغصان
وهو ثقيل بطبعه وكيف هوى الى اسفل ثم ارتفع الى فوق في داخل
تجاويف الاشجار شيا فشيا بحيث لا يرى ولا يشاهد حتى ينتشر في

السحاب والامطار

قطرات المطر وعليها خط عجايب

الما في اسفل الاشجار الى اعالي الاغصان

جميع الاطراف الاوراق فتغذي كل جزء من كل ورقة وتجري اليها في مجاري
عروق شعرية صغار ترى منه العروق الذي هو اصل الورقة ثم تنتشر
من ذلك العرق الكبير الممدود في طول الورقة عروق صغار فكان الكبير نهر
وما انشعب عنه جداول ثم ينشعب من الجداول سواقي اصغر منها ثم تنتشر
منها خيوط عنكبوتية دقيقة تخرج عن ادراك البصر حتى تنبسط في جميع عرض
الورقة فيصل الما في اجوافها الى سائر اجزاء الورقة ليغذيها وينميها
ويزينها ويبقى طراوتها ونضارتها وكذلك الى سائر اجزاء الفواكه
فان كان الما يتحرك بطبعه الى اسفل فكيف يتحرك الى فوق فان كان ذلك بجذب
جاذب فما الذي سخر ذلك الجاذب وان كان ينتهي بالاخرة الى خالق
السموات والارض وجبار الملك والملكوت فلم لا يحال عليه في اول الامر
فنهاية الجاهل بداية العاقل

ومن اياته

ملكوت السموات والارض وما فيها من الكواكب وهو الامر كله ومن ادرك
الكل وفاته عجائب السموات فقد فاته الكل حقيقة فالارض والبحار والهوا
وكل جسم سوى السموات بالاضافة الى السموات كقطرة في بحر واصغر
ثم انظر كيف عظم الله امر السموات والنجوم في كتابه فما من سورة الا
وتشتمل على تفخيمها في مواضع وكم من قسم في القران بها كقوله والسما
ذات البروج والسما والطارق والسما ذات الحبك والسما وما بناها
وقوله والشمس وضحاها والقمر اذا تلاها وكقوله فلا اقسم بالخنس
الجوار الكنس وقوله والنجم اذا هوى فلا اقسم بمواقع النجوم وانه لقسم
لو تعلمون عظيم فقد علمت ان عجائب النطفة القذرة عجز عن معرفتها الاولون
والاخرون وما اقسم الله بها فما ظنك بما اقسم الله به واحال الارزاق
عليها واضافها اليه فقال تعالى وفي السماء رزقكم وما توعدون
واثنى على المتفكرين فيه فقال ويتفكرون في خلق السموات والارض
وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ويل لمن قرا هذه الاية ثم مسح
بها سبلته اي تجاوزها من غير فكر وذم المعرضين عنها فقال وجعلنا

الارض والبحار كقطرة عند السما

السماء سقفا محفوظا وهم عن آياتها معرضون فأي نسبة لجميع البحار
والأرض إلى السماء. وهذه متغيرات على القرب والسموات صلاب شداد
محفوظات عن التغيير إلى أن يبلغ الكتاب أجله ولذلك سماه الله تعالى
محفوظا فقال وجعلنا السماء سقفا محفوظا وقال وبنينا
فوقكم سبعا شدادا وقال أأنتم أشد خلقا أم السماء بناها رفع سمكها
فسواها فانظر إلى الملكوت لترى عجائب العز والجبروت ولا تظنن أن معنى
النظر إلى الملكوت بأن تمد البصر إليه فترى زرقة السماء وضوء الكواكب
وتفرقها فإن البهائم تشاركك في هذا البصر فإن كان هذا المراد
فلم مدح الله تعالى إبراهيم عليه السلام بقوله وكذلك نري إبراهيم
ملكوت السموات لا بل كل مدرك بحاسة البصر فالقرآن يعبر عنه بالملك
والشهادة وما غاب عن الأبصار فيعبر عنه بالغيب والله تعالى عالم الغيب
والشهادة وجبار الملك والملكوت ولا يحيط أحد بشيء من علمه إلا بما
شاء وهو عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحدا إلا من ارتضى من رسول
فأطل أيها الغافل ذكرك في الملكوت عسى يفتح لك أبواب السماء فتجول بقلبك
في أقطارها إلى أن يقوم قلبك بين يدي عرش الرحمن فعند ذلك ربما يرجى
لك رتبة عمر ابن الخطاب رضي الله عنه حيث قال رأى قلبي ربي وهذا
لأن بلوغ الأقصى لا يكون إلا بعد مجاوزة الأدنى وأدنى شيء إليك نفسك
ثم الأرض التي هي مقرك ثم الهواء المكتنف لك ثم النبات والحيوان وما على
وجه الأرض ثم عجائب الجو وما هو بين السماء والأرض ثم السموات السبع
بكواكبها ثم العرش ثم الملائكة الذين هم حملة العرش وخزان
السموات ثم منه تجاوز النظر إلى رب العرش والكرسي والسموات
والأرض وما بينهما فبينك وبين هذه المفاوز الفيح والمفاوز الشاسعة
والعقبات الشاهقة وأنت لم تفرغ بعد من العقبة القريبة النازلة
وهي معرفة ظاهر نفسك ثم صرت تطلق اللسان بوقاحتك وتدعي
معرفة ربك وتقول قد عرفته وعرفت خلقه ففيم ذا أتفكر وإلى ماذا
أتطلع فارفع الآن رأسك إلى السماء وانظر فيها وفي كواكبها وفي
دورانها وطلوعها وغروبها وشمسها وقمرها واختلاف مشارقها ومغاربها

النظر الى السماء

ودوامها في الحركة على الدوام من غير فتور في حركتها ومن غير تغيّر
في سيرها بل تجري جميعها في منازل مرتبة بحساب مقدر لا يزيد ولا
ينقص الى ان يطويها الله تعالى طي السجل للكتاب وتدبر عدد كواكبها وكثرتها
واختلاف الوانها فبعضها يميل الى الحمرة وبعضها يميل الى اللون
الرصاصي ثم انظر الى كيفية اشكالها فبعضها على صورة العقرب
وبعضها على صورة الحمل والثور والاسد والانسان وما من صورة في الارض
الا ولها مثال في السماء ثم انظر الى مسير الشمس في فلكها في مدة
سنة ثم هي تطلع في كل يوم وتغرب بسير آخر سخره له خالقها ولولا
طلوعها وغروبها لما اختلف الليل والنهار ولم تعرف المواقيت ولأطبق الظلام
على الدوام او الضياء على الدوام وكان لا يتميز وقت المعاش عن وقت الاستراحة
فانظر الى لطفه كيف جعل الليل لباسا والنهار معاشا وانظر الى ايلاج
الليل في النهار والنهار في الليل وادخاله الزيادة والنقصان عليهما
على ترتيب مخصوص وانظر الى امالة مسير الشمس عن وسط السماء
حتى اختلف بسببه الصيف والشتاء والربيع والخريف فاذا انخفضت
الشمس في مسيرها برد الهواء وظهر الشتاء واذا استوت في وسط السماء
اشتد القيظ واذا كانت فيما بينهما اعتدل الزمان وعجايب السماء
لا مطمع في احصاء عشر عشير جزء من اجزائها وانما هذا تنبيه على طريق الفكر
واعتقد على الجملة انه ما من كوكب من الكواكب الا ولله تعالى حكم كثيرة في
خلقه ثم في مقداره ثم في شكله ثم في لونه ثم في وضعه من السماء
وقربه من وسط السماء وبعده وقربه من الكواكب التي بجنبه وبعده
وقس ذلك بما ذكرناه من اعضاء بدنك اذ ما من جزء الا وفيه حكمة
بل حكم كثيرة وامر السماء اعظم بل لا نسبة لعالم الارض الى عالم
السماء لا في كبر جسمه ولا في كثرة معانيه وقس التفاوت الذي بينهما
في كثرة المعاني بما بينهما من التفاوت في كبر الارض فانت تعرف من كبر
الارض واتساع اطرافها انه لا يقدر آدمي على ان يدركها ويدور
في جوانبها وقد اتفق الناظرون على ان الشمس مثل الارض مائة ونيف
وستون مرة وفي الاخبار ما يدل على عظمها والكواكب التي تراها اصغرها

صورة النجوم

ما من صورة في الارض الا ولها مثال في السماء

مسير الشمس في فلكها

زمان ظهور الشتاء والصيف

عجايب

مقدار الشمس والكواكب

اصغرها مثل الارض ثمان مرات واكبرها ينتهي الى قريب من مايه وعشرين
مرة مثل الارض وبهذا يعرف ارتفاعها وبعدها اذ للبعد صارت صغارا
ولذلك اشار الله تعالى الى بعدها فقال رفع سمكها فسواها
وفي الاخبار ان بين كل سما الى الاخرى مسيرة خمسماية عام فاذا كان هذا
مقدار كوكب واحد من الارض فانظر الى كثرة الكواكب ثم انظر الى السما.
التي الكواكب مركوزة فيها والى عظمها ثم انظر الى سرعة حركتها وانت لا
تحس بحركتها فضلا عن ان تدرك سرعتها لكن لا تشك في انها في لحظة تسير
مقدار عرض كوكب لان الزمان من طلوع اول جزء من كوكب الى تمامه
يسير وذلك الكوكب هو مثل الارض ماية مرة وزيادة فقد كان الفلك
في هذه اللحظة مثل الارض ماية مرة وهكذا يدور على الدوام وانت
غافل عنه وانظر كيف عبر جبريل عليه السلام عن سرعة حركته اذ قال
له النبي صلى الله عليه وسلم هل زالت الشمس فقال لا نعم فقال كيف تقول
لا نعم فقال من حيث قلت لا الى ان قلت نعم سارت الشمس مسيرة
خمسماية عام فانظر الى عظم شخصها ثم الى خفة حركتها ودورانها ثم انظر
الى قدرة الفاطر الحكيم كيف اثبت صورتها مع اتساع اكنافها في حدقة العين
مع صغرها حتى تجلس على الارض وتفتح عينيك نحوها فترى جميعها فهذه
السما بعظمها وكثرة كواكبها لا تنظر اليها بل انظر الى ربها كيف خلقها ثم امسكها
من غير عمد ترونها ومن غير علاقة من فوقها وكل العالم كبيت واحد والسما
سقفه فالعجب منك انك تدخل بيت غني فتراه مزوقا بالصبغ مموها
بالذهب فلا ينقطع تعجبك منه ولا تزال تذكره وتصف حسنه طول
عمرك وانت ابدا تنظر الى هذا البيت العظيم والى ارضه والى سقفه
والى هوايه والى عجايب امتعته وغرايب حيواناته وبدايع نقوشه
ثم لا تتحدث فيه ولا تلتفت بقلبك اليه فما هذا البيت دون البيت
الذي تصفه بل ذلك البيت هو ايضا جزء من الارض التي هي اخس
اجزا هذا البيت ومع هذا فلا تنظر اليه ليس له سبب الا انه بيت ربك
هو الذي انفرد ببنائه وترتيبه وانت قد نسيت نفسك وربك وبيت
ربك واشتغلت ببطنك وفرجك ليس لك همة الا شهوتك او حشمتك

ما بين كل سماء الى الاخرى

مقدار حركة السماء

ودور الفلك

مقدار مسير الشمس

المنظر الى السماء بالعين

قلب غرايب

خدم وعبيد لغة

حشمة بالكسر [illegible] رجل حشم [illegible] الى المحتشم اوثانيه لغة

وغاية شهوتك ان تملأ بطنك ولا تقدر على ان تأكل عشر ما تأكله بهيمة
فتكون البهيمة فوقك بعشر درجات وغاية حشمتك ان يقبل عليك
عشرة او مائة من معارفك فينافقونك بالسنتهم بين يديك ويضمرون
خبائث الاعتقادات عنك وان صدقوك في مودتهم اياك فلا يملكون
لك ولا لانفسهم ضرا ولا نفعا ولا موتا ولا حيوة ولا نشورا وقد يكون
في بلدك من اغنياء اليهود والنصارى من يزيد جاهه على جاهك
وقد اشتغلت بهذا الغرور وغفلت عن النظر في ملكوت السموات
والارض ثم عن التنعم بالنظر الى جلال مالك الملكوت والملك وما
مثلك ومثل عقلك الا مثل النملة تخرج من جحرها الذي حفرته
في قصر مشيد من قصور الملك رفيع البنيان حصين الاركان مزين بالجواري
والغلمان وانواع الذخائر والنفائس فاذا خرجت من جحرها ولقيت صاحبتها
لم تتحدث لو قدرت على النطق الا عن بيتها وغذائها وكيفية ادخارها
فاما حال القصر والملك الذي في القصر فهي بمعزل عنه وعن التفكر فيه
بل لا قدرة لها بالمجاوزة بالنظر عن نفسها وغذائها وبيتها الى غيره وكما
غفلت النملة عن القصر وعن ارضه وسقفه وحيطانه وساير بنيانه وغفلت
ايضا عن سكانه فانت ايضا غافل عن بيت الله تعالى وعن ملائكته الذين هم سكان
سمواته فلا تعرف من السماء الا ما تعرفه النملة من سقف بيتك ولا تعرف
من ملائكة السموات الا ما تعرف النملة منك ومن سكان بيتك نعم ليس للنملة
طريق الى ان تعرف عجائب قصرك وبدائع صنعة الصناع فيه واما انت فلك
قدرة على ان تجول في الملكوت وتعرف من عجائبه ما الخلق غافلون عنه ولنقبض
عنان الكلام عن هذا النمط فانه مجال لا اخر له ولو استقصينا اعمارا طويلة
لم نقدر على شرح ما تفضل الله علينا بمعرفته وكلما عرفناه قليل نزر حقير
بالاضافة الى ما عرفه جملة العلماء والاولياء وما عرفوه قليل نزر بالاضافة
الى ما عرفه الانبياء وجملة ما عرفوه قليل بالاضافة الى ما عرفه نبينا
صلى الله عليه وسلم وما عرفه الانبياء كلهم قليل الى ما عرفه الملائكة
المقربون كاسرافيل وجبريل وغيرهما ثم جميع علوم الملائكة والجن
والانس اذا اضيفت الى علم الله تعالى لم يستحق ان تسمى علما بل هو الى

مثال الانسان وعقله

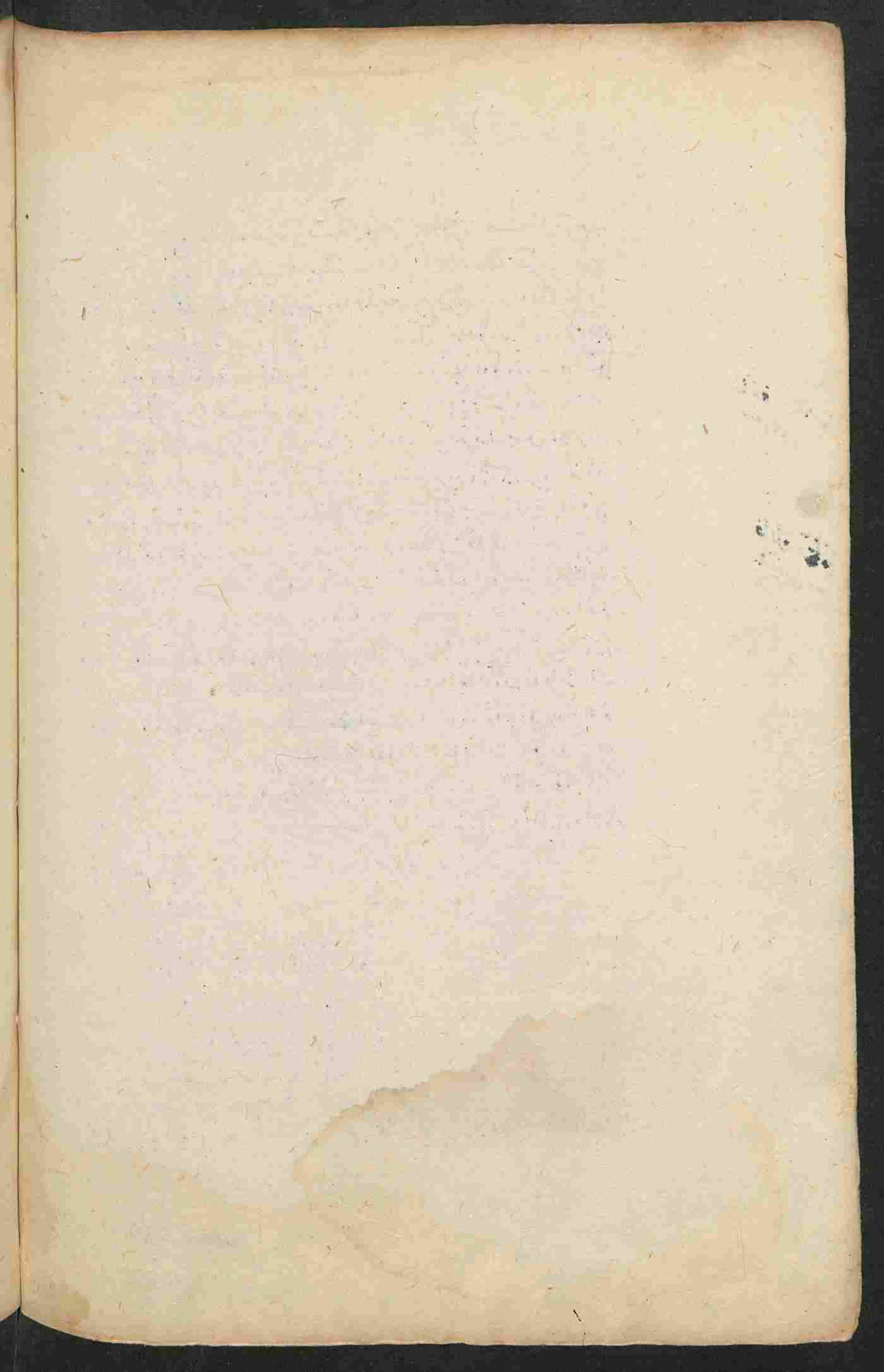
الانسان مثل النملة

بيت الله والقلب

الى ان يستمر دهشا وحيرة وقصورا وعجزا اقرب فسبحان من عرف
عباده ما عرف ثم خاطب جميعهم فقال ـــــــ وما اوتيتم من العلم
الا قليلا ۞ فهذا بيان معاقد الجمل التي يجول فيها فكر المتفكرين
في خلق الله تعالى وليس فيه فكر في ذات الله تعالى ولكن يستفاد من الفكر
في الخلق لا محالة معرفة الخالق وعظمته وجلاله وقدرته وكلما
استكثرت من معرفة عجايب صنع الله تعالى كانت معرفتك بجلاله
وعظمته اتم وهذا كما انك تعظم عالما بسبب معرفتك بعلمه فلا تزال
تطلع على غريبة غريبة من تصنيفه او شعره فتزداد به معرفة
وتزداد بحسبه له توقيرا وتعظيما واحتراما حتى ان كل كلمة من
كلماته وكل بيت من ابيات شعره تزيده محلا في قلبك وتستدعي
التعظيم له في نفسك فهكذا تامل في خلق الله تعالى وتصنيفه وتاليفه
وكل ما في الوجود من خلق الله تعالى وتصنيفه والنظر فيه والفكر
فيه لا يتناهى ابدا وانما يكل عبد منه بقدر ما رزق فليقتصر على ما ذكرنا
وليضف اليه هذا ما فصلناه في كتاب الشكر فانا نظرنا في ذلك
الكتاب في فعل الله تعالى من حيث هو احسان الينا وانعام علينا وفي هذا
الكتاب نظرنا فيه من حيث انه فعل الله فقط وكل ما نظرنا فيه فان
الطبيعي ينظر فيه فيكون نظره سبب ضلالته وشقاوته والموفق
ينظر فيه فيكون سبب هدايته وسعادته وما من ذرة في السماء والارض
الا والله سبحانه وتعالى يضل بها من يشاء ويهدي بها من يشاء ۞
فمن نظر في هذه الامور من حيث انها فعل الله تعالى وصنعه
استفاد منه المعرفة بجلال الله تعالى وعظمته واهتدى
ومن نظر فيها قاصرا للنظر عليها من حيث تاثير بعضها
في بعض لا من حيث ارتباطها بمسبب الاسباب
فقد شقي وارتدى ونعوذ بالله ۞
من الضلال ونسال الله ان
يجنبنا مزلة اقدام الجهال
بمنه وفضله هذا اخر كتاب التفكر ويتلوه كتاب ذكر الموت ان شاء الله تعالى

فائدة معرفة عجايب صنع الله واستكثاره

فائدة التفكر في خلق الله



كتاب ذكر الموت

وما بعده وهو الكتاب العاشر من ربع المنجيات
من جملة كتب احيا علوم الدين للشيخ
الامام العالم شرف الايمة
ابي حامد محمد بن محمد بن
محمد الغزالي
رحمه
الله

بسم الله الرحمن الرحيم ٥ وبه نستعين ٥

الحمد لله الذي قصم بالموت رقاب الجبابره • وكسر به ظهور الاكاسره
وقصر به آمال القياصره • الذين لم تزل قلوبهم عن ذكر الموت نافره
حتي جاءهم الوعد الحق فارداهم في الحافره • فنقلوا من القصور الي
القبور • ومن ضياء المهود الي ظلمة اللحود • ومن ملاعبة الجواري والغلمان
الي مصاحبة الهوام والديدان • ومن التنعم بالشراب • الي التمرغ في
التراب • ومن انس العشره • الي وحشة الوحده • ومن المضجع الوثير ٥
الي المصرع الوبيل • فانظر هل وجدوا من الموت حصنا • او اتخذوا
من دونه حجابا وحرزا • وانظر هل تحس منهم من احد او تسمع لهم ركزا
فسبحان من تفرد بالقهر والاستيلا • واستاثر باستحقاق البقا
واذل اصناف الخلق بما كتب عليهم من الفنا • ثم جعل الموت مخلصا للاتقيا
وموعدا في حقهم للقا • وجعل القبر سجنا للاشقيا وحبسا ضيقا
عليهم الي يوم الفصل والقضا • فله الانعام بالنعم الظاهره • وله
الانتقام بالنقم القاهره • وله الشكر في السموات والارض وله الحمد
في الاولي والاخره • والصلاة علي سيدنا محمد ذي المعجزات الظاهره
والايات الباهره • وعلي اله واصحابه وسلم كثيرا ٥ •

اما بعد فجدير بمن الموت مصرعه • والتراب مضجعه • والدود ٥
انيسه • ومنكر ونكير جليسه • والقبر مقره • وبطن الارض
مستقره • والقيامة موعده • والجنة او النار مورده • الا يكون
فكره الا في الموت ولا ذكر الا له ولا استعداد الا لاجله • ولا تدبير
الا فيه ولا تطلع الا اليه • ولا تعريج الا عليه ولا اهتمام الا به
ولا حوم الا حوله • ولا انتظار وتربص الا له • وحقيق بان يعد
نفسه من الموتي ويراها في اصحاب القبور فان كل ما هو آت قريب والبعيد
ما ليس بآت • وقد قال النبي صلي الله عليه وسلم الكيس من دان
نفسه وعمل لما بعد الموت • ولن يتيسر الاستعداد للشي الا عند تجدد
ذكره علي القلب ولا يتجدد ذكره الا عند التذكر بالاصغاء الي المذكرات

الذين

المذكرات له والنظر في المنبهات عليه ونحن نذكر من أمر الموت ومقدماته
ولواحقه وأحوال الآخرة والقيامة والجنة والنار ما لا بد للعبد
من تذكاره على التكرار وملازمته بالافتكار والاستبصار ليكون
ذلك مستحثا على الاستعداد بعد قرب الرحيل فما بقي من العمر
إلا القليل • ونحن غافلون • اقترب للناس حسابهم وهم في غفلة
معرضون • ونحن نذكر ما يتعلق بالموت في شطرين الشطر الأول
في مقدماته وتوابعه إلى نفخة الصور وفيه ثمانية أبواب الباب
الأول في فضل الموت والترغيب فيه

الباب الثاني

• في ذكر طول الأمل وقصره •

الباب الثالث

• في سكرات الموت وشدته •
• وما يستحب من الأحوال عند حالة الموت

الباب الرابع في وفاة

• رسول الله صلى الله عليه وسلم
والخلفاء الراشدين من بعده ٥

الباب الخامس ٥

في كلام المحتضرين من الخلفاء والأمراء
• والصالحين ٥

الباب السادس ٥

• في أقاويل العارفين على الجنائز
• والمقابر وحكم زيارة القبور

الباب السابع

• في حقيقة الموت وما يلقاه الميت
• في القبر إلى نفخة الصور ٥

الباب الثامن

• فيما عرف من أحوال الموتى بالمكاشفة في المنام •

الباب الاول

في ذكر الموت والترغيب فيه والاكثار من ذكره

اعلم ان المنهمك في الدنيا المكب على غرورها المحب لشهواتها يغفل قلبه
لا محالة عن ذكر الموت فلا يذكره واذا ذكر به كرهه ونفر منه أولئك
هم الذين قال الله تعالى فيهم • قل ان الموت الذي تفرون منه فانه
ملاقيكم ثم تردون الى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون
ثم الناس اما منهمك • او تائب مبتدي • او عارف منتهي • اما المنهمك
فلا يذكر الموت وان ذكره فللتأسف على دنياه ويشتغل بمذمته وهذا
يزيده ذكر الموت من الله تعالى بعدا • واما التائب فانه يكثر
ذكر الموت لينبعث من قلبه الخوف والخشية فيفي بتمام التوبة وربما يكره
الموت خيفة من ان يختطفه قبل تمام التوبة وقبل اصلاح الزاد وهو
معذور في كراهة الموت ولا يدخل هذا تحت قوله صلى الله عليه وسلم من
كره لقاء الله كره الله لقاءه فان هذا ليس يكره الموت ولقاء الله وانما يخاف
فوت لقاء الله لقصوره وتقصيره وهو كالذي يتأخر عن لقاء الحبيب
مشتغلا بالاستعداد للقائه وعلامة هذا ان يكون دائم الاستعداد
له لا شغل له سواه والا التحق بالمنهمك في الدنيا • واما العارف
فانه يذكر الموت دائما لانه موعد لقاء حبيبه والمحب لا ينسى قط موعد لقاء
الحبيب وهذا في غالب الامر يستبطي مجي الموت ويحب مجيه ليتخلص من
دار العاصين وينتقل الى جوار رب العالمين كما روي عن حذيفة انه
لما حضرته الوفاة قال حبيب جاء على فاقة لا افلح من ندم اللهم ان كنت
تعلم ان الفقر احب الي من الغنا والسقم احب الي من الصحة والموت احب الي
من العيش فسهل علي الموت حتى القاك فاذا التائب معذور في كراهية
الموت وهذا معذور في حب الموت وتمنيه واعلى منهما رتبة من فوض
امره الى الله فصار لا يختار لنفسه موتا ولا حيوة بل يكون احب الاشيا
اليه احبها الى مولاه فهذا قد انتهى به فرط الحب والولاء الى مقام التسليم
والرضا وهو الغاية والمنتهى وعلى كل حال ففي ذكر الموت ثواب •

ثواب وفضل فإن المنهمك في الدنيا أيضا يستفيد بذكر الموت التجافي
عن الدنيا إذ ينغص عليه نعيمه ويكدر عليه صفو لذاته وكل ما يكدر على
الإنسان اللذات والشهوات فهو من أسباب النجاة ٥

بيان فضل ذكر الموت

كيفما كان ٥ ٥

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أكثروا من ذكر هادم
اللذات معناه نغصوا بذكره اللذات حتى ينقطع ركونكم إليها فتقبلوا
على الله تعالى • وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو تعلم
البهائم من الموت ما يعلم ابن آدم ما أكلتم منها سمينا • وقالت عائشة
رضي الله عنها يا رسول الله هل يحشر مع الشهداء أحد قال نعم من يذكر الموت
في اليوم والليلة عشرين مرة ٥ وإنما سبب هذه الفضيلة كلها
أن ذكر الموت يوجب التجافي عن دار الغرور ويتقاضى الاستعداد للآخرة
والغفلة عن الموت تدعو إلى الانهماك في شهوات الدنيا وقال
صلى الله عليه وسلم تحفة المؤمن الموت وإنما قال هذا لأن الدنيا
سجن المؤمن إذ لا يزال فيها في عناء من مقاساة نفسه ورياضة شهواته
ومدافعة شيطانه فالموت إطلاق له من هذا العذاب والإطلاق تحفة
في حقه • وقال صلى الله عليه وسلم الموت كفارة لكل مسلم
وأراد بهذا المسلم حقا المؤمن صدقا الذي سلم المسلمون من يده
ولسانه ويتحقق فيه أخلاق المؤمنين ٥ ولم يتدنس من المعاصي إلا
باللمم والصغائر فالموت يطهره منها ويكفرها بعد اجتنابه الكبائر ٥
وإقامته الفرائض ٥ وقال عطاء الخراساني مر رسول الله صلى الله
عليه وسلم بمجلس قد استعلاه الضحك فقال شوبوا مجلسكم بذكر
مكدر اللذات قالوا وما مكدر اللذات قال الموت قال أنس قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم أكثروا من ذكر الموت فإنه يمحص الذنوب
ويزهد في الدنيا • وقال صلى الله عليه وسلم كفى بالموت مفرقا

الموت كفارة

مطلب

وقال عليه السلام كفى بالموت واعظا • وخرج رسول الله صلى
الله عليه وسلم الى المسجد فاذا قوم يتحدثون ويضحكون فقال اذكروا الموت
اما والذي نفسي بيده لو تعلمون ما اعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا •
وذكر عند رسول الله صلى الله عليه وسلم رجل فاحسنوا الثناء عليه
فقال كيف كان ذكر صاحبكم للموت قالوا ما كنا نكاد نسمعه يذكر الموت
فقال ان صاحبكم ليس هنالك • وقال ابن عمر اتيت النبي صلى الله عليه
وسلم عاشر عشرة فقال رجل من الانصار من اكيس الناس واكرم الناس
يا رسول الله فقال اكثرهم ذكرا للموت واشدهم استعدادا له اولئك
هم الاكياس ذهبوا بشرف الدنيا وكرامة الاخرة ٥

واما الاثار

فقد قال الحسن فضح الموت الدنيا فلم يترك لذي لب فرحا • وقال
الربيع بن خثيم ما غائب ينتظره المؤمن خيرا له من الموت وكان يقول
لا تشعروا بي احدا وسلوني الى ربي سلا • وكتب بعض الحكماء الى رجل
من اخوانه يا اخي احذر الموت في هذه الدار قبل ان تصير الى دار تتمنى فيها الموت
فلا تجده • وكان ابن سيرين اذا ذكر عنده الموت مات كل عضو منه • وكان عمر بن
عبد العزيز يجمع كل ليلة الفقهاء فيتذاكرون الموت والقيامة والاخرة ثم يبكون
حتى كان بين ايديهم جنازة • وقال ابراهيم التيمي شيئان قطعا عني لذاذة
الدنيا ذكر الموت والوقوف بين يدي الله تعالى • وقال كعب من عرف الموت
هانت عليه مصيبات الدنيا وهمومها • وقال مطرف رايت فيما يرى النائم
كان قائلا يقول في وسط مسجد البصرة قطع ذكر الموت قلوب الخائفين فوالله ما
تراهم الا والهين • وقال اشعث كنا ندخل على الحسن فانما هو النار وذكر
الاخرة والموت • وقالت صفية ان امراة شكت الى عائشة رضي الله
عنها قساوة قلبها فقالت اكثري ذكر الموت يرق قلبك ففعلت فرق قلبها فجاءت
تشكر عائشة رضي الله عنها • وكان عيسى عليه السلام اذا ذكر عنده الموت
يقطر جلده دما • وكان داود عليه السلام اذا ذكر الموت والقيامة
بكى حتى تنخلع اوصاله فاذا ذكر الرحمة رجعت اليه نفسه • وقال الحسن
ما رايت عاقلا الا اصبته من الموت حذرا وعليه حزينا • وقال عمر

قسوة القلب وازالتها الموت

عمر ابن عبد العزيز لبعض العلما عظني فقال أنت أول خليفة تموت قال
زدني قال ليس من ابايك احد الى ادم الا ذاق الموت وقد جات نوبتك
فبكى عمر لذلك وكان الربيع بن خثيم قد حفر قبرا في داره فكان ينام فيه
كل يوم مرات يستديم بذلك ذكر الموت وكان يقول لو فارق ذكر الموت
قلبي ساعة لفسد. وقال مطرف ابن عبد الله ابن الشخير ان هذا الموت نغص
على اهل النعيم نعيمهم فاطلبوا نعيما لا موت فيه. وقال عمر ابن عبد
العزيز لعنبسة اكثر ذكر الموت فان كنت واسع العيش ضيقه عليك
وان كنت ضيق العيش وسعه عليك. وقال ابو سليمان الداراني
قلت لام هارون اتحبين الموت قالت لا قلت لم قالت لو عصيت ادميا
ما اشتهيت لقاه فكيف احب لقاه وقد عصيته ۞

ذكر الموت

بيان الطريق

في تحقيق ذكر الموت في القلب ۞

اعلم ان الموت هايل وخطره عظيم وغفلة الناس عنه لقلة فكرهم فيه
وذكرهم له ومن يذكره ليس يذكره بقلب فارغ بل بقلب مشغول بشهوات
الدنيا فلا ينجع ذكر الموت في قلبه فالطريق فيه ان يفرغ العبد قلبه عن كل
شي الا عن ذكر الموت الذي هو بين يديه كالذي يريد ان يسافر الى مفازة
مخطرة او يركب البحر فانه لا يتفكر الا فيه فاذا باشر ذكر الموت قلبه
فيوشك ان يوثر فيه وعند ذلك يقل فرحه وسروره بالدنيا وينكسر قلبه
وانفع طريق فيه ان يكثر ذكر اشكاله واقرانه الذين مضوا قبله فيتذكر
موتهم ومصارعهم تحت التراب ويتذكر صورهم في مناصبهم ۞
واحوالهم ويتامل كيف محا التراب الان حسن صورهم وكيف تبددت ۞
اجزاهم في قبورهم وكيف ارملوا نساهم وايتموا اولادهم وضيعوا
اموالهم وخلت منهم مجالسهم ومساجدهم وانقطعت اثارهم ۞
فمهما تذكر رجلا رجلا وفصل في قلبه حاله وكيفية موته وتوهم صورته

فصل ذكر الموت وطريقة

وتذكر نشاطه وتردده وأمله للعيش والبقا ونسيانه للموت وانخداعه
بمواتاة الأسباب وركونه إلى القوة والشباب وميله إلى الضحك واللهو
وغفلته عما بين يديه من الموت الذريع والهلاك السريع وأنه كيف كان يتردد
والآن قد تهدمت رجلاه ومفاصله وكيف كان ينطق وقد أكل الدود
لسانه وكيف كان يضحك وقد أكل التراب أسنانه وأنه كيف كان يدبر لنفسه
ما لا يحتاج إليه إلى عشر سنين في وقت لم يكن بينه وبين الموت إلا شهر وهو
غافل عما يراد به حتى جاءه الموت في وقت لم يحتسبه فانكشف له صورة
الملك وقرع سمعه النداء إما بالجنة أو النار فعند ذلك ينظر في نفسه أنه
مثلهم وغفلته كغفلتهم وستكون عاقبته كعاقبتهم. قال
أبو الدردا. إذا ذكرت الموتى فعد نفسك كأحدهم. وقال ابن مسعود
السعيد من وعظ بغيره. وقال عمر بن عبد العزيز ألا ترون أنكم
تجهزون كل يوم غاديا ورائحا إلى الله تعالى تضعونه في صدع من الأرض
قد توسد التراب وخلف الأحباب وقطع الأسباب. فملازمة
هذه الأفكار وأمثالها مع دخول المقابر ومشاهدة المرضى هو الذي
يجدد ذكر الموت في القلب حتى يغلب عليه بحيث يصير نصب عينيه.
فعند ذلك يوشك أن يستعد له ويتجافى عن دار الغرور وإلا فالذكر بظاهر
القلب وعذبة اللسان قليل الجدوى في التحذير والتنبيه ومهما طاب قلبه
بشيء من الدنيا ينبغي أن يتذكر في الحال أنه لا بد من مفارقته. ونظر
ابن مطيع ذات يوم إلى داره وأعجبه حسنها ثم بكى فقال والله لولا
الموت لكنت بك مسرورا ولولا ما نصير إليه من ضيق القبور لقرت بالدنيا
أعيننا ثم بكى بكاء شديدا حتى ارتفع صوته.

مطلب

الباب الثاني في طول الأمل

وفضيلة قصر الأمل وسبب طوله
وكيفية معالجته

بيان فضيلة قصر الأمل

في فضيلة قصر الأمل

قصر الامل • قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعبد الله ابن
عمر اذا اصبحت فلا تحدث نفسك بالمسا واذا امسيت فلا تحدث نفسك
بالصباح • وخذ من حياتك لموتك • ومن صحتك لسقمك • فانك يا عبد الله ما
تدري ما اسمك غدا • وروي عن علي كرم الله وجهه انه صلى الله عليه
وسلم قال ان اشد ما اخاف عليكم خصلتين اتباع الهوى وطول الامل •
فاما اتباع الهوى فانه يصد عن الحق واما طول الامل فانه الحب للدنيا
ثم قال الا ان الله تعالى يعطي الدنيا من يحب ومن يبغض واذا احب
الله عبدا اعطاه الايمان الا ان للدين ابنا وللدنيا ابنا فكونوا من ابناء
الدين ولا تكونوا من ابناء الدنيا الا ان الدنيا قد ارتحلت مولية
الا ان الاخرة قد اتت مقبلة الا وانكم في يوم عمل ليس فيه حساب الا
وانكم توشكون في يوم حساب ليس فيه عمل • وقالت ام المنذر
اطلع رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات عشية الى الناس فقال ايها
الناس اما تستحيون الله قالوا وما ذاك يا رسول الله قال تجمعون ما لا تاكلون
وتؤملون ما لا تدركون وتبنون ما لا تسكنون • وقال ابو سعيد
الخدري اشترى اسامة ابن زيد ابن ثابت وليدة بمائة دينار الى شهر
فسمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الا تعجبون من اسامة
المشتري الى شهر ان اسامة لطويل الامل والذي نفسي بيده ما طرفت عينا
الا ظننت ان شفري لا يلتقيان حتى يقبض الله روحي ولا رفعت طرفي
فظننت اني واضعه حتى اقبض ولا لقمت لقمة الا ظننت اني لا اسيغها
حتى اغص بها من الموت • ثم قال يا بني ادم ان كنتم تعقلون فعدوا
انفسكم من الموتى والذي نفسي بيده • انما توعدون لات وما انتم
بمعجزين • وعن ابن عباس رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
كان يخرج ليهريق الما فيتمسح بالتراب فاقول له يا رسول الله ان الما منك
قريب فيقال ما يدريني لعلي لا ابلغه وروي انه صلى الله عليه وسلم
اخذ ثلاثة اعواد فغرز عودا بين يديه والاخر الى جنبه واما الثالث
فابعده فقال هل تدرون ما هذا قالوا الله ورسوله اعلم
قال هذا الانسان وهذا الاجل وذلك الامل يتعاطاه ابن ادم

وتخلجه الآجال دون الأمل وقال عليه السلام مثل ابن آدم
وإلى جنبه تسع وتسعون منية إن أخطأته المنايا وقع في الهرم وقال
هذا المرء وهذه الحتوف حوله شوارع إليه والهرم وراء الحتوف
والأمل وراء الهرم فهو يأمل وهذه الحتوف شوارع إليه فأيها أمر به
أخذه فإن أخطأته الحتوف قتله الهرم وهو ينظر إلى الأمل وقال عبد الله
خط لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم خطا مربعا ووسطه خط
وخط خطوطا إلى جنب الخط وخط خطا خارجا فقال أتدرون
ما هذا قلنا الله ورسوله أعلم قال هذا الإنسان للخط الذي في الوسط
وهذا الأجل محيط به وهذه الأعراض للخطوط التي حوله تنهشه إن أخطأه
هذا نهشه هذا وذاك الأمل يعني الخط الخارج وقال أنس قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم يهرم ابن آدم ويبقى معه خصلتان
الحرص والأمل وفي رواية وتشب منه اثنتان الحرص على المال والحرص
على العمر وقال صلى الله عليه وسلم نجا أول هذه الأمة
باليقين والزهد ويهلك آخر هذه الأمة بالبخل والأمل وقيل
بينما عيسى عليه السلام جالس وشيخ يعمل بمسحاة يثير بها الأرض فقال
عيسى اللهم انزع منه الأمل فوضع الشيخ المسحاة واضطجع فلبث ساعة
فقال عليه السلام اللهم اردد إليه الأمل فقام فجعل يعمل فسأله عيسى عن ذلك
فقال بينا أنا أعمل قالت لي نفسي إلى متى تعمل وأنت شيخ كبير فألقيت
المسحاة واضطجعت ثم قالت لي نفسي والله لا بد لك من عيش ما بقيت فقمت
إلى مسحاتي. وقال الحسن قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم أكلكم يحب أن يدخل الجنة قالوا نعم يا رسول الله قال قصروا
من الأمل وثبتوا آجالكم بين أبصاركم واستحيوا من الله حق الحياء
وكان صلى الله عليه وسلم يقول في دعائه اللهم إني
أعوذ بك من دنيا تمنع خير الآخرة وأعوذ بك من حياة تمنع خير الممات
وأعوذ بك من أمل يمنع خير العمل.

الآثار

قال مطرف ابن عبد الله لو علمت متى أجلي خشيت على ذهاب عقلي

عقلي ولكن الله منّ على عباده بالغفلة عن الموت ولولا الغفلة ما تهنّوا
بعيش ولا قامت بينهم الأسواق • وقال الحسن السهو والأمل
نعمتان عظيمتان على بني آدم ولولاهما ما مشى المسلمون في الطرق • وقال
الثوري بلغني أن الإنسان خلق أحمق ولولا ذلك لما تهنّى العيش وقال
سعيد بن عبد الرحمن إنما عمرت الدنيا بقلة عقول أهلها وقال
سلمان رضي الله عنه ثلاث أعجبتني حتى أضحكتني • مؤمل الدنيا والموت
يطلبه • وغافل ليس يغفل عنه • وضاحك ملء فيه ولا يدري أساخط
رب العالمين عنه أم راض • وثلاث أحزنني حتى أبكينني فراق الأحبة
محمد وحزبه وهول المطلع والوقوف بين يدي الله لا أدري إلى الجنة
يؤمر بي أو إلى النار • وقال بعضهم رأيت زرارة ابن أوفى
بعد موته في المنام فقلت أي الأعمال أبلغ عندكم قال التوكل وقصر
الأمل • ليس بأكل الغليظ ولا لبس العباءة • وسأل المفضل بن فضالة
ربه عز وجل أن يرفع عنه الأمل فذهب عنه شهوة الطعام والشراب
ثم دعا ربه فرد عليه الأمل فرجع إلى الطعام والشراب • وقيل للحسن
يا أبا سعيد ألا تغسل قميصك فقال الأمر أعجل من ذلك • وقال
الحسن الموت معقود بنواصيكم والدنيا تطوى من ورائكم • وقال
بعضهم أنا كرجل ماد عنقه والسيف عليه ينتظر متى تضرب عنقه
وقال داود الطائي لو أملت أن أعيش شهرا لرأيتني
قد أتيت عظيما • وكيف أؤمل ذلك وأرى الفجائع تغشى الناس
في ساعات الليل والنهار • وحكي أنه جاء شقيق البلخي إلى أستاذ
له يقال له أبو هاشم الرماني وفي طرف كسائه شيء مصرور فقال
له أستاذه أيش هذا معك قال لوزات دفعها إلي أخ لي وقال
أحب أن تفطر عليها فقال يا شقيق وأنت تحدث نفسك أنك
تبقى إلى الليل لا كلمتك أبدا قال فأغلق في وجهي الباب
ودخل • وقال عمر بن عبد العزيز في خطبته إن لكل سفر زادا
لا محالة فتزودوا لسفركم من الدنيا الآخرة التقوى وكونوا كمن عاين
ما أعد الله من ثوابه وعقابه ترغبوا وترهبوا ولا يطولن عليكم

خلق

الأمد فتقسوا قلوبكم وتنقادوا لعدوكم فإنه والله ما بسط
أمل من لا يدري لعله لا يصبح بعد مسا ولا يمسي بعد صباح وربما
كانت بين ذلك خطفات المنايا وكم رأيت ورأيتم من كان بالدنيا
مغترا وإنما تقر عين من وثق بالنجاة من عذاب الله وإنما يفرح من
أمن أهوال يوم القيامة وأما من لا يداوي كلما إلا أصابه جارح من ناحية
أخرى فكيف يفرح أعوذ بالله أن آمركم بما أنهى عنه نفسي فتخسر
صفقتي وتظهر عيبتي وتبدو مسكنتي في يوم يبدو فيه الغني والفقير
الموازين فيه منصوبة لقد عنيتم بأمر لو عنيت به النجوم لانكدرت
أو عنيت به الجبال لذابت ولو عنيت به الأرض لتشققت أما تعلمون أنه
ليس بين الجنة والنار منزل وأنكم صائرون إلى أحدهما • وكتب رجل إلى أخ
له أما بعد فإن الدنيا حلم والآخرة يقظة والمتوسط بينهما الموت
ونحن في أضغاث أحلام والسلام • وكتب آخر إلى أخ له إن الحزن على
الدنيا والموت من الإنسان قريب والنقص في كل يوم منه نصيب وللبلى
في جسمه دبيب فبادر قبل أن ينادى بالرحيل والسلام • وقال الحسن
كان آدم عليه السلام قبل أن يخطئ أمله خلف ظهره وأجله بين عينيه
فلما أصاب الخطيئة حول فجعل أمله بين عينيه وأجله خلف ظهره • وقال
عبيد الله بن شميط سمعت أبي يقول أيها المغتر بطول صحته أما رأيت
ميتا قط من غير سقم • أيها المغتر بطول المهلة أما رأيت مأخوذا قط
من غير عدة إنك لو فكرت في طول عمرك لنسيت ما قد تقدم من لذاتك
أبالصحة تغترون أم بطول العافية تمرحون أم من الموت تأمنون أم
على ملك الموت تجترئون • إن ملك الموت إذا جاء لا يمنعه منك ثروة مالك
ولا كثرة احتشادك أما علمت أن ساعة الموت ذات كرب وغصص
وندامة على التفريط ثم يقول رحم الله عبدا عمل لما بعد الموت
رحم الله عبدا نظر لنفسه قبل نزول الموت • وقال أبو زكريا
التيمي بينا سليمان بن عبد الملك في المسجد الحرام إذ أتي بحجر منقور فطلب
من يقرأه فأتي بوهب بن منبه فإذا فيه ابن آدم لو رأيت قرب ما بقي
من أجلك لزهدت في طول أملك ولرغبت في الزيادة من عملك

المكتوب الى الاخ لاجل الآخرة

مطلب

عملك ولقصرت من حرصك وحيلك وإنما يلقاك غدا ندمك لو زلت
بك قدمك وأسلمك أهلك وحشمك ففارقك الولد ورفضك الوالد
والنسيب فلا أنت إلى دنياك عائد ولا في حسناتك زائد فاعمل ليوم
القيامة قبل الحسرة والندامة فبكى بكاء شديدا. وقال
بعضهم رأيت كتابا من محمد بن يوسف إلى عبد الرحمن ابن يوسف سلام
عليك. فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو أما بعد فإني أحذرك
متحولك من دار مهلتك إلى دار إقامتك وجزاء أعمالك فتصير في قرار
باطن الأرض بعد ظاهرها فيأتيك منكر ونكير فيقعدانك وينتهرانك
فإن يكن الله معك فلا بأس ولا وحشة ولا فاقة وإن يكن غير ذلك
فأعاذني الله وإياك من سوء مصرع وضيق مضجع. ثم تبلغك صيحة
الحشر ونفخة الصور وقيام الجبار لفصل قضاء الخلائق وخلاء الأرض
من أهلها والسموات من سكانها فباحت الأسرار وأسعرت النار
ووضعت الموازين وجيء بالنبيين والشهداء وقضي بينهم بالحق
وقيل الحمد لله رب العالمين فكم من مفتضح ومستور وكم من هالك
وناج وكم من معذب ومرحوم فيا ليت شعري ما حالي وحالك يومئذ
فبا هذا أهدم اللذات وتسلا عن الشهوات وقصر الأمل وأيقظ
النائمين وحذر الغافلين أعاننا الله وإياك على هذا الخطر العظيم
وأوقع الدنيا والآخرة من قلبي وقلبك موقعهما من قلوب المتقين
فإنما نحن به وله والسلام. وخطب عمر ابن عبد العزيز فحمد الله
وأثنى عليه. وقال أيها الناس إنكم لن تخلقوا عبثا ولن تتركوا سدى
وإن لكم معادا يجمعكم الله فيه للحكم والفصل فيما بينكم فخاب
وشقي عبد أخرجه الله من رحمته التي وسعت كل شيء وجنته التي
عرضها السموات والأرض وإنما يكون الأمان غدا لمن خاف واتقى
وباع قليلا بكثير وفانيا بباق وشقوة بسعادة ألا ترون أنكم في
أسلاب الهالكين وسيخلف بعدكم الباقون ألا ترون أنكم في كل يوم
تشيعون غاديا ورائحا إلى الله تعالى قد قضى نحبه وانقطع أمله
فتضعونه في بطن صدع من الأرض غير موسد ولا ممهد قد خلع

الاسلاب وفارق الاحباب وواجه الحساب وايم الله اني لا اقول مقالتي
هذه ولا اعلم عند احد عندكم من الذنوب اكثر مما اعلم من نفسي
ولكنها سنن من الله عادلة امر الله فيها بطاعته ونهى فيها عن معصيته
واستغفر الله ووضع كمه على وجهه فبكى حتى بلت دموعه لحيته
وما عاد الى مجلسه حتى مات رحمه الله • وقال القعقاع ابن حكيم
قد استعددت للموت منذ ثلثين سنة فلو اتاني ما احببت تاخير شي عن
شي • وقال الثوري رايت شيخا في مسجد الكوفة يقول انا في
هذا المسجد منذ ثلثين سنة انتظر الموت ان ينزل بي لو اتاني ما امرته
بشي ولا نهيته عن شي ولا لي على احد شي ولا لاحد عندي شي • وقال
عبد الله بن ثعلبة تضحك ولعل اكفانك قد خرجت من عند القصار
وقال ابو محمد الزاهد خرجنا في جنازة بالكوفة وخرج فيها
داود الطائي فانتبذ فقعد ناحية وهي تدفن فجئت فقعدت قريبا
منه فتكلم وقال • من خاف الوعيد قصر عليه البعيد ومن طال
امله ضعف عمله وكل ما هو آت قريب • واعلم يا اخي ان كل شي يشغلك
عن ربك فهو عليك مشوم • واعلم ان اهل الدنيا جميعا من اهل القبور
انما يندمون على ما يخلفون ويفرحون بما يقدمون فما ندم عليه
اهل القبور اهل الدنيا عليه يقتتلون وفيه يتنافسون وعليه
عند القضاة يختصمون • وروي ان معروف الكرخي رحمه الله اقام
الصلاة • قال محمد بن ثوبة قال لي تقدم فقلت اني ان صليت بكم هذه
الصلاة لم اصل بكم غيرها فقال معروف وانت تحدث نفسك ان
تصلي صلاة اخرى نعوذ بالله من طول الامل فانه يمنع خير العمل
• وقال عمر ابن عبد العزيز في خطبته • ان الدنيا ليست بدار
قراركم دارا كتب الله عليها الفنا وكتب على اهلها الظعن منها
فكم من عامر موثق عما قليل يخرب وكم من مقيم مغتبط عما قليل يظعن
فاحسنوا رحمكم الله منها الرحلة باحسن ما بحضرتكم من النقلة
وتزودوا فان خير الزاد التقوى • انما الدنيا كفيء ظلال قلص فذهب
بينا ابن ادم في الدنيا ينافس وهو قرير عين اذ دعاه الله بقدره ٥

الحاضرون للموت

بفقده ودماره بنوم حتفه فسلبه اثاره ودنياه وصير لقوم جدد
مصانعه ومغناه ان الدنيا لا تسر بقدر ما تضر انها تسر قليلا وتحزن
طويلا ك وعن ابي بكر الصديق رضي الله عنه انه كان يقول في خطبته
اين الوضاة الحسنة وجوههم المعجبون بشبابهم اين الملوك
الذين بنوا المداين وحصنوها بالحيطان اين الذين كانوا يعطون الغلبة
في مواطن الحرب قد تضعضع بهم الدهر فاصبحوا في ظلمات القبور
الوحا الوحا ثم النجا النجا •

بيان السبب

• في طول الامل وعلاجه •

اعلم ان طول الامل له سببان احدهما الجهل • والاخر حب
الدنيا اما الدنيا فهو انه اذا انس بها وبشهواتها ولذاتها
وعلايقها ثقل على قلبه مفارقتها وامتنع قلبه من الفكر في الموت
الذي هو سبب مفارقتها وكل من كره شيا دفعه عن نفسه والانسان
مشغوف بالاماني الباطلة فيمني نفسه ابدا بما يوافق مراده وانما
يوافق مراده البقا في الدنيا فلا يزال يتوهمه ويقدره في نفسه ويقدر
توابع البقا وما يحتاج اليه من مال واهل ودار واصدقا ودواب
وساير اسباب الدنيا فيصير قلبه عاكفا على هذا الفكر موقوفا
عليه فيلهو عن ذكر الموت ولا يقدر قربه فان خطر له في بعض
الاحوال امر الموت والحاجة الى الاستعداد له سوف ووعد نفسه
وقال الايام بين يديك فالى ان تكبر ثم تتوب واذا كبر فيقول والى
ان تصير شيخا فاذا صار شيخا قال الى ان تفرغ من بناء هذه الدار
وعمارة هذه الضيعة او ترجع من هذه السفرة او تفرغ من تدبير
هذا الولد وجهازه وتدبير مسكن له او تفرغ عن قهر هذا العدو
الذي يشمت بك فلا يزال يسوف ويوخر ولا يخوض في شغل الا ويتعلق
باتمام ذلك الشغل عشرة اشغال اخر وهكذا على التدريج يوخر يوما

الجهل وحب الدنيا

بعد يوم ويفضي به شغل إلى شغل بل إلى أشغال إلى أن تختطفه ٥
المنية في وقت لا يحتسبه فتطول عند ذلك حسرته • وأكثر أهل
النار صياحهم من حيث يقولون واحزناه من سوف المسوف المسكين لا يدري
أن الذي يدعوه إلى التسويف اليوم هو معه غدا وإنما يزداد بطول المدة
قوة ورسوخا ويظن أنه يتصور أن يكون للخائض في الدنيا والحافظ لها
فراغ قط وهيهات ما فرغ منها إلا من اطرحها فما قضى أحد منها لبانته
وما انتهى أرب إلا إلى أرب وأصل هذه الأماني كلها حب الدنيا والأنس
بها والغفلة عن معنى قوله صلى الله عليه وسلم أحبب من أحببت فإنك
مفارقه • وأما الجهل فإن الإنسان قد يعول على شبابه فيستبعد قرب
الموت مع الشباب وليس يتفكر المسكين أن مشايخ بلده لو عدوا لكانوا
أقل من عشر رجال البلد وإنما قلوا لأن الموت في الشباب أكثر فإلى أن
يموت شيخ يموت ألف صبي وشاب وقد يستبعد الموت لصحته وقد يستبعد
الموت فجأة ولا يدري أن ذلك غير بعيد وكل مرض فإنما يقع فجأة فإذا
مرض لم يكن الموت بعيدا ولو تفكر هذا الغافل وعلم أن الموت ليس له
وقت مخصوص من شاب وشيب وكهولة ومن صيف وشتاء وخريف
وربيع ومن ليل ونهار لعظم استشعاره واشتغل بالاستعداد له ٥
ولكن الجهل بهذه الأمور وحب الدنيا دعواه إلى طول الأمل وإلى
الغفلة عن تقدير الموت القريب فهو أبدا يظن أن الموت يكون
بين يديه ولا يقدر نزوله به ووقوعه فيه وهو أبدا يظن أنه يشيع
الجنائز ولا يقدر أنه يشيع جنازته لأن هذا قد تكرر عليه وألفه
وهو مشاهدة موت غيره أما موت نفسه فلم يألفه ولا يتصور أن
يألفه وأنه لا يقع وإذا وقع لم يقع دفعة أخرى بعده فهو الأول
وهو الآخر وسبيله أن يقيس نفسه بغيره ويعلم أنه لا بد وأن
تحمل جنازته ويدفن في قبره ولعل اللبن الذي يغطى به لحده قد ضرب
وفرغ منه وهو لا يدري فتسويفه جهل محض وإذا عرفت أن سببه
الجهل وحب الدنيا فعلاجه دفع سببه أما الجهل فيدفع بالفكر الصافي
من القلب الحاضر وبسماع الحكمة البالغة من القلوب الطاهرة ٥

موت الشاب أكثر

الظاهرة ۝ وأما حب الدنيا فالعلاج في اخراجها من القلب شديد
وهو الداء العضال الذي أعيا الأولين والآخرين وعلاجه ولا علاج له إلا الإيمان
باليوم الآخر وبما فيه من عظيم العقاب وجزيل الثواب ومهما حصل له اليقين
بذلك ارتحل عن قلبه حب الدنيا فان حب الخطير هو يمحوا عن القلب حب الحقير
فاذا رأى حقارة الدنيا ونفاسة الآخرة استنكف ان يلتفت الى الدنيا ۝
كلها فان اعطي ملك الارض من المشرق الى المغرب فكيف وليس لكل عبد من الدنيا
الا قدر يسير مكدر منغص فكيف يفرح بها او يترسخ في القلب حبها مع الايمان
بالآخرة فنسأل الله تعالى ان يرينا الدنيا كما اراها الصالحين من عباده ولا
علاج في تقرير الموت في القلب مثل النظر الى من مات من الاقران والاشكال

النظر إلى موت الأقران

وكأنهم كيف جاءهم الموت في وقت لم يحتسبوا أما من كان مستعدا فقد
فاز فوزا عظيما ۝ وأما من كان مغرورا بطول الأمل فقد خسر خسرانا
مبينا ۝ ولينظر الانسان كل ساعة في أطرافه وأعضائه وليتدبر انها كيف
يأكلها الديدان لا محالة وكيف تتفتت عظامه وليتفكر في ان الدود يبتدأ
بحدقته اليمنى اولا او باليسرى فما على بدنه شيء الا وهو طعمة الدود
وما له من نفسه الا العلم والعمل الخالص لوجه الله تعالى وكذلك فيما
سنورده من عذاب القبر وسؤال منكر ونكير ومن الحشر والنشر
واهوال يوم القيامة وقرع النداء يوم العرض الاكبر وأمثال هذه
الافكار هي التي تجدد ذكر الموت على قلبه وتدعوه الى الاستعداد
له ۝

بيان مراتب الناس ۝

في طول الأمل وقصره ۝

اعلم ان الخلق في ذلك يتفاوتون فمنهم من يؤمل البقاء ويشتهي
ذلك ابدا ۝ قال الله تعالى يود أحدهم لو يعمر ألف سنة ۝
ومنهم من يؤمل البقاء الى الهرم وهو أقصى العمر الذي شاهده ۝
ورآه وهو الذي يحب الدنيا حبا شديدا قال رسول الله صلى الله ۝

عليه وسلم الشيخ شاب في طلب الدنيا وإن التفت ترقوتاه من الكبر
إلا الذين اتقوا وقليل ما هم ومنهم من يؤمل إلى سنة فلا يشتغل بتدبير
ما وراءه ولا يقدر لنفسه وجودا في عام قابل ولكن هذا يستعد للصيف
في الشتاء وللشتاء في الصيف وإذا جمع ما يكفيه لسنته اشتغل بالعبادة
ومنهم من يؤمل مدة الصيف أو الشتاء فلا يدخر في الصيف ثياب الشتاء ثياب
الصيف ومنهم من يرجع أمله إلى يوم وليلة فلا يستعد إلا لنهاره وأما للغد
فلا قال عيسى عليه السلام لا تهتموا الرزق غد فإن يكن غد من آجالكم
فسيأتي فيه أرزاقكم مع آجالكم وإن لم يكن من آجالكم فلا تهتموا لآجال
غيركم ومنهم من لا يجاوز أمله ساعة كما قال نبينا صلى الله عليه وسلم
يا عبد الله إذا أصبحت فلا تحدث نفسك بالمساء وإذا أمسيت فلا تحدث
نفسك بالصباح ومنهم من لا يقدر البقاء ساعة أيضا كان رسول الله
صلى الله عليه وسلم يتيمم مع القدرة على الماء قبل مضي ساعة ويقول لعلي
لا أبلغه ومنهم من يكون الموت نصب عينيه كأنه واقع به فهو ينتظره
وهذا الإنسان هو الذي يصلي صلاة مودع وفيه ورد ما نقل عن معاذ
رضي الله عنه لما سأله عن حقيقة إيمانه فقال ما خطوت خطوة ولا ظننت
أني لا أتبعها أخرى وكما نقل عن الأسود وعن حبشي أنه كان يصلي ليلا ويلتفت
يمينا وشمالا فقال له قائل ما هذا قال أنتظر ملك الموت من أي جهة
يأتيني فهذه مراتب الناس ولكل درجات عند الله وليس من أمله مقصور
على شهر ويوم بل بينهما تفاوت في الدرجة عند الله تعالى فإن الله لا
يظلم مثقال ذرة ومن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة
شرا يره ثم يظهر قصر الأمل في المبادرة إلى العمل وكل إنسان
يدعي أنه قصير الأمل وهو كاذب وإنما يظهر ذلك بأعماله فإنه يعتني
بأسباب ربما لا يحتاج إليها في سنة فيدل ذلك على طول أمله
وإنما علامة التوفيق أن يكون الموت نصب العين لا يغفل عنه
ساعة فليستعد للموت الذي يرد عليه في الوقت فإن عاش إلى المساء
شكر الله تعالى على طاعته وفرح بأنه لم يضيع نهاره بل استوفى
منه حظه وادخره لنفسه ثم يستأنف مثله إلى الصباح وهكذا

ادخار الرخصة

مطلب

وهكذا إذا أصبح ولا يتيسر هذا إلا لمن فرغ القلب عن الغد وما يكون
فيه فمثل هذا إذا مات سعد وغنم وإن عاش سر بحسن الاستعداد
ولذة المناجاة فالموت له سعادة والحياة له مزيد فليكن الموت على
بالك يا مسكين فإن السير حاث بك وأنت غافل عن نفسك ولعلك قد
قاربت المنزل وقطعت المسافة ولا يكون ذلك إلا بمبادرة العمل
اغتناما لكل نفس أمهلت فيه

بيان المبادرة

إلى العمل وحذر آفة التأخير فيه

اعلم أن من له أخوان غائبان ينتظر قدوم أحدهما في غد وينتظر
قدوم الآخر بعد شهر أو سنة فلا يستعد للذي يقدم إلى شهر وسنة
وإنما يستعد للذي ينتظر قدومه غدا فالاستعداد نتيجة قرب الانتظار
فمن انتظر مجيء الموت بعد سنة اشتغل قلبه بالمدة ونسي ما وراء المدة
ثم يصبح كل يوم وهو منتظر السنة بكمالها لا ينقص منها اليوم الذي مضى
وذلك يمنعه من مبادرة العمل أبدا فإنه أبدا يرى لنفسه متسعا في
تلك السنة فيؤخر العمل كما قال صلى الله عليه وسلم
ما ينتظر أحدكم من الدنيا إلا غنا مطغيا أو فقرا منسيا أو مرضا
مفسدا أو هرما مفندا أو موتا مجهزا أو الدجال فالدجال
شر غائب ينتظر أو الساعة فالساعة أدهى وأمر وقال
ابن عباس قال النبي صلى الله عليه وسلم لرجل وهو يعظه
اغتنم خمسا قبل خمس شبابك قبل هرمك وصحتك قبل سقمك وغناك
قبل فقرك وفراغك قبل شغلك وحياتك قبل موتك وقال صلى الله
عليه وسلم نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس الصحة والفراغ
أي أنه لا يغتنمهما ثم يعرف قدرهما عند زوالهما وقال صلى الله
عليه وسلم من خاف أدلج ومن أدلج بلغ المنزل ألا إن سلعة الله

مثل استعداد الموت

هي الجنة وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم جاءت الراجفة تتبعها
الرادفة جاء الموت بما فيه وكان صلى الله عليه وسلم اذا انس من اصحابه
غفلة او غرة نادى فيهم بصوت رفيع اتتكم المنية راتبة لازمة اما
بشقاوة واما بسعادة وقال ابو هريرة قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم انا النذير والموت المغير والساعة الموعد وقال ابن عمر
خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم والشمس على اطراف السعف
فقال ما بقي من الدنيا الا مثل ما بقي من يومنا هذا في مثل ما مضى منه
وقال صلى الله عليه وسلم مثل الدنيا مثل ثوب شق من اوله الى آخره
فبقي متعلقا بخيط في آخره فيوشك ذلك الخيط ان ينقطع وقال جابر
كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا خطب فذكر الساعة رفع صوته
واحمرت وجنتاه كانه منذر جيش يقول صبحتكم ومسيتكم بعثت انا
والساعة كهاتين وقرن بين اصبعيه وقال ابن مسعود تلا
رسول الله صلى الله عليه وسلم فمن يرد الله ان يهديه يشرح صدره
للاسلام فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان النور اذا دخل
الصدر انفسح فقيل يا رسول الله هل لذلك من علامة تعرف قال نعم
التجافي عن دار الغرور والانابة الى دار الخلود والاستعداد للموت
قبل نزوله وقال السدي الذي خلق الموت والحيوة ليبلوكم
ايكم احسن عملا اي ايكم اكثر للموت ذكرا واحسن له استعدادا
واشد منه خوفا وحذرا وقال حذيفة ما من صباح ولا مساء
الا مناد ينادي ايها الناس الرحيل الرحيل وتصديق ذلك قوله تعالى
انها لاحدى الكبر نذيرا للبشر لمن شاء منكم ان يتقدم او يتأخر بالموت
وقال سحيم مولى بني تميم جلست الى عامر بن عبد الله وهو يصلي
فاوجز في صلاته ثم اقبل علي فقال ارحني بحاجتك فاني ابادر فقلت
ما تبادر قال ملك الموت رحمك الله قال فقمت عنه وقام الى صلاته
ومر داود الطائي فسأله رجل عن حديث فقال دعني انما ابادر
خروج نفسي وقال عمر رضي الله عنه التؤدة في كل شيء خير الا في اعمال
الآخرة وقال المنذر سمعت مالك بن دينار يقول لنفسه ويحك

مثل الدنيا

علامة نور الايمان

استعداد للموت

وعكة بادرني قبل ان يأتيك الامر كرر ذلك سبعين مرة اسمعه وهو لا
يراني. وكان الحسن يقول في موعظته المبادرة المبادرة فانما هي
الانفاس لو حبست انقطع عنكم اعمالكم التي تقربون بها الى الله تعالى
رحم الله امرأ نظر لنفسه وبكى على ذنوبه ثم قرأ هذه الآية انما
نعد لهم عدا ٥ يعني الانفاس اخر العدد خروج نفسك اخر العدد
فراق اهلك اخر العدد دخولك في قبرك واجتهد ابو موسى الاشعري
قبل موته اجتهادا شديدا فقيل له لو امسكت ورفقت بنفسك
بعض الرفق فقال ان الخيل اذا ارسلت فقاربت رأس مجراها اخرجت
جميع ما عندها والذي بقي من اجلي اقل من ذلك فلم يزل على ذلك حتى
مات وكان يقول لامرأته شدي رحلك فليس على جهنم معبر وقال
بعض الخلفاء على منبره عباد الله اتقوا الله ما استطعتم وكونوا قوما صيح
بهم فانتبهوا واعلموا ان الدنيا ليست لكم بدار فاستبدلوا واستعدوا
للموت فقد اظلكم وترحلوا فقد حدا بكم وان غاية تنقصها اللحظة ٥
وتهدمها الساعة لجدير بقصر المدة وان غائبا يحدوه الجديدان الليل
والنهار لحري بسرعة الاوبة وان قادما يحل بالشقوة او الفوز ٥
لمستحق لافضل العدة فاتقى عبد ربه وناصح نفسه وقدم توبته وغلب شهوته
فان اجله مستور عنه وامله خادع له والشيطان موكل به يمنيه
التوبة ليسوفها ويزين له المعصية ليرتكبها حتى تهجم منيته عليه
اغفل ما يكون عنها وانه ما بين احدكم وبين الجنة والنار الا الموت
ان ينزل به فيا لها حسرة على ذي غفلة ان يكون عمره عليه حجة وان
يرده ايامه الى شقوة جعلنا الله واياكم ممن لا يبطره نعمة ولا
يقصر به عن طاعة الله معصيته ولا يحل به بعد الموت حسرة انه
سميع الدعاء وانه بيده الخير دائما فعال لما يشاء. قال
بعض المفسرين في قوله تعالى فتنتم انفسكم قال بالشهوات
واللذات. وتربصتم قال بالتوبة. وارتبتم. قال شككتم ٥
حتى جاء امر الله. قال الموت. وغركم بالله الغرور. وقال الحسن
تصبروا وتشددوا فانما هي ايام قلائل وانما انتم ركب وقوف ٥

يوشك أن يدعى الرجل منكم فيجيب ولا يلتفت فانتقلوا بصالح ما بحضرتكم
وقال ابن مسعود ما منكم من أحد أصبح إلا وهو ضيف وماله عارية
والضيف مرتحل والعارية مؤداة وقال عبدة الناجي دخلنا على الحسن
في مرضه الذي مات فيه فقال مرحبا بكم وأهلا وحياكم الله بالسلام
وأحلنا وإياكم دار المقام هذه علانية حسنة إن صبرتم واتقيتم
فلا يكن حظكم من هذا الخبر رحمكم الله أن تسمعوه بهذه الأذن وتخرجوه
من هذه الأذن فإنه من رأى محمدا صلى الله عليه وسلم فقد رآه غاديا
ورائحا لم يضع لبنة على لبنة ولا قصبة على قصبة ولكن رفع له علم فشمر
الوحا الوحا النجا النجا على ما تعرجون أتيتم ورب الكعبة كأنكم والأمر معا
رحم الله عبدا جعل العيش عيشا واحدا وأكل كسرة ولبس خلقا ولزق
بالأرض واجتهد في العبادة وبكى على الخطيئة وهرب من العقوبة
وابتغى الرحمة حتى يأتي أجله وهو على ذلك • وقال عاصم الأحول
قال لي فضيل الرقاشي وأنا سائله يا هذا لا يشغلك كثرة الناس عن نفسك
فإن الأمر يخلص دونهم ولا تقل أذهب ها هنا وها هنا فينقطع عنك النهار
لا في شيء فإن الأمر محفوظ عليك لم نر شيئا قط أحسن طلبا ولا أسرع إدراكا من
حسنة حديثة لذنب قديم •

• الباب الثالث في سكرات الموت •

• وشدته وما يستحب من الأحوال عنده •

اعلم أنه لو لم يكن بين يدي العبد المسكين كرب ولا هول ولا عذاب سوى
سكرات الموت بمجردها لكان جديرا بأن يتنغص عليه عيشه ويتكدر عليه
سروره ويفارقه سهوه وغفلته وحقيقا بأن يطول فكرته ويعظم
له استعداده لا سيما وهو كل نفس بصدده كما قال بعض الحكماء
كرب بيد سواك • لا تدري متى يغشاك • وقال لقمان لابنه
يا بني أمر لا تدري متى يلقاك • استعد له قبل أن يفجأك • والعجب أن
الإنسان لو كان في أعظم اللذات وأطيب مجالس اللهو فانتظر أن يدخل عليه

٣١١
322

عليه جندي فضربه خمس خشبات لتكدرت عليه لذته وفسدت
عليه عيشته وهو في كل نفس بصدد ان يدخل عليه ملك الموت بسكرات
النزع وهو عنه غافل فما لهذا سبب الا الجهل والغرور واعلم ان شدة
الالم في سكرات الموت لا يعرفها بالحقيقة الا من ذاقها ومن لم يذقها
فانما يعرفها اما بالقياس الى الالام التي ادركها واما بالاستدلال باحوال
الناس في النزوع على شدة ما هم فيه • فاما القياس الذي يشهد له فهو ان
كل عضو لا روح فيه فلا يحس بالالم فاذا كان فيه الروح فالمدرك للالم هو
الروح فمهما اصاب العضو جرح او حريق سرى الاثر الى الروح فبقدر ما
يسري الى الروح يتالم والمولم يتفرق على اللحم والدم وسائر الاجزاء
فلا يصيب الروح الا بعض الاثر فان كان في الالام ما يباشر نفس الروح
ولا يلاقي غيره فما اعظم ذلك الالم وما اشده والنزوع عبارة عن
مولم نزل بنفس الروح فاستغرق جميع اجزائه • حتى لم يبق جزء من اجزاء
الروح المنتشر في اعماق البدن الا وقد حل به الالم فلو اصابته شوكة
فالالم الذي يجده انما يجري في جزء من الروح يلاقي ذلك الموضع
الذي اصابته الشوكة وانما يعظم اثر الاحتراق لان اجزاء النار تغوص
في سائر اجزاء البدن ولا يبقى جزء من العضو المحترق ظاهرا ولا باطنا
الا وتصيبه النار • فتحسه الاجزاء الروحانية المنتشرة في سائر اجزاء
اللحم واما الجراحة فانما تصيب الموضع الذي مسه الحديد فقط
فكان لذلك الم الجرح دون الم النار • فالم النزع يهجم على نفس الروح
ويستغرق جميع اجزائه فانه المنزوع المجذوب من كل عرق من العروق وعصب
من الاعصاب وجزء من الاجزاء ومفصل من المفاصل ومن اصل كل شعرة
وبشرة من القرن الى القدم فلا تسال عن كربه والمه حتى قالوا ان الموت
لاشد من ضرب بالسيف ونشر بالمناشير وقرض بالمقاريض لان قطع البدن
بالسيف انما يولم لتعلقه بالروح فكيف اذا كان المتناول المباشر نفس
الروح وانما يستغيث المضروب ويصيح لبقاء قوته في قلبه ولسانه
وانما انقطع صوت الميت وصياحه مع شدة المه لان الكرب قد بالغ
فيه وتصاعد على قلبه وغلب على كل موضع منه فهد كل قوة وضعف

الم الموت

كل جارحة فلم يبق له قوة الاستغاثة وأما العقل فقد غشيه وشوشه
وأما اللسان فقد أبكمه وأما الأطراف فقد ضعفها ويود لو قدر على الاستراحة
بالأنين والصياح والاستغاثة ولكنه لا يقدر على ذلك فإن بقيت فيه قوة
سمعت له عند نزع الروح وجذبها خوارا وغرغرة من حلقه وصدره وقد
تغير لونه واربد حتى كأنه ظهر من التراب الذي أصل فطرته وقد جذب
منه كل عرق على حياله فالألم منتشر في داخله وخارجه حتى ترتفع
الحدقتان إلى أعالي أجفانه وتقلص الشفتان ويتقلص اللسان إلى أصله
وترتفع الأنثيان إلى أعالي موضعهما وتخضر أنامله فلا تسأل عن بدن يجذب
منه كل عرق من عروقه ولو كان المجذوب عرقا واحدا لكان ألمه عظيما
فكيف والمجذوب نفس الروح المتألم لا من عرق واحد بل من جميع العروق
ثم يموت كل عضو من أعضائه تدريجا فتبرد أولا قدماه ثم ساقاه ثم فخذاه
ولكل عضو سكرة بعد سكرة وكربة بعد كربة حتى يبلغ بها الحلقوم
فعند ذلك ينقطع نظره عن الدنيا وأهلها ويغلق دونه باب التوبة وتحيط
به الحسرة والندامة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تقبل
توبة العبد ما لم يغرغر وقال مجاهد في قوله تعالى وليست التوبة
للذين يعملون السيئات حتى إذا حضر أحدهم الموت قال إني تبت الآن
قال إذا عاين الرسل فعند ذلك تبدو له صفحة وجه ملك الموت فلا تسأل
عن طعم مرارة الموت وكربه عند ترادف سكراته ولذلك قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم اللهم هون على محمد سكرات الموت والناس إنما
يستعيذون منه ولا يستعظمونه لجهلهم به لأن الأشياء قبل وقوعها
إنما تدرك بنور النبوة والولاية ولذلك عظم خوف الأنبياء عليهم السلام
والأولياء من الموت حتى قال عليه السلام يا معشر الحواريين ادعوا الله أن
يهون علي سكرات الموت فقد خفت مخافة أوقفني خوفي من الموت على
الموت **وروي أن نفرا من بني إسرائيل** مروا بمقبرة فقال
بعضهم لبعض لو دعوتم الله تعالى أن يخرج لكم من هذه المقبرة ميتا تسألونه
فدعوا الله عز وجل فإذا هم برجل قد قام بين عينيه أثر السجود قد خرج
من القبور فقال يا قوم ما أردتم مني لقد ذقت الموت منذ خمسين سنة

عيسى

ألم الموت

سنة ما سكنت مرارة الموت من قلبي • وقالت عائشة رضي الله
عنها لا أغبط أحدا يهون عليه سكرات الموت بعد الذي رأيت من
رسول الله صلى الله عليه وسلم • وروي أنه عليه السلام كان يقول
اللهم إنك تأخذ الروح من بين العصب والقصب والأنامل اللهم
فأعني على الموت وهونه علي • وعن الحسن أن رسول الله صلى الله عليه
وسلم ذكر الموت وغصته وألمه فقال هو قدر ثلثمائة ضربة
بالسيف • وسئل صلى الله عليه وسلم عن الموت وشدته فقال إن
أهون الموت بمنزلة حسكة في صوف فهل تخرج الحسكة من الصوف
إلا ومعها صوف • ودخل صلى الله عليه وسلم على مريض ثم قال
إني لأعلم ما يلقى ما منه عرق إلا ويألم للموت على حدته • وكان علي
رضي الله عنه يحض على القتال • ويقول إن لم تقتلوا تموتوا
والذي نفسي بيده لألف ضربة بالسيف أهون من موت على فراش
وقال الأوزاعي بلغنا أن الميت يجد ألم الموت ما لم يبعث من
قبره • وقال شداد بن أوس الموت أفظع هول في الدنيا والآخرة
على المؤمن وهو أشد من نشر بالمناشير وقرض بالمقاريض وغلي
في القدور ولو أن الميت نشر فأخبر أهل الدنيا بألم الموت
ما انتفعوا بعيش • ولا لذوا بنوم • وعن زيد بن أسلم قال إذا بقي
على المؤمن من درجاته شيء لم يبلغها بعمله شدد عليه الموت ليبلغ
بسكرات الموت وكربه درجته في الجنة وإذا كان للكافر معروف
لم يجز به في الدنيا هون عليه الموت ليستكمل ثواب معروفه
فيصير إلى النار • وعن بعضهم أنه كان يسأل كثيرا من المرضى كيف تجدون
الموت فلما مرض قيل له فأنت كيف تجده فقال كأن السموات مطبقة
على الأرض وكأن نفسي تخرج من ثقب إبرة • وقال صلى الله عليه وسلم
موت الفجأة راحة للمؤمن وأسف على الفاجر • وروي عن مكحول عن النبي
صلى الله عليه وسلم أنه قال لو أن شعرة من شعر الميت وضعت على
أهل السموات والأرض لماتوا بإذن الله لأن في كل شعرة الموت ولا يقع
الموت بشيء إلا مات • ويروى لو أن قطرة من ألم الموت وضعت على جبال

شدة الموت للمؤمن وهونه للكافر

ألم الموت

الدنيا لذابت • وروي ان ابراهيم عليه السلام لما مات قال الله تعالى له
قال الله تعالى له كيف وجدت الموت يا خليلي فقال كسفود جعل في صوف
رطب ثم جذب فقال اما انا قد هونا عليك • وروي عن موسى عليه السلام
انه لما صارت روحه الى الله تعالى قال له ربه يا موسى كيف وجدت الموت
قال وجدت نفسي كالعصفور حين يقلى على المقلى لا يموت فيستريح
ولا ينجو فيطير • وروي عنه انه قال وجدت نفسي كشاة حية تسلخ بيد
القصاب • وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه كان عنده قدح من ماء
عند الموت فجعل يدخل يده في الماء ثم يمسح بها وجهه ويقول اللهم هون علي
سكرات الموت وفاطمة رضي الله عنها تقول واكرباه لكربك يا ابتاه
ويقول لا كرب على ابيك بعد اليوم • وقال عمر رضي الله عنه لكعب الاحبار
حدثنا عن الموت فقال نعم يا امير المؤمنين الموت كغصن كثير الشوك ادخل في جوف
رجل واخذت كل شوكة بعرق ثم جذبه رجل شديد الجذب فاخذ ما اخذ وابقى
ما ابقى • وقال النبي صلى الله عليه وسلم ان العبد ليعالج كرب الموت
وسكرات الموت وان مفاصله ليسلم بعضها على بعض يقول السلام عليك تفارقني
وافارقك الى يوم القيامة فهذه سكرات الموت على اولياء الله واحبابه فما لنا
ونحن المنهمكون في المعاصي • ويتوالى علينا في سكرات الموت بقية الدواهي
فان دواهي الموت ثلث • الاولى شدة النزع كما ذكرناه • الداهية
الثانية مشاهدة صورة ملك الموت ودخول الروع والخوف منه على القلب
فلو رأى صورته التي يقبض عليها روح العبد المذنب اعظم الرجال قوة لم
يطق رؤيته فقد روي عن ابراهيم الخليل عليه السلام انه قال لملك الموت
هل تستطيع ان تريني صورتك التي تقبض فيها روح الفاجر قال لا تطيق
ذلك قال بلى قال فاعرض عني فاعرض عنه ثم راه فاذا هو رجل اسود قائم
الشعر منتن الريح اسود الثياب يخرج من فيه ومن مناخره لهب النار والدخان
فغشي على ابراهيم ثم افاق وقد عاد ملك الموت الى صورته الاولى فقال
يا ملك الموت لو لم يلق الفاجر عند موته الا صورة وجهك لكان حسبه • وروى
ابو هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم ان داود عليه السلام كان رجلا
غيورا وكان اذا خرج غلق الابواب فاغلق ذات يوم وخرج فاشرفت له

يوك وياغى

مفاصيل الانسان تسلم بعضها على بعض عند الموت

الدواهي عند الموت ثلثة

صورة ملك الموت عند النزع

له امرأته فإذا هي برجل في الدار فقالت من أدخل هذا الرجل لئن
جاء داود ليلقين منه عناء فجاء داود فرآه فقال من أنت قال الذي
لا أهاب الملوك ولا يمتنع مني الحجاب قال فأنت إذن والله ملك الموت
وزمل داود عليه السلام مكانه ٥ وروي أن عيسى عليه السلام
مر بجمجمة فضربها برجله فقال تكلمي بإذن الله فقالت يا روح الله أنا ملك
زمان كذا وكذا بينا أنا جالس في ملكي على تاجي وحولي جنودي وحشمي
على سرير ملكي إذ بدا لي ملك الموت فزال مني كل عضو على حياله ثم خرجت
نفسي فيا ليت ما كان من تلك الجموع كان فرقة ويا ليت ما كان من ذلك
الأنس كان وحشة فهذه داهية يلقاها العصاة ويكفاها المطيعون
فقد حكى الأنبياء مجرد سكرة النزع دون الروعة التي يدركها من
يشاهد صورة ملك الموت كذلك ولو رآها في منامه ليلة لتنغص عليه بقية
عمره وكيف برؤيته في مثل تلك الحال ● وأما المطيع فإنه يراه في أحسن
صورة وأجملها فقد روى عكرمة عن ابن عباس أن إبراهيم عليه السلام
أنه كان رجلا غيورا وكان له بيت يتعبد فيه إذا خرج أغلقه فرجع
ذات يوم فإذا رجل في جوف البيت فقال من أدخلك داري فقال
أدخلنيها ربها فقال أنا ربها فقال أدخلنيها من هو أملك بها مني ومنك
فقال فمن أنت من الملائكة قال أنا ملك الموت قال هل تستطيع أن تريني
الصورة التي تقبض فيها روح المؤمن قال نعم فأعرض عني فأعرض عنه
ثم التفت فإذا هو بشاب فذكر من حسن وجهه وحسن ثيابه وطيب ريحه
فقال يا ملك الموت لو لم يلق المؤمن عند الموت إلا صورتك كان حسبه
ومنها مشاهدة الملكين الحافظين ● قال وهيب بلغنا أنه ما من ميت
يموت حتى يتراءى له ملكاه الكاتبان عمله فإن كان مطيعا قالا له جزاك
الله عنا خيرا فرب مجلس صدق أجلستنا وعمل صالح أحضرتنا ● وإن
كان فاجرا قالا له لا جزاك الله عنا خيرا فرب مجلس سوء أجلستنا وعمل
غير صالح أحضرتنا وكلام قبيح أسمعتنا فلا جزاك الله عنا خيرا
فذلك شخوص بصر الميت إليهما ولا يرجع إلى الدنيا أبدا ٥ الداهية
الثالثة مشاهدة العصاة مواضعهم في النار وخوفهم قبل المشاهدة

رؤية ملك الموت
صورة ملك الموت للمؤمن
مشاهدة الملكين الحافظين
نزول الملائكة للمؤمن والفاجر عند الموت

البشارة عند الموت بالجنة او بالنار

فانهم في حال السكرات قد تحادت قواهم واستسلمت بخروج
ارواحهم ولم تخرج ارواحهم ما لم يسمعوا نغمة ملك باحدى البشريين
اما ابشر يا عدو الله بالنار واما ابشر يا ولي الله بالجنة • ومن هذا
كان خوف ارباب الالباب وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم لن
يخرج احدكم من الدنيا حتى يعلم اين مصيره وحتى يرى مقعده من
الجنة او النار • وقال صلى الله عليه وسلم من احب لقاء الله
احب الله لقاءه ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه فقالوا كلنا نكره الموت

اي بشر له عند الموت

فقال ليس ذلك بذلك ان المؤمن اذا فرج له عما هو قادم عليه
احب لقاء الله واحب الله لقاءه وروي ان حذيفة ابن اليمان قال لابن
مسعود وهو لما به من آخر الليل قم فانظر اي ساعة هي فقام ابن
مسعود ثم جاء فقال قد طلعت الحمراء فقال حذيفة اعوذ بالله من
صباح اهل النار • ودخل مروان على ابي هريرة فقال مروان اللهم
خفف عنه فقال ابو هريرة اللهم شدد ثم بكى ابو هريرة وقال والله
ما ابكي حزنا على الدنيا ولا جزعا من فراقكم ولكن انتظر احدى البشريين
من ربي بجنة او بنار • وروي في الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم
انه قال اذا رضي الله عن عبد قال يا ملك الموت اذهب الى فلان
فائتني بروحه لاريحه حسبي من عمله قد بلوته فوجدته حيث احب فينزل
ملك الموت ومعه خمسمائة من الملائكة معهم قضبان الريحان واصول

كثرة الملائكة عند الموت

الزعفران كل واحد منهم يبشره ببشارة سوى بشارة صاحبه
ويقوم الملائكة صفين لخروج روحه معهم الريحان فاذا نظر اليهم
ابليس وضع يده على راسه ثم صرخ فيقول له جنوده ما لك يا سيدنا
فيقول اما ترون ما اعطي هذا العبد من الكرامة اين كنتم عن هذا قالوا
قد جهدنا به فكان معصوما • وقال الحسن لا راحة للمؤمن الا
في لقاء الله ومن كانت راحته في لقاء الله تعالى فيوم الموت يوم سروره
وفرحه وامنه وعزه وشرفه • وقيل لجابر ابن زيد عند الموت
ما تشتهي قال نظرة الى الحسن فلما دخل عليه الحسن قيل له هذا
الحسن فنظر الى الحسن وقال يا اخوتاه الساعة والله افارقكم

أفأرفكم إلى النار أو إلى الجنة • وقال محمد ابن واسع عند الموت
يا إخوتاه عليكم السلام إلى النار أو يعفو الله • وتمنى بعضهم أن يبقى
في النزع أبداً ولا يبعث لثواب ولا عقاب • فخوف الخاتمة قطع قلوب
العارفين وهو من الدواهي العظيمة عند الموت وقد ذكرنا معنى سوء
الخاتمة وشدة خوف العارفين منه في كتاب الخوف والرجا وهو لايق
بهذا الموضع ولكنا لا نطول بذكره وإعادته ۝

بيان ما يستحب من أحوال المحتضر عند الموت ۝

اعلم أن المحبوب عند الموت من صورة المحتضر هو الهدو والسكون
ومن لسانه أن يكون ناطقاً بالشهادة ومن قلبه أن يكون حسن الظن بالله
تعالى أما الصورة فقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال
ارقبوا الميت عند ثلث إذا رشح جبينه ودمعت عيناه ويبست شفتاه
فهي من رحمة الله قد نزلت به • وإذا غط غطيط المخنوق واحمر لونه
واربدت شفتاه فهو من عذاب الله قد نزل به • وأما انطلاق لسانه
بكلمة الشهادة فهي علامة قال أبو سعيد الخدري رضي الله عنه
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لقنوا موتاكم لا إله إلا الله ۝
وفي رواية حذيفة فإنها تهدم ما قبلها من الخطايا • وقال عثمان
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من مات وهو يعلم أن لا إله
إلا الله دخل الجنة وقال عبيد الله وهو يشهد وقال عثمان ۝
رضي الله عنه إذا احتضر الميت فلقنوه لا إله إلا الله فإنه ما من عبد يختم
له بها عند موته إلا كانت زاده إلى الجنة • وقال عمر رضي الله
عنه احضروا موتاكم وذكروهم فإنهم يرون ما لا ترون ولقنوهم
لا إله إلا الله • وقال أبو هريرة رضي الله عنه سمعت رسول الله صلى
الله عليه وسلم يقول حضر ملك الموت رجلاً يموت فنظر في قلبه

انتهى ۝

علامة نزول الرحمة عند الموت

التلقين للمحتضر

فلم تجد فيه شيئاً ففك لحييه فوجد طرف لسانه لاصقاً بحنكه يقول لا إله
إلا الله فغفر له بكلمة الإخلاص • وينبغي للملقن أن لا يلح في التلقين ٥
ولكن يتلطف فربما لا ينطلق لسان المريض فيشق عليه ذلك ويؤدي إلى
استثقال التلقين وكراهية الكلمة ويخشى أن يكون ذلك سبب سوء
الخاتمة وإنما معنى هذه الكلمة أن يموت الرجل وليس في قلبه غير الله ٥
فإذا لم يبق له مطلوب سوى الواحد الحق كان قدومه بالموت على
محبوبه غاية النعيم في حقه وإن كان القلب مشغوفاً بالدنيا ملتفتاً
إليها متأسفاً على لذاتها وكانت الكلمة على رأس اللسان ولم ينطبق القلب
على تحقيقها وقع الأمر في خطر المشيئة فإن مجرد حركة اللسان قليل
الجدوى إلا أن يتفضل الله تعالى بالقبول • وأما حسن الظن فهو مستحب
في هذا الوقت • وقد ذكرنا ذلك في كتاب الرجاء وقد وردت الأخبار
بفضل حسن الظن • ودخل واثلة بن الأسقع رضي الله عنه على مريض ٥
فقال • أخبرني كيف ظنك بالله قال أغرقتني ذنوب لي وأشفيت
على هلكة ولكني أرجو رحمة ربي فكبر واثلة وكبر أهل البيت بتكبيره وقال
الله أكبر سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يقول الله
عز وجل أنا عند ظن عبدي بي فليظن بي خيراً ما شاء • ودخل النبي صلى الله
عليه وسلم على شاب وهو يموت • فقال كيف تجدك فقال أرجو الله
وأخاف ذنوبي فقال صلى الله عليه وسلم ما اجتمعا في قلب عبد في
مثل هذا الموطن إلا أعطاه الذي يرجو وأمنه من الذي يخاف • وقال
ثابت البناني كان شاب به حدة وكان له أم تعظه كثيراً وتقول له يا
بني إن لك يوماً فاذكر يومك • فلما نزل به أمر الله تعالى أكبت عليه أمه
فجعلت أمه تقول له يا بني قد كنت أحذرك مصرعك هذا وأقول إن لك
يوماً فقال • يا أمه إن لي رباً كثير المعروف وإني لأرجو أن لا يعدمني اليوم
بعض معروفه • قال ثابت رحمه الله فرحمه الله بحسن ظنه بربه ٥
وقال • جابر بن وداعة كان شاب به رهق فاحتضر فقالت له أمه
يا بني توصي بشيء قال نعم خاتمي لا تسلبيه فإن فيه ذكر الله تعالى فلعل
الله أن يرحمني فلما دفن رؤي في المنام فقال أخبروا أمي أن الكلمة قد نفعتني

تفتنني والله قد غفر لي ومرض اعرابي فقيل له انك تموت فقال اين يذهب بي
قالوا الى الله تعالى قال فما كراهتي ان اذهب الى من لا يرى الخير الا منه
وقال المعتمر بن سليمان قال ابي حين حضرته الوفاة يا بني حدثني بالرخص
لعلي القى الله تعالى وانا حسن الظن به وكانوا يستحبون ان يذكر العبد محاسن
عمله عند موته لكي يحسن ظنه بربه

بيان الحسرة عند لقاء

ملك الموت بحكايات يعرب بلسان الحال عنها

قال اشعث بن اسلم سأل ابراهيم عليه السلام ملك الموت واسمه عزرائيل
وله عينان عين في وجهه وعين في قفاه فقال يا ملك الموت ما تصنع اذا كان
نفس بالمشرق ونفس بالمغرب ووقع الوبا بارض والتقى الزحفان كيف تصنع قال
ادعو الارواح باذن الله فتكون بين اصبعي هاتين قال ودحيت
له الارض فتركت مثل الطست بين يديه يتناول منها حيث شاء وهو يبشره
بانه خليل الله تعالى وقال سليمان بن داود لملك الموت عليه
السلام ما لي لا اراك تعدل بين الناس تأخذ هذا وتدع هذا قال ما انا
باعلم بذلك منك انما هي صحف او كتب تلقى الي فيها اسماء وقال وهب
ابن منبه كان ملك من الملوك اراد ان يركب الى ارض فدعا بثياب ليلبسها
فلم تعجبه فطلب غيرها حتى لبس ما اعجبه بعد مرات وكذلك طلب دابة
فاتي بها فلم تعجبه حتى اتي بدواب فركب احسنها فجاء ابليس فنفخ
في منخره نفخة فملأه كبرا ثم سار وسارت معه الخيول وهو لا ينظر الى الناس
كبرا فجاءه رجل رث الهيئة فسلم فلم يرد عليه السلام فاخذ بلجام دابته
فقال ارسل اللجام فقد تعاطيت امرا عظيما قال ان لي اليك حاجة
قال اصبر حتى انزل قال لا الآن فقهره على لجام دابته فقال اذكرها
فقال هو سر فادنى اليه راسه وقال انا ملك الموت فتغير لون
الملك واضطرب لسانه وقال دعني حتى ارجع الى اهلي واقضي حاجتي
واودعهم قال لا والله لا ترى اهلك ابدا فقبض روحه فخر كانه

خشبة ثم مضى فلقي عبدا مؤمنا في تلك الحال فسلم عليه السلام عليه فرد
السلام وقال ان لي اليك حاجة اذكرها في اذنك فقال هات فساره
وقال انا ملك الموت فقال مرحبا واهلا بمن طالت غيبته علي والله ما
كان في الارض غايب احب الي ان القاه منك فقال ملك الموت اقض حاجتك
التي خرجت لها فقال ما لي حاجة اكبر عندي ولا احب من لقاء الله تعالى
قال فاختر على اي حال شئت اقبض روحك قال تقدر على ذلك
قال نعم اني امرت بذلك قال فدعني ان اتوضأ واصلي فاقبض روحي
وانا ساجد فقبض روحه وهو ساجد وقال بكر بن عبد الله المزني
جمع رجل من بني اسرائيل مالا فلما اشرف على الموت قال لبنيه اروني اصناف
اموالي فاتي بشيء كثير من الخيل والابل والرقيق وغيره فلما نظر اليه بكى
تحسرا عليه فرآه ملك الموت وهو يبكي فقال ما يبكيك فوالذي خولك
ما خولك ما انا بخارج من منزلك حتى افرق بينك وبين روحك وبدنك
قال فالمهلة حتى افرقه قال هيهات انقطعت عنك المهلة فهلا كان
ذلك قبل حضور اجلك فقبض روحه ويروى ان رجلا جمع مالا فاوعى ولم
يدع صنفا من المال الا اتخذه وابتنى قصرا وجعل عليه بابين وثيقين وجمع
عليه حرسا من غلمانه ثم جمع اهله وصنع لهم طعاما وقعد على سريره
ورفع احدى رجليه على الاخرى وهم ياكلون فلما فرغوا قال يا نفس
انعمي سنين قد جمعت لك ما يكفيك فلم يفرغ من كلامه حتى اقبل عليه
ملك الموت في هيئة رجل عليه خلقان من الثياب في عنقه مخلاة يتشبه
بالمساكين فقرع الباب بشدة عظيمة قرعا افزعه على فراشه فوثب اليه الغلمة
وقالوا ما شانك فقال ادعوا الي مولاكم قالوا والى مثلك يخرج مولانا قال نعم
فاخبروه بذلك فقال هلا فعلتم به وفعلتم فقرع قرعة اشد من الاولى
فوثب اليه الحرس فقال اخبروه اني ملك الموت فلما سمعوه القي عليهم
الرعب ووقع على مولاهم الذل والتخشع فقال قولوا له قولا لينا وقولوا له
هل تاخذ به احدا فدخل عليه فقال اصنع في مالك ما انت صانع فلست بخارج
منها حتى اخرج نفسك فامر بماله حتى وضع بين يديه فقال حين رآه
لعنك الله من مال انت شغلتني عن عبادة ربي ومنعتني ان اتخلى لربي فانطق

اذنك

استعداد للموت

حكايات في ملك الموت
غرايب
عجايب

موت الاغنياء

قرعة

[illegible] بالمال عند الموت

فأنطق الله المال فقال لم تسبني وأنت كنت تدخل على السلطان بي
ويرد المتقون عن بابه وكنت تنكح المنعمات بي وتجلس مجالس الملوك بي
وتنفقني في سبيل الشر فلا أمتنع منك ولو أنفقتني في سبيل الخير نفعتك
وخلقت وابن آدم من تراب فمنطلق ببر ومنطلق بإثم ثم قبض ملك الموت
روحه فسقط • وقال وهب بن منبه قبض ملك الموت روح جبار من
الجبابرة ما في الأرض مثله ثم عرج إلى السماء فقالت الملائكة لمن كنت أشد
رحمة ممن قبضت روحه قال أمرت بقبض نفس امرأة في فلاة فأتيتها
وقد ولدت مولودا فرحمتها لغربتها ورحمت ولدها لصغره وكونه في فلاة
لا متعهد لها فقالت الملائكة الجبار الذي قبضت روحه هو ذلك المولود الذي رحمته
فقال ملك الموت سبحان اللطيف لما يشاء • قال عطاء بن يسار إذا كانت
ليلة النصف من شعبان دفع إلى ملك الموت صحيفة فيقال اقبض في هذه
السنة من في هذه الصحيفة قال فإن العبد ليغرس الغراس وينكح الأزواج
ويبني البنيان وإن اسمه في تلك الصحيفة وهو لا يدري • وقال الحسن
ما من يوم إلا وملك الموت يتصفح كل بيت ثلاث مرات فمن وجده منهم قد
استوفى رزقه وانقضى أجله قبض روحه فإذا قبض روحه أقبل أهله
برنة وبكاء فيأخذ ملك الموت بعضادتي الباب فيقول والله ما أكلت له رزقا
ولا أفنيت له عمرا ولا انتقصت له أجلا وإن لي فيكم لعودة ثم عودة
حتى لا أبقي منكم أحدا • قال الحسن فوالله لو يرون مقامه ويسمعون
كلامه لذهلوا عن ميتهم ولبكوا على أنفسهم • وقال يزيد الرقاشي
بينما جبار من الجبابرة من بني إسرائيل جالس في منزله قد خلا ببعض
أهله إذ نظر إلى شخص قد دخل من باب بيته فثار إليه فزعا مغضبا فقال
من أنت ومن أدخلك على داري فقال أما الذي أدخلني الدار فربها وأما
أنا فالذي لا يمتنع مني الحجاب ولا أستأذن على الملوك ولا أخاف صولة
المتسلطين ولا يمتنع مني كل جبار عنيد ولا شيطان مريد فأسقط في يد
الجبار وارتعد حتى سقط منكبا على وجهه ثم رفع إليه رأسه مستخذيا
متذللا له فقال له أنت إذا ملك الموت قال أنا هو قال فهل أنت ممهلي
حتى أحدث عهدا قال هيهات انقطعت مدتك وانقضت أنفاسك

نفعه في الخير والشر

موت الجبابرة والظالم

نصف شعبان

تفحص ملك الموت كل يوم ثلاث مرات كل بيت

موت الجبابرة

ونفدت ساعاتك فليس الا ان اخبرك بسبيل قال الى اين تذهب بي قال
الى عملك الذي قدمته والى بيتك الذي مهدته قال فاني لم اقدم عملا
صالحا ولم امهد بيتا حسنا قال فالى لظى نزاعة للشوى ثم قبض
روحه فسقط بين اهله فمن بين صارخ وباك قال يزيد الرقاشي لو تعلمون
سوء المنقلب كان العويل على ذلك اكثر • وعن الاعمش عن خيثمة قال
دخل ملك الموت على سليمان بن داود فجعل ينظر الى رجل من جلسائه يديم
النظر اليه فلما خرج قال الرجل من هذا قال ملك الموت قال لقد رايته
ينظر الي كانه يريدني قال فما ذا تريد قال اريد ان تخلصني عنه فتامر الريح ان
تحملني الى ارض الهند قال ففعلت الريح ثم قال سليمان لملك الموت ٥
بعد ان اتاه رايتك تديم النظر الى واحد من جلسائي قال نعم كنت
اتعجب منه لاني امرت ان اقبضه بالهند في ساعة قريبة وكان عندك فعجبت

عمل الصالح

لا مخلص من الموت

الباب الرابع في وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم

• والخلفاء الراشدين بعده ٥ •

اعلم ان في رسول الله اسوة حسنة حيا وميتا وفعلا وقولا وجميع احواله
عبرة للناظرين وتبصرة للمستبصرين اذ لم يكن احد اكرم على الله منه
اذ كان خليل الله وحبيبه ونجيه وكان صفيه ورسوله ونبيه فانظر هل
امهله ساعة عند انقضاء مدته وهل اخره لحظة بعد حضور منيته
لا بل ارسل اليه الملائكة الكرام الموكلين بقبض ارواح الانام فجدوا
بروحه الزكية لينقلوها وعالجوها ليرحلوها عن جسده الطاهر الى
رحمة ورضوان وخيرات حسان بل الى مقعد صدق في جوار الرحمن ٥
فاشتد مع ذلك في النزع كربه وظهر انينه وترادف قلقه وارتفع
حنينه وتغير لونه وعرق جبينه واضطربت في الانقباض والانبساط
شماله ويمينه حتى بكى لمصرعه من حضره وانتحب لشدة حاله من شاهد
منظره فهل رايت منصب النبوة دافعا عنه مقدورا وهل راقب الملك
فيه اهلا وعشيرا او هل ساعده اذ كان للحق نصيرا • وللخلق بشيرا ونذيرا

وَنَذِيرًا • هَيْهَاتَ بَلِ امْتَثَلَ مَا كَانَ بِهِ مَأْمُورًا • وَاتَّبَعَ مَا وَجَدَهُ فِي اللَّوْحِ مَسْطُورًا
فَهَذَا كَانَ حَالُهُ وَهُوَ عِنْدَ اللهِ ذُو الْمَقَامِ الْمَحْمُودِ وَالْحَوْضِ الْمَوْرُودِ وَهُوَ
أَوَّلُ مَنْ تَنْشَقُّ الْأَرْضُ عَنْهُ وَهُوَ صَاحِبُ الشَّفَاعَةِ يَوْمَ الْعَرْضِ وَالْعَجَبُ أَنَّا
لَا نَعْتَبِرُ بِهِ وَلَسْنَا عَلَى ثِقَةٍ فِيمَا نَلْقَاهُ بَلْ نَحْنُ أُسَرَاءُ الشَّهَوَاتِ • وَقُرَنَاءُ الْمَعَاصِي
وَالسَّيِّئَاتِ • فَمَا بَالُنَا لَا نَتَّعِظُ بِمَصْرَعِ مُحَمَّدٍ سَيِّدِ الْمُرْسَلِينَ وَإِمَامِ الْمُتَّقِينَ
وَحَبِيبِ رَبِّ الْعَالَمِينَ • لَعَلَّنَا نَظُنُّ أَنَّا مُخَلَّدُونَ • أَوْ نَتَوَهَّمُ أَنَّا مَعَ سُوءِ
أَفْعَالِنَا عِنْدَ اللهِ مُكْرَمُونَ • هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ بَلْ نَتَيَقَّنُ أَنَّا جَمِيعًا عَلَى النَّارِ
وَارِدُونَ • ثُمَّ لَا يَنْجُو مِنْهَا إِلَّا الْمُتَّقُونَ • فَنَحْنُ لِلْوُرُودِ مُسْتَيْقِنُونَ وَلِلصَّدَرِ
عَنْهَا مُتَوَهِّمُونَ • لَا بَلْ ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا إِنْ كُنَّا كَذَلِكَ لِغَالِبِ الظَّنِّ مُنْتَظِرِينَ
فَمَا نَحْنُ وَاللهِ مِنَ الْمُتَّقِينَ • وَقَدْ قَالَ اللهُ تَعَالَى رَبُّ الْعَالَمِينَ • وَإِنْ مِنْكُمْ
إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَقْضِيًّا • ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا وَنَذَرُ
الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا • فَلْيَنْظُرْ كُلُّ عَبْدٍ إِلَى نَفْسِهِ أَنَّهُ إِلَى الظَّالِمِينَ أَقْرَبُ أَمْ
إِلَى الْمُتَّقِينَ • وَانْظُرْ إِلَى نَفْسِكَ بَعْدَ أَنْ تَنْظُرَ إِلَى سِيرَةِ السَّلَفِ الصَّالِحِينَ
فَلَقَدْ كَانُوا مَعَ مَا وُفِّقُوا لَهُ مِنَ الْخَائِفِينَ • ثُمَّ انْظُرْ إِلَى سَيِّدِ الْمُرْسَلِينَ
وَإِنَّهُ قَدْ كَانَ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى يَقِينٍ • إِذْ كَانَ سَيِّدَ النَّبِيِّينَ وَقَائِدَ الْمُتَّقِينَ
اعْتَبِرْ كَيْفَ كَانَ كَرْبُهُ عِنْدَ فِرَاقِ الدُّنْيَا وَكَيْفَ اشْتَدَّ أَمْرُهُ عِنْدَ الِانْقِلَابِ
إِلَى جَنَّةِ الْمَأْوَى • قَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ دَخَلْنَا عَلَى رَسُولِ
اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي بَيْتِ أُمِّنَا عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا حِينَ دَنَا
الْفِرَاقُ فَنَظَرَ إِلَيْنَا فَدَمَعَتْ عَيْنَاهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثُمَّ قَالَ مَرْحَبًا
بِكُمْ حَيَّاكُمُ اللهُ آوَاكُمُ اللهُ نَصَرَكُمُ اللهُ • أُوصِيكُمْ بِتَقْوَى اللهِ أُوصِي اللهَ
بِكُمْ إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُبِينٌ أَنْ لَا تَعْلُوا عَلَى اللهِ فِي عِبَادِهِ وَبِلَادِهِ
وَقَدْ دَنَا الْأَجَلُ وَالْمُنْقَلَبُ إِلَى اللهِ وَإِلَى سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى وَإِلَى جَنَّةِ
الْمَأْوَى وَالْكَأْسِ الْأَوْفَى فَاقْرَؤُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ وَعَلَى مَنْ دَخَلَ فِي
دِينِكُمْ بَعْدِي مِنِّي السَّلَامَ وَرَحْمَةَ اللهِ • وَرُوِيَ أَنَّهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
قَالَ لِجِبْرِيلَ عِنْدَ مَوْتِهِ مَنْ لِأُمَّتِي بَعْدِي فَأَوْحَى اللهُ تَعَالَى إِلَى
جِبْرِيلَ أَنْ بَشِّرْ حَبِيبِي أَنِّي لَا أَخْذُلُهُ فِي أُمَّتِهِ وَبَشِّرْهُ أَنَّهُ أَسْرَعُ
النَّاسِ خُرُوجًا مِنَ الْأَرْضِ إِذَا بُعِثُوا وَسَيِّدُهُمْ إِذَا جُمِعُوا وَأَنَّ الْجَنَّةَ

وفاة رسول الله

مخرمة على الامر حتى تدخلها امته فقال الآن قرت عيني وقالت
عائشة رضي الله عنها امرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ان نغسله
بسبع قرب من سبع آبار ففعلنا ذلك فوجد راحة فخرج وصلى بالناس
واستغفر لاهل احد ودعا لهم واوصى بالانصار فقال اما بعد يا معشر
الانصار والمهاجرين فانكم تزيدون واصبحت الانصار لا تزيد على هيئتها التي
عليها اليوم وان الانصار عيبتي التي اويت اليها فاكرموا كريمهم ٥
يعني محسنهم وتجاوزوا عن مسيئهم ثم قال ان عبدا خير بين الدنيا وبين
ما عند الله فاختار ما عند الله فبكى ابو بكر رضي الله عنه وظن انه يريد نفسه
فقال النبي صلى الله عليه وسلم على رسلك يا ابا بكر سدوا هذه الابواب
الشوارع في المسجد الا باب ابي بكر فاني لا اعلم امرأ افضل عندي في الصحبة
من ابي بكر قالت عائشة رضي الله عنها فقبض رسول الله صلى الله عليه وسلم
في بيتي وفي يومي وبين سحري ونحري وجمع الله بين ريقي وريقه عند الموت ٥
فدخل علي اخي عبد الرحمن وبيده سواك فجعل ينظر اليه فعرفت انه يعجبه ذلك ٥
فقلت آخذه لك فاومى برأسه اي نعم فناولته اياه فادخله في فيه فاشتد
عليه فقلت الينه لك فاومى برأسه اي نعم فلينته وكان بين يديه ركوة
ماء فجعل يدخل يده فيها ويقول لا اله الا الله ان للموت لسكرات ثم نصب
يده يقول الرفيق الاعلى الرفيق الاعلى فقلت اذن والله لا يختارنا ● وروى
سعيد بن عبد الله عن ابيه قال لما رأت الانصار ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم يزداد ثقلا طافوا بالمسجد فدخل العباس رضي الله عنه ٥
على النبي صلى الله عليه وسلم فاعلمه بمكانهم واشفاقهم ثم دخل عليه
الفضل فاعلمه بمثل ذلك ثم دخل علي رضي الله عنه بمثله فمد يده وقال ها
فتناولوه فقال ما يقولون قال يقولون نخشى ان تموت وتصايح
نساؤهم لاجتماع رجالهم الى النبي صلى الله عليه وسلم فثار رسول الله
صلى الله عليه وسلم فخرج متوكئا على علي والفضل والعباس امامه ورسول
الله صلى الله عليه وسلم معصوب الراس يخط برجليه حتى جلس على اسفل
مرقاة من المنبر وثاب الناس اليه فحمد الله واثنى عليه وقال ايها الناس
انه بلغني انكم تخافون علي الموت كانه استنكار منكم للموت وما تنكرون

تنكرون من موت نبيكم الدائم لكم وتنعي إليكم أنفسكم هل خلد
نبي قبلي فيمن بعث فأخلد فيكم ألا إني لاحق بربي وإنكم لاحقون به وإني
أوصيكم بالمهاجرين الأولين خيرا وأوصي المهاجرين فيما بينهم ۝
فإن الله عز وجل قال والعصر إن الإنسان لفي خسر إلا الذين آمنوا
وعملوا الصالحات إلى آخرها وإن الأمور تجري بإذن الله فلا يحملنكم
استبطاء أمر الله على استعجاله فإن الله عز وجل لا يعجل لعجلة أحد ومن
غالب الله غلبه ومن خادع الله خدعه فهل عسيتم إن توليتم أن ۝
تفسدوا في الأرض وتقطعوا أرحامكم أوصيكم بالأنصار خيرا
فإنهم الذين تبوؤوا الدار والإيمان من قبلكم أن تحسنوا إليهم ألم ۝
يشاطروكم الثمار ألم يوسعوا عليكم في الديار ألم يؤثروكم على أنفسهم
وبهم الخصاصة ألا فمن ولي أن يحكم بين رجلين فليقبل من محسنهم
وليتجاوز عن مسيئهم ألا ولا تستأثروا عليهم ألا وإني فرط
لكم وأنتم لاحقون بي ألا وإن موعدكم الحوض حوضي أعرض
حوض النبي ع م
ما بين بصرى والشام وصنعاء اليمن يصب فيه من ميزاب الكعبة
ماء أشد بياضا من اللبن وألين من الزبد وأحلى من الشهد
من شرب منه لم يظمأ أبدا حصباؤه اللؤلؤ وبطحاؤه من مسك ۝
من حرمه في الموقف حرم الخير كله ألا فمن أحب أن يرده علي
كف اللسان واليد
غدا فليكفف لسانه ويده إلا مما ينبغي فقال العباس يا نبي الله ۝
أوص بقريش فقال إنما أوصي بهذا الأمر قريشا والناس تبع
لقريش برهم لبرهم وفاجرهم لفاجرهم فاستوصوا آل قريش
بالناس خيرا يا أيها الناس إن الذنوب تغير النعم وتبدل القسم ۝
فإذا بر الناس برهم أئمتهم وإذا فجر الناس عقوهم قال الله
الظالمين
تعالى وكذلك نولي بعض الظالمين بعضا بما كانوا يكسبون ۝
وروي ابن مسعود رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم
قال لأبي بكر سل يا أبا بكر فقال يا رسول الله دنا الأجل
فقال قد دنا الأجل وتدلى فقال ليهنك يا نبي الله ما عند الله ۝
فليت شعري عن منقلبنا فقال إلى الله وإلى سدرة المنتهى ثم إلى

جنة المأوى والعرش الأعلى والكأس الأوفى والرفيق الأعلى ه
والعيش المهنا فقال يا نبي الله من يلي غسلك قال رجال
من أهل بيتي الأدنى فالأدنى قال ففيم نكفنك فقال في ثيابي هذه
وفي حلة يمنية وفي ثياب مصر فقال كيف الصلاة عليك منا وبكينا
وبكى ثم قال مهلا غفر الله لكم وجزاكم عن نبيكم خيرا إذا غسلتموني
وكفنتموني فضعوني على سريري في بيتي هذا على شفير قبري ثم اخرجوا
عني ساعة فإن أول من يصلي علي الله عز وجل هو الذي يصلي عليكم ه
وملائكته ثم يأذن للملائكة في الصلاة علي فأول من يدخل علي
من خلق الله ويصلي علي جبريل ثم ميكائيل ثم إسرافيل ثم ملك الموت مع
جنود كثيرة ثم الملائكة بأجمعها صلى الله عليهم أجمعين ثم أنتم ادخلوا
علي أفواجا زمرة بعد زمرة وسلموا تسليما ولا تؤذوني بتزكية ولا
رنة وليبدأ منكم الإمام وأهل بيتي الأدنى فالأدنى ثم زمرة
النساء ثم زمرة الصبيان قال فمن يدخل القبر قال زمر أهل بيتي
الأدنى فالأدنى مع ملائكة كثيرة لا ترونهم وهم يرونكم قوموا
فأدوا عني إلى من بعدي وقال عبد الله بن زمعة جاء بلال في
شهر ربيع الأول فأذن بالصلاة فقال رسول الله صلى الله
عليه وسلم مروا أبا بكر فليصل بالناس فخرجت فلم أر بحضرة الباب
إلا عمر في رجال ليس فيهم أبو بكر فقلت قم يا عمر فصل بالناس
فقام عمر فلما كبر وكان رجلا صيتا سمع رسول الله صلى الله عليه
وسلم صوته بالتكبير فقال أين أبو بكر يأبى الله ذلك والمسلمون
قالها ثلاث مرات مروا أبا بكر فليصل بالناس فقالت عائشة
رضي الله عنها يا رسول الله إن أبا بكر إن أبا بكر رجل رقيق إذا قام مقامك
غلبه البكاء قال إنكن صواحبات يوسف مروا أبا بكر فليصل
بالناس قال فصلى أبو بكر بعد الصلاة التي صلى عمر وكان
عمر يقول لعبد الله بن زمعة بعد ذلك ويحك ما صنعت بي والله
لولا أني ظننت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمرك ما فعلته
فيقول عبد الله إني لم أر أحدا أولى بذلك منك قالت عائشة وما

وما قلت ذلك ولا صرفه عني ابي بكر الا رغبة به عن الدنيا ولما في
الولاية من المخاطرة والهلكة الا ما سلم الله وخشيت ايضا
ان لا يكون الناس يحبون رجلا صلى في مقام رسول الله صلى الله
عليه وسلم وهو حي ابدا الا ان يشا الله ويحسدونه ويبغونه
عليه ويتشامون به فاذا الامر امر الله والقضا قضاوه وعصمه
الله من كل ما تخوفت عليه من امر الدنيا والدين وقالت عايشة
رضي الله عنها فلما كان اليوم الذي مات فيه رسول الله صلى الله عليه
وسلم رأوا منه خفة في اول النهار فتفرق عنه الرجال الى منازلهم
وحوايجهم مستبشرين واخلوا رسول الله صلى الله عليه وسلم
بالنساء فبينا نحن على ذلك لم نكن على مثل حالنا في الرجاء والفرج
قبل ذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اخرجن عني هذا
الملك يستاذن علي فخرج من في البيت غيري وراسه في حجري فجلس
وتنحيت في ناحية البيت فناجى الملك طويلا ثم دعاني فاعاد راسه
في حجري فجلس وتنحيت في ناحية البيت فناجى الملك طويلا ثم انه دعا
فاعاد راسه في حجري وقال للنسوة ادخلن فقلت ما هذا
بحس جبريل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اجل يا عايشة
هذا ملك الموت جاني فقال ان الله عز وجل ارسلني وامرني
ان لا ادخل اليك الا باذن فان لم ياذن لي رجعت وان اذنت لي
دخلت وامرني ان لا اقبضك حتى تامرني فما ذا امرك فقلت اكفف
عني حتى ياتيني جبريل عليه السلام فهذه ساعة جبريل قالت عايشة
فاستقبلنا بامر لم يكن له عندنا جواب ولا راي فوجمنا وكانما ضربنا
بصاخة ما نحير اليه شيا وما يتكلم احد من اهل البيت اعظاما لذلك
الامر وهيبة ملات اجوافنا قالت وجا جبريل في ساعته فسلم
وعرفت حسه وخرج اهل البيت فدخل فقال ان الله عز وجل
يقرا عليك السلام ويقول كيف تجدك وهو اعلم بالذي تجد منك
ولكن اراد ان يزيدك كرامة وشرفا وان يتم كرامتك وشرفك
على الخلق وان يكون سنة في امتك فقال اجدني وجعا قال ابشر فان

الله اراد ان يبلغك ما اعد لك فقال يا جبريل ان ملك استاذن
علي واخبره الخبر فقال جبريل يا محمد ان ربك اليك مشتاق الم اعلمك
الذي يريد بك لا والله ما استاذن ملك الموت على احد قط ولا
يستاذن عليه ابدا الا ان الله متمم شرفك وهو اليك مشتاق
قال فلا تبرح اذن حتى يجي واذن للنسا فقال ادني يا فاطمة فاكبت
عليه فناجاها فرفعت راسها وعيناها تدمع وما تطيق الكلام ثم
قال ادني مني راسك فاكبت عليه فناجاها وهي تضحك وما تطيق الكلام
والذي راينا منها عجبا فسالناها بعد ذلك فقالت اخبرني وقال
اني ميت اليوم فبكيت ثم قال اني دعوت الله ان يلحقك بي في اول
اهلي وان يجعلك معي واذنت وفي رواية ادنت راسها منه فتبسم

فاضحكني

قالت وجا ملك الموت فسلم واستاذن فاذن له فقال الملك ما تامر
قال الحقني بربي الان فقال بلى من يومك هذا الا ان ربك اليك مشتاق
ولم يتردد عن احد ترددة عنك ولم ينهني عن الدخول على احد الا
باذن غيرك ولكن ساعتك امامك وخرج قالت وخرج جبريل فقال
السلام عليك يا رسول الله هذا اخر ما انزل فيه الى الارض ابدا طوي
الوحي وطويت الدنيا وما كانت لي في الارض حاجة غيرك وما لي
فيها حاجة الا حضورك ثم لزوم موقفي ولا والذي بعث محمدا بالحق
ما في البيت احد يستطيع ان يحير اليه في ذلك كلمة ولا يبعث الى احد
لعظم ما سمع من حديثه ووجدنا واشفقنا قالت فقمت الى النبي صلى
الله عليه وسلم حتى اضع راسه بين ثديي وامسكت بصدره وجعل
يغمى عليه وجبهته ترشح رشحا ما رايته من انسان قط فجعلت اسلت
ذلك العرق وما وجدت رايحة شي قط اطيب منه فكنت اقول له اذا افاق
بابي وامي واهلي ونفسي ما تلقى جبهتك من الرشح فقال يا عايشه
ان نفس المومن تخرج بالرشح ونفس الكافر تخرج من شدقه كنفس الحمار
فعند ذلك ارتعنا وبعثنا الى اهلنا وكان اول رجل جانا ولم يشهده
اخي بعثه الي ابي فمات رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل ان يجي احد
وانما صدهم الله عنه لانه ولاه جبريل وميكائيل وجعل اذا اغمي

عليه فقال بل الرفيق الأعلى كانت الحيرة تعاد عليه فإذا أطاق الكلام
قال الصلاة الصلاة كان يوصي بها حتى مات وهو يقول الصلاة
الصلاة قالت عائشة مات رسول الله صلى الله عليه وسلم بين
ارتفاع الضحى وانتصاف النهار يوم الاثنين قالت فاطمة ما لقيت من يوم
الاثنين مات فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم وفيه قتل علي
والله لا تزال الأمة تصاب فيه بعظيمة وقالت أم كلثوم يوم أصيب علي
بالكوفة مثلها ما لقيت من يوم الاثنين مات فيه رسول الله صلى الله
عليه وسلم وفيه قتل علي وفيه قتل أبي فما لقيت من يوم الاثنين
وقالت عائشة رضي الله عنها لما مات رسول الله صلى الله عليه
وسلم اقتحم الناس حين ارتفعت الرنة وسجى رسول الله صلى الله عليه
وسلم الملائكة بثوبي واختلفوا فكذب بعضهم بموته وأخرس
بعضهم فما تكلم إلا بعد البعد وخلط آخرون فلاثوا الكلام بغير بيان
وبقي آخرون ومعهم عقولهم وأقعد آخرون فكان عمر بن الخطاب
ممن كذب بموته وعلي فيمن أقعد وعثمان فيمن أخرس فخرج عمر
على الناس وقال إن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يمت
وليرجعنه الله عز وجل وليقطعن أيدي وأرجل من رجال من المنافقين
يتمنون لرسول الله صلى الله عليه وسلم الموت إنما واعده ربه عز
كما واعد موسى وهو آتيكم وفي رواية أنه قال يا أيها الناس كفوا
ألسنتكم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فإنه لم يمت والله لا أسمع
أحدا يذكر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد مات إلا علوته
بسيفي هذا وأما علي فإنه أقعد فلم يبرح البيت وأما عثمان فجعل
لا يكلم أحدا يؤخذ بيده فيجاء به ويذهب به ولم يكن أحد من المسلمين
في مثل حال أبي بكر والعباس فإن الله تعالى عزم لهما على التوفيق
والسداد وإن كان الناس لم يرعووا إلا بقول أبي بكر حتى جاء العباس
فقال والله الذي لا إله إلا هو لقد ذاق رسول الله صلى الله
عليه وسلم الموت ولقد قال وهو بين أظهركم إنك ميت وإنهم ميتون
ثم إنكم يوم القيامة عند ربكم تختصمون وبلغ أبا بكر الخبر وهو في بني

مطلب

الحارث بن الخزرج فجاء فدخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فنظر اليه
فاكب عليه فقبله ثم قال بابي انت وامي ما كان الله ليذيقك الموت
مرتين فقد والله توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم خرج الى الناس
فقال ايها الناس من كان يعبد محمدا فان محمدا قد مات ومن كان يعبد رب
محمد فانه حي لا يموت قال الله تعالى وما محمد الا رسول قد خلت من قبله
افان مات او قتل انقلبتم على اعقابكم فكان الناس لم يسمعوا هذه الاية
الا يومئذ • وفي رواية ان ابا بكر لما بلغه الخبر دخل بيت رسول الله
صلى الله عليه وسلم وعيناه تهملان وغصصه تنفع كقطع الجرة وهو
في ذلك جلد الفعل والمقال فاكب عليه فكشف عن وجهه وقبل جبينه
وخديه ومسح وجهه وجعل يبكي ويقول بابي انت وامي ونفسي واهلي
طبت حيا وميتا انقطع لموتك ما لم ينقطع لموت احد من الانبياء فعظمت
وجللت عن البكاء وخصصت حتى صرت مسلاة وعممت حتى صرنا فيك سواء
ولولا ان موتك كان اختيارا لجدنا لحزنك بالنفوس ولولا انك نهيت
عن البكاء لانفدنا عليك ماء الشؤون فاما ما لا نستطيع نفيه عنا فكمدا
وادكار محالفان لا يبرحان اللهم فابلغه عنا اذكرنا يا محمد صلى الله
عليك عند ربك ولنكن من بالك فلولا ما خلفت من السكينة لم يقم
احد لما خلفت من الوحشة اللهم ابلغ نبيك عنا واحفظه فينا • وعن
ابن عمر انه لما دخل ابو بكر البيت واثنى وصلى عج اهل البيت عجيجا
سمع اهل المصلى كلما ذكر شيئا ازدادوا فما سكن عجيجهم الا تسليم رجل
على الباب صيت جليد قال السلام عليكم يا اهل البيت كل
نفس ذائقة الموت ان في الله خلفا من كل احد ودركا لكل رغبة
ونجاة من كل مخافة فالله فارجوا وبه فثقوا فاستمعوا له فانكروه
وقطعوا البكاء فلما انقطع البكاء فقد صوته فاطلع احدهم فلم ير احدا
ثم عادوا فبكوا فناداهم مناد اخر لا يعرفون صوته يا اهل البيت
اذكروا الله واحمدوه على كل حال تكونوا من المخلصين ان في الله
عز وجل عزاء من كل مصيبة وعوضا من كل رغبة فالله فاطيعوا
وبامره فاعملوا فقال ابو بكر هذا الخضر واليسع حضرا النبي

النبي صلى الله عليه وسلم واستنوفى القعقاع بن عمرو ث

حكاية خطبة أبي بكر رضي الله عنه فقال ــــ فقام أبو
بكر في الناس خطيبا حيث قضى الناس عبراتهم خطبة جلها الصلاة
على النبي صلى الله عليه وسلم فحمد الله على كل حال وأثنى عليه وقال
أشهد أن لا إله إلا الله وحده صدق وعده ونصر عبده وغلب الأحزاب
فلله الحمد وحده وأشهد أن محمدا عبده ورسوله وخاتم أنبيائه وأشهد
أن الكتاب كما أنزل وأن الدين كما شرع وأن الحديث كما حدث
وأن القول كما قال وأن الله هو الحق المبين اللهم فصل على محمد
عبدك ورسولك ونبيك وحبيبك وأمينك وخيرتك وصفوتك بأفضل
ما صليت به على أحد من خلقك اللهم واجعل صلاتك ومعافاتك
ورحمتك وبركاتك على سيد المرسلين وخاتم النبيين وإمام المتقين
محمد قائد الخلق وإمام الخير ورسول الرحمة اللهم قرب زلفته وعظم
وعظم برهانه وكرم مقامه وابعثه مقاما محمودا يغبطه به
وانفعنا بمقامه المحمود يوم القيامة واخلفه فينا في الدنيا والآخرة
وبلغه الدرجة والوسيلة من الجنة اللهم صل على محمد وعلى آل
محمد وبارك على محمد وعلى آل محمد كما صليت وباركت على إبراهيم إنك
حميد مجيد أيها الناس انه من كان يعبد محمدا فإن محمدا قد مات
ومن كان يعبد الله فإن الله حي لم يمت وأن الله قد تقدم إليكم
في أمره فلا تدعوه جزعا فإن الله عز وجل قد اختار لنبيه صلى
الله عليه وسلم ما عنده على ما عندكم وقبضه إلى ثوابه وخلف فيكم
كتابه وسنته وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم فمن أخذ بهما
عرف ومن فرق بينهما أنكر يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين
بالقسط ولا يشغلنكم الشيطان بموت نبيكم ولا يفتننكم عن
دينكم وعاجلوا الشيطان بالخير تعجزوه ولا تستنظروه فيلحق بكم
ويفتنكم. وقال ــــ ابن عباس لما فرغ أبو بكر رضي الله عنه
من خطبته قال يا عمر أنت الذي بلغني أنك تقول ما مات نبي الله
أما ترى أن نبي الله صلى الله عليه وسلم قال يوم كذا وكذا ويوم

كذا وكذا وكذا وقال الله تعالى في كتابه إنك ميت وإنهم ميتون فقال
والله لكأني لم أسمع بها في كتاب الله قبل الآن لما نزل بنا فأشهد أن الكتاب
كما أنزل وأن الحديث كما حدث وأن الله حي لا يموت وإنا لله وإنا إليه راجعون
وصلوات الله على رسوله وعند الله نحتسب رسوله ثم جلس إلى أبي بكر
وقالت عائشة لما اجتمع الغسلة قالوا والله ما ندري كيف نغسل رسول
الله أنجرده عن ثيابه كما نصنع بموتانا أو نغسله في ثيابه قال فأرسل الله
تعالى عليهم النوم حتى ما بقي منهم رجل إلا وضع لحيته في صدره نائما
ثم قال قائل لا يدري من هو غسلوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وعليه
ثيابه حتى إذا فرغ من غسله كفن وقال علي كرم الله وجهه أردنا أن
نخلع قميصه فنودينا لا تخلعوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
ثيابه فأقررناه فغسلناه في قميصه كما نغسل موتانا مستلقيا ما
نشاء أن يقلب لنا عضو منه لم نبالغ فيه إلا قلب لنا حتى نفرغ منه وإن
معنا لحفيفا في البيت كالريح الرخاء فيصوت بنا ارفقوا برسول الله صلى
الله عليه وسلم فإنكم ستكفون فهكذا كان وفاة رسول الله صلى الله
عليه وسلم ولم يترك سبدا ولا لبدا إلا دفن معه قال أبو جعفر
فرش لحده بمفرشه وقطيفة وفرشت ثيابه التي كانت يلبس يقظانا
على القطيفة والمفرش ثم وضع عليها في أكفانه فلم يترك بعده وفاته
مالا ولا بنى في حياته لبنة على لبنة ولا وضع قصبة على قصبة ففي وفاته
عبرة دائمة للمسلمين وبه أسوة حسنة

وفاة أبي بكر الصديق

رضي الله عنه

جاءت عائشة رضي الله عنها فتمثلت بهذا البيت

لعمرك ما يغني الثراء عن الفتى ۝ إذا حشرجت يوما وضاق بها الصدر

فكشف عن وجهه وقال ليس كذلك ولكن قولي وجاءت سكرة الموت بالحق
ذلك ما كنت منه تحيد انظروا ثوبي هذين فاغسلوهما وكفنوني فيهما

فيهما فإن الحي إلى الجديد أحوج من الميت ٥

وقالت عائشة عند موته

وأبيض يستسقى الغمام بوجهه • ثمال اليتامى عصمة للأرامل •

فقال أبو بكر ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم ودخلوا
عليه فقالوا ألا ندعو لك طبيبا ينظر إليك قال قد نظر إلي
طبيبي وقال إني فعال لما أريد • ودخل عليه سلمان الفارسي
يعوده فقال يا أبا بكر أوصنا فقال إن الله فاتح عليكم
الدنيا فلا تأخذن منها إلا بلاغا واعلم أن من صلى صلاة الصبح فهو
في ذمة الله فلا تخفرن الله في ذمته فيكبك في النار على وجهك ولما
ثقل أبو بكر رضي الله عنه وأراد الناس أن يستخلف فاستخلف
عمر رضي الله عنه فقال له الناس استخلفت علينا فظا غليظا فماذا
تقول لربك قال أقول استخلفت على خلقك خير خلقك ثم أرسل إلى
عمر رضي الله عنه فقال إني موصيك بوصية اعلم أن لله
حقا في النهار لا يقبله في الليل وأن له حقا بالليل لا يقبله بالنهار
وأنه لا يقبل النافلة حتى تؤدى الفريضة وإنما ثقلت موازين
من ثقلت موازينهم يوم القيمة باتباعهم الحق في الدنيا وثقله
عليهم وحق لميزان لا يوضع فيه إلا الحق أن يثقل وإنما خفت موازين
من خفت موازينهم يوم القيمة باتباعهم الباطل وخفته
عليهم وحق لميزان لا يوضع فيه إلا الباطل أن يخف وأن الله ذكر
أهل الجنة بأحسن أعمالهم وتجاوز عن سيئاتهم فيقول القائل
أنا دون هؤلاء ولا أبلغ مبلغ هؤلاء وأن الله ذكر أهل النار
بأسوأ أعمالهم ورد عليهم صالح الذي عملوا فيقول العاصي أنا
أفضل من هؤلاء وأن الله ذكر آية الرحمة وآية العذاب
ليكون المؤمن راغبا راهبا ولا يلقي بيده إلى التهلكة ولا
يتمنى على الله غير الحق فإن حفظت وصيتي هذه فلا يكون غائب
أحب إليك من الموت ولا بد لك منه وإن ضيعت وصيتي فلا
يكون غائب أبغض إليك من الموت ولست بمعجزه • وقال

اتباع الحق والباطل

دعاء ابو بكر رضي

سعيد ابن المسيب لما احتضر ابو بكر رضي الله عنه اتاه اناس من اصحابه فقالوا يا خليفة رسول الله زودنا فانا نراك لما بك فقال ابو بكر من قال هؤلاء الكلمات جعل الله روحه في الافق المبين قالوا وما الافق المبين قال قاع بين يدي العرش فيه رياض وانهار واشجار يغشاه كل يوم مائة رحمة فمن قال هذا القول جعل الله روحه في ذلك • اللهم انك بدأت الخلق من غير حاجة بك اليهم ثم جعلتهم فريقين فريقا للنعيم وفريقا للسعير فاجعلني للنعيم ولا تجعلني للسعير • اللهم انك خلقت الخلق فرقا وميزتهم قبل ان تخلقهم فجعلت منهم شقيا وسعيدا وغويا ورشيدا فلا تشقني بمعاصيك • اللهم انك قد علمت ما تكسب كل نفس قبل ان تخلقها فلا محيص لها مما علمت فاجعلني ممن تستعمله بطاعتك • اللهم ان احدا لا يشاء حتى تشاء فاجعل مشيئتك ان اشاء ما يقربني اليك • اللهم انك قدرت حركات العباد فلا يتحرك شيء الا باذنك فاجعل حركاتي في تقواك • اللهم انك خلقت الخير والشر وجعلت لكل واحد منهما عاملا يعمل به فاجعلني من خير القسمين • اللهم انك خلقت الجنة والنار وجعلت لكل واحدة منهما اهلا فاجعلني من سكان جنتك • اللهم انك اردت بقوم الضلال وضيقت صدورهم فاشرح صدري للايمان وزينه في قلبي • اللهم انك دبرت الامور فجعلت مصيرها اليك فاحيني بعد الموت حيوة طيبة وقربني اليك زلفى • اللهم من اصبح وامسى ثقته ورجاؤه غيرك فانك ثقتي ورجائي ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم • قال ابو بكر رضي الله عنه هذا كله في كتاب الله عز وجل •

• وفاة عمر رضي الله عنه •

قال عمرو بن ميمون كنت قائما غداة اصيب عمر رضي الله عنه ما بيني وبينه الا عبد الله بن عباس وكان اذا مر بين الصفين قام بينهما فاذا راى خللا قال استووا حتى اذا لم ير فيهم خللا تقدم فكبر قال وربما قرا سورة يوسف او النحل ونحو ذلك في الركعة الاولى حتى اذا اجتمع الناس فما هو الا ان كبر فسمعته يقول قتلني او اكلني

أكلني أبو لؤلؤة وطار العلج بسكين ذات طرفين لا يمر على أحد يمينا ولا
شمالا إلا طعنه حتى طعن ثلاثة عشر رجلا فمات منهم تسعة وفي رواية سبعة
فلما رأى ذلك رجل من المسلمين طرح عليه برنسا فلما ظن العلج أنه مأخوذ
نحر نفسه وتناول عمر عبد الرحمن بن عوف فقدمه فأما من كان يلي عمر
فقد رأى ما رأيت وأما نواحي المسجد فلا يدرون ما الأمر غير أنهم قد
فقدوا صوت عمر وهم يقولون سبحان الله سبحان الله فصلى بهم عبد
الرحمن صلاة خفيفة فلما انصرفوا قال يا ابن عباس انظر من قتلني قال
فجال ساعة ثم جاء فقال غلام المغيرة ابن شعبة قال قاتله الله لقد
كنت أمرت به معروفا ثم قال الحمد لله الذي لم يجعل منيتي على
يد رجل مسلم قد كنت أنت وأبوك تحبان أن تكثر العلوج بالمدينة فكان
العباس أكثرهم رقيقا فقال ابن عباس إن شئت فعلت أي إن شئت
قتلناهم قال بعد ما تكلموا بلسانكم وصلوا إلى قبلتكم وحجوا حجكم
فاحتمل إلى بيته فانطلقنا معه قال وكان الناس لم تصبهم مصيبة قبل
يومئذ قال فقائل يقول أخاف عليه وقائل يقول لا بأس عليه
فأتي بنبيذ فشرب منه فخرج من جوفه ثم أتي بلبن فشرب منه فخرج من جوفه
فعرفوا أنه ميت قال فدخلنا عليه وجاء الناس يثنون عليه وجاء رجل شاب
فقال أبشر يا أمير المؤمنين ببشرى من الله عز وجل قد كان لك من صحبة
رسول الله صلى الله عليه وسلم وقدم في الإسلام ما قد علمت ثم وليت فعدلت
ثم شهادة فقال وددت أن ذلك كفافا لا علي ولا لي فلما أدبر الرجل إذا إزاره
يمس الأرض فقال ردوا علي الغلام فقال يا ابن أخي ارفع ثوبك فإنه أنقى لثوبك
وأتقى لربك ثم قال يا عبد الله بن عمر انظر ما علي من الدين فحسبوه فوجدوه
ستة وثمانين ألفا أو نحوه فقال إن وفى مال آل عمر فأده من أموالهم
وإلا فسل في بني عدي بن كعب وإن لم تف أموالهم فسل في قريش ولا
تعدهم إلى غيرهم وأد عني هذا المال انطلق إلى أم المؤمنين عائشة
فقل عمر يقرأ عليك السلام ولا تقل أمير المؤمنين فإني لست اليوم
أميرا وقل يستأذن عمر بن الخطاب أن يدفن مع صاحبيه فذهب عبد الله
فسلم واستأذن ثم دخل عليها فوجدها قاعدة تبكي فقال يقرأ عمر بن

الخطاب عليك السلام ويستأذن أن يدفن مع صاحبيه فقالت كنت أريده
لنفسي ولأوثرنه اليوم على نفسي فلما أقبل قيل هذا عبد الله بن عمر قد جاء
قال • ارفعوني فأسنده رجل إليه فقال ما لديك قال الذي تحب يا
أمير المؤمنين أذنت قال الحمد لله ما كان شيء أهم من ذلك فإذا أنا قبضت
فاحملوني ثم سلم وقل يستأذن عمر فإن أذنت لي فأدخلوني وإن ردتني
ردوني إلى مقابر المسلمين وجاءت أم المؤمنين حفصة والنساء يسترنها
فلما رأيناها قمنا فولجت عليه فبكت عنده ساعة واستأذن الرجال فولجت
داخلا فسمعنا بكاءها من داخل فقالوا أوص يا أمير المؤمنين استخلف
فقال • ما أرى أحق بهذا الأمر من هؤلاء النفر الذين توفي رسول
الله صلى الله عليه وسلم وهو عنهم راض فسمى عليا وعثمان والزبير
وطلحة وسعدا وعبد الرحمن • وقال يشهدكم عبد الله بن عمر
وليس له من الأمر شيء كهيئة التعزية له فإن أصابت الإمارة سعدا فذاك
وإلا فليستعن به أيكم أمر فإني لم أعزله من عجز ولا خيانة وقال أوصي
الخليفة من بعدي بالمهاجرين الأولين أن يعرف لهم فضلهم ويحفظ لهم
حرمتهم وأوصيه بالأنصار خيرا الذين تبوءوا الدار والإيمان من
قبلهم أن يقبل من محسنهم وأن يعفو عن مسيئهم وأوصيه بأهل
الأمصار خيرا فإنهم ردء الإسلام وجباة المال وغيظ العدو وأن لا
يؤخذ منهم إلا فضلهم عن رضى منهم وأوصيه بالأعراب خيرا فإنهم
أصل العرب ومادة الإسلام أن يؤخذ من حواشي أموالهم ويرد
على فقرائهم وأوصيه بذمة الله وذمة رسول الله صلى الله عليه وسلم
أن يوفي لهم بعهدهم وأن يقاتل من ورائهم ولا يكلفوا إلا طاقتهم
قال • فلما قبض خرجنا به فانطلقنا نمشي فسلم عبد الله بن عمر وقال
يستأذن عمر بن الخطاب فقالت أدخلوه فأدخل فوضع هنالك مع
صاحبيه الحديث • وعن النبي صلى الله عليه وسلم • قال قال لي جبريل
عليه السلام ليبك الإسلام على موت عمر • وعن ابن عباس قال وضع
على سريره فتكنفه الناس يدعون ويصلون قبل أن يرفع وأنا فيهم إلا
رجل قد أخذ بمنكبي • فالتفت فإذا هو علي بن أبي طالب فترحم على عمر

عمر وقال ما خلفت احدا احب الي ان القى الله بمثل عمله منك
وايم الله ان كنت لاظن ليجعلنك الله مع صاحبيك وذلك اني كثيرا
كنت اسمع من رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ذهبت انا وابو بكر
وعمر وخرجت انا وابو بكر وعمر فان كنت لارجو او لاظن ان يجعلك
الله معهما

وفاة عثمان رضي الله عنه

الحديث في قتله مشهور

وقد قال عبد الله ابن سلام اتيت اخي عثمان لاسلم عليه وهو محصور
فدخلت عليه فقال مرحبا يا اخي رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم الليلة
في هذه الخوخة وخوخة في البيت فقال يا عثمان حصروك فقلت نعم قال
عطشوك فقلت نعم قال فادلى لي دلوا فيه ماء فشربت حتى رويت حتى اني
لاجد برده بين ثديي وبين كتفي وقال ان شئت نصرت عليهم وان شئت
افطرت عندنا فاخترت ان افطر عندهم فقتل في ذلك اليوم رضي الله
عنه وقال عبد الله بن سلام لمن حضر تشحط عثمان في الموت حين جرح
ماذا قال عثمان وهو يتشحط قالوا سمعناه يقول اللهم اجمع امة
محمد صلى الله عليه وسلم ثلاثا قال والذي نفسي بيده لو دعا الله ان لا يجتمعوا
ابدا ما اجتمعوا الى يوم القيمة وعن ثمامة ابن حزن القشيري قال
شهدت الدار حين اشرف عليهم عثمان رضي الله عنه فقال ايتوني
بصاحبيكم الذين البا كم علي قال فجيء بهما كانهما جملان او حماران
فاشرف عليهم عثمان فقال انشدكم بالله وبالاسلام هل تعلمون ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم قدم المدينة وليس بها ماء يستعذب غير بير
رومة فقال من يشتري بير رومة يجعل دلوه مع دلاء المسلمين بخير
له منها في الجنة فاشتريتها من صلب مالي فانتم اليوم تمنعوني ان اشرب
منها ومن ماء البحر قالوا اللهم نعم قال انشدكم الله والاسلام
هل تعلمون ان المسجد كان قد ضاق باهله فقال رسول الله صلى الله عليه
وسلم من يشتري بقعة آل فلان فيزيدها في المسجد بخير منها في الجنة فاشتريتها

من صلب مالي فأنتم اليوم تمنعوني أن أصلي فيها ركعتين قالوا اللهم
نعم ثم قال أنشدكم الله والإسلام هل تعلمون أني جهزت جيش العسرة
قالوا اللهم نعم ثم قال أنشدكم الله والإسلام هل تعلمون أن رسول الله
صلى الله عليه وسلم كان على ثبير مكة ومعه أبو بكر وعمر وأنا فتحرك
الجبل حتى تساقطت حجارته بالحضيض قال فركضه برجله وقال اسكن
ثبير فما عليك إلا نبي وصديق وشهيدان قالوا اللهم نعم قال الله
أكبر شهدوا لي ورب الكعبة أني شهيد وروي عن شيخ من ضبة أن عثمان
رضي الله عنه حين ضرب والدم يسيل على لحيته جعل يقول لا إله إلا
أنت سبحانك إني كنت من الظالمين اللهم إني أستعيذك عليهم وأستعينك
على جميع أموري وأسألك الصبر على ما ابتليتني

وفاة علي كرم الله وجهه

قال الأصبغ الحنظلي لما كانت الليلة التي أصيب فيها علي رضي الله عنه
أتاه ابن التياح حين طلع الفجر يؤذنه بالصلاة وهو مضطجع متثاقل فعاد
الثانية وهو كذلك ثم عاد الثالثة فقام علي يمشي وهو يقول

• اشدد حيازيمك للموت فإن الموت لاقيكا •

• ولا تجزع من الموت إذا حل بواديكا •

فلما بلغ الباب الصغير شد عليه ابن ملجم فضربه فخرجت أم كلثوم ابنة علي فجعلت
تقول ما لي ولصلاة الغداة قتل زوجي أمير المؤمنين صلاة الغداة
وقتل أبي صلاة الغداة وعن شيخ من قريش أن عليا كرم الله وجهه لما ضربه
ابن ملجم قال فزت ورب الكعبة وعن محمد بن علي أنه لما ضرب أوصى بنيه ثم لم
ينطق إلا بلا إله إلا الله حتى قبض ولما ثقل الحسن بن علي رضي الله عنه
دخل عليه الحسين رضي الله عنهما فقال يا أخي لأي شيء تجزع تقدم
على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى علي بن أبي طالب رضي الله عنه
وهما أبواك وعلى خديجة بنت خويلد وفاطمة بنت محمد وهما أماك وعلى حمزة
وجعفر وهما عماك قال يا أخي أقدم على أمر لم أقدم على مثله • وعن

وعن محمد بن الحسن قال لما نزل القوم بالحسين رضي الله عنه وايقن انهم
قاتلوه قام في اصحابه خطيبا فحمد الله واثنى عليه ثم قال قد نزل بنا الامر ما
ترون وان الدنيا قد تغيرت وادبر معروفها واستمر حتى لم يبق منها
الا صبابة الاناء الا خسيس من عيش كالمرعى الوبيل الا ترون الحق لا يعمل به والباطل
لا يتناهى عنه ليرغب المؤمن في ثواب الله تعالى واني لا ارى الموت الا سعادة
والحياة مع الظالمين الا جرما ٥

الباب الخامس

في كلام المحتضرين من الخلفاء والامراء والصالحين ٥

لما حضرت معاوية ابن ابي سفيان رضي الله عنه الوفاة قال اقعدوني فاقعد
فجعل يسبح الله ويذكره ثم يبكي ثم قال تذكر ربك يا معوية بعد الهرم
والانحطاط الا كان هذا وغصن الشباب نضر ريان وبكى حتى علا بكاؤه
وقال يا رب ارحم الشيخ العاصي والقلب القاسي اللهم اقل العثرة
واغفر الزلة وعد بحلمك على من لم يرج غيرك ولم يثق باحد سواك وروي
عن شيخ من قريش انه دخل مع جماعة عليه في مرضه فرأوا في جلده غضونا
فحمد الله واثنى عليه ثم قال اما بعد فهل الدنيا اجمع الا ما جربنا ورأينا
اما والله لقد استقبلنا زهرتها بجدتنا وباستلذاذنا بعيشنا فما لبثت
الدنيا ان نقضت ذلك منا حالا بعد حال وعروة بعد عروة فاصبحت الدنيا
وقد وترتنا واخلقتنا واستلامت الينا فاف للدنيا من دار وواف لها من
دار • ويروى ان اخر خطبة خطبها معاوية انه قال ايها الناس اني من
زرع قد استحصد واني وليتكم ولن يليكم احد بعدي الا هو شر مني
كما كان من قبلي خيرا مني ويا يزيد اذا وفى اجلي فول غسلي رجلا لبيبا
فان اللبيب من الله بمكان فلينعم الغسل وليجهر بالتكبير ثم اعمد الى
منديل في الخزانة فيه ثوب من ثياب النبي صلى الله عليه وسلم وقراضة
من شعره واظفاره فاستودع القراضة انفي وفمي واذني وعيني ٥

التضرع الى الله عند الموت

واجعل الثوب على جلدي دون أكفاني ويا يزيد احفظ وصية الله في الوالدين
فإذا أدرجتموني في جديدين ووضعتموني في حفرتي فخلوا معاوية وأرحم
الراحمين • وقال محمد بن عقبة لما نزل بمعاوية الموت قال يا ليتني كنت رجلا
من قريش بذي طوى وإني لم أل من هذا الأمر شيئا • ولما حضر عبد الملك بن
مروان الوفاة نظر إلى غسال بجانب دمشق يلوي ثوبا بيده ثم يضرب به
المغسلة فقال عبد الملك والله ليتني كنت غسالا آكل من كسب يدي يوما بيوم
ولم أل من أمر الناس شيئا فبلغ ذلك أبا حازم فقال الحمد لله الذي جعلهم
إذا حضرهم الموت يتمنون ما نحن فيه وإذا حضرنا الموت لم نتمن ما هم
• وقيل لعبد الملك بن مروان في مرضه كيف تجدك يا أمير المؤمنين قال
أجدني كما قال الله تعالى ولقد جئتمونا فرادى كما خلقناكم أول مرة
وتركتم ما خولناكم وراء ظهوركم الآية وقالت فاطمة بنت عبد الملك امرأة
عمر ابن عبد العزيز كنت أسمع عمر في مرضه الذي مات فيه يقول
اللهم أخف عليهم موتي ولو ساعة من نهار فلما كان اليوم الذي قبض
فيه خرجت من عنده فجلست في بيت آخر وبيني وبينه باب وهو في قبة
له فسمعته يقول تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا في الأرض
ولا فسادا والعاقبة للمتقين ثم هدأ فجعلت لا أسمع له حركة ولا كلاما
فقلت لوصيف له انظر أنائم هو فلما دخل صاح فوثبت فإذا هو ميت
وقيل له لما حضرته الوفاة اعهد يا أمير المؤمنين قال أحذركم مثل مصرعي
هذا فإنه لا بد لكم منه وروي أنه لما ثقل عمر بن عبد العزيز دعي له طبيب
فلما نظر إليه قال أرى الرجل قد سقي السم ولا آمن عليه الموت فرفع عمر
بصره وقال ولا تأمن الموت على من لم يسق السم قال الطبيب هل أحسست بذلك
يا أمير المؤمنين قال نعم قد عرفت ذلك حين وقع في بطني قال فتعالج
يا أمير المؤمنين وإني أخاف أن تذهب نفسك فقال خير مذهوب إليه
والله لو علمت أن شفائي عند شحمة أذني ما رفعت يدي إلى أذني فتناولته
اللهم خر لعمر في لقائك فلم يلبث إلا أياما حتى مات رحمه الله • وقيل
لما حضرته الوفاة بكى فقيل له ما يبكيك يا أمير المؤمنين أبشر فقد أحيا
الله بك سننا وأظهر بك عدلا فبكى ثم قال أليس أوقف فأسأل عن هذا

هذا الخلق فوالله لو عدلت فيهم خفت على نفسي الا تقوم بحجتها بين يدي
الله إلا أن يلقنها الله حجتها فكيف على نفسي بكثير مما صنعنا وفاضت
عيناه فلم يلبث الا يسيرا حتى مات • ولما قرب وقت موته قال اجلسوني
فاجلسوه فقال انا الذي امرتني فقصرت ونهيتني فعصيت ثلث مرات
ولكن لا إله إلا الله ثم رفع رأسه فاحد النظر فقيل له في ذلك فقال
اني لأرى حضرة ما هو بإنس ولا جن ثم قبض • وحكي عن هرون
الرشيد انه انتقى اكفانه عند الموت بيده فكان ينظر اليها ويقول ما اغنى عني
ماليه هلك عني سلطانيه • وفرش المأمون رمادا واضطجع عليه وكان يقول
يا من لا يزول ملكه ارحم من قد زال ملكه • وكان المعتصم عند موته يقول
لو علمت ان عمري هكذا قصير ما فعلت ما فعلت • وكان المستنصر يضطرب
على نفسه عند موته فقيل له لا باس عليك يا أمير المؤمنين فقال ليس إلا
هذا العذر ذهبت الدنيا والآخرة • وقال عمرو بن العاص في
الوفاة وقد نظر الى صناديق فقال من يأخذها بما فيها ليته كان بعرا • وقال
الحجاج عند موته اللهم اغفر لي فان الناس يقولون انك لا تغفر لي • فكان
عمر بن عبد العزيز يعجبه هذه الكلمة ويغبطه عليها • ولما حكي ذلك
للحسن قال أقالها قال نعم قال عسى •

التضرع عند الموت

باب أقاويل جماعة

• من خصوص الصالحين من الصحابة والتابعين •
• ومن بعدهم من أهل التصوف رضي الله عنهم •

لما حضرت معاذا رضي الله عنه الوفاة قال اللهم إني قد كنت اخافك
وإني اليوم ارجوك اللهم انك تعلم اني لم اكن احب الدنيا وطول البقا
فيها لجري الأنهار ولا لغرس الأشجار ولكن لظماء الهواجر ومكابدة
الساعات ومزاحمة العلما بالركب عند حلق الذكر ولما اشتد به النزع
ونزع نزعا لم ينزعه احد فكان كلما افاق من غمرة فتح طرفه ثم قال

الكلام عند النزع

رب أخفني خفقك فوعزتك إنك لتعلم أن قلبي يحبك • ولما حضر سلمان
الوفاة بكى فقيل له ما يبكيك قال ما أبكي جزعا على الدنيا ولكن عهد
إلينا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يكون بلغة أحدنا من الدنيا كزاد
الراكب فلما مات سلمان نظر في جميع ما ترك فإذا قيمته بضعة عشر درهما
ولما حضر بلالا الوفاة قالت امرأته واحزناه فقال بل واطرباه غدا نلقى
الأحبة محمدا وحزبه • وقيل فتح عبد الله ابن المبارك عينيه عند الوفاة
وضحك وقال لمثل هذا فليعمل العاملون • ولما حضر إبراهيم النخعي
الوفاة بكى فقيل له ما يبكيك فقال أنتظر من الله رسولا يبشرني بالجنة
أو بالنار • وحضر ابن المنكدر الوفاة فبكى فقيل له ما يبكيك فقال والله
ما أبكي لذنب أعلم أني أتيته ولكن أخاف أن أتيت شيئا حسبته هينا
وهو عند الله عظيم • ولما حضر عامر ابن عبد قيس الوفاة بكى فقيل له ما
يبكيك قال ما أبكي جزعا من الموت ولا حرصا على الدنيا ولكن أبكي على
ما يفوتني من ظمأ الهواجر وعلى قيام ليل الشتاء • ولما حضر فضيلا الوفاة
غشي عليه ثم فتح عينيه وقال وابعد سفراه وأقلة زاداه • ولما حضر
ابن المبارك الوفاة قال لنصر مولاه اجعل رأسي على التراب فبكى نصر
فقال له ما يبكيك قال ذكرت ما كنت فيه من النعيم وأنت هو ذا تموت
فقيرا غريبا قال اسكت فإني سألت الله تعالى أن يحييني حياة الأغنياء
وأن يميتني موت الفقراء ثم قال له لقني ولا تعد علي ما لم أتكلم بكلام
ثان • وقال عطاء ابن يسار تبدى إبليس لرجل عند الموت فقال له نجوت
فقال ما أمنتك بعد • وبكى بعضهم عند الموت فقيل له ما يبكيك قال
آية في كتاب الله وهي قوله تعالى إنما يتقبل الله من المتقين • ودخل
الحسن على رجل يجود بنفسه فقال إن أمرا هذا أوله لجدير أن يتقى آخره
وإن أمرا هذا آخره لجدير أن يزهد في أوله • وقال الجريري كنت
عند الجنيد في حال نزعه وكان يوم الجمعة ويوم النيروز وهو يقرأ
القرآن فختم فقلت في هذه الحالة يا أبا القاسم فقال ومن أولى بذلك
مني وهو ذا تطوى صحيفتي • وقال رويم حضرت وفاة أبي سعيد
الخراز وهو يقول

ترك الدنيا

الكلام عند النزع والعمل الصالح

الحرص على العبادة

التضرع والبكاء عند الموت

المتقين

أقوال المشايخ عند الموت

وهو يقول

حنين قلوب العارفين إلى الذكر • وتذكارهم وقت المناجاة للسر •
أديرت كؤوس للمنايا عليهم • فأغفوا عن الدنيا كإغفاء ذي السكر •
همومهم جوالة بمعسكر • به أهل ود الله كالأنجم الزهر •
فأجسامهم في الأرض قتلى بحبه • وأرواحهم في الحجب نحو العلى تسري •
فما عرسوا إلا بقرب حبيبهم • ولا عرجوا من مس بؤس ولا ضر •

وقيل للجنيد ان أبا سعيد الخراز كان كثير التواجد عند الموت فقال لم يكن بعجب أن تطير روحه اشتياقا • وقيل لذي النون عند موته ما تشتهي قال أن أعرفه قبل موتي بلحظة • وقيل لبعضهم في النزع قل الله قال إلى متى تقولون وأنا محترق بالله • وقال بعضهم كنت عند ممشاد الدينوري فقدم فقير فقال السلام عليكم هل ههنا مكان نظيف يمكن للإنسان أن يموت فيه • قال فأشاروا إليه بمكان فكان ثم عين ماء فجدد الفقير الوضوء وركع ما شاء الله ومضى إلى ذلك المكان ومد رجليه ومات • وكان أبو العباس الدينوري يتكلم في مجلسه فصاحت امرأة تواجدا فقال لها موتي فقامت فلما بلغت باب الدار التفتت إليه وقالت قد مت ووقعت ميتة • وحكي عن فاطمة أخت أبي علي الروذباري قالت لما قرب أجل أبي علي الروذباري وكان رأسه في حجري فتح عينيه وقال هذه أبواب السماء قد فتحت وهذه الجنان قد زينت وهذا قائل يقول يا أبا علي قد بلغناك الرتبة القصوى وإن لم تردها فأنشأ يقول •

الموت

وحقك لا نظرت إلى سواكا • بعين مودة حتى أراكا •
أراك معذبي بفتور لحظ • وبالخد المورد من جناكا •

وقيل للجنيد قل لا إله إلا الله فقال ما نسيته فأذكره وسأل جعفر ابن نصير بكران الدينوري خادما للشبلي ما الذي رأيت منه فقال قال علي درهم مظلمة وتصدقت عن صاحبه بألوف فما على قلبي شغل أعظم منه ثم قال وضئني للصلاة ففعلت فنسيت تخليل لحيته وقد أمسك على لسانه فقبض على يدي وأدخلها في لحيته ثم مات فبكى جعفر وقال ما تقولون في رجل لم يفته في آخر عمره أدب من آداب الشريعة • وقيل لبشر ابن الحارث

لما احتضر وكان يشق عليه كأنه يحب الحياة فقال القدوم على الله شديد
وقيل لصالح ابن مسمار ألا توصي بابنك وعيالك فقال إني لأستحيي من الله تعالى
أن أوصي بغيره ولما احتضر أبو سليمان الداراني أتاه أصحابه فقالوا
أبشر فإنك تقدم على رب غفور رحيم فقال لهم ألا تقولون احذر فإنك تقدم
على رب يحاسبك بالصغير ويعاقبك بالكبير • ولما احتضر الواسطي قيل له
أوصنا فقال احفظوا مراد الحق فيكم • واحتضر بعضهم فبكت امرأته فقال
ما يبكيك قالت عليك أبكي فقال إن كنت باكية فابكي على نفسك فلقد بكيت
لهذا اليوم أربعين سنة • وقال الجنيد دخلت على
سري السقطي أعوده في مرض موته فقلت كيف تجدك

فأنشأ يقول

• كيف أشكو إلى طبيبي ما بي • والذي بي أصابني من طبيبي •

فأخذت المروحة أروحه فقال كيف يجد روح المروحة من جوفه يحترق

ثم أنشأ يقول

• القلب محترق والدمع مستبق • والكرب مجتمع والصبر مفترق •
• كيف القرار على من لا قرار له • مما جناه الهوى والشوق والقلق •
• يا رب إن يك شيء فيه لي فرج • فامنن علي به ما دام بي رمق •

أحوال المشايخ عند الموت

وحكي أن قوما من أصحاب الشبلي دخلوا عليه وهو في الموت
فقالوا له قل لا إله إلا الله فأنشأ يقول

• إن بيتا أنت ساكنه • غير محتاج إلى السرج •
• وجهك المأمول حجتنا • يوم يأتي الناس بالحجج •
لا أتاح الله لي فرجا • يوم أدعو منك بالفرج •

وحكي أن أبا العباس ابن عطاء دخل على الجنيد في وقت نزعه فسلم
فلم يجبه ثم أجاب بعد ساعة وقال اعذرني فإني كنت في وردي
ثم ولى وجهه إلى الحائط وكبر ومات • وقيل للكتاني لما حضرته الوفاة
ما كان عملك فقال لو لم يقرب أجلي ما أخبرتكم وقفت على باب قلبي أربعين
سنة فكلما مر فيه غير الله تعالى حجبته عنه وحكي عن المعتمر
قال كنت فيمن حضر الحكم ابن عبد الملك حين جاءه الحق فقلت اللهم

القلب

اللهم هون عليه سكرات الموت فانه كان وكان فذكرت من محاسنه ٥ فافاق فقال من المتكلم فقلت انا فقال ان ملك الموت عليه السلام يقول لي اني بكل سخي رفيق ثم طفي ٥ ولما حضرت يوسف ابن اسباط الوفاة ٥ شهده حذيفة فلقاه قلقا فقال يا ابا محمد هذا اوان القلق والجزع فقال يا عبد الله وكيف لا اقلق ولا اجزع واني لا اعلم اني صدقت الله في شي من عملي فقال حذيفة واعجبا لهذا الرجل الصالح يحلف عند موته انه لا يعلم انه صدق الله تعالى في شي من عمله • وعن المغازلي قال دخلت على شيخ من اصحاب هذه القصة وهو عليل وهو يقول يمكنك ان تعمل ما تريد فارفق بي • ودخل بعض المشايخ على ممشاد الدينوري في وقت وفاته ٥ فقال فعل الله تعالى وصنع من باب الدعا فضحك وقال منذ ثلثين سنة تعرض علي الجنة بما فيها فما اعرتها طرفي • وقيل لرويم عند الموت قل لا اله الا الله فقال لا احسن غيره • ولما حضر النوري الوفاة قيل له قل لا اله الا الله فقال اليس الله ثم امر • ودخل المزني على الشافعي رحمه الله في مرضه الذي توفي فيه فقال له كيف اصبحت يا ابا عبد الله فقال اصبحت من الدنيا راحلا • وللاخوان مفارقا • ولسوء عملي ملاقيا • وبكاس المنية شاربا • وعلى الله تعالى واردا • ولا ادري اروحي تصير الى الجنة فاهنيها • ام الى النار فاعزيها • ثم انشا يقول

• ولما قسى قلبي وضاقت مذاهبي • جعلت الرجا مني لعفوك سلما •
• تعاظمني ذنبي فلما قرنته • بعفوك ربي كان عفوك اعظما •
• وما زلت ذا عفو عن الذنب لم تزل • تجود وتعفو منة وتكرما •
• ولولاك لا يغوى بابليس عابد • وكيف وقد اغوى صفيك ادما •

ولما حضر احمد ابن خضرويه الوفاة سئل عن مسئلة فدمعت عيناه وقال يا بني كنت ادق بابا خمسا وسبعين سنة هو ذا يفتح الساعة ولا ادري ايفتح بالسعادة او بالشقاوة فاني لي اوان الجواب ٥ فهذه اقاويلهم وانما اختلفت بحسب اختلاف احوالهم فغلب على بعضهم الخوف وعلى بعضهم الرجا وعلى بعضهم الشوق والحب فتكلم كل واحد على مقتضى حاله والكل صحيح بالاضافة الى احوالهم •

عملي

مطلب

اهل الجنة والنار

اختلاف احوال المشايخ بالرجاء والخوف والشوق وغيرها

الباب السادس في أقاويل العارفين

على الجنايز والمقابر وحكم زيارة القبور

اعلم ان الجنايز عبرة للبصير فيها تنبيه وتذكير الا لاهل الغفلة فانها
لا تزيدهم مشاهدتها الا قساوة لانهم يظنون ابدا الى جنازة غيرهم ينظرون
ولا يحسبون انهم لا محالة على الجنايز يحملون او يحسبون ذلك ولكنهم على
القرب لا يقدرونه ولا يتفكرون ان المحمولين على الجنايز كلهم هكذا كانوا
يحسبون فبطل حسبانهم وانقرض على القرب زمانهم افلا ينظرن عبد الى جنازة
الا ويقدر نفسه محمولا عليها فانه محمول عليها على القرب وكان قد ولعله
في غد او بعد غد يروى عن ابي هريرة انه كان اذا راى جنازة قال امضوا
فانا على الاثر • وكان مكحول الدمشقي اذا راى جنازة قال اغدوا فانا رايحون
موعظة بليغة وغفلة سريعة يذهب الاول والاخر لا عقل له • وقال
اسيد ابن حضير ما شهدت جنازة فحدثتني نفسي بشيء سوى ما هو مفعول به
وما هو اليه صاير • ولما مات اخو مالك ابن دينار خرج مالك في جنازته
يبكي ويقول والله لا تقر عيني حتى اعلم الى ما صرت ولا اعلم ما دمت
حيا • وقال الاعمش كنا نشهد الجنايز فلا ندري من نعزي
لحزن الجميع • وقال ثابت البناني كنا نشهد الجنايز فلا نرى الا متقنعا باكيا
فهكذا كان خوفهم من الموت والان لا ننظر الى جماعة يحضرون جنازة الا
واكثرهم يضحكون ولا يتكلمون الا في ميراثه وما خلفه لورثته ولا يتفكر
اقرانه واقاربه الا في الحيلة التي بها يتناول بعض ما خلفه ولا يتفكر واحد
منهم الا ما شا الله في جنازة نفسه وفي حاله اذا حمل عليها ولا سبب
لهذه الغفلة الا قسوة القلب بكثرة المعاصي والذنوب حتى نسينا الله
واليوم الاخر والاهوال التي بين ايدينا وصرنا نلهو ونغفل ونشتغل بما لا
يعنينا فنسال الله اليقظة من هذه الغفلة فان احسن احوال الحاضرين
على الجنايز اليوم بكاؤهم على الميت ولو عقلوا لبكوا على انفسهم لا على الميت
نظر ابراهيم الزيات الى اناس يترحمون على ميت فقال لو ترحمون

النظر الى الجنازة بالعبرة

حال الاناسي في حق الجنازة

القسوة القلب

ترحمون على أنفسكم لكان خيرًا لكم إنه نجا من أهوال ثلاثة وجه ملك الموت قد
رأى ومرارة الموت قد ذاق وخوف الخاتمة قد أمن وقال أبو عمرو
ابن العلا جلست إلى جرير وهو على كاتبه شعرًا فاطلعت جنازة فأمسك
● وقال شيبتني هذه الجنائز ●

شعرًا نشأ يقول

● تروعنا الجنائز مقبلات ● ونلهو حين تذهب مدبرات ●
● كروعة ثلة لمغار ذئب فلما غاب عادت راتعات ●

فمن آداب حضور الجنائز التفكر والتنبيه والاستعداد والمشي أمامها
على هيئة التواضع كما ذكرنا آدابه وسننه في فن الفقه ومن آدابه
حسن الظن بالميت وإن كان فاسقًا وإساءة الظن بالنفس وإن كان ظاهرها
الصلاح فإن الخاتمة مخطرة لا يدري حقيقتها ولذلك روي عمر ابن ذر أنه
مات واحد من جيرانه وكان مسرفًا على نفسه فتجافى كثير من الناس عن جنازته
فحضرها هو وصلى عليها فلما دلي في قبره وقف على قبره وقال يرحمك الله
يا فلان فلقد صحبت عمرك بالتوحيد وعفرت وجهك بالسجود وإن قالوا مذنب
وذو خطايا فمن منا غير مذنب وغير ذي خطايا **ويحكى أن
رجلًا من المنهمكين في الفساد** مات في بعض نواحي البصرة فلم
تجد امرأته من يعينها على حمل جنازته إذ لم يدر بها أحد من جيرانه لكثرة
فسقه فاستأجرت حمالين وحملتها إلى المصلى فما صلى عليه أحد فحملتها
إلى الصحراء للدفن فكان على جبل قريب من الموضع زاهد من الزهاد الكبار
فرأوه كالمنتظر للجنازة ثم قصد أن يصلي عليه فانتشر الخبر في البلد
بأن الزاهد نزل ليصلي على فلان فخرج أهل البلد فصلى الزاهد وصلوا
عليه وتعجب الناس من صلاة الزاهد عليه فقال قيل لي في المنام انزل
إلى موضع كذا ترى فيه جنازة ليس معها إلا امرأة فصل عليه فإنه
مغفور له فتعجب الناس فاستدعى الزاهد امرأته وسألها عن حاله
وأنه كيف كانت سيرته قالت كما عرف كان طول نهاره في الماخور مشغولًا
بشرب الخمر فقال انظري هل تعرفين منه شيئًا من أعمال الخيرات
قالت نعم ثلاثة أشياء كان كل يوم يفيق من سكره وقت الصبح يبدل ثيابه

حسن الظن بالميت
وإساءة الظن بالنفس

موت الفاسق

مغفرة الله

ويتوضأ ويصلي الصبح في جماعة ثم يعود إلى الماخور ويشتغل بالفسق والثاني
أنه كان أبداً لا يخلو بيته عن يتيم ويتيمين وكان إحسانه إليهم أكثر
من إحسانه لأولاده وكان شديد التفقد لهم • والثالث أنه كان يفيق في
أثناء سكره في ظلام الليل فيبكي ويقول يا رب أي زاوية من زوايا جهنم تريد
تملأها بهذا الخبيث يعني نفسه فانصرف الزاهد وقد ارتفع إشكاله من أمره

الإحسان إلى اليتيم

البكاء والتضرع

وعن صلة ابن أشيم وقد دفن أخ له فقال على قبره

فإن تنج منها تنج من ذي عظيمة • وإلا فإني لا إخالك ناجياً •

باب حال القبر

باب حال القبر

وأقاويلهم على القبر قال الضحاك قال رجل يا رسول الله من أزهد الناس قال من لم ينس
القبر والبلى وترك فضل زينة الدنيا وآثر ما يبقى على ما يفنى ولم يعد غداً من أيامه
وعد نفسه من أهل القبور • وقيل لعلي كرم الله وجهه ما شأنك جاورت المقبرة
قال إني أجدهم خير جيران إني أجدهم جيران صدق يكفون الألسنة ويذكرون
الآخرة • وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما رأيت منظراً إلا والقبر
أفظع منه وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه
وسلم إلى المقابر فجلس إلى قبر وكنت أدنى القوم منه فبكى وبكيت وبكوا فقال
ما يبكيكم قلنا بكينا قال هذا قبر أمي آمنة بنت وهب استأذنت ربي في زيارتها
فأذن لي واستأذنته أن أستغفر لها فأبى علي فأدركني ما يدرك الولد من الرقة
وكان عثمان بن عفان رضي الله عنه إذا وقف على قبر بكى حتى يبل لحيته فسئل عن ذلك
وقيل له تذكر الجنة والنار ولا تبكي وتبكي إذا وقفت على قبر فقال سمعت رسول
الله صلى الله عليه وسلم يقول القبر أول منازل الآخرة فإن نجا منه صاحبه فما
بعده أيسر منه وإن لم ينج فما بعده أشد • وقيل إن عمرو بن العاص نظر إلى المقبرة
فنزل فصلى ركعتين فقيل له هذا شيء لم تكن تفعله فقال ذكرت أهل القبور وما حيل بينهم
وبينه فأحببت أن أتقرب إلى الله تعالى بهما • وقال مجاهد أول ما يكلم
ابن آدم حفرته فيقول أنا بيت الدود وبيت الوحدة وبيت الغربة وبيت الظلمة

جلوس النبي عم على قبر أمه عم

القبر

كلام القبر

الظلمة غدا ما اعددت لك فماذا اعددت لي • وقال ابو ذر الا اخبركم بيوم
فقري يوم اوضع في قبري • وكان ابو الدرداء يقعد الى القبور فقيل
له في ذلك فقال اجلس الى قوم يذكروني معادي وان غبت لم يغتابوني
وكان جعفر بن محمد يأتي القبور ليلا ويقول يا اهل القبور ما لي اذا دعوتكم لا
تجيبوني ثم يقول حيل والله بينهم وبين جوابي وكأني بي اكون مثلهم ثم يستقبل
الصلاة الى طلوع الفجر • وقال عمر بن عبد العزيز لبعض جلسائه يا ابا فلان
ارقت الليلة تفكرا في القبر وساكنه انك لو رأيت الميت بعد ثلاثة في قبره
لاستوحشت من قربه بعد طول الانس منك به ورأيت بيتا تجول فيه الهوام
ويجري فيه الصديد وتخترقه الديدان مع تغير الريح وبلى الاكفان بعد
حسن الهيئة وطيب الريح ونقاء الثوب قال ثم شهق شهقة خر مغشيا عليه
وكان يزيد الرقاشي يقول ايها المقبور في حفرته والمتخلي في القبر بوحدته
والمستأنس في بطن الارض باعماله ليت شعري باي اعمالك استبشرت وباي
اخوانك اغتبطت ثم يبكي حتى يبل عمامته ثم يقول استبشر والله باعماله
الصالحة واغتبط والله باخوانه المتعاونين على طاعة الله تعالى وكان اذا
نظر الى القبور خار كما يخور الثور • وقال حاتم الاصم من مر بالمقابر ولم
يتفكر لنفسه ولم يدع لهم فقد خان نفسه وخانهم وكان بكر العابد يقول
يا اماه ليتك كنت بي عقيما ان لابنك في القبر حبسا طويلا ومن بعد ذلك
رحيلا • وقال يحيى بن معاذ يا ابن آدم دعاك ربك الى دار السلام
فانظر من اين تجيبه ان اجبته من دنياك واشتغلت بالرحلة اليه دخلتها
وان اجبته من قبرك منعتها وكان الحسن بن صالح اذا اشرف على المقابر
يقول ما احسن ظواهركم انما الدواهي في بواطنكم • وكان عطاء السلمي
اذا جن عليه الليل خرج الى المقبرة ثم يقول يا اهل القبور متم فواموتاه
وعاينتم اعمالكم فواعملاه • ثم يقول عطاء غدا في القبر عطاء غدا في القبر
فلا يزال ذلك دابه حتى يصبح وقال سفيان من اكثر ذكر القبر وجده روضة
من رياض الجنة ومن غفل عن ذكره وجده حفرة من حفر النار • وكان الربيع
ابن خثيم • قد حفر في داره قبرا فكان اذا وجد في قلبه قساوة دخل فيه واضطجع
ومكث ما شاء الله ثم يقول رب ارجعون لعلي اعمل صالحا فيما تركت كلا يردده

النظر الى القبور

فضل ذكر القبر

تعجب الارض لبني آدم

ثم يردده على نفسه يا ربيع رحيلك فاعمل • وقال احمد بن حرب تتعجب الارض
من رجل يمهد مضجعه ويسوي فراشه للنوم فتقول يا ابن آدم لم لا تذكر طول بلاك
وما بيني وبينك شيء • وقال ميمون بن مهران خرجت مع عمر بن عبد العزيز الى المقبرة
فلما نظر الى القبور بكى ثم اقبل علي فقال يا ميمون هذه قبور بني امية كأنهم لم يشاركوا
اهل الدنيا في لذاتهم وعيشهم اما تراهم صرعى قد خلت بهم المثلات واستحكم
فيهم البلى واصابت الهوام مقيلا في ابدانهم ثم بكى وقال والله ما اعلم احدا انعم
ممن صار الى هذه القبور وقد امن من عذاب الله • وقال ثابت البناني دخلت المقابر
فلما قصدت الخروج منها فاذا بصوت قائل يقول يا ثابت لا يغرنك صموت اهلها
فكم من نفس مغمومة فيها ومن منعمة • ويروى ان فاطمة بنت الحسين نظرت الى
زوجها الحسن ابن الحسين فغطت وجهها وقالت

• وكانوا رجاء ثم امسوا رزية • لقد عظمت تلك الرزايا وجلت •

وقيل انها ضربت على قبره فسطاطا واعتكفت عليه سنة فلما مضت السنة
قلعت الفسطاط ودخلت المدينة فسمعوا صوتا من داخل البقيع هل وجدوا ما
فقدوا فسمعوا من الجانب الآخر بل يئسوا فانقلبوا • وقال ابو موسى التميمي
توفيت امرأة الفرزدق فخرج في جنازتها وجوه البصرة فيهم الحسن فقال
له الحسن يا ابا فراس ما ذا اعددت لهذا اليوم فقال شهادة ان لا اله الا الله
منذ ستين سنة فلما دفنت قال الفرزدق وهو قائم على قبرها

• وما ينفع المقبور عمران قبره • اذا كان فيه جسمه يتهدم •

• وقال ابن السماك مررت بالمقابر فاذا على قبر مكتوب

الكلمات المنظومة مكتوب على القبر غرايب

• يمر اقاربي جنبات قبري • كأن اقاربي لم يعرفوني •
• وذو الميراث يقتسمون مالي • وما يألون ان جحدوا ديوني •
• وقد اخذوا سهامهم وعاشوا • فيا لله اسرع ما نسوني •

• ووجد على قبر مكتوب

• إن الحبيب من الاحباب مختلس • لا يمنع الموت بواب ولا حرس •
• فكيف تفرح بالدنيا ولذتها • يا من يعد عليه اللفظ والنفس •
• اصبحت يا غافلا في النقص منغمسا • وانت دهرك في اللذات منغمس •

لا يرحم الموت ذا جهل لعزته • ولا الذي كان منه العلم يقتبس •
كم أخرس الموت في قبر وقفت به • عن الجواب لسانا ما به خرس •
قد كان قصرك معمورا له شرف • فقبرك اليوم في الأجداث مندرس •

ووجد على قبر آخر مكتوب

وقفت على الأحبة حين صفت • قبورهم كأفراس الرهان •
فلما أن بكيت وفاض دمعي • رأت عيناي بينهم مكاني •

ووجد على قبر زاهد مكتوب

ووجد على قبر طبيب مكتوب

قد قلت لما قال لي قائل • قد صار لقمان إلى رمسه •
فأين ما يوصف من طبه • وحذقه في الماء مع جسه •
هيهات لا يدفع عن غيره • من كان لا يدفع عن نفسه •
يا أيها الناس كان لي أمل • قصرني عن بلوغه الأجل •
فليتق الله ربه رجل • أمكنه في حياته العمل •
ما أنا وحدي نقلت حيث ترى • كل إلى مثله سينتقل •

فهذه أبيات كتبت على القبور لتقصير سكانها عن الاعتبار قبل الموت والبصير هو الذي ينظر إلى قبر غيره فيرى مكانه بين أظهرهم فيستعد للحوق بهم ويعلم أنهم لا يبرحون من مكانهم ما لم يلحق بهم وليتحقق أنه لو عرض عليهم يوم واحد من أيام عمره الذي هو مضيع له لكان ذلك أحب إليهم من الدنيا بحذافيرها لأنهم عرفوا قدر الأعمال وانكشفت لهم حقائق الأمور فإنما حسرتهم يوم من العمر ليتدارك المقصر به تقصيره فيتخلص عن العقاب وليستزيد الموفق به رتبته فيتضاعف له الثواب فإنهم إنما عرفوا قدر العمر إلا قبل بعد انقطاعه فحسرتهم في ساعة من الحيوة وأنت قادر على تلك الساعة وتعدلت تعدد أمثالها ثم أنت مضيع لها موطن نفسك على الحسرة على تضييعها عند خروج الأمر من الاختيار إذ لم تأخذ نصيبك من ساعتك على سبيل الابتدار فقد قال بعض الصالحين أخا في الله فيما يرى النائم فقلت يا فلان عشت الحمد لله رب العالمين قال لأن أقدر على أن أقولها يعني الحمد لله

أحب إلي من الدنيا وما فيها ثم قال الدرجيث كانوا يدفنوني فإن فلانا قام فصلى
ركعتين لأن أكون أقدر على أن أصليهما أحب إلي من الدنيا وما فيها

بيان أقاويلهم عند موت الولد

حق من مات ولده أو قريب من أقاربه أن ينزله في تقدمه عليه في الموت منزلة ما لو كانا في سفر فسبقه ولده إلى البلد الذي هو مستقره ووطنه فإنه لا يعظم عليه تأسفه لعلمه بأنه لاحق به على القرب وليس بينهما إلا تقدم وتأخر وهكذا الموت فإن معناه السبق إلى الموطن إلى أن يلحق المتأخر وإذا اعتقد هذا قل جزعه وحزنه لا سيما وقد ورد في موت الولد من الثواب ما يعزى به كل مصاب قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأن أقدم سقطا أحب إلي من أن أخلف مائة فارس كلهم يقاتل في سبيل الله وإنما ذكر السقط تنبيها بالأدنى على الأعلى وإلا فالثواب على قدر محل الولد من القلب • وقال زيد بن أسلم توفي ابن لداود عليه السلام فحزن عليه حزنا شديدا فقيل له ما كان عدله عندك قال ملء الأرض ذهبا فقيل له فإن لك من الأجر مثل ذلك وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يموت لأحد من المسلمين ثلاثة من الولد فيحتسبهم إلا كانوا له جنة من النار فقالت امرأة عند رسول الله صلى الله عليه وسلم واثنان قال واثنان وليخلص الوالد الدعاء لولده عند موته فإنه أرجى دعاء وأقربه إلى الإجابة ووقف محمد بن سليمان على قبر ولده فقال اللهم إني أصبحت أرجو لك وأخاف عليك فحقق رجائي وآمن خوفي • ووقف أبو سنان على قبر ابنه فقال اللهم إني قد غفرت له ما وجب لي عليه فاغفر له ما وجب لك عليه فإنك أجود وأكرم ووقف أعرابي على قبر ابنه فقال اللهم إني وهبت له ما قصر فيه من بري فهب له ما قصر فيه من طاعتك • ولما مات ذر بن عمر بن ذر قام أبوه عمر بن ذر بعدما وضع في لحده فقال يا ذر شغلنا الحزن لك عن الحزن عليك فليت شعري ماذا قلت وماذا قيل لك ثم قال اللهم إن هذا ذر متعتني به ما متعتني ووفيته أجله ورزقه ولم تظلمه وقد كنت ألزمته طاعتك وطاعتي اللهم وما وعدتني عليه من الأجر في مصيبتي فقد وهبت لك ذلك فهب لي عذابه ولا تعذبه فأبكى الناس

مثال الموت

الناس ثم قال عند انصرافه ما ملنا بعدك من خصاصة وما بنا إلى إنسان حاجة
مع الله فلقد أصبحنا وتركناك ولو أقمنا ما نفعناك ونظر رجل إلى امرأة
بالبصرة فقال ما رأيت مثل هذه النضارة وما ذاك إلا من قلة الحزن فقالت يا
يا عبد الله إني لفي حزن ما يشركني فيه أحد قال وكيف قالت إن زوجي ذبح شاة
في يوم الأضحى وكان لي صبيان مليحان يلعبان فقال أكبرهما للآخر أتريد
أن أريك كيف ذبح أبي الشاة قال نعم فأخذه وذبحه فما شعرنا به إلا متشحطا في
دمه فلما ارتفع الصراخ هرب الغلام فلجأ إلى الجبل فرهقه ذئب فأكله وخرج
أبوه يطلبه فمات عطشا من شدة الحر قالت فأفردني الدهر فأمثال
هذه الحكايات ينبغي أن تتذكر عند موت الأولاد ليتسلى بها عن شدة
الجزع فما من مصيبة إلا ويتصور أعظم منها وما يدفعه في كل حال فهو الأكثر

بيان زيارة القبور

والدعاء للميت وما يتعلق به

زيارة القبور مستحبة على الجملة للتذكر والاعتبار وزيارة قبور الصالحين
مستحبة لأجل التبرك مع الاعتبار وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم
نهى عن زيارة القبور ثم أذن في ذلك بعد وروى علي رضي الله عنه أن
رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها
فإنها تذكركم الآخرة غير أن لا تقولوا هجرا • وزار رسول الله صلى الله عليه
وسلم قبر أمه في ألف مقنع فلم ير باكيا أكثر من يومئذ • وفي هذا اليوم قال
أذن لي في الزيارة • دون الاستغفار كما رويناه من قبل • وقال ابن أبي مليكة
أقبلت عائشة رضي الله عنها يوما من المقابر فقلت يا أم المؤمنين من أين أقبلت
قالت من قبر أخي عبد الرحمن فقلت أليس كان النبي صلى الله عليه وسلم نهى عنها
قالت نعم ثم أمر بها ولا ينبغي أن يتمسك بها في الإذن للنساء في الخروج
إلى المقابر فإنهن يكثرن الهجر على رؤوس المقابر فلا يفي خير زيارتهن بشرها ولا
يخلون في الطريق عن تكشف وتبرج وهذه عظائم والزيارة سنة فكيف يحتمل

زيارة قبور الصالحين

ذلك لاجلها نخير لا بأس بخروج المرأة في ثياب بذلة تزدريها أعين الرجال عنها وذلك
بشرط الاقتصار على الدعاء وترك الحديث على رأس القبر • وقال ابو ذر قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم زر القبور تذكر بها الآخرة واغسل الموتى فان معالجة جسد
خاو موعظة بليغة وصل على الجنائز لعل ذلك ان يحزنك فان الحزين في ظل الله
وقال ابن ابي مليكة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم زوروا موتاكم فسلموا عليهم
وصلوا عليهم فان لكم فيهم عبرة • وعن نافع ان ابن عمر كان لا يمر بقبر احد
الا وقف وسلم عليه • وعن جعفر بن محمد عن ابيه ان فاطمة بنت النبي صلى الله
عليه وسلم كانت تزور قبر عمها حمزة في الايام فتصلي وتبكي عنده • وقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم من زار قبر ابويه او احدهما في كل جمعة غفر له وكتب له برا •
وعن ابن سيرين قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الرجل ليموت ووالداه
وهو عاق بهما فيدعو لهما من بعدهما فيكتبه الله من البارين وقال صلى الله عليه
وسلم من زار قبري وجبت له شفاعتي وقال صلى الله عليه وسلم من زارني بالمدينة
محتسبا كنت له شفيعا وشهيدا يوم القيامة • وقال كعب ما من فجر يطلع الا
نزل عليه سبعون الفا من الملائكة حتى يحفوا بالقبر يضربون باجنحتهم ويصلون
على النبي صلى الله عليه وسلم حتى اذا امسوا عرجوا وهبط مثلهم فصنعوا
كذلك حتى اذا انشقت الارض خرج في سبعين الفا من الملائكة يوقرونه
والمستحب في زيارة القبور ان يقف مستدبر القبلة مستقبلا لوجه الميت
وان يسلم ولا يمسح القبر ولا يقبله ولا يمسه فان ذلك من عادة النصارى قال
نافع كان ابن عمر رايته مائة مرة او اكثر يجيء الى القبر فيقول السلام على النبي السلام
على ابي بكر السلام على ابي وينصرف • وعن ابي امامة قال رايت انس بن مالك
اتى قبر النبي صلى الله عليه وسلم فوقف فرفع يديه حتى ظننت انه افتتح الصلاة
فسلم على النبي صلى الله عليه وسلم ثم انصرف وقالت عائشة رضي الله عنها قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من رجل يزور قبر اخيه ويجلس عنده الا استأنس
به ورد عليه حتى يقوم • وقال سليمان بن سحيم رايت النبي صلى الله
عليه وسلم في النوم فقلت له يا رسول الله هؤلاء الذين يأتونك ويسلمون عليك
اتفقه سلامهم قال نعم وارد عليهم • وقال ابو هريرة اذا مر الرجل
بقبر الرجل يعرفه فسلم عليه رد السلام عليه وعرفه واذا مر بقبر لا يعرفه

زيارة النساء القبور

الحزن في ظل الله

حمزة عم فاطمة الزهراء

الدعاء للوالدين من دعي لهما يكون بارا لهما

بر الوالدين

زيارة رسول الله

صفة زيارة القبر

الموتى يعرف الزائر يوم الجمعة والخميس والسبت

لا يعرفه فسلم عليه فرد عليه السلام • وقال رجل من آل عاصم الجحدري رأيت
عاصما في منامي بعد موته بسنتين فقلت له أليس قد مت قال بلى قلت فأين أنت
قال أنا والله في روضة من رياض الجنة أنا ونفر من أصحابي نجتمع كل ليلة جمعة
وصبيحتها إلى أبي بكر بن عبد الله المزني فنتلاقى أخباركم قلت أجسامكم أم
أرواحكم فقال هيهات بليت الأجسام وإنما تتلاقى الأرواح قال قلت
فهل تعلمون بزيارتنا إياكم قال نعلم بها عشية الجمعة ويوم الجمعة كله ويوم
السبت إلى طلوع الشمس قلت وكيف ذلك دون الأيام كلها قال لفضل
يوم الجمعة وعظمه • وكان محمد بن واسع يزور يوم الجمعة فقيل له لو أخرت
إلى يوم الاثنين فقال بلغني أن الموتى يعلمون بزوارهم يوم الجمعة ويوما قبله
ويوما بعده • وقال الضحاك من زار قبرا يوم السبت قبل طلوع الشمس علم
الميت بزيارته قيل له وكيف ذلك قال لمكان يوم الجمعة • وقال بشر بن منصور
لما كان زمن الطاعون كان رجل يختلف إلى الجبان فيشهد الصلاة على الجنائز
فإذا أمسى وقف على باب المقابر فقال آنس الله وحشتكم ورحم الله غربتكم
وتجاوز عن سيئاتكم وقبل حسناتكم ولا يزيد على هذه الكلمات قال الرجل
فأمسيت ذات ليلة فانصرفت إلى أهلي ولم آت المقابر فأدعو كما كنت
أدعو فبينما أنا نائم إذا بخلق كثير جاءوني فقلت من أنتم وما حاجتكم
قالوا نحن أهل المقابر قلت ما جاء بكم قالوا إنك قد عودتنا منك هدية
عند انصرافك إلى أهلك قلت وما هي قالوا الدعوات التي كنت تدعو قلت
فإني أعود لذلك فما تركتها بعد ذلك • وقال بشار بن غالب النجراني رأيت
رابعة العدوية العابدة في منامي وكنت كثير الدعاء لها فقالت لي يا بشار
ابن غالب هداياك تأتينا على أطباق من نور مخمرة بمناديل الحرير قلت
وكيف ذلك قالت وهكذا دعاء المؤمنين الأحياء إذا دعوا للموتى فاستجيب
لهم جعل ذلك الدعاء على أطباق النور وخمر بمناديل الحرير ثم أتي به الميت
فقيل له هذه هدية فلان إليك • وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ما الميت في قبره إلا كالغريق المغوث ينتظر دعوة تلحقه من أبيه أو أخيه
أو صديق له فإذا لحقته كانت أحب إليه من الدنيا وما فيها وإن هدايا
الأحياء للأموات الدعاء والاستغفار • وقال بعضهم مات أخ لي فرأيته

الارواح يجتمعون في كل ليلة جمعة

الدعاء للموتى حكاية

[illegible] الموتى

في المنام فقلت ما كان حالك حين وضعت في قبرك قال اتاني آت بشهاب من نار
فلولا ان داعيا دعا لي لرايت انه سيضربني به وعن هذا يستحب تلقين الميت
بعد الدفن والدعاء له قال سعيد ابن عبد الله الاودي شهدت ابا امامة الباهلي
وهو في النزع فقال يا سعيد اذا مت فاصنعوا بي كما امرنا رسول الله صلى الله
عليه وسلم فقال اذا مات احدكم فسويتم عليه التراب فليقم احدكم على راس
قبره ثم يقول يا فلان ابن فلانة فيقول ارشدنا يرحمك الله فانه يسمع ولا يجيب ثم ليقل
يا فلان ابن فلانة الثانية فانه يستوي قاعدا ثم ليقل يا فلان ابن فلانة فيقول
ارشدنا يرحمك الله ولكن لا تشعرون فيقول اذكر ما خرجت عليه من الدنيا
شهادة ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله وانك رضيت بالله ربا وبالاسلام
دينا وبمحمد رسول الله صلى الله عليه وسلم نبيا وبالقران اماما فان منكرا ونكيرا
يتاخر كل واحد منهما فيقول انطلق بنا ما يقعدنا عنده هذا وقد لقن حجته
ويكون الله عز وجل حجيجه دونهما فقال رجل يا رسول الله فان لم يعرف
اسم امه فلينسبه الى حوا ولا باس بقراءة القران على قبره روي عن علي بن موسى
الحداد قال كنت مع احمد ابن حنبل في جنازة ومحمد ابن قدامة الجوهري معنا
فلما دفن الميت جاء رجل ضرير يقرا عند القبر فقال له احمد يا هذا ان القراءة
عند القبر بدعة فلما خرجنا من المقابر قال محمد ابن قدامة الجوهري لاحمد يا ابا
عبد الله ما تقول في مبشر ابن اسمعيل الحلبي قال ثقة قال هل كتبت عنه شيئا
قال نعم قال اخبرني مبشر ابن اسمعيل عن عبد الرحمن ابن العلاء ابن اللجلاج عن ابيه
انه اوصى اذا دفن ان يقرا عند راسه بفاتحة الكتاب وفاتحة البقرة وخاتمتها
وقال سمعت ابن عمر يوصي بذلك فقال احمد فارجع الى الرجل وقل له يقرا وقال محمد
ابن احمد المروذي سمعت احمد رحمه الله يقول اذا دخلتم المقابر فاقرءوا بفاتحة
الكتاب والمعوذتين وقل هو الله احد واجعلوا ثواب ذلك لاهل المقابر
فانه يصل اليهم وقال ابو قلابة اقبلت من الشام الى البصرة فنزلت الخندق
فتطهرت وصليت ركعتين بليل ثم وضعت راسي على قبر فنمت فاذا صاحبه
يشتكي فيقول لقد اذيتني منذ الليلة ثم قال انكم لا تعلمون ونحن نعلم
ولا نقدر على العمل ثم قال الركعتين اللتين ركعتهما خير من الدنيا وما فيها ثم
قال جزى الله اهل الدنيا عنا خيرا اقراهم السلام فانه قد يدخل علينا من دعائهم

صورة تلقين الميت

الله

دعائهم نورا امثال الجبال **فالمقصود من زيارة القبور** للزائر وللمزور الانتفاع
بدعائه فلا ينبغي ان يغفل عن الدعاء لنفسه وللميت ولا عن الاعتبار به وانما يحصل
الاعتبار بان يصور في قلبه الميت كيف تفرقت اجزاؤه وكيف يبعث من قبره وانه
على القرب سيلحق به كما روي عن مطرف ابن ابي بكر الهذلي قال كانت عجوز في
عبد القيس متعبدة وكانت اذا جاء الليل تحزمت ثم قامت الى المحراب واذا جاء النهار
خرجت الى القبور فبلغني انها عوتبت في كثرة اتيانها المقابر فقالت ان القلب القاسي
اذا جفا لم تلينه الا رسوم البلى واني لآتي القبور فكاني انظر وقد خرجوا من بين
اطباقها وكاني انظر الى تلك الوجوه المعفرة والى تلك الاجسام المتغيرة والى
الاكفان الدسمة فيا لها من نظرة لو اشربها العباد قلوبهم ما انكل مرارتها
للانفس واشد تلفها للابدان بل ينبغي ان يحضر من صورة الميت ما ذكره عمر ابن عبد
العزيز حيث دخل عليه فقيه فتعجب من تغير صورته لكثرة الجهد والعبادة
فقال له يا فلان لو رايتني بعد ثلاث وقد ادخلت في قبري وقد خرجت الحدقتان
فسالتا على الخدين وتقلصت الشفتان على الاسنان وخرج الصديد من الفم
وانفتح الفم ونتأ البطن فعلا على الصدر وخرج الصلب من الدبر وخرج الدود
والصديد من المناخر لرايت اعجب مما تراه الآن **ويستحب ايضا الثناء على الميت**
وان لا يذكر الا بالجميل قالت عائشة رضي الله عنها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
اذا مات صاحبكم فدعوه ولا تقعوا فيه • وقال صلى الله عليه وسلم لا تسبوا
الاموات فانهم قد افضوا الى ما قدموا • وقال صلى الله عليه وسلم لا تذكروا
موتاكم الا بالخير فانهم ان يكونوا من اهل الجنة تاثموا وان يكونوا من اهل النار
فحسبهم ما هم فيه وقال انس ابن مالك مرت جنازة على رسول الله صلى الله
عليه وسلم فاثنوا عليه شرا فقال عليه السلام وجبت ومروا باخرى
فاثنوا عليه خيرا فقال وجبت فساله عمر عن ذلك فقال ان هذا اثنيتم
عليه خيرا فوجبت له الجنة وهذا اثنيتم عليه شرا فوجبت له النار
وانتم شهداء الله في الارض وقال ابو هريرة قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم ان العبد ليموت فيثني عليه القوم الثناء يعلم الله منه غيره
فيقول الله عز وجل لملائكته اشهدكم اني قد قبلت شهادة عبيدي على عبدي
وتجاوزت عن علمي في عبدي

قلب القاسي

ذكر الموتى بالخير

الباب السابع في حقيقة الموت

وما يلقاه الميت في القبر الى نفخة الصور

بيان حقيقة الموت

اعلم ان الموت للناس في حقيقته ظنونا كاذبة قد اخطاوا فيها وظن بعضهم
ان الموت هو العدم وانه لا حشر ولا نشر ولا عاقبة للخير والشر وان موت
الانسان كموت الحيوانات وجفاف النبات وهذا راي الملحدة وكل من لا يومن بالله
واليوم الاخر وظن قوم انه ينعدم بالموت ولا يتالم بعقاب ولا يتنعم بثواب ما دام
في القبر الى ان يعاد في وقت الحشر وقال اخرون ان الروح باقية لا تنعدم بالموت وانما
المثاب والمعاقب هي الارواح دون الاجساد وان الاجساد لا تبعث ولا تحشر اصلا
وكل هذه الظنون فاسدة ومائلة عن الحق بل الذي يشهد له طرق الاعتبار
وينطق به الايات والاخبار ان الموت معناه تغير حال وان الروح باقية بعد مفارقة الجسد
اما معذبة واما منعمة وبعد مفارقتها للجسد انقطاع تصرفها عن الجسد بخروج الجسد
عن طاعتها فان الاعضا الات الروح تستعملها حتى انها لتبطش باليد وتسمع بالاذن
وتبصر بالعين وتعلم حقيقة الاشيا بالقلب والقلب ههنا عبارة عن الروح فان
الروح تعلم الاشيا بنفسها من غير الة ولذلك قد تتالم بنفسها بانواع الحزن والغم
والكمد وتتنوع بانواع الفرح والسرور وكل ذلك لا يتعلق بالاعضا وكل
ما هو وصف للروح بنفسها فيبقى معها بعد مفارقة الجسد وما هو لها بواسطة
الاعضا فيتعطل بموت الجسد الى ان تعاد الروح الى الجسد ولا يبعد ان تعاد
الروح الى الجسد في القبر ولا يبعد ان تؤخر الى يوم البعث والله اعلم بما حكم
به على كل عبد من عباده وانما تعطل الجسد بالموت يضاهي تعطل اعضا الزمن
بفساد مزاج يقع فيه وبشدة تقع في الاعصاب تمنع نفوذ الروح فيها فتكون
الروح العالمة العاقلة المدركة باقية مستعملة لبعض الاعضا وقد استعصى
عليها بعضها والموت عبارة عن استعصا بعض الاعضا كلها وكل الاعضا الات
وهي مستعملة في خدمة الروح واعني بالروح المعنى الذي يدرك من الانسان

العذاب أفي الروح ام في الجسد

٣٣٥
346

الإنسان العلوم والآلام والغموم ولذات الفرح ومهما بطل تصرفها في الأعضاء
لم تبطل منها العلوم والإدراكات ولا تبطل منها الأفراح والغموم ولا بطل منها
قبولها للآلام واللذات والإنسان بالحقيقة هو المعنى المدرك للعلوم والآلام
واللذات وذلك لا يموت أي لا ينعدم ومعنى الموت انقطاع تصرفه عن البدن
وخروج البدن عن أن يكون آلة كما أن معنى الزمانة خروج اليد عن أن تكون آلة
مستعملة فالموت زمانة مطلقة في الأعضاء كلها وحقيقة الإنسان نفسه
وروحه وهي باقية نعم تغير حاله من جهتين أحدهما أنه سلب منه عينه وأذنه
ولسانه ويده ورجله وجميع أعضائه وسلب منه أهله وولده وأقاربه
وسائر معارفه وسلب منه خيله ودوابه وغلمانه ودوره وعقاره وسائر أملاكه
ولا فرق بين أن تسلب هذه الأشياء من الإنسان وبين أن يسلب الإنسان من
هذه الأشياء فإن المولم هو الفراق والفراق يحصل تارة بأن ينهب مال
الرجل وتارة بأن يسبى الرجل عن المال والألم واحد في الحالين وإنما معنى الموت
سلب الإنسان عن أمواله بإزعاجه إلى عالم آخر لا يناسب هذا العالم فإن كان
له في الدنيا شيء يأنس به ويستريح إليه ويعتد بوجوده فيعظم تحسره عليه بعد الموت
ويصعب شقاؤه في مفارقته بل يلتفت قلبه إلى واحد واحد من ماله وجاهه
وعقاره حتى إلى قميص كان يلبسه مثلا ويفرح به وإن لم يكن يفرح إلا بذكر
الله تعالى ولم يأنس إلا به عظم نعيمه وتمت سعادته إذ خلي بينه وبين محبوبه
وقطعت عنه العوائق والشواغل إذ جميع أسباب الدنيا شاغلة عن ذكر الله تعالى
فهذا أحد وجهي المخالفة بين حالة الموت وحال الحياة والثاني أنه ينكشف له
بالموت ما لم يكن مكشوفا له في الحياة كما ينكشف للمستيقظ ما لم يكن مكشوفا في النوم
والناس نيام فإذا ماتوا انتبهوا وأول ما ينكشف له ما يضره وينفعه من
حسناته وسيئاته وقد كان ذلك مسطورا في كتاب مطوي في سر قلبه وكان
يشغله عن الاطلاع عليه شواغل الدنيا فإذا انقطعت الشواغل انكشف له
جميع أعماله فلا ينظر إلى سيئة إلا ويتحسر عليها تحسرا أن يخوض غمرة النار من تلك
الحسرة وعند ذلك يقال له كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا وينكشف كل ذلك
عند انقطاع النفس وقبل الدفن وتشتعل نيران الفراق أعني فراق ما كان
يطمئن إليه من هذه الدنيا الفانية دون ما أراد منها لأجل الزاد والبلغة فإن من

معنى الموت
مثال الموت

ماتوا

خلف البلغة فإذا بلغ المقصد فرح بمفارقة بقية الزاد إذ لم يكن يريد الزاد لعينه وهذا حال من
لم يأخذ من الدنيا إلا بقدر الضرورة وكان يود أن تنقطع ضرورته ليستغني عنه
فقد حصل ما كان يوده واستغنى عنه وهذه أنواع من العذاب والآلام
تهجم عليه قبل الدفن ثم عند الدفن قد ترد روحه إلى الجسد لنوع آخر من العذاب

مثال حال المتنعم

وقد يعفى عنه وقد يكون حال المتنعم بالدنيا المطمئن إليها كحال من تنعم عند غيبة
ملك من الملوك في داره وملكه وحريمه اعتمادا على أن الملك يتساهل في أمره
أو على أن الملك ليس يدري ما يتعاطاه من قبيح أفعاله فأخذه الملك بغتة وعرض عليه
جريدة قد دونت فيها جميع فواحشه وجناياته ذرة ذرة وخطوة خطوة
والملك قاهر متسلط وغيور على حرمه ومنتقم من الجناة على ملكه وغير ملتفت
إلى من يشفع إليه في العصاة عليه فانظر إلى حال هذا المأخوذ كيف يكون حاله
عند نزول عذاب الملك به من الخوف والخجلة والحياء والتحسر والندم فهذا
حال الميت الفاجر المغتر بالدنيا المطمئن إليها قبل نزول عذاب القبر به عند موته

حال الميت عند الموت

نعوذ بالله منه فإن الخزي والافتضاح وهتك الستر أعظم من كل عذاب يحل بالجسد
من الضرب والقطع وغيرهما فهذه إشارة إلى حال الميت عند الموت شاهدها أولو
البصائر بمشاهدة باطنة أقوى من مشاهدة العين وشهد لذلك شواهد الكتاب
والسنة نعم لا يمكن كشف الغطاء عن كنه حقيقة الموت إذ لا يعرف الموت من لا
يعرف الحياة ومعرفة الحياة بمعرفة حقيقة الروح في نفسها وإدراك ماهية
ذاتها ولم يؤذن لرسول الله صلى الله عليه وسلم أن يتكلم فيها ولا أن يزيد
أن يقول الروح من أمر ربي فليس لأحد من علماء الدين أن يكشف عن سر الروح
وإن اطلع عليه وإنما المأذون فيه ذكر حال الروح بعد الموت ويدل على أن الموت
ليس عبارة عن انعدام الروح وانعدام إدراكها آيات وأخبار كثيرة أما الآيات
فما ورد في الشهداء إذ قال تعالى ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله
أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون ولما قتل صناديد قريش يوم بدر

الكلام للموتى

ناداهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا فلان يا فلان هل وجدت
ما وعدني ربي حقا فهل وجدتم ما وعد ربكم حقا فقيل يا رسول الله أتناديهم وهم
أموات فقال صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده إنهم لأسمع لهذا الكلام منكم
إلا أنهم لا يقدرون على الجواب فهذا نص في بقاء روح الشقي وبقاء إدراكها ومعرفتها

وتعبر فيها والآية نص في أرواح الشهدا ولا يخلو الميت من سعادة أو شقاوة وقال
صلى الله عليه وسلم القبر اما حفرة من حفر النار او روضة من رياض
الجنة وهذا نص صريح في ان الموت معناه تغير حال فقط وانما سيكون من شقاوة
الميت وسعادته معجل عند الموت من غير تأخر وانما يتأخر بعض انواع العذاب
والثواب دون اصله وروى انس عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال الموت
القيامة من مات فقد قامت قيامته وقال صلى الله عليه وسلم اذا مات
احدكم عرض عليه مقعده غدوة وعشية ان كان من اهل الجنة فمن اهل الجنة
وان كان من اهل النار فمن اهل النار يقال هذا مقعدك حتى تبعث اليه يوم القيامة
وليس يخفى في مشاهدة المقعدين من عذاب ونعيم في الحال وعن ابي قيس قال كنا مع
علقمة في جنازة فقال اما هذا فقد قامت قيامته وقال علي كرم الله وجهه
حرام على نفس ان تخرج من الدنيا حتى تعلم من اهل الجنة هي ام من اهل النار وقال
ابو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من مات مريضا مات شهيدا
ووقي فتان القبر وغدي وريح عليه برزقه من الجنة وقال مسروق ما غبطت احدا
ما غبطت مؤمنا في اللحد قد استراح من نصب الدنيا وامن من عذاب الله وقال
يعلى ابن الوليد كنت امشي يوما مع ابي الدرداء فقلت ما تحب لمن تحب قال الموت
قلت فان لم يمت قال يقل ماله وولده وانما احب الموت لانه لا يحبه الا المؤمن
والموت اطلاق للمؤمن من السجن وانما احب قلة المال والولد لانه فتنة وسبب
والانس بمن لا بد من فراقه غاية الشقاوة وكل ما سوى الله وذكره والانس به
فلا بد من فراقه عند الموت لا محالة ولهذا قال عبد الله ابن عمر انما مثل المؤمن
حين تخرج روحه مثل رجل كان في سجن فاخرج منه فهو يتفسح في الارض
ويتقلب فيها وهذا الذي ذكره حال من تجافى عن الدنيا وتبرم بها ولم يكن
له انس الا بذكر الله تعالى وكانت شواغل الدنيا تحبسه عن محبوبه ومقاسات
الشهوات تؤذيه فكان في الموت خلاصه من جميع المؤذيات وانفراده
بمحبوبه الذي كان به انسه من غير عائق ولا دافع وما اجدر ذلك بان يكون
منتهى النعيم واللذات واكمل اللذات الشهداء الذين قتلوا في سبيل الله
لانهم ما اقدموا على القتال الا قاطعين التفاتهم عن علائق الدنيا مشتاقين
الى لقاء الله راضين بالقتل في طلب مرضاته فان نظر الى الدنيا فقد باعها

الموت القيامة

حب الموت

الموت اطلاق المؤمن من السجن [illegible]

الشهداء

طوعاً بالآخرة والبائع لا يلتفت قلبه الى المبيع وان نظر الى الآخرة فقد استراها
وتشوف اليها فما اعظم فرحه بما اشتراه اذا رآه وما اقل التفاته الى ما باعه
اذا فارقه وتجرد القلب لحب الله فقد يتفق في بعض الاحوال ولكن لا يدركه الموت
عليه فيتغير والقتال سبب الموت فكان سبباً لادراك الموت على مثل هذه
الحالة فلهذا اعظم النعيم اذ معنى النعيم ان ينال الانسان ما يريده قال
الله تعالى ولهم فيها ما يشتهون فكان هذا اجمع عبارة لمعاني لذات الجنة
واعظم العذاب ان يمنع الانسان عن مراده كما قال تعالى وحيل بينهم وبين
ما يشتهون فكان هذا اجمع عبارة لعقوبات اهل جهنم وهذا النعيم يدركه
الشهيد كما انقطع نفسه من غير تاخير وهذا امر انكشف لاهل القلوب
بانوار اليقين وان اردت عليه شهادة من جهة السمع فجميع احاديث الشهداء
تدل عليه وكل حديث يشتمل على التعبير عن منتهى نعيمهم بعبارة اخرى
فقد روي عن عائشة رضي الله عنها انها قالت قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم لجابر الا ابشرك يا جابر وكان ابوه قد استشهد يوم احد
قال بلى بشرك الله بالخير قال ان الله احيا اباك فاقعده بين يديه فقال تمن
على عبدي ما شئت اعطيكه قال يا رب ما عبدتك حق عبادتك اتمنى عليك ان
تردني الى الدنيا فاقاتل مع نبيك فاقتل فيك مرة اخرى قال له قد سبق مني انك
اليها لا ترجع • وقال كعب يوجد في الجنة رجل يبكي فيقال له لم تبكي وانت
في الجنة قال لاني لم اقتل في سبيل الله الا قتلة واحدة وكنت اشتهي ان ارد
فاقتل فيه قتلات • واعلم ان المؤمن ينكشف له عقيب الموت من سعة جلال الله
تعالى ما يكون الدنيا بالاضافة اليه كالسجن والمضيق ويكون مثاله كالمحبوس في
بيت مظلم فتح له الى بستان واسع الاكناف لا يبلغ طرفه اقصاه فيه انواع
الاشجار والازهار والطيور والثمار ولا يشتهي العود الى السجن المظلم وقد ضرب
له رسول الله صلى الله عليه وسلم مثلاً فقال لرجل مات اصبح هذا
مرتحلاً عن الدنيا وتركها لاهلها فان كان قد رضي فلا يسره ان يرجع الى الدنيا كما لا
يسر احدكم ان يرجع الى بطن امه فعرفك بهذا ان نسبة سعة الآخرة الى الدنيا
كنسبة سعة الدنيا الى ظلمة الرحم • وقال صلى الله عليه وسلم ان مثل المؤمن
في الدنيا كمثل الجنين في بطن امه اذا خرج من بطنها بكى على مخرجه حتى اذا رأى

الشهداء

مثال الموت

٣٣٧
348

راى الضوء والروح لم يحب ان يرجع الى مكانه وكذلك المؤمن يجزع من الموت فاذا افضى
الى ربه لم يحب ان يرجع الى الدنيا كما لا يحب الجنين ان يرجع الى بطن امه وقيل
لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان فلانا قد مات فقال مستريح او مستراح منه
اشار الى المستريح الى المؤمن وبالمستراح منه الى الفاجر اذ يستريح اهل الدنيا
منه وقال ابو عمر صاحب السقيا مر بنا ابو عمر ونحن صبيان فنظر الى قبر فاذا
جمجمة بادية فامر رجلا فواراها ثم قال ان هذه الابدان ليس يضرها هذا
الثرى شيئا وانما الارواح تعاقب وتثاب الى يوم القيامة وعن عمرو ابن دينار
قال ما من ميت يموت الا وهو يعلم ما يكون في اهله بعده وانهم ليغسلونه
ويكفنونه وانه لينظر اليهم وقال مالك ابن انس بلغني ان ارواح المؤمنين
مرسلة تذهب حيث شاءت وقال النعمان ابن بشير سمعت رسول الله صلى الله
عليه وسلم على المنبر يقول انه لم يبق من الدنيا الا مثل الذباب يمور في جوها فالله
الله في اخوانكم من اهل القبور فان اعمالكم تعرض عليهم وقال ابو هريرة
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تفضحوا امواتكم بسيئات اعمالكم
فانها تعرض على اوليائكم من اهل القبور ولذلك قال ابو الدرداء
اللهم اني اعوذ بك ان اعمل عملا اخزى به عند عبد الله ابن رواحة وكان قد مات
وهو خاله وسئل عبد الله ابن عمرو ابن العاص عن ارواح المؤمنين اذا ماتوا اين
هي قال صور طير بيض في ظل العرش وارواح الكافرين في الارض السابعة
وقال ابو سعيد الخدري رضي الله عنه سمعت رسول الله صلى الله عليه
وسلم يقول ان الميت يعرف من يغسله ومن يحمله ومن يدليه في قبره وقال صالح
المري بلغني ان الارواح تتلاقى عند الموت فتقول ارواح الموتى للروح
التي تخرج اليهم كيف كان ماواك وفي اي الجسدين كنت في طيب او خبيث وقال
عبيد ابن عمير اهل القبور يتوكفون الاخبار فاذا اتاهم الميت قالوا ما فعل
فلان فيقول اولم ياتكم او ما قدم عليكم فيقولون انا لله وانا اليه راجعون
سلك به غير سبيلنا وعن جعفر عن سعيد قال اذا مات الرجل استقبله
كما يستقبل الغائب وقال مجاهد ان الرجل ليبشر بصلاح ولده في قبره
وروى ابو ايوب الانصاري عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ان نفس
المؤمن اذا قبضت تلقاها اهل الرحمة من عند الله كما يتلقى البشير في الدنيا

ارواح المؤمنين

مكان ارواح المؤمنين والكافرين

البشارة بصلاح ولده في قبره

يقولون انظروا اخاكم حتى يستريح فانه كان في كرب شديد فيسألونه ما فعل
فلان وما فعلت فلانة هل تزوجت فلانة فاذا سألوه عن رجل مات قبله وقال
مات قبلي قالوا انا لله وانا اليه راجعون ذهب به الى امه الهاوية

بيان كلام القبر للميت

بيان كلام القبر للميت

وكلام الموتى اما بلسان المقال او بلسان الحال
التي هي افصح في تفهيم الموتى من لسان المقال في تفهيم الاحياء قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم يقول القبر للميت حين يوضع فيه ويحك يا ابن آدم ما غرك بي
الم تعلم اني بيت الفتنة وبيت الظلمة وبيت الوحدة وبيت الدود ما غرك بي اذ
كنت تمر بي فذاذا فان كان مصلحا اجاب عنه مجيب القبر فيقول أرأيت ان كان يأمر
بالمعروف وينهى عن المنكر فيقول القبر اني اذا اتحول عليه خضرا ويعود جسده نورا
وتصعد روحه الى الله تعالى والفذاذ الذي يقدم رجلا ويؤخر اخرى
كذلك فسره الراوي. وقال عبيد بن عمير الليثي ليس من ميت يموت
الا نادته حفرته التي يدفن فيها انا بيت الظلمة والوحدة والانفراد فان كنت في
حياتك مطيعا كنت عليك اليوم رحمة وان كنت عاصيا فانا اليوم عليك نقمة
انا الذي من دخلني مطيعا خرج مسرورا ومن دخلني عاصيا خرج مثبورا
وقال محمد بن صبيح بلغنا ان الرجل اذا وضع في قبره
فعذب واصابه بعض ما يكره ناداه جيرانه من الموتى ايها المتخلف في الدنيا
بعد اخوانه وجيرانه اما كان لك فينا معتبر اما كان لك في تقدمنا اياك فكرة اما
رأيت انقطاع اعمالنا عنا وانت في المهلة فهلا استدركت ما فات اخوانك
وتناديه بقاع الارض ايها المغتر بظاهر الدنيا هلا اعتبرت بمن غيب من اهلك
في بطن الارض ممن غرته الدنيا قبلك ثم سبق به اجله الى القبور وانت تراه
محمولا تهاداه احبته الى المنزل الذي لا بد له منه. وقال يزيد الرقاشي بلغني
ان الميت اذا وضع في قبره احتوشته اعماله ثم انطقها الله فقالت ايها العبد
المنفرد في حفرته انقطع عنك الاخلاء والاهلون فلا انيس لك اليوم عندنا

كلام الموتى

عندنا. وقال كعب إذا وضع العبد الصالح في القبر احتوشته أعماله الصالحة الصلاة والصيام والحج والجهاد والصدقة قال وتجيء ملائكة العذاب من قبل رجليه فتقول الصلاة إليكم عنه فلا سبيل لكم عليه فقد أطال بي القيام لله عليهما فيأتونه من قبل رأسه فيقول الصيام لا سبيل لكم عليه فلقد أطال ظمأه لله تعالى فيأتونه من قبل جسده فيقول الحج والجهاد إليكم عنه فقد أنصب نفسه وأتعب بدنه وحج وجاهد لله تعالى لا سبيل لكم عليه فيأتونه من قبل يديه فتقول الصدقة كفوا عن صاحبي فكم من صدقة خرجت من هاتين اليدين حتى وقعت في يد الله ابتغاء وجهه فلا سبيل لكم عليه قال فيقال له هنيئا طبت حيا وطبت ميتا قال وتأتيه ملائكة الرحمة فتفرش له فراشا من الجنة ودثارا من الجنة ويفسح له في قبره مد بصره ويؤتى بقنديل من الجنة فيستضيء بنوره إلى يوم يبعثه الله من قبره. وقال عبد الله بن عبيد بن عمير في جنازة بلغني أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال إن الميت يقعد وهو يسمع خطو مشيعيه ولا يكلمه شيء إلا قبره يقول ويحك ابن آدم أليس قد حذرتني وحذرت ضيقي ونتني وهولي ودودي فماذا أعددت لي.

بيان عذاب القبر

وسؤال منكر ونكيره

قال البراء ابن عازب خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم على جنازة رجل من الأنصار فجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم على قبره منكسا رأسه ثم قال اللهم إني أعوذ بك من عذاب القبر ثلاثا ثم قال إن المؤمن إذا كان في قبل من الآخرة بعث الله ملائكة كأن وجوههم الشمس معهم حنوطه وكفنه فيجلسون مد بصره فإذا خرجت روحه صلى عليه كل ملك بين السماء والأرض وكل ملك في السماء وفتحت أبواب السماء فليس منها باب إلا ويحب أن يدخل بروحه منه فإذا صعد بروحه قيل أي رب عبدك فلان فيقول ارجعوه فأروه ما أعددت له من الكرامة فإني وعدته منها

خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة اخرى وانه ليسمع خفق نعالهم اذا
ولوا مدبرين حتى يقال يا هذا من ربك وما دينك ومن نبيك فيقول ربي الله
ودينا الاسلام ونبيي محمد صلى الله عليه وسلم قال فينتهرانه انتهارا شديدا
وهي آخر فتنة تعرض للميت فاذا قال ذلك نادى مناد ان صدقت وهو معنى قوله
تعالى يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت الآية ثم يأتيه آت حسن الوجه
طيب الريح حسن الثياب فيقول له ابشر برحمة من ربك وجنات فيها نعيم مقيم فيقول
من انت بشرك الله بخير فيقول انا عملك الصالح والله ما علمت ان كنت لسريعا في
طاعة الله بطيئا عن معصية الله فجزاك الله خيرا قال فينادي مناد ان افرشوا
له من فرش الجنة وافتحوا له بابا الى الجنة فيفرش له فرش الجنة ويفتح له باب الى
الجنة فيقول اللهم عجل قيام الساعة حتى ارجع الى اهلي ومالي قال ٥
واما الكافر اذا كان في قبل الدنيا وانقطاع من الآخرة نزل اليه ملائكة غلاظ شداد
ومعهم ثياب من نار وسرابيل من قطران فيحتوشونه فاذا خرجت نفسه لعنه
كل ملك بين السماء والارض وكل ملك في السماء وغلقت ابواب السماء فليس منها باب
الا ويكره ان يدخل بروحه منه فاذا صعد بروحه نبذ وانتبذ اي يقال رب عبدك فلان
لم تقبله سماء ولا ارض فيقول ارجعوه فادوه ما اعددت له من الشر فاني وعدته
منها خلقناكم وفيها نعيدكم الآية فانه ليسمع خفق نعالهم اذا ولوا مدبرين
حتى يقال له يا هذا من ربك وما دينك ومن نبيك فيقول لا ادري فيقال
لا دريت ثم يأتيه آت قبيح الوجه منتن الريح قبيح الثياب فيقول ابشر بسخط من الله
وبعذاب اليم مقيم فيقول بشرك الله بشر من انت فيقول انا عملك الخبيث
والله ان كنت لسريعا في معصية الله بطيئا عن طاعة الله فجزاك الله شرا ثم
يقيض له اصم ابكم اعمى معه مرزبة من حديد لو اجتمع عليه الثقلان على ان يقلوها
لم يستطيعوا او ضرب بها جبلا صار ترابا فيضربه بها ضربة فيصير ترابا ثم تعود
فيه الروح فيضربه بها بين عينيه ضربة يسمعها من على الارض سوى الثقلين
قال ثم ينادي مناد ان افرشوا له لوحين من نار وافتحوا له بابا الى النار ٥
وقال محمد ابن علي ما من ميت يموت الا مثل له عند الموت اعماله الحسنة واعماله
السيئة قال فيشخص الى حسناته ويطرق عن سيئاته وقال ابو هريرة قال النبي
صلى الله عليه وسلم ان المؤمن اذا احتضر اتته الملائكة بحريرة فيها مسك ٥

سؤال المنكر ونكير

البشارة في القبر

يأتي الاعمال في صورة حسنة في القبر

رد روح الكافر

الملائكة يترلون عند الموت

٩ ٣٣
350

مسك وضبائر الريحان فتسل روحه كما تسل الشعرة من العجين ويقال ايتها النفس
المطمئنة اخرجي راضية مرضية ومرضيا عنك الى روح الله وكرامته فاذا اخرجت
روحه وضعت على ذلك المسك والريحان وطويت عليها الحريرة وبعث بها الى عليين
وان الكافر اذا احتضر اتته الملائكة بمسح فيه جمرة فتنزع روحه انتزاعا شديدا ٥
ويقال ايتها النفس الخبيثة اخرجي ساخطة مسخوطا عليك الى هوان الله وعذابه
فاذا اخرجت روحه وضعت على تلك الجمرة كان لها نشيشا ويطوى عليها المسح ويذهب
بها الى سجين • وعن محمد ابن كعب القرظي انه كان يقرأ قوله تعالى حتى اذا جاء احدهم
الموت قال رب ارجعون لعلي اعمل صالحا فيما تركت قال اي شيء تريد في اي شيء ترغب
اتريد ان ترجع لتجمع المال وتغرس الغراس وتبني البنيان وتشق الانهار قال لا لعلي
اعمل صالحا فيما تركت قال فيقول الجبار كلا انها كلمة اي ليقولها عند الموت ٥
وقال • ابو هريرة قال النبي صلى الله عليه وسلم المؤمن في قبره في روضة
خضراء ويرحب له في قبره سبعون ذراعا ويضيء حتى يكون كالقمر ليلة البدر ٥
هل تدرون فيما انزلت فان له معيشة ضنكا • قالوا الله ورسوله اعلم • قال
عذاب القبر للكافر يسلط عليه تسعة وتسعون تنينا هل تدرون ما التنين
تسعة وتسعون حية لكل حية سبعة رؤوس يخدشونه ويلحسونه وينفخون في
جسمه الى يوم يبعثون ولا ينبغي ان يتعجب من هذا العدد فان اعداد هذه
الحيات والعقارب بعدد اعداد الاخلاق المذمومة من الكبر والرياء والحسد
والغل والحقد وسائر الصفات فان لها اصولا معدودة ثم تنقسم فروعها
باقسام وتلك الصفات باعيانها هي المهلكات وهي باعيانها تنقلب عقارب
وحيات فالقوي منها يلدغ لدغ التنين والضعيف يلدغ لدغ العقارب وما بينهما
يؤذي ايذاء الحية وارباب القلوب والبصائر يشاهدون بنور البصيرة هذه
المهلكات وانشعاب فروعها الا ان مقدار عددها لا يوقف عليه الا بنور النبوة
فامثال هذه الاخبار لها ظواهر صحيحة واسرار خفية ولكنها عند ارباب البصائر
واضحة فمن لم تنكشف له حقائقها فلا ينبغي ان ينكر ظواهرها بل اقل درجات الايمان
التصديق والتسليم فان قلت • فنحن نشاهد الكافر في قبره مدة ونراقبه
ولا نشاهد شيئا من ذلك فما وجه التصديق على خلاف المشاهدة ٥ فاعلم
ان لك ثلاث مقامات في التصديق بامثال هذا • احدها وهو الاظهر

والاصح والاسلم ان تصدق بانها موجودة وهي تلدغ الميت ولكنك لا تشاهد ذلك
فان هذه العين لا تصلح لمشاهدة الامور الملكوتية وكل ما يتعلق بالآخرة فهو من
عالم الملكوت اما ترى الصحابة كيف كانوا يؤمنون بنزول جبريل وما كانوا يشاهدونه

عالم الملكوت

ويؤمنون بانه عليه السلام يشاهده فان كنت لا تؤمن بهذا فتصحيح اصل الايمان
بالملائكة والوحي اهم عليك وان آمنت به وجوزت ان يشاهد النبي ما لا تشاهده
الامة فكيف لا تجوز هذا في الميت وكما ان الملك لا يشبه الآدميين والحيوانات
والحيات والعقارب التي تلدغ في القبر ليس من جنس حيات عالمنا بل هي جنس آخر
وتدرك بحاسة أخرى.

المقام الثاني

ان تتذكر امر النائم وانه قد يرى في نومه حية تلدغه وهو يتألم بذلك
حتى تراه في نومه يصيح ويعرق جبينه وقد ينزعج من مكانه كل ذلك يدركه في
نفسه ويتأذى به كما يتأذى اليقظان وهو يشاهده وانت ترى ظاهره ساكنا
ولا ترى حواليه حية والحية موجودة في حقه والعذاب حاصل ولكنه في حقك
غير مشاهد واذا كان العذاب في ألم اللدغ فلا فرق بين حية تتخيل او تشاهد

المقام الثالث

انك تعلم ان الحية بنفسها لا تؤلم بل الذي يلقاك منها وهو السم ثم ليس هو الالم
بل عذابك في الاثر الذي يحصل فيك من السم فلو حصل مثل ذلك الاثر من غير سم
لكان العذاب قد توفر وقد لا يمكن تعريف ذلك النوع من العذاب الا بان يضاف
الى السبب الذي يفضي اليه في العادة فانه لو خلق في الانسان لذة الوقاع مثلا
من غير صورة مباشرة الوقاع لا يمكن تعريفها الا بالاضافة اليه لتكون الاضافة
للتعريف بالسبب وتكون ثمرة السبب حاصلة وان لم تحصل صورة السبب
والسبب يراد لثمرته لا لذاته وهذه الصفات المهلكات تنقلب مؤذيات
ومؤلمات في النفس عند الموت فتكون آلامها كآلام لدغ الحيات من غير وجود
حيات وانقلاب الصفة مؤذية تضاهي انقلاب العشق مؤذيا عند موت المعشوق
فانه كان لذيذا فطرأت حالة صار اللذيذ بنفسه مؤلما حتى نزل بالقلب من

من انواع العذاب ما يتمنى معه انه لم يكن قد تنعم بالعشق والوصال بل هذا
بعينه هو احد انواع عذاب الميت فانه قد سلط العشق في الدنيا على نفسه
وصار يعشق ماله وعقاره وجاهه وولده واقاربه ومعارفه ولو اخذ جميع
ذلك في حياته من لا يرجوا استرجاعه منه فماذا ترا يكون حاله اليس يعظم شقاوه
ويشتد عذابه ويتمنى ويقول ليته لم يكن لي مال قط ولا جاه قط وكنت لا
اتاذى بفراقه فالموت عبارة عن مفارقة المحبوبات الدنيا وية كلها دفعة واحدة
واما حال من كان له واحد غيب عنه ذلك الواحد فما حال من لا يفرح الا بالدنيا
فيوخذ عنه الدنيا ويسلم الى اعدايه ثم ينضاف الى هذا العذاب تحسره على ما فاته
من نعيم الاخرة والحجاب عن الله تعالى فان حب غير الله يحجبه عن لقا الله والتنعم
به فيتوالى عليه الم الفراق من جميع محبوباته وحسرة ما فاته من نعيم الاخرة
ابد الاباد وذل الرد والحجاب عن الله تعالى وذلك هو الذي يعذب به اذ لان
ينبع نار الفراق الا نار جهنم كما قال تعالى كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون
ثم انهم لصالوا الجحيم • واما من لم يانس بالدنيا ولم يحب الا الله وكان مشتاقا الى
لقا الله فقد تخلص من سجن الدنيا ومقاساة الشهوات فيها وقدم على محبوبه
وانقطعت عنه العوايق والصوارف وتوفر عليه النعيم مع الامن عن الزوال ابد الاباد
ولمثل ذلك فليعمل العاملون • والمقصود ان الرجل يحب فرسه بحيث لو خير بين
ان يوخذ منه وبين ان يلدغه عقرب اثر الصبر على لدغ العقرب فاذا الم فراق الفرس
عنده اعظم من لدغ العقرب وحبه للفرس هو الذي يلدغه اذا اخذ منه فرسه
ومركبه وداره فليستشعر لهذه اللدغات فان الموت ياخذ منه ذلك كله فرسه ومركبه
وداره وعقاره واهله واحبابه وولده ومعارفه وياخذ منه جاهه
وقبوله بل ياخذ منه سمعه وبصره واعضاه وبايس عن رجوع جميع ذلك اليه
فان لم يحب سواه وقد اخذ جميع ذلك منه فذلك اعظم عليه من العقارب والحيات
كما لو اخذ منه وهو حي فعظم عقابه فكذلك اذا مات لانا قد بينا ان المعنى الذي
هو المدرك للالام واللذات لم يمت بل عذابه بعد الموت اشد لانه في الحياة يتسلى
باسباب يشتغل بها حواسه من مجالسة ومحادثة ويتسلى برجا العود اليه
ويتسلى برجا العوض منه ولا سلوة بعد الموت اذ قد انسد طرق التسلي وحصل
الياس فاذن كل ما يتبعه قلبه ويتسلى فقد احبه بحيث كان يشق عليه لو اخذ منه فانه

الندم بالمال والجاه والولد وغيرهم

الحجب عن الله

مثال الموت

كثير الدنيا واقله وحسابها

يبقى منها شيئا عليه ومعذبا به فان كان مخفا من الدنيا سلم وهو المعنى بقوله
نجا المخفون وان كان مثقلا عظم عذابه وكما ان حال من تسرق منه دينار
اخف حال من تسرق منه عشرة دنانير فكذلك حال صاحب الدرهم اخف
من حال صاحب الدرهمين وهو المعنى بقوله صلى الله عليه وسلم صاحب الدرهم
اخف حسابا من صاحب الدرهمين وما من شيء من الدنيا تخلفه عند الموت
الا وهو حسرة عليك بعد الموت فان شئت فاستكثر وان شئت فاستقلل
فان استكثرت فلست مستكثرا الا من الحسرة وان استقللت فلست تخفف
الا عن ظهرك وانما تكثر الحيات والعقارب في قبور الاغنياء الذين استحبوا الحيوة
الدنيا على الاخرة وفرحوا بها واطمانوا اليها فهذه مقامات الايمان في
حيات القبر وعقاربه وفي سائر انواع عذابه راى ابو سعيد الخدري
رضي الله عنه ابنا له قد مات في المنام فقال له يا بني عظني فقال لا تخالف
الله فيما تريد قال يا بني زدني قال يا ابت لا تطيق قال قل قال لا تجعل بينك وبين
الله قميصا فما لبس ثلاثين سنة فان قلت فما الصحيح من هذه المقامات
الثلاث فاعلم ان في الناس من لم يثبت الا الاول وانكر ما بعده ومنهم من
انكر الاول واثبت الثاني ومنهم من لم يثبت الا الثالث وانما الحق الذي انكشف
لنا بطريق الاستبصار ان كل ذلك في حيز الامكان وان من ينكر بعض ذلك
فهو لضيق حوصلته وجهله باتساع قدرة الله سبحانه وعجائب تدبيره
فينكر من افعال الله تعالى ما لم يانس به ويالفه وذلك جهل وقصور بل هذه الطرق
الثلاثة في التعذيب ممكنة والتصديق بها واجب ورب عبد يعاقب بنوع واحد
من هذه الانواع ورب عبد تجتمع عليه هذه الانواع الثلاثة نعوذ بالله من
عذاب الله قليله وكثيره هذا هو الحق وصدق به تقليدا فيعز على بسط الارض
من يعرف ذلك تحقيقا والذي اوصيك به ان لا تكثر نظرك في تفصيل ذلك ولا
تشتغل بمعرفته بل اشتغل بالتدبير في دفع العذاب كيف ما كان فان
اهملت العمل والعبادة واشتغلت بالبحث عن ذلك كنت كمن اخذه سلطان وحبسه
ليقطع يده ويجدع انفه فاخذ طول الليل يتفكر في انه هل يقطعه بسكين او بسيف
او بموسى واهمل طريق الحيلة في اصل دفع العذاب عن نفسه وهذا غاية الجهل
فقد علم على القطع ان العبد بعد الموت لا يخلو عن عقاب عظيم او عن نعيم مقيم

قبور

مثال الاهمال في العمل والعبادة

مقيم فينبغي أن يكون الاستعداد له فأما البحث عن تفصيل العقاب والثواب ففضول وتضييع زمان ۵

بيان سؤال منكر ونكير

وصورتهما وضغطة القبر وبقية القول في عذاب القبر

قال أبو هريرة قال النبي صلى الله عليه وسلم إذا مات العبد أتاه ملكان أسودان أزرقان يقال لأحدهما منكر وللآخر نكير فيقولان له ما كنت تقول في هذا النبي فإن كان مؤمنا قال هو عبد الله ورسوله أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله فيقولان إنا كنا لنعلم أنك تقول ذلك ثم يفسح له في قبره سبعون ذراعا في سبعين ذراعا وينور له في قبره ثم يقال له نم فينام نومة العروس الذي لا يوقظه إلا أحب أهله إليه حتى يبعثه الله تعالى من مضجعه ذلك وإن كان منافقا قال لا أدري كنت أسمع الناس يقولون شيئا وكنت أقوله فيقولان إنا كنا لنعلم أنك تقول ذلك ثم يقال للأرض التئمي عليه فتلتئم عليه حتى تختلف فيها أضلاعه فلا يزال معذبا حتى يبعثه الله من مضجعه ذلك

وعن عطاء بن يسار قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعمر بن الخطاب رضي الله عنه كيف بك إذا أنت مت فانطلق بك قومك فقاسوا لك ثلاثة أذرع في ذراع وشبر ثم رجعوا إليك فغسلوك وكفنوك وحنطوك ثم احتملوك حتى يضعوك فيه ثم يهيلوا عليك التراب ويدفنوك فإذا انصرفوا عنك أتاك فتانا القبر منكر ونكير أصواتهما كالرعد القاصف وأبصارهما كالبرق الخاطف يجران أشعارهما ويبحثان القبر بأنيابهما فتلتلاك وترترك كيف بك عند ذلك يا عمر فقال عمر ويكون معي مثل عقلي الآن قال نعم قال إذا أكفيكهما وهذا نص صريح في أن العقل لا يتغير بالموت إنما يتغير البدن والأعضاء فيكون الميت عاقلا مدركا عالما بالآلام واللذات كما كان لا يتغير من عقله شيء وليس العقل المدرك هذه الأعضاء بل هو شيء باطن ليس له طول ولا عرض بل الذي لا ينقسم في نفسه هو المدرك للأشياء ولو تناثرت

واسع القبر

صورة سوال المنكر ونكير

اعضاء الانسان كلها ولم يبق الا الجزء المدرك لا يتجزى ولا ينقسم لكان الانسان العاقل قائما بكماله قياما باقيا وهو كذلك بعد الموت فان ذلك الجزء لا يحله الموت ولا يطرا عليه العدم • وقال محمد ابن المنكدر بلغني ان الكافر يسلط عليه في قبره دابة عمياء صماء في يدها صوت من حديد في راسه مثل غرب الجمل يضربه به الى يوم القيامة لا يراها فيتقيه ولا يسمع صوته فيرحمه وقال ابو هريرة اذا وضع الميت في قبره جاءت اعماله الصالحة فاحتوشته فان اتاه من قبل راسه جاء قراءته القرآن وان اتاه من قبل رجليه جاء قيامه وان اتاه من قبل يديه قالت اليدان والله لقد كان يبسطني للصدقة والدعاء لا سبيل لكم عليه وان جاء من قبل فيه جاء ذكره وصيامه وكذلك يقف الصبر ناحية فيقول اما اني لو رايت خللا لكنت انا صاحبه • قال سفيان تحاجر عنه اعماله الصالحة كما يحاجر الرجل عن اخيه واهله وولده ثم يقول له عند ذلك بارك الله لك في مضجعك فنعم الاخلاء اخلاؤك ونعم الاصحاب اصحابك وعن حذيفة قال كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في جنازة فجلس على راس القبر ثم جعل ينظر فيه ثم قال يضغط المومن في هذا ضغطة ترد منها حمائله • وقالت عائشة رضي الله عنها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان للقبر ضغطة ولو سلم او نجا منها لنجا سعد ابن معاذ وعن انس قال توفيت زينب بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانت امراة مسقامة فتبعها رسول الله صلى الله عليه وسلم فساءنا حاله فلما انتهينا الى القبر فدخله التمع وجهه صفرة فلما خرج اسفر وجهه فقلنا يا رسول الله رأينا شيئا منك فمم ذاك قال ذكرت ضغطة ابنتي وشدة عذاب القبر فاتيت فاخبرت ان قد خفف عنها ولقد ضغطت ضغطة سمع صوتها ما بين الخافقين ۝

الباب الثامن

فيما عرف من احوال الموتى بالمكاشفة في المنام ۝

اعلم ان انوار البصائر المستفادة من كتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ومن مناهج الاعتبار يعرفنا احوال الموتى على الجملة ۝ وانقسامهم سعداء واشقياء ولكن حال زيد وعمرو بعينه فلا ينكشف به اصلا

اعمال الصالحة السؤال المنكر

الخلاء والاخلاء

أصلاً فإنا إن عولنا على إيمان زيد فلا ندري على ماذا مات وكيف ختم له وإن
عولنا على صلاحه الظاهر فالتقوى محله القلب وهو غامض يخفى على
صاحب التقوى فكيف على غيره فلا حكم لظاهر الصلاح دون التقوى الباطن
قال الله تعالى إنما يتقبل الله من المتقين فلا يمكن معرفة حكم زيد وعمرو
إلا بمشاهدته ومشاهدة ما يجري عليه وإذا مات فقد تحول عن عالم الملك
والشهادة إلى عالم الغيب والملكوت فلا يرى بالعين الظاهرة وإنما يدرك بعين
أخرى خلقت تلك العين في قلب كل إنسان ولكن الإنسان جعل عليها
غشاوة كثيفة من شهواته واشتغاله بالأعمال الدنياوية وصار لا يبصر
ولا يتصور أن يبصر بها شيئاً من عالم الملكوت ما لم تنقشع تلك الغشاوة
عن عين قلبه ولما كانت الغشاوة منقشعة عن أعين الأنبياء عليهم
السلام فلا جرم نظروا إلى الملكوت وشاهدوا عجائبه والموتى في عالم
الملكوت فشاهدوهم وأخبروا ولذلك رأى رسول الله صلى الله عليه
وسلم ضغطة القبر في حق سعد بن معاذ وفي حق زينب ابنته وكذلك
حال أبي جابر لما استشهد إذ أخبر أن الله أقعده بين يديه ليس بينهما ستر
ومثل هذه المشاهدة لا مطمع لغير الأنبياء والأولياء الذين تقرب درجتهم
منهم وإنما الممكن من أمثالنا مشاهدة أخرى ضعيفة إلا أنها أيضاً
مشاهدة نبوية وأعني بالمشاهدة في المنام وهو من أنوار النبوة
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الرؤيا الصالحة جزء من ستة
وأربعين جزءاً من النبوة وهو أيضاً انكشاف لا يحصل إلا بانقشاع الغشاوة
عن القلب فلذلك لا يوثق إلا برؤيا الرجل الصالح الصادق ومن كثر كذبه
لم تصدق رؤياه ومن كثر فساده ومعاصيه أظلم قلبه فكان ما يراه أضغاث
أحلام ولذلك أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالطهارة عند النوم
لينام وهو طاهر إشارة إلى طهارة الباطن أيضاً فهو الأصل وطهارة
الظاهر بمنزلة التتمة والتكملة لها ومهما صفا الباطن انكشف في حدقة
القلب ما سيكون في المستقبل كما انكشف دخول مكة لرسول الله
صلى الله عليه وسلم في النوم حتى نزل قوله تعالى لقد صدق الله رسوله
الرؤيا بالحق وقل ما يخلو الإنسان عن منامات دلت على أمور فوجدها صحيحة

عالم الملك والشهادة وعالم الغيب والملكوت
عين قلب
المشاهدة لحال الموتى
الرؤيا الصالحة

والرؤيا ومعرفة الغيب في النوم من عجايب صنع الله تعالى وبدايع فطرة الآدمي
وهو من اوضح الادلة على عالم الملكوت والخلق غافلون عنه كغفلتهم ٥
عن ساير عجايب القلب وعجايب العالم والقول في حقيقة الرؤيا من دقايق علوم
المكاشفة فلا يمكن ذكره على علم المعاملة ولكن القدر الذي يمكن ذكره ههنا
مثال يفهمك المقصود وهو ان تعلم ان القلب مثاله مثال المرآة تتراءى فيها الصور
وحقايق الامور وان كل ما قدره الله تعالى من ابتدا خلق العالم الى آخره مسطور
ومثبت في خلق الله تعالى يعبر عنه تارة باللوح وتارة بالكتاب المبين وتارة
بامام مبين كما ورد في القرآن فجميع ما جرى في العالم وما سيجري مكتوب فيه
ومنقوش عليه نقشا لا يشاهد بهذه العين ولا تظنن ان ذلك اللوح من خشب
او حديد او عظم وان الكتاب من كاغد او رق بل ينبغي ان تفهم قطعا ان لوح الله
لا يشبه لوح الخلق وكتاب الله لا يشبه كتاب الخلق كما ان ذاته وصفاته ٥
لا تشبه ذات الخلق وصفاتهم بل ان كنت تطلب له مثالا تقربه الى فهمك فاعلم ان ثبوت
المقادير في اللوح يضاهي ثبوت كلمات القرآن وحروفه في دماغ حافظ القرآن
وقلبه فانه مسطور فيه حتى كانه حين يقرأه ينظر اليه ولو فتشت دماغه
جزا جزا لم تشاهد من ذلك الخط حرفا فمن هذا النمط ينبغي ان تفهم كون
اللوح منقوشا بجميع ما قدره الله وقضاه واللوح في المثال كمرآة تظهر
فيها الصور فلو وضع في مقابلة المرآة مرآة اخرى لكانت صورة تلك المرآة تتراءى
في هذه الا ان تكون بينهما حجاب فالقلب مرآة تقبل رسوم العلوم واللوح
مرآة العلوم كلها موجودة فيها واشتغال القلب بشهواته ومقتضى حواسه حجاب
مرسل بينه وبين مطالعة اللوح الذي هو من عالم الملكوت فان هبت ريح حركت هذا
الحجاب ورفعته تلالا في مرآة القلب شي من عالم الملكوت كالبرق الخاطف
وقد يثبت ويدوم وقد لا يدوم وهو الغالب وما دام متيقظا فهو مشغول
بما توردة الحواس عليه من عالم الملك والشهادة وهو حجاب عن عالم الملكوت
ومعنى النوم ان تركد الحواس عليه من عالم الملك فلا تورد على القلب ٥
فاذا تخلص منه ومن الخيال وكان صافيا في جوهره ارتفع الحجاب بينه
وبين اللوح المحفوظ فوقع في قلبه شي مما كان في اللوح المحفوظ كما تقع
الصورة من مرآة في مرآة اذا ارتفع الحجاب بينهما الا ان النوم مانع ساير

علم المكاشفة وشرحها عجايب تصوف

اللوح والكتاب لا يشبه كتاب الانسان ومثله

مثال اللوح

رسوم القلب مرآت تصوف

٣٤٣

354

سائر الحواس عن العمل وليس مانعا للخيال عن عمله وعن تحركه فيما يقع في القلب
يبتدره الخيال فيحاكيه بمثال يقاربه ويكون المتخيلات اثبت في الحفظ
من غيرها فيبقى الخيال في الحفظ فاذا انتبه لم يتذكر الا الخيال فيحتاج
المعبر ان ينظر هذا الخيال حكاية اي معنى من المعاني فيرجع الى المعاني
بالمناسبة التي بين المتخيل والمعاني وامثلة ذلك ظاهرة عند من نظر
في علم التعبير ويكفيك مثال واحد وهو ان رجلا قال لابن سيرين
رايت كان بيدي خاتما اختم به افواه الرجال وفروج النسا فقال انك مؤذن
قبل الصبح في رمضان فقال صدقت فانظر ان روح الختم هو المنع ولاجله
يراد الختم وانما ينكشف للقلب حال الشخص من اللوح المحفوظ كما هو عليه وهو
كونه مانعا للناس من الاكل والشرب ولكن الخيال الف المنع عند الختم بالخاتم
فمثله بالصور الخيالية التي تتضمن روح المعنى ولا يبقى في الحفظ الا الصورة
الخيالية فهذه نبذة يسيرة من بحر علم الرويا لا تنحصر عجايبه وكيف لا
وهو اخو الموت وانما الموت هو عجب من العجايب وهذا لانه يشبهه من وجه
ضعيف اعني في كشف الغطا عن عالم الغيب حتى صار النايم يعرف ما سيكون في
المستقبل فما ذا ترى في الموت الذي يخرق الحجاب ويكشف الغطا بالكلية حتى
يرى الانسان عند انقطاع النفس من غير تاخير نفسه اما محفوفة بالانكال
والمخازي والفضايح نعوذ بالله من ذلك واما مكنوفة بنعيم مقيم وملك
كبير لا اخر له وعند ذلك يقال للاشقيا وقد انكشف الغطا لقد كنت في
غفلة من هذا فكشفنا عنك غطاك فبصرك اليوم حديد ويقال افسحر هذا
ام انتم لا تبصرون اصلوها فاصبروا او لا تصبروا سوا عليكم انما تجزون
ما كنتم تعملون والى هم الاشارة بقوله تعالى وبدا لهم من الله ما لم يكونوا
يحتسبون فاعلم العلما واحكم الحكما ينكشف له عقيب الموت من العجايب ما لم
يخطر قط بباله ولا اختلج به ضميره فلو لم يكن للعاقل هم وغم الا الفكرة في
خطر تلك الحال ان الحجاب عماذا يرتفع وما الذي ينكشف عنه الغطا من شقاوة
لازمة او سعادة دايمة لكان ذلك كافيا في استغراق جميع العمر والعجب من
غفلتنا وهذه العظايم بين ايدينا واعجب من ذلك فرحنا باموالنا واهلينا
واسبابنا واولادنا بل باعضاينا وسمعنا وبصرنا مع انا نعلم مفارقة جميع

المثال

علم الرؤيا

الغفلة

يقيناً ولكن أين من ينفث روح القدس في روعه فيقول له ما قال لسيد المرسلين أحبب حبيبك واحبب من أحببت فإنك مفارقه وعش ما شئت فإنك ميت واعمل ما شئت فإنك مجزي به فلا جرم لما كان مكشوفاً له بعين اليقين كان في الدنيا كعابر سبيل لم يضع لبنة على لبنة ولا قصبة على قصبة ولم يخلف ديناراً ولا درهماً ولم يتخذ حبيباً ولا خليلاً نعم قال لو كنت متخذاً لاتخذت أبا بكر خليلاً ولكن صاحبكم خليل الرحمن فبين أن خلة الرحمن تخللت باطن قلبه وأن حبه تمكن من حبة قلبه فلم يكن فيه متسع لخليل ولا حبيب وقد قال لأمته إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله فإن أمته من اتبعه وما اتبعه إلا من أعرض عن الدنيا وأقبل على الآخرة فإنه ما دعا إلا إلى الله واليوم الآخر وما صرف إلا عن الدنيا والحظوظ العاجلة فبقدر ما أعرضت عن الدنيا وأقبلت على الآخرة فقد سلكت سبيله الذي سلكه وبقدر ما سلكت سبيله فقد اتبعته وبقدر ما اتبعته فقد صرت من أمته وبقدر ما أقبلت على الدنيا عدلت عن سبيله ورغبت عن متابعته والتحقت بالذين قال الله تعالى فيهم فأما من طغى وآثر الحياة الدنيا فإن الجحيم هي المأوى فلو خرجت من مكمن الغرور وأنصفت نفسك يا رجل وكلنا ذلك الرجل لعلمت أنك من حين تصبح إلى حين تمسي لا تسعى إلا في الحظوظ العاجلة ولا تتحرك ولا تسكن إلا لعاجل الدنيا ثم تطمع أن تكون غداً من أمته وأتباعه ما أبعد ظنك وما أبرد طمعك أفنجعل المسلمين كالمجرمين ما لكم كيف تحكمون ولنرجع إلى ما كنا فيه وبصدده فقد امتد عنان الكلام إلى غير مقصده ولنذكر الآن من المنامات المكاشفة لأحوال الموتى ما يعظم الانتفاع به إذ ذهبت النبوة وبقيت المبشرات وليس ذلك إلا المنامات

عدم الميل الى الدنيا

اتباع الرسول

بيان منامات

تكشف عن أحوال الموتى والأعمال النافعة في الآخرة

فمن ذلك رؤيا رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من رآني فقد رآني حقاً فإن الشيطان لا يتمثل بي وقال عمر رأيته صلى الله عليه وسلم في المنام فرأيته لا ينظر إلي فقلت يا رسول الله ما شأني فالتفت

شاني فالتفت إلي وقال ألست المقبل وأنت صائم قال فوالذي نفسي بيده لا اقبل
امراة وانا صائم وقال العباس رضي الله عنه كنت ودا لعمر رضي الله عنه
رضي الله فاشتهيت ان اراه في المنام فما رايته الا عند راس الحول فرايته يمسح
العرق عن جبينه وهو يقول هذا اوان فراغي ان كاد عرشي ليهد لولا اني ك
رايته رؤفا رحيما ك وقال الحسن بن علي قال علي رضي الله عنهما ان
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم سنح لي الليلة في منامي فقلت يا رسول الله
ما لقيت من امتك قال ادع عليهم فقلت اللهم ابدلني بهم من هو خير لي منهم
وابدلهم بي من هو شر لهم مني فخرج فضربه ابن ملجم وقال بعض
الشيوخ رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت يا رسول الله استغفر لي
فاعرض عني فقلت يا رسول الله ان سفين بن عيينة حدثنا عن محمد بن المنكدر عن جابر
ابن عبد الله انك لم تسأل شيئا قط فقلت لا فاقبل علي فقال غفر الله لك
وروي عن العباس بن عبد المطلب قال كنت مواخيا لابي لهب مصاحبا له فلما مات
واخبر الله عنه بما اخبر حزنت عليه واهمني امره فسالت الله تعالى حولا ان يريني
اياه في المنام قال فرايته يلتهب نارا فسالته عن حاله فقال صرت الى النار في العذاب
لا يخفف عني ولا يروح الا ليلة الاثنين في كل الليالي والايام قلت وكيف ذلك
قال ولد في تلك الليلة محمد فجاءتني اميمة فبشرتني بولادة امنة ففرحت به
واعتقت وليدة لي فرحا فاثابني الله بذلك ان رفع عني العذاب كل ليلة الاثنين

فائدة محبة الرسول في الاخرة

وقال عبد الواحد بن زيد خرجت حاجا فصحبني رجل كان لا يقوم ولا
يقعد ولا يتحرك ولا يسكن الا صلى على النبي صلى الله عليه وسلم فسالته عن ذلك
فقال اخبرك عن ذلك خرجت اول مرة الى مكة ومعي ابي فلما انصرفنا نمت
في بعض المنازل فبينما انا نائم اذا اتاني آت فقال لي قم فقد امات الله اباك
فقمت مذعورا فكشفت الثوب عن وجهه فاذا هو ميت اسود الوجه فدخلني
منه رعب فبينما انا في ذلك الغم اذ غلبتني عيني فنمت فاذا على راس ابي ك
سودان معهم اعمدة حديد اذ اقبل رجل حسن الوجه بين ثوبين اخضرين
فقال لهم تنحوا فمسح وجهه بيده ثم اتاني فقال قم فقد بيض الله وجه ابيك
فقلت له من انت بابي وامي فقال انا محمد قال فقمت فكشفت الثوب عن وجه ابي
فاذا هو ابيض فما تركت الصلاة بعد ذلك على رسول الله صلى الله عليه وسلم

مطلب فائدة صلوات شريف

وعن عمر بن عبد العزيز قال رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر
وعمر رضي الله عنهما جالسان عنده فسلمت وجلست فبينا أنا جالس إذ أتي بعلي
ومعاوية رضي الله عنهما وأدخلا بيتا وأجيف عليهما الباب وأنا أنظر فما كان بأسرع
أن خرج علي رضي الله عنه وهو يقول قضي لي ورب الكعبة وما كان بأسرع أن
خرج معاوية رضي الله عنه على أثره وهو يقول غفر لي ورب الكعبة واستيقظ ابن
عباس رضي الله عنه من نومه مرة فاسترجع وقال قتل الحسين والله وكان ذلك
قبل قتله فأنكره أصحابه فقال رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه زجاجة
من دم فقال ألا تعلم ما صنعت أمتي بعدي قتلوا ابني الحسين وهذا دمه ودم
أصحابه أرفعها إلى الله عز وجل فجاء الخبر بعد أربعة وعشرين يوما بقتله في اليوم الذي
رآه • ورئي الصديق رضي الله عنه فقيل له إنك كنت تقول أبدا في لسانك هذا
أوردني الموارد فما فعل الله بك قال قلت به لا إله إلا الله فأوردني الجنة

بيان منامات المشايخ

رحمة الله عليهم

قال بعض المشايخ رأيت سمنون المحب في المنام فقلت يا سيدي
ما فعل الله بك قال أدخلني في الجنان فقيل لي يا سمنون هل استحسنت فيها
شيئا قلت لا يا سيدي فقال لو استحسنت منها شيئا لوكلتك إليه ولم أوصلك
إليه • ورئي يوسف بن الحسين في المنام فقيل له ما فعل الله بك فقال غفر لي
فقيل بماذا قال ما خلطت جدا بهزل • وعن منصور بن إسمعيل قال رأيت عبد الله
البزاز في النوم فقلت ما فعل الله بك قال أوقفني بين يديه فغفر لي كل ذنب أقررت
به إلا ذنبا واحدا فإني استحييت أن أقربه فوقفني في العرق حتى سقط لحم
وجهي فقلت ما كان ذلك الذنب قال نظرت إلى غلام جميل فاستحسنته
فاستحييت من الله تعالى أن أذكره • وقال أبو جعفر الصيدلاني
رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم في النوم وحوله جماعة من الفقراء فبينا
نحن كذلك إذ انشقت السماء ونزل ملكان أحدهما بيده طست والآخر بيده
إبريق فوضع الطست بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم فغسل يديه ثم أمر

تعبير الرؤيا

الحول

النظر إلى غلام جميل

أمر حتى غسلوا ثم وضع الطست بين يدي فقال أحدهما للآخر لا تصب على يده فإنه
ليس منهم فقلت يا رسول الله أليس قد روي عنك أنك قلت المرء مع من أحب
قال بلى فقلت يا رسول الله إني أحبك وأحب هؤلاء الفقراء فقال صلى الله عليه
وسلم صب عليه فإنه منهم • وقال الجنيد رأيت في النوم كأني أتكلم على
الناس فوقف علي ملك فقال أقرب ما تقرب به المتقربون إلى الله تعالى ماذا
فقلت عمل خفي بميزان وفي فولى الملك وهو يقول كلام موفق والله • ورئي مجمع في النوم
فقيل له كيف رأيت الأمر فقال رأيت الزاهدين في الدنيا ذهبوا بخير الدنيا والآخرة
وقال رجل من أهل الشام للعلاء ابن زياد رأيتك في النوم كأنك في الجنة فنزل
عن مجلسه وأقبل عليه يقول لعل الشيطان أراد أمرا فعصمت منه فأشخص رجلا
يقتلني • وقال محمد ابن واسع الرؤيا تسر المؤمن ولا تغره • وقال صالح ابن بشير
رأيت عطا السلمي في النوم فقلت له رحمك الله لقد كنت طويل الحزن في الدنيا
فقال أما والله لقد أعقبني ذلك راحة طويلة وفرحا دائما فقلت في أي الدرجات
أنت فقال مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين الآية • وسئل زرارة ابن أوفى
في المنام أي الأعمال أفضل عندكم فقال الرضا بقصر الأمل وقال يزيد ابن مذعور
رأيت الأوزاعي في المنام فقلت يا أبا عمرو دلني على عمل أتقرب به إلى الله
عز وجل قال ما رأيت هناك درجة أرفع من درجة العلماء ثم درجة المحزونين
وكان يزيد شيخا كبيرا فلم يزل يبكي حتى أظلمت عيناه • وقال ابن عيينة
رأيت أخي في المنام فقلت يا أخي ما فعل الله بك فقال كل ذنب استغفرت منه
غفر لي وما لم أستغفر منه لم يغفر لي • وقال علي الطلحي رأيت في المنام
امرأة لا تشبه نساء الدنيا فقلت من أنت فقالت حوراء فقلت زوجيني نفسك
قالت اخطبني من سيدي وامهرني قلت وما مهرك قالت حبس نفسك عن آفاتها
قال إبراهيم ابن إسحق الحربي • رأيت زبيدة في المنام فقلت ما فعل الله بك
قالت غفر لي فقلت بما أنفقت في طريق مكة فقالت أما النفقات التي
أنفقتها رجعت أجورها إلى أربابها وغفر لي بنيتي ولما مات سفين الثوري
رئي في المنام فقيل له ما فعل الله بك فقال وضعت أول قدمي على الصراط
والثاني في الجنة • وقال أحمد ابن أبي الحواري رأيت فيما يرى النائم جارية
ما رأيت أحسن منها وكان وجهها يتلألأ نورا فقلت لها من ماذا ضوء وجهك فقالت

الفقراء المحبة اليهم

الخوف

قصر الامل

العلماء

الاستغفار

حبس نفس

فضل سفيان ثوري

تذكر تلك الليلة التي بكيت فيها قلت نعم قالت اخذت دمعتك فمسحت بها وجهي
فمن ثم ضوء وجهي كما ترى • وقال الكتاني رأيت الجنيد في المنام فقلت له ما
فعل الله بك فقال طاحت تلك الاشارات وذهبت تلك العبارات وما حصلنا الا
على ركعتين كنا نصليها في السحر بالليل ورئيت زبيدة في المنام فقيل لها ما فعل الله
بك قالت غفر لي بهذه الكلمات الاربع لا اله الا الله افني بها عمري • لا اله الا الله
ادخل بها قبري • لا اله الا الله اخلو بها وحدي • لا اله الا الله القى بها ربي • ورئي
بشر في المنام فقيل له ما فعل الله بك فقال رحمني ربي عز وجل وقال يا بشر اما استحييت
مني تخافني كل ذلك الخوف • ورئي ابو سليمان في النوم فقيل له ما فعل الله بك قال
رحمني وما كان شي اضر علي من اشارات القوم الي • وقال ابو بكر الكتاني
رأيت في المنام شابا لم ار احسن منه فقلت من انت فقال التقوى قلت فاين تسكن
قال كل قلب حزين ثم التفت فاذا امرأة سوداء كاوحش ما تكون فقلت من انت قالت
السقم قلت فاين تسكنين قالت كل قلب فرح مرح قال فانتبهت واعتقدت ان لا
الا غلبة • وقال ابو سعيد الخراز رأيت في المنام كان
ابليس لعنه الله وثب علي فاخذت العصا لاضربه فلم يفزع منها فهتف بي هاتف
ان هذا لا يخاف من هذه وانما يخاف من نور يكون في القلب وقال المسوحي رأيت
ابليس في النوم يمشي عريانا فقلت الا تستحيي من الناس فقال بالله هؤلاء ناس
لو كانوا من الناس ما كنت العب بهم طرفي النهار كما يتلاعب الصبيان بالكرة الناس قوم
غير هؤلاء قد اسقموا جسمي واشار الى اصحابنا الصوفية وقال ابو سعيد الخراز
كنت في دمشق فرأيت في المنام كان النبي صلى الله عليه وسلم جاءني متكئا على ابي بكر
وعمر رضي الله عنهما فجاء فوقف علي وانا اقول شيئا من الاصوات وادق على صدري
فقال شر هذا اكثر من خيره • وعن ابن عيينة قال رأيت سفين الثوري في النوم
كانه في الجنة يطير من شجرة الى شجرة يقول لمثل هذا فليعمل العاملون فقلت
اوصني قال اقل من معرفة الناس وروى ابو حاتم الرازي عن قبيصة ابن
عقبة قال رأيت سفين الثوري فقلت ما فعل الله بك فقال

نظرت الى ربي كفاحا فقال لي • هنيئا رضائي عنك يا ابن سعيد
فقد كنت قواما اذا اظلم الدجى • بعبرة مشتاق وقلب عميد •
فدونك فاختر اي قصر تريده • وزرني فاني منك غير بعيد •

الدموع

الصلوة في السحر

كلمة شهادة

الحزن والفرح

نور القلب

اصحاب الصوفية

اقل مصاحبة الناس

وروى

ورئي الشبلي بعد موته بثلاثة أيام فقيل له ما فعل الله بك قال ناقشني حتى أيست فلما رأى يأسي تغمدني برحمته • ورئي مجنون بني عامر بعد موته في المنام فقيل له ما فعل الله بك فقال غفر لي وجعلني حجة على المحبين • ورئي الثوري في المنام فقيل له ما فعل الله بك فقال رحمني فقيل له ما حال عبد الله بن المبارك فقال هو ممن يلج على ربه في كل يوم مرتين • ورئي بعضهم فسئل عن حاله فقال

• حاسبونا فدققوا • ثم منوا فأعتقوا •

ورئي مالك بن أنس فقيل له ما فعل الله بك فقال غفر لي بكلمة كان يقولها عثمان بن عفان رضي الله عنه عند رؤية الجنازة سبحان الحي الذي لا يموت

ورئي في الليلة التي مات فيها الحسن البصري كأن أبواب السماء مفتحة وكأن مناديا ينادي ألا إن الحسن البصري قد قدم على الله وهو عنه راض • ورئي الجاحظ فقيل له ما فعل الله بك فقال

• ولا تكتب بخطك غير شيء • يسرك في القيامة أن تراه •

ورأى الجنيد إبليس في المنام عريانا فقال ألا تستحيي من الناس فقال هؤلاء ناس الناس أقوام في مسجد الشونيزية أضنوا جسدي وأحرقوا كبدي قال الجنيد فلما انتبهت غدوت إلى المسجد رأيت جماعة قد وضعوا رؤوسهم على ركبهم يتفكرون فلما رأوني قالوا لا يغرنك حديث الخبيث • ورئي النصراباذي بمكة بعد وفاته في النوم فقيل له ما فعل الله بك قال عوتبت عتاب الأشراف يا أبا القاسم أبعد الاتصال انفصال فقلت لا يا ذا الجلال والإكرام فما وضعت في اللحد حتى لحقت بالأحد • ورأى عتبة الغلام حوراء في المنام على صورة حسنة فقالت له يا عتبة أنا لك عاشقة فانظر لا تعمل من الأعمال شيئا يحال بيني وبينك فقال عتبة طلقت الدنيا ثلاثا لا رجعة لي فيها حتى ألقاك وقيل رأى أيوب السختياني جنازة عاص فدخل الدهليز لئلا يصلي عليها فقال رأى بعضهم الميت في المنام فقال ما فعل الله بك فقال غفر الله لي وقال قل لأيوب

قل لو أنتم تملكون خزائن رحمة ربي إذا لأمسكتم خشية الإنفاق

وقال بعضهم رأيت في الليلة التي مات فيها داود الطائي نورا وملائكة نزولا وملائكة صعودا فقلت أي ليلة هذه فقالوا الليلة مات فيها داود

الدعاء عند رؤية الجنازة

فضل حسن البصري

أهل المشايخ

ترك الدنيا وتطليق الدنيا

فضل داود الطائي

الطائي قد زخرفت الجنة لقدوم روحه وقال أبو سعيد الشحام رأيت
سهلا الصعلوكي في المنام فقلت أيها الشيخ فقال دع التشييخ قلت وتلك الأحوال التي
شاهدتها فقال لم تغن عنا قلت ما فعل الله بك قال غفر لي بمسائل كان يسأل عنها
العجز وقال أبو بكر الرشيدي رأيت محمد الطوسي المعلم في النوم فقال لي قل لأبي
سعيد الصفار المؤدب

وكنا على أن لا نحول عن الهوى • فقد وحياة الحب حلتم وما حلنا •

قال فانتبهت فذكرت ذلك له فقال كنت أزور قبره كل جمعة فلم أزره
هذه الجمعة وقال ابن راشد رأيت ابن المبارك في النوم بعد موته فقلت
أليس قد مت فقال بلى فقلت ما صنع الله بك قال غفر لي مغفرة أحاطت بكل ذنب
فقلت فسفيان الثوري قال بخ بخ ذلك من الذين أنعم الله عليهم الآية وقال
الربيع بن سليمان رأيت الشافعي رحمه الله بعد وفاته في المنام فقلت له يا أبا عبد الله
ما صنع الله بك قال أجلسني على كرسي من ذهب ونثر علي اللؤلؤ الرطب ورأى رجل
من أصحاب الحسن البصري ليلة مات الحسن كأن مناديا ينادي إن الله اصطفى آدم
ونوحا وآل إبراهيم وآل عمران على العالمين واصطفى الحسن البصري على أهل زمانه
وقال أبو يعقوب القاري الدقيقي رأيت في منامي رجلا آدم طويلا والناس يتبعونه
فقلت من هذا فقالوا أويس القرني فاتبعته فقلت أوصني رحمك الله فكلح في وجهي فقلت
مسترشدا فأرشدني أرشدك الله فأقبل علي وقال ابتغ رحمة ربك عند محبته
واحذر نقمته عند معصيته ولا تقطع رجاءك منه في خلال ذلك ثم ولى وتركني
وقال أبو بكر بن مريم رأيت ورقاء بن بشر الحضرمي فقلت ما فعل الله بك يا ورقاء
قال نجوت بعد كل جهد قلت فأي الأعمال وجدتموها أفضل قال البكاء من خشية الله تعالى
وقال يزيد بن نعامة هلكت جارية بالطاعون الجارف فرآها أبوها في المنام
فقال يا بنية أخبريني عن الآخرة قالت يا أبت قدمنا على أمر عظيم نعلم ولا نعمل وتعملون
ولا تعلمون والله لتسبيحة أو تسبيحتان أو ركعة أو ركعتان في فسحة عملي أحب إلي من الدنيا
وما فيها • وقال بعض أصحاب عتبة الغلام رأيت عتبة في المنام فقلت ما صنع
الله بك قال دخلت الجنة بتلك الدعوة المكتوبة في بيتك فلما أصبحت جئت إلى بيتي
فإذا خط عتبة في حائط البيت مكتوب يا هادي المضلين ويا راحم المذنبين ويا مقيل
عثرة العاثرين ارحم عبدك ذا الخطر العظيم والمسلمين أجمعين واجعلنا مع الأحياء

زيارة القبر

فضل الشافعي رحمه

محبة الله وغضبه مع الرجاء

البكاء

التسبيح والصلو

أحب

الدعاء

الاحيا المرزوقين الذين انعمت عليهم من النبيين والصديقين والشهدا والصالحين ۵
امين يا رب العالمين ۵ وقال موسى ابن حماد رايت سفين الثوري في الجنة يطير من شجرة الى
شجرة فقلت يا ابا عبد الله بم نلت هذا فقال بالورع فقلت فما بال علي ابن عاصم
قال ذلك لا يكاد يرى الا كما يرى الكواكب • وراى رجل من التابعين النبي صلى الله
عليه وسلم في المنام فقال يا رسول الله عظني قال نعم من لم يتفقد النقصان فهو في نقصان
ومن كان في نقصان فالموت خير له وقال الشافعي رحمه الله ۵
دهمني في هذه الايام امر اضنني وامضني ولم يطلع عليه غير الله عز وجل
فلما كان البارحة اتاني ات في منامي فقال يا محمد ابن ادريس قل اللهم اني لا املك
لنفسي ضرا ولا نفعا ولا موتا ولا حيوة ولا نشورا ولا استطيع ان اخذ الا ما اعطيتني
ولا اتقي الا ما وقيتني اللهم فوفقني لما تحب وترضى من القول والعمل في عافية ۵
فلما اصبحت اعدت ذلك فلما ترحل النهار اعطاني الله عز وجل طلبتي وسهل لي الخلاص
مما كنت فيه فعليكم بهذه الدعوات لا تغفلوا عنها فهذه جملة من المكاشفات
تدل على احوال الموتى وعلى الاعمال المقربة الى الله زلفى ۵

فلنذكر بعد هذا ما بين يدي الموتى

• من ابتدا نفخة الصور الى اخر القرار اما في الجنة او في النار •

الشطر الثاني من كتاب ذكر الموت

في احوال الميت من وقت نفخة الصور الى اخر الاستقرار في الجنة او في النار وتفصيل
ما بين يديه من الاهوال والاخطار • وفيه بيان نفخة الصور • وصفة ارض المحشر •
واهله • وصفة عرق اهل المحشر • وصفة طول يوم القيامة • وصفة يوم القيامة
ودواهيها واساميها • وصفة المسايلة عن الذنوب • وصفة الميزان • وصفة
الخصما ورد المظالم • وصفة الصراط • وصفة الشفاعة • وصفة الحوض • ۵
وصفة جهنم واهوالها • وانكالها وحياتها وعقاربها • وصفة الجنة ۵
واصناف نعيمها • وعدد الجنان وابوابها وغرفها • وحيطانها • وانهارها • واشجارها •

ولباس أهلها وفرشهم وسررهم وصفة طعامهم وصفة الحور والولدان
وصفة النظر إلى وجه الله تعالى وباب في سعة رحمة الله تعالى به
نختم الكتاب إن شاء الله تعالى

صفة نفخ الصور

قد عرفت فيما سبق شدة أحوال الميت في سكرات الموت وخطره في خوف العاقبة
ثم مقاساته لظلمة القبر وديدانه ثم لمنكر ونكير وسؤالهما ثم لعذاب القبر وخطره
إن كان مغضوبا عليه وأعظم من ذلك كله الأخطار التي بين يديه من نفخ الصور والبعث
يوم النشور والعرض على الجبار والسؤال عن القليل والكثير ونصب الميزان
لمعرفة المقادير ثم جواز الصراط مع دقته وحدته ثم انتظار النداء عند فصل القضاء
إما بالإسعاد وإما بالإشقاء فهذه أحوال وأهوال لا بد لك من معرفتها ثم الإيمان بها
على سبيل الجزم والتصديق ثم تطويل الفكر في ذلك لينبعث من قلبك دواعي الاستعداد
لها وأكثر الناس لم يدخل الإيمان باليوم الآخر صميم قلوبهم ولم يتمكن من سويداء أفئدتهم
ويدل على ذلك شدة تشمرهم واستعدادهم لحر الصيف وبرد الشتاء وتهاونهم
بحر جهنم وزمهريرها مع ما يكتنفه من المصاعب والأهوال بل إذا سئلوا
عن اليوم الآخر نطقت به ألسنتهم ثم غفلت عنه قلوبهم ومن أخبر بأن ما بين يديه
من الطعام مسموم فقال لصاحبه الذي أخبره صدقت ثم مد يده ليتناوله كان
مصدقا بلسانه ومكذبا بعمله وتكذيب العمل أبلغ من تكذيب اللسان وقد قال
صلى الله عليه وسلم قال الله تعالى يشتمني ابن آدم وما ينبغي له أن يشتمني
ويكذبني وما ينبغي له أن يكذبني أما شتمه إياي فيقول إن لي ولدا وأما تكذيبه
فقوله لن يعيدني كما بدأني وأما قصور الباطن عن قوة اليقين والتصديق بالبعث
والنشور لقلة الفهم في هذا العالم لأمثال تلك الأمور ولو لم يشاهد الإنسان
توالد الحيوانات وقيل له إن صانعا يصنع من النطفة القذرة مثل هذا الآدمي المصور
العاقل المتكلم المتصرف لاشتد نفور باطنه عن التصديق به ولذلك قال الله
تعالى أولم ير الإنسان أنا خلقناه من نطفة فإذا هو خصيم مبين وقال تعالى
أيحسب الإنسان أن يترك سدى ألم يك نطفة من مني يمنى ثم كان علقة فخلق فسوى

جواب

تكذيب العمل ابلغ من تكذيب اللسان

خلق الانسان من نطفة

التفكر والاعتبار

الإماتة في القيامة

عظم الصور

نفخ الصور

قوي ففي خلق الآدمي مع كثرة عجائبه واختلاف تركيب أعضائه وأعاجيب تزيد
على الأعاجيب في بعثه وإعادته فكيف ينكر ذلك من قدرة الله تعالى وحكمته
من يشاهد ذلك في صنعه وقدرته فإن كان في إيمانك ضعف فقو الإيمان
بالنظر في النشأة الأولى فإن الثانية مثلها وأسهل منها وإن كنت قوي
الإيمان بها فأشعر قلبك تلك المخاوف والأخطار وأكثر فيها التفكر والاعتبار
لتسلب عن قلبك الراحة والقرار فتشتغل بالعرض على الجبار وتتفكر أولا
فيما يقرع سمع سكان القبور من شدة نفخ الصور فإنها صيحة واحدة تنفرج
بها القبور عن رؤوس الموتى فيثورون دفعة واحدة فتوهم نفسك وقد وثبت
متغيرا وجهك مغبرا بدنك من قرنك إلى قدمك من تراب قبرك مبهوتا من شدة
الصعقة شاخص العين نحو النداء وقد ثار الخلق ثورة واحدة من القبور التي طال
فيها بلاؤهم وقد أزعجهم الفزع والرعب مضافا إلى ما كان عندهم من الغموم
والهموم وشدة الانتظار لعاقبة الأمر كما قال الله تعالى ونفخ في الصور فصعق
من في السموات ومن في الأرض إلا من شاء ثم نفخ فيه أخرى فإذا هم قيام ينظرون
قال الله تعالى فإذا نقر في الناقور فذلك يومئذ يوم عسير على الكافرين
غير يسير ۝ وقال الله تعالى ويقولون متى هذا الوعد إن كنتم صادقين ما ينظرون
إلا صيحة واحدة تأخذهم وهم يخصمون فلا يستطيعون توصية ولا إلى
أهلهم يرجعون ونفخ في الصور فإذا هم من الأجداث إلى ربهم ينسلون ۝
قالوا يا ويلنا من بعثنا من مرقدنا هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون فلو لم
يكن بين يدي الموتى إلا هول تلك النفخة لكان ذلك جديرا بأن يتقى فإنها نفخة
وصيحة تصعق بها من في السموات والأرض يعني يموتون بها إلا من شاء الله
وهو بعض الملائكة ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف أنعم
وصاحب القرن قد التقم القرن وحنى الجبهة وأصغى بالأذن ينتظر متى يؤمر
فينفخ قال مقاتل الصور هو القرن وذلك أن إسرافيل واضع فاه
على القرن كهيئة البوق ودائرة رأس القرن كعرض السموات والأرض وهو شاخص
ببصره نحو العرش ينتظر متى يؤمر فينفخ النفخة الأولى فإذا نفخ صعق من في
السموات والأرض أي مات كل حيوان من شدة الفزع إلا من شاء الله وهو
جبريل ۝ وميكائيل ۝ وإسرافيل ۝ وملك الموت ۝ ثم يأمر ملك الموت أن

ما بين النفختين

يقبض روح جبريل ثم روح ميكائيل ثم روح اسرافيل ثم يأمر ملك الموت فيموت
ثم يلبث الخلق بعد النفخة الاولى في البرزخ اربعين سنة ثم يحيي الله اسرافيل
فيأمره ان ينفخ الثانية فذلك قوله ثم نفخ فيه اخرى فاذا هم قيام ينظرون
على ارجلهم ينظرون الى البعث • وقال صلى الله عليه وسلم حين بعث الى
صاحب الصور فاهوى به الى فيه وقدم رجلا واخر اخرى ينتظر متى ينفخ ومتى يؤمر

الصور

بالنفخ الا فاتقوا النفخة فيمكثون في الخلايق وذلهم وانكسارهم واستكانتهم
عند الانبعاث خوفا من الصعقة وانتظارا لما يقضى عليهم من سعادة او شقاوة
وانت فيما بينهم منكسر كانكسارهم متحير كتحيرهم بل ان كنت في الدنيا من المترفين
والاغنياء المتنعمين فملوك الارض في ذلك اليوم هم اذل الخلق واصغرهم واحقرهم
يوطؤن بالاقدام مثل الذر وعند ذلك تقبل الوحوش من البراري والجبال منكسة
رؤسها مختلطة بالخلايق بعد توحشها ذليلة ليوم النشور من غير خطيئة تدنست
بها ولكن حشرهم شدة الصعقة وهول النفخة وشغلهم ذلك عن الهرب من الخلق
والتوحش منهم وذلك قوله تعالى واذا الوحوش حشرت ثم اقبلت الشياطين
المردة بعد تمردها وعتوها واذعنت خاشعة من هيبة العرض على الله تعالى تصديقا
لقوله تعالى فوربك لنحشرنهم والشياطين ثم لنحضرنهم حول جهنم جثيا فتفكر في حالك
وحال قلبك هنالك

صفة ارض المحشر واهله

ثم انظر كيف يساقون بعد البعث والنشور وهم حفاة عراة غرلا الى ارض
المحشر ارض بيضاء قاع صفصف لا ترى فيها عوجا ولا امتا ولا ترى عليها ربوة
يختفي الانسان وراءها ولا وهدة ينخفض عن الاعين فيها بل هو صعيد واحد بسيط لا
تفاوت فيه يساقون اليه زمرا فسبحان من جمع الخلايق على اختلاف اصنافهم
من اقطار الارض اذ ساقهم بالراجفة تتبعها الرادفة والراجفة هي النفخة الاولى
والرادفة هي الثانية وحقيق لتلك القلوب ان تكون يومئذ راجفة ولتلك
الابصار ان تكون شاخصة خاشعة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يحشر
الناس يوم القيامة على ارض بيضاء عفراء كقرص النقي ليس فيها معلم لاحد • قال

قال الراوي والعفر بياض ليس بالناصع والنقي هو النقي من القشر والنخالة ولا معلم
لأحد أي لا بناء يستر ولا تفاوت يرد البصر ولا تظنن أن تلك الأرض مثل أرض الدنيا
بل لا تساويها إلا بالاسم قال الله تعالى يوم تبدل الأرض غير الأرض والسموات قال
ابن عباس يزاد فيها وينقص ويذهب أشجارها وجبالها وأوديتها وتمد مد الأديم
العكاظي أرض بيضاء مثل الفضة لم يسفك عليها دم ولم تعمل عليها خطيئة والسموا
تذهب شمسها ونجومها وقمرها فانظر يا مسكين في هول ذلك اليوم وشدته
فإنه إذا اجتمع الخلائق على هذا الصعيد تناثرت من فوقهم نجوم السماء
وطمس الشمس والقمر وأظلمت الأرض لخمود سراجها فبينا أنت كذلك إذ دارت السماء
من فوق رؤوسهم وانشقت مع غلظها وشدتها خمسمائة عام والملائكة قيام
على حافاتها وأرجائها فيا هول صوت انشقاقها في سمعك ويا هيبة ليوم تنشق
فيه السماء مع صلابتها وشدتها ثم تنهار وتسيل كالفضة المذابة تخالطها
صفرة فصارت وردة كالدهان وصارت السماء كالمهل وصارت الجبال
كالعهن واشتبك الناس كالفراش المبثوث وهم حفاة عراة مشاة قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم يبعث الناس حفاة عراة غرلا قد ألجمهم العرق وبلغ شحوم الآذان
قالت سودة زوج رسول الله صلى الله عليه وسلم راوية الحديث قلت
يا رسول الله واسوأتاه ينظر بعضنا إلى بعض فقال شغل الناس عن ذلك لكل امرئ
منهم يومئذ شأن يغنيه فأعظم بيوم تنكشف فيه العورات ويؤمن فيه مع
ذلك من النظر والالتفات كيف وبعضهم يمشون على بطونهم ووجوههم
ولا قدرة لهم على الالتفات إلى غيرهم قال أبو هريرة قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم يحشر الناس يوم القيامة ثلاثة أصناف ركبانا ومشاة
وعلى وجوههم وفي طبع الآدمي إنكار كل ما لم يأنس به ولو لم يشاهد الإنسان الحية
وهي تمشي على بطنها كالبرق الخاطف لأنكر تصور المشي على غير رجل والمشي بالرجل
أيضا مستبعد عند من لم يشاهد ذلك فإياك أن تنكر شيئا من عجائب يوم القيامة
لمخالفته قياس ما في الدنيا فإنك لو لم تكن قد شاهدت عجائب الدنيا ثم عرضت
عليك قبل المشاهدة لكنت أشد إنكارا لها فأحضر في قلبك صورتك
وأنت واقف عاريا مكشوفا ذليلا مدحورا متحيرا مبهوتا منتظرا لما يجري عليك
من القضاء بالسعادة أو الشقاوة وأعظم بهذه الحال فإنها عظيمة

الحشر على اختلاف الناس

صفة العرق

ثم تفكر في ازدحام الخلايق واجتماعهم حتى ازدحم على الموقف اهل السموات
السبع والارضين السبع من ملك وجن وانس وشيطان ووحش وسبع ٥
وطير فاشرقت عليهم الشمس وقد تضاعف حرها وتبدلت عما كانت عليه من خفة
امرها ثم ادنيت من رؤس العالمين كقاب قوسين فلم يبق على الارض ظل
الا ظل عرش رب العالمين ولم يمكن الاستظلال به الا المقربون فمن بين مستظل
بالعرش وبين مضحى لحر الشمس قد صهرته بحرها واشتد كربه وغمه من وهجها
ثم تدافعت الخلايق ودفع بعضهم بعضا لشدة الزحام واختلاف الاقدام
وانضاف اليه شدة الخجلة والحيا من الافتضاح والاخزا عند العرض على
جبار السما فاجتمع وهج الشمس وحر الانفاس واحترا[ق] القلوب بنار الحيا
والخوف ففاض العرق من اصل كل شعرة حتى سال على صعيد القيامة
ثم ارتفع الى ابدانهم على قدر منازلهم عند الله فبعضهم بلغ العرق ركبتيه
وبعضهم حقويه وبعضهم الى شحمة اذنيه وبعضهم كاد يغيب فيه قال
ابن عمر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم يقوم الناس لرب العالمين
حتى يغيب احدهم في رشحه الى انصاف اذنيه • وقال ابو هريرة قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم يعرق الناس يوم القيامة حتى يذهب عرقهم
في الارض سبعين باعا ويلجمهم ويبلغ اذانهم كذا رواه البخاري ومسلم
في الصحيح وفي حديث اخر قياما شاخصة ابصارهم اربعين سنة
الى السما فيلجمهم العرق من شدة الكرب ٥ وقال عقبة ابن عامر
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تدنو الشمس من الارض يوم
القيامة فيعرق الناس فمن الناس من يبلغ عرقه عقبه ومنهم من يبلغ فخذه ومنهم
من يبلغ خاصرته ومنهم من يبلغ فاه واشار بيده فالجمها فاه ومنهم من
يغطيه عرقه وضرب بيده على راسه هكذا فتامل يا مسكين في عرق اهل المحشر
وشدة كربهم وان فيهم من ينادي ويقول رب ارحني من هذا الكرب
والانتظار ولو الى النار وكل ذلك ولم يلقوا حسابا ولا عقابا فانك واحد

شدة العرق
مع النار

واحد منهم فلا تدري إلى أين يبلغ بك العرق واعلم ان كل عرق لم يخرجه التعب
في سبيل الله من حج وجهاد وصيام وقيام وتردد في قضاء حاجة مسلم وتحمل مشقة
في أمر بمعروف ونهي عن منكر فسيخرجه الحياء والخوف في صعيد القيامة ويطول
فيه الكرب ولو سلم ابن آدم من الجهل والغرور لعلم ان تحمل العرق في مصاعب
الطاعات أهون أمرا وأقصر زمانا من عرق الكرب والانتظار في القيامة فإنه
يوم عظيم شديدة طويلة مدته ٥

صفة طول يوم القيامة

يوم تقف فيه الخلائق شاخصة أبصارهم منفطرة قلوبهم لا يكلمون ولا ينظر
في أمورهم يقفون ثلثمائة عام لا يأكلون فيه أكلة ولا يشربون شربة
ولا يجدون فيه روح نسيم ٥ قال كعب وقتادة ٥
يوم يقوم الناس لرب العالمين ٥ قال يقومون مقدار ثلثمائة
عام بل قال عبد الله ابن عمر تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الآية
ثم قال كيف بكم إذا جمعكم الله كما يجمع النبل في الكنانة خمسين ألف سنة
لا ينظر إليكم • وقال الحسن ما ظنك بيوم قاموا فيه على أقدامهم مقدار
خمسين ألف سنة لم يأكلوا فيه أكلة ولم يشربوا فيه شربة حتى إذا انقطعت
فيه أعناقهم عطشا واحترقت أجوافهم جوعا انصرف بهم إلى النار فسقوا
من عين آنية قد آن حرها واشتد نضجها فلما بلغ المجهود منهم ما لا طاقة
لهم به كلم بعضهم بعضا في طلب من يكرم على مولاه فيشفع لهم فلم يتعلقوا
بنبي إلا دفعهم وقال لهم دعوني نفسي نفسي شغلني أمري عن أمر غيري ٥
واعتذر كل واحد منهم بشدة غضب الله تعالى وقال قد غضب ربنا اليوم
غضبا لم يغضب قبله مثله ولا يغضب بعده مثله حتى يشفع نبينا
صلى الله عليه وسلم لمن يؤذن له فيه لا يملكون الشفاعة إلا من أذن له
الرحمن ورضي له قولا فتأمل في طول هذا اليوم وشدة الانتظار فيه
حتى يخف عليك انتظار الصبر عن المعاصي في عمرك المختصر واعلم أن من طال

هول القيامة

انتظاره في الدنيا للموت لشدة مقاساته الصبر عن الشهوات فإنه يقصر انتظاره في
ذلك اليوم خاصة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما سئل عن طول
ذلك اليوم قال والذي نفسي بيده ليخفف عن المؤمن حتى يكون أهون عليه من
الصلاة المكتوبة يصليها في الدنيا فاجتهد أن تكون من أولئك المؤمنين
فما دام يبقى لك نفس من عمرك فالأمر إليك والاستعداد بيديك فاعمل في
أيام قصار لأيام طوال تربح ربحا لا منتهى لسروره واستحقر عمر الدنيا وهو
سبعة آلاف سنة فإنك لو صبرت مثلا سبعة آلاف سنة مثلا ليتخلص من يوم مقداره
خمسون ألف سنة لكان ربحك كثيرا وتعبك يسيرا

تخفيف القيمة للمؤمن

عمر الدنيا

صفة يوم القيامة

صفة يوم القيامة

ودواهيه وأساميه

فاستعد يا مسكين لهذا اليوم العظيم شأنه المديد زمانه القاهر
سلطانه القريب أوانه • يوم ترى السماء فيه قد انفطرت • والكواكب من هوله
والنجوم الزواهر قد انكدرت • والشمس قد كورت • والجبال قد سيرت • والعشار
قد عطلت • والوحوش قد حشرت • والبحار قد سجرت • والنفوس في الأبدان قد
زوجت • والجحيم قد سعرت • والجنة قد أزلفت • والجبال قد نسفت • والأرض
قد مدت • يوم ترى الأرض قد زلزلت فيه زلزالها • وأخرجت الأرض أثقالها
يومئذ يصدر الناس أشتاتا ليروا أعمالهم • يوم تحمل الأرض والجبال فدكتا دكة
واحدة • فيومئذ وقعت الواقعة • وانشقت السماء • فهي يومئذ واهية • والملك
على أرجائها • ويحمل عرش ربك يومئذ فوقهم ثمانية • يومئذ تعرضون لا تخفى
منكم خافية • يوم تنسف الجبال وترى الأرض بارزة • يوم ترج الأرض فيه
رجا • وتبس الجبال بسا • فكانت هباء منبثا • يوم يكون الناس كالفراش المبثوث
وتكون الجبال كالعهن المنفوش • يوم تذهل كل مرضعة عما أرضعت • وتضع كل
ذات حمل حملها • وترى الناس سكارى وما هم بسكارى • ولكن عذاب الله شديد
يوم تبدل الأرض غير الأرض والسماوات • وبرزوا لله الواحد القهار • يوم

أسماء القيمة

يوم تنسف الجبال فيه نسفا فتترك قاعا صفصفا لا ترى فيها عوجا ولا امتا
يوم ترى الجبال تحسبها جامدة وهي تمر مر السحاب • يوم تنشق فيه السماء
فتكون وردة كالدهان • فيومئذ لا يسأل عن ذنبه انس ولا جان • يوم
يمنع العاصي من الكلام • ولا يسأل فيه عن الاجرام • بل يؤخذ بالنواصي والاقدام
يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا • وما عملت من سوء تود لو ان بينها وبينه
امدا بعيدا • يوم تعلم كل نفس ما احضرت • وتشهد ما قدمت واخرت
يوم فيه الالسن تخرس وتنطق الجوارح • يوم شيب ذكره سيد المرسلين
اذ قال له الصديق رضي الله عنه اراك شبت يا رسول الله قال شيبتني هود
والواقعة • والمرسلات • وعم يتساءلون • واذا الشمس كورت • فيا ايها القاري
العاجز انما حظك من قراءتك ان تجمجم القرآن وتحرك به اللسان ولو كنت متفكرا
فيما تقرأه لكنت جديرا بان تنشق مرارتك فيما شاب منه سيد المرسلين فاذا
قنعت بحركة اللسان فقد حرمت ثمرة القرآن فالقيامة احد ما ذكر فيه وقد

وقد وصف الله تعالى بعض دواهيها واكثر من اساميها

لنقف بكثرة اساميها على كثرة معانيها فليس المقصود تكرير الاسامي والالقاب
بل الغرض تنبيه اولي الالباب • فتحت كل اسم من اسماء القيامة سر وفي كل
نعت من نعوتها معنى فاحرص على معرفة معانيها •

ونحن الان نجمع لك اساميها فهي

اسماء القيمة

يوم القيامة • ويوم الحسرة • ويوم الندامة • ويوم المحاسبة • ويوم
المناقشة • ويوم المسائلة • ويوم المسابقة • ويوم المنافسة • ويوم
الزلزلة • ويوم الدمدمة • ويوم الصاعقة • ويوم الواقعة • ويوم
القارعة • ويوم الراجفة • ويوم الرادفة • ويوم الغاشية • ويوم
الداهية • ويوم الآزفة • ويوم الحاقة • ويوم الطامة • ويوم الصاخة •
ويوم التلاق • ويوم الفراق • ويوم المساق • ويوم القصاص • ويوم
التناد • ويوم الحساب • ويوم المآب • ويوم العذاب • ويوم الفرار • ويوم
القرار • ويوم اللقاء • ويوم البقاء • ويوم القضاء • ويوم الجزاء • ويوم •

البلاء ويوم البكاء ويوم الحشر ويوم الوعيد ويوم العرض ويوم الوزن
ويوم الحق ويوم الحكم ويوم الفصل ويوم الجمع ويوم البعث ويوم
الخزي ويوم عظيم ويوم عقيم ويوم عسير ويوم الدين ويوم
اليقين ويوم النشور ويوم المصير ويوم النفخة ويوم الصيحة ويوم
الرجفة ويوم الرجة ويوم الزجرة ويوم السكرة ويوم الفزع ويوم
الجزع ويوم المنتهى ويوم المأوى ويوم الميقات ويوم الميعاد ويوم
المرصاد ويوم القلق ويوم الغرق ويوم الافتقار ويوم الانكدار
ويوم الانتشار ويوم الانشقاق ويوم الوقوف ويوم الخروج ويوم
الخلود ويوم التغابن ويوم عبوس ويوم معلوم ويوم موعود ويوم
مشهود ويوم لا ريب فيه ويوم تبلى السرائر ويوم لا تجزي نفس عن نفس شيئا
ويوم تشخص فيه الابصار ويوم لا يغني مولى عن مولى شيئا ويوم لا تملك نفس
لنفس شيئا ويوم يدعون الى النار دعا ويوم يسحبون في النار على وجوههم
ويوم تقلب وجوههم في النار ويوم لا يجزي والد عن ولده ويوم يفر
المرء من اخيه وامه وابيه ويوم لا ينطقون ولا يؤذن لهم فيعتذرون
يوم لا مرد له من الله يوم هم بارزون يوم هم على النار يفتنون ٥
يوم لا ينفع مال ولا بنون يوم الظالمين معذرتهم ولهم اللعنة ولهم سوء الدار
يوم يزيد فيه المعاذير يوم تبلى السرائر وتظهر الضمائر وتكشف الاستار
يوم تخشع فيه الابصار وتسكن الاصوات ويقل فيه الالتفات وتبرز
الخفيات وتظهر الخطيات يوم تساق العباد ومعهم الاشهاد ويشيب
الصغير ويسكر الكبير فيومئذ وضعت الموازين ونشرت الدواوين ٥
وبرزت الجحيم وغلى الحميم وزفرت النار ويئس الكفار وسعرت النيران
وتغيرت الالوان وخرس اللسان ونطقت جوارح الانسان فيا ايها الانسان
ما غرك بربك الكريم حيث اغلقت الابواب وارخيت الستور ٥
واستترت عن الخلائق فقارفت الفجور فما ذا تفعل وقد شهدت عليك جوارحك
فالويل كل الويل لنا معاشر الغافلين يرسل الله تعالى الينا سيد المرسلين وينزل
عليه الكتاب المبين ويخبرنا بهذه الصفات من نعوت يوم الدين ثم يعرفنا
غفلتنا ثم يقول — اقترب للناس حسابهم وهم في غفلة معرضون

لا ينفع

ما يأتيهم من ذكر من ربهم محدث إلا استمعوه وهم يلعبون لاهية قلوبهم
ثم تعجب فما قرب القيامة اقتربت الساعة وانشق القمر ۝ إنهم
يرونه بعيدا ونراه قريبا ۝ وما يدريك لعل الساعة تكون قريبا ثم يكون أحسن
أحوالنا أن نتخذ دراسة هذا القرآن عملا فلا نتدبر معانيه ولا ننظر في كثرة أوصاف
هذا اليوم وأساميه ولا نستعد للتخلص من دواهيه فنعوذ بالله من هذه
الغفلة إن لم يتداركنا الله بواسع الرحمة

صفة المسائلة

ثم تفكر يا مسكين بعد هذه الأحوال فيما يتوجه عليك من السؤال
شفاها من غير ترجمان فتسأل عن القليل والكثير والنقير والقطمير فبينما
أنت في كرب القيامة وعرقها وشدة عظائمها إذ نزلت ملائكة من أرجاء
السماء بأجسام عظام وأشخاص ضخام غلاظ شداد أمروا أن يأخذوا
بنواصي المجرمين إلى موقف العرض على الجبار قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم إن لله عز وجل ملكا ما بين شفري عينيه مسيرة مائة عام فما ظنك
بنفسك إذا شاهدت هؤلاء الملائكة أرسلوا إليك ليأخذوك إلى مقام العرض
وتراهم على عظم أشخاصهم منكسرين لشدة اليوم مستشعرين مما بدا من غضب
الجبار على عباده وعند نزولهم لا يبقى نبي ولا صديق ولا صالح إلا
ويخرون لأذقانهم خوفا من أن يكونوا هم المأخوذين فهذا حال المقربين
فما ظنك بالعصاة المجرمين وعند ذلك يبادر أقوام من شدة الفزع فيقولون
للملائكة أفيكم ربنا وذلك لعظم موكبهم وشدة هيبتهم فتفزع الملائكة
من سؤالهم إجلالا لخالقهم عن أن يكون فيهم وزادوا بأصواتهم منزهين
لمليكهم عما توهمه أهل الأرض وقالوا سبحان ربنا ما هو فينا ولكنه آت من
بعد وعند ذلك تقوم الملائكة صفا محدقين بالخلائق من الجوانب وعلى
جميعهم شعار الذل والخضوع وهيبة الخوف والمهابة لشدة اليوم وعند
ذلك يصدق قول الله تعالى فلنسألن الذين أرسل إليهم ولنسألن المرسلين
فلنقصن عليهم بعلم وما كنا غائبين وقوله فوربك لنسألنهم أجمعين

السؤال والحساب

عظم الملائكة

من خاف في الدنيا لم يخف في الآخرة

عما كانوا يعملون فبدأ بالانبيا يوم يجمع الرسل فيقول ماذا اجبتم قالوا لا علم لنا
فيا لشدة يوم تذهل فيه عقول الانبيا وتمحى علومهم من شدة الهيبة اذ يقال لهم
ماذا اجبتم وقد ارسلتم الى الخلايق وكانوا قد علموا فدهش عقولهم فلا يدرون ماذا
يجيبون فيقولون من شدة الهيبة لا علم لنا انك انت علام الغيوب وهم في ذلك
الوقت صادقون اذ طارت منهم العقول وانمحت العلوم الى ان يقويهم الله فيدعا
نوح عليه السلام فيقال له هل بلغت فيقول نعم فيقال لامته هل بلغكم فيقولون
ما اتانا من نذير ويؤتى بعيسى عليه السلام فيقول الله تعالى له أانت قلت للناس
اتخذوني وامي الهين من دون الله فيبقى متشحطا تحت هذا السؤال فيا لعظم يوم يقام
فيه السياسة على الانبيا بمثل هذا السؤال يوم يقبل الملائكة فينادون واحدا
واحدا يا فلان ابن فلان هلم الى موقف العرض وعند ذلك ترتعد الفرايص وتضطرب
الجوارح وتبهت العقول ويتمنى اقوام ان يذهب بهم الى النار ولا تعرض فضايحهم
على الجبار ولا يكشف ستره على ملا الخلايق وقبل الابتدا بالسؤال
يظهر نور العرش واشرقت الارض بنور ربها وايقن كل عبد باقبال الجبار لمسايلة
العباد وظن كل واحد منهم انه ما يراه احد سواه وانه المقصود بالاخذ والسؤال
دون غيره فيقول الجبار سبحانه وتعالى عند ذلك يا جبريل ايتني بالنار فيجيء بها
جبريل ويقول يا جهنم اجيبي خالقك ومليكك فيصادفها جبريل على غيظها
وغضبها فلم يلبث بعد ندايها ان ثارت وفارت وزفرت الى الخلايق وسمع
الخلايق تغيظها وزفيرها وانتهضت خزنتها متوثبة الى الخلايق غضبا
على من عصى الله تعالى وخالف امره فاخطر ببالك واحضر في قلبك حالة قلوب
العباد وقد امتلأت فزعا ورعبا فتساقطوا جثا على الركب وولوا مدبرين
يوم ترى كل امة جاثية وسقط بعضهم على الوجوه منكبين وينادي الظالمون
والعصاة بالويل والثبور وينادي الصديق نفسي نفسي فبينما هم كذلك
اذ زفرت النار زفرتها الثانية فتضاعف خوفهم وتخاذلت قواهم وظنوا
انهم ماخوذون ثم زفرت الثالثة فتساقط الخلايق لوجوههم وشخصوا
بابصارهم ينظرون من طرف خفي خاشع وانقصمت عند ذلك قلوب الظالمين
فبلغت الحناجر كاظمين وذهلت العقول من السعدا والاشقيا اجمعين وبعد
ذلك اقبل الله تعالى على الرسل ماذا اجبتم فاذا اراوا ما قد وافهم من السياسة

السؤال الى الانبياء يوم القيمة

الدعوة يوم القيمة

يقول يا ليتني قدمت لحياتي

نداء العباد

حصول القيمة

البساسة على الانبيا اشتد الفزع على العصاة فتفر الوالد من ولده والاخ من اخيه
والزوج من زوجته ويبقى كل واحد منتظرا لامره ثم يوخذ واحد واحد فيساله
الله شفاها عن قليل عمله وكثيره وعن سره وعلانيته وعن جميع جوارحه واعضائه
قال ابو هريرة قالوا يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة فقال هل
تضارون في رؤية الشمس في الظهيرة ليس دونها سحاب قالوا لا قال هل تضارون
في رؤية القمر ليلة البدر ليس دونه سحاب قالوا لا قال والذي نفسي بيده
لا تضارون في رؤية ربكم فيلقى العبد فيقول له الم اكرمك واسودك وازوجك
واسخر لك الخيل والابل واذرك ترأس وتربع فيقول العبد بلى فيقول افظننت
انك ملاقي فيقول لا فيقول اني انساك كما نسيتني فتوهم يا مسكين
وقد اخذت الملائكة بعضديك وانت واقف بين يدي الله عز وجل يسالك
شفاها فيقول الم انعم عليك بالشباب ففيما ذا ابليته
الم امهل لك في العمر ففيما ذا افنيته الم ارزقك المال فمن اين اكتسبته وفيما ذا
انفقته الم اكرمك بالعلم فما عملت فيما علمت فكيف ترى حياءك وخجلك
وهو يعد عليك انعامه ومعصيتك واياديه ومساويك وان انكرت
شهدت عليك جوارحك قال انس رضي الله عنه
كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فضحك ثم قال تدرون مم اضحك
قلنا الله ورسوله اعلم قال من مخاطبة العبد ربه يقول يا رب الم تجرني من
الظلم قال يقول بلى قال يقول اني لا اجيز على نفسي الا شاهدا مني فيقول
كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا وبالكرام الكاتبين عليك شهودا قال فيختم
على فيه ويقال لاركانه انطقي قال فتنطق باعماله ثم يخلى بينه وبين الكلام
فيقول لاعضائه بعدا لكن وسحقا فعنكن كنت اناضل فنعوذ بالله من الافتضاح
على ملاء الخلق بشهادة الاعضاء الا ان الله تعالى وعد المومن بان يستر عليه
ولا يطلع عليه غيره سال ابن عمر رجل فقال له كيف سمعت من رسول الله
صلى الله عليه وسلم يقول في النجوى فقال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
يدنو احدكم من ربه حتى يضع كنفه عليه فيقول عملت كذا وكذا فيقول نعم
ثم يقول اني سترتها في الدنيا وانا اغفرها لك اليوم وقد قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم من ستر على مومن عورته ستر الله عورته يوم القيمة فهذا

سؤال الله عن نعمه

السؤال الى العلما

شهادة الاعضا والملائكة

ستر الله عيوب عباده ومغفرته

ستر عورة الله

انما يرجى العبد المؤمن من ستر على الناس عيوبهم واحتمل في حق نفسه تقصيرهم ولم يحرك
لسانه بذكر مساويهم ولم يذكرهم في غيبتهم بما يكرهون لو سمعوه فهو جدير
بان يجازى بمثله في القيامة وهب انه ستره عن غيرك اليس قد قرع سمعك النداء الى العرض
فيكفيك تلك الروعة جزاء عن ذنوبك اذ يؤخذ بناصيتك فتقاد وفؤادك مضطرب
ولبك طائر وفرائصك مرتعدة وجوارحك مضطربة ولونك متغير والعالم عليك
من شدة الهول مظلم فقدر نفسك وانت بهذه الصفة تتخطى الرقاب وتخرق الصفوف
وتقاد كما يقاد الفرس المجنوب وقد رفع الخلائق اليك ابصارهم فتوهم نفسك في ايدي
الموكلين بك على هذه الصفة حتى انتهى بك الى عرش الرحمن فرموك من ايديهم ٥
وناداك الله سبحانه وتعالى بعظيم كلامه يا ابن آدم ادن مني فدنوت بقلب خافق محزون
وجل وطرف خاشع ذليل وفؤاد منكسر واعطيت كتابك الذي لا يغادر صغيرة ولا
كبيرة الا احصاها فكم من فاحشة نسيتها فذكرتها وكم من طاعة غفلت عن
ادائها فانكشفت لك عن مساويها وكم لك من خجل وجبن وكم لك من حصر وعجز فليت
باي قدم تقف بين يديه وباي لسان تجيب وباي قلب تعقل ما تقول ثم تفكر في عظم
حيائك اذا ذكرت ذنوبك شفاها اذ يقول يا عبدي ما استحييت مني فبارزتني ٥
بالقبيح واستحييت من خلقي فاظهرت لهم الجميل اكنت اهون عليك من سائر عبادي
استخففت بنظري اليك فلم تكترث واستعظمت نظر غيري الم انعم عليك فما ذا
غرك بي اظننت اني لا اراك وانك لا تلقاني قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم ما منكم من احد الا ويسأله رب العالمين ليس بينه وبينه حجاب
ولا ترجمان وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليقفن احدكم بين يدي الله تعالى
ليس بينه وبينه حجاب فيقول له الم انعم عليك الم اوتك مالا فيقول بلى فيقول
الم ارسل اليك رسولا فيقول بلى فينظر عن يمينه فلا يرى الا النار ثم ينظر
عن شماله فلا يرى الا النار فليتق النار احدكم ولو بشق تمرة فان لم يجد فبكلمة طيبة
وقال ابن مسعود ما منكم من احد الا سيخلو الله عز وجل به كما يخلو احدكم بالقمر
ليلة البدر ثم يقول يا ابن آدم ما غرك بي يا ابن آدم ما عملت فيما علمت يا ابن
آدم ماذا اجبت المرسلين يا ابن آدم الم اكن رقيبا على عينك وانت تنظر الى ما لا يحل لك
الم اكن رقيبا على اذنك وهكذا حتى عد سائر الاعضاء وقال مجاهد
لا تزول قدما عبد يوم القيامة من بين يدي الله عز وجل حتى يسأل عن اربع خصال

القيام بين يدي الله
والحساب له تعالى

الاعضاء

للحساب والسؤال

خصال. عن عمره فيما أفناه. وعن علمه فيما عمل فيه. وعن جسده فيما أبلاه. وعن ماله
من أين اكتسبه وفيما أنفقه فاعظم يا مسكين بحيائك عند ذلك وبخطرك فإنك
بين أن يقال لك سترتها عليك في الدنيا وأنا أغفرها لك اليوم فعند ذلك يعظم سرورك
وفرحك ويغبطك الأولون والآخرون وإما أن يقال للملائكة خذوا هذا العبد
السوء فغلوه ثم الجحيم صلوه فعند ذلك لو بكت عليك السموات والأرض لكان
ذلك جديرا بعظم مصيبتك وشدة حسرتك على ما فرطت فيه من طاعة الله
وعلى ما بعت آخرتك من دنيا دنية لم تبق معك

صفة الميزان

صفة الميزان

ثم لا تغفل عن الفكر في الميزان وتطاير الكتب
إلى الشمائل والأيمان فإن الناس بعد السؤال ثلث فرق فرقة ليس لهم حسنة
فيخرج عنق من النار أسود فيلتقطهم لقط الطير الحب وينطوي عليهم ويلقيهم
في النار فتبتلعهم وينادى عليهم بشقاوة لا سعادة بعدها وقسم آخر
لا سيئة لهم فينادي مناد ليقم الحمادون لله تعالى على كل حال فيقومون ويسرحون
إلى الجنة ثم يفعل ذلك بأهل قيام الليل ثم بمن لم تشغله تجارة الدنيا ولا بيعها
عن ذكر الله تعالى وينادى عليهم بسعادة لا شقاوة بعدها ويبقى قسم ثالث هم
الأكثرون خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا وقد يخفى عليهم ولا يخفى على الله تعالى أن
الغالب حسناتهم أو سيئاتهم ولكن يأبى الله إلا أن يعرفهم حقيقة ذلك ليبين فضله
عند العفو وعدله عند العقاب فتطاير الصحف والكتب منطوية على الحسنات والسيئات
وينصب الميزان وتشخص الأبصار إلى الكتب أتقع في اليمين أو في الشمال ثم إلى لسان الميزان
أيميل إلى جانب السيئات أو الحسنات وهذه حالة هائلة تطيش فيها عقول الخلائق
روي عن الحسن أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان رأسه في حجر عائشة
رضي الله عنها فنعس فذكرت الآخرة فبكت حتى سال دمعها فسقط على خد رسول الله
صلى الله عليه وسلم فانتبه فقال ما يبكيك يا عائشة قالت ذكرت الآخرة هل
تذكرون أهليكم يوم القيامة قال والذي نفسي بيده في ثلث مواطن
فإن أحدا لا يذكر إلا نفسه إذا وضعت الموازين ووزنت الأعمال حتى ينظر ابن آدم

الناس بعد الحساب ثلث فرق

الشغل في العبادة

أيخف ميزانه أم يثقل. وعند الصحف حتى ينظر أبيمينه يأخذ كتابه أم بشماله
وعند الصراط وعن أنس قال يؤتى بابن آدم يوم القيمة
حتى يوقف بين كفتي الميزان ويوكل به ملك فإن ثقل ميزانه نادى الملك بصوت يسمع
الخلائق سعد فلان سعادة لا يشقى بعدها أبدا. وإن خف ميزانه نادى بصوت
يسمع الخلائق شقي فلان شقاوة لا يسعد بعدها أبدا. وعند خفة الحسنات
تقبل الزبانية وبأيديهم مقامع من حديد عليهم ثياب من النار فيأخذون نصيب
النار إلى النار. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في يوم القيمة
انه ينادي الله تعالى فيه آدم عليه السلام فيقول قم يا آدم فابعث بعث
النار فيقول وكم بعث النار فيقول من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعين فلما سمع
الصحابة ذلك أبلسوا حتى ما أوضحوا بضاحكة فلما رأى رسول الله صلى الله عليه
وسلم الذي عند أصحابه قال اعملوا وابشروا فوالذي نفس محمد بيده إن
معكم لخليقتين ما كانتا مع أحد قط إلا كثرتاه مع من هلك من بني آدم وبني
إبليس قالوا وما هما يا رسول الله قال يأجوج ومأجوج قال فسري عن القوم فقال اعملوا
وابشروا فوالذي نفس محمد بيده ما أنتم في الناس يوم القيامة إلا كالشامة
في جنب البعير أو كالرقمة في ذراع الدابة.

صفة الخصماء ورد المظالم

قد عرفت هول الميزان وخطره وأن الأعين شاخصة إلى لسان الميزان فمن ثقلت
موازينه فهو في عيشة راضية. ومن خفت موازينه فأمه هاوية. وما أدراك ما
هيه نار حامية. واعلم أنه لا ينجو من خطر الميزان إلا من حاسب نفسه
في الدنيا ووزن فيها بميزان الشرع أعماله وأقواله وخطراته ولحظاته
كما قال عمر رضي الله عنه حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا وزنوها قبل
أن توزنوا وإنما حسابه لنفسه أن يتوب عن كل معصية قبل الموت توبة نصوحا
ويتدارك ما فرط من تقصير في فرائض الله ويرد المظالم حبة بعد حبة ويستحل
كل من تعرض له بلسانه ويده وسوء ظنه بقلبه ويطيب قلوبهم حتى يموت ولم يبق
عليه مظلمة ولا فريضة فهذا يدخل الجنة بغير حساب وإن مات قبل رد المظالم

وزن الأعمال بوزن الشرع في الدنيا

المظالم احاط به خصماؤه فهذا ياخذ بيده على ناصيته وهذا يقبض وهذا يتعلق
بتلبيبه وهذا يقول ظلمتني وهذا يقول شتمتني وهذا يقول استهزأت بي
وهذا يقول ذكرتني في الغيبة بما يسوؤني وهذا يقول جاورتني فاسأت جواري
وهذا يقول عاملتني فغششتني وهذا يقول عاملتني فغبنتني واخفيت
عني عيب متاعك وهذا يقول كذبت في سعر متاعك وهذا يقول رايتني
محتاجا وكنت غنيا فما اطعمتني وهذا يقول وجدتني مظلوما وكنت قادرا
على دفع المظالم عني فداهنت الظالم وما راعيتني فبينما انت كذلك وقد انشب
الخصماء فيك مخالبهم واحكموا في تلابيبك ايديهم وانت مبهوت متحير من كثرتهم
حتى لم يبق في عمرك احد عاملته على درهم او جالسته في مجلس الا وقد استحق
عليك مظلمة بغيبة او خيانة او نظر بعين استحقار وقد ضعفت عن مقاومتهم
ومددت عنق الرجاء الى سيدك ومولاك لعله يخلصك من ايديهم اذ قرع سمعك
نداء الجبار اليوم تجزى كل نفس بما كسبت لا ظلم اليوم فعند ذلك ينخلع قلبك
من الهيبة وتوقن نفسك بالبوار وتتذكر ما انذرك الله تعالى به على لسان رسوله
حيث قال ولا تحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون انما يؤخرهم ليوم تشخص فيه
الابصار مهطعين مقنعي رؤسهم لا يرتد اليهم طرفهم وافئدتهم هواء فما
اشد فرحك اليوم وتمضمضك باعراض الناس وتناولك اموالهم وما اشد حسراتك
في ذلك اليوم اذ وقف بك على بساط العدل وشوفهت بخطاب السياسة وانت
فقير عاجز مهين لا تقدر على ان ترد حقا او تظهر عذرا فعند ذلك تؤخذ
حسناتك التي تعبت فيها طول عمرك وتنقل الى خصمائك عوضا عن حقوقهم قال
ابو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم هل تدرون من المفلس
قالوا المفلس فينا يا رسول الله من لا درهم له ولا متاع فقال المفلس من امتي من
ياتي يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة وياتي وقد شتم هذا وقذف هذا
واكل مال هذا وسفك دم هذا وضرب هذا فيعطى هذا من حسناته
وهذا من حسناته فان فنيت حسناته قبل ان يقضي ما عليه اخذ من خطاياهم
وطرحت عليه ثم طرح في النار فانظر الى مصيبتك في مثل هذا اليوم
اذ ليس يسلم لك حسنة من آفات الريا ومكايد الشيطان فان سلمت حسنة واحدة
في كل مدة طويلة ابتدرها خصماؤك واخذوها ولعلك لو حاسبت نفسك

المداهنة على الظالم

استحقار العبد

اعطاء الحسنات الى الخصما

المفلس

وانت مواظب على صيام النهار وقيام الليل لعلمت انه لا ينقضي عنك يوم الا
ويجري على لسانك من غيبة المسلمين ما يستوفي جميع حسناتك فكيف ببقية
السيئات من اكل الحرام والشبهات والتقصير في الطاعات فكيف ترجو الخلاص
من المظالم في يوم يقتص فيه للجماء من القرناء فقد روى ابو هريرة ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى شاتين تنتطحان فقال يا ابا ذر اتدري
فيم تنتطحان قلت لا يا رسول الله قال ولكن ربك يدري وسيقضي بينهما
يوم القيامة وقال ابو هريرة في قوله عز وجل وما من دابة في الارض
ولا طائر يطير بجناحيه الا امم امثالكم انه يحشر الخلق يوم القيامة البهائم
والطير وكل شيء فيبلغ من عدل الله تعالى انه يأخذ للجماء من القرناء ثم يقول كوني ترابا
حتى يقول الكافر يا ليتني كنت ترابا فكيف انت يا مسكين في يوم ترى صحيفتك
خالية من حسناتك التي طال فيها تعبك فتقول اين حسناتي فيقال نقلت الى صحيفة
خصمائك وترى صحيفتك مشحونة بسيئات طال في الصبر عنها نصبك واشتد بسبب
الكف عنها عناؤك فتقول يا رب هذه سيئات ما قارفتها قط فيقال هذه سيئات القوم
الذين اغتبتهم وشتمتهم وقصدتهم بالسوء وظلمتهم في المبايعة والمجاورة
والمخاطبة والمناظرة والمذاكرة والمدارسة وسائر اصناف المعاملة قال
ابن مسعود قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الشيطان قد يئس
ان تعبد الاصنام بارض العرب ولكن سيرضى منكم بما هو دون ذلك من المحقرات ٥
الموبقات فاتقوا الظلم ما استطعتم فان العبد ليجيء يوم القيامة بامثال الجبال من
الطاعات فيرى انهن سينجينه فما زال عبد يجيء فيقول رب ان فلانا ظلمني بمظلمة
فيقول امح من حسناته فما زال كذلك حتى ما يبقى من حسناته شيء وان مثل ذلك مثل
سفر نزلوا بفلاة من الارض ليس معهم حطب فتفرق القوم ليحتطبوا فلم يلبثوا
ان اعظموا نارهم وصنعوا ما ارادوا وكذلك الذنوب ولما نزل قوله تعالى
انك ميت وانهم ميتون ثم انكم يوم القيامة عند ربكم تختصمون قال
الزبير يا رسول الله ايكرر علينا ما كان بيننا في الدنيا مع خواص الذنوب
قال نعم ليكررن عليكم حتى تؤدوا الى كل ذي حق حقه قال الزبير والله ان الامر
لشديد فاعظم بشدة يوم لا يسامح فيه بخطوة ولا يتجاوز فيه عن لطمة ولا عن
كلمة حتى ينتقم للمظلوم من الظالم قال انس سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم

مثال اعطاء الاعمال الى الخصماء

وسلم يقول يحشر الله العباد عراة غبرا بهما قال قلنا ما بهما قال ليس معهم شيء ثم يناديهم
تعالى بصوت يسمعه من بعد كما يسمعه من قرب انا الملك انا الديان لا ينبغي لاحد
من اهل الجنة ان يدخل الجنة ولاحد من اهل النار عنده مظلمة ولا لاحد من اهل النار
ان يدخل النار ولاحد من اهل الجنة عنده مظلمة حتى اقصه منه حتى اللطمة قلنا
وكيف وانما نأتي الله عراة غبرا بهما فقال بالحسنات والسيئات فاتقوا الله عباد الله
ومظالم العباد باخذ اموالهم والتعرض لاعراضهم وتضييق قلوبهم واساءة الخلق
في معاشرتهم فان ما بين الله وبين العبد خاصة فالمغفرة اليه اسرع ومن
اجتمعت عليه مظالم وقد تاب عنها وعسر عليه الاستحلال ارباب المظالم فليكثر
من حسناته ليوم القصاص وليستر بعض الحسنات بينه وبين الله تعالى
بكمال الاخلاص من حيث لا يطلع عليه احد الا الله فعساه يقربه الى الله فينال به
لطفه الذي ادخره لاحبابه المؤمنين في دفع مظالم العباد عنهم كما روي
عن انس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال بينما رسول الله صلى الله
عليه وسلم جالس اذ رايناه يضحك حتى بدت ثناياه فقال عمر ما اضحكك
يا رسول الله بابي انت وامي قال رجلان من امتي جثيا بين يدي رب العزة فقال
احدهما يا رب خذ لي مظلمتي من اخي فقال الله تعالى اعط اخاك مظلمته فقال يا رب
لم يبق من حسناتي شيء فقال الله تعالى للطالب كيف تصنع ولم يبق شيء من حسناته
قال يا رب فليحمل عني من اوزاري قال وفاضت عينا رسول الله صلى الله عليه وسلم
بالبكاء ثم قال ان ذلك ليوم عظيم يوم يحتاج الناس الى ان يحمل عنهم من اوزارهم
قال فقال الله للطالب ارفع راسك فانظر في الجنان فرفع راسه فقال يا رب
ارى مداين من فضة مرتفعة وقصورا من ذهب مكللة لاي نبي هذا او لاي
صديق هذا او لاي شهيد هذا قال لمن اعطى الثمن قال يا رب ومن يملك ثمنه
قال انت تملكه قال ما هو يا رب قال عفوك عن اخيك قال يا رب اني قد عفوت
عنه قال الله عز وجل خذ بيد اخيك فادخله الجنة ثم قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم عند ذلك اتقوا الله واصلحوا ذات بينكم فان الله يصلح بين المومنين
وهذا تنبيه على ان ذلك انما ينال بالتخلق باخلاق الله تعالى
وهو اصلاح ذات البين وساير الاخلاق فتفكر الآن في نفسك ان خلت
صحيفتك عن المظالم او تلطف لك حتى عفي عنك وايقنت بسعادة الابد كيف

القصاص يوم القيمة

يكون سرورك في منصرفك من فصل القضاء وقد خلع عليك خلعة الرضى ووعدت نعيما
ليس بعدها شقاوة ونعيم لا يدور حواشيه الفنا وعند ذلك طار قلبك سرورا
وفرحا وابيض وجهك واستنار واشرق كما يشرق القمر ليلة البدر فتوهم
تبخترك بين الخلايق رافعا راسك خاليا عن الاوزار ظهرك ونضرة نسيم النعيم وبرد
الرضا يتلالا من جبينك وخلق الاولين والاخرين ينظرون اليك والى حالك
ويغبطونك في حسنك وجمالك والملايكة يمشون بين يديك ومن خلفك وينادون
على رؤس الاشهاد هذا فلان ابن فلان رضي الله عنه وارضاه وقد سعد سعادة لا
يشقى بعدها ابدا افترى ان هذا المنصب ليس باعظم من المكانة التي تنالها في قلوب
الخلق في الدنيا برياءك ومداهنتك وتصنعك وتزينك فان كنت تعلم انه خير منه
بل لا نسبة له اليه فتوسل الى ادراك هذه المنزلة بالاخلاص الصافي والنية ٥
الصادقة في معاملتك مع الله تعالى فلن يدرك ذلك الا به وان تكن الاخرى والعياذ
بالله بان خرج من صحيفتك جريمة كنت تحسبها هينة وهي عند الله عظيمة فمقتك
لاجلها فقال عليك لعنتي يا عبد السوء لا اتقبل منك عبادتك فلا تسمع هذا
النداء الا ويسود وجهك ثم تغضب الملايكة لغضب الله تعالى فيقولوا وعليك لعنتنا
ولعنة الخلايق اجمعين ٥ وعند ذلك يمتد اليك الزبانية وقد غضبت غضب
خالقها فقدمت عليك بفظاظتها وزعارتها وصورها المنكرة فاخذوا ٥
بناصيتك يسحبونك على وجهك على ملا من الخلق وهم ينظرون الى سواد وجهك
والى ظهور خزيك وانت تنادي بالويل والثبور وهم يقولون لك لا تدع اليوم
ثبورا واحدا وادعوا ثبورا كثيرا وتنادي الملايكة ويقولون هذا فلان ابن فلان
كشف الله عن فضايحه ومخازيه ولعنه بقبايح مساويه فشقي شقاوة لا يسعد
بعدها ابدا وربما يكون ذلك بذنب اذنبته خفية من عباد الله او طلبا للمنزلة
في قلوبهم او خوفا من الافتضاح عندهم فما اعظم جهلك اذ تحترز عن الافتضاح
عند طايفة يسيرة من عباد الله في الدنيا المنقرضة ثم لا تخشى من الافتضاح ٥
العظيم مع التعرض لسخط الله وعقابه الاليم والسياق بيدي الزبانية الى سواء
الجحيم

وهذه احوالك وانت تستشعر بالخطر
الاعظم وهو الصراط ٥

مناصب الاخرة

السوق الى الجحيم

صفة الصراط

صفة الصراط

ثم تفكر بعد هذه الاهوال في قوله تعالى ثم تحشر المتقين الى الرحمن وفدا ونسوق المجرمين الى جهنم وردا وفي قوله تعالى فاهدوهم الى صراط الجحيم وقفوهم انهم مسؤولون فالناس بعد هذه الاهوال يساقون الى الصراط وهو جسر ممدود على متن النار احد من السيف وادق من الشعر فمن استقام في هذا العالم على الصراط المستقيم خف على صراط الآخرة ونجا ومن عدل عن الاستقامة في الدنيا واثقل ظهره بالاوزار وعصى تعثر في اول قدم من الصراط وتردى فتفكر الآن فيما يحل من الفزع بفؤادك اذا رايت الصراط ودقته ثم وقع بصرك على سواد جهنم من تحته ثم قرع سمعك شهيق النار وتغيظها وقد كلفت ان تمشي على الصراط مع ضعف حالك واضطراب قلبك وتزلزل قدمك وثقل ظهرك بالاوزار المانعة لك عن المشي على بساط الارض فضلا عن حدة الصراط فكيف بك اذا وضعت عليه احدى رجليك واحسست بحدته واضطررت الى ان ترفع القدم الثاني والخلائق بين يديك يزلون ويتعثرون وتتناولهم زبانية النار بالخطاطيف والكلاليب وانت تنظر اليهم كيف ينكسون فيتسفل في جهة النار روسهم وتعلوا ارجلهم فيا له من منظر ما افظعه ومرتقى ما اصعبه ومجاز ما اضيقه فانظر في حالك وانت تزحف عليه وتصعد اليه وانت مثقل الظهر باوزارك تلتفت يمينا وشمالا الى الخلق وهم يتهافتون في النار والرسول صلى الله عليه وسلم يقول يا رب سلم سلم والزعقات بالويل والثبور قد ارتفعت اليك من قعر جهنم لكثرة من زل عن الصراط من الخلائق فكيف بك لو زلت قدمك ولم ينفعك ندمك فناديت بالويل وقلت هذا ما كنت اخافه فيا ليتني قدمت لحياتي يا ليتني اتخذت مع الرسول سبيلا يا ويلتى ليتني لم اتخذ فلانا خليلا يا ليتني كنت ترابا يا ليتني كنت نسيا منسيا يا ليت امي لم تلدني وعند ذلك تختطفك النيران والعياذ بالله وينادي المنادي اخسئوا فيها ولا تكلمون فلا يبقى سبيل الا الصياح والانين والتنفس والاستغاثة فكيف ترى الآن

عقلك وهذه الأخطار بين يديك فإن كنت غير مؤمن بذلك فما أطول مقامك مع
الكفار في دركات جهنم وإن كنت به مؤمناً وعنه غافلاً وبالاستعداد له
متهاوناً فما أعظم خسرانك وطغيانك وماذا ينفعك إيمانك إذا لم يبعثك على
السعي في طلب رضى الله بطاعته وترك معاصيه فلو لم يكن بين يديك إلا هول
الصراط وارتياع قلبك من خطره في الجواز فإن سلمت فناهيك به هولاً وفزعاً
ورعباً قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يضرب الصراط بين ظهري جهنم فأكون
أول من يجيز بأمته من الرسل ولا يتكلم يومئذ إلا الرسل ودعوى الرسل
يومئذ اللهم سلم اللهم سلم وفي جهنم كلاليب مثل شوك السعدان هل رأيتم
شوك السعدان قالوا نعم يا رسول الله قال فإنها مثل شوك السعدان غير أنه لا
يعلم قدر عظمها إلا الله تعالى تختطف الناس بأعمالهم فمنهم من يوبق بعمله ومنهم
من يخردل ثم ينجو وقال أبو سعيد الخدري قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم يمر الناس على الصراط جسر جهنم وعليه حسك وكلاليب وخطاطيف
تختطف الناس يميناً وشمالاً وعلى جنبتيه ملائكة يقولون اللهم سلم اللهم سلم ومن
الناس من يمر مثل البرق ومنهم من يمر كالريح ومنهم من يمر كالفرس المجري ٥
ومنهم من يسعى سعياً ومنهم من يمشي مشياً ومنهم من يحبو حبواً ومنهم من يزحف
زحفاً فأما أهل النار الذين هم أهلها فلا يموتون ولا يحيون وأما ناس فيؤخذون
بذنوب وخطايا فيحترقون فيكونون فحماً ثم يؤذن في الشفاعة وذكر إلى آخر الحديث
وعن ابن مسعود أنه صلى الله عليه وسلم قال يجمع الله الأولين
والآخرين لميقات يوم معلوم قياماً أربعين سنة شاخصة أبصارهم إلى السماء
ينتظرون فصل القضاء وذكر الحديث إلى ذكر سجود المؤمنين قال ثم يقول
للمؤمنين ارفعوا رؤوسكم فيرفعون رؤوسهم فيعطيهم نورهم على قدر أعمالهم
فمنهم من يعطى نوره مثل الجبل العظيم يسعى بين يديه ومنهم من يعطى نوره أصغر
من ذلك حتى يكون آخرهم رجلاً يعطى نوره على إبهام قدميه فيضيء مرة ويخبو
أخرى فإذا أضاء قدم قدمه ويمشي فإذا أظلم قام ثم ذكر مرورهم على
الصراط على قدر نورهم فمنهم من يمر كطرف العين ومنهم من يمر كالبرق ومنهم
من يمر كالسحاب ومنهم من يمر كانقضاض الكوكب ومنهم من يمر كشد الفرس ومنهم
من يمر كشد الرجل حتى يمر الذي يعطى نوره على إبهام قدميه يحبو على وجهه ويديه ٥

النور في القيامة

ويديه ورجليه تخر منه يد وتعلق أخرى وتعلق رجل وتخر أخرى وتصيب جوانبه
النار كذلك حتى يخلص فإذا خلص وقف عليها ثم قال الحمد لله الذي أعطاني ما لم يعط
أحدا إذ نجاني منها بعد إذ رأيتها فينطلق به إلى غدير عند باب الجنة فيغتسل وقال
أنس بن مالك سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الصراط كحد
السيف أو كحد الشعرة وإن الملائكة ينجون المؤمنين والمؤمنات وإن جبريل
عليه السلام لآخذ بحجزتي وإني لأقول رب سلم سلم فالزالون والزالات يومئذ كثير
فهذه أهوال الصراط وعظائمه فطول فيه فكرك فإن أسلم الناس يوم القيامة
من طال فيه فكره في الدنيا فإن الله لا يجمع على عبد خوفين فمن خاف هذه الأهوال في
أمنها في الآخرة ولست أعني بالخوف رقة كرقة النساء تدمع عينك ويرق قلبك
حال السماع ثم تنساه على القرب وتعود إلى لهوك ولعبك فما ذلك من الخوف في
شيء بل من خاف شيئا هرب منه ومن رجا شيئا طلبه فلا ينجيك إلا خوف يمنعك
عن معاصي الله ويحثك على طاعته وأبعد من رقة النساء خوف الحمقى إذا سمعوا
الأهوال سبق إلى ألسنتهم الاستعاذة فقال أحدهم استعنت بالله نعوذ
بالله سلم سلم وهم مع ذلك مصرون على المعاصي التي هي سبب هلاكهم فالشيطان
يضحك من استعاذتهم كما يضحك على من يقصده سبع ضاري في صحراء ووراءه حصن
فإذا رأى أنياب السبع من بعد قال بلسانه أعوذ بهذا الحصن الحصين وأستعين
بشدة بنيانه وإحكام أركانه فيقول ذلك بلسانه وهو قاعد في مكانه
فأنى يغني ذلك عنه من السبع وكذلك أهوال الآخرة ليس لها حصن إلا قول لا إله
إلا الله صادقا ومعنى صدقه أن لا يكون لك مقصود سوى الله ولا معبود غيره
ومن اتخذ إلهه هواه فهو بعيد عن الصدق في توحيده وأمره مخطر في نفسه فإن
عجزت عن ذلك كله فكن محبا لرسول الله صلى الله عليه وسلم حريصا على تعظيم
سنته ومتشوقا إلى مراعاة قلوب الصالحين من أمته ومتبركا بأدعيتهم فعساك
تنال من شفاعته أو شفاعتهم فتنجو بالشفاعة إن كنت قليل البضاعة

مثال أهوال الآخرة

صفة الشفاعة

اعلم أنه إذا حق دخول النار على طوائف من المؤمنين فإن الله تعالى بفضله

يقبل فيهم شفاعة الانبيا والصديقين بل شفاعة العلما والصالحين وكل من
له عند الله تعالى جاه بحسن معاملته فان له شفاعة في اهله وقرابته واصدقائه
ومعارفه فكن حريصا على ان تكتسب لنفسك عندهم رتبة الشفاعة وذلك بان
لا تحقر ادميا اصلا فان الله تعالى خبا ولايته في عباده فلعل الذي تزدريه عينك
هو ولي الله ولا تستصغر معصية اصلا فان الله تعالى خبى غضبه في معاصيه
فلعل مقت الله فيه ولا تستحقر طاعة اصلا فان الله تعالى اخبا رضاه في طاعته فلعل
رضى الله فيه ولو الكلمة الطيبة واللقمة او النية الحسنة او ما يجري مجراه ٥
وشواهد الشفاعة في القران والاخبار كثيرة قال الله تعالى ولسوف يعطيك ربك
فترضى • روى عمرو ابن العاص ان رسول الله صلى الله عليه وسلم تلا قول ابراهيم
عليه السلام رب انهن اضللن كثيرا من الناس فمن تبعني فانه مني ومن عصاني
فانك غفور رحيم • وقول عيسى عليه السلام ان تعذبهم فانهم عبادك ثم رفع
يديه امتي امتي ثم بكى فقال الله عز وجل يا جبريل اذهب الى محمد فسله ما يبكيك
فاتاه فساله فاخبره والله اعلم فقال يا جبريل اذهب الى محمد فقل له انا سنرضيك
في امتك ولا نسوءك • وقال صلى الله عليه وسلم اعطيت خمسا لم يعطهن احد
من قبلي نصرت بالرعب مسيرة شهر واحلت لي الغنايم ولم تحل لاحد قبلي وجعلت لي الارض
مسجدا وترابها طهورا فايما رجل من امتي ادركته الصلاة فليصل واعطيت الشفاعة
وكل نبي بعث الى قومه خاصة وبعثت الى الناس عامة وقال صلى الله عليه وسلم
اذا كان يوم القيامة كنت امام النبيين وخطيبهم وصاحب شفاعتهم من غير
فخر • وقال صلى الله عليه وسلم انا سيد ولد ادم ولا فخر • وانا اول من تنشق الارض
عنه • وانا اول شافع • واول مشفع بيدي لوا الحمد تحته ادم • ومن دونه وقال
صلى الله عليه وسلم لكل نبي دعوة مستجابة واريد ان اختبي دعوتي شفاعة لامتي
يوم القيامة وقال ابن عباس رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم للانبيا
منابر من ذهب فيجلسون عليها ويبقى منبري لا اجلس عليه قايما بين يدي ربي منتصبا
مخافة ان ابعث الى الجنة وتبقى امتي بعدي فاقول يا رب امتي فيقول الله عز وجل
يا محمد وما تريد ان اصنع بامتك فاقول يا رب عجل حسابهم فما ازال اشفع حتى اعطى
صكاكا برجال قد بعث بهم الى النار وحتى ان مالكا خازن النار يقول يا محمد ما
تركت للنار لغضب ربك في امتك نقمة وقال صلى الله عليه وسلم اني لاشفع يوم

الشفاعة لاهله واحبائه

تحقير العباد

تصغير المعصية والعبادة

شفاعة الرسول

منابر الانبياء عم

احوال القيمة

يوم القيامة لا كرمها على وجه الارض من حجر ومدر **وقال ابو هريرة** اتي رسول
الله صلى الله عليه وسلم بلحم فرفع اليه الذراع وكانت تعجبه فنهش منها نهشة ثم
قال انا سيد الناس يوم القيامة وهل تدرون مم ذاك يجمع الله الاولين والاخرين
في صعيد واحد يسمعهم الداعي وينفذهم البصر وتدنوا الشمس فيبلغ الناس
من الكرب والغم ما لا يطيقون ولا يحتملون فيقول الناس بعضهم لبعض الا ترون
ما قد بلغكم الا تنظرون من يشفع لكم الى ربكم فيقول بعض الناس لبعض عليكم بآدم
عليه السلام فيأتون آدم فيقولون له انت ابو البشر خلقك الله بيده ونفخ فيك
من روحه وامر الملائكة فسجدوا لك اشفع لنا الى ربك الا ما ترى ما نحن فيه الا
ما قد بلغنا فيقول لهم آدم عليه السلام ان ربي قد غضب اليوم غضبا لم يغضب
قبله مثله ولن يغضب بعده مثله وانه قد نهاني عن الشجرة فعصيته نفسي
نفسي اذهبوا الى غيري اذهبوا الى نوح فيأتون نوحا عليه السلام فيقولون يا نوح
انت اول الرسل الى اهل الارض وقد سماك الله عبدا شكورا اشفع لنا الى ربك الا
ترى ما نحن فيه فيقول ان ربي قد غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله وانه
قد كانت لي دعوة دعوتها على قومي نفسي نفسي اذهبوا الى غيري اذهبوا الى ابرهيم
خليل الله فيأتون ابراهيم خليل الله تعالى فيقولون انت نبي الله وخليله من اهل
الارض اشفع لنا الى ربك الا ترى ما نحن فيه فيقول لهم ان ربي غضب اليوم غضبا
لم يغضب قبله مثله ولا يغضب بعده مثله واني قد كنت كذبت ثلاث كذبات
ويذكرها نفسي نفسي اذهبوا الى موسى عليه السلام فيأتون موسى فيقولون يا موسى
انت رسول الله فضلك برسالته وبكلامه على الناس اشفع لنا الى ربك الا ترى
ما نحن فيه فيقول ان ربي غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده
مثله واني قتلت نفسا لم اؤمر بقتلها نفسي نفسي اذهبوا الى غيري اذهبوا الى
عيسى عليه السلام فيأتون عيسى عليه السلام فيقولون يا عيسى انت رسول الله وكلمته
القاها الى مريم وروح منه وكلمت الناس في المهد اشفع لنا الى ربك الا
ترى ما نحن فيه فيقول عيسى عليه السلام ان ربي غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله
مثله ولا يغضب بعده مثله ولم يذكر ذنبا نفسي نفسي اذهبوا الى غيري اذهبوا
الى محمد فيأتون فيقولون يا محمد انت رسول الله وخاتم النبيين غفر الله لك ما تقدم
من ذنبك وما تاخر اشفع لنا الى ربك الا ترى ما نحن فيه فانطلق فآتي تحت العرش

فاقع ساجدا لربي ثم يفتح الله لي من محامده وحسن الثنا عليه شيا لم يفتحه على احد
قبلي ثم يقال يا محمد ارفع راسك سل تعطه واشفع تشفع فارفع راسي فاقول امتي امتي
يا رب فيقال يا محمد ادخل من امتك من لا حساب عليه من الباب الايمن من ابواب الجنة وهم
شركا الناس فيما سوى ذلك من الابواب ثم قال والذي نفسي بيده ان ما بين المصراعين من
ابواب الجنة كما بين مكة وحمير او كما بين مكة وبصرى وفي حديث اخر وهذا السياق
بعينه مع ذكر ابراهيم عليه السلام وهو قوله في الكواكب هذا ربي وقوله لالهتهم
بل فعله كبيرهم هذا وقوله اني سقيم ٥ فهذه شفاعة رسول الله صلى الله
عليه وسلم ولاحاد امته من العلما والصالحين شفاعة ايضا حتى قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم يدخل الجنة بشفاعة رجل من امتي اكثر من ربيعة ومضر ٥
وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يقال للرجل قم يا فلان فاشفع فيقوم الرجل
فيشفع للقبيلة ولاهل البيت وللرجل والرجلين على قدر عمله وقال انس قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم ان رجلا من اهل الجنة يشرف يوم القيامة على
اهل النار فيناديه رجل من اهل النار ويقول يا فلان هل تعرفني فيقول لا والله
ما اعرفك من انت فيقول انا الذي مررت بي فاستسقيتني شربة فسقيتك
قال قد عرفت قال فاشفع لي بها عند ربك فيسال الله تعالى ويقول اني اشرفت على اهل
النار فناداني رجل من اهلها فقال هل تعرفني فقلت لا من انت فقال انا الذي استسقيتني
في الدنيا فسقيتك فاشفع لي بها عند ربك فشفعني فيه فيشفعه الله تعالى فيه
فيؤمر به فيخرج من النار وعن انس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
انا اول الناس خروجا اذا بعثوا وانا خطيبهم اذا وفدوا وانا مبشرهم اذا
يئسوا لوا الحمد يومئذ بيدي وانا اكرم ولد ادم على ربي ولا فخر وقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم اكسى حلة من حلل الجنة ثم اقوم على يمين العرش ليس احد من
الخلايق يقوم ذلك المقام غيري وقال ابن عباس جلس ناس من اصحاب رسول الله
صلى الله عليه وسلم ينتظرونه فخرج حتى اذا دنا منهم سمعهم يتذاكرون فسمع
حديثهم فقال بعضهم عجبا ان الله عز وجل اتخذ من خلقه خليلا اتخذ ابراهيم
وقال اخر ماذا باعجب من كلام موسى كلمه تكليما وقال اخر فعيسى كلمة الله وروحه
وقال اخر ادم اصطفاه الله فخرج عليهم فسلم وقال سمعت كلامكم وتعجبكم
ان ابراهيم خليل الله وهو كذلك وموسى نجي الله وهو كذلك وعيسى روحه وكلمته

السقي

الفقراء

وكلمته وهو كذلك وآدم صفي الله وهو كذلك الا انا حبيب الله ولا فخر وانا اول
من يحرك حلق الجنة فيفتح الله لي فادخلها ومعي فقراء المؤمنين ولا فخر وانا
اكرم الاولين والآخرين ولا فخر

صفة الحوض

اعلم ان الحوض تكرمة عظيمة خص الله بها نبينا صلى الله عليه وسلم
وقد اشتملت الاخبار على وصفه ونحن نرجوا ان يرزقنا الله تعالى علمه وفي الآخرة
ذوقه فان من صفاته ان من شرب منه لم يظما ابدا وقال انس اغفى رسول
الله صلى الله عليه وسلم اغفاءة فرفع راسه متبسما فقالوا يا رسول الله لم ضحكت
فقال انه انزلت علي آنفا وقرا بسم الله الرحمن الرحيم انا اعطيناك الكوثر
حتى ختمها ثم قال هل تدرون ما الكوثر قالوا الله ورسوله اعلم قال انه نهر
وعدنيه ربي عز وجل في الجنة عليه خير كثير حوض ترد عليه امتي يوم
القيامة آنيته عدد النجوم وقال انس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
بينما انا اسير في الجنة اذا انا بنهر حافتاه قباب اللؤلؤ المجوف قلت ما هذا
يا جبريل قال هذا الكوثر الذي اعطاك ربك فضرب الملك بيده فاذا طينته
مسك اذفر وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ما بين لابتي حوضي مثل ما
بين المدينة وصنعا او مثل ما بين عدن وعمان وروي ابن عمر انه قال
لما نزلت قوله تعالى انا اعطيناك الكوثر قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم هو نهر في الجنة حافتاه من ذهب شرابه اشد بياضا من اللبن
واحلى من العسل واطيب ريحا من المسك يجري على جنادل اللؤلؤ والمرجان
وقال ثوبان مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم ان حوضي ما بين عدن
الى عمان البلقاء ماؤه اشد بياضا من اللبن واحلى من العسل واكوابه
عدد نجوم السماء من شرب منه شربة لم يظما بعدها ابدا اول
الناس ورودا عليه فقراء المهاجرين فقال عمر ابن الخطاب ومن هم
يا رسول الله قال هم الشعث رؤسا الدنسة ثيابا الذين لا ينكحون المنعمات
ولا تفتح لهم الابواب السدد فقال عمر ابن عبد العزيز والله لقد

تحت المنعمات فاطمة بنت عبد الملك وفتحت لي ابواب السدد الا ان يرحمني الله
تعالى لا جرم لا ادهن رأسي حتى يشعث ولا اغسل ثوبي الذي يلي جسدي حتى
يتسخ • وعن ابي ذر قال قلت يا رسول الله ما آنية الحوض قال والذي نفسي بيده
لآنيته اكثر من عدد نجوم السماء في الليلة المظلمة المصحية من شرب منه
لم يظمأ آخر ما عليه يشخب فيه ميزابان من الجنة عرضه مثل طوله ما بين عمان
وايلة ماؤه اشد بياضا من اللبن واحلى من العسل • وعن سمرة قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لكل نبي حوضا وانهم يتباهون ايهم اكثر واردة
واني لارجو ان اكون اكثرهم واردة • فهذا رجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم
فليرج كل عبد ان يكون في جملة الواردين وليحذر ان يكون متمنيا ومغترا
وهو يظن انه راج فان الراجي للحصاد من بث البذر ونقى الارض وسقاها الماء
ثم جلس يرجو فضل الله بالانبات ودفع الصواعق الى اوان الحصاد فاما من ترك
الحراثة والزراعة وتنقية الارض وسقيها واخذ يرجو من فضل الله ان
ينبت له الحب والفاكهة فهذا مغتر ومتمني وليس من الراجين في شيء
وهكذا رجاء اكثر الخلق وهو غرور الحمقى نعوذ بالله من الغرور والغفلة
فان الاغترار بالله اعظم من الاغترار بالدنيا قال الله تعالى فلا تغرنكم
الحيوة الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور

لكل نبي حوض

مثال رجاء اكثر الخلق

القول في صفة جهنم

واهوالها وانكالها

ايها الغافل عن نفسه المغرور بما هو فيه من شواغل هذه الدنيا
المشرفة على الانقضاء والزوال دع التفكر فيما انت مرتحل عنه واصرف الفكر
الى موردك فانك اخبرت بان النار مورد للجميع اذ قيل وان منكم الا وارده
كان على ربك حتما مقضيا ثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا
فانت من الورود على يقين ومن النجاة في شك فاستشعر في قلبك هول ذلك
المورد فعساك تستعد للنجاة منه وتأمل في حال الخلائق وقد قاسوا من دواهي

دواهي القيامة ما قاسوا فبينما هم في كربها وأهوالها وقوفا ينتظرون
حقيقة أنبائها وتشفع شفعائها إذ أحاطت بالمجرمين ظلمات ذات شعب
وأظلت عليهم نار ذات لهب وسمعوا لها زفيرا وجرجرة يفصح عن شدة الغيظ
والغضب فعند ذلك أيقن المجرمون بالعطب وجثت الأمم على الركب حتى
أشفق البراء من سوء المنقلب وخرج المنادي من الزبانية قائلا يقول
أين فلان بن فلان المسوف نفسه في الدنيا بطول الأمل المضيع عمره في سوء
العمل فيبادرونه بمقامع من حديد ويستقبلونه بعظائم التهديد
ويسوقونه إلى العذاب الشديد وينكسونه في قعر الجحيم ويقولون له
ذق إنك أنت العزيز الكريم فأسكنوا دارا ضيقة الأرجاء مظلمة
المسالك مبهمة المهالك يخلد فيها الأسير ويوقد فيها السعير شرابهم
فيها الحميم ومستقرهم الجحيم الزبانية تقمعهم والهاوية تجمعهم
أمانيهم فيها الهلاك وما لهم منها فكاك قد شدت أقدامهم إلى النواصي
واسودت وجوههم من ظلمة المعاصي ينادون من أكنافها ويصيحون في نواحيها
وأطرافها يا مالك قد حق علينا الوعيد يا مالك قد أثقلنا الحديد يا مالك
قد نضجت منا الجلود يا مالك أخرجنا منها فإنا لا نعود وتقول الزبانية هيهات
لات حين أمان ولا خروج لكم من دار الهوان فاخسئوا فيها ولا تكلمون
ولو أخرجتم منها لكنتم إلى ما نهيتم عنه تعودون فعند ذلك يقنطون
وعلى ما فرطوا في جنب الله يتأسفون ولا ينجيهم الندم ولا يغنيهم
الأسف بل يكبون على وجوههم مغلولين النار من فوقهم والنار
من تحتهم والنار عن أيمانهم والنار عن شمائلهم فهم غرقى في النار
طعامهم نار وشرابهم نار ولباسهم نار ومهادهم نار فهم بين مقطعات
النيران وسرابيل القطران وضرب المقامع وثقل السلاسل فهم يتجلجلون
في مضايقها ويتحطمون في دركاتها ويضطربون بين غواشيها تغلي بهم
النار غلي القدور ويهتفون بالويل والعويل ومهما دعوا بالثبور صب
من فوق رؤوسهم الحميم يصهر به ما في بطونهم والجلود ولهم مقامع من حديد
تهشم بها جباههم فيتفجر الصديد من أفواههم وتنقطع من العطش أكبادهم
وتسيل على الخدود أحداقهم ويسقط من الوجنات لحومها ويتمعط من الأطراف

طول امل

شعورها بل جلودهم وكلما نضجت جلودهم بدلوا جلودا غيرها وعريت من اللحم عظامهم فتبقى الارواح منوطة بالعروق وعلائق العصب وهي تنش في لفح النيران وهم مع ذلك يتمنون الموت فلا يموتون فكيف بك لو نظرت اليهم وقد سودت وجوههم اشد سوادا من الحميم واعميت ابصارهم وابكمت السنتهم وقصمت ظهورهم وكسرت عظامهم وجدعت اذانهم ومزقت جلودهم وغلت ايديهم الى اعناقهم وجمعت نواصيهم الى اقدامهم وهم يمشون على النار بوجوههم ويطاون حسك الحديد باحداقهم فلهب النار سار في اجزائهم وحيات الهاوية وعقاربها متشبثة بظواهر اعضائهم هذه جملة احوالهم

وانظر الان في تفصيل اهوالهم وتفكر اولا في اودية جهنم وشعابها فقد قال النبي صلى الله عليه وسلم ان في جهنم سبعين الف واد في كل واد سبعون الف شعب في كل شعب سبعون الف ثعبان وسبعون الف عقرب لا ينتهي المنافق والكافر حتى يوافي ذلك كله وقال علي كرم الله وجهه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تعوذوا بالله من جب الحزن او وادي الحزن قالوا يا رسول الله وما وادي الحزن قال واد في جهنم تتعوذ جهنم منه كل يوم سبعين مرة اعده الله تعالى للقراء المرائين

فهذه جهنم وانشعاب اوديتها وهي بحسب عدد اودية الدنيا وشهواتها وعدد ابوابها والاعضاء السبعة التي بها يعصي العبد بعضها فوق بعض الاعلى جهنم • ثم سقر • ثم لظى • ثم الحطمة • ثم السعير ثم الجحيم • ثم الهاوية •

فانظر الان في عمق الهاوية فانه لا حد لعمقها كما لا حد لعمق شهوات الدنيا فكما لا ينتهي ارب من الدنيا الا الى ارب اعظم منه فلا تنتهي هاوية من جهنم الا الى هاوية اعمق منها قال ابو هريرة رضي الله عنه كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فسمعنا وجبة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اتدرون ما هذا قلنا الله ورسوله اعلم قال هذا حجر ارسل في جهنم منذ سبعين عاما الى الان حتى انتهى الى قعرها

ثم انظر الى تفاوت الدركات فان الاخرة اكبر درجات واكبر تفضيلا فكما ان اكباب الناس على الدنيا متفاوت فان الله لا يظلم مثقال ذرة فلا يترادف انواع العذاب على كل من في النار كيف كان بل لكل واحد حد معلوم على قدر عصيانه الا انه

وادي جهنم

القراء

قعر جهنم

الآن أقلهم عذاباً لو عرضت عليه الدنيا بحذافيرها لافتدى بها من شدة
ما هو فيه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن أدنى أهل النار عذاباً
يوم القيامة ينتعل بنعلين من نار يغلي دماغه من حرارة نعليه فانظر
الآن إلى من خفف عليه واعتبر به من شدد عليه ومهما شككت في شدة عذاب
النار فقرب إصبعك من النار وقس ذلك به ثم اعلم أنك أخطأت في القياس
فإن نار الدنيا لا تناسب نار جهنم ولكن لما كان أشد عذاب في الدنيا عذاب
في الدنيا عذاب هذه النار عرف عذاب جهنم بها وهيهات لو وجد أهل
النار مثل هذه النار لخاضوها طائعين هرباً مما هم فيه وعن هذا عبر في
بعض الأخبار حيث قيل إن نار الدنيا غسلت بسبعين ماء من ماء الرحمة
حتى أطاقها أهل الدنيا بل صرح رسول الله صلى الله عليه وسلم
بصفة نار جهنم فقال أمر الله تعالى أن يوقد على النار ألف عام حتى
احمرت ثم أوقد عليها ألف عام حتى ابيضت ثم أوقد عليها ألف عام حتى اسودت
فهي سوداء مظلمة وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اشتكت النار
إلى ربها فقالت يا رب أكل بعضي بعضاً فأذن لها في نفسين نفس في الشتاء
ونفس في الصيف فأشد ما تجدونه في الصيف من حرها وأشد ما تجدونه
في الشتاء من زمهريرها وقال أنس بن مالك يؤتى بأنعم
الناس في الدنيا من الكفار فيقال اغمسوه في النار غمسة ثم يقال
له هل رأيت نعيماً قط فيقول لا ويؤتى بأشد الناس ضراً في الدنيا فيقال
اغمسوه في الجنة غمسة ثم يقال له هل رأيت ضراً قط فيقول لا وقال أبو هريرة
لو كان في المسجد مائة ألف أو يزيدون ثم تنفس رجل من أهل النار لماتوا وقال
بعض العلماء في قوله تعالى تلفح وجوههم النار إنها لفحتهم لفحة واحدة
فما أبقت لحماً على عظم إلا ألقته عند أعقابهم ثم انظر بعد هذا في نتن
الصديد الذي يسيل من أبدانهم حتى يغرقون فيه وهو الغساق
قال أبو سعيد الخدري رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم لو أن دلواً من غساق جهنم ألقي في الدنيا لأنتن أهل الأرض
فهذا شرابهم إذا استغاثوا من العطش فيسقى أحدهم من ماء صديد
يتجرعه ولا يكاد يسيغه ويأتيه الموت من كل مكان وما هو بميت وإن يستغيثوا

ادنى اهل النار عذابا

تنفس الجهنم بنفسين

شراب جهنم

طعام جهنم

يغاثوا بماء كالمهل يشوي الوجوه بئس الشراب وساءت مرتفقا ثم انظر
إلى طعامهم وهو الزقوم كما قال تعالى ثم إنكم أيها الضالون المكذبون
لآكلون من شجر من زقوم فمالئون منها البطون فشاربون عليه من الحميم
فشاربون شرب الهيم وقال تعالى إنها شجرة تخرج في أصل الجحيم طلعها
كأنه رؤوس الشياطين فإنهم لآكلون منها فمالئون منها البطون ثم إن لهم عليها
لشوبا من حميم وقال تعالى تصلى نارا حامية تسقى من عين آنية وقال تعالى إن لدينا
أنكالا وجحيما وطعاما ذا غصة وعذابا أليما وقال ابن عباس قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم لو أن قطرة من الزقوم قطرت في بحار الدنيا لأفسدت على
أهل الدنيا معايشهم فكيف بمن يكون طعامه ذلك وقال أنس قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم ارغبوا فيما رغبكم الله واحذروا وخافوا مما
خوفكم الله به من عذابه وعقابه ومن جهنم فإنه لو كانت قطرة من الجنة
معكم في دنياكم التي أنتم فيها حلتها لكم ولو كانت قطرة من النار معكم في دنياكم
التي أنتم فيها خبثتها عليكم وقال أبو الدرداء قال رسول الله صلى الله عليه

جوع جهنم

وسلم يلقى على أهل النار الجوع حتى يعدل ما هم فيه من العذاب فيستغيثون
بالطعام فيغاثون بطعام من ضريع لا يسمن ولا يغني من جوع ويستغيثون
بالطعام فيغاثون بطعام ذا غصة فيذكرون أنهم لا يجيزون الغصص في الدنيا
إلا بالشراب فيستغيثون بالشراب فيرفع إليهم الحميم بكلاليب الحديد فإذا دنت
من وجوههم شوت وجوههم فإذا دخل الشراب بطونهم قطع ما في
بطونهم فيقولون ادعوا خزنة جهنم قال فيدعون خزنة جهنم أن ادعوا
ربكم يخفف عنا يوما من العذاب فيقولون أولم تك تأتيكم رسلكم بالبينات
قالوا بلى قالوا فادعوا وما دعاء الكافرين إلا في ضلال قال فيقولون ادعوا
مالكا فيدعون مالكا فيقولون يا مالك ليقض علينا ربك فيجيبهم إنكم
ماكثون قال الأعمش أنبئت أن بين دعائهم وبين إجابة مالك إياهم ألف
عام قال فيقولون ادعوا ربكم فيقولون ربنا غلبت علينا
شقوتنا وكنا قوما ضالين ربنا أخرجنا منها فإن عدنا فإنا ظالمون
قال فيجيبهم اخسئوا فيها ولا تكلمون فعند ذلك يئسوا من كل خير وعند ذلك
أخذوا في الزفير والحسرة والويل وقال أبو أمامة قال رسول الله صلى

الله عليه وسلم في قوله تعالى يسقى من ماء صديد يتجرعه ولا يكاد يسيغه يقرب
إليه فيكرهه فإذا أدني منه شوى وجهه ووقعت فروة رأسه فإذا شربه
قطع أمعاءه حتى يخرج من دبره يقول الله تعالى وسقوا ماء حميما فقطع
أمعاءهم وقال تعالى وإن يستغيثوا يغاثوا بماء كالمهل يشوي الوجوه
فهذا طعامهم وشرابهم عند جوعهم وعطشهم **فانظر الآن إلى حيات
جهنم وعقاربها** وإلى شدة سمومها وعظم أشخاصها وفظاعة منظرها وقد
سلطت على أهلها وأغريت بهم فهي لا تفتر عن اللدغ والنهش ساعة واحدة
قال أبو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من آتاه الله مالا
فلم يؤد زكاته مثل له يوم القيامة شجاع أقرع له زبيبتان يطوقه يوم
القيامة يأخذ بلهزمته يعني أشداقه ويقول أنا مالك أنا كنزك ثم تلا قوله
تعالى ولا يحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله الآية وقال الرسول
صلى الله عليه وسلم إن في النار حيات مثل أعناق البخت يلسعن اللسعة فيجد
حموتها أربعين خريفا وإن فيها لعقارب كالبغال الموكفة يلسعن اللسعة فيجد
حموتها أربعين خريفا وهذه الحيات والعقارب إنما تسلط على من سلط عليه
في الدنيا البخل وسوء الخلق وإيذاء الناس ومن وقي ذلك وقي هذه الحيات
فلم تمثل له **ثم تفكر بعد هذا كله في تعظيم أجسام أهل النار**
فإن الله تعالى يزيد في أشخاصهم طولا وعرضا حتى يتزايد عقابهم ٥
بسببه فيحسون بلفح النار ولدغ العقارب والحيات من جميع أجزائها
دفعة واحدة على التوالي قال أبو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
شفته السفلى ساقطة على صدره وغلظ جلده مسيرة ثلاثة أشهر ٥
والعليا قالصة قد غطت وجهه وقال عليه السلام إن الكافر ليجر لسانه
في سجين يوم القيامة يتوطاه الناس ومع عظم الأجسام كذلك تحرقهم النار
مرات فتجدد جلودهم قال الله تعالى كلما نضجت جلودهم بدلناهم
جلودا غيرها قال الحسن تأكلهم النار كل يوم سبعين ألف مرة كلما أكلتهم
قيل لهم عودوا فيعودون كما كانوا **ثم تفكر الآن في بكاء أهل النار**
وشهيقهم ودعائهم بالويل والثبور فإن ذلك يسلط عليهم في أول إلقائهم
النار قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يؤتى بجهنم يومئذ لها سبعون ألف

حيات جهنم وعقاربها

مانع الزكوة

غلظة جلد أهل جهنم

بهاء
بكاء أهل جهنم

زمام مع كل زمام سبعون ألف ملك وقال أنس قال رسول الله صلى الله عليه
يرسل على أهل النار البكا فيبكون حتى تنقطع الدموع ثم يبكون حتى
يرى في وجوههم كهيئة الاخدود ولو ارسلت فيها السفن لجرت وما دام يؤذن
لهم في البكا والشهيق والزفير والدعوة بالويل والثبور فلهم فيه مستروح
ولكنهم يمنعون ايضا من ذلك قال محمد ابن كعب لأهل النار خمس دعوات
يجيبهم الله في اربعة فاذا كانت الخامسة لم يتكلموا بعدها ابدا فيقولون
ربنا امتنا اثنتين واحييتنا اثنتين فاعترفنا بذنوبنا فهل الى خروج من سبيل
فيقول الله تعالى مجيبا لهم ذلكم بانه اذا دعي الله وحده كفرتم وان يشرك به
تؤمنوا فالحكم لله العلي الكبير • ثم يقولون ربنا ابصرنا وسمعنا فارجعنا نعمل
صالحا فيجيبهم الله تعالى • اولم تكونوا اقسمتم من قبل ما لكم من زوال • فيقولون
ربنا اخرجنا نعمل صالحا غير الذي كنا نعمل • فيجيبهم الله تعالى اولم نعمركم ما يتذكر
فيه من تذكر وجاءكم النذير فذوقوا فما للظالمين من نصير • ثم يقولون ربنا غلبت
علينا شقوتنا وكنا قوما ضالين • ربنا اخرجنا منها فان عدنا فانا ظالمون
فيجيبهم الله اخسؤوا فيها ولا تكلمون بعدها وذلك غاية شدة العذاب • وقال
مالك ابن انس رحمه الله قال زيد ابن اسلم في قوله تعالى
سواء علينا اجزعنا ام صبرنا ما لنا من محيص قال صبروا مائة سنة ثم
جزعوا مائة سنة ثم قالوا سواء علينا اجزعنا ام صبرنا وقال صلى الله عليه وسلم
يؤتى بالموت يوم القيامة كانه كبش املح فيذبح بين الجنة والنار ويقال
يا اهل النار خلود بلا موت يا اهل الجنة خلود بلا موت وعن الحسن
قال يخرج رجل من النار بعد الف عام وليتني كنت ذلك الرجل ورئي
الحسن جالسا في زاوية وهو يبكي فقيل له لم تبكي قال اخشى ان يطرحني في
النار ولا يبالي فهذه اصناف عذاب جهنم على الجملة وتفصيل غمومها واحزانها
ومحنها وحسراتها لا نهاية له فاعظم الامور عليهم مع ما يلاقونه من شدة
العذاب حسرة فوت نعيم الجنة وفوت لقاء الله وفوت رضاه مع علمهم
بانهم باعوا ذلك كله بثمن بخس اذ لم يبيعوا ذلك الا بشهوات حقيرة في
الدنيا اياما قصيرة وكانت غير صافية بل مكدرة منغصة فيقولون
في انفسهم وا حسرتاه كيف اهلكنا انفسنا بعصيان ربنا وكيف لم

اهل النار يدعون الله وهو يجيبهم

ما يؤتى الموت مثل الكبش ثم يذبح

الخروج من النار

العصيان

٣٦٦
375

لم نكلف انفسنا الصبر اياما قلائل لو صبرنا لكانت قد انقضت علينا ايامه
وبقينا الان في جوار الرحمن متنعمين بالرضى والرضوان فيا لحسرة هؤلاء
وقد فاتهم ما فاتهم وبلوا بما بلوا ولم يبق معهم شيء من نعيم الدنيا ولذاتها
ثم انهم لو لم يشاهدوا نعيم الجنة لم تعظم حسرتهم لكنها تعرض عليهم قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم يؤمر يوم القيامة بناس من الناس الى الجنة
حتى اذا دنوا منها واستنشقوا ريحها ونظروا الى قصورها والى ما اعد
الله لاهلها فيها نودوا ان اصرفوهم عنها لا نصيب لهم فيها فيرجعون بحسرة
ما رجع الاولون بمثلها فيقولون يا ربنا لو ادخلتنا النار قبل ان تريننا ما
اريتنا من ثوابك وما اعددت فيها لاوليائك كان اهون علينا فيقول ذلك
اردت بكم كنتم اذا خلوتم بارزتموني بالعظائم واذا لقيتم الناس لقيتموهم
مخبتين تراؤون الناس بخلاف ما تعطوني من قلوبكم هبتم الناس ولم تهابوني
واجللتم الناس ولم تجلوني وتركتم للناس ولم تتركوا لي فاليوم اذيقكم العذاب
الاليم مع ما حرمتم من الثواب المقيم قال احمد بن حرب ان احدنا
يؤثر الظل على الشمس ولا يؤثر الجنة على النار وقال عيسى عليه السلام
كم من جسد صحيح ووجه صبيح ولسان فصيح غدا بين اطباق النار يصيح وقال داود
عليه السلام الهي لا صبر لي على حر شمسك فكيف صبري على حر نارك ولا صبر لي
على صوت رحمتك فكيف على صوت عذابك فانظر يا مسكين في هذه الاهوال
واعلم ان الله تعالى خلق النار باهوالها وخلق لها اهلا لا يزيدون ولا ينقصون
وان هذا امر قد قضي وفرغ منه قال الله تعالى وانذرهم يوم الحسرة اذ
قضي الامر وهم في غفلة ولعمري الاشارة به الى يوم القيامة ولكن
ما قضي الامر يوم القيامة بل في ازل الازال ولكن اظهر يوم القيامة ما سبق
به القضاء فالعجب منك حيث تضحك وتلهو وتشتغل بمحقرات الدنيا ولست تدري
ان القضاء بماذا سبق في حقك فان قلت فليت شعري ماذا موردي والى ماذا
مآلي ومرجعي وما الذي سبق به القضاء في حقي فلك علامة تستأنس بها وتصدق
رجاءك بسببها وهو ان تنظر الى احوالك واعمالك فان كلا ميسر لما خلق له
فان كان قد يسر لك سبيل الخير فابشر فانك مبعد عن النار وان كنت لا تقصد
خيرا الا وتحيط بك العوائق فتدفعه ولا تقصد شرا الا ويتيسر لك اسبابه فاعلم

اللوم لنفسه بفعله يوم القيمة

انه مقضي عليك فان دلالة هذا على العاقبة كدلالة المطر على النبات ودلالة
الدخان على النار فقد قال الله تعالى ان الابرار لفي نعيم وان الفجار لفي جحيم
فاعرض نفسك على الآيتين وقد عرفت مستقرك في الدارين

القول في صفة الجنة

وأصناف نعيمها

اعلم ان تلك الدار التي عرفت غمومها وهمومها تقابلها دار اخرى فتامل نعيمها
وسرورها فان من بعد من احدهما استقر لا محالة في الاخرى فاستثر الخوف من
قلبك بطول فكرك في اهوال الجحيم واستثر الرجا بطول الفكر في النعيم المقيم الموعود
لاهل الجنان وسق نفسك بسوط الخوف وقدها بزمام الرجا الى الصراط المستقيم
فبذلك تنال الملك العظيم وتسلم من العذاب الاليم وتفكر في اهل الجنة
وفي وجوههم نضرة النعيم يسقون من رحيق مختوم جالسين على
منابر الياقوت الاحمر في خيام من اللولو الرطب الابيض فيها بسط من العبقري
الاخضر متكئين على الارائك منصوبة على اطراف انهار مطردة بالخمر والعسل
محفوفة بالغلمان والولدان مزينة بالحور العين من الخيرات الحسان كانهن الياقوت
والمرجان لم يطمثهن انس قبلهم ولا جان يمشين في درجات الجنان اذا اختالت
احداهن في مشيتها حمل اعطافها سبعون الفا من الولدان عليها من طرايف الحرير
الابيض ما تتحير فيه الابصار مكللات بالتيجان المرصعة باللولو والمرجان شكلات
غنجات عطرات آمنات من الهرم والبوس مقصورات في الخيام في قصور من الياقوت
بنيت وسط روضات الجنان قاصرات الطرف عين ثم يطاف عليهم وعليهن باكواب
واباريق وكاس من معين بيضا لذة للشاربين ويطوف عليهم خدام وولدان
كامثال اللولو المكنون جزا بما كانوا يعملون في مقام امين في جنات وعيون
في جنات ونهر في مقعد صدق عند مليك مقتدر ينظرون فيها الى وجه الملك
الكريم وقد اشرقت في وجوههم نضرة النعيم لا يرهقهم قتر ولا ذلة بل عباد
مكرمون وبانواع التحف من ربهم يتعاهدون فهم فيما اشتهت انفسهم خالدون

شراب الجنة ومطرها

خالدون لا يخافون فيها ولا يحزنون وهم عن ريب المنون آمنون فهم فيها يتنعمون
ويأكلون من أطعمتها ويشربون من أنهارها لبنا وخمرا وعسلا في أنهار أراضيها من
فضة وحصباؤها مرجان وعلى أرض ترابها مسك ونباتها زعفران ويمطرون
من سحاب فيها من ماء النسرين على كثبان الكافور ويؤتون بأكواب وأي أكواب من فضة
مرصعة بالدر والياقوت والمرجان كوب فيه من الرحيق المختوم ممزوج به السلسبيل
كوب يشرق نوره من صفاء جوهره يبدو الشراب من ورائه برقته وحمرته لم
يصنعه آدمي فيقصر في تسوية صنعته وتحسين صياغته في كف خادم يحكي ضياء
وجهه الشمس في إشراقها ولكن أين للشمس مثل حلاوة صورته وحسن أصداغه
وملاحة أحداقه فيا عجبا لمن يؤمن بدار هذه صفاتها ويوقن بأنه لا يموت
أهلها ولا تحل الفجائع بمن نزل بفنائها ولا تنظر الأحداث بعين التغيير إلى أهلها
كيف يأنس بدار قد أذن الله في خرابها ويتهنى بعيش دونها والله لو لم يكن
فيها إلا سلامة الأبدان مع الأمن من الموت والجوع والعطش وسائر أصناف
الحدثان لكان جديرا بأن يهجر الدنيا بسببها وأن لا يؤثر عليها ما التصرم والتنغص
من ضرورته كيف وأهلها ملوك آمنون وفي أنواع السرور متنعمون لهم فيها كل
ما يشتهون وهم في كل يوم بفناء العرش يحضرون وإلى وجه الله الكريم ينظرون
وينالون بالنظر من الله ما لا ينظرون معه إلى سائر نعيم الجنان ولا يلتفتون
وهم على الدوام بين أصناف هذه النعم يترددون وهم من زوالها آمنون
قال أبو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم ينادي مناد إن لكم أن تصحوا فلا تسقموا أبدا وإن لكم أن تحيوا فلا تموتوا
أبدا وإن لكم أن تشبوا فلا تهرموا أبدا وإن لكم أن تنعموا فلا تبأسوا أبدا
فذلك قوله تعالى ونودوا أن تلكم الجنة أورثتموها بما كنتم تعملون ومهما
أردت أن تعرف صفة الجنة فاقرأ القرآن فليس وراء بيان الله
بيان فاقرأ ولمن خاف مقام ربه جنتان إلى آخر السورة من الرحمن واقرأ
سورة الواقعة وغيرها من السور وإذا أردت أن تعرف تفصيل
صفاتها من الأخبار فتأمل الآن تفصيلها بعد أن اطلعت على جملتها
وتأمل أولا عدد الجنان قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى ولمن
خاف مقام ربه جنتان قال جنتان من فضة آنيتهما وما فيهما وجنتان من ذهب

ابواب الجنة

ابنيتهما وما فيهما وما بين القوم وبين أن ينظروا الى ربهم الا رداء الكبرياء على وجهه
في جنة عدن **ثم انظر الى ابواب الجنة فانها كثيرة بحسب**
اصول الطاعات كما ان أبواب النار بحسب اصول المعاصي قال ابو هريرة قال

الاعمال الصالحات

رسول الله صلى الله عليه وسلم من انفق زوجين من ماله في سبيل الله دعي من ابواب
الجنة وللجنة ثمانية ابواب فمن كان من اهل الصلاة دعي من باب الصلاة ومن كان
من اهل الصيام دعي من باب الصيام وهو باب الريان ومن كان من اهل الصدقة
دعي من باب الصدقة ومن كان من اهل الجهاد دعي من باب الجهاد فقال ابو بكر
رضي الله عنه ما على احد من ضرورة من ايها دعي فهل يدعى احد منها كلها قال نعم
وارجو ان تكون منهم وعن عاصم ابن ضمرة **عن علي كرم الله وجهه** انه ذكر
النار فعظم امرها ذكرا لا احفظه ثم قال ـــــ وسيق الذين اتقوا ربهم الى الجنة
زمرا حتى اذا انتهوا الى باب من ابوابها وجدوا عنده شجرة يخرج من تحت ساقها
عينان تجريان فعمدوا الى احداهما كانما امروا به فشربوا منها فاذهب ما في بطونهم
من اذى او باس ثم عمدوا الى الاخرى فتطهروا منها فجرت عليهم نضرة النعيم
فلم تتغير اشعارهم بعدها ابدا ولا تشعث رؤسهم كانما دهنوا بالدهان ثم
انتهوا الى الجنة فقالوا السلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين ثم تلقاهم الولدان
يطيفون بهم كما يطيف ولدان اهل الدنيا بالحميم يقدم عليهم من غيبة يقولون له
ابشر اعد الله لك من الكرامة كذا قال فينطلق غلام من ذلك الولدان الى بعض
ازواجه من الحور العين فيقول قد جاء فلان باسمه الذي كان يدعى به في الدنيا
فتقول انت رايته فيقول انا رايته وهو باثري فيستخفها الفرح حتى تقوم الى
اسكفة بابها فاذا انتهى الى منزله نظر الى اساس بنيانه فاذا جندل اللؤلؤ فوقه
صرح اخضر واحمر واصفر من كل لون ثم يرفع راسه فينظر الى سقفه فاذا مثل البرق
ولولا ان الله تعالى قدر لالم ان يذهب بصره ثم يطاطئ راسه فاذا ازواجه واكواب
موضوعة ونمارق مصفوفة وزرابي مبثوثة **ثم اتكأوا فقالوا الحمد**
لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا ان هدانا الله
ثم ينادي مناد تحيون ولا تموتون ابدا وتقيمون ولا تظعنون ابدا وتصحون
فلا تمرضون ابدا وقال ـــــ رسول الله صلى الله عليه وسلم آتي يوم القيامة
باب الجنة فاستفتح فيقول الخازن من انت فاقول محمد فيقول بك امرت ان لا افتح

أفق لأحد فيسبقك ثم تأمل الآن في غرف الجنة واختلاف درجاتها
العلو فيها فإن الآخرة أكبر درجات وأكبر تفضيلا وكما أن بين الناس في
الطاعات الظاهرة والأخلاق الباطنة المحمودة تفاوتا ظاهرا فكذلك
فيما يجازون به تفاوت ظاهر فإن كنت تطلب أعلا الدرجات فاجتهد
أن لا يسبقك أحد بطاعة الله تعالى وقد أمرك الله بالمسابقة والمنافسة
فيها فقال سابقوا إلى مغفرة من ربكم وقال تعالى وفي ذلك
فليتنافس المتنافسون فالعجب أنه لو تقدم عليك أقرانك أو جيرانك بزيادة
في درهم أو بعلو بناء ثقل ذلك عليك وضاق صدرك وتنغص بسبب الحسد
عيشك وأحسن أحوالك أن تستقر في الجنة وأنت لا تسلم من أقوام يسبقونك
بلطائف لا توازيها الدنيا بحذافيرها فقد قال أبو سعيد الخدري قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم إن أهل الجنة ليتراءون أهل الغرف فوقهم كما
يتراءون الكوكب الغابر في الأفق من المشرق والمغرب لتفاضل ما بينهم قالوا
يا رسول الله تلك منازل الأنبياء لا يبلغها غيرهم قال بلى والذي نفسي بيده
رجال آمنوا بالله وصدقوا المرسلين وقال أيضا إن أهل الدرجات العلى
ليراهم من تحتهم كما ترون النجم الطالع في أفق السماء وإن أبا بكر وعمر منهم
وأنعما وقال جابر قال لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ألا أحدثكم
بغرف الجنة قال قلت بلى يا رسول الله بأبينا أنت وأمنا فقال إن في الجنة
غرفا من أصناف الجوهر كله يرى ظاهرها من باطنها وباطنها من ظاهرها
وفيها من النعيم واللذات والسرور ما لا عين رأت ولا أذن سمعت قال
قلت يا رسول الله ولمن هذه الغرف قال لمن أفشى السلام وأطعم الطعام وأدام
الصيام وصلى بالليل والناس نيام قال قلنا يا رسول الله ومن يطيق ذلك قال أمتي
تطيق ذلك وسأخبركم عن ذلك من لقي أخاه فسلم عليه أو رد عليه فقد
أفشى السلام ومن أطعم أهله وعياله من الطعام حتى يشبعهم فقد أطعم
الطعام ومن صام شهر رمضان ومن كل شهر ثلاثة أيام فقد أدام الصيام
ومن صلى عشاء الآخرة وصلى الغداة في جماعة فقد صلى بالليل والناس نيام
يعني اليهود والنصارى والمجوس وسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم
عن قوله تعالى ومساكن طيبة في جنات عدن قال قصور من لؤلؤ في كل قصر

المسابقة الى الخيرات

السلام والاطعام والصيام وغيرها غرايب

الاطعام على اهل

سبعون دارا من ياقوتة حمراء في كل دار سبعون بيتا من زمردة خضراء في كل
بيت سرير على كل سرير سبعون فراشا من كل لون على كل فراش زوجة من الحور
العين في كل بيت سبعون مائدة على كل مائدة سبعون لونا من الطعام في كل
بيت سبعون وصيفة ويعطى المؤمن في كل غداة يعني من القوة ما يأتي على
ذلك اجمع

صفة حائط الجنة

وأرضها وأشجارها وأنهارها

تأمل في صورة الجنة وتفكر في غبطة سكانها وحسرة
من حرمها لقناعته بالدنيا عوضا عنها فقد قال ابو هريرة قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم ان حائط الجنة لبنة من فضة ولبنة من ذهب ترابها زعفران
وطينها مسك وسئل صلى الله عليه وسلم عن تربة الجنة فقال
درمكة بيضاء مسك خالص وقال ابو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم من سره ان يسقيه الله عز وجل الخمر فليتركها في الدنيا ومن سره
ان يكسوه الله الحرير فليتركه في الدنيا انهار الجنة تفجر من تحت تلال او تحت جبال
ولو كان ادنى اهل الجنة حلية عدل بأهل الدنيا جميعا لكان ما يحليه الله عز
وجل به في الآخرة افضل من حلية اهل الدنيا جميعا وقال رسول الله صلى
الله عليه وسلم ان في الجنة شجرة يسير الراكب في ظلها مائة عام لا يقطعها اقرأوا
ان شئتم وظل ممدود وقال ابو امامة كان اصحاب رسول الله صلى الله عليه
وسلم يقولون ان الله عز وجل ينفعنا بالاعراب ومسائلهم اقبل اعرابي
فقال يا رسول الله قد ذكر الله في القرآن شجرة مؤذية وما كنت ارى ان في الجنة
شجرة تؤذي صاحبها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وما هي قال السدر
فان لها شوكا فقال قال الله في سدر مخضود يخضد الله شوكه فيجعل مكان كل شوكة
ثمرة ثم تتفتق الثمرة منها على اثنين وسبعين لونا من طعام ما منها لون يشبه
الاخر وقال جرير بن عبد الله نزلنا الصفاح فاذا رجل نائم تحت شجرة وقد
كادت الشمس ان تبلغه فقلت للغلام انطلق بهذا النطع فاظله فانطلق فاظله

سرير الجنة وفرشها

ترك الاكل واللباس لاجل الجنة

ثمار الجنة

٣٦٩
378

فأطلعه فلما استيقظ فإذا هو سلمان فأتيته أسلم عليه فقال يا جرير تواضع لله
فإن من تواضع لله في الدنيا رفعه الله يوم القيامة هل تدري ما الظلمات
يوم القيامة قلت لا أدري قال ظلم الناس بينهم ثم أخذ عودا لا أكاد أراه
من صغره فقال يا جرير لو طلبت في الجنة مثل هذا العود لم تجده قلت يا أبا عبد الله
فأين النخل والشجر قال أصولها اللؤلؤ والذهب وأعلاها الثمر

صفة لباس أهل الجنة

وفرشهم وسررهم وأرائكهم وخيامهم

قال الله تعالى يحلون فيها من أساور من ذهب ولؤلؤا
ولباسهم فيها حرير والآيات في تفصيل ذلك كثيرة وأما تفصيله في الأخبار
فقد روى أبو هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من يدخل الجنة
ينعم لا يبأس ولا يبلى ثيابه ولا يفنى شبابه في الجنة ما لا عين رأت ولا أذن
سمعت ولا خطر على قلب بشر وقال رجل يا رسول الله أخبرنا عن ثياب أهل
الجنة أتخلق خلقا أم تنسج نسجا فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم وضحك
بعض القوم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم مم تضحكون من جاهل يسأل
عالما ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بل تنشق عنها ثمر الجنة مرتين
وقال أبو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أول زمرة تلج الجنة
صورتهم على صورة القمر ليلة البدر لا يبصقون فيها ولا يمتخطون ولا يتغوطون آنيتهم
وأمشاطهم من الذهب والفضة ورشحهم المسك ولكل واحد منهم
زوجتان يرى مخ ساقها من وراء اللحم من الحسن لا اختلاف بينهم ولا تباغض
قلوبهم على قلب واحد يسبحون الله بكرة وعشية وفي رواية على كل واحدة
سبعون حلة وقال صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى يحلون فيها من أساور
من ذهب قال إن عليهم التيجان إن أدنى لؤلؤة فيها لتضيء ما بين المشرق والمغرب
وقال صلى الله عليه وسلم الخيمة درة مجوفة طولها في السماء ستون ميلا
في كل زاوية منها للمؤمن أهل لا يراه الآخرون رواه البخاري في الصحيح وقال

زوجات الجنة

الخيمة

ابن عباس الخيمة درة مجوفة فرسخ في فرسخ لها اربعة الف مصراع من ذهب وقال
ابو سعيد الخدري قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى وفرش
مرفوعة قال ما بين الفراشين كما بين السما والارض

صفة طعام اهل الجنة

بيان طعام اهل الجنة مذكور في القران من الفواكه

والطيور السمان والمن والسلوى والعسل واللبن واصناف كثيرة لا تحصى قال
الله تعالى كلما رزقوا منها من ثمرة رزقا قالوا هذا الذي رزقنا من قبل
واتوا به متشابها وذكر الله تعالى شراب اهل الجنة في مواضع كثيرة وقد قال
ثوبان مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم كنت قائما عند رسول الله صلى الله
عليه وسلم فجاء حبر من احبار اليهود فذكر اسولة الى ان قال فمن اول الناس اجازة
يعني على الصراط فقال فقراء المهاجرين قال اليهودي فما تحفتهم حين يدخلون
الجنة قال زيادة كبد النون قال فما غذاؤهم على اثرها قال ينحر لهم ثور الجنة
الذي كان ياكل من اطرافها قال فما شرابهم عليه قال من عين فيها تسمى سلسبيلا
فقال صدقت وقال زيد ابن ارقم جاء رجل من اليهود الى رسول الله
صلى الله عليه وسلم وقال يا ابا القسم الست تزعم ان اهل الجنة ياكلون ويشربون
وقال لاصحابه ان اقر لي بها خصمته فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بلى والذي
نفسي بيده ان احدهم ليعطى قوة مائة رجل في المطعم والمشرب والجماع
فقال اليهودي فان الذي ياكل ويشرب يكون له الحاجة فقال صلى الله عليه وسلم
حاجتهم عرق يفيض من جلودهم مثل المسك فاذا البطن قد ضمر وقال ابن مسعود
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انك لتنظر الى الطير في الجنة فتشتهيه
فيخر بين يديك مشويا وقال حذيفة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ان في الجنة طيرا امثال البخاتي قال ابو بكر رضي الله عنه انها لناعمة يا رسول الله
قال انعم منها من ياكلها وانت ممن ياكلها يا ابا بكر وقال عبد الله ابن عمر في قوله عز
وجل يطاف عليهم بصحاف قال يطاف بسبعين صحيفة من ذهب كل صحيفة فيها

صفة طعام اهل الجنة

الفقراء

قوة اهل الجنة في المطعم والجماع

فيها لون ليس في الأخرى وقال عبد الله ابن مسعود ومزاجه من تسنيم قال
يمزج لأصحاب اليمين ويشربها المقربون صرفاً وقال أبو الدرداء في قوله تعالى
ختامه مسك قال هو شراب أبيض مثل الفضة يختمون به آخر شرابهم لو أن رجلا
من أهل الدنيا أدخل يده فيه ثم أخرجها لم يبق ذو روح إلا وجد طيبها

صفة الحور العين والولدان

قد تكرر في القرآن أوصافهم ووردت الأخبار بزيادة
شرح فيه روى أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لغدوة في سبيل الله
أو روحة خير من الدنيا وما فيها ولقاب قوس أحدكم أو موضع قدمه في
الجنة خير من الدنيا وما فيها ولو أن امرأة من نساء أهل الجنة اطلعت على الأرض
لأضاءت ولملأت ما بينهما رائحة ولنصيفها على رأسها خير من الدنيا وما فيها
ولو أن امرأة منهن كشفت خمارها لأضاء لها المشرق والمغرب وقال أبو سعيد
الخدري قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى كأنهن الياقوت
والمرجان قال ينظر إلى وجهها في خدرها أصفى من المرآة وإن أدنى لؤلؤة
عليها لتضيء ما بين المشرق والمغرب وإنه يكون عليها سبعون ثوبا ينفذها بصره
حتى يرى مخ ساقها من وراء ذلك وقال أنس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
لما أسري بي دخلت في الجنة موضعا يسمى السدح عليه خيام اللؤلؤ والزبرجد
الأخضر والياقوت الأحمر فقلن السلام عليك يا رسول الله فقلت يا جبريل
ما هذا النداء قال هؤلاء المقصورات في الخيام استأذن ربهن في السلام عليك
فأذن لهن فطفقن يقلن نحن الراضيات فلا نسخط أبدا ونحن الخالدات فلا
نظعن أبدا وقرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم قوله تعالى حور مقصورات في
الخيام وقال مجاهد في قوله تعالى وأزواج مطهرة قال من الحيض والغائط
والبول والبزاق والنخامة والمني والولد وقال الأوزاعي في شغل فاكهون
قال شغلهم افتضاض الأبكار وقال رجل يا رسول الله
أيباضع أهل الجنة قال يعطى الرجل منهم من القوة في اليوم الواحد أفضل من
سبعين منكم وقال عبد الله ابن عمر إن أدنى أهل الجنة منزلة من يسعى معه

ادنى اهل الجنة

الف خادم على عمل ليس عليه صاحبه وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الرجل
ليزوج خمسمائة حورا واربعة الاف بكرا وثمانية الاف ثيبا يعانق كل واحدة
منهن مقدار عمره في الدنيا وقال صلى الله عليه وسلم ان في الجنة سوقا
ما فيها من بيع ولا شرا الا الصورة من الرجال والنسا فاذا اشتهى الرجل
صورة دخل فيها وان فيها لمجتمع للحور العين يرفعن باصوات لم يسمع الخلايق
بمثلها يقلن نحن الخالدات فلا نبيد ونحن الناعمات فلا نبوس ونحن
الراضيات فلا نسخط طوبى لمن كان لنا وكنا له وقال يحيى ابن كثير في قوله تعالى
في روضة يحبرون قال السماع في الجنة • وقال انس قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم ان الحور في الجنة يتغنين يقلن نحن الحور الحسان خبينا لازواج كرام
وقال ابو امامة الباهلي قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من عبد يدخل
الجنة الا ويجلس عند راسه وعند رجليه ثنتان من الحور تغنيانه باحسن
صوت سمعه الانس والجن وليس بمزامير الشيطان ولكن بتحميد الله وتقديسه

كثرة ازواج الجنة

سوق الجنة

بيان جمل متفرقة

من اوصاف اهل الجنة وردت بها الاخبار

روى اسامة ابن زيد ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
لاصحابه الا هل مشمر للجنة ان الجنة لا خطر لها هي ورب الكعبة نور
يتلالا وريحانة تهتز وقصر مشيد ونهر مطرد وفاكهة كثيرة نضيجة
وزوجة حسنا جميلة في حبرة ونعمة في مقام ابدا ونضرة في دار عالية
بهية سليمة قالوا نحن المشمرون لها يا رسول الله قال قولوا ان شا الله ثم
ذكر الجهاد وحض عليه • وجا رجل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال هل
في الجنة خيل فانها تعجبني قال ان احببت ذلك اتيت بفرس من ياقوتة حمرا
فتطير بك في الجنة حيث شئت وقال له اخر ان الابل تعجبني فهل في الجنة من
ابل فقال يا عبد الله ان ادخلت الجنة فلك فيها ما اشتهت نفسك ولذت عيناك
وعن ابي سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان

فرس الجنة وابلها وغيرها

ان الرجل من اهل الجنة يولد له الولد كما يشتهي يكون حمله وفصاله وشبابه في
في ساعة واحدة وقال ــــــــ الله عليه وسلم اذا استقر اهل الجنة
في الجنة اشتاق الاخوان الى الاخوان فيسير سرير هذا الى سرير هذا
فيلتقيان فيتحدثان ما كان بينهما في دار الدنيا فيقول يا اخي تذكر يوم
كذا في مجلس كذا فدعونا الله تعالى فغفر لنا وقال رسول الله صلى الله
عليه وسلم اهل الجنة جرد مرد بيض جعاد مكحلون ابنا ثلث وثلثون
على خلق آدم طولهم ستون ذراعا في عرض سبعة اذرع وقال صلى الله
عليه وسلم ادنى اهل الجنة الذي له ثمانون الف خادم واثنان وسبعون
زوجة وينصب له قبة من لولو وزبرجد وياقوت كما بين الجابية الى صنعا
وان عليهم التيجان وان ادنى لولوة منها لتضي ما بين المشرق والمغرب وقال
صلى الله عليه وسلم نظرت الى الجنة فاذا الرمانة منه مثل خلف البعير المقتب
واذا طيرها كالبخت واذا فيها جارية فقلت يا جارية لمن انت فقالت لزيد ابن حارثة
واذا في الجنة ما لا عين رات ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ٥

وقال ــــــــ كعب خلق الله آدم بيده وكتب التوراة بيده
وغرس الجنة بيده ثم قال لها تكلمي فقالت ــــــــ قد افلح المومنون فهذه
صفات الجنة ذكرناها ثم جملة نقلناها تفصيلا وقد ذكر الحسن البصري رحمه
الله جملتها فقال ان رمانها مثل الدلا وان انهارها لمن ماء غير آسن وانهار من
لبن لم يتغير طعمه وانهار من عسل مصفى لم تصفه الرجال وانهار من خمر لذة
للشاربين لا تسفه الاحلام ولا يصدع منه الروس وان فيها ما لا عين
رات ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ملوك ناعمون ابنا ثلاث وثلثين
في سن واحد طولهم ستون ذراعا في السما كحل جرد مرد قد امنوا العذاب
واطمانت بهم الدار وان انهارها لتجري على رضراض من ياقوت وزبرجد وان عروقها
ونخلها وكرمها اللولو وثمارها لا يعلم علمها الا الله تعالى وان ريحها ليوجد من
مسيرة خمسماية سنة وان لهم فيها خيلا وابلا هفافة رحالها وازمتها وسروجها
من ياقوت يتزاورون فيها وازواجهم الحور العين كانهن بيض مكنون وان المراة
لتاخذ بين اصبعيها سبعين حلة فتلبسها فيرى مخ ساقها من ورا تلك السبعين
حلة قد طهرها الله من الاحلا ومن السو والاحيا من الموت ولا يمتخطون فيها ولا

محادثات اهل الجنة ما كان في الدنيا

قامة اهل الجنة وسنه

المؤمنون

نعيم الجنة

يبولون ولا يتغوطون وانما هو جشاء ورشح مسك لهم رزقهم فيها بكرة وعشيا
اما انه ليس ليل يكر الغدو على الرواح والرواح على الغدو وان آخر من يدخل الجنة
وادناهم منزلة من يمد له في بصره وملكه مسيرة مائة عام في قصور الذهب
والفضة وخيام اللؤلؤ ويفسح له في بصره حتى ينظر الى اقصاه كما ينظر الى ادناه
يغدا عليهم بسبعين الف صحفة من ذهب ويراح عليهم بمثلها في كل صحفة لون ليس
في الاخرى يجد طعم آخره كما يجد طعم اوله وان في الجنة لياقوتة فيها سبعون الف
ادنى اهل الجنة
دار في كل دار سبعون الف بيت ليس فيها صدع ولا ثقب وقال مجاهد ان ادنى اهل
الجنة منزلة لمن يسير في ملكه الف سنة يرى اقصاه كما يرى ادناه وارفعهم الذي
ينظر الى ربه بالغداة والعشي وقال سعيد ابن المسيب ليس احد من اهل الجنة الا وفي
يده ثلاثة اسورة سوار من ذهب وسوار من لؤلؤ وسوار من فضة وقال
الحور
ابو هريرة ان في الجنة حورا يقال لها العيناء اذا مشت مشى عن يمينها وشمالها
سبعون الف وصيفة وهي تقول اين الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر
آمر المعروف وناهي المنكر
وقال يحيى ابن معاذ ترك الدنيا شديد وفوت الجنة اشد وترك
الدنيا مهر الآخرة وقال ايضا في طلب الدنيا ذل النفوس وفي طلب الجنة عز
طلب الدنيا
النفوس فيا عجبا لمن يختار المذلة في طلب ما يفنى ويترك العز في طلب ما يبقى

صفة الرؤية

والنظر الى وجه الله تعالى

قال الله تعالى للذين احسنوا الحسنى وزيادة وهي النظر
هي النظر الى وجه الله تعالى وهي اللذة الكبرى التي ينسى فيها نعيم الجنة وقد ذكرنا
حقيقتها في كتاب المحبة وقد شهد لها الكتاب والسنة على خلاف ما يعتقده
اهل البدعة قال جرير ابن عبد الله البجلي كنا جلوسا عند رسول الله صلى الله
عليه وسلم فرأى القمر ليلة البدر فقال انكم ترون ربكم كما ترون هذا القمر لا تضامون
في رؤيته فان استطعتم ان لا تغلبوا على صلاة قبل طلوع الشمس وقبل غروبها فافعلوا
ثم قرأ فسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل غروبها وهو مخرج في الصحيحين ورو..

وروى مسلم في الصحيح عن صهيب قال قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم للذين احسنوا
الحسنى وزيادة قال اذا دخل اهل الجنة الجنة واهل النار النار نادى مناد يا اهل
الجنة ان لكم عند الله موعدا يريد ان ينجزكموه قالوا اما هذا الموعد الم يثقل موازيننا
ويبيض وجوهنا ويدخلنا الجنة ويجرنا من النار قال فيرفع الحجاب فينظرون الى وجه
الله عز وجل فما اعطوا شيئا احب اليهم من النظر اليه وقد روى حديث الرؤية جماعة
من الصحابة وهذه هي غاية الحسنى ونهاية النعمى وكل ما فصلناه من النعم عند هذه
النعمة ينسى وليس لسرور اهل الجنة عند سعادة اللقاء منتهى بل لا نسبة لشيء من لذات
الجنة الى لذة اللقاء وقد اوجزنا الكلام ههنا لما فصلناه
في كتاب المحبة والرضا فلا ينبغي ان يكون همة العبد
من الجنة شيء سوى لقاء المولى واما سائر نعيم الجنة فانه يشارك فيه البهيمة
المسرحة في المرعى

تختم الكتاب

بباب في سعة رحمة الله تعالى على سبيل التفاؤل بذلك

فقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحب الفال ولبس لنا من
الاعمال ما نرجو به المغفرة فنقتدي برسول الله صلى الله عليه وسلم في
التفاؤل ونرجو ان يختم عاقبتنا بالخير في الدنيا والآخرة كما ختمنا الكتاب
بذكر رحمة الله تعالى فقد قال الله تعالى ان الله لا يغفر ان يشرك به
ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء وقال تعالى قل يا عبادي الذين اسرفوا
على انفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ان الله يغفر الذنوب جميعا انه هو الغفور
الرحيم وقال الله تعالى ومن يعمل سوءا او يظلم نفسه ثم يستغفر الله
يجد الله غفورا رحيما ونحن نستغفر الله تعالى من كل ما زلت به القدم
او طغى به القلم في كتابنا هذا وفي سائر كتبنا ونستغفره من اقوالنا التي لا
يوافقها اعمالنا ونستغفره مما ادعيناه واظهرناه من العلم والبصيرة بدين الله
تعالى مع التقصير فيه ونستغفره من كل علم وعمل قصدنا به وجهه الكريم ثم

رحمة الله

خالطه غيره ونستغفره من كل وعد وعدناه من انفسنا ثم قصرنا في الوفاء به ونستغفره
من كل نعمة انعم بها علينا فاستعملناها في معصيته ونستغفره من كل تصريح
وتعريض بنقصان ناقص وتقصير مقصر كنا متصفين به ونستغفره من كل خطرة
دعتنا الى تصنع وتكلف تزينا للناس في كتاب سطرناه او كلام نظمناه او علم افدناه
او استفدناه ونرجو بعد الاستغفار من جميع ذلك كله لنا ولمن طالع
كتابنا هذا او كتبه او سمعه ان يكرم بالمغفرة والرحمة والتجاوز عن جميع السيئات
ظاهرا وباطنا فان الكرم عميم والرحمة واسعة والجود على اصناف الخلائق فايض
ونحن خلق من خلق الله لا وسيلة لنا الا فضله وكرمه فقد قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم ان لله تعالى مائة رحمة انزل منها واحدة بين الجن والانس
والطير والبهائم والهوام فيها يتعاطفون وبها يتراحمون واخر تسعا وتسعين رحمة
يرحم بها عباده يوم القيامة ويروى انه اذا كان يوم القيامة
يخرج الله تعالى كتابا من تحت العرش فيه ان رحمتي سبقت غضبي وانا ارحم الراحمين
فيخرج من النار مثلا اهل الجنة وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان
يتجلى الله لنا يوم القيامة ضاحكا فيقول ابشروا معشر
المسلمين فانه ليس منكم احد الا وقد جعلت مكانه في النار يهوديا
او نصرانيا وقال النبي صلى الله عليه وسلم يشفع الله تعالى آدم
يوم القيامة من جميع ذريته في مائة الف الف وعشرة الاف الف وقال صلى الله
عليه وسلم ان الله عز وجل يقول يوم القيامة للمؤمنين هل احببتم لقائي فيقولون
نعم يا ربنا فيقول لم فيقولون رجونا عفوك ومغفرتك فيقول قد اوجبت لكم
مغفرتي وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الله عز وجل يوم
القيامة اخرجوا من النار من ذكرني يوما او خافني في مقام وقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم اذا اجتمع اهل النار في النار ومن شاء الله معهم من اهل
القبلة قال الكفار للمسلمين الم تكونوا مسلمين قالوا بلى فيقولون ما اغنى عنكم
اسلامكم اذ انتم معنا في النار فيقولون كانت لنا ذنوب فاخذنا بها فيسمع الله
تعالى ما قالوا فيامر باخراج من كان في النار من اهل القبلة فيخرجون فاذا
رأى ذلك الكفار قالوا يا ليتنا كنا مسلمين فنخرج كما اخرجوا ثم قرأ رسول الله
صلى الله عليه وسلم ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين وقال رسول الله صلى الله

الخروج من النار

الله عليه وسلم الله ارحم بعباده المؤمنين من الوالدة الشفيقة بولدها وقال
جابر بن عبد الله من زادت حسناته على سيئاته يوم القيمة
فذلك الذي يدخل الجنة بغير حساب ومن استوت حسناته وسيئاته يوم القيامة
فذلك الذي يحاسب حسابا يسيرا ثم يدخل الجنة وانما شفاعة رسول الله صلى
الله عليه وسلم لمن اوبق نفسه واثقل ظهره ويروى ان الله عز وجل
قال لموسى عليه السلام يا موسى استغاث بك قارون فلم تغثه وعزتي وجلالي
لو استغاث بي لاغثته ولعفوت عنه وقال سعد ابن بلال يؤمر يوم القيامة
باخراج رجلين من النار فيقول الله تعالى بما قدمت ايديكما وما انا بظلام
للعبيد ويامر بردهما الى النار فيعدو احدهما في سلاسله حتى يقتحمها ويتلكا
الاخر فيامر بردهما ويسألهما عن فعلهما فيقول الذي عدا الى النار قد حذرت
من وبال المعصية ما لم اكن اتعرض لسخطك ثانية ويقول الذي تلكا حسن ظني
بك كان يشعرني ان لا تردني بعد ما اخرجتني منها فيامر بهما الى الجنة ۝
وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ينادي مناد من تحت العرش
يوم القيامة يا امة محمد اما ما كان لي قبلكم فقد وهبته
لكم وبقيت التبعات فتواهبوها وادخلوا الجنة برحمتي ويروى
ان اعرابيا سمع ابن عباس يقرأ وكنتم على شفا حفرة من النار فانقذكم منها
فقال الاعرابي والله ما انقذهم منها وهو يريد ان يوقعهم فيها فقال
ابن عباس خذوها من غير فقيه • وقال الصنابحي دخلت على عبادة ابن الصامت
وهو في مرض الموت فبكيت فقال مهلا لم تبكي فوالله ما من حديث سمعته
من رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه خير الا حدثتكموه الا حديثا
واحدا وسوف احدثكموه اليوم وقد احيط بنفسي سمعت رسول الله صلى الله
عليه وسلم يقول من شهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله
حرم الله عليه النار وقال عبد الله ابن عمرو ابن العاص قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم ان الله يستخلص رجلا من امتي على رؤس الخلايق يوم
القيامة فينشر عليه تسعا وتسعون سجلا كل سجل منها مد البصر ثم يقول اتنكر
من هذا شيئا اظلمك كتبتي الحافظون فيقول لا يا رب فيقول لا يا رب فيقول
بلى ان لك عندنا حسنة وانه لا ظلم اليوم عليك فيخرج بطاقة بيضاء فيها اشهد ان لا

زيادة الحسنات ومساواتها

اخراج من النار

كلمة الشهادة

مغفرة الله

لا اله الا الله واشهد ان محمدا رسول الله فيقول يا رب ما هذه البطاقة مع
هذه السجلات فيقال انك لا تظلم قال فتوضع السجلات في كفة والبطاقة في كفة
فطاشت السجلات وثقلت البطاقة فلا يثقل مع الله شيء وقال رسول الله صلى
الله عليه وسلم في آخر حديث طويل يصف فيه القيامة والصراط ان الله يقول
للملائكة من وجدتم في قلبه مثقال دينار من خير فاخرجوه من النار فيخرجون
خلقا كثيرا ثم يقولون ربنا لم نذر فيها احدا ممن امرتنا به ثم يقول ارجعوا
فمن وجدتم في قلبه مثقال نصف دينار من خير فاخرجوه فيخرجون خلقا كثيرا
ثم يقولون ربنا لم نذر فيها احدا ممن امرتنا به ثم يقول ارجعوا فمن وجدتم في قلبه
مثقال ذرة من خير فاخرجوه فيخرجون خلقا كثيرا ثم يقولون ربنا لم
نذر فيها خيرا فكان ابو سعيد يقول ان لم تصدقوني بهذا الحديث فاقرؤا ان
شئتم ان الله لا يظلم مثقال ذرة وان تك حسنة يضاعفها ويؤت من لدنه
اجرا عظيما ٥ قال فيقول الله عز وجل شفعت الملائكة وشفع
النبيون وشفع المؤمنون ولم يبق الا ارحم الراحمين فيقبض قبضة فيخرج منها
من لم يعملوا خيرا قط قد عادوا حمما فيلقيهم في نهر في افواه الجنة يقال له
نهر الحياة فيخرجون منه كما تخرج الحبة في حميل السيل الا ترونها تكون مما
يلي الحجر او الشجر ما يكون الى الشمس اصيفر واخيضر وما يكون منها الى الظل ابيض
قالوا يا رسول الله كانك كنت ترعى بالبادية قال فيخرجون كاللؤلؤ في رقابهم
الخواتيم يعرفهم اهل الجنة فيقولون هؤلاء عتقاء الله الذين ادخلهم الجنة بغير عمل
عملوه ولا خير قدموه ثم يقول ادخلوا الجنة فما رايتموه فهو لكم فيقولون ربنا
اعطيتنا ما لم تعط احدا من العالمين فيقول الله تعالى لكم عندي افضل من هذا
فيقولون يا ربنا اي شيء افضل من هذا فيقول رضاي فلا اسخط عليكم بعده ابدا
رواه البخاري ومسلم في صحيحيهما وروى البخاري ايضا عن ابن عباس
قال خرج الينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم فقال عرضت علي
الامم فجعل النبي معه الرجل والنبي معه الرجلان والنبي ليس معه احد والنبي
معه الرهط فرايت سوادا كثيرا فرجوت ان تكون امتي فقيل لي هذا موسى
وقومه ثم قيل لي انظر فرايت سوادا كثيرا قد سد الافق فقيل لي انظر هكذا
وهكذا فرايت سوادا كثيرا فقيل هؤلاء امتك ومع هؤلاء سبعون الفا

اخراج من النار

فيقبض الله

يدخلون

الكي والاسترقاء والطيرة والتوكل

رحمه الله

يدخلون الجنة بغير حساب فتفرق الناس ولم يبين لهم رسول الله صلى
الله عليه وسلم فتذاكر ذلك اصحابه فقالوا اما نحن فولدنا في الشرك ولكن قد
امنا بالله ورسوله وهولاء هم ابناؤنا فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه
وسلم فقال هم الذين لا يكتوون ولا يسترقون ولا يتطيرون وعلى
ربهم يتوكلون فقام عكاشة فقال ادع الله ان يجعلني منهم فقال انت منهم
ثم قام اخر فقال مثل قول عكاشة فقال صلى الله عليه وسلم سبقك بها
عكاشة وعن عمر ابن حزم الانصاري قال تغيب عنا
رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثا لا يخرج الا لصلاة مكتوبة ثم يرجع
فلما كان الرابع خرج الينا فقلنا يا رسول الله احتبست عنا حتى ظننا قد حدث
حدث قال لم يحدث الا خير ان ربي عز وجل وعدني ان يدخل من امتي الجنة سبعين
الفا لا حساب عليهم واني سالت ربي في هذه الثلاثة ايام المزيد فوجدت
ربي واحدا ماجدا كريما فاعطاني مع كل واحد من السبعين الفا سبعين
الفا قال قلت يا رب وتبلغ امتي هذا قال اكمل لك العدد من الاعراب وقال
ابو ذر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عرض لي جبريل في
جانب الحرة فقال بشر امتك انه من مات منهم لا يشرك بالله شيئا دخل الجنة
فقلت يا جبريل وان سرق وان زنا قال نعم وان سرق وان زنا قلت
وان سرق وان زنا قال وان سرق وان زنا وان شرب الخمر قال
ابو الدرداء قرا رسول الله صلى الله عليه وسلم ولمن خاف
مقام ربه جنتان فقلت وان سرق يا رسول الله فقال ولمن خاف
مقام ربه جنتان فقلت وان سرق وان زنا فقال ولمن خاف مقام ربه
جنتان فقلت وان سرق وان زنا فقال وان رغم انف ابي الدرداء وقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا كان يوم القيامة دفع الى كل مؤمن
رجل من اهل الملل فقيل له هذا فداؤك من النار وروى مسلم في الصحيح
عن ابي بردة انه حدث عمر ابن عبد العزيز عن ابيه عن ابي موسى عن النبي
صلى الله عليه وسلم قال لا يموت رجل مسلم الا ادخل الله تعالى مكانه النار
يهوديا او نصرانيا فاستحلفه عمر ابن عبد العزيز بالله الذي لا اله الا هو
ثلث مرات ان اباه حدثه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فحلف له ٥

وروي انه وقف صبي في بعض المغازي ينادى عليه فيمن يزيد في يوم
صائف شديد الحر فبصرت به امراة في خبا القوم فاقبلت تشتد واقبل
اصحابها خلفها حتى اخذت الصبي والصقته الى صدرها ثم القت ظهرها على
البطحا وجعلته على بطنها تقيه من الحر وقالت ابني ابني فبكا الناس وتركوا ما هم
فيه واقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى وقف عليهم فاخبروه
الخبر فسر برحمتهم ثم بشرهم فقال اعجبتم من رحمة هذه لابنها قالوا نعم
قال فان الله تبارك وتعالى ارحم بكم جميعا من هذه بابنها فتفرق المسلمون
على افضل السرور واعظم البشارة فهذه الاحاديث
وما اوردناه في كتاب الرجا يبشرنا لسعة رحمة الله عز وجل فنرجوا من الله
تعالى ان لا يعاملنا بما لا نستحقه ويتفضل علينا بما هو اهله بمنه وجوده

تم الكتاب

بعون الله والحمد لله رب العالمين وصلى الله على
سيدنا محمد خير خلقه واله وصحبه وسلم
تسليما
كثيرا

برسم الفقير الى الله تعالى منجك اليوسفي
الملكي الظاهري
غفر الله
له